

# تحرير مقال الجمهور في متعلق الظرف والمجرور

تأليف العلامة محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت: ١٢٩٨هـ)

## تحقيق ودراسة

أ.م.د. يوسف خلف محل العيساوي

الجامعة العراقية / كلية الآداب

## ملخص البحث

فالتدقيق بعلم العربية من القرب التي تنافس العلماء في تحصيلها؛ لذا أقبلوا على تعلمها وتعليمها، والبحث في مخابراتها، وصدق ابن جني (ت: ٣٩٢ هـ) بقوله: (وأذكر يوماً وقد خطر لي خاطرٌ مما نحن بسبيله، فقلت: لو أقام إنسانٌ على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلّا بهذا الموضع لما كان مغبوناً فيه، ولا منتقص الحظ منه، ولا السعادة به).

فهذه رسالة للشيخ محمد بن أحمد الأهدل (ت: ١٢٩٨ هـ)، تحدّث فيها عن متعلّق أشباه الجمل، سهولة البيان، جاءت بعنوان: (تحرير مقال الجمهور في متعلق الظرف والمجرور)، بلغ فيها الأماني، كيف لا وهو النحويّ اليماني. والذي حملني على إخراج هذه الرسالة أمور، أهمها:

- الأول: التعريف بالشيخ محمد بن أحمد الأهدل، وتتبع آثاره في علم العربية.
- الثاني: إبراز أثر جديد لم يكن معروفاً عند من ترجم له، أو عرف به بحسب علمنا.
- الثالث: تخصّص الرسالة في مسألة نحويّة ذات بال؛ إذ شغلت حيّزاً في كتب النحو، وفي كتب إعراب القرآن الكريم، وذلك لتوقف المعنى على ذلك التقدير.
- الرابع: تعدّد هذه الرسالة أوّل أثر يُحقّق في هذه المسألة بحسب ما اطلّعنا عليه.
- الخامس: نقل المصنف عن مصادر لعلماء متأخرين غير مشهورين عند الكثيرين.
- السادس: إحكام الربط، وتناسب بناء مباحث الرسالة، ورقة عبارته، وبعده عن التعقيد والتكلف، وجمعه بين التنظير والتطبيق.

السابع: لم يخلِ المصنف رسالته هذه من التنبيه على مسائل خفية ولطيفة، أو الإشارة إلى اعتراضٍ علمي وجيه، أو الوقوف على فائدة من بطون الدفاتر، مع نقله عن المشهور والظاهر.

### Issue Abstract

Valtdqik Arab knowledge of proximity, which scientists compete in the collection; therefore turned to learning and education, and research in Mkhbatha, and honestly I'm taking (Tel: 392 e) said: (I remember days has occurred to me willingly than we are on course, I said, if established human being on service This science sixty years so as not to have him in this position, but what was Mgbona it, not deficient him luck, and happiness do).

This is a message to Sheikh Mohammed bin Ahmed VMA (Tel: 1298 e), in which he talked about the semiconductor related sentences, easy statement, titled: (Edit the public in an article related to the envelope and sewer), reached the aspirations, not how a grammar-Yamani.

And that carried me to take out this message matters, including:

The first definition of Sheikh Mohammed bin Ahmed VMA, and track its effects in the Arab flag.

Second: To highlight the impact of the new was not known when translated from him, or knew him, according to our knowledge.

Third: Restrict message in a grammatical issue significant; it served as a space in the books, and written expression of the Koran, so as to stop the meaning of that estimate.

IV: This is the message the first impact was investigating the matter, according to what we saw it.

V: the transfer of seed sources for scholars of late is famous for many people.

VI: The provisions of connectivity, and the SSI building fit the message, and his term paper, and after all the complexity and sophistication, and collected between theory and application.

VII: seed has not been without its message of this alarm on the hidden issues and nice, or refer to a valid scientific objection, or stand on the usefulness of the stomachs of the books, with his transfer from famous and visible.



## المُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين  
المبعوث رحمة للعالمين بلسانٍ عربي مبين، ثم الرضا عن آله وصحابه  
أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.  
وبعد:

فالتدقيق بعلم العربية من القُرب التي تنافس العلماء في  
تحصيلها؛ لذا أقبلوا على تعلّمها وتعليمها، والبحث في مخبّاتها، وصدق  
ابن جني (ت: ٣٩٢ هـ) بقوله: (وأذكرُ يوماً وقد خطرَ لي خاطراً ممّا نحن  
بسبيله، فقلتُ: لو أقام إنسانٌ على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا  
يحظى منه إلّا بهذا الموضع لما كان مغبوناً فيه، ولا منتقص الحظ منه،  
ولا السعادة به)<sup>(١)</sup>.

فهذه رسالةٌ للشيخ محمد بن أحمد الأهدل (ت: ١٢٩٨ هـ)،  
تحدّث فيها عن مُتعلّق أشباه الجُمْل، سهولة البيان، جاءت بعنوان: (تحرير  
مقال الجمهور في متعلّق الظرف والمجرور)، بلغ فيها الأمانى، كيف لا  
وهو النحويُّ اليماني.

والذي حملني على إخراج هذه الرسالة أمور، أهمها:  
الأول: التعريف بالشيخ محمد بن أحمد الأهدل، وتتبع آثاره في علم  
العربية.

الثاني: إبراز أثر جديد لم يكن معروفاً عند من ترجم له، أو عرّف به  
بحسب علمنا.

الثالث: تخصّصُ الرسالة في مسألة نحويّة ذات بال؛ إذ شغلت حيزاً في  
كتب النحو، وفي كتب إعراب القرآن الكريم، وذلك لتوقف المعنى على  
ذلك التقدير.

الرابع: تُعدُّ هذه الرسالة أوّل أثرٍ يُحقّق في هذه المسألة بحسب ما اطلّعنا  
عليه.

الخامس: نقل المصنف عن مصادر لعلماء متأخرين غير مشهورين عند الكثيرين.

السادس: إحكام الربط، وتناسب بناء مباحث الرسالة، ورقة عبارته، وبعده عن التعقيد والتكلف، وجمعه بين التنظير والتطبيق.

السابع: لم يخل المصنف رسالته هذه من التنبيه على مسائل خفية ولطيفة، أو الإشارة إلى اعتراض علمي وجيه، أو الوقوف على فائدة من بطون الدفاتر، مع نقله عن المشهور والظاهر.

وقد جعلنا هذه الرسالة في قسمين:

#### القسم الأول: المؤلف والمؤلف، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: تعريف موجز بالمؤلف ومكانته في علم العربية، وتناولنا فيه: اسمه، ونسبه، ومولده ونشأته، ومعارفه ومنزلته في علم العربية. وتتبعنا آثاره في علم العربية، وجعلناها على ثلاثة أنحاء: المطبوعة، والمخطوطة، والمذكورة. ثم ختمنا المبحث هذا بوفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف، وتناولنا فيه: موضوع الرسالة ومنهج المؤلف فيها، وأودعنا عنده المعتبرين بهذا الموضوع، ثم عنوان الرسالة، وتوثيق نسبة المؤلف، ومصادر المصنف، وختمنا هذا المبحث بالتعريف بالنسخ الخطية.

القسم الثاني: النص المحقق: وقد سلطنا في إخراج المنهج العلمي المتبع في التحقيق، وهو:

الأول: ضبط النص، وإثبات الفروق بين النسختين.

الثاني: عزو الآيات القرآنية.

الثالث: تخريج الأقوال العلمية من مظانها التي استقى منها المصنف.

الرابع: تخريج ما احتج به من شاهد شعري ونحوه.



الخامس: التعلّيقُ على المسائل العلميّة ممّا يحتاج إلى إيضاحٍ أو تنبيه، وجعلتُ ما زدته بين معقوفتين [ ]، ممّا يتطلّبُ السياق.

السادس: التعرّيف بالأعلام المذكورين في النصّ المُحقّق.

السابع: إبرازُ آراء المُصنّف وتنبيهاته في حواشي التحقيق، وبسط القول فيها.

الثامن: التتكيّت على ما أجمله، أو أغفله.

ثم المصادر والمراجع التي أفدنا منها في الدراسة والتحقيق.

والرسالة على صيغها واجهتني في إخراجها صعوبات، منها ما يرجع إلى النسختين الخطيتين من حيث عدم الضبط، ومنها ما يرجع إلى طريقة المؤلّف بالنقل، مثل: عدم التصريح بالكتاب المنقول عنه.

هذا وأسألُ الله سبحانه وتعالى السداد في القول والعمل، ونعوذ به من غوائل طول الأمل.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

## القسم الأول

### المؤلف والمؤلف

#### المبحث الأول

#### تعريف موجز بالمؤلف، ومكانته في علم العربية

##### اسمه ونسبه:

محمد بن أحمد بن عبد الباري بن محمد بن عبد الباري الأهدل،  
الحُسَينِي، التهامي، الشافعي<sup>(٢)</sup>.

##### مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد الأهدل بمدينة أسلافه (المرأوة)<sup>(٣)</sup> في ذي  
القعدة سنة ١٢٤١هـ، ونشأ رحمه الله في حجر أبويه؛ فحفظ القرآن عن  
ظهر قلب، وتعلّم رسوم الكتابة، وفي عام (١٢٥٥ هـ) ابتدأ في طلب العلم  
الشريف على يد أعلام المرأوة وعلمائها<sup>(٤)</sup>.

قال زبارة (ت: ١٣٨١ هـ): (... وأخذ في فنون العلم عن عمّه  
عبد الباري، وعمّه الحسن بن عبد الباري، وعن أخيه عبد الباري بن  
أحمد... وحجّ في سنة ١٢٦٠؛ فاجتمع بكثير من العلماء والفضلاء بمكة،  
كالشيخ عبدالله سراج، والشيخ عثمان الدميّطي، والشيخ أحمد الدميّطي،  
والشيخ إبراهيم الخليل وأخذ عنهم، وعن غير من تقدّم ذكرهم من علماء  
تهامة، واستجاز من بعضهم، وصار إماماً راسخاً في جميع العلوم، وطوّد  
بأذخاً لا يبلغه إلا أرباب الحجي والفهوم)<sup>(٥)</sup>.

وقال الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ): (فاضلٌ من أهل تهامة اليمن،

شافعي)<sup>(٦)</sup>.

##### معارفه ومنزلته في علم العربية:

تنوّعت معارف الشيخ محمد الأهدل، وطُبِعَ بثقافة عصره وفنون  
مصره، حتى قال زبارة: (وكان له الباع الطويل في جميع الفنون)<sup>(٧)</sup>.

وقال الشيخ عبدالله محمد الحبشي: (وأصبح إماماً راسخاً في جميع العلوم، يلتجئ إليه الطلبة لحل المشكلات) <sup>(٨)</sup>.

وقال القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ: (الأهدل: عالمٌ مُحَقِّقٌ في علوم الحديث والفقه، وعلوم العربية، له مشاركة قوية في علوم أخرى. اشتغل بالتدريس، والإفتاء، والتأليف) <sup>(٩)</sup>.

اجتمع للشيخ الأهدل من المؤلفات (ما ينيف على المائة) <sup>(١٠)</sup>، منها ما طُبِعَ، ومنها ما لم يُطْبَع، هكذا قال بعضهم <sup>(١١)</sup>.

وهذا معلوم؛ لأنَّ كُتِبَ التراجم ليس من شرطها الاستقصاء لمؤلفات المترجم؛ فهذا (زبارة) عندما عدَّدَ مُصَنَّفَاتِهِ، قال: (وَأَلَّفَ مؤلفات عديدة، منها: حاشية القطر...، وغير ذلك من الرسائل والحواشي والشروح) <sup>(١٢)</sup>.

والذي يهمني هنا أنني سأذكرُ مصنَّفاتِهِ في علم العربية، وذلك على النحو الآتي:

#### أ. المطبوعة:

١. الكواكب الدرية شرح متممة الأجرومية <sup>(١٣)</sup>.

٢. النفحة العطرية على المقدمة الأجرومية <sup>(١٤)</sup>.

#### ب. المخطوطة:

١. تحرير قول الجمهور في مُتَعَلِّقِ الظَّرْفِ والجَارِّ والمَجْرُورِ. وهو الذي نقوم بتحقيقه.

٢. تنقيح الفوائد على أبيات الشواهد (شرح شواهد القطر على حروف المعجم) <sup>(١٥)</sup>.

٣. خلاصة المرسوم على مقدمة ابن آجروم <sup>(١٦)</sup>. ذكره المصنف في كتابه (النفحة العطرية: ٤٢)، فقال: (وكنْتُ قد شرحتها بشرح لطيف، يُسمى: خلاصة المرسوم، ولكنه خالٍ من الإعراب، والشاهد، والمثال).

٤. فتح الفتح العليم بشرح بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١٧)</sup>.  
 قيل فيه: (تكلم على البسمة من نحو عشرين فناً)<sup>(١٨)</sup>. ذكره  
 (زبارة)، والقاضي إسماعيل الأكوغ<sup>(١٩)</sup>.  
 ٥. كشف اللثام حواشي على قطر ابن هشام<sup>(٢٠)</sup>، وذكره ابن الأكوغ  
 بعنوان: (كشف اللثام عن مخدرات ابن هشام). وذكره الشيخ  
 الأهدل في كتابه (الكواكب الدرية: ٣٠٨)، فقال: (وفي الحواشي  
 التي علقتها على شرح القطر: مجلس بكسر اللام؛ لأن المراد به  
 المكان، وكذا تكسر إذا أريد به الزمان؛ فإن أريد به المصدر  
 فُتحت، كما يُعلم من فنّ الصّرف)

### ج. المذكورة:

١. إرشاد من يهيم في تناسب اسمي محمد وإبراهيم<sup>(٢١)</sup>.  
 ٢. تعريف من انتصب لتلقي الوهب الفائض بحد المنصوب من  
 الأسماء بنزع الخافض. وقفت عليه بفضل الله؛ إذ ذكره في كتابه  
 (الكواكب الدرية: ٣٠٩)، بقوله: (هذا والمنصوب بنزع الخافض  
 هو الاسم المنصوب بفعل حقه أن يتعدى بالحرف، لكنه حُذف عند  
 تعيينه استغناءً عنه سماعاً أو قياساً، وقد شرحتُ هذا الحد في نحو  
 ورقة، وسميته: تعريف من انتصب لتلقي الوهب الفائض بحد  
 المنصوب من الأسماء بنزع الخافض).

### وفاته:

اتفق مترجموه على أنه توفي في شهر محرم الحرام سنة  
 (١٢٩٨ هـ).

## المبحث الثاني التعريف بالمؤلف

### موضوع الرسالة، ومنهج المؤلف فيها:

تحدث الشيخ الأهدل في رسالته هذه عن مسألة مهمة من مسائل العربية، ألا وهي: مسألة تعلق شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) إذا وقعت خبراً، أو صفةً، أو حالاً، أو صلة؛ فالتعليق في هذا الباب معناه: الارتباط المعنوي لشبه الجملة بالحدث، فلا بدّ من هذا المتعلّق مما هو متضمن لشبه الجملة، ومستدعٍ لطلب الفائدة واستقامة الكلام<sup>(٢٢)</sup>.

ولا نعدم من يرى أنّ هذه المسألة قد تكون أمراً اصطلاحياً وتحقيقاً صناعياً ليس إلّا<sup>(٢٣)</sup>. والتحقيق أنّها ليست خلافاً لفظياً أو أمراً اصطلاحياً، بل هي مما يعود على المعنى بالضبط والتدقيق<sup>(٢٤)</sup>.

ونودّ أن نشير إلى أنّ العلماء ضبطوا هذه المسألة في مختلف الأبواب النحوية؛ ففي وقوع شبه الجملة خبراً، يقول ابن السراج (ت: ٣١٦ هـ): (وخبر المبتدأ الذي هو الأول في المعنى على ضربين: فضربٌ يظهر فيه الاسم الذي هو الخبر، نحو ما ذكرنا من قولك: زيدٌ أخوك، وزيدٌ قائمٌ، وضربٌ يُحذف منه الخبر ويقوم مقامه ظرفٌ له، وذلك الظرف على ضربين: إمّا أن يكون من ظروف المكان، وإمّا أن يكون من ظروف الزمان، أمّا الظروف من المكان فنحو قولك: زيدٌ خلفك، وعمرو في الدار، والمحذوف: معنى الاستقرار والحلول، وما أشبههما، كأنك قلت: زيدٌ مستقرٌ خلفك، وعمرو مستقرٌ في الدار، ولكن هذا المحذوف لا يظهر؛ لدلالة الظرف عليه، واستغنائهم به في الاستعمال)<sup>(٢٥)</sup>.

ومنهم من يُقدّرُ هذا المحذوف فعلاً، يقول ابن الحاجب (ت: ٦٤٦ هـ): (والأكثر على أنّ المتعلّق المحذوف في الظرف فعلٌ، كما اختاره، وتقديره: استقرّ فيها؛ لأنّ أصل التعلق للأفعال؛ فإذا وجب التقدير فالأصل أقرب، واستدلّ بأنه يقع صلة، فوجب تقدير الفعل لتكون جملة.

وأجيب: بأنه تعين الفعل لأنَّ الصلة لا تكون جملة، بخلاف غيرها. وزعم قوم أنَّ المتعلق اسم تقديره (مستقر)؛ لأنَّه خبر مبتدأ، والأصل فيه أن يكون مفردًا، فكان أولى، والذي يضعفه الاتفاق على صحة دخول (فاء) في مثل: كل رجل في الدار فله درهم، والوقوف فيها في مثل: كل رجل عالم فله درهم<sup>(٢٦)</sup>.

ونازع السهيلي (ت: ٥٨١ هـ) في هذا، وجعل المتعلق اسمًا مُشتقًا، وأرجع ذلك لفائدتين:

إحداهما: أن يكون خبرًا عن المبتدأ، ويضمر فيه ما يعود عليه، إذ لا يمكن ذلك في المصدر.

الثانية: أن يصحَّ تعلق الجار به؛ إذ مطلوبه الحدث، واسم الفاعل متضمن الحدث لا الزمان<sup>(٢٧)</sup>.

ويُجمل هذا برهان الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٦٧ هـ) بقوله: (يقع الخبر ظرفًا، نحو: ﴿وَالرَّكْبُ أَهْلَ مَنْكُم﴾، أو جارًا ومجرورًا، نحو: ﴿أَلْحَدَيْهِ﴾، ولك أن تُقدِّر العامل فيهما بكائن أو مستقر، فيكون الخبر من قسم المفرد المشتق، ولك أن تُقدِّره بـ(استقر)، فيكون من قسم الجملة، وكلاهما عند المحققين في موضع نصب، والخبر المرفوع إمَّا عاملهما المقدر عند من قدَّره بكائن، وإمَّا مجموع الجملة عند من قدَّره بـ(استقر)<sup>(٢٨)</sup>.

وهكذا يكون التقدير اسمًا، أو فعلًا إذا وقع الظرف، أو الجار والمجرور صفة، كقوله تعالى: ﴿أَوْكَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، فـ(مِّنَ السَّمَاءِ) متعلق بمحذوف تقديره: (كائن، أو استقر)، أو حالًا، كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾، فقوله: (فِي زِينَتِهِ): جارٌّ ومجرور ومضافٌ إليه في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في (خرج)، أي: خرج كائنًا في زينته، أي: متزينًا<sup>(٢٩)</sup>.

أما إذا جاء الظرف، والجار والمجرور صلة، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فقوله: (له): جار ومجرور خبر مقدم، و(من) موصولة مبتدأ. تعيّن تعليقه بالفعل، وتقديره (استقر)، ولا يتعلّق بـ(كائن، أو استقر)؛ لأنّ الصلة لا تكون إلّا جملة. قال ابن يعيش: (وأما الصلة إذا كانت ظرفاً أو جاراً ومجروراً، فنحو: الذي عندك زيد، والذي في الدار خالد، واعلم أنّ الظرف إذا وقع صلة فإنه يتعلّق بفعل محذوف، نحو: استقر، أو حلّ ونحوه، ولا يتعلّق باسم فاعل، لأنّ الصلة لا تكون بمفرد، إنما تكون بجملة) (٣٠).

وكذلك تحدّث علماء العربية عن هذا المقدّر وحكم حذفه، يقول ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ): (تقول: زيدٌ أمامك، وعمرٌ خلفك، والقائم عندك، والكريم في الدار. ففي الكلام محذوفٌ يتعلّق بالزرف، تقديره: زيدٌ استقرّ خلفك، أو مستقرّ، فحذف هذا المقدّر حذفاً مطرداً، لا يظهر تخفيفاً، وللعلم به، وأقيم الضرف مقامه، وجُعِلَ خبراً عن (زيد). وفي حكم الضمير المستكن في المحذوف خلاف، فمنهم من ينقله الى الظرف ويجعله له، ومنهم من يجعله باقياً لحاله والحكم له، وظهور هذا المحذوف شريعة منسوخة، فلا تقول: زيد استقر، أو مستقرّ خلفك) (٣١).

ومن ههنا اتجه الشيخ محمد الأهدل لرصد هذه المسألة والتفصيل في فروعها؛ ودعته أهمية هذه المسألة إلى التصنيف فيها، كي يدفع الغلط عن طلبة العربية فيها.

وقد بيّن المؤلف منهجه في مفتتح كتابه، فقال: (ورتبته على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة).

ففي المقدمة مهّد لرسالته بثلاث مسائل:

الأولى: في معنى الظرف.

الثانية: الحكم للمجرور إذا كان الخبر، والحال، والصفة، والصلة جاراً أو مجروراً.

الثالثة: في بيان الظرف اللغو، وغير اللغو.  
 الفصل الأول: فيما يتعلق من المجرورات وما لا يتعلق.  
 الفصل الثاني: في المتعلق به (بفتح اللام).  
 الفصل الثالث: في ذكر المواضع التي يجب فيها حذف المتعلق  
 (بفتح اللام).

الفصل الرابع: في التقدير، أي: تقدير المتعلق.  
 والخاتمة: جعلها في القاعدة المشهورة، وهي: (الظروف بعد  
 النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال).  
 والكتب النحوية في قضية التعلق على ثلاثة أنحاء:  
 الأول: الإشارة.  
 الثاني: التوسط.  
 الثالث: التوسع.

وممن خصَّصَ هذه المسألة بالبسط (ابن هشام الأنصاري) في  
 كتابيه: (قواعد الإعراب، ومغني اللبيب).  
 وهكذا استقصى شراح هذين الكتابين المسألة استقصاءً نافعاً.  
 وسأشير إلى من تناولها تناولاً مبسوطاً<sup>(٣٢)</sup>:

١. صلاح الدين بن الحسين، الأخفش اليمني (ت: ١١٤٢ هـ)، في  
 كتابه (العقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور والظرف وما لكل  
 منهما من التقسيم) "ط".

وشروح هذا الكتاب هي:

أ. أحمد بن محمد قاطن الصنعاني (ت: ١١٩٩ هـ)، في كتابه:

(فرائد الدر النظيم شرح العقد الوسيم) "ط".

ب. عبد القادر بن أحمد الكوكباني (ت: ١٢٠٧ هـ)، في كتابه:

(إحكام العقد الوسيم في أحكام الظرف والجار والمجرور وما

لكل منهما من التقسيم) "ط".



ج. أحمد بن القاسم بن أحمد الشمط الأهنومي اليمني (ت: ١٣٧٣

هـ)، في كتابه: (الطلاء الرخيم على العقد الوسيم) "ط".

وممن اعتنى بهذه المسألة من المُحدثين:

١. د. فخر الدين قباوة، في كتابه (إعراب الجمل وأشباه الجمل).

٢. د. سعد مصلوح، في بحثه: (تعليق الجار والمجرور في العربية من منظور نحوي معجمي) (٣٣).

٣. الأستاذ عبد الباسط محمد الطاهر محمد، في كتابه (المكشاف الجلل عن أسرار أشباه الجمل).

وممن أفرد مسألة التعلق بالتصنيف فيما وقفت عليه اثنان:

١. محمد بن أحمد، ابن الجوهري (٣٤) (الجوهري الصغير) (ت:

١٢١٥ هـ)، في كتابه: (إتحاف الظرف في بيان متعلق الظرف) (٣٥). ولم أقف عليه

٢. محمد بن أحمد الأهدل (ت: ١٢٩٨ هـ) في كتابه: (تحرير مقال الجمهور في متعلق الظرف والمجرور).

### عنوان الرسالة:

نصَّ المؤلف في مفتح كتابه على التسمية، فقال: (وسميته:

تحرير مقال الجمهور في متعلق الظرف والمجرور)، وهذا العنوان تحمله نسخة الأصل.

### توثيق نسبة المؤلف:

المصادر التي تحدّثت عن الشيخ الأهدل طوت ذكر هذه الرسالة، وهذا ليس بمستغرب، فكما قلنا: ليس من شرط كتب التراجم الاستقصاء لمؤلفات عالم ما، ولكن جاءت إثبات النسبة في النسختين الخطيتين؛ فقد جاء مع عنوان نسخة الأصل (تحرير مقال الجمهور في متعلق الظرف والمجرور، تأليف البدر الساري، شمس العلوم، وزينة الليالي والأيام محمد بن أحمد الباري رحمه الله تعالى وأعاد من بركاته

أمين). وجاء في ختامها: (هذا ما حرره البدر الساري شمس العلوم). ومعلوم إطلاق لفظ (البدر الساري) على الشيخ محمد الأهدل عند المشتغلين بكتبه.

وجاء في ختام النسخة الثانية: (هذا ما قد حرره شيخنا البدر الساري، شمس العلوم، محمد بن أحمد الباري رحمه الله وجزاه أفضل الجزاء آمين).

وقد يشكل ما ثبت في النسختين (محمد بن أحمد الباري)، فالمعروف (محمد بن أحمد بن عبد الباري)، وقد اتصلت بالشيخ (عبدالله محمد الحبشي) هاتفيًا، وشرحت له الأمر، وأكد أن المصنف هو (أحمد بن محمد بن عبد الباري) (٣٦).

وبعد اطلاعي على (الكواكب الدرية) للشيخ الأهدل تأكد لدي أمر النسبة، وذلك لأمر تتعلق بمنهجه وموارده:

الأول: قبل أن يشرع المؤلف في مقدمته وفصوله وخاتمة مصنفه نبّه إلى أهمية علم العربية؛ فقال: (أما بعد: فإنه لما كان العلم فاضلاً مكتسباً، وسامياً على الأقران منتخبه، وهو الصادق شرعاً بالفقه والحديث والتفسير، ولكن الآلات ملحقة به كما صرح بذلك كل عالم شهير. وكان من أشرف الآلات على الإطلاق علم النحو، الذي حكى على وجوبه على الكفاية الاتفاق). وقد أشار المصنف إلى فائدة هذا العلم (النحو) في مقدمة كتابه (الكواكب الدرية: ١٠): (وفائدة هذا العلم معرف صواب الكلام من خطئه؛ ليحترز به عن الخطأ باللسان، وغايته الاستعانة على فهم معاني كلام الله ورسوله، الموصل إلى خيري الدنيا والآخرة، فلهذا وجبت معرفته ليتوصل به إلى معرفتهما، والأولى تقديمه في الطلب على سائر العلوم؛ لأن الكلام بدون النحو لا يفهم حق الفهم، وقد لا يفهم أصلاً إلا به). وهذا القول يُذكرني أيضاً بتعليقه اللطيف الذي أودعه في كتابه

(الكواكب الدرية: ١٨١): (والعلماء في عُرف الشرع أصحاب علوم الشرع، من تفسير وحديث وفقه، وآلاتها كالنحو والتصريف).  
 الثاني: تحدّث الشيخ محمد الأهدل في كتابه (الكواكب الدرية: ٣٦٦) عن التعلّق بمواطن متفرقة، بحسب الباب النحوي؛ فهو يقول: (اعلم أنّه لا بد لحرف الجر غالباً من متعلّق بفتح اللام، ولا بد أن يكون فعلاً أو اسماً يعمل عمل فعله كالمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، وفي تعلّقه بالفعل الناقص نحو كان وأخواتها، والجامد نحو نعم وبئس وعسى خلاف، والأظهر أنّه يتعلّق به...) وهذا كلّ مبسوط في رسالته هذه.

الثالث: مَنْ يُدَقِّق النظر في رسالة (تحرير قول الجمهور)، وفي كتابيه (الكواكب الدرية)، و(النفحة العطرية) يرى تشابهاً كبيراً في تناول الأمثلة النحوية، فالشيخ الأهدل حريصٌ كلّ الحرص على إعراب أمثلته.  
 الرابع: ذكر المصنّف في رسالته هذه علماء العربية المشهورين من المتأخرين: ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ)، والأزهري (ت: ٩٠٥ هـ)، والعصامي (ت: ١٠٣٧ هـ)، وابن عنقاء (ت: ١٠٥٣ هـ). وقد رأيت هؤلاء كثيرون في الذكر في كتابه (الكواكب الدرية).

### الثاني: مصادر المصنّف:

كان للمؤلف طريقتان في استقاء مادّته:

#### الأولى: النقل عن الأعلام بالواسطة:

قام الشيخ الأهدل بذكر طائفة من الأعلام، من غير الإشارة إلى كتبهم، وهذا راجعٌ إلى أنّ النقل كان بالواسطة، وهم: سيبويه (ت: ١٨٠ هـ)، الفراء (ت: ٢٠٧ هـ)، والأخفش (ت: ٢١٥ هـ)، والمبرد (ت: ٢٨٥ هـ)، والفارسي (ت: ٣٧٧ هـ)، وابن جني (ت: ٣٩٢ هـ)، وابن برهان (ت: ٤٥٦ هـ)، والجرجاني (ت: ٤٧١ هـ، أو ٤٧٤ هـ)، والزمخشري (ت: ٥٠٦ هـ).

٥٣٨ هـ)، والشلوبين (ت: ٦٤٥ هـ)، وابن عصفور (ت: ٦٦٩ هـ)، وأبو حيان (ت: ٧٤٥ هـ).

## الثانية: ذكر الأعلام، مع الإفادة من كتبهم:

١. ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ):
    - أ. الإعراب عن قواعد الإعراب.
    - ب. الأوضح: (أوضح المسالك).
    - ج. شرح القطر.
    - د. مغني اللبيب: (وهو لم يُصرح به، وفائدته منه مُحَقَّقة).
  ٢. الأزهرى (ت: ٩٠٥ هـ):
    - أ. إعراب الأجرومية: طبعت بعنوان: (بشرى طلاب العربية بإعراب الأجرومية).
    - ب. التصريح.
    - ج. شرح الأجرومية.
    - د. موصل الطلاب: (وهو لم يُصرح به، وفائدته منه مُحَقَّقة).
  ٣. الأشموني (ت: ٩٢٩ هـ): شرح الخلاصة (منهج السالك).
  ٤. الزرقاني (كان حيا ٩٦٥ هـ): حاشية الزرقاني على قواعد الإعراب.
  ٥. عبد الملك العصامي (ت: ١٠٣٧ هـ): حاشية على شرح القطر.
  ٦. ابن عنقاء (ت: ١٠٥٣ هـ): ولعلهُ أفاد من كتبه، ولم يُصرَّح بها، وهي:
    - أ. تشنيف السمع.
    - ب. حاشية على موصل الطلاب للأزهرى.
    - ج. غرر الدرر الوسيطية.
- وقد صرَّح في تشنيف والسمع وغرر الدرر في كتابه (الكواكب الدرية)، والشيخ الأهدل كثير النقل عن ابن عنقاء.

٧. الديمليجي (ت: ١٢٣٤ هـ): حاشية على قواعد الأزهرى.

### النسخ الخطية:

أخرجت هذه الرسالة على نسختين خطيتين، وهما على النحو الآتي:

#### الأولى: نسخة جامع حوث الشجرة صنعاء:

تقع في أربع ورقات، لها صورة في مركز جمعة الماجد، رقم التسجيل (٣٣٠.٣٥٢) (٣٧).

وهي نسخة الأصل، ذكر العنوان في أعلاها، ونسبة المصنف إلى صاحبه، وختمت النسخة بتاريخ النسخ وهو (عاشر شهر ربيع الآخر سنة ١٣١٧) وتتبعها رسالة للشيخ عبدالله بن عبد الباري الأهدل (ت: ١٢٧١ هـ) (٣٨)، وقد نُقلت الرسالتان من خط صارم الدين إبراهيم بن عبدالله الغالي (ت: ١٣٢٧ هـ)، والناسخ عبد الرحمن بن أحمد.

#### الثانية: نسخة مكتبة العشري صنعاء:

ولها صورة في مركز جمعة الماجد، رقم التسجيل: (٣٢٩٦٦٨)، وتقع في ورقتين، ورمزت لها بـ(ع). ذكر اسم الناسخ، وتاريخ النسخ في آخرها، الناسخ هو: (أحمد بن عبدالله بن أحمد مشكاع)، وتاريخ النسخ: (يوم الاثنين خامس شهر جمادى الأول سنة ١٢٩٥).

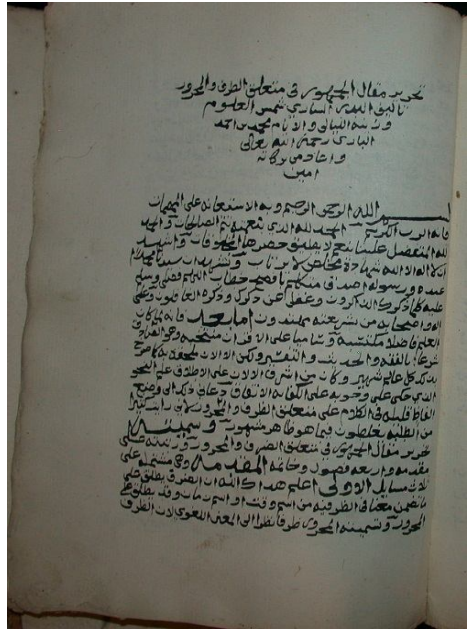
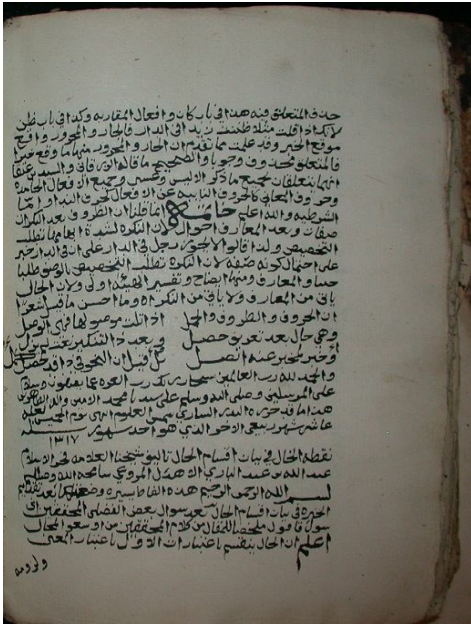
وهاتان النسختان تتسمان بما يأتي (٣٩):

الأول: الإخلال بالضبط في كثير من المواضع.

الثاني: وقوع التصحيف والتحريف فيهما، مثل: (القضاعي)، والصواب (العصامي)، وأبعد من ذلك (ابن أبي حاتم)، وهو وهمٌ مُحَقَّق، والصواب: (ابن برهان).

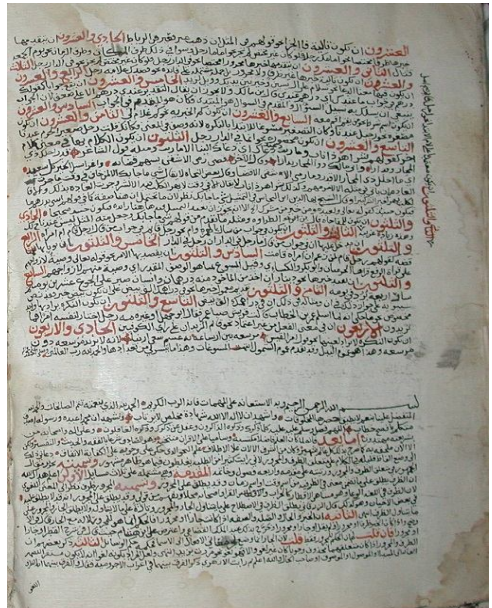
الثالث: إنهما متطابقتان في خروج نصٍّ على الجادة؛ ممَّا أدَّى إلى إغلاقه، ففي نسخة الأصل (المحرم عسى يزول اذا لا لم)، وفي نسخة ح: (الحرم عسى يزول اذا لا لم)!

## صور النسختين الخطية



الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل

الصفحة الأولى من نسخة الأصل



الصفحة الأخيرة من نسخة (ح)

الصفحة الأولى من نسخة (ح)

## القسم الثاني النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الاستعانة على المهمات؛ فإنه الربُّ الكريمُ.

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، والحمدُ لله المتفضلُ علينا  
بِنِعَمٍ لا يطيق حصرها المخلوقات. وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مخلص  
لا يرتاب، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أصدق متكلم بأفصح  
خطاب. اللهم فصلِّ وسلِّم عليه<sup>(٤٠)</sup> كلما ذكرك وذكره<sup>(٤١)</sup> الذاكرون، وغفل  
عن ذكرك وذكره الغافلون<sup>(٤٢)</sup>، وعلى آله وأصحابه من بشريته مهتدون.  
أما بعد: فإنه لما كان العلمُ فاضلاً مكتسبه، وسامياً على الأقران  
منتخبه، وهو الصادق شرعاً بالفقه والحديث والتفسير، ولكن الآلات ملحقة  
به كما صرح بذلك كلُّ عالمٍ شهير. وكان من أشرف الآلات على الإطلاق  
علم النحو، الذي حُكي على وجوبه على الكفاية الاتفاق<sup>(٤٣)</sup>.

دعاني ذلك إلى وضع ألفاظ قليلة في الكلام على متعلِّق الظرف  
والمجرور؛ لأنني رأيتُ كثيراً من الطلبة يغلطون فيما هو ظاهر مشهور.  
وسميته: (تحرير مقال الجُمهور في متعلِّق الظرف والمجرور)  
ورتبته على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

### المقدمة

وهي مشتملة على ثلاث مسائل:

الأولى: اعلم هداك الله أنَّ الظرف يُطلق على ما تضمن معنى  
(في) الظرفية من اسم وقت، أو اسم زمان<sup>(٤٤)</sup>، وقد يُطلق على  
المجرور<sup>(٤٥)</sup>. وتسميته (المجرور) ظرفاً نظراً إلى المعنى اللغوي؛ لأنَّ  
الظرف [أ/ ١] في اللغة: الوعاء، وهو متناهي الأقطار كالجراب<sup>(٤٦)</sup>،  
والفرء<sup>(٤٧)</sup> وأصحابه<sup>(٤٨)</sup>: محلاً<sup>(٤٩)</sup>. ويفهم من قولي: وقد يُطلق على  
المجرور، أنه قد لا يُطلق عليه في بعض الأحيان، وهو كذلك.

قال الزرقاني<sup>(٥٠)</sup>: ((يُطلق الظرف في الاصطلاح على ما يتناول الجار والمجرور، وتارةً على ما لا يتناوله، ولا يطلق الجار والمجرور على ما يتناول الظرف)) انتهى<sup>(٥١)</sup>.

الثانية: إنَّ الخبر، والحال، والصِّفَّةَ، والصِّلَّةَ<sup>(٥٢)</sup> إذا كانت جارا، أو مجرورا فالحكم إنّما هو للمجرور، لا له مع الجار<sup>(٥٣)</sup>. قال في (الأوضح): ((وإذا كان الخبر ظرفاً، أو مجروراً))<sup>(٥٤)</sup> ولم يقل: أو<sup>(٥٥)</sup> جارا ومجرورا<sup>(٥٦)</sup>، وخرَّج بذلك عبد الملك العصامي<sup>(٥٧)</sup>، واعترض ابن هشام، حيث قال في (شرح القطر): ((أو جارا و<sup>(٥٨)</sup> مجرورا<sup>(٥٩)</sup>، فإن قلت: لم إنّ الحكم للمجرور فقط؟ قلت: لأنّ الجار إنّما وضع لجرّ معاني الأفعال إلى الأسماء، فحكمه حكم الوسائل))<sup>(٦٠)</sup>.

الثالثة: ذكر بعضهم أنّ الظرف، والمجرور إذا كان متعلقهما محذوفاً وجوباً كان غير لغو، وإلّا فهو لغو. نحو: مررتُ بزيد. انتهى<sup>(٦١)</sup>. ولعلّ المراد بكونه "لغواً" أنّه لا يكون مستقراً للضمير العائد إلى المبتدأ، أو الموصول، أو الموصوف، أو صاحب الحال، والله أعلم<sup>(٦٢)</sup>. ثم رأيت الأزهري<sup>(٦٣)</sup> ذكر الفرق بينهما في (إعراب الآجرومية)، فقال: ((والفرق بينهما: أنّ الظرف اللغو ما كان عامله خاصاً، سواء كان جائز الحذف، نحو: بسم الله، أو واجبه كـ(يوم الخميس صمت فيه)، سمي بذلك لأنهم ألغوه، حيث لم يجعلوه متحملاً ضميراً. والمُسْتَقَرَّ ما كان عامله عامّاً كالاستقرار، ولا يكون إلا واجب الحذف، كما في الواقع خبراً، أو صفةً، أو صلةً<sup>(٦٤)</sup> أو حالاً))<sup>(٦٥)</sup> انتهى.



## الفصل الأول

### فيما يتعلق من المجزورات، وما لا يتعلق

قال ابن هشام<sup>(٦٦)</sup> في (قواعد الإعراب) ما ملخصه: ((لا بد من تعلق الجار والمجرور بفعل، أو بما في<sup>(٦٧)</sup> معناه، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٦٨)</sup>.

ويستثنى من حروف الجر أربعة لا تتعلق بشيء:

أحدها: الحرف الزائد<sup>(٦٩)</sup> كـ(الباء) في<sup>(٧٠)</sup> قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٧١)</sup>، وكـ(من)<sup>(٧٢)</sup> الزائدة في نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ [٢/أ] عَزَّ اللَّهُ بِرُفُكُم<sup>(٧٣)</sup>.

والثاني: (علّ) في لغة من يجر بها، وهم: عقيل، قال شاعرهم<sup>(٧٤)</sup>:

فقلتُ: ادْعُ أُخْرَى وارْفَعْ الصَّوْتِ ثَانِيًا لَعَلَّ أَبِي الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ<sup>(٧٥)</sup>  
والثالث: (لولا) في قول بعضهم: لولاي، ولولاك. ان هذا مذهب سيبويه<sup>(٧٦)</sup> من أن (لولا)<sup>(٧٧)</sup> جارة غير متعلقة بشيء<sup>(٧٨)</sup>، والأكثر أن يقال: لولا أنا، ولولا أنت<sup>(٧٩)</sup>.

الرابع: (كاف) التشبيه، نحو: زيد كعمرو، وزعم الأخفش<sup>(٨٠)</sup>، وابن عصفور<sup>(٨١)</sup> انها لا تتعلق بشيء، وفيه نظر<sup>(٨٢)</sup> ((<sup>(٨٣)</sup> انتهى.

قلتُ: احتج للأخفش سعيد بن مسعدة<sup>(٨٤)</sup>، وابن عصفور<sup>(٨٥)</sup> بقولهما: إن كان المتعلق به "استقر" فالكاف لا تدل، وإن كان فعلاً مناسباً للكاف، وهو (أشبه)، فهو متعدٍ بنفسه لا بالحرف، وجر في المعنى يمنع انتفاء دلالة الكاف على الاستقرار<sup>(٨٦)</sup>.

قال فيه<sup>(٨٧)</sup>: (والحق أن جميع الحروف الجارة الواقعة في موضع الخبر ونحوه تدل على الاستقرار)<sup>(٨٨)</sup> انتهى، (وهو في ذلك تابع لابن حيّان<sup>(٨٩)</sup> رحمهما الله -تعالى-<sup>(٩٠)</sup>)<sup>(٩١)</sup>.

فإن قلت: وبم<sup>(٩٢)</sup> يحتج لعدم تعلق الحرف الزائد؟ قلت: بأن التعليق هو الارتباط المعنوي، والزائد لا معنى له يرتبط بمعنى مدخوله، وإنما يؤتى به في الكلام تقوية وتوكيداً<sup>(٩٣)</sup>.

## الفصل الثاني

### في المتعلق به "بفتح اللام"

اعلم هداك الله أن المتعلق به الأصل فيه أن يكون مذكوراً، وقد يكون محذوفاً، نحو: (بسم الله الرحمن الرحيم)، أي: ابتدئ<sup>(٩٤)</sup>. وهو إمّا فعلٌ، أو اسم يعمل عمله، سواء كان الفعل ماضياً، نحو: (مررتُ بزيدٍ)، أو أمراً إذا فُسِّرَ به، نحو: (المحرم عسى يزول إذا لا لم)<sup>(٩٥)</sup>، أو مضارعاً، نحو: تصلي في المسجد. وهذه أمثلة المجرور، ومثله: الظرف في جميع ذلك، مع أنه يُسمى ظرفاً كما تقدم<sup>(٩٦)</sup>. والذي يعمل عمل فعله سبعة<sup>(٩٧)</sup>:

[الأول]<sup>(٩٨)</sup>: اسم الفاعل، نحو: زيد جالسٌ في البيت أو عندك.  
الثاني: أمثلة المبالغة، نحو: زيد ضروب في الدار، وأمام الأمير.  
الثالث: اسم المفعول، نحو: أبو بكر مسروراً بالصحبة، و<sup>(٩٩)</sup> عند النبي -صلوات الله عليه وآله<sup>(١٠٠)</sup> وسلم-.  
الرابع: الصفة المشبهة، نحو: رأيتُ رجلاً حسن الوجه في القوم، أو عند عمرو.

الخامس: اسم التفضيل [ب/٢]، نحو: أبو بكر أفضل من عمر، أو عندنا.  
السادس: المصدر، نحو: عجبتُ من جلوسك في السوق، أو عند الأمير.  
السابع: اسم<sup>(١٠١)</sup> الفعل، وهو ثلاثة أقسام<sup>(١٠٢)</sup>:

الأول: ما يسمى به الماضي، كـ (هيهات العقيق منا، أو عندنا).

الثاني: ما يسمى به الأمر، نحو: (صه في المسجد، أو عند القاضي).

الثالث: ما يسمى به المضارع، نحو: (أوه من زيد، أو عند الظالم).

أقول: ويلحق بهذه السبعة<sup>(١٠٣)</sup> ما في معناها من الأسماء، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾<sup>(١٠٤)</sup>. قال في (التصريح): ((فِي السَّمَاءِ)): متعلق بـإله؛ لأنه بمعنى: معبود<sup>(١٠٥)</sup>. فان قلت: لم يذكر فعل التعجب!

قلت: لا حاجة إلى ذكره في مع شمول الفعل له، فهو داخل تحت قولي: (بفعل)؛ فتبين لما<sup>(١٠٦)</sup> ذكرناه أن متعلق الظرف لا يكون إلا فعلاً، أو اسماً فيه معنى الفعل، وهي الأسماء التي مرّت، أو ما في معناها<sup>(١٠٧)</sup>. فإن قلت: ما معنى الفعل<sup>(١٠٨)</sup>؟

قلت: دلالاته على الحدث والزمان ماضياً كان، أو استقبالاً، أو حالاً.

فإن قلت: اختصّ التعلّق بالأفعال، أو ما عمل عملها! قلت: لأنّ المتعلّق بكسر اللام - معمولٌ للمتعلّق بفتحها، والأصل في العامل أن يكون فعلاً.

### الفصل الثالث

#### في ذكر المواضع التي يجب فيها حذف المتعلّق بفتح اللام

اعلم هداك الله - تعالى - أن المتعلّق إما مذكور أو محذوف جوازاً<sup>(١٠٩)</sup>، نحو: بسم الله الرحمن الرحيم، ويجب حذف [متعلّق] الظرف، أو المجرور خبراً، أو حالاً، أو<sup>(١١٠)</sup> صفةً، أو صلةً<sup>(١١١)</sup>. فالأول نحو: زيدٌ في الدار، أو أمامك.

الثاني نحو: جاءني زيد في المدرسة، أو عند الأمير.  
 والثالث نحو: هل رجل في الدار، أو ذاك<sup>(١١٢)</sup> جالس.  
 والرابع نحو: جار الله في المسجد، أو عند الشيخ.  
 فتقول في الأول: والجار والمجرور، والظرف وما أُضيف إليه  
 شبه جملة متعلق بمحذوف [أ/٣] وجوبًا في محل رفع خبرًا على<sup>(١١٣)</sup>  
 القول بأنه الخبر، والصحيح أن الخبر هو المتعلق<sup>(١١٤)</sup>.  
 وتقول في الثاني: والجار والمجرور، والظرف وما أُضيف إليه:  
 شبه جملة متعلق بمحذوف وجوبًا في محل نصب على الحال، والعامل  
 فيهما هو العامل في صاحبها<sup>(١١٥)</sup>.  
 وتقول في الثالث: والجار والمجرور، والظرف وما أُضيف إليه:  
 شبه جملة متعلق بمحذوف وجوبًا في محل رفع صفة.  
 وتقول في الرابع: والجار والمجرور، وما أُضيف إليه أو  
 الظرف: شبه جملة لا محل لها من الإعراب، صلة الموصول، والعائد  
 مستتر، تقديره (هو) كما سيأتي.  
 فهذه أربعة مواضع يجب فيها حذف متعلق المجرور والظرف..  
 ويزيد الظرف في موضعين، لا يشاركه فيها المجرور بشرط أن  
 يكون الظرف زمنيًا.  
 فالأول: المشتغل عنه العامل بنصبه لمحل ضمير، كـ(يوم  
 الخميس صمت فيه)<sup>(١١٦)</sup>.  
 الثاني: ما سمع فيه الحذف، نحو قولهم في المثل لمن ذكر أمرًا  
 تقادم عهده: (حينئذٍ الآن) بنصب "حين"، و"الآن" بفعلين محذوفين وجوبًا،  
 والتقدير: كان ذلك، واسمع الآن<sup>(١١٧)</sup>.  
 تنبيه:

قال في (التصريح): ((يستثنى من الظروف ما قُطِعَ عن  
 الإضافة، وبُني على الضم أنه لا يقع صفة، ولا صلة، ولا حالًا، ولا

خبراً. لا يقال: مررتُ برجلٍ أمامُ، ولا جاءَ الذي أمامُ، ولا رأيتُ الهلالَ أمامُ، ولا زيدٌ أمامُ؛ لئلا يجتمع ثلاثة أشياء: القطع، والبناء، ووقوعها موقع شيء آخر))<sup>(١١٨)</sup> انتهى.

### الفصل الرابع في التقدير

المتعلق، وهل هو فعل، أو اسم يعمل عمله؟ وهل الضمير الذي كان في المتعلق يُقدّر في الظرف والمجرور، أم لا؟  
اعلم وقلنا الله وإياك: أنه يجوز في الخبر، والحال، والصفة أن تقدّره فعلاً، أو اسماً يعمل عمله، ولا بد أن يكون ذلك كوناً مطلقاً<sup>(١١٩)</sup>، مثل: كائن، ومستقر؛ أو كان، واستقر. ومعنى (كوناً) أي<sup>(١٢٠)</sup>: وجوداً، ومعنى مطلقاً، أي: غير مقيد<sup>(١٢١)</sup>.

فإن قلت: ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا ﴾ [ب/٣] عنده، ﴿ ﴾<sup>(١٢٢)</sup>، فإن (مستقر) كون مطلق، ولم يحذف وقد قلّتم بوجود حذف الكون المطلق<sup>(١٢٣)</sup>.

قلت: قال الأزهري: ((ذلك محمول على عدم التزلزل والانتقال؛ لا أنه كون مطلق))<sup>(١٢٤)</sup>.

فإن قلت: هل الأولى تقديره في هذه الثلاثة فعلاً أو اسماً<sup>(١٢٥)</sup>؟  
قلت: أما في الخبر فالأولى تقديره اسماً، على الصحيح عند جمهور البصريين، وحجتهم في ذلك: أن المحذوف هو الخبر في الحقيقة، والأصل في الخبر أن يكون اسماً مفرداً<sup>(١٢٦)</sup>.

وخالف الزمخشري<sup>(١٢٧)</sup>، والفارسي<sup>(١٢٨)</sup> قالوا: إنّ الأولى<sup>(١٢٩)</sup> تقديره فعلاً<sup>(١٣٠)</sup>، وحجتهم في ذلك: أن المحذوف عامل النصب في لفظ الظرف، ومحل المجرور، والأصل في العامل أن يكون فعلاً، وأما في الحال فالأولى تقديره فعلاً، إن قُدّر في موضع الجملة، وعليه الأكثر<sup>(١٣١)</sup>.

وإن<sup>(١٣٢)</sup> قلنا: إنهما في موضع المفرد قُدرَا اسمًا، وقد علمت أنّ الأول [مذهب] الأكثرين، كما في (التصريح)<sup>(١٣٣)</sup>.  
وأما في الصفة، فالأولى تقديره فعلاً؛ لأنه من قبيل الوصف بالجملة قياساً على الحال.

وإذا علمت جواز تقدير الفعل، والاسم في الخبر، والحال، والصفة؛ فاعلم هداك الله -تعالى- أنه يتعيّن تقدير الفعل في الصلة، وإذا قلت -مثلاً- : (جاء الذي في الدار)، فالتقدير: جاء الذي استقر، أو كان في الدار. ولا يجوز أن يقدر (مستقراً)، أو (كائناً)؛ لأن اسم الفاعل مع فاعله المستقر ليس بجملة، والصلة لا بد فيها أن تكون غير مفردة. صرّح بذلك غير واحد من المحققين<sup>(١٣٤)</sup>.

فإن قلت: أين العائد على الموصول، والرابط بين المبتدأ والخبر، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف في الأمثلة المتقدمة؟  
قلت: العائد، والرابط ضمير مستقر<sup>(١٣٥)</sup> في الظرف والمجرور، انتقل إليه من الفعل، أو ما يعمل عمله، واستقرّ فيه، والذي يسمى الظرف والمجرور (مستقراً)، ويسمى الضمير (مستقراً)<sup>(١٣٦)</sup> بكسرها، ذكر ذلك الأزهري في (شرح الأزهري)<sup>(١٣٧)</sup> [٤/أ] هذا الضمير فاعل الجار والمجرور، والظرف. صرّح بذلك المحققون<sup>(١٣٨)</sup>.

وإنما لم يتعرّض لحكم المرفوع، بعد المجرور والظرف؛ لأن هذا الكتاب غير موضوع لذلك<sup>(١٣٩)</sup>.

فإن قلت: لم كان حذف المتعلق<sup>(١٤٠)</sup> واجباً في هذه الأربعة المواضع؟

قلت: إنما قلنا بوجوب حذف متعلق الظرف، والمجرور (المستقر)؛ لأنّ المعنى يدل على تقدير؛ فإن قولك: (زيد في الدار): مبتدأ، أو خبر، والخبر عين المبتدأ؛ بأنّه غيره وليس عينه<sup>(١٤١)</sup>.

ووجدت بعد ذلك في (الأشموني<sup>(١٤٢)</sup> على الخلاصة) بعد كلام له قبيل العدد، ما لفظه: ((والمبتدأ نفس الخبر))<sup>(١٤٣)</sup> انتهى. فوجب أن يكون الظرف متعلقاً بمحذوف، أي: يكون عامّاً فيقدر، أي: كائن هو، والكون وضميره محذوفان، ولكن انتقل ضمير الكون إلى الخبر ليصبح الإخبار به عن زيد<sup>(١٤٤)</sup>.

فإن قلت: هل الكون المقدر -هنا- ناقص، أم تام؟ قلت: صرح الدمليجي<sup>(١٤٥)</sup> في (حاشية: الأزهرى)<sup>(١٤٦)</sup>، كغيره: أنه تام<sup>(١٤٧)</sup>، بدليل تقديره بالوجود<sup>(١٤٨)</sup>، كما قال. وإن نقل: (يا قوم قد كان المطر)، أي: وجد<sup>(١٤٩)</sup> لو كان ناقصاً للزم التسلسل، وذلك لأنه يلزم كون الظرف (خبر)<sup>(١٥٠)</sup>، وإذا كان خبراً، فلا بد أن يتعلّق بكون محذوف<sup>(١٥١)</sup> وجوباً، وذلك الكون يحتاج إلى (خبر)، وهكذا والتسلسل محال<sup>(١٥٢)</sup>، فيتعين التمام، والله يحسن الختام.

إلحاق: اعلم هداك الله -تعالى- أن الأصل في المتعلق أن يكون متقدماً، نحو: مررت بزيد، وقد يكون متأخراً، نحو: بزيد مررت. واعلم أيضاً: أن من الأفعال ما لا يجوز كونه متعلقاً -بفتح اللام- للظرف والمجرور، نحو<sup>(١٥٣)</sup>:

- كان وأخواتها.
- وظن وأخواتها<sup>(١٥٤)</sup>.
- وأفعال المقاربة.

زعم ذلك المبرد<sup>(١٥٥)</sup>، وابن جنى<sup>(١٥٦)</sup>، والجرجاني<sup>(١٥٧)</sup>، وابن أبي حاتم<sup>(١٥٨)</sup>، والشلوبين<sup>(١٥٩)</sup>، وعلّلوا ذلك بعدم دلالتها على الحدث<sup>(١٦٠)</sup>.

قلت: ولأنه إن كان ذلك الظرف، و<sup>(١٦١)</sup>المجرور خبراً فقد سبق وجوب حذفه (متعلق) الجار والمجرور، والظرف إذا وقعا خبراً، وإن كان غير خبر فهو إما صفة للاسم إذا كان الاسم نكرة، أو حال منه إذا كان الاسم معرفة، وكل منهما يجب [٤/ب] حذف المتعلق فيه، هذا في باب كان، وأفعال المقاربة، وكذا في باب ظن؛ لأنك إذا قلت -مثلاً- ظننت

زيدًا في الدار، فالجار والمجرور واقع موقع الخبر، وقد علمت مما تقدم أن الجار والمجرور، منهما ما وقع خبرا، فالمتعلق محذوف وجوبا. والصحيح ما قاله الزرقاني<sup>(١٦٢)</sup>، والسيد ابن عنقاء<sup>(١٦٣)</sup> انهما يتعلقان بجميع ما ذكر، إلا ليس، وعسى، وجميع الأفعال الجامدة، وحروف المعاني، كالحروف النائية عن الأفعال: كحرف النداء، وإمّا الشرطية<sup>(١٦٤)</sup>، والله أعلم.



## خاتمة

إنَّما قلنا: إنَّ الظروف بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال<sup>(١٦٥)</sup>؛ لأن النكرة لشدة إبهامها<sup>(١٦٦)</sup> تطلب التخصيص، ولذا قالوا: لا يجوز (رجل في الدار) على أن (في الدار): خبر، على احتمال كونه صفة؛ لأن النكرة تطلب التخصيص بالوصف طلباً حثيثاً<sup>(١٦٧)</sup>، والمعارف وظيفتها<sup>(١٦٨)</sup>: إيضاح وتفسير الهيئة أولاً<sup>(١٦٩)</sup>؛ ولأن الحال يأتي من المعارف، ولا يأتي من النكرات<sup>(١٧٠)</sup>. وما أحسن ما قيل شعراً<sup>(١٧١)</sup>:

إنَّ الحروف، والظروف، والجمل      إذا تلت موصولها، فهي الوصل<sup>(١٧٢)</sup>  
وهي حال بعد تعريف حصل      وبعد ذا التنكير نعت لم يزل  
أو<sup>(١٧٣)</sup> خبر لمخبر عنه اتصل      بل قيل إن النحو في ذا قد كمل  
والحمد لله رب العالمين، سبحان رب العزة عما يصفون،  
وسلام على المرسلين<sup>(١٧٤)</sup>، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين، وآله  
الطاهرين.

هذا ما قد حرره البدر الساري شمس العلوم. انتهى.

يوم الخميس لعلَّه عاشر شهر ربيعي الآخر، الذي هو أحد  
شهور سنة ١٣١٧.

## الهوامش

- (١) الخصائص: ٣/ ٢٥٦.
- (٢) ينظر في تفصيل حياته: هدية العارفين: ٢/ ٣٨٠؛ ونيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر: ٢/ ٢٢٤ - ٢٢٥؛ والأعلام: ٦/ ١٩؛ ومعجم المطبوعات: ١/ ٤٩٦؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٢٩٠، ٤٠٢؛ وهجر العلم: ٤/ ٢٠١٥ - ٢٠١٦؛ وكواكب يمنية في سماء الإسلام: ٥٢٣ - ٥٢٤.
- (٣) بلدة عامرة في عزلة العَبَسِيَّة، إحدى قرى وادي سهام، وتبعد عن ثغر الحُدَيْدَة شرقاً بنحو عشرين كيلومتراً، كانت من معاقل العلم الشهيرة في تهامة اليمن. هجر العلم: ٤/ ٢٠٠٢.
- (٤) فصل السيد أحمد حمود شميلة الأهدل القول في نشأته، وشيوخه، وتلامذته، عندما ترجم للشيخ محمد بن أحمد الأهدل في مقدمة كتابه (إفادة السادة العُمد بتقرير معاني نظم الزُّبْد: ٦٥ - ٦٨).
- (٥) نيل الوطر: ٢/ ٢٢٤؛ وينظر تفصيل ذلك في ترجمة المُصنّف المودعة في أول كتابه (فتح الكريم القريب: ٥ - ١٣).
- (٦) الأعلام: ٦/ ١٩.
- (٧) نيل الوطر: ٢/ ٢٢٥.
- (٨) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: ٢٩٠.
- (٩) هجر العلم ومعاقله في اليمن: ٤/ ٢٠١٥.
- (١٠) فتح الكريم القريب: ٩.
- (١١) القول للسيد أحمد حمود شميلة الأهدل، عندما عرف بالشيخ محمد الأهدل عند تقديمه لكتاب (إفادة السادة العُمد بتقرير معاني نظم الزُّبْد: ٦٧).
- (١٢) نيل الوطر: ٢/ ٢٢٥.
- (١٣) له أكثر من طبعة، وسأحيل على طبعة دار عمر بن الخطاب، ومكتبة الإمام الوداعي - صنعاء، ط/١، ١٤٢٨ هـ.
- (١٤) تحقيق: عبدالله بن محمد الأهدل، دار النشر للجامعات - صنعاء، ط/١، ٢١٠.
- (١٥) قال عبدالله الحبشي (جامع الشروح والحواشي: ٢/ ١٦١٨): (تنقيح الفوائد على أبيات الشواهد (شواهد القطر على حروف المعجم)... خ جامع صنعاء الغربية ٢٤٣، وأخرى جامع أوقاف (١٢٦٩).

- (١٦) قال محقق (النفحة العطرية: ١٩): (مخطوط).  
وينظر: نيل الوطر: ٢/٢٢٥.
- (١٧) عن: (إفادة السادة العُمد بتقرير معاني نظم الزُّبد: ٦٧).
- (١٨) فتح الكريم القريب: ١٠.
- (١٩) ينظر: نيل الوطر: ٢/٢٢٥؛ وهجر العلم: ٤/٢٠١٦.
- (٢٠) عن: (إفادة السادة العُمد بتقرير معاني نظم الزُّبد: ٦٧).
- (٢١) ينظر: نيل الوطر: ٢/٢٢٥؛ وهجر العلم: ٤/٢٠١٥.
- (٢٢) ينظر: رصف المباني: ٢٢٩؛ وشرح قواعد الإعراب: ٢٢٠؛ والمكشاف الجلل: ٥٥.
- (٢٣) ينظر: المقاصد الشافية: ٢/٢٠ - ٢١.
- (٢٤) ينظر: مغني اللبيب: ٤٢٧ (كيفية تقديره باعتبار المعنى)؛ وفرائد العقود العلوية: ٨٣٨ / ٢.
- (٢٥) الأصول: ١/٦٢ - ٦٣.
- (٢٦) الإيضاح في شرح المفصل: ١/١٥٣ - ١٥٤.
- (٢٧) ينظر: نتائج الفكر: ٤٢١ - ٤٢٢. وتابعه في هذا ابن قيم الجوزية في كتابه (بدائع الفوائد: ٣/٨٩٣ - ٨٩٥)، وقد تعقَّب على السُّهيلي الأستاذ عبد الباسط محمد في كتابه (المكشاف الجلل: ١١٢ - ١١٣).
- (٢٨) إرشاد السالك: ١/١٧٠.
- (٢٩) ينظر: ميرز القواعد الاعرابية: ٣٥٣؛ والكواكب الدرية: ٣٢٥.
- (٣٠) شرح المفصل: ٣/١٥١.
- (٣١) البديع في علم العربية: ج ١، مج ١: ٧٦؛ وينظر تفصيل هذا في: الأشباه والنظائر في النحو: ١/٥٠٣ - ٥١٣.
- (٣٢) وقفتُ على كتاب (إحكام المعروف من أحكام الظروف) لعبد السلام بن الطيب الفاسي (ت: ١١١٠ هـ)، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان، طبع في كتاب (ثمرات الامتتان: دراسة أدبية ولغوية، مهداة إلى الأستاذ حسين نصّار بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين)، أعدّها عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م: ص ٥٥١ - ٥٧٤؛ ولكنه لم يفصل القول في قضية التعلق.
- (٣٣) طُبِعَ أيضًا في كتاب (ثمرات الامتتان): ص ٣٨٧ - ٤١٣.

- (٣٤) ينظر: إيضاح المكنون: ١٩/١؛ والإعلام: ٦/ ١٦.
- (٣٥) ينظر: إيضاح المكنون: ٣/ ١٩.
- (٣٦) جرى هذا الاتصال في الثانية عشرة من ظهر يوم الأربعاء ٢٣/ربيع الآخر/١٤٢٩هـ، الموافق ٢٩/٤/٢٠٠٩م.
- (٣٧) في قاعدة بيانات المركز أنها سبع أوراق، وليس بصواب.
- (٣٨) ينظر: هجر العلم: ٤/ ٢١٥ - ٢١٦.
- (٣٩) في يوم السبت الثالث من شوال ١٤٣٤هـ - ١٠/٨/٢٠١٣م اتصلت هاتفياً بالدكتور محمد كامل (العامل في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث)، بغية الحصول على نسخة ثالثة تفكُّ هذه الإشكالات؛ فذكر لي نسخة في مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية في اليمن؛ فقامت بمراسلة هذه المؤسسة، ثم زودني القائمون عليها - مشكورين - بالنسخة التي عندهم؛ وإذا هي نسخة الأصل التي عندي.
- (٤٠) في (ع): تكررت كلمة (عليه).
- (٤١) (وذكره): لم ترد في الأصل، وهي من (ع).
- (٤٢) كثير من العلماء يسوق هذه الهيئة في الصلاة على النبي ﷺ، وقد وجدت نحوها عند الامام الشافعي في مقدمة كتابه (الرسالة: ١٦).
- (٤٣) هذا الذي حكاه المصنف أشار إليه في كتابه (الكواكب الدرية: ١٠)، وهو معلوم لدى علماء الشريعة، وأهل العربية على اختلاف فنونهم. ينظر في تفصيل هذا: الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية: ٣٣١؛ وروضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام: ٤٥٩/١.
- (٤٤) ينظر: الأصول: ١/ ١٩٠ - ١٩١؛ وارتشاف الضرب: ٣/ ١٣٨٩.
- (٤٥) هذا اصطلاح معروف عند المتقدمين والمتأخرين من علماء العربية. ينظر: شرح الأبيات المشكلة الإعراب: (١/ ٨١، ٢١٩، ٢/ ٥٢٢)؛ وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ق ١/ج ١/ ٢٧٥.
- (٤٦) قال الجوهري (الصاح: ٤/ ١٣٩٨ مادة "ظرف"): (الظرف: الوعاء، ومنه: ظروف الزمان والمكان عند النحويين)؛ وينظر: لسان العرب: ١١/ ١٣٣ (ظرف).
- (٤٧) الفرءاء: يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء، من أئمة الكوفيين (ت: ٢٠٧ هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٣١ - ١٣٢؛ ونزهة الألباء: ٥٩ - ٦٣.

- (٤٨) وللقوف على هذه التسمية، يُنظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨ / ١، ١١٩؛ والمذكر والمؤنث له: ٩٨؛ والمذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري: ١ / ٥٠٨.
- (٤٩) قال ابن السراج (الأصول: ١ / ٢٠٤): (الأشياء التي يسميها البصريون ظرفاً، يسميها الكسائي صفة، والفراء يسميها محال)؛ وقال أبو حيان الأندلسي (ارتشاف الضرب: ٣ / ١٣٨٩): (وما اصطلح عليه البصريون من التسمية بالمكان والزمان بالظرف ليس يسوغ عند الكوفيين تسميته ظرفاً، بل يسميه الفراء وأصحابه محلاً، والكسائي يسمي الظروف صفات، ولا مشاحة في الاصطلاح).
- قلت: والمراد بالمحل عند الكوفيين: ظرف المكان فقط، وقد أوضح ذلك الأستاذ عبد الباسط محمد في كتابه النافع (التحقيقات المرضية في تبيان مصطلحات النحو الكوفية: ٣١٠ - ٣١١)، فالأمر فيه تفصيل!
- (٥٠) الزرقاني: شهاب الدين، أحمد بن محمد الزرقاني، المالكي، النحوي (كان حياً ٩٦٥هـ). ينظر: معجم المؤلفين: ١ / ٢٦٤؛ وجامع الشروح والحواشي: ٢ / ١٦٢٧.
- (٥١) حاشية الزرقاني: ٢٦٢، وفيها: (لما كان الظرف يطلق تارة في الاصطلاح على ما يتناول الجار والمجرور، وتارة على ما لا يتناوله ولا يطلق الجار والمجرور (إلاً) على ما يتناول الظرف). وكان ينبغي إسقاط (إلاً) لذا عقب محقق الحاشية على (إلاً): (سقط من (أ): (إلاً)).
- (٥٢) في (ع): (والصلة والصفة).
- (٥٣) قال الأهل في كتابه (الكواكب الدرية: ١٥٩): (ولو قال: والمجرور، لكان أولى؛ لأنَّ المحل للمجرور وحده على الأصح، لا لهما معاً). وينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ق ١ / ج ١ / ٢٧٥.
- (٥٤) جاء في (أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري: ١ / ٢٠٠): (فصل: ويقع الخبر ظرفاً، نحو: ﴿وَالرَّكْبُ أَصْفَلَ مِنْكُمْ﴾ ، ومجروراً نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، والصحيح أنَّ الخبر في الحقيقة متعلقهما المحذوف، وأنَّ تقديره: كائن، أو مستقر، لا كان أو استقر، وأنَّ الضمير الذي كان فيه انتقل إلى الظرف أو المجرور).
- وينظر: (التصريح: ١ / ٥٣٧ - ٥٣٧؛ وحاشية ياسين: ١ / ١٦٦ - ١٦٧)
- (٥٥) (أو): زيادة من (ع).
- (٥٦) بعض المعربين يقولون في إعراب الجار والمجرور: (حرف الجر متعلق بكذا)، وبعضهم يقول: (المجرور متعلق بكذا)، وبعضهم يقول: (الجار والمجرور متعلق

بكذا)، فينسب التعلق إلى مجموعهما. قال العمراني (حاشية العمراني على مبرز القواعد الإعرابية: ٣١٩ - ٣٢٠): (وكلُّ من المقالات صحيح على تفصيل، وهو أنَّ التعلق إذا أُريد به العمل، والمتعلق بالكسر هو المعمول، وبالفتح هو العامل؛ فالمجورور فقط هو المتعلِّق؛ لأنَّه هو المعمول... وإذا أُريد بالتعلق الارتباط المعنوي، فكلُّ من الحرف ومدخوله ومن مجموعهما تصح نسبة التعلق إليه؛ لتحقيق الارتباط بين العامل وبين كلِّ من الثلاثة).

(٥٧) رسم في النسختين (القضاعي)، وهو تصحيف، وانما هو: العصامي، عبد الملك بن جمال الدين بن إسماعيل (ت: ١٠٣٧ هـ). وله ذكرٌ كثير في كتاب الأهدل (الكواكب الدرية: ٣٢٥، ٣٦١). (ينظر: البدر الطالع: ١/ ٤٠٣؛ وهدية العارفين: ١/ ٦٢٨)، له شرح على القطر بعنوان (بلوغ المرام من حل قطر ابن هشام: ١١٩)، جاء فيه: ((و) حرفاً (جاراً) غير زائد، (ومجوروراً) به، أي: مجموعهما (ك-) قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، و(تعلقهما)، أي: الظرف والجار والمجورور إما (بمستقر)، والمراد به كل ما كان وصفاً من الأكوان العامة، (أو باستقر)، والمراد به كل ما كان فعلاً كذلك)). ولم أُصب المنقول عن المصنف في شرحه هذا. ولكن للمصنف حاشية على شرح القطر، صرح بها في أكثر من موضع في شرحه هذا، قال في (ص ١١٤): (قال المصنف في شرحه: وفي هذا الدليل بحث. ذكرته في الحاشية التي كتبتها عليه).

(٥٨) وفي (ع): (أو)، وهو مخالف لما في القطر وشرحه. (٥٩) قال في (القطر: ١١٩): (وظرفاً منصوباً، نحو: (والركب أسفل منكم)، وجاراً ومجوروراً ك-(الحمد لله رب العالمين))، وقال في (شرح القطر: ١٢٠): (أي يقع الخبر ظرفاً منصوباً... وجاراً ومجوروراً، كقوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، وهما حينئذ متعلقان بمحذوف وجوباً، تقديره: مستقر، أو استقر).

(٦٠) قال المالقي (رصف المباني: ٢٢٩): (واعلم أنَّ الباء وسائر حروف الخفض لا بد أن تكون متعلقة بفعل، أو ما فيه معنى الفعل، أو رائحة الفعل؛ لأنَّ الجار والمجورور في موضع معمول مستدعٍ لواحد من ذلك). وقال ابن الحاجب (أمالي ابن الحاجب: ١/ ٣٥٤ - ٣٥٥) وهو يشرح عبارة الزمخشري في حروف الإضافة: - (فقال - أي الزمخشري -: وهي أن تُقضي بمعاني الأفعال لا الأسماء: يعني توصل معاني الأفعال، أو ما هو في معناها إلى ما بعدها من الأسماء، ولما

- كانت هذه الحروف بهذا المعنى لم يكن بد من فعل أو ما هو في معنى فعل توصل معناه الى ما بعدها، فلذلك احتاجت الى متعلق).
- (٦١) جاء في (العقد الوسيم، للأخفش الصنعاني: ٥٥): (ولعلَّ الأحسن أن يُقال: إنَّ أمكن تقدير العام معها كما ذكر فمستقر؛ وإلا فـ(لغو) محذوف المتعلق، نحو: من لك، وما بعده) ينظر: فرائد الدر النظيم: ٧٢-٧٣؛ وإحكام العقد الوسيم: ٩٣-١٠٢؛ والطلاء الرخيم: ٤٨-٤٩.
- (٦٢) ينظر: حاشية الصبان: ٣١٠ / ١؛ وحاشية الخضري: ٢٠٧-٢٠٨.
- (٦٣) زين الدين خالد بن عبدالله بن أبي بكر الأزهرى، الشافعي، النحوي، يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥ هـ).
- ينظر: الضوء اللامع: ١٧١ / ٣؛ وشذرات الذهب: ٣٨-٣٩.
- (٦٤) في (ع): (وصلة).
- (٦٥) بشرى طلاب العربية بإعراب الأجرومية: ٢٢، بتصرف.
- (٦٦) جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام الأنصاري، النحوي (ت: ٧٦١ هـ). ينظر: بغية الوعاة: ٦٤-٦٦؛ وشذرات الذهب: ٣٢٩-٣٣٠.
- (٦٧) في (ع): (بما فيه معناه). وفي الإعراب عن قواعد الإعراب: (أو ما في معناه).
- (٦٨) سورة الفاتحة، من الآية: ٧.
- (٦٩) قال الأزهرى (موصل الطلاب: ٧٧): (وانما لم يتعلّق الزائد بشيء؛ لأنّ التعلّق هو الارتباط المعنوي، والزائد لا معنى له يرتبط بمعنى مدخوله، وانما يؤتى به في الكلام تقوية وتأكيذاً).
- وفي إطلاق الزائد في كتاب الله نظر وبحث، قال الأهدل في كتابه (الكواكب الدرية: ٣٤٢): (وقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [سورة النساء، من الآية: ١٥٧]، وإعرابه: (ما): نافية، و(لهم): جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، (به): جار ومجرور في محل نصب على الحال من علم، (من): زائدة، ويقال لها صلة أديا، نبهنا عليه في كتابنا (علم إعراب القرآن تأصيل وبيان: ٢٣٠-٢٣٢).
- (٧٠) في (ع): (من).
- (٧١) سورة النساء، من الآية: ٧٩، ١٦٦.
- (٧٢) في (ع): (أو كمن).
- (٧٣) سورة فاطر، من الآية: ٣.

(٧٤) اقتصر ابن هشام في قواعده على الشطر الثاني منه، والبيت لكعب بن سعد الغنوي من قصيدة طويلة. وروايته: (فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً...)، أو (فقتُ ادعُ أخرى وارفع الصوت دعوةً). ينظر: مغني اللبيب: ٢٨٣ - ٢٨٤؛ والمقاصد النحوية: ٢ / ٤٣٠ - ٤٣١؛ وساقه الأهدل في (الكواكب الدرية: ٣٦٥) بمثل ما ذكره في رسالته هذه.

(٧٥) قال الكافيجي (شرح قواعد الإعراب: ٢٣١): (وإنما لم تتعلق بشيء؛ لأنها كالـحرف الزائد في موضع رفع بالابتداء، يدل على ذلك ارتفاع ما بعد على الخبرية... أبي المغوار: مرفوع محلاً على أنه مبتدأ، وقريب: خبره، ومنك: متعلق به، وإنما دخلت لمجرد إفادة معنى التوقع، لا للتعدية).

(٧٦) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، إمام العربية، صاحب الخليل، له (الكتاب)، (ت: ١٨٠ هـ). ينظر: انباه الرواة: ٢ / ٣٤٦؛ وبغية الوعاة: ٢ / ٣٢٠ - ٣٢٢

(٧٧) في الأصل، و(ع): (لو).

(٧٨) ينظر: الكتاب: ٢ / ٣٧٣ - ٣٨٤؛ ورصف المباني: ٣٦٤.

(٧٩) ينظر: المقتضب: ٣ / ٧٣؛ وشرح جمل الزجاجي: ١ / ٤٨١ - ٤٨٢ .

(٨٠) الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المجاشعي، له (معاني القرآن)، وغيره.

(ت: ٢١٥ هـ). ينظر: انباه الرواة: ٢ / ٣٦؛ وبغية الوعاة: ١ / ٥٧٠ - ٥٧١.

(٨١) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي، الاشبيلي، النحوي، (ت: ٦٦٩ هـ). ينظر: بغية الوعاة: ٢ / ٢٠١؛ والبلغة: ٢١٨ - ٢١٩.

(٨٢) قوله: (وفيه نظر) ساقطة من (ع).

(٨٣) الإعراب عن قواعد الإعراب: ٥٥ - ٥٨. والأهدل قام باختصار نص ابن هشام.

(٨٤) في رأي الأخفش ينظر: الجنى الداني: ١٣٧.

(٨٥) وفي رأي ابن عصفور ينظر كتابه: شرح جمل الزجاجي: ١ / ٤٩٢.

(٨٦) ينظر: مغني اللبيب: ٤٢٣؛ وموصل الطلاب: ٧٩ - ٨٠.

(٨٧) القائل هو ابن هشام الأنصاري.

(٨٨) هذا مأخوذ من مغني اللبيب: ٤٢٣. وقال المالقي (رصف المباني: ٢٧٥): (وأما

ما كان من نحو قولك: زيد كعمرو، فحملها على الحرفية، وتكون جارة، وهي وما بعدها في موضع خبر المبتدأ محذوفاً، أحلا محله عاملاً فيهما كسائر حروف الجر



مع ما بعدها بعد المبتدآت، فإذا قلت: زيد من بني تميم والمال لك وزيد في الدار وشبه ذلك، فالخبر للمبتدأ مقدر من الكون والاستقرار الشاملين لجميع الأفعال، تقديره: كائن أو مستقر، وبه يتعلق الجار والمجرور، وأحلا محله، فكذلك في الكاف إذا قلت: زيد كعمرو، فالتقدير: زيد كائن كعمرو).

(٨٩) هكذا في النسختين الخطيتين، والمشهور (أبو حيان) بكنيته، لا بنسبه، وهو محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان الأندلسي، الغرناطي (ت: ٧٤٥ هـ). ينظر: بغية الوعاة: ١/ ٢٦٦ - ٢٧٠؛ ونفح الطيب: ٢/ ٥٣٥ - ٥٨٤.

(٩٠) (تعالى): غير مذكورة في (ع).

(٩١) هذا مأخوذ من (موصل الطلاب: ٨٠)؛ إذ عقب على قول ابن هشام الذي نقله من مغني اللبيب، وكلام أبي حيان في (ارتشاف الضرب: ٤/ ١٧١٠).

(٩٢) في الأصل (وىما) غير منقوطة، وفي (ع): (ومما) غير منقوطة أيضاً.

(٩٣) ينظر: مغني اللبيب: ٤٢١؛ وشرح قواعد الإعراب: ٢٢٨؛ وموصل الطلاب: ٧٧؛ والكواكب الدرية: ٣٦٦.

(٩٤) قال الزجاج في كتابه (الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم: ١٦): (فإن قال قائل: ولم ابتدئ بالباء، وهي حرف، والحروف لا يبتدأ بها، لا تقول لعمرو، ومن عمرو، حتى تذكر شيئاً يتعلق به الحرف؟ فالجواب في ذلك: أن قبل الباء فعلاً مقدراً مضمراً يتعلق به الباء؛ فإن قال قائل: وما هو؟ فالجواب: أن الفعل أبدأ بسم الله). وقال المجاشعي (النكت في القرآن: ١/ ١٩): (ومما يُسأل عنه: ما موضع الباء في بسم الله؟ والجواب: أن العلماء اختلفوا في ذلك: فذهب عامة البصريين إلى أن موضع الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف، تمثيلة: ابتدائي كائن أو ثابت أو ما أشبه ذلك بسم الله...).

وذهب عامة الكوفيين وبعض البصريين إلى أن موضع الباء نصب على إضمار فعل، واختلفوا في تقديره).

(٩٥) الذي يظهر أن المثال مغلق على هذا اللفظ، وهذه صورته في نسخة الأصل:

الحواجر عسى يزول إذا لم

وصورته في نسخة (ع) هي:

أدامر إذا فسره بحواجر عسى يزول إذا لم

(٩٦) ينظر تفصيل هذا: شرح قطر الندى: ٢٦ - ٣٦؛ وجمع الهوامع: ١ / ١٥ - ٢٧؛ وموصل الطلاب: ٧٥.

(٩٧) تفصيل هذه السبعة في: شرح قطر الندى: ٢٥٥ - ٢٨٣؛ وعمدة ذوي الهمم: ٤٣٢ - ٤٦٢؛ وتاج علوم الأدب: ٢ / ٨١٥ - ٩٠٦؛ والكواكب الدرية: ٥١٢ - ٥٣٤.

(٩٨) (الأول): زيادة يقتضيها السياق.

(٩٩) في (ع): (و).

(١٠٠) في (ع): (وعلى آله).

(١٠١) في (ع): تكررت كلمة (اسم).

(١٠٢) في اسم الفعل ينظر: المقاصد الشافية: ٥ / ٤٩٤ - ٥٢٧؛ وحاشية الخصري: ٢ / ٢٠٨ - ٢١٤؛ والكواكب الدرية: ٥٣٥ - ٥٣٧.

(١٠٣) (السبعة): زيادة من (ع).

(١٠٤) سورة الزخرف، من الآية: ٨٤.

(١٠٥) التصريح: ١ / ٤٦٧ (باب الموصول).

(١٠٦) في (ع): (بما).

(١٠٧) ينظر: مغني اللبيب: ٤١٥ - ٤١٨.

(١٠٨) تفصيل هذا في: مغني اللبيب: ٤١٥؛ وشرح قواعد الإعراب: ٤٢٠ - ٤٢١.

(١٠٩) قال ابن جني (اللمع: ٧٤ - ٧٥): (نقول: زيد خلفك؛ فزيد مرفوع بالابتداء، والظرف بعده خبر عنه، والتقدير: زيد مستقر خلفك؛ فحذف اسم الفاعل تخفيفاً وللعلم به). وينظر: البيان في شرح اللمع: ١١٠ - ١١١.

وقد عورض ابن جني في رأيه هذا. قال الرضي (شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ق ١ / ٢٧٦): (ولا يجوز عند الجمهور إظهار هذا العامل أصلاً؛ لقيام القرينة على تعيينه، وسد الظرف مسده - كما يجيء في لولا زيد لكان كذا - فلا يقال: زيد كائن في الدار، وقال ابن جني بجوازه، ولا شاهد له).

(١١٠) في (ع): (و).

(١١١) ينظر: مغني اللبيب: ٤٢٥ - ٤٢٧ (جعلها ثمانية)، وشرح قواعد الإعراب: ٢٤٥ - ٢٤٨؛ وموصل الطلاب: ٨٢.

(١١٢) (ذاك): ساقطة من الأصل، ووردت في (ع).

(١١٣) في الأصل: (عن).

(١١٤) قال ابن مالك (شرح التسهيل: ١ / ٣١٨): (والذي اخترته من تعرية الظرف من الخبرية والعمل هو مذهب أبي الحسن بن كيسان، وهو الظاهر من قول السيرافي، وتسميته خبراً على الحقيقة غير صحيح، وكذا إضافة العمل إليه لا تصح إلا على سبيل المجاز). وقال الأزهرى (التصريح: ١ / ٥٣٤ - ٥٣٥): (ثم قيل: الخبر نفس الظرف والمجرور وحدهما، والمصحح لذلك تضمنهما معنى صادقاً على المبتدأ، وقيل: هما ومتعلقهما، والمتعلق جزء من الخبر، واختاره الرضي، والسيد عبد الله، والصحيح عند الموضح تبعاً لطائفة أن الخبر في الحقيقة متعلقهما المحذوف، لا هما ولا مع متعلقهما). وينظر: حاشية الصبان: ١ / ٣١٠؛ والكواكب الدرية: ١٦٠.

(١١٥) في (ع): (صاحبهما).

(١١٦) جاء في (مغني اللبيب: ٤٢٦): (والسابع من المواضع التي يحذف فيها العامل-: أن يكون المتعلق محذوفاً على شريطة التفسير، نحو: أيوم الجمعة صمت فيه؟). وينظر: غنية الأريب: ٣ / ٥٣٩.

(١١٧) جاء في (مغني اللبيب: ٤٢٦): (والسادس- أي من المواضع التي يحذف فيها العامل-: أن يستعمل المتعلق محذوفاً في مثل أو شبهه، كقولهم لمن ذكر أمراً قد تقادم عهده: حينئذ الآن، أصله: كان ذلك حينئذٍ وسمع الآن...). وينظر: غنية الأريب: ٣ / ٥٣٨.

(١١٨) التصريح: ٣ / ٥١٣ (باب المفعول فيه).

(١١٩) قال الرضي (شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ق ١ / ج ١ / ٢٧٦): (وينبغي أن يكون ذلك العامل من الأفعال العامة، أي: مما لا يخلو منه فعل، نحو: كائن، وحاصل؛ ليكون الظرف دالاً عليه، ولو كان خاصاً، كآكل، وشارب، وضارب، وناصر، لم يجز لعدم الدليل عليه، وقد يُحذف خاص لقيام الدليل، نحو: من لك بالمهذب؟ أي: من يضمن).

(١٢٠) كلمة (أي): سقطت من الأصل، وهي مذكورة في (ع).

(١٢١) قال الأهدل (الكواكب الدرية: ١٦٠): (ويتعلق الظرف، والجار والمجرور إذا وقعاً خبراً، أو صلة، أو صفة، أو حالاً بمحذوف وجوباً، فلا يجوز إظهاره في الكلام، ولا بد من تقديره كوناً عاماً كالحصول والاستقرار، والكون والثبوت،

والوجود والوقوع، فيتعين تقدير واحد من هذه). ينظر: موصل الطلاب: ٨٢؛  
وحاشية الصبان: ٣١١ / ١ - ٣١٢.

(١٢٢) سورة النمل، من الآية: ٤٠.

(١٢٣) قال ابن عطية (المحرر الوجيز: ٦ / ٥٤١): (وظهر العامل في الظرف من قوله (مستقراً) وهذا هو المقدر أبداً في كل ظرف جاء هنا مظهراً، وليس في كتاب الله تعالى مثله). ورد هذا العكبري (التبيان: ٢ / ١٠٠٩)، فقال: (و "مستقراً"، أي: ثابتاً غير متقلقل، وليس بمعنى الحصول المطلق؛ إذ لو كان كذلك لم يذكر). وقال الشاطبي (المقاصد الشافية: ٢ / ٦٠): (وأما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾، فليس مما ظهر فيه المتعلق، بل هو في التأويل بمنزل (جالس)، كأنه قال: فلما رآه جالساً عنده).

(١٢٤) جاء في (التصريح: ٢ / ٣٦٩ - باب الحال): (وأما قوله تعالى: ، فمحمول على عدم التزلزل والانتقال، لا أنه كون مطلق)، وينظر: مغني اللبيب: ٤٢٥ - ٤٢٦، فقد نبه إلى هذا أيضاً؛ والكواكب الدرية: ٣٢٦.

(١٢٥) ينظر: مغني اللبيب: ٤٢٧؛ والمقاصد الشافية: ٢ / ١٢ - ١٣؛ والتصريح: ١ / ٥٣٥.

(١٢٦) ينظر: شرح المفصل: ١ / ٩٠؛ وشرح الألفية: ١ / ١٨٥ - ١٨٦.

(١٢٧) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم، جار الله الزمخشري، المفسر، النحوي (ت: ٥٣٨ هـ). ينظر: الجواهر المضوية: ٣ / ٤٤٧؛ وبغية الوعاة: ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١.

(١٢٨) الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي، النحوي (ت: ٣٧٧ هـ). ينظر: إنباه الرواة: ١ / ٧٣؛ وبغية الوعاة: ١ / ٤٧٧ - ٤٧٩.

(١٢٩) في الأصل، و(ع): (أولى).

(١٣٠) جاء في (المفصل: ٤٩): (وقولك: في الدار، معناه: استقر فيها)، وينظر: شرح المفصل: ١ / ٩٠ - ٩١. ورأي أبي علي في كتابه (الإيضاح: ٩٥ - ٩٦). وقال أبو حيان في (ارتشاف الضرب: ٣ / ١١٢١): (يقع الظرف، والجار والمجرور التامان خبراً للمبتدأ، نحو: زيد أمامك، وبكر في الدار، والعامل فيه اسم فاعل من كون مطلق، أي كائن أمامك، وكائن في الدار، قال ابن مالك: نص على ذلك

- الأخفش، وأوماً إليه سيبويه، وذهب أبو علي، وتبعه ابن جني، والزمخشري إلى أنَّ العامل الفعل، أي: زيد استقر أمامك، ونسب هذا إلى سيبويه).
- (١٣١) ينظر: الانصاف: ٢٠٢ - ٢٠٥؛ والتبيين: ٢٤٩ - ٢٥١.
- (١٣٢) في (ع): (فإن).
- (١٣٣) جاء في (التصريح: ١ / ٥٣٥): (واختلف في تقديره، فقال الأخفش، والفارسي، والزمخشري، وحبته أن المحذوف عاملُ النصب في لفظ الظرف ومحل المجرور، والأصل في العامل أن يكون فعلاً، والصحيح عند جمهور البصريين أن تقديره: كائن، أو مستقر، لا كان أو استقر، وحبته أن المحذوف هو الخبر في الحقيقة، والأصل في الخبر أن يكون اسماً مفرداً، فكل من الفريقين استند إلى أصل صحيح). وقال المرادي (شرح الألفية: ١ / ١٨٦): (فمن قدر (كائناً) جعلهما من قبيل المفرد، ومن قدر استقر، جعلهما من قبيل الجمل، والأول اختيار الناظم، ويرجح أن أصل الخبر الأفراد، والثاني قول أكثر البصريين ويرجح أن الأصل في العمل إنما هو للفعل، وقد نسب كل منهما إلى سيبويه).
- (١٣٤) قال أبو البركات الأنباري (الإنصاف: ٢٠٤): (والذي يدل على صحة ما ذكرناه أننا وجدنا الظرف يكون صلة لـ(الذي)، نحو: رأيت الذي أمامك والذي وراءك، وما أشبه ذلك، والصلة لا تكون إلا جملة، فلو كان المقدر اسم فاعل الذي هو مستقر، لكان مفرداً؛ لأن اسم الفاعل مع الضمير لا يكون جملة، وإنما يكون مفرداً، والمفرد لا يكون صلة البتة، فوجب أن يكون المقدر الفعل الذي هو استقر؛ لأن الفعل مع الضمير يكون جملة). وينظر: شرح قواعد الإعراب: ٢٤٦ - ٢٤٧؛ وفرائد العقود العلوية: ٨٤٢ / ٢.
- (١٣٥) في (ع): (مستتر).
- (١٣٦) في (ع): (مستقر).
- (١٣٧) ينظر: شرح الأزهري: ١٤٠.
- (١٣٨) ينظر: تمهيد القواعد: ١٠٠٦ - ١٠٠٧؛ وفرائد العقود العلوية: ٨٤٢ / ٢؛ وإحكام المعروف من أحكام الظروف: ٥٧١ - ٥٧٢.
- (١٣٩) تفصيل هذا في: مغني اللبيب: ٤٢٣ - ٤٢٥؛ وشرح قواعد الإعراب: ٢٣٥؛ وموصل الطلاب: ٨٣؛ وحاشية الدسوقي: ٩٣٠ - ٩٣١.
- (١٤٠) في الأصل: (المطلق)، والمثبت من (ع).

(١٤١) قال ابن أبي الربيع (البسيط في شرح جمل الزجاجي: ١ / ٥٤٨): (إنَّ الذي يُقَدَّر لِيَتَعَلَّقَ بِهِ الظرف إذا وقع خبراً لم يظهر قط؛ فإذا قلت: زيد أَمَامَكَ، لم يستفد مخاطبك المعنى، الا من الاسم المُبتدأ بالظرف، وأما استقر، أو مستقر فلم يُنطَقَ بِهِ، ولا سمعه المخاطب، وانما استفاد الخبر مما ذكرته).

وقال الشاطبي (المقاصد الشافية: ٢ / ٤): (إنَّ هذا المقدر لم يظهر أصلاً في موضع من المواضع، وإنما تقديره تقدير صناعي؛ لضبط القوانين فقط).

(١٤٢) الأشموني: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين، الأشموني، النحوي، الشافعي (ت: ٩٢٩ هـ). ينظر: شذرات الذهب: ١٠ / ٢٢٩؛ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٤٠٧.

(١٤٣) منهج السالك (شرح الأشموني): ٤ / ١٤٩١.

(١٤٤) ينظر: للمع: ٧٥؛ وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ق ١ / ج ١ / ٢٧٨؛ وتمهيد القواعد: ٢ / ١٠٠٦ - ١٠٠٧؛ وفرائد العقود العلوية: ٢ / ٨٤٤ - ٨٤٥.

(١٤٥) الدملجي: عبدالله بن علي بن عبد الرحمن سويدان الدملجي، الشافعي (ت: ١٢٣٤ هـ). ينظر: الأعلام: ٤ / ١٠٠٧.

(١٤٦) قد يكون للدملجي حاشية على شرح الازهري لقواعد الإعراب، أو قد يكون له شرح على قواعد الاعراب وهو ينقل عن الشارح أي: الأزهري. جاء في (جامع الشروح والحواشي: ٢ / ١٦٣٠): (عبدالله بن علي سويدان الدملجي، المتوفى (١٢٣٤) ... شرح قواعد الإعراب: خ رامبور (بروكلمان: ٦ / ٨٢) ...).

(١٤٧) قال الفاكهي (الفواكه الجنية: ٢٠٣): (وإذا قُدِّرَ كائن، فهو من (كان) التامة، والظرف بالنسبة اليه لغو، وإلا لزم التسلسل). وينظر: حاشية الصبان: ١ / ٣١٢؛ وفرائد الدر النظيم: ٧٣.

(١٤٨) في النسختين (بالجوب) وانما هو (الوجود).

(١٤٩) في الأصل: (وجب)، والتصويب من (ع). قال المرادي (شرح الألفية: ١ / ١٨٦): (لفظ (كائن)، أو (استقر) لا يتعين، بل مستقر وثابت وحاصل ونحوها ككائن، وكان وثبت وحصل ونحوها كاستقر، وضابط ذلك الكون المطلق).

(١٥٠) (خبر): سقط من (ع).

(١٥١) في الأصل (المحذوف) والمثبت من (ع).

(١٥٢) ينظر: إحكام العقد الوسيم: ١٠٦.

(١٥٣) الجمع بين (كان) وأخواتها وأفعال المقاربة وارد؛ لأنها تدل على النقصان. ينظر: ارتشاف الضرب: ٣ / ١٢٢٤؛ والكواكب الدرية: ١٨٠؛ والمكشاف الجلل: ٦١ - ٦٧.

(١٥٤) (وطن وأخواتها): زيادة من (ع). هذا مبني على دلالتها على النقصان؛ وإلا فلا. جاء في (معاني القرآن: ٢ / ١٠٦): (وقد تقوله العرب في ظننت وأخواتها، من رأيت وعلمت وحسبت، فيقولون: أظنني قائماً، ووجدتني صالحاً؛ لنقصانهما وحاجتهما إلى خبر سوى الاسم). وراجع تحقيقاً مائتاً وناقياً لأستاذنا الدكتور فاضل السامرائي في كتابه (تحقيقات نحوية: ٦٥ - ٨٥). وقال ابن عنقاء (غرر الدرر الوسيطية: ١ / ٥٢٠): (ظنَّ وأخواتها، وهي دخيلة في المرفوعات، وإنما ذكرها لأنها من النواسخ؛ إذ هي أفعال تامة).

(١٥٥) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، البصري، أبو العباس المبرد، (ت: ٢٨٥ هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٠١ - ١١٠؛ وبغية الوعاة: ١ / ٢٥٥ - ٢٥٧.

ورأيه في (المقتضب: ٣ / ٩٧، ٤ / ٨٦ - ٨٩).

(١٥٦) ابن جني: عثمان بن جني، أبو الفتح الموصل، إمام العربية (ت: ٣٩٢ هـ). ينظر: نزهة الألباء: ١٥٩ - ١٦٠؛ وإنباه الرواة: ٢ / ٣٣٥. ينظر رأيه في اللمع: ٨٥؛ والبيان في شرح اللمع: ١٣٩.

(١٥٧) الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني، النحوي (ت: ٤٧١ هـ، أو ٤٧٤ هـ). ينظر: نزهة الألباء: ٢٠٣ - ٢٠٤؛ وبغية الوعاة: ٢ / ١٠١ - ١٠٢. وينظر رأيه في المقتصد: ١ / ٣٩٨.

(١٥٨) ابن أبي حاتم: هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، المحدث، المفسر (ت: ٣٢٧ هـ)، ولا موضع له هنا، ولكن هكذا جاء في النسختين الخطيتين، والذي أراه - والله أعلم - أنه قد سافر الوهم بهذا النقل؛ فالمعني بذلك (ابن برهان) فهذا هو المنقول عنه، وهو: عبد الواحد بن علي بن عمر، ابن برهان (ت: ٤٥٦ هـ) تنظر ترجمته في: إنباه الرواة: ٢ / ٣١٣؛ وبغية الوعاة: ٢ / ١١٥ - ١١٦. وينظر رأيه في كتابه (شرح اللمع: ١ / ٤٩).

(١٥٩) الشلوبين: عمر بن محمد بن عمر، أبو علي الشلوبين (ت: ٦٤٥ هـ). ينظر: إنباه الرواة: ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٥؛ وبغية الوعاة: ٢ / ٢١٦ - ٢١٧. وينظر رأيه في التوطئة: ٢٢٤.

(١٦٠) قال ابن أبي الربيع (البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٦٨٢): (ولا يجوز أن يتعلق المجرور والظرف بـ(كان)؛ لأنَّ كان إنما دخلت على المبتدأ والخبر، وأنت لو قلت: زيد في الدار، لم يكن بد من تقدير متعلِّق للمجرور محذوف؛ فإذا دخلت كان فيبقى المجرور على حاله). وقال ابن هشام -عند هذا الموضوع- (مغني اللبيب: ٤١٨): (هل يتعلقان بالفعل الناقص؟ من زعم أنه لا يدل على الحدث منع من ذلك، وهم المبرد، والفارسي، فابن جني، فالجرجاني، فابن برهان، ثم الشلوبين. والصحيح أنَّها كلها دالة عليه، إلا ليس)، وينظر: إحكام العقد الوسيم: ٧٨.

(١٦١) في (ع): (أو).

(١٦٢) جاء في (حاشية الزرقاني: ٢٤٠ - ٢٤١): (أما الناقص فمن زعم أنه لا يدل على الحدث منع من التعلق، والزاعمون هم: المبرد، والفارسي، وابن جني، والجرجاني، وابن برهان، ثم الشلوبين، والصحيح أنَّها كلها دالة على الحدث، حتى (ليس)؛ إذ تدل على النفي، وهو حدث، قاله بعض شيوخنا معترضاً على المغني في استثنائه من ذلك (ليس)، وأما الجامد فعند الفارسي أنه يتعلق).

(١٦٣) ابن عنقاء: محمد الخالص بن أحمد رميثة بن علي بن عنقاء بن حمزة، الشريف الحسيني، المكي، الشافعي، النحوي (ت: ١٠٥٣ هـ). ينظر: هدية العارفين: ٢ / ٢٨١؛ والأعلام: ٦ / ١١٢.

(١٦٤) تحدث ابن عنقاء عن التعلق في أكثر من كتاب من كتبه، ففي كتابه (غرر الدرر الوسيطية: ١ / ٤٥٦ - ٤٥٧؛ ٢ / ٦٦٤ - ٦٦٦)، وجاء في كتابه (تشنيف السمع بشرح شروط التنثية والجمع: ٤٧): (ويتعلق بالفعل الناقص المتصرف ووصفه بناءً على أنه يدل على الحدث، وهو الأصح خلافاً لكثيرين، لا بالجامد كـ(ليس)، وعسى، ونعم) خلافاً لقوم، كالفارسي، وابن الحاج؛ ولا بالحرف أصلاً خلافاً لابن الحاجب، وللفارسي، وابن جني في الحرف النائب عن فعل حذف كحرف النداء ناب عن (أدعو).



نعم يتعلق بفعل مدح، أو ذم، أو تمنٍ، أو ترجٍ، أو تحضيض، أو عرض، أو تنبيه، أو تشبيه دلت عليه أدواته من فعل جامد أو حرف (...) وذكر لابن عنقاء (حاشية على موصل الطلاب، خ/ المتحف البريطاني: ٩٢٤، بروكلمان: ٦/ ٨١) عن (جامع الشروح والحواشي: ٢/ ١٠٢٦) فهل المنقول عنها؟

ونذكر الحبشي في كتابه (مصادر الفكر الإسلامي: ٣٩٤): ("المنهل المري من حواشي السيد محمد بن عنقا على شرح القواعد للأزهري": لمحمد بن عبد الرحمن التهامي، وهو مخطوط).

(١٦٥) ينظر: مبرز القواعد الإعرابية: ٣٤٢ - ٣٤٣.

(١٦٦) في (ع): (ابهامه).

(١٦٧) في الأصل، و(ع): (حىى) من غير نقط، وفي تصويب هذه اللفظة ينظر: الكواكب الدرية: ١٦٣.

(١٦٨) لعلها هكذا في نسخة (ع)، وفي الأصل: (ومنها).

(١٦٩) في المعرفة والنكرة ينظر: همع الهوامع: ٢/ ١٨٨ - ١٩٤.

(١٧٠) وتفصيل هذه القاعدة في (مغني اللبيب: ٤١٠ - ٤١٤، و ٤٢٣)؛ و(حاشية الدسوقي: ٢/ ٩٠٢ - ٩١٠، و ٢/ ٩٢٩)؛ و(غنية الأريب: ٣/ ٤٩٠ - ٥٠٢، و ٣/ ٥٢٨ - ٥٢٩).

(١٧١) كلمة (شعرا): لم ترد في (ع).

(١٧٢) لم أقف على الناظم، وهناك كثير ممن نظم في إعراب الجمل وأشباه الجمل. قال المجراي (ت: ٧٧٨ هـ) في (نظم المجراية: ١٢):

وإن وردت من بعد محض مُعرَّفٍ      فأعرابها حالٌ لما قبلَ قد خلا  
وإن وردت من بعد محض مُنكَّرٍ      فأعرابها نعتٌ لما قبلَ قد تلا  
وتحتملُ الوجهين بعد مُنكَّرٍ      ومعرفة، ليسا بمحضين فاقبلا

ونظم أبو الفداء الزواوي هذه القاعدة، فقال، عن (مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية: ٢٧٧):

إن وليت نكرةً فهي صفة      وحالٌ إن جاءتك بعد المعرفة  
إن كانتا في ذاك محضتين      أو لا فمحتملة الوجهين

(١٧٣) في (ع): (و).

(١٧٤) في (ع): (وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. هذا ما قد حرره شيخنا البدر الساري شمس العلوم محمد بن أحمد [بن عبد] الباري رحمه الله تعالى، وجزاه أفضل الجزاء. آمين. فرغت من نقله يوم الاثنين خامس شهر جمادي الاول سنة ١٢٩٥ بخط الفقير الى الله الغني به عن سواه أحمد بن عبدالله بن أحمد مشكاع، غفر الله له ولوالديه وللمن دعا لهم بالمغفرة، وأنا طالب ممن اطلع على هذا أن يدعو لي بما أمكن من الدعاء، وأجره على الله، ومن وجد فيه غلطا أصلحه، وهو مأجور إن شاء الله).

قال يوسف بن خلف - غفر الله له - انتهيت من تحقيقها والتعليق عليها الأربعاء آخر يوم من رمضان المبارك ١٤٣٤هـ - الموافق ٢٠١٣/٨/٧م.

## المصادر والمراجع

١. الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم: إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح سليم، طبع في ضمن (أربع رسائل في النحو)، مكتبة الآداب- القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢. أحكام العقد الوسيم في أحكام الظرف والجار والمجرور وما لكل منهما من التقسيم: عبد القادر بن أحمد الكوكباني (ت: ١٢٠٧ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي، مكتبة الإرشاد- صنعاء، دار ابن حزم- بيروت، ط/١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣. أحكام المعروف من أحكام الظروف: عبد السلام بن الطيب الفاسي (ت: ١١١٠ هـ)، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان، طبع في كتاب (ثمرات الامتتان: دراسة أدبية ولغوية، مهداة إلى الأستاذ حسين نصار بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين)، أعدها عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب: محمد بن يوسف، أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٥. إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: إبراهيم بن محمد، برهان الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٦٧ هـ)، تحقيق: د. محمد بن عوض السهلي، أضواء السلف- الرياض، ط/١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦. الأشباه والنظائر في النحو: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٧. الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل، ابن السراج البغدادي (ت: ٣١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/٤، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٨. الإعراب عن قواعد الإعراب: عبدالله بن يوسف، ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: علي فودة نيل، جامعة الملك سعود- الرياض، ط/١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٩. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين- بيروت، ط/٥، ١٩٨٠م.
١٠. إفادة السادة العُمد بتقرير معاني نظم الزُبد: محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت: ١٢٩٨ هـ) ، تحقيق: محمد شادي مصطفى عريش، دار المنهاج- جدّة، ط/١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
١١. إنباه الرواة على أنباه النحاة: أبو الحسن علي بن يوسف، جمال الدين القفطي (ت: ٦٢٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، ط/١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
١٢. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، تحقيق: د. جودة مبروك، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/١، ٢٠٠٢م.

١٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبدالله بن يوسف، ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت، د.ت.
١٤. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٣٩ هـ)، استنبول، ١٩٤٥ م.
١٥. الإيضاح في شرح المفصل: عثمان بن أبي بكر، ابن الحاجب (ت: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: د. إبراهيم محمد عبدالله، دار سعد الدين- دمشق، ط/١، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥ م.
١٦. الإيضاح: الحسن بن أحمد، أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧ هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، عالم الكتب- بيروت، ط/١، ١٤٣٢ هـ- ٢٠١١ م.
١٧. بدائع الفوائد: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد- مكة، ط/١، ١٤٢٥ هـ.
١٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي، الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ)، دار المعرفة- بيروت، د.ت.
١٩. البديع في علم العربية: المبارك بن محمد، ابو السعادات مجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ)، (ج/١، مج ١)، تحقيق: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٢٠ هـ.
٢٠. البسيط في شرح جمل الزجاجي: عبيد الله بن أحمد، ابن أبي الربيع (ت: ٦٨٨ هـ)، تحقيق: د. عياد بن عيد الثبتي، دار الغرب الاسلامي- بيروت، ط/١، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦ م.

٢١. بشرى طلاب العربية بإعراب الآجرومية: خالد بن عبدالله الأزهرى (ت: ٩٠٥ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي، دار ابن حزم - بيروت، ط/١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٣. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب، مجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد المصري، دار سعد الدين - دمشق، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٤. بلوغ المرام من حل قطر ابن هشام: عبد الملك بن جمال الدين، العصامي (ت: ١٠٣٧ هـ)، رسالة ماجستير، تحقيق: هيام فهمي إبراهيم، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٢٥. البيان في شرح اللمع: عمر بن إبراهيم الكفوي (ت: ٥٣٩ هـ)، تحقيق: د. علاء الدين حموية، دار عمار - عمان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٦. تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب: أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت: ٨٤٠ هـ)، تحقيق: د. نوري ياسين الهيتي، وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٧. التبيان في إعراب القرآن: عبدالله بن الحسين، أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، ط/٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٨. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: عبدالله بن الحسين، أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٩. التحقيقات الرضية في تبيان مصطلحات النحو الكوفية: عبد الباسط محمد الطاهر، القاهرة (طبعة خاصة)، ٢٠٠٤م.
٣٠. تحقيقات نحوية: د. فاضل السامرائي، دار الفكر - عمان، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣١. التصريح بمضمون التوضيح: خالد بن عبدالله الأزهرى (ت: ٩٠٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربية - القاهرة، ط/١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٣٢. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين ناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من الاساتذة، دار السلام - القاهرة، ط/١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٣. التوطئة: عمر بن محمد، أبو علي الشلوبين (ت: ٦٥٤ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف المطوع، الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣٤. جامع الشروح والحواشي: عبدالله محمد الحبشي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - المجمع الثقافي - أبو ظبي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٥. الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩ هـ)، تحقيق: د. طه محسن، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل، ١٤٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٣٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد، أبو محمد القرشي (ت: ٧٧٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة عن طبعة هجر، ط/٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٧. حاشية الخصري على شرح ابن عقيل: محمد بن مصطفى بن حسن الخصري (ت: ١٢٨٧ هـ)، تحقيق: تركي فرحان مصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٨. حاشية الدسوقي (على مغني اللبيب): محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت: ١٢٣٠ هـ)، دار السلام - القاهرة، ط/١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٩. حاشية الزرقاني على الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام الأنصاري، وشرح الأزهرى: أحمد بن محمد الزرقاني (كان حيا ٩٦٥ هـ)، تحقيق: محمد فرج توفيق الوليد - اطروحة دكتوراه، الجامعة العراقية (الإسلامية)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤٠. حاشية الصبان (على شرح الأشموني): محمد بن علي الصبان (ت: ١٢٠٦ هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤١. حاشية العمراني على مبرز القواعد الإعرابية: محمد المهدي بن محمد العمراني الوزاني (ت: ١٣٤٢ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي - بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٢. حاشية ياسين على التصريح: ياسين بن زين الدين الحمصي العلمي (ت: ١٠٦١ هـ)، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، د.ت.



٤٣. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٤٤. الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المشرق للكتاب- دمشق، د. ت.
٤٥. رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي (ت: ٧٠٢ هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، ط/٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٤٦. روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام: محمد بن علي ابن الأزرق الغرناطي (ت: ٨٩٦ هـ)، تحقيق: سعيد العلمي، كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس، ١٩٩٩م.
٤٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحين بن أحمد، ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩ هـ)، تحقيق: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير- دمشق/ بيروت، ط/١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٤٨. شرح الأبيات المشككة الإعراب (كتاب الشعر): الحسن بن أحمد، أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧ هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤٩. شرح الأزهري في علم العربية: خالد بن عبدالله الأزهري (ت: ٩٠٥ هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/٢، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٥٠. شرح الألفية: الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩ هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، ط/١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٥١. شرح التسهيل: محمد بن عبدالله، جمال الدين ابن مالك (ت: ٦٧٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلام - القاهرة، ط/١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٥٢. شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: محمد بن الحسن، الرضي (ت: نحو ٦٨٦ هـ)، تحقيق: د. حسن الحفظي، ود. يحيى بشير، جامعة الإمام، ط/١، (ق/١) ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، (ق/٢) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٥٣. شرح اللمع: عبد الواحد بن علي بن عمر، ابن برهان (ت: ٤٥٦ هـ)، تحقيق: د. فائز فارس، الكويت، ط/١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٥٤. شرح المفصل: يعيش بن علي، موفق الدين ابن يعيش (ت: ٦٤٣ هـ)، مكتبة المتنبي - القاهرة، د.ت.
٥٥. شرح جمل الزجاجة: علي بن مؤمن، ابن عصفور الأشبيلي (ت: ٦٦٩ هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب - بيروت، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥٦. شرح قطر الندى وبل الصدى: عبدالله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٧. شرح قواعد الإعراب: محمد بن سليمان، محيي الدين الكافيجي (ت: ٨٧٩ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار طلاس - دمشق، ط/٣، ١٩٩٦ م.
٥٨. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤، ١٩٩٠ م.
٥٩. الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية: سليمان بن عبد القوي الطوفي (ت: ٧١٦ هـ)، تحقيق: د. محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان - الرياض، ط/١، ١٤١٦ م.
٦٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٤ هـ)، مكتبة الحياة - بيروت، د.ت.
٦١. طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن، أبو بكر الزبيدي (ت: ٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط/٢، ١٩٨٤ م.
٦٢. الطلاء الرخيم على العقد الوسيم: أحمد بن القاسم الأهنومي اليمني (ت: ١٣٧٣ هـ)، تحقيق: رياض بن حسن الخوام، مكتبة الرشد - الرياض، ط/١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٦٣. العقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور والظرف وما لكل منهما من التقسيم: صلاح الدين بن الحسين، الأخفش اليمني (ت: ١١٤٢ هـ)، تحقيق: د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط/١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٦٤. علم إعراب القرآن تأصيل وبيان: د. يوسف بن خلف العيساوي، دار الصميعي - الرياض، ط/٢، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٦٥. غرر الدرر الوسيطية بشرح المنظومة العمريطية: محمد الخالص ابن أحمد، ابن عنقاء (ت: ١٠٥٣ هـ)، تحقيق: د. محمد بن حسن العمري، دار المحدثين - القاهرة، ط/١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٦٦. غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب: مصطفى رمزي بن الحاج حسن الأنطاكي (ت: ١١٠٠ هـ)، تحقيق: حسين صالح الدبوس، وأبو عجيبة رمضان عويلي، وبشير صالح الصادق، وخالد محمد غويلة، عالم الكتب الحديث - إربد، ٢٠١١ م.
٦٧. فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص النبوية): محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهمل (ت: ١٢٩٨ هـ)، مكتبة جدة، ط/٢، ١٤٠٦ هـ.
٦٨. فرائد الدر النظيم شرح العقد الوسيم: أحمد بن محمد قاطن الصنعاني (ت: ١١٩٩ هـ)، تحقيق: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت، ط/١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٦٩. فرائد العقود العلوية على شرح الأثرية: علي بن إبراهيم الحلبي (ت: ١٠٤٤ هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، ٢٠٠٧ م.
٧٠. قطر الندى وبل الصدى: عبدالله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، طبع مع (شرح قطر الندى) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧١. الكتاب: عمرو بن عثمان، أبو بشر سيبويه (ت: ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب - بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.
٧٢. الكواكب الدرية شرح متممة الاجرومية: محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت: ١٢٩٨ هـ)، دار عمر بن الخطاب، ومكتبة الإمام الوادعي - صنعاء، ط/١، ١٤٢٨ هـ.
٧٣. كواكب يمنية في سماء الإسلام: عبد الرحمن بعكر، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ط/١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٧٤. لسان العرب: محمد بن مكرم، ابن منظور (ت: ٧١١ هـ)، دار عالم الكتب - الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٧٥. اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢ هـ)، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط/٢، ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م.
٧٦. مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية: د. أيمن عبد الرزاق الشّوا، دار إقرأ - دمشق، ط/١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٧٧. مبرز القواعد الإعرابية من القصيدة المجراية: علي بن أحمد، أبو الحسن الرسموكي الجزولي (ت: ١٠٤٩ هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي - بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب، أبو محمد ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤١ هـ)، تحقيق: الرحالة الفاروي، وعبدالله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم،

- ومحمد الشافعي الصادق العناني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/٢، ١٤٢٨هـ - ٢٥٠٠٧م.
٧٩. **المذكر والمؤنث**: محمد بن القاسم، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف - القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٨٠. **المذكر والمؤنث**: يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧ هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث - القاهرة، د.ت.
٨١. **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**: عبدالله محمد الحبشي، المجمع الثقافي - أبو ظبي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨٢. **معاني القرآن**: يحيى بن زياد، أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب - بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨٣. **معجم المطبوعات العربية والمعرية**: يوسف إليان سرقيس الدمشقي، مطبعة سرقيس، مصر، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
٨٤. **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة (ت: ١٤٠٨ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٨٥. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: عبدالله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، دار الفكر - بيروت، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨٦. **المفصل في علم العربية**: محمود بن عمر، أبو القاسم الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار عمار - عمان، ط/١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨٧. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: إبراهيم بن موسى، أبو إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ)، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط/١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٨٨. المقاصد النحوية في شرح شواهد الشروح الألفية: محمود بن أحمد، بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٨٩. المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني، النحوي (ت: ٤٧١ هـ، أو ٤٧٤ هـ)، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد - بغداد، ١٩٨٢ م.
٩٠. المقتضب: محمد بن يزيد، أبو العباس المبرد (ت: ٢٨٥ هـ)، تحقّي: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت، د.ت.
٩١. المكشاف الجلل عن أسرار أشباه الجمل: عبد الباسط محمد الطاهر محمد، القاهرة (طبعة خاصة)، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
٩٢. منهج السالك إلى ألفية ابن مالك (شرح الأشموني): علي بن محمد، نور الدين الأشموني (ت: ٩٢٩ هـ، وقيل: ٩٠٠ هـ)، طبع مع (حاشية الصبان)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٣. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: خالد بن عبدالله الأزهرى (ت: ٩٠٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩٤. نتائج الفكر في النحو: عبد الرحمن بن عبدالله، أبو القاسم السهيلي (ت: ٥٨١ هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البناء، جامعة قاريونس، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٩٥. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، تحقيق: عطية عامر، المطبعة الكاثوليكية-بيروت، ١٩٦٣.
٩٦. نظم المجرادية: محمد بن محمد بن عمران، أبو عبدالله المجرادي السلاوي (ت: ٧٧٨ هـ)، طبع مع شرحه (شرح نظم المجرادية في الجمل، ليبروك عبدالله بن يعقوب السملالي)، اعتنى به: عبد الكريم قبول، المكتبة العصرية-صيدا، بيروت، ط/١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٩٧. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: أحمد بن المقري التلمساني (ت: ١٠٣٨ هـ)، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر-بيروت، ٢٠٠٤م.
٩٨. النفحة العطرية على المقدمة الآجرومية: محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت: ١٢٩٨ هـ)، تحقيق: عبدالله بن محمد الأهدل، دار النشر للجامعات-صنعاء، ط/١، ٢٠١٠م.
٩٩. النكت في القرآن (نكت المعاني على آيات المثاني): علي بن فضال، أبو الحسن المجاشعي (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: د. ابراهيم الحاج علي، مكتبة الرشد-الرياض، ط/١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٠٠. نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر: محمد بن محمد يحيى زبارة الصنعاني (ت: ١٣٨١ هـ)، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية-صنعاء،
١٠١. هجر العلم ومعاقله في اليمن: القاضي إسماعيل بن علي الأكوع (ت: ١٤٢٨ هـ)، دار الفكر المعاصر-بيوت، دار الفكر-دمشق، ط/١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.



١٠٢. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (من كشف الظنون): إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٣٩ هـ)، استنبول، ١٩٦٤م.
١٠٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب - القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.



# التحديث في النص الشعري عائكة الخزرجي أنموذجا

أ.م.د. حافظ محمد عباس الشمري

كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية

## ملخص البحث

يعد الشعر أكثر الأنواع الأدبية الإبداعية انتماء الى الماضي والمحافظة على أصوله لأنه يعبر عن ذات الانسان ضمن تجربة نفسية ترتبط بواقعها الذي منحها سمات تعبيرية منفردة تتردد عبر مواقف لها ملامح تاريخية تتصف بال تكرار، فيعيد الشاعر عواطفه ومآثر الماضي، لذلك نجد الصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر، فضلا عن افادة الشعراء من الموروث لغرض خلق رؤية جديدة تبعا للتحويلات التي فرضتها ظروف الحياة، لهذا نرى ان القصيدة الحديثة متقدة داخل وهج الشخصية ووفق قاعدة مغامرة لا تقف عند حد معين في النص الحديث لإطلاق الخيال وصيغ العاطفة، او المفردة الشعرية في النص، لتأخذ القصيدة مداها الارحب من خلال الالتزام بالقيم الفكرية والاجتماعية والسياسية، فضلا عن الجانب العلمي الذي اخذ دورا هاما في تبلور المفهوم الفكري في اطار منهج ومعنى النص الشعري.

إن ولوج الشاعرة عائكة الخزرجي نحو مرحلة شعرية جديدة تستمد كينونتها من عصر التقنية الحديثة، وان المنجز الثقافي الذي دونته الشاعرة، انما هو تثبيت الواقع لسلطة الآخر، كونها نهلت ثقافتها من الثقافات الأخرى، رصدت من خلالها كثير من منجزها الشعري.

إن خطاب الشاعرة عائكة الخزرجي بوصفها ناطقة عبر توظيف العمل الشعري بالأبعاد الأسلوبية لبناء أسلوبها الشعري الذي اسهم في بروزها في آفاقها الرحبة، فرسمت لنا صورة جديدة، فشاع تواتر الدفعات الوجدانية داخل بنية النص الشعري، لتغدو سمات القلق والصمت والتوجس، علامات مهمة في الشعر النسوي، فقد عكست الصور الإيحائية المشرقة بين شاعرات العراق عبر عصور سوداوية مرت عليها محملة بالتشاؤم والخيبة فبرزت صفاتها المثلى فتجلت في سماتها الرحبة، على الرغم من النصوص الشعرية التي كتبتها الشاعرة، فلم تحفل باهتمام النقاد والدارسين إلا في حدود ضيقة، اي حدود التمجيد العابر او

الانتقائية او بعض الظواهر في الخطاب الشعري. وهذا يميل الى عدم استطاعة المرأة، ان تشغل الفراغ في الوسط الجماهيري الذي شغلته رائدة نازك الملائكة، بسبب تبعات ذلك التمرکز للمؤسسات الشعرية حول الآخر في مقابل تهميش الذات الشعرية عند عدد كبير من الشاعرات العراقيات.

**In a Poetic Text Atka Al Khazraji a Model.**

**Dr. Hafidh M. Abass**

**Research Summary**

Longer hair more creative Literary genres Belong to the past and the preservation of its assets Because it crosses For the same rights within the psychological experience associated with Betterment which granted individual attributes express onistic Feel free Aberm aagaf its historic Features Characterized by repetitive the poet repeats his emotions and the exploits of the past there fore, me find the relevant document between past and present as well as the testimony of poets heritage for the purpose of creating a new vision depending on the shifts imposed by the circumstances of life. To see that this modern poem in side burning glare of personal an in accordance with base ad venture does not stop at a certain point in the text to take the poem wider range of values through a commit ment Alvcish, social and political as well as side which took an important role in the crystallization of the intellectual concept in the frame work of the frame work of the methodology and the meaning of the poetic that the speech of the poet Atka Khazraji as peaking by employing capillary action stylistic dimensions to build style, which contributed to emergence levy spacious horizons.

That a poet Atka Khazraji towards a new phase technology, and cultural accomplished poet who codified but is actually installed to power the other being Anhalt culture of Althagaa at other spotdd from which many of the cultural Mndzha.

It has reflected the bright suggestive images between Iraq and poets through the ages in melancholia passed by laden with pessimism and frustration.

Arison optimal characteristics and traits reflected in the spacious despite texts written by the poet did engorgement attention of critics and scholars, but within narrow.

Any limits or selective glorification transit or som phenomena in Alakhtab poetic and this tends to be the inability of a woman to occupy the space in the center of mass, which occupied the leading Nazek Angles because of the e consequences of the concentration Because of the consequences of the concentration of poetry about the other institutions in exchange of self- marginali zation of poetry when a large number of Iraqi poets.

## التحديث في النص الشعري عاتكة الخزرجي انموذجاً

تعد القصيدة الشعرية الحديثة متقدة داخل وهج الشخصية ووفق قاعدة، بل مغامرة لا تقف عند حد معين، فهي تؤكد عملية الانفعال عند المبدع والمتلقي في آن واحد. وتجري عبر سواق متعددة، لذا تعد طفرة مناهضة وكبيرة، لما كانت عليا الكلاسيكية، التي أكدت الركود وابتعدت عن تفاصيل الحياة المتطورة. ولهذا كان للنص الحديث اثر في اطلاق الخيال والعاطفة، فضلا عن المفردة الشعرية، لتأخذ القصيدة مداها الارحب من خلال ما تظهره من أفكار تبين من خلال النص الشعري المفهوم الفكري والتعبيري في اطار منهج القصيدة الحديثة. ولهذا اخذ المنهج في الاستجابة للكشف عن ملكات وسمات جمالية وفاعلية منطقية. فقدمت صيغ المنهج الفكري الملتزم، ضمن دائرة المعنى، لمناهج النظرية الفكرية الحديثة داخل النص الشعري. هذا مما أعطى دوراً فاعلاً من تفجر مخيلة الشعراء.

إنّ دراسة شعر عاتكة الخزرجي مهمة، كونها ظهرت في جيل شعري ضخم، وفي بيئة مضطربة سياسيا واجتماعيا. فقد شهدت تحولات في المشهد الثقافي والأدبي ولا سيما المشهد الشعري. ومن هنا لابد من تقديم طريقة منهجية للتعامل مع النص الشعري وكيفية فهمه وقراءته قراءة دقيقة. للعمل على تحفيز الرؤى النقدية الحديثة وتوظيفها في عملية تذوق النص فضلا عن رفدها بمعطيات الدرس النقدي. علما أنّ الشاعرة تعد من التيار الإلتباعي المحافظ على القيم التقليدية للقصيدة الموروثة، في ظل ظهور حركات تجديدية تدعو إلى تجاوز النمط السائد والبحث عن الجديد في الشكل والمضمون والبنية اللغوية والصور والموسيقى، إلا أنها بقت على تلك القيم الثبوتية بصرامة وقوة.

فالتجربة الشعرية هي الصورة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر تفكيراً ينم عن عمق شعوره وإخلاصه. وفيها يظهر اقتناع ذاتي وإخلاص فني لا مجرد المهارة الفنية أو الشكلية. إنَّ الشاعر الحق هو الذي تتضح في نفسه تجربته ويقف على أجزائها بفكره ويستغرق فيها الشاعر لينقلها إلينا في أدق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجي، فتتمثل فيها الحياة والوان الصراع التي تتمثل في النفس أو الفرد تجاه الأحداث التي تحيط به. ويبدو أن التجربة التي تنبض بالحياة تفتح عيوننا على حقائق الحياة أو حالات النفس بطريقة قد تبدو بعيدة عن كثير من الناس. وقد تقصر مفردات اللغة نفسها عن الكشف عنها، كون الصورة الشعرية، وما تتضمنه من إichاء هي أقوى تعبيراً واعظماً أثراً<sup>(١)</sup>.

إن خطاب المرأة الشاعرة بوصفها ناطقة، عبر توظيف العمل الشعري بالأبعاد الأسلوبية لبناء أسلوبها الشعري لتسهم في ظهور ذاتها بين آفاقها الرحب وترسم صورة جديدة، فأشاع تواتر الدفعات الوجدانية داخل بنية النصوص الشعرية النسوية لتغدو سمات القلق والصمت لتعكس صورة إichائية مشرقة عن المرأة التي مرت عبر عصور سوداوية محملة بالتشاؤم والخيبة لتبرز صفاتها المثلى كي تتجلى بالسلمات الجميلة، على الرغم من النصوص الشعرية التي تكتبها المرأة لا تحفل باهتمام النقاد والدارسين إلا في حدود التمجيد العابر أو الانتقائية أو بعض الظواهر في الخطاب الشعري، فان مرد ذلك عائد إلى أن بعض نقادنا يميل إلى عدم وجود شاعرات عراقيات استطعن أن يشغلن الفراغ الذي تركته الرائدة نازك الملائكة، ويبدو من تبعات ذلك تمركز المؤسسة الشعرية حول الآخر، في مقابل تهميش الذات الشعرية النسائية.

إنَّ ولوج المرأة الشاعرة نحو مرحلة شعرية جديدة تستمد كينونتها من عصر التقنية الحديثة. وان المنجز الثقافي الذي دونته المرأة، إنما هو

تثبيت لواقع سلطة الآخر عليها وهي ((علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى مكونة تلك العلاقات التي تحول تلك القوى وتريد من حدثها وتقلب موازينها بفعل الصراعات والموجهات التي لا تنقطع))<sup>(٢)</sup>. ويبدو أنّ عاتكة الخزرجي نهلت من ثقافات مختلفة في دار المعلمين وفي بلاد العرب، إذ رأت أن تحصر منابع وحيها في الأدب العربي ولاسيما الأدب القديم<sup>(٣)</sup> لذلك اتسم شعرها بالطابع القصصي، كما اتسم شعرها بموسيقى رائعة وإمتازت في قوة المعنى وترابط الأدبيات وانسجامها ومعالجة أفكار معينة، ويبدو شعرها اتسم بالبرقة، فهي تسهب في موضع الإسهاب، كما توجز في موضع الإيجاز، وشعرها مطابق لهوى النفس ليس فيها حشو، فهي دالية البحث في صورها الشعرية وهي تمتاز عن غيرها من الشاعرات العراقيات أنها لها رصيد كبير من قصائد الإخوانيات.<sup>(٤)</sup> والشعر ذو وحدة تعبيرية يقترن فيها الفكر بالأحاسيس وإلى جانب ذلك أنه نابع من تجارب الشاعرة عاتكة الخزرجي متصل اتصالاً وثيقاً بحياتها وكيانها ومزاجها وذاتها، كما أنه يمزج بين أسرار الحياة ودوافع وجدانها وسوانح خاطرها مزجاً يهز أغوار النفس. لهذا يوصف الشعر بأنه "فن إثارة الوجدان"<sup>(٥)</sup>. وأن هذا الوجدان لم يكن حكرًا على الرجل دون المرأة إذا ما توافرت آليات الشعر لها، لتستطيع أن تعبر عن هواجسها ومكنوناتها، فقد كان هذا الدور المغيب بحكم التقاليد وهيمنة الظروف الاجتماعية المتعسفة التي عصفت بتطلعات المرأة والإطاحة بمشروعها الأدبي العربي، إذ يمثل الصوت النسوي دوراً هاماً في حركة الخطاب الإبداعي الحديث، في الأدب ولاسيما الشعر، لذلك نجد التعبير يمثل هذا الصوت الذي أخذ له دلالات كبيرة في الحضور ولا سيما في مفاصل الحياة، لهذا نرى بأن الأدب النسوي جزء من الأدب العام، ولا يمكن أن ينفصل عنه<sup>(٦)</sup>. كونه يمثل حضوراً في مشهد القراءة النوعية للكتابة الشعرية المتحررة من سلطة

الرقيب والنزوع نحو طرح أنموذج أدبي مكمل للأحادية الذكورية، ذات الخطابة المفروضة ولا بد من القول: بأن الاهتمام بأدب المرأة هو بمثابة دعوة لإخراج المكنون المغيَّب بفعل منظورات اجتماعية وبيئية، وبث للحضور مجراه الطبيعي بتجربة إنسانية مشاركة ومكمّلة لمسيرة الحياة البشرية بشكلها وروحها المتوازن. وهذا ما أقرّته الشرائع السماوية، فالرجل والمرأة، يكمل أحدهما الآخر<sup>(٧)</sup>. لهذا نجد "إنّ المرأة الجديدة تبدعها التجربة، ولحظة الفعل والثقافة التي تستجلي الجوهر العقلي، الذي تتكشف عنه التجربة الحسية"<sup>(٨)</sup>. من هنا دخلت المرأة عالم الإبداع مفندة فكرة أنّ الرجل هو محور ومركز الإبداع. وأنّ الإبداع الشعري ليس جديداً أو طارئاً لدى المرأة، وأن نهضة الأدب النسوي تعد فكرية وأدبية ذات جذور راسخة في أعماق الماضي<sup>(٩)</sup> لذلك يعد هذا النوع من الأدب واجهة تحريرية من التصورات السائدة وينظر إليه على أساس أنه مظهر من مظاهر التحرر من سلطة الأحكام الموروثة، كما أنه يعد صيغة من صيغ الحوار مع ما هو مطروح في الذاكرة العربية. من هذه الآراء والأحكام النقدية لابتداءً من النظر إلى المنجز الشعري النسائي، وفي الحقيقة أنّ الميدان الحقيقي للمرأة هو الأدب، كون المرأة أكثر عاطفة وأشد حساسية، وأرّهف في المشاعر الوجدانية. فالمرأة العربية لم تكن مصابة بعقم الوجدان وشذوذ الفطرة لتختفي من الميدان الأدبي "الذي هو ميدانها الأصيل، وإنما ابتليت بظلم فادح أسقط مكانها في التاريخ الأدبي"<sup>(١٠)</sup>. لقد سجلت المرأة العربية حضوراً قوياً لافتاً وتداولاً للنظر، من خلال النص الشعري، لأن هذه النصوص الشعرية تعد وثيقة أدبية تاريخية للوضع الاجتماعي، فهي تهدف من وراء انخراطها من دور الكتابة إلى الإعلان عن خروجها من شرقة الصمت، ورفضها لأي وسيط يعبر عن مطوي أشواقها وأسرار ذاتها، ومكنون عواطفها، ومدفون أحاسيسها، وجمال مشاعرها الخالصة المكتوبة تاريخياً، فهي جديرة بأن تقوم بهذا الدور، لأنها



تملك الوسائل والأدوات، لذلك استطاعت المرأة الشاعرة أن تتخطى قمة إطارها الوجداني ومشكلاتها الذاتية إلى التعبير عن المشكلات الجماعية والتجارب الإنسانية الشاملة<sup>(١١)</sup>. إن ممارستها للكتابة جعلها تمتلك صوتاً مدوياً، فتجسد العمل الفني بتجربة المرأة في غرضين هما<sup>(١٢)</sup>:

١. لقد عكست المرأة الشاعرة التجربة الواقعية بحدودها ودرجة غناها، إلى ميدان عمل بناء.

٢. إن نجاحها وإحباطاتها، أتاح لنا رؤية المرأة في لحظة الفعل الإبداعي.

من هنا لا بدّ من الإشارة إلى دور الشاعرة عاتكة الخزرجي الإبداعي، بسبب تعدد أدوارها تبعاً للظروف المضطربة التي عصفت بها وهي في خضم جملة من التحولات التي انعكست على شخصيتها، وألقت ظلالها على مفردات تواصلها مع عصرها وبيئتها، وعلاقتها بالآخر، وطبيعة الكشف الذي مارسه في محيطها الاجتماعي، وواقع عملها، في الرصد والتحليل والمعالجة متخذة من موهبتها الشعرية ما يعوضها من فقدان الأب إلى الجو الأسري المفعم بالحنينة والاستقرار، فعبّرت في ذلك عن زفريات الحزن والتأسي في نشأة القيم المؤلمة، والحرمان الجارح، ممزوجة بعواطف شتى تتوزع في عاطفة الحب لأُمها، وحبها لوطنها العزيز، وتعلقها الكبير بحب الطبيعة والتشبث بالحياة الحاملة.

لقد صار مشهدها الأخير تعلق روحها الإنسانية بالبحث عن الخلاص والتمسك بأسباب السماء، تاركة صوتها ينشد للألم والحرمان وأصبح شعرها يعزف على أوتار الحرف لتعبر بأسلوبها على نسق من الفكر والخيال والعاطفة، فتقول:

أنا أهواك يا دُنِيَّاتي أم ذلك قلبي ....؟

شأنه العيشُ ولا عيش له من دون حُبّ ....!

إنّه يحيا وإن كان بمحياء عذابي

سأدرأ نشوان يحسو الخمر من كرم شبابي  
إنه ريان لا يعنيه من يشكو الأواماً  
أه لو حطمته حتى وأن كنت الحطاماً<sup>(١٣)</sup>

ويبدو أنّ في النص الشعري طرازاً من التأليف الفني الإنساني الصادق، يتواضع في أساليب حية شريفة، وفيها عذوبة الموسيقى التي تلائم موضوعها الذي تنتشد فيه، فهو ذو وحدة تعبيرية يقتدر فيها الفكر بالأحاسيس الوجدانية. لذلك كانت منزلتها بين الشعراء صادقة، وكان شعرها صورة مشرقة معبرة عنها، وما طبعت في شخصيتها من معاني الوطنية، واحترام الموروث، وصياغة النفس، والإيمان بعقيدتها الدينية، شاعرة مطبوعة وأدبية حاضرة. لأن إدراكها يولد نوعاً من حالات الشعور النفسي في استثارة معاني النص فيتغير المجال التأويلي للصورة الذهنية في شعرها، بحسب تطور المستوى البنائي للنص الشعري، وتوسيع المسافات بين الدال ومدلولها، ولهذا استطاعت الشاعرة أن تتخطى الواقع المرير، فعملت لمستقبلها بتطلعها الشديد وذكائها المتوقع، وهي ترنو إلى عالم أوسع تتوق إليه بإمكانياتها العلمية، فنجحت الشاعرة بعقلها المتفتح ورؤيتها الصافية.

أنّ للشاعرة مساحة شعرية غير محددة تطير في فضائها، وتجربتها الشعرية تمثل إحياءً فكرياً، تهدف به إلى تقديم عاطفة أو فكرة، أو موقف على قدر من الطاقة الإبداعية، وقد تكون نظرتنا لها على أساس ما أنتجته من إبداع فني يفيد منه الجميع، كون النقد ((يرتبط بالأبداع ارتباطاً وجودياً))<sup>(١٤)</sup>. ولهذا نرى أنّ النقد له علامة وثيقة بين نمو الأدب ونمو النقد، إذ يلزمه ويشترك معه في الصياغة<sup>(١٥)</sup>. ليكمل فعله الإبداعي من خلال إحساسه النادر، وذوقه المرفه، وأسلوبه الرائع، وإدراكه النافذ لأسرار الجمال وومضات الإبداع. لذلك نرى أنّ ((النقد فن الحكم والتمييز، وقد أكسبته سمة الفن والموهبة والثقافة والقدرة على استكناه

مضامين النص ودلالاته وبنائه الفني ومعطياته الجمالية، ويستخدم الناقد لذلك ثقافته المستمدة من معارف وعلوم مختلفة تغني نظريته النقدية<sup>(١٦)</sup>. ومن هنا نؤكد وجود نقد يتوجه إلى أدب المرأة، ينسجم وطبيعته الأنثوية وما تختزله من خصوصية مكنونه في دواخلها، لذلك يعدّ النقد النسائي حركة فكرية، ((أفرزتها المنهجات الحديثة، والذي يهدف إلى إعادة التوازن بين المرأة والرجل وذلك بتهميش أنظمة التمركز وآلياته التي دفعت بالرجل وثقافته إلى الأمام، وجعلت من المرأة تابعاً له، فهو دعوة إلى تأكيد الخصوصية المطلقة للأدب النسائي .... من خلال التحليل النسائي السوسيولوجي والتأويلي في معالجة الأدب النسائي، وفق رؤية نقدية تهدف إلى إقامة علاقة توازن وتجاوز في مفاهيم المشاركة بدل تغليب طرف على آخر))<sup>(١٧)</sup>. لذا يعد الاهتمام بإنتاج الإبداع لدى المرأة العراقية إسهامه فعالة في البناء الجمالي والحسي مما يثري العمل الفني، ومن هذا فقد كان الدرس النقدي قد انشغل بالمرأة كونها تعد موضوعاً داخل الإبداع في النص الشعري، فإنّ (( شرارة كل فكر تتقدح من تفاعل الذات مع عالمها، والنقد الإبداعي هو القادر على رصد هذا التفاعل وإغنائها))<sup>(١٨)</sup>. لذلك تعددت المناهج النقدية الحديثة وتنوعت وتشابكت مع بعضها، فضلاً عن النقاد فهم أصناف كثيرة ومدارسهم متشعبة<sup>(١٩)</sup> وقد صنفت المناهج النقدية إلى مناهج متعددة وهي: ((المنهج اللغوي والبلاغي والتاريخي والنفسي والشكلاني والجمالي والإبداعي والانطباعي والفلسفي والاجتماعي والماركسي والوجودي والبنوي والتحليلي والرمزي))<sup>(٢٠)</sup>. من هنا أصبح من الصعوبة أن يُوظف منهج بعينه لقراءة النص الأدبي قراءة نقدية نوعية، إلا أنها على كثرتها تتوزع في اتجاهين: أحدهما يتناول النص من الخارج بكل تفصيلاته وما يتصل به وبمؤلفه من ظروف نفسية واجتماعية وتاريخية، وثانيهما يدرس النص من داخله وهو ينبغي رصد العلاقات الداخلية دون اللجوء إلى السياقات الخارجية

للنص<sup>(٢١)</sup> لذا يعد النقد الأدبي ((عملية شرح وتقويم خبرة الناقد مع النص الأدبي، وبهذا المعنى يكون كل قارئ ناقداً ولو لفترة وجيزة))<sup>(٢٢)</sup>. من خلال القراءة النوعية الدقيقة بالفهم والإدراك للعناصر الفنية المتمثلة بالموسيقى الشعرية والجوانب الجمالية الصوتية التي أنتجت العلاقات بين المفردة والتركيب وجرس الحروف، وتذوق جرس الموسيقى للقصيدة. وتحليل لغة الشاعر وفهم المعاني المعجمية لكل كلمة وما توحى من دلالات جديدة، ودراسة الصور المجازية للقصيدة وتنوعها وتكرارها، ومدى تعلّقها بغيرها من الصور الشعرية في موازنات إجرائية مع الموروث الشعري.

يعد الشعر أكثر الأنواع الإبداعية انتماء إلى الماضي والمحافظة على أصوله لأنه يعبر عن ذات الإنسان ضمن تجربة نفسية ترتبط بواقعه الذي يمنحها سمات تعبيرية منفردة تتردد عبر مواقف لها ملامح تاريخية تتصف بالتكرار، فالشاعر يعيد صياغة عواطفه وعقله من مآثر الماضي. لذلك فإن صلة الشعر الحديث بالتراث وثيقة، بل عمل الشاعر على الاستفادة من الموروث والتأكيد عليه ((بنسبة الالتفات نحو الماضي الذي ينتسب إليه التراث))<sup>(٢٣)</sup>. فيظهر بطرائق شتى ولاسيما في لغته وإيقاعه ويمكن رصد أهمية أفاده الشعر الحديث من الموروث وتوظيفه في كتابة النص الشعري الحديث من خلال اللغة.

إن أفاده الشاعر من لغة الموروث يفسر لنا نوعية علاقة الشاعر الحديث بتراثه، والانطلاق منه إلى الخلق والإبداع الملامسين لطبيعة الحياة الحديثة وفق رؤية التحولات التي تطمح للتغيير، وخلق نهضة تدعو إلى المفهوم الحديث للشعر. من هذا نجد الشاعرة عاتكة الخزرجي استمدت من لغة الموروث الشعري الذي اغنى تجاربها الشعرية الجديدة، فضلاً عن ذلك، فإن الشاعرة استمدت أفكارها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة والشعر العربي، وتأكيداً الجانب الفكري والاجتماعي

والسياسي، وأخذت الطريق المنطقي في الاستجابة والتعبير، عن مفهوم قيمة الإبداع الفردي والجماعي للقصيدة الشعرية.

لقد كانت عاتكة الخزرجي الانطلاقة لتحديد خصوصيات القصيدة الشعرية، من خلال تأكيد الإبداع، والاهتمام به بشكل مكثف وعبر أهمية الخطاب الشعري الذي لازم منطق الإبداعي وكشف عن الحلقات التعبيرية الدقيقة من جهة أخرى، فقد كان الفعل التعبيري، يتجه بالكشف عن التفرد والغربة في أنسجة القصيدة من خلال الاستلاب والقهر عبر مفاهيم الواقع الاجتماعي في العراق.

إنّ النص الشعري عند عاتكة الخزرجي ولا سيما في الحب يعد ضوءاً خافتاً، لأن الحب بالنسبة لها زيفاً مصطنعاً وبريقاً واهماً، أجهض سحر أحلامها، وطعن سرّاً جمالها الروحي والمادي. وعلى الرغم من ذلك فإنّ الحب عندها قد تحقق من خلال علاقة الذات بالآخر، فتقول:

الحُبُّ ومَنْ يدري أمره .....؟

الحُبُّ مِياهٌ بل خضره .....!

الحُبُّ شبابٌ بل ثوره

الحُبُّ حياتُك في دوره

الحُبُّ ومَنْ يدري أمره .....؟! (٢٤)

إنّ للنص الشعري أهمية كبيرة في التكوين النفسي من خلال القدرة على عملية التكوين، والتعبير بشكل جوهري داخل وهج الشخصية ووفق قاعدة لا تقف عند حد معين، بل تؤكد عملية انفعالية، تربط صيغ الإبداع في الملتقى والمبدع. فضلاً عن السيطرة الفعلية للشاعرة من خلال النص الشعري فتقول:

أريدُكَ شمساً تُغيّرُ الفَلَكَ

أريدُكَ بدرّاً يشقُّ الحَلَكَ

أريدُكَ أجملَ ممن أرى

أريدك ملكي ..... فهل تملك؟

أريدك وحيًا شفيق السَّنا

لأنِّي وحيي مُد كنت لك .....! (٢٥)

إنَّ استعمال الشاعرة لفظة ((أريدك)) في بداية مستهل القصيدة وكأنها نداءات متعددة أطلقتها الشاعرة لتفصح عن مكنونها الذاتي بعمليات انفعالية متعددة، لاكتمال التجربة الشعرية عبر حافز، تنيره الشاعرة في النص الشعري الحديث، ومنها تنطلق الشاعرة بالإثارة لتحديد قوة الإيقاع مع عملية الانفعال في استعمال اللغة الفعالة لتثير المتلقي عبر من خلال هذا المخزون في الداخل وسائل الإثارة، الذي يضع المبدع في تعلق ليكشف نفثات نفسية إلى وجود موضوعي متجسداً في النص الشعري، لشد عملية الخيال، الكاشفة عن الحقيقة من خلال الحدس، كون الحدس يتفجر بفعل العمليات الانفعالية، فنقول:

وأطلَّ عامٌ أذ مضى في التو عامٌ

يا مُلهمي ....!

وذكرتُ وجهكُ فانتشيتُ

وشاع في الروح ابتسامُ

وظلعتُ كال فجر الوضئ

تشقُ اسدافَ الظلامُ

وسمعتُ صوتكُ هامساً

بل قارئاً عنك السلامُ (٢٦)

إنَّ استعمال النداء (يا مُلهمي) في النص الشعر، رُفد العملية الانفعالية ليصبح وجوداً في مستوى الروح في القصيدة الحديثة، فتكون اللغة هي التجسيد الفعلي لعنصر الشعري، من خلال الفعل الحدسي، لان قضية التعبير، في فلسفة اللغة لتكون مرادفة من الناحية المنطقية لفلسفة البناء داخل النص الشعري، ومن هذا تعد هذه تجربة حية من خلال

المنظور في الأدوار العديدة التي تتصل جميعاً بحلقات اجتماعية. والعلاقة بالآخر، تكون عبر شبكات من التقابلات في صيغ من الضمائر، إذ ينبني عليها مستويات من الرؤيا العلمية، التي ترتبط بمواقع ذات إسناد من القيم الوجودية، فتقول

أترى الوجودم....؟ يا ملهمي....

فالورد مات....

وعلى الرياض قتامة

تصف الحداد....

لا همس ما بين السواقي

لا وداد.....

يروع الموت

كلُّ حائلٍ... كلُّ... جمادٍ

يا ملهمي! (٢٧)

يبدو أن كلَّ هذه النداءات والأوصاف الندية، كانت الشاعرة تبحث في فرصة اللقاء بالحبیب الذي شحَّ عنها، بل حسبته أمنية مستحيلة غير قابلة لتلبية ندائها. لذا نجد الحوار في هذه المستويات بأقصى درجات التوفيق في عملية الخطاب الشعري لتجسيد شروط التلقي، من خلال منطق العملية الشعرية، في الخطابات العديدة. من خلال تجربة الشاعرة المريرة في حب مضاع، ونفثات المرارة والألم، بعد أن كشفت خداع الحبيب الذي منحتهُ أغاني العشق فتقول:

وأراك في وضح الحقيقة عارياً من كلِّ حُسن

تتصيد الظبي الغرير على شباكٍ مطمئن

ويذلُّك الصيدُ الحرامُ مُشاكلاً من كلِّ لون

وتموتُ في الشهوات كي تحيا على أعقاب دنَّ

أتمثلُ الضليلَ فيك ضلالةً لا هدي فنَّ (٢٨)

لقد كشفت الشاعرة حقيقة الحبيب الذي مثَّله بالملك الضَّليل في لهوه وعبثه السَّفيف، فهي تأكد العمق الحقيقي للحساسية وما يفرزه الانفعال الموضوعي بتوتراته الذاتية وما يجسده من استقراء للنص الشعري. فانقطعت الشاعرة عن توصيفات الحس واللذة والافتتان بالجسد، فلم يظهر في شعرها أدب مكشوف، فأيمانها بالحب العذري، وإيمانها بقيم الطهر والنقاء، فهي تغني للحياة بوجدانٍ صافٍ وروح نبيلة، إذ تقول:

أخشى على قلبي التواء الدروب

وحيرة الليل وخفق الشموغ

وعصفة الريح وهُزء السراب

ولفحة الشمس ووخر الصقيع

أخشى على قلبي همس النسيم

ووسوسات الورق بين الغصون

أخشى يد الأسي الرفيق الرحيم

ونظرة من عين خل حنون

لا تسألوا عني فجرحي أليم

يا ليتني أدري الذي تجهلون....!(٢٩)

أَلقت الشاعرة بأجزائها وهمومها في أحضان الطبيعة، فبعثت ألامها من الليل مستودعا لأسرارها وهمومها، فالتفتت إلى الطبيعة وأدخلتها في نسيج الفكرة العامة عن الحياة، وشكواها الصارخة بما تعانيه من ألم وحرمان، فمالت نحو التأمل والعبرة. فقد اهتمت الشاعرة بنفسها، فتزاحمت كلماتها في فضاءات لا انتهاء لها في سحر من الأمل والخيال، بآليات لغوية متضافرة في النص الشعري الحديث، لتصنع إيقاعات سلسة، وصوراً خاصة ودلالة مكثفة، في رسم خيالات الشاعرة ومعاناتها النفسية. إذ بحثت الشاعرة عن حلول حاسمة في الحدس والتعبير للوصول إلى نتائج منطقية، لتكشف عن انفعالات غامضة لتحدد مستوياتها، من خلال



التقنيات التي تدفع حالات من الانفعال، فتلتبس وتكون قلقلة في محاولاتها الإدراكية من خلال التفرد الحسي أو بالتعبير عن عدة انفعالات عشوائية، ولكن بحدة متميزة، إذ لا يتحقق إلا من خلال ممارسات تظهر قدرتها لتكون الذات في لهيب الدور الرئيس والآخرين يكونون ميدان للتعبيرات، فقد رفدت النص الحديث بجمل من المفردات الواقعية مشحونة بانفعالات عميقة تكشف عن نزعاتها النفسية الشديدة، إذ تقول:

إني غرستُ بجنةِ الأشواق يا مولاي زهره  
وسقيتها من ماء حسنك يا حبيب الروح قطره  
فتنفست بالسحر توهج بالجمال وهيج جمره  
هي مثلُ خدك مثلُ قلبك حلوة في الحب مره  
ماذا أقول؟ فدنك روعي يا حبيبي الف مره  
ولقد ضللتُ فما أحيِر العُرف في قلبي ونكره  
أظل في هذا الوجوم؟ كجلمد في قلب صخره؟  
أظل في صمتٍ أيملي الحبُّ بعدُ عليّ أمره؟  
أخشى عليّ التيه في دنياك دنيا الحبِّ حيره... (٣٠)

هكذا تكشف لنا الشاعرة عن تنوع الصورة الحسية في توظيف بنية الاستفهام وتعددتها في النص الشعري ففي قولها: أظل في هذا الوجوم؟ كجلمد في قلب صخره؟

إذ نلاحظ النص في إطار تستشف منه اللفظة المرافقة للاستفهام، ومن ثم تتصاعد وتيرة الحركة شيئاً فشيئاً لترتبط بإنسان دلالاته وجود الاستفهام في بداية النص، يجعل المجال أكثر تأويلات دلالية. فضلاً عن اتساع دائرة التشبيه مع لفظة (جلمد في قلب صخره) التي تعد أكثر هيمنة في التعبير عن الرؤى المقترنة بالصورة التي منحتها فاعلية كبيرة تتدفق نحو بنية السمات الوصفية، فتكشف لنا قدرة الشاعرة على تعميق إحساس الذات الإنسانية بالحياة وما حولها، وتتكرر هذه النصوص الشعرية عبر

عملية توصيف، التي تبرز فيها صفات الحسية، فتسهم في بلورة الرؤية التي لا تقف عند حد من الحدود التي تضيق بالعمل الأدبي<sup>(٣١)</sup> إنّ الألفاظ والمعاني التي أوردتها الشاعرة في نصوصها الشعرية اتسمت بالوضوح والجدية، وصورها واخيلتها، مألوفة وسائدة، لأنها وليدة عاطفة وإحساس وشعور قوي، منتزعة من ذات الشاعرة وبطريقة مباشرة ومألوفة ترتبط بتراسل الحواس النمطية، فقد سجلت ((اتجاهاً أسلوبياً يسهم في تشكيل صورة فنية ذات مضمون تتكاثف فيه الانفعالات الوجدانية، وتشخيص المعاني المجردة وجعلها حية في ذهن))<sup>(٣٢)</sup> لترتقي إلى الكشف الذي يضيء التجربة الشعرية، لتطرح ما هو جديد على مستوى الإفادة والإمتاع. كون اللغة تعد الإدارة الأولى للشاعر وللأديب عموماً<sup>(٣٣)</sup>. فإنّ كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة، وهي نظام متعارف عليه من الرموز التي يتفاهم بها الناس. أي أنها تقوم على نوع من التنسيق بين الصور السمعية والمفاهيم، لأنها على وفق هذا التكوين ستقيم علاقات جديدة بين الإنسان والأشياء، وبين الكلمة والكلمة، لأنّ وظيفة اللغة ((تعبيرية جمالية انفعالية تستخدم للتعبير عن أحاسيس واتجاهات، وأثارتها عند الآخرين))<sup>(٣٤)</sup>. ويبدو أنّ امتلاكها يتم باستخدام الإمكانات الذهنية أو الذاكرة. فقد اتسمت بذروة الانفعال بموضوعاتها. ونظمها للقصيدة التي تعبر عن عاطفتها الجياشة، فضلاً عن اهتمامها بالجانب الديني، فتقول:

قالوا: تَعَشَّقَتِ الإِله؟

فقلت: عشقاً ليس مثله....!

قالوا: متى كان الغرام؟

فقلت: ليس اليوم قَبْلَهُ....!

قالوا: ومن؟

قلت: الهوى سرّ تخطاه العلق.....

شعري أذاع الحبّ ..... هل بعد الإذاعة قولُ مَنْ؟

قالوا: فَمَنْ؟ قالوا: فَمَنْ....؟

قلت الذي.. برأ النسم

أهوى الذي خلق الوجودَ من العَدَمِ

أهوى الذي سوّك من لحمٍ ودَمٍ

أهوى الذي شقَّ الضياءَ عن الظلمِ

أهوى الذي علّى وعَلَّمَ بالقلمِ

قالوا: تعالى مَنْ له الملكوت من برأ النسم<sup>(٣٥)</sup>

إنّ مفردات النص الشعري ترتبط بالحوار، بأدق التفاصيل في الصوت والصورة والحس، فنتج عن ذلك دلالات مكثفة معبرة عن بناء عالم للنص، فهي تظهر بثبوت صفائها بذكر الله سبحانه وتعالى كثيراً في نصوصها الشعرية. إنّ هذه الانطلاقة المستمرة مع ذكر الله سبحانه وتعالى جعلت من الشاعرة تتحسس الشعور بالوجود الإلهي، وهذا مما جعلها تحلق في أجواء الاستفهام (هل بعد الإذاعة قول مَنْ) فهي تحمل دلالة التساؤل فتجيب (أهوى الذي خلق الوجود من العَدَمِ) حتى ذهب عدد من الدارسين بصوفية شعر عاتكة. بل شعرها عابق بتلك النفحات الصوفية<sup>(٣٦)</sup> ويبدو أنّ شعر عاتكة يُفصح عن قيم أخلاقية وتعليمية، وغرضه وعظي إصلاح، إنّ الصوت في النص الشعري الذي أعطى دوراً هاماً في تفسيرها ومفهومها. فاستعمال اللفظة المناسبة في المكان المناسب في النص الشعري، له اثر كبير في بناء القصيدة. كون الأصوات تعد رموزاً للمعاني، والشاعر الجيد يمتاز عن غيره، في استخدام أحسن الألفاظ وأنسبها تعبيراً عن تجربته الشعرية، إذ نجد في قصيدة (شهرزاد):

ولحاظ تفضح الليلَ بسحر عبقرِيٍّ

وبدّت أُنْدَى من الورد واشهر للعيانِ

تملاً الليلَ ترانيمَ كرنّاتِ المثاني

وأقاصيصُ بها كانت أساطير الزمانِ

رُدِّدت في كل أذنٍ وعلى كل لسانٍ.... (٣٧)

إنَّ القصيدة تحمل طابعاً عاطفياً تعج بالكلمات الحسية، اذ تعطي بعداً نفسياً جديداً للقصيدة الحديثة، بل تنمو مع الأفق نمواً طبيعياً حتى تكتمل في النهاية، كما ينتمي الحدث الدرامي، فهي مزيج من الصور المتخيلة (ولحاظ تفضح الليل بسحر عبقرٍ)، فقد أملت الليل ترانيم، وأقاصيص، بها كانت أساطير، وعن سياقها، كونها ترتبط مع الصور المتخيلة التي لها دلالاتها الشعورية. وكل الألفاظ الحسية لها قيمة كبيرة، كونها تعد وسيلة لتنشيط الحواس وإلهابها.

لقد شكلت اللغة الشعرية عند الشاعرة أنموذجاً دقيقاً في الوصف، وهو الأساس في تفصيل الحركات الناتجة من الجمل الشعرية، والمنظومة البنائية للنص الشعري، لإبراز العمل الأدبي من خلال لغة شعرية تجمع هذه الأطر ورموزها لتنتقل إلى التحولات لرصد المعادلة الأدبية ولاسيما الشعر، للوصول إلى القاعدة الأساسية لربة الشعر والصور الحسية الموحية لهذا المنطق الشعري. لقد تنوعت الشاعرة في استعمال النص الجديد، وهذا واضح من خلال عدم تقيدها بمذهب أدبي أو مدرسة فنية معينة، في شعرها، إذ نجد الرومانسية وكثير فيه شيء من الواقعية، فضلاً عن طغيان الأسلوب الخطابي والوعظي في شعرها. فالشاعرة مقلدة وملتزمة بكل ما يمت للقصيدة من خصائص فنية مفروضة، ففي شعرها الأسئلة التقريرية الساذجة على نحو لافت للنظر، فضلاً عن استعمالها (سيدي، مولاي) وكأنها تحاكي ما جاء في نداءات الشاعر نزار قباني في نصوصه الشعرية لسيدته ومولاته، إلا أن هذه النداءات أوقعت الشاعرة في التكلف والمواربة، فقد استعملت أسلوب النداء (يا شاعري، يا هاجري، يا ملاكي، يا ملهمي، يا آسري، يا دنياي) وقد حفل شعرها بالسرود البارد، فغلب عليها النزعة التحفظية، وانمازت الشاعرة بفخامة

الأصوات وجزالتها وتناسقها، إذ تكشف عن براعة في النظم وسيطرة في توزيع الأصوات، وتوظيف القيم الصوتية، واهتمام الشاعر بوحدة البيت واستقلاله. وتوزيع المقاطع الشعرية في النص الحديث، جعل منها تهتم بتنظيم النصوص الشعرية إلى مقاطع مرتبة ترتيباً قصدياً يخضع إلى تنظيم واعٍ لا فكارها.

- (١) ينظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م: ٣٩.
- (٢) جينالوجيا المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة: احمد السلطاني وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٨: ٧٩.
- (٣) ينظر: نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، روز غريب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م: ٤٢٢.
- (٤) ينظر: شاعرات العراق المعاصرات، سلمان هادي الطعنة، منشورات المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٨م: ١٢٠-١٢١.
- (٥) ما الشعر العظيم: يوسف سامي اليوسف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١م: ١٤٨.
- (٦) ينظر: الأدب النسوي العربي المعاصر، عائشة عبد الرحمن، منشورات أضواء باريس، ١٩٦٢م: ١٣٢.
- (٧) ينظر: المرأة في القرآن والسنة، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧م: ٣٠.
- (٨) الحرية في أدب المرأة، عفيف فرّاج، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م: ٢٠.
- (٩) ينظر: الأدب النسوي العربي المعاصر: ١٣٣-١٣٤.
- (١٠) المصدر السابق: ١٣٤.
- (١١) ينظر: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، الدكتورة سلمى الخضراء الجبوسي، ترجمة: الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ٢٣٤-٢٣٥.
- (١٢) ينظر: الحرية في أدب المرأة: ٢٠.
- (١٣) المجموعة الشعرية الكاملة: ٤١٠.
- (١٤) في النقد الأدبي الحديث، فائق مصطفى، وعبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط٢، ٢٠٠٠م: ٩٠.
- (١٥) ينظر: النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م: ٥.

- (١٦) الشعر العراقي الحديث، في معايير النقد الاكاديمي العربي، عباس ثابت حمود، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٠م: ١٧.
- (١٧) الجسد في الأدب النسوي، منتهى طارق المهناوي، مجلة الأقلام، العدد، ٣، ٢٠١٠م: ١٥٨.
- (١٨) الحرية في أدب المرأة: ١٤.
- (١٩) ينظر: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق، دار الفكر، عمان، ط٤، ٢٠٠٨م: ١١.
- (٢٠) مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المكتبة العالمية، بغداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٣م: ٣٩٦.
- (٢١) ينظر: مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث، مرشد الزبيدي، مجلة الأقلام، العدد، ٨، ١٩٨٩م: ١٠٨—١٠٩.
- (٢٢) النقد التطبيقي التحليلي: ١٣.
- (٢٣) حركة الإبداع، خالدة سعيد، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م: ٢٩.
- (٢٤) المجموعة الشعرية الكاملة: ١٣٥.
- (٢٥) المصدر السابق: ١٣٧.
- (٢٦) المصدر السابق: ١٣٧.
- (٢٧) المصدر السابق: ١٥٠.
- (٢٨) المصدر السابق: ١٥٩.
- (٢٩) المصدر السابق: ١٩٤.
- (٣٠) المصدر السابق: ٢٢٠.
- (٣١) ينظر: الخروج عن الدائرة، د. كريم حسن اللامي، دار الفراهيدي، بغداد، ط١، ٢٠١٣: ٦٣.
- (٣٢) الخروج عن الدائرة: ٧٠.
- (٣٣) ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، دار الفصحى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨: ٤٢.
- (٣٤) الأسس النفسية للأبداع الفني في الشعر خاصة، مصطفى سوييف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م: ٢٨١—٢٨٢.
- (٣٥) المجموعة الشعرية الكاملة: ٣٠.

- (٣٦) ينظر: نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر: ٤٢٣؛ ينظر: المرأة أفق الأدب العربي، داود سلوم، بغداد، ٢٠٠٢م: ١١٧. وينظر: الغزل الصوفي في شعر عاتكة الخزرجي، فرح غانم صالح حميد البيرماني، مجلة كلية التربية للبنات، بغداد، مجلد ١٨/١/٢٠٠٧م: ٢٧.
- (٣٧) المجموعة الشعرية الكاملة: ٣٣٨.



### المصادر والمراجع

١. الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، د. سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢. الأدب النسوي العربي المعاصر، عائشة عبد الرحمن، منشورات أضواء، باريس، ١٩٦٢م.
٣. الأسس النفسية للأبداع الفني في الشعر خاصة، مصطفى سويف، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٩م.
٤. الجسد في الأدب النسوي، منتهى طارق المهناوي، الأقلام، العدد ٣، ٢٠١٠م.
٥. جينا لوجيا المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة: أحمد السلطاني وعبد السلام بن عبد العالي، دار تو بقال، المغرب، ط١، ١٩٨٨م.
٦. حركة الإبداع، خالدة سعيد، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
٧. الحرية في أدب المرأة، عفيف فرّاج، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
٨. الخروج عن الدائرة، د. كريم حسن اللامي، دار الفراهيدي، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.
٩. شاعرات العراق المعاصرات، سلمان هادي الطعمة، منشورات المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٨م.
١٠. الشعر العراقي الحديث، في معايير النقد الأكاديمي العربي، عباس ثابت حمود، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٠م.
١١. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، دار الفصحى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٢. الغزل الصوفي في شعر عاتكة الخزرجي، فرح غانم صالح حميد البيرماني، مجلة كلية التربية للبنات، مجلد ١٨/١، ٢٠٠٧م.
١٣. في النقد الأدبي الحديث، فائق مصطفى، وعبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٤. ما الشعر العظيم، يوسف سامي اليوسف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١م.
١٥. المجموعة الشعرية الكاملة، عاتكة الخزرجي، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٦م.
١٦. مدخل إلى تحليل النص الأدبي، عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق، دار الفكر، عمان، ط٤، ٢٠٠٨م.
١٧. المرأة في أفق الأدب العربي، داود سلوم، بغداد، ٢٠٠٢م.
١٨. المرأة في القرآن والسنة، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧م.
١٩. مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث، مرشد الزبيدي، مجلة الأقلام العدد ٨، ١٩٨٩م.
٢٠. مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المكتبة العالمية، بغداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢، ١٩٨٣م.
٢١. نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، روز غريب المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٢. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م.
٢٣. النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

# ترك الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ظاهرة أندلسية

د. هشام فالج حامد  
كلية الآداب / جامعة سوران

## ملخص البحث

يُعد الحديث النبوي الشريف منبعاً ثراً أصيلاً من مصادر الشواهد النحوية، يُغني به اللغة العربية، ويفيد منه ثروة تضاف إلى ألفاظها، وأساليب جديدة تضم إلى استعمالاتها. فإن أحاديثه (صلى الله عليه وسلم)، كانت ولا تزال نموذجاً حقيقياً للنثر القديم.

لذا كان من المنهج الحق أن يتقدم الحديث النبوي الشريف سائر كلام العرب في باب الاحتجاج باللغة والنحو والصرف، ولكن النحويين اعتمدوا الشعر مصدراً وجعلوه أهم المصادر لاستقراء الشواهد النحوية، واختلفوا في كلام النبي (صلى الله عليه وسلم)، في جعله مصدراً من مصادر الشواهد النحوية والصرفية.

وما أردت عرضه وتقديمه في هذا البحث، هو استقراء أسباب هذا الخلاف، وهل يعد خلافاً حقيقياً أو هو وهم وقع فيه مدعوه ؟ وإذا كان خلافاً فمن أين نبع هذا الخلاف ؟ وما هو موقف النحاة القدماء منه، فهل أهملوا الاستشهاد به أو هي دعوى لأبي الحسن بن الضائع الأندلسي (٦٨٠ هـ)، وتبعه في ذلك أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) ؟ وما هو موقف نحاة المشرق العربي من هذه الدعوى، ومن وافق ابن الضائع وأبو حيان من علماء المشرق العربي في ادعائهما.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مبحثين وكل مبحث من مطلبين تسبقهما مقدمة، وتعهما خاتمة تبين نتائج البحث.

أمّا المبحث الأول كان عنوانه : (الظاهرة الأندلسية ونحاة الطبقة الأولى)، وكان مطلبه الأول عن: (ترك الاستشهاد بظاهرة أندلسية)، والمطلب الثاني: (نحاة الطبقة الأولى (ما قبل السابع الهجري)).

وأما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: (نحاة الطبقة الثانية الأندلسية والمشرقية) (ما بعد القرن السابع الهجري)، فجعلت مطلبه الأول بعنوان: (نحاة الأندلس)، والثاني: (نحاة المشرق العربي).

وجاءت الخاتمة لتلخص أهم ما خرج به البحث من نتائج توصلت إليها.

**Abandoning Quoting the Honourable Prophetic Hadith:  
An Andalusian Phenomenon**

by

**Inst. Hisham Falih Hamid, Ph.D.**

**College of Arts/ Suran University**

**Abstract**

There is no doubt that the Prophet' speech (peace and blessing be upon him) was the purest among Arabs speech. He had the speech conventions, so it was worthy to get his speech as main source instead of all others in arguments in language, grammar and morphology. But the grammar scientists took the poetry as a main source to select the grammatical and morphological evidences; and the scientists argue about the Prophet's (peace and blessing be upon him) speech.

The study unfolds the reasons of this argument; is it a physical argument or just a delusion? If it is a real argument, where has it come from? And what was ancient grammar scientists' attitude about it? Did they ignore taking it as evidence? Or it was just a claim of Abi alhassan Bin Dhaei Alandalusi (680 AH) and his follower Abu Hayan Alandalus (745 AH)? And what was Middle East grammar scientists' attitude towards this claim? And who are those who agreed with Ibn Dhaei and Abu Hayan from Middle East grammar scientists in their claim?

The paper is divided into two parts and each part consists of two section preceded by an introduction and closed with a conclusion.

The first part was entitled as "The Andalusian Phenomenon and the Grammarians of the First Class." Its first section is "Abandoning of Quoting; An Andalusian Phenomenon," and its second section is "The Grammarians of the First Class in the Pre-Seventh Century Hegira."

The second part is entitled as "The Grammarians of the Second Andalusian Levantine Class after the Seventh Century Hegira," and its first section is entitled as "The Grammarians of Andalusia," and the second is "The Grammarians of Al-Meshreq."

The conclusion sums up the most important points that the writer found in his paper.



## المقدمة

الحمد لله المنعوت بجميل الصفات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد(صلى الله عليه وسلم)، أشرف الكائنات، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وبعد:

لا ريب أن نبينا محمداً(صلى الله عليه وسلم)، كان أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً، وأسدهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طريق الصواب<sup>(١)</sup>، قد أوتي مجامع الكلم وهي المقدرة على تأدية المعاني الواسعة بألفاظ قليلة<sup>(٢)</sup>، فمن فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقتضبها، ولم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وتجري مجرى الأمثال، وفي هذا المقام، يقول سيدنا علي: (رضي الله عنه)، (ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا قد سمعتها من النبي(صلى الله عليه وسلم)، وسمعتة يقول: مات حتف أنفه، وما سمعته من عربي قبله)<sup>(٣)</sup>. وكان المحيطون بالرسول(صلى الله عليه وسلم)، وهم فصحاء العرب لا يكتمون إعجابهم بفصاحته ويصارحونه بذلك فكان يجيبهم:(وما يمنعني من ذلك فإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين)<sup>(٤)</sup>. قال يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبي(صلى الله عليه وسلم)<sup>(٥)</sup>.

ولأجل ذلك يُعد الحديث النبوي الشريف منبعاً ثراً أصيلاً من مصادر الشواهد النحوية، يُغني به اللغة العربية، ويفيد منه ثروة تضاف إلى ألفاظها، وأساليب جديدة تضم إلى استعمالاتها. فإن أحاديثه (صلى الله عليه وسلم)، كانت ولا تزال نموذجاً حقيقياً للنثر القديم.

لذا كان من المنهج الحق أن يتقدم الحديث النبوي الشريف سائر كلام العرب في باب الاحتجاج باللغة والنحو والصرف، ولكن النحويين اعتمدوا الشعر مصدراً وجعلوه أهم المصادر لاستقاء الشواهد النحوية،

واختلفوا في كلام النبي (صلى الله عليه وسلم)، في جعله مصدرا من مصادر الشواهد النحوية والصرفية.

وما أردت عرضه وتقديمه في هذا البحث، هو استقراء أسباب هذا الخلاف، وهل يعد خلافا حقيقيا أو هو وهم وقع فيه مدعوه ؟ وإذا كان خلافا فمن أين نبع هذا الخلاف ؟ وما هو موقف النحاة القدماء منه، فهل أهملوا الاستشهاد به أو هي دعوى لأبي الحسن بن الضائع الأندلسي (٦٨٠ هـ)، وتبعه في ذلك أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) ؟ وما هو موقف نحاة المشرق العربي من هذه الدعوى، ومن وافق ابن الضائع وأبو حيان من علماء المشرق العربي في ادعائهما.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مبحثين وكل مبحث من مطلبين تسبقهما مقدمة، وتعقبهما خاتمة تبين نتائج البحث وقائمة بمصادر البحث ومراجعته.

أمّا المبحث الأول كان عنوانه : (الظاهرة الأندلسية ونحاة الطبقة الأولى)، وكان مطلبه الأول عن: (ترك الاستشهاد ظاهرة أندلسية)، والمطلب الثاني: (نحاة الطبقة الأولى) (ما قبل السابع الهجري)).

وأمّا المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: (نحاة الطبقة الثانية الأندلسية والمشرقية) (ما بعد القرن السابع الهجري))، فجعلت مطلبه الأول بعنوان: (نحاة الأندلس)، والثاني: (نحاة المشرق العربي).

وجاءت الخاتمة لتلخص أهم ما خرج به البحث من نتائج توصلت إليها.

وختاماً أسأل الله العليّ القدير أن يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى والصلاح والرشاد والهدى وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجنبني الخطأ والزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

## المبحث الأول

### (الظاهرة الأندلسية ونحاة الطبقة الأولى)

#### المطلب الأول: (ترك الاستشهاد ظاهرة أندلسية)

الحديث لغة: نقيض القديم. والحدوث: نقيض القدمة. حدث الشيء يحدث حدثاً حدثاً وحادثةً، وأحدثه هو، فهو أحدث وأحدث حديثاً، وكذلك استحدثه<sup>(٦)</sup>. والحديث الجديد من الأشياء، والخبر القليل والكثير، والجمع أحاديث على غير قياس<sup>(٧)</sup>.

وفي اصطلاح المحدثين: ما أضيف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، قول أو فعل أو تقرير أو صفة<sup>(٨)</sup>.

وفي اصطلاح النحاة: هو قول النبي (صلى الله عليه وسلم)، وإنما يهتم النحويون بالقول ؛ لأنه موضوع النحو ومنبع استدلالاتهم ومرجع أحكامهم<sup>(٩)</sup>.

يمثل الحديث النبوي الشريف مكانة سامية في الدين الإسلامي، وبدأت العناية به في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث حرص الصحابة على روايته شفويًا، وذلك أن الحديث لم يدون في عصر النبوة لانشغال المسلمين بتدوين وحفظ القرآن الكريم، مضافاً على ذلك نهيه (صلى الله عليه وسلم)، من تدوين الحديث في بواكير الإسلام، فلقد روى عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أنه قال : خرج علينا رسول ونحن نكتب الأحاديث فقال: ((ما هذا الذي تكتبون؟ فقلنا: أحاديث نسمعها منك فقال: كتاب غير كتاب الله، أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما كتبوا من كتب مع كتاب الله ؟ قلنا: أحدثت عنك يا رسول الله قال: حدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).<sup>(١٠)</sup> وهناك غير واحد من تلك الأحاديث النبوية التي نهت عن التدوين بالكتابة، إلى أن جاء الخليفة الأموي عمر بن العزيز (رضي الله عنه)، فأمر بجمع الحديث النبوي



كتابة، حينئذ توال المحدثون بتدوين ما كانوا يحفظون من حديثه (عليه الصلاة والسلام).

ولم يقف اهتمام المسلمين بالحديث النبوي الشريف عند جمعه فحسب، بل تعداه إلى السند والمتن، وكان قد تولد عن هذا الاهتمام علم يسمى (علم الحديث)، ومنه علم الجرح والتعديل، وعلم رجال الحديث والعلل والسند وغيرها من العلوم المتعلقة بالحديث النبوي الشريف.

لكن ما يعنينا من ذلك كله هو علاقة النحاة بالحديث النبوي الشريف، وموقفهم من الاستشهاد بالحديث النبوي في تثبيت القواعد النحوية والصرفية، وكان لابد من استيضاح ما جرى بين النحاة من خلاف حول الاستشهاد بالحديث النبوي في تثبيت القواعد النحوية والصرفية، بعد أن جعلوا كلام العرب شعرا ونثرا شاهدا بلا خلاف ولا معارض، مع دعوى لترك الاحتجاج بكلام خير البشر (صلى الله عليه وسلم)، في مرحلة من مراحل التحقيق النحوي.

عرفت العصور الأولى من تاريخ النحو موقفا قد يكون غريبا وغامضا للبعض من الاستشهاد بالحديث النبوي في تثبيت القواعد النحوية والصرفية، واستمر الحال على ما هو عليه إلى أن وصلنا إلى القرن السابع الهجري، وهو بداية ظهور الخلاف بين فريقين مانع ومجوز من الاستشهاد بالحديث النبوي.

وإني في هذا البحث لست بصدد تقديم مناقشة آراء العلماء المجوزين والمانعين، وذلك أن العلماء تكلموا عن هذه القضية كثيرا. وعللوا وناقشوا أقوال الفريقين، وملئت كتبهم بالحوارات والمناقشات ما بين تثبيت وتفنييد لأدلة الطرفين.

وما أردت تقديمه في هذا البحث هو مناقشة قضية أخرى، بإمكانية تسميتها هوية المانعين والمجوزين لهذا الخلاف، ومن أين ينبع أو بدأ الخلاف في الاستشهاد بالحديث النبوي، وما هو أسبابه وغاياته.

لا ريب أن هناك خلافا واسعا وكبيراً ذكره النحاة بعد القرن السابع الهجري في قضية الاحتجاج بالحديث النبوي، وظهور بعض المانعين من الاحتجاج وهما الحسن بن الضائع الأندلسي (٦٨٠ هـ)، وأبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ).

والذي ذهب إليه ابن الضائع وأبو حيان الأندلسيان كان بدعاً على عدة، من أبرز تلك الدعوى والتي تهمني في بحثي، هو ترك النحاة الأوائل كـ(عيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، والكسائي وغيرهم)، الاستشهاد بالحديث النبوي<sup>(١١)</sup>. يقول أبو حيان: (إن علماء العربية الذين استنوا قوانينها وقواعدها لم يبنوا أحكامهم على ما ورد في الحديث)<sup>(١٢)</sup>. وإن هذا الموقف الذي ذهب إليه ابن الضائع وأبو حيان، من رفض الاحتجاج بالحديث النبوي، قد يتضمن موقفاً غريباً وغامضاً إن لم نقل أنه يقارب الاستهانة، يقول الشاطبي منكرًا عليهم موقفهم: (هم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفائهم الذين يبولون على أعقابهم وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا ويتركون الأحاديث الصحيحة،.... ولو وقفت على اجتهداهم قضيت منه العجب)<sup>(١٣)</sup>.

لا شك أنه لم يكن ثمة خلاف واضح وصريح عند النحاة الأوائل في الاحتجاج بالحديث النبوي في المرحلة الأولى للقياس، كما أدعى أبو حيان من أن الأوائل رفضوا الاحتجاج بالحديث، وذكرت الدكتورة خديجة الحديثي صمت النحاة عن هكذا خلاف فقالت: (بقي النحاة صامتين عن الخوض في حكم الاحتجاج بالحديث حتى جاء أبو الحسن المعروف بابن الضائع (٦٨٦ هـ)، الذي كان أول من نُقلَ عنه أنه أشار إلى احتجاج النحويين بالحديث)<sup>(١٤)</sup>.

لقد سكت نحاة تلك المرحلة عن الاستدلال به ولم يشذ منهم أحد<sup>(١٥)</sup>. ولم يذكر عن أحدهم أنه تحدث عن الاستشهاد به أو تركه أو وضع شرطاً لذلك، تقول الدكتورة الحديثي عن ذلك: (ولو أن النحاة الأوائل كسيبويه

وشيوخه ومن عاصرهم أو جاء بعدهم من البصريين والكوفيين لا حظوا ذلك وتتبعوه وحاولوا أن يبينوا لنا أيصح الاحتجاج بالحديث أم لا يصح ؟ وما شروط ما يصح الاحتجاج به منه وما حدوده لكفونا نتائج التخطب في هذا الأمر، ولحددوا للمتأخرين من النحاة والباحثين ومسارهم في ذلك. ولما بقي النحاة منذ زمن كأبي حيان يأتون بآراء متناقضة، يختلفون ويتجادلون ويتحامل بعضهم فيها على بعض، ويوجه إليه المطاعن من غير سند من واقع صحيح أو رأي سليم<sup>(١٦)</sup>.

إن هذا الكلام الذي نقلته يمكنني من القول: إن النحاة الأوائل لم يتعرضوا لقضية الخلاف في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، ولم يتطرقوا للمسألة في مجالسهم التي كانوا يتناظرون فيها في القضايا النحوية والصرفية، ولم يُنقل إلينا من ذلك الخلاف شيء إن كان موجودا كما ادعي أبو حيان، ولو دار بينهم مثل هذا النوع من الخلاف لوصل إلينا ولو بعض من هذا النقاش والخلاف. وقد نقل أبو البركات الأنباري (٥٧٧ هـ)، في إنصافه حول فعل الأمر أمعرب أم مبني واحتجاج الكوفيين بالحديث النبوي في تلك المسألة<sup>(١٧)</sup>، ولا تجد للبصريين ردا على الكوفيين في اعتمادهم الحديث النبوي، ولا يعيبون عليهم شيئا، مع محاولة الفريقين إيجاد أي ثغرة علمية للرد على الفريق الآخر.

ولا يعني من ذلك كثرة الاحتجاج أو قلته ؛ لأن الأصل هو احتجاجهم بالأحاديث النبوية في تثبيت القواعد النحوية والصرفية، بحسب مقتضى الحال وسعة المؤلف الذي ألفه. وربما كانت تلك القلة من الاستشهاد تعود إلى التأخر في تدوين الحديث النبوي.

مما يعني أن ما نقل إلينا من كلام عن النحاة الأوائل من علماء القرن السابع الهجري وما بعده، وما ذكره المعاصرون في كتبهم من ترك الأوائل للاستشهاد بالحديث النبوي، كلها أقوال هي من توقعاتهم وتصوراتهم واستنتاجاتهم، ولا توجد نصوص صريحة من أقوال النحاة

القدماء. ولقد كشف ابن الضائع بنفسه عن ذلك، حين اعترف أن مسألة إجماع الأوائل عن اعتماد حجية الحديث بسبب الرواية بالمعنى مسألة قد رآها هو، واستتبطها هو، فهي من باب المعقول لا المنقول<sup>(١٨)</sup>. فقال: (تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث)<sup>(١٩)</sup>. وجاء أبو حيان من بعده ليعلن بصراحة مطلقة أن هذا هو من بنيات الأفكار ومن استتباط المتأخرين فقال: (وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء)<sup>(٢٠)</sup>.

وقد ذكر الدكتور محمد ضاري جملة من كلام العلماء المعاصرين الذين ذهبوا إلى رفض الاحتجاج بالحديث النبوي بدعوة ترك القدماء للاحتجاج بالحديث في تثبيت القواعد النحوية والصرفية، ومنهم (إبراهيم مصطفى وعبد الصبور شاهين ومهدي المخزومي وعبد العال سالم مكرم وغيرهم). فقال بعدما نقل أقوالهم وآراءهم: (وقفت أتأمل هذه الأحكام وما فيها من صرامة في القطع، مثلما صادرتها الأولى ومنابعها الحقيقية، فألفيتها تعود إلى ابن الضائع (٦٨٠ هـ)، وأبي حيان (٧٤٥ هـ)، اللذين وقفا لابن مالك (٦٧٢ هـ)، جراء اعتماده الحديث النبوي أصلا من أصول اللغة والنحو، وقفة المعارضة والخصومة.... فهاك في نفسي من تلك الأحكام شيء)<sup>(٢١)</sup>. ومنها اعتراض ابن الضائع على ابن خروف الأندلسي (٦٠٩ هـ)، احتجاجه بالحديث النبوي وعده مخالفا لنهج القدماء<sup>(٢٢)</sup>. واعتراض أبي حيان على ابن مالك بقوله: (قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب)<sup>(٢٣)</sup>.

هذه الأقوال<sup>(٢٤)</sup>، وغيرها التي وردت عن ابن الضائع وأبي حيان هي التي تلقفها الباحثون من غير تمعن وتثبت في مصادر هذه الأقوال وما

مدى صحته أو ثبوتها عن النحاة الأوائل قبل القرن السابع الهجري. وقد استغرب د. محمد ضاري مسلك النحاة فقال: (ومن الغريب أن يتلقى العلماء هذه الدعوة بلا فحص أو تمحيص، وأن ترسخ في الأذهان وتثبت في الأوراق وأن يقنع بوقوعها الذين منعوا الاحتجاج بالحديث والذين أجازوه ! فلقد راح المجوزون يحاولون تعليل هذه الظاهرة بعد أن سلموا بوقوعها، غير متنبهين على ضرورة التحقق من صدق ما يسمعون)<sup>(٢٥)</sup>.

هذا التشكك والتذبذب في الآراء والأقوال وغياب الصريح من الأقوال، الذي دفعني إلى النظر والتمعن في كلام وأقوال<sup>(٢٦)</sup> الكثير من النحاة، الذين جعلوا ابن الضائع الأندلسي أول من أشار إلى أن النحاة القدماء قد امتنعوا عن الاحتجاج بالحديث النبوي، وأنه قد ادعى أنه سلك مسلكهم وذهب إلى ما ذهبوا إليه. وقولهم عن الفريق الآخر المتمثل بابن مالك الأندلسي في جعله أول المعترضين على ما قيل من منع الاحتجاج بالحديث النبوي وأنه أنكر ما قيل بحق النحاة القدماء، وألف كتابا في الاحتجاج سماه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح).

فتبين لي بعد التدقيق والاستقراء والتتبع من واقع الخلاف الحاصل ما بين ابن الضائع الأندلسي (٦٨٠ ت)، وابن مالك الأندلسي (٦٧٢ هـ)، اللذين عاشا في القرن نفسه، إنها مرحلة من مراحل الثورات الأندلسية المتعددة والمتنوعة على المشرق العربي، في كل الاتجاهات والقضايا، كالسياسية ممثلة بـ (ابن هود) (وابن الحمر الذي أسس مملكة غرناطة)<sup>(٢٧)</sup>، والفقهية التي ترأسها ابن حزم الظاهري (٤٥٦ هـ). والقضايا الفلسفية والكلامية التي كانت ظاهرة في كتب ابن رشد (٥٩٥ هـ). والقضايا النحوية واللغوية التي ابتدأها ابن مضاء القرطبي (٥٩٢ هـ)، في كتابيه (الرد على نحاة المشرق، وكتابه الرد على النحاة)، والذي رد عليه ابن خروف (٦٠٩ هـ)، بكتاب سماه (تنزيه أئمة النحو عما

نسب إليهم من الخطأ والسهو)، ولما بلغ ذلك ابن مضاء اغتاض وقال: (نحن لا نبالي بالأكباش النطاحة وتعارضنا أبناء الخرفان)<sup>(٢٨)</sup>.

ما يجعلني القول جازما وبلا ريب إلى أن قضية ترك الاستشهاد بالحديث النبوي التي أثارها ابن الضائع، هي من جملة القضايا التي أثارها أهل الأندلس على أهل المشرق العربي، ومما ويؤيد ذلك أن الحقبة التي عاشها ابن الضائع هي حقبة الثورات الأندلسية على المشرق العربي، وظهور منكر ومعارض لما ذهب إليه ابن الضائع من الأندلسيين المعاصرين له وهو ابن مالك، يؤكد أن الخلاف في الاستشهاد بالحديث النبوي، انطلق في أول أمره من أهل الأندلس ولم تكن هذه الظاهرة موجودة في المشرق العربي لاسيما عند النحاة الأوائل ولم يشر إليها لا في كتبهم ولا في مناظراتهم. وأن أية دعوى لإلصاق هذه الظاهرة الواردة من أهل الأندلس بالمشرق العربي على أنها ظاهرة كانت موجودة عند نحاة المشرق العربي هي دعوة باطلة ولم أر أحدا من نحاة المشرق العربي من تماشى مع هذه الدعوة.

وقد ذكر الدماميني أن الأئمة القدماء اعتمدوا الحديث بلا تردد فقال: (لا نعلم احدا من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في (شرح التسهيل) وأبو الحسن بن الضائع في (شرح الجمل) وتابعهما على ذلك الجلال السيوطي)<sup>(٢٩)</sup>.

ويتبين من قول الدماميني أن هذه المسألة منحصرة في العلماء الثلاثة ولم يكن مسلكا أو منهجا لعلماء العربية، (وأن دائرة ضيقة هي التي اخترعت تلك الدعوى، وأن عدم الاحتجاج بالحديث مسألة نظرية محضة ينسفه الاحتجاج الواسع بالحديث على مر العصور، وأن ما تتناثر من أقوال في شأن المنع لم يكن سوى عاصفة كلامية وجدت في هذا الأمر مادة (غنية) لمخاصمات شخصية وجدال طويل، وإذا كان ابن الضائع وأبو حيان هما حدود تلك الدائرة الضيقة المتأخرة فليس يوسع هذه الحدود

أن يلتحق بهم السيوطي في موقف غامض مضطرب<sup>(٣٠)</sup>. ويعد السيوطي الوحيد من نحاة المشرق العربي الذي قيل أنه التحق بركبهما مع عدم وضوح رأيه صراحة، والمطلع على أقوال السيوطي لا يجد ثباتاً لرأيه ولا تحديداً لموقفه.

وبعد كل ما قدمته من أقوال وآراء وتحليلات، استطيع القول إن هذه الظاهرة الأندلسية، هي من جملة القضايا والخلافات المتنوعة والمتعددة التي خالف فيها أهل الأندلس أهل المشرق العربي في قواعدهم وأصولهم. ومن الصق هذه الظاهرة الأندلسية بالمشرق العربي، هو أبو الحسن بن الضائع وأبو حيان، وما نقله السيوطي عنهما، مع إيهام القارئ ميله له ما سهل ترسيخه هذه الظاهرة الأندلسية لاسيما عند المعاصرين.

### المطلب الثاني: (نحاة الطبقة الأولى) (ما قبل السابع الهجري)

وبعد أن سردت جملة من الأقوال والمواقف في المطلب السابق واستوضحت وبيّنت مكنوناتها وخفاياها، قسمت النحاة إلى طبقتين، جعلت الطبقة الأولى لنحاة ما قبل القرن السابع الهجري، والطبقة الثانية لنحاة ما بعد القرن السابع الهجري وقسمت الطبقة الثانية إلى أندلسية ومشرقية بين المانعين والمجوزين من كلا الفريقين.

#### ❖ الطبقة الأولى:

حوت كتب الطبقة الأولى من النحويين واللغويين والمعجميين الكثير من الاحتجاجات بالأحاديث النبوية على خلاف ما أورده ابن الضائع وأبو حيان من ترك الأوائل الاستشهاد بالحديث النبوي، والمتتبع لكتب العلماء يجد كما من تلك الأحاديث النبوية المستشهد بها، وقد ذكرت الدكتور خديجة الحديثي وقوفها على بعض منها في كتاب سيبويه: (بعد جمعي للأحاديث التي احتجّت بها كتب النحو والصرف التي استطعت الحصول عليها ابتداء من كتاب سيبويه—)<sup>(٣١)</sup>. فكتاب سيبويه يعده العلماء من أوائل كتب النحو التي وصلت إلينا وقد وجدت فيه شواهد للأحاديث النبوية.

وسأبدأ هذه الطبقة بالخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ)، وذلك لأن الذين سبقوه كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ)، وغيره من العلماء كانت استشهادهم وأقوالهم منتشرة بين الكتب وصحائف وصلت بعضها إلينا، لذلك ابتدأت بمن كان عنده كتاب بين أيدي الدارسين.

١- الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ): يعد من أوائل النحاة الذين احتج بالحديث النبوي الشريف في مسائل النحو والصرف في مواضع عدة من كتابه العين حتى أن محقق الجزء الأول من كتاب العين ذكر: (أنه سيكون للفهارس جزء خاص بعد نهاية الكتاب يشتمل على الأعلام، والقوافي، والمسائل اللغوية، والآيات والأحاديث)<sup>(٣٢)</sup>. وقد عدت الدكتور خديجة الحديثي الخليل بن أحمد الفراهيدي الثاني من النحاة الذين احتجوا بالحديث النبوي بعد أبي عمرو بن العلاء<sup>(٣٣)</sup>. ولم أرد أن أغادر الخليل من دون ذكر ما قاله عنه النظر بن شميل المازني (٢٠٣) فقال: (ما رأيت أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد)<sup>(٣٤)</sup>.

٢- سيبويه (١٨٠ هـ): يعد من النحاة المحتجين بالحديث النبوي وهو أول من وصلت إلينا آراؤه وآراء شيوخه بين دفتي كتاب ثابت النسبة له جامع لمعظم قواعد النحو والصرف<sup>(٣٥)</sup>، ويعد كتاب سيبويه المصدر الأساسي في علم العربية، فهو كتاب جمع القواعد النحوية والصرفية المبنية على الشواهد الشعرية والقرآنية والحديثية.

ويعد الباحث عثمان مكي أول من تنبه من الباحثين المحدثين إلى احتجاج سيبويه بالحديث النبوي في بحثه الاستشهاد بالحديث النبوي حيث عثر على ثلاثة أحاديث في كتابه فعده أول من احتج بالحديث النبوي من النحاة<sup>(٣٦)</sup>.

وما أشكل على الباحثين الذين كتبوا عن سيبويه أنه لم يستشهد بالحديث النبوي ؛ وذلك لأنه لم يشر للأحاديث التي احتج بها في كتابه على أنها أحاديث، إنما كان يسوقها في درج الكلام أو من ضمن كلام العرب ويبدأ



بها كما يبدأ بغيرها من الكلام مثل قوله: (ومثل ذلك...)، (أما...)، (أما قولهم...)، (ومن العرب من يدفع فيقول...) (٣٧).

ولكن كثيراً من الباحثين وتتبعوا ما في كتاب سيبويه من أحاديث نبوية سواء صرح بها أم لم يصرح وأثبتوا أنها أحاديث نبوية صحيحة احتج بها في كتابه (٣٨).

٣- الفراء (٢٠٧ هـ): قال الدكتور أحمد مكي الأنصاري: (لقد انتهج الفراء منهجا جديدا في الاستشهاد بالحديث النبوي، وذلك أنه اعتمد الحديث واحتج به في النحو واللغة احتجاجا مباشرا ..... وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه يؤسس مذهباً جديداً يغاير المذهبين معا وهو المذهب البغدادي) (٣٩).

ويعده أول المحتجين بالحديث النبوي وأنكر على الباحثين الذين قالوا بأن ابن خروف الأندلسي هو أول المحتجين بالحديث النبوي (٤٠).

وقد عد الأنصاري المنهج الذي سلكه الفراء منهجا عظيما فقال: (أن اعتماد الفراء على الحديث كان اعتمادا على مصدر عظيم من مصادر اللغة في الاحتجاج وعمله هذا جدير بالتقدير ولا سيما ما يتعلق بالأحاديث التي ثبتت صحتها وثبت نقلها بلفظها ولو كانت من لفظ الصحابي العربي ؛ لأنه يؤخذ بقوله كما يؤخذ بقول سائر العرب والإعراب) (٤١). واحتج على قوله هذا بما ذهب إليه صاحب كتاب (غيث النفع) من أن الأصل في الأحاديث "نقلها بلفظها، وادعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلا بدليل، ومن مارس الأحاديث ورأى تثبت الصحابة والآخذين عنهم -رضي الله عنهم- وتحريمهم في النقل حتى أنهم إذا شكوا في لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها أو تركوا روايته بالكلية، على علم يقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلا بألفاظها) (٤٢).

٤- المبرد (٢٨٥ هـ): احتج المبرد في كتابه الكامل الذي هو كتاب في اللغة والأدب بما يقارب (٩٠) حديثا، تقول الدكتورة خديجة

الحديثي: (احتج في مواضع كثيرة لكنها في الغالب احتجاجات لغوية أو بلاغية أو أدبية واحتج بالحديث في مواضع نحوية وصرفية معدودة أما في المقتضب فقد كانت أغلب الأحاديث التي أوردتها محتجا بها في موضوعات صرفية ونحوية)<sup>(٤٣)</sup>. أما كتابه المقتضب وهو كتاب خاص بالقواعد النحوية والصرفية، شبيه بكتاب سيبويه، فالمبرد قسمه إلى أبواب كل باب منه يبدأ بلفظه وهو كالكتاب تماما، واحتجاج المبرد في المسائل النحوية على نوعين، نوع أوردته سيبويه قبله فتابعه في الاحتجاج به من غير أن ينبه على أنها أحاديث كما هو الحال عند سيبويه. واحتج بها كأى عبارة منثورة مكتفيا بنقل سيبويه لها واحتجاجه بها وثوقا بما ينقل سيبويه<sup>(٤٤)</sup>. وتقول الدكتور خديجة بعد أن أوردت جميع الأحاديث التي احتج بها المبرد: (يتبين لنا من مجموع هذه الأحاديث على اختلاف أنواعها أنه يجيز الاحتجاج بالحديث النبوي وبالحديث المنسوب إلى الصحابة وال البيت رضي الله عنهم جميعا- في مسائل والصرف النحو)<sup>(٤٥)</sup>.

ولو أردت متابعة كل كتب القدماء النحوية واللغوية والمعجمية لوجدت أضعاف ما ذكرت من احتجاجات بالحديث النبوي. ولا أريد السرد ؛ لأن البحث لا يسمح بالإطالة أكثر من ذلك، ولكن الدكتور خديجة والدكتور محمد ضاري فصلوا القول عن النحاة القدماء وكيف أنهم احتجوا بالحديث ونقلوا جميع المواضع في هذا الشأن وسأكتفي بذكر العلماء فقط: أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، سيبويه (١٨٠هـ)، الفراء (٢٠٧هـ)، أبو عبيدة (٢١١هـ)، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، ابن السكيت (٢٤٤هـ)، المبرد (٢٨٥هـ)، الزجاج (٣١١هـ)، ابن السراج (٣١٦هـ)، ابن دريد (٣٢١هـ)، أبو بكر بن الأنباري (٣٢٨هـ)، الزجاجي (٣٣٧هـ)، ابن النحاس (٣٣٨هـ)، ابن درستويه (٣٤٧هـ)، أبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ)، السيرافي (٣٦٨هـ)، ابن

خالويه (٣٧٠هـ)، أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ)، العسكري (٣٨٢هـ)،  
الرماني (٣٨٤هـ)، ثعلب (٢٩١هـ)، ابن جني (٣٩٢هـ)، ابن فارس  
(٣٩٥هـ)، القيسي (٤٣٧هـ)، ابن سيدة (٤٥٨هـ)، ابن بابشاذ  
(٤٦٩هـ)، الزمخشري (٥٣٨هـ)، ابن الشجري (٥٤٢هـ)، أبو  
البركات ابن الأنباري (٥٧٧هـ)<sup>(٤٦)</sup>.

والغريب أن كل هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم ذكرهم الباحثون  
مستقرئين كتبهم على أنهم استشهدوا بالحديث النبوي قليلا أو كثيرا بحسب  
الحاجة ومقتضى الحال ثم بعد ذلك كله يأتي باحثون معاصرون ويقولون  
بأن القدماء لم يستشهدوا بالحديث النبوي، وكلهم اعتمد على ما نقله أبو  
حيان من دون تثبت لما نقل، والحق هي دعوة باطلة ألصقت بالنحاة  
الأوائل من غير تثبت ولا تتبع، وكان منبع هذه الدعوة كما ذكرت سابقا  
هم نحاة الأندلس، أبو الحسن ابن الضائع وتلميذه أبو حيان وما استشهدت  
بهم من النحاة الأوائل خير دليل على أن نحاة المشرق العربي كانوا بعيدين  
عن مثل هكذا دعاوى ولا تمت القضية إليهم بصلة سوى أنها إحدى  
المسائل المثارة والملازمة من الأندلسيين على تراث هذه الأمة، والعجيب  
في هذه القضية الكبيرة، أنك لا تجد مشرقيا واحدا على الأقل وافق ابن  
الضائع وأبو حيان فيما ذهبوا إليه من مذهب منكر ومردود عند نحاة  
المشرق العربي، ومن باب الإنصاف وقول الحق لا يمكنني إنكار موقف  
الكثير من علماء الأندلس في دحض هذه الظاهرة القادمة إلينا من ديارهم.

## المبحث الثاني

### (نحاة الطبقة الثانية (ما بعد القرن السابع الهجري))

#### المطلب الأول (النحاة الأندلسيون) :

وهذه الطبقة الثانية التي تبدأ من القرن السابع الهجري وفيها كانت  
بدايات إثارة الخلاف في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي، وظهور فريقين  
مانعين ومجوزين للاستشهاد.

وقد قسمت هذه الطبقة إلى قسمين، القسم الأول أهل الأندلس وهو المطلب الأول، والقسم الثاني أهل المشرق العربي وهو المطلب الثاني، وكل قسم ينقسم إلى مانعين ومجوزين.

• **القسم الأول أهل الأندلس:** وأهل الأندلس هم أول من بدأ الخلاف، وأثار الإشكالية حول الاحتجاج بالحديث النبوي، ووصل غبار هذا الخلاف إلى نواة المشرق العربي، الأمر الذي لم يكن موجوداً أو مشاعاً على الأقل بين أوساط نواة المشرق.

• **المانعون:**

١- علي بن محمد الاشبيلي، الشهير بأبي الحسن ابن الضائع (٦٨٠ هـ):  
يعد ابن الضائع أول الرافضين الاستشهاد بالحديث النبوي، ويتضح ذلك في قوله: (تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة حديث النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه من المقطوع به أنه أفصح العرب) (٤٧).

وكان ابن خروف الأندلسي يستشهد بالحديث النبوي كثيراً فأنكر عليه ابن الضائع فقال عنه: (وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروي فحسن، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى) (٤٨).

فهذا تصريح منه على عدم جوازه الاستشهاد بالحديث على إطلاقه، ويعد هو أول من صرح بترك الاحتجاج بالحديث النبوي، وأشار إلى أن الأوائل لم يستشهدوا بالحديث النبوي في تثبيت القواعد النحوية والصرفية؛ لأن الأحاديث لم تكن من لفظ النبي (صلى الله عليه وسلم)، وإنما رويت

بالمعنى وهي من ألفاظ الرواة، لذلك لم يعدوها أساسا في إثبات القاعدة نحوية أو البناء صرفي.

وتقول الدكتورة خديجة: (ابن الضائع لم يفصل في هذا تفصيلا واضحا، إنما وجد رأيه هذا عند تلميذه أبي حيان)<sup>(٤٩)</sup>.

ولقد وقفت متمعنا في قول أبي الحسن ابن الضائع في كونه تابع القدماء في ترك الاحتجاج بالحديث النبوي، وتابعت ما قاله لعلني أجد من القدماء من أشار إلى ما ادعاه عليهم ابن الضائع من تركهم الاحتجاج بالحديث النبوي، ولم أجد ولو إشارة على ما ألصقه بهم من تركهم الاستشهاد، ولم يصلنا منهم أي خبر أو أي تعليق عن هذه القضية، بل إنني باستقراء أقوال القدماء وجدت خلاف ما ذكره، فلم أجد أحدا منهم إلا واستشهد بالحديث النبوي الشريف، بحسب مقتضى الاحتجاج والاستشهاد.

يقول الدكتور محمد ضاري: (الحق أن مجرد الإشارة إلى أرقام صفحات مصنفات هؤلاء الأئمة، بهذه الكثرة، عملية لا تخلو من إملال للقارئ. وحسب أن يرجع القارئ إلى أي أثر لغوي بخاصة ما تركه أولئك ليرى مبلغ استشهادهم بالحديث)<sup>(٥٠)</sup>.

٢- محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ): يعد أبو حيان ثاني النحاة من الأندلسيين الذين أنكروا الاحتجاج بالحديث النبوي وبشكل واضح وصريح، بل أنه يعد (أشدّهم مبالغة فيه وإنكارا على مخالفيه)<sup>(٥١)</sup>، وادعى أن هذا القول والرأي هو ما ذهب إليه النحاة الأوائل وأورد بعض الأدلة التي لاتصل إلى حد الاحتجاج، وهذه الأقوال التي أوردها هي التي اعتمد عليها العلماء المعاصرون لمنع وترك الاحتجاج بالحديث النبوي.

ولم يتوقف أبو حيان عند الذي ذهب إليه شيخه ابن الضائع إلى ترك الاحتجاج، بل تجاوز في منع الاستشهاد بالحديث النبوي إلى الإنكار والتهجم على ابن مالك استشهاده بالأحاديث النبوية، وعده ممن خالف نهج

الأوليين والآخرين. فقال عن ابن مالك: (قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أن الواضعين الأولين لعلم لنحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس)<sup>(٥٢)</sup>.

وذكر في موضع آخر اشد مما قال في القول السابق عن ابن مالك: (إن علماء العربية الذين استنوا قوانينه أو قواعده التي بنوا أحكامها على ما ورد في الحديث ... وجاء هذا الرجل متأخرا فزعم أنه يستدرك على المتقدمين ما أغفلوه، وينبه الناس على ما أهملوه، والله در القائل : ليأتي آخر هذه الأمة بأفضل مما أتى بها أولها)<sup>(٥٣)</sup>.

وكل هذه الأقوال وغيرها التي أوردها أبو حيان ما هي إلا استنتاجات من مخيلته العظيمة التي لا تجد منها شيء قاله النحاة الأوائل أو أنه صرح بشيء منها، حتى أنه لما أراد تعليل ما ذهب إليه من ترك الاحتجاج بالحديث أحتج فيما ذهب إليه ابن الضائع ولم أجد للقدماء من تلك الأقوال شيئا ولا حتى إشارة سوى ما علله ابن الضائع، وعده أبو حيان من الأذكياء فيما علله فقال عنه: (بعض المتأخرين الأذكياء)<sup>(٥٤)</sup>، والعلة هي الرواية بالمعنى ولا يمكن الوثوق في أن ذلك هو من قول النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولست بصدد مناقشة هذه العلة أو غيرها؛ لأنه ليس موضع بحثي سوى أنني أردت أن أبين أنه لا يوجد شيء من تلك الأقوال يمكن نسبها للقدماء، وأن تلك الأقوال والتعليلات محصورة ما بين آراء ابن الضائع وأبو حيان وليس للقدماء منها نصيب، سوى ما تصوره عنهم فأنسبوه لهم، والقدماء من ذلك التصور براء.

ومن غريب القول والفعل الذي جعلني أقف مستغرباً بعد تلك الأقوال الصارمة والتهجمات من أبي حيان على مَنْ جوز الاستشهاد بالحديث النبوي، أني وجدت أبا حيان قد احتج في بعض المواضع بأحاديث للنبي (صلى الله عليه وسلم)، لتثبيت مسائل نحوية ذهب إليها، يقول أبو الطيب: (بل رأيت الاستشهاد بالحديث في أبي حيان نفسه) <sup>(٥٥)</sup>. بل إنني وجدته أحياناً لا يذكر شاهداً إلا الحديث وحده دون سائر المصادر التوثيقية الأخرى <sup>(٥٦)</sup>. ومن تلك المواضع:

(١) استشهد بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) ((مَنْ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ...)) <sup>(٥٧)</sup>. واستشهاده على "من" في كونها لابتداء الغاية في غير المكان <sup>(٥٨)</sup>.

(٢) استشهد بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) ((أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش...)) <sup>(٥٩)</sup>، وعد أبو حيان (بيد) بمعنى (غير) في الاستثناء المنقطع <sup>(٦٠)</sup>.

(٣) استشهد بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) ((أعور عينه اليمنى)) <sup>(٦١)</sup>، على أن اليمنى صفة لعين، وعين معمول الصفة <sup>(٦٢)</sup>.  
(٤) استشهد بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) ((من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كأنما صام الدهر)) <sup>(٦٣)</sup>، جوز تذكير العدد إذا حذف المعداد <sup>(٦٤)</sup>.

## ١. المجوزون :

١ - علي بن محمد أبو الحسن ابن خروف الأندلسي، النحوي حضر من إشبيلية، وكان إمام في العربية، محققاً مدققاً، ماهراً مشاركاً في الأصول. أخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالخدب، مات سنة (٦٠٩ هـ) <sup>(٦٥)</sup>. عده ابن الضائع أول من استشهد بالحديث النبوي: (وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن،

وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى<sup>(٦٦)</sup>. وقد خالف أبو حيان شيخه ابن الضائع، وذلك أن أبا حيان يعد ابن مالك هو أول المكثرين من الاحتجاج بالحديث النبوي في تثبيت القواعد النحوية والصرفية<sup>(٦٧)</sup>. مع أن الباحثين وقفوا على الأحاديث التي استشهد بها ابن خروف، فوجدوها قليلة واستغربوا قول ابن الضائع وصفها بالكثيرة، ولا توجد أدلة في كتب ابن خروف تثبت صحة قول ابن الضائع في كونه أكثر من الاحتجاج بالحديث النبوي<sup>(٦٨)</sup>.

٢- الإمام الحجة الثبت، أبو عبد الله جمال الدين بن مالك (٦٧٢ هـ). يعد ابن مالك في طليعة النحاة الذين توسعوا في الاستشهاد بالحديث النبوي لتثبيت القواعد النحوية، (حتى صار من مميزات مذهبه النحوي ومن ثم أقيم عليه النكير ورمي بالخروج على النحويين المتقدمين والمتأخرين)<sup>(٦٩)</sup>. بل عده البعض من المتشددين في جواز الاستشهاد بالحديث النبوي مستدلين بقول ابن جماعة لابن مالك: (يا سيدي هذا الحديث رواية الأعاجم، ووقع فيه من رواياتهم ما يعلم أنه ليس من لفظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلم يجب شيئاً)<sup>(٧٠)</sup>.

والظاهر من القول الذي نقله السيوطي أنه أراد أن يشير إلى أن ابن مالك لم يكن دقيقاً في توثيق الأحاديث النبوية، ولا يتثبت من صحتها وأسانيدها، إلا أن الأمر خلاف ذلك وليس كما أشار إليه السيوطي. فعلى الرغم من توسع ابن مالك وتشدده في الاحتجاج بالحديث النبوي، فلا يعد حاطب ليل فيما كان يستشهد به من أحاديث نبوية، كما هو واضح من عنوان كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح)، فظاهر عنوان الكتاب يشير إلى أنها أحاديث في كتاب صحيح البخاري، والأمة مجمعة على صحة ما في البخاري من أحاديث. (ولا كان من عاداته أن يستدل "في إثبات القواعد النحوية مما روي في الحديث وفي الآثار مما نقله الأعاجم الذين يلحنون، ومما لم يتعين أنه من لفظ



الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا من لفظ الصحابة" (٧١)، وإنما كان مثبتاً مما ينقل، مطمئناً إلى ما يقول، حتى أنه كان يذكر اختلاف الروايات، ويسرد أسماء الرواة (٧٢).

ولا يفوتني أن أذكر أن ابن مالك لم يتردد بالتصريح بتشدده في الاحتجاج بالحديث النبوي في مواضع عدة من كتابه كقوله: (والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، والصحيح الحكم بجوازه مطلقاً لثبوته في كلام أفصح الفصحاء) (٧٣)، أراد أن يثبت وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً. وذكر في موضع آخر وهو يتكلم عن خبر كاد مقروناً: (فإذا انضم إلى هذا التعليل استعمال الفصح ونقل صحيح، كما في الأحاديث المذكورة تؤكد الدليل ولم يوجد لمخالفته سبيل) (٧٤).

فلذلك يعد ابن مالك أول المتوسعين بالاستشهاد بالحديث النبوي، بدليل أنه أول من ألف كتاباً في الاستشهاد بالحديث النبوي، لكنه ليس أول المحتجين.

والتشدد الذي وصف به ما هو إلا لوجود منكرين متشددين للاحتجاج بالحديث النبوي، الأمر الذي لم يكن موجوداً في الزمن الذي قبل زمانه مما جعله يتشدد في إثبات ذلك، وهذا التشدد الذي وصفه به بعض الباحثين، لا يعد غريباً؛ لأنه التشدد مميزة إمامة بها المدرسة الأندلسية في طرح آرائها، والمتتبع لآثار المدرسة الأندلسية يجد هذا الأمر واضحاً وجلياً في طروحات وآراء علمائها في شتى المجالات والتخصصات اللغوية والدينية والسياسية وغيرها.

### المطلب الثاني: (نحاة المشرق العربي).

وهذه الطبقة التي ظهرت بعد أن بدأ الخلاف يظهر واضحاً وجلياً عند علماء الأندلس في المشرق العربي، مما جعل الكثير من علماء المشرق العربي يخوضون القضية التي لم يتطرق إليها النحاة الأوائل على كثرة

الخلاف الواسع بين المدرستين البصرية والكوفية حتى أنه ألفت في الخلاف كتباً عدة، من أشهرها الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، والتبيين في مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، للزبيدي (ت ٨٠٢ هـ)، فليس من المعقول أن لا تجد لمثل هذه المسألة الكبيرة موضعاً في خلافتهم، مما يجعلني القول متيقناً بأنهم لم يختلفوا في المسألة، بل لم تكن مطروحة للخلاف عندهم وإلا لكانت ظهرت في أحد كتبهم.

#### المانعون:

١- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ): يعد السيوطي من الذين تابعوا ابن الضائع وأباً في إنكار الاحتجاج بالحديث النبوي، مكتفياً بتخليص ما أورده من أدلة لترك الاحتجاج بالحديث النبوي.

قال الدماميني: (لا نعلم أحداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة - يعني الاستشهاد بالحديث النبوي - إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في (شرح التسهيل)، وأبو الحسن بن الضائع في (شرح الجمل)، وتابعهما على ذلك السيوطي) (٧٥).

وقد تتبع أقوال العلماء لأقف على من تابع ابن الضائع وأباً حيان من علماء المشرق العربي، فوفقت مستغرباً من تلك المواقف، حيث أنني لم أجد غير السيوطي من علماء المشرق قد وافقهم فيما ذهبوا إليه، مع أن المتنوع لأقوال السيوطي والمتمحص فيها، يجد نفسه متردداً في الحكم على السيوطي في جعله من المانعين أو المجوزين لتضارب أقواله في كتبه.

يقول السيوطي وهو يؤيد ما ذهب إليه الشيخان: (ومما يدل لصحة ما ذهب إليه ابن الضائع، وأبو حيان، أن ابن مالك استشهد على لغة (أكلوني البراغيث) بحديث الصحيحين: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)، وأكثر من ذلك حتى صار يسميها (لغة يتعاقبون) (٧٦).

وذكر في موضع آخر: (وقد بينت في (كتاب أصول النحو) من كلام ابن الضائع وأبي حيان أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية ؛ لأنه مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول، والأحاديث رواها العجم والمولدون، لا من يحسن العربية فأدوها على ألسنتهم<sup>(٧٧)</sup>). وأقوال السيوطي التي في ظاهرها توافق قول الشيخين في منع الاحتجاج كثيرة في كتبه.

إلا أنني وجدت في مواضع أخرى من كتبه خلاف ما ذكره في القولين السابقين، فقال: (وأما كلامه (صلى الله عليه وسلم) فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة - أيضا -، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى وقد تداوله الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم، فزادوا أو نقصوا، فقدموا أو أخرؤا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ولهذا نرى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث<sup>(٧٨)</sup>).

تقول الدكتورة خديجة وهي تعلق على هذا القول للسيوطي: (فهو في هذين القولين يصرح بأن هناك بعض الأحاديث رويت بلفظها "على اللفظ المروي" ثم يجدد أنها "من الأحاديث القصار وعلة قلة"<sup>(٧٩)</sup>).

وقد ذكر الدكتور محمد ضاري رأيه عن موقف السيوطي فقال: (وفي الحق أن إيهاما لا أكتم أمره قد واجهني وأنا أحاول الاطلاع على موقفه ذاك - يعني السيوطي - فإني لم أجد ثباتا على رأيي، ولا تحديدا لموقف!!<sup>(٨٠)</sup>).

وأستطيع القول في ختام الحديث عن السيوطي، إن النحوي الوحيد من نحاة المشرق العربي، الذي كان بالإمكان عده من أنصار ابن الضائع وأبي حيان، وجدته مترددا في أقواله ومتضاربا في آرائه ولا يمكن

الجزم في كونه من المانعين أو المجوزين، مما يجعلني أقف حائرا في إصدار الحكم عليه من انتسابه لفريق معين، مما يؤكد ما قلته سابقا أنني لم أجد أحدا من علماء المشرق العربي، قد وافق قول الشيخين فيما ذهبوا إليه، بعد تردد أقوال السيوطي وعدم وضوح الرؤية في موقفه وآرائه.

١. المجوزون: قد يستغرب البعض ما عنوانته هنا، وهو جعل قسم للمجوزين من نحاة المشرق العربي، مع إثباتي سابقا عدم وجود نحاة في المشرق رفضوا الاحتجاج بالحديث النبوي.

فأقول لقد وضعت العنوان لسببين، أولهما عدم مخالفة ما قسمته في طبقة الأندلسيين، والسبب الثاني وهو الأهم، هو اختياري لمجوزين من علماء المشرق ممن عاصروا ابن الضائع، وممن وهم تلاميذ لأبي حيان وقد خالفوهم فيما ذهبوا إليه ولم يتأثروا برأيهما في رفض الاحتجاج، بل أنكروا عليهم ما ذهبوا إليه، ومنهم:

١- رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (٦٨٨ هـ): وهو من العلماء البارزين، والنحاة البارعين، الذين عاصروا ابن الضائع، وابن مالك، وعاش معهم صراع الاحتجاج بالحديث النبوي.

لقد سار الاسترابادي على نهج النحاة المجوزين للاستشهاد بالحديث، وكان تولى شرح أهم كتابين لابن لحاجب (٦٤٦ هـ) هما (الكافية في النحو)، و(الشافية في الصرف)، شرحا وافيا مما يدل على سعة علمه وإطلاعه في علوم العربية، وهو في شرحه لهذين الكتابين اعتمد على الحديث النبوي، حتى أنك لتجد استشهادا بالحديث النبوي في كل باب من أبواب النحو، وقد بلغت الأحاديث التي استشهد بها في شرح الكافية إلى (٥١) حديثا، وهذا خير دليل على منهجه أو مذهبه المتابع لابن مالك في الاحتجاج<sup>(٨١)</sup>.

وكان للرضي منهجا معروفا في القياس والتعليل، وقد فرض عليه منهجه أن يلجأ إلى الاحتجاج بالحديث النبوي علّه يرجح الأحكام التي انتهى إليها لتسلم له الأقيسة والتعليلات التي نهجها ضمن منهجه<sup>(٨٢)</sup>.

ولم يكتف الرضي بنهج ابن مالك في الاحتجاج بالحديث، بل توسع إلى أبعد من ذلك وهو احتجابه بكلام أهل البيت (رضي الله عنهم)، حجة لا تشكك فيها من حيث الفصاحة والسلامة اللغوية<sup>(٨٣)</sup>، وفي ذلك يقول البغدادي: (وأما الاستدلال بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد جوزّه ابن مالك، وتبعه الشارح المحقق-يقصد الرضي- في ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت (رضي الله عنهم))<sup>(٨٤)</sup>، وهذا الذي دفع يوهان فك إلى أن يقول: (وتوسع الاسترأبادي الذي كتب حوالي سنة (٦٨٣ هـ)، شرحه على متن الكافية لابن الحاجب في صحة الاستشهاد في أمور اللغة حتى بأهل البيت وبهذا طراً على العربية تحول حاسم)<sup>(٨٥)</sup>، وفي كلامه هذا يعد يوهان فك الاسترأبادي هو أول من استشهد بأحاديث أهل البيت والصحابة (رضوان ربي عليهم جميعاً)، إلا أن هذا النهج الذي نهجه الرضي والذي عده يوهان فك بأنه تحول حاسم في العربية، لا يعد جديداً أو محدثاً ولا يعد الرضي أول من نهجه أو سلكه، كما ادعى يوهان فك، فقد وجدت أن من سبقه إلى هذا النهج هو أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)<sup>(٨٦)</sup>، وهو يستشهد بكلام سيدنا عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)، في قوله (كذب عليكم الحج، وكذب عليكم العمرة، وكذب عليكم الجهاد، ثلاثة أسفار كذب عليكم)<sup>(٨٧)</sup>، وعلى هذا يعد أبو علي الفارسي أول من استشهد بأقوال الصحابة (رضوان ربي عليهم جميعاً)، وليس كما ادعى يوهان فك.

٢- عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ): يعد من أبرع النحويين في زمانه، وكان ابن خلدون الاشبيلي الأندلسي (ت ٨٠٨)، شديد التغالي في الثناء والمدح عليه وإعجاباً بعلمه<sup>(٨٨)</sup>.

وهو من تلاميذ أبي حيان الأندلسي، ومن سمع عليه ديوان زهير بن أبي سلمى<sup>(٨٩)</sup>.

ويعد من أشد المخالفين لشيخه أبي حيان في قضية الاحتجاج بالحديث، حتى لفتت كثرت احتجاجاته بالحديث نظر من ترجموا له، فكان كثير المخالفة لشيخه شديد الانحراف عنه<sup>(٩٠)</sup>، ورفض السير وراء أقوال لم تجد من يتبنى اعتمادها فعلا وقولا.

فقد كان الاستشهاد بالحديث عند ابن هشام ركنا قويا قام عليه كل كتاب من كتبه النحوية، كـ(أوضح المسالك)، و(شرح اللوحة البدرية في علم اللغة العربية)، و(شذور الذهب)، و(قطر الندى)، ويتضح مذهبه في غزارة احتجاجه بالحديث في كتابه مغني اللبيب الذي بلغت شواهد ٧٨ شاهدا.

وتجاوز الاحتجاج بالأحاديث عند ابن هشام إلى الاحتجاج بأقوال الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين)، كـ(أبي بكر، وعمر، وعلي، وعائشة، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وعبد الله بن الزبير، وقتادة)<sup>(٩١)</sup>.

وهذا النهج الذي نهجه ابن هشام لم أجد فيه مخالفة لما ذهب إليه القدماء، سوى أنه توسع في الاستشهاد، في صورة لم يكن عليها الأولون، علما إن التوسع هذا لم يكن فيه من جديد للقواعد النحوية والصرفية التي أصلها القدماء من كلام العرب، مما يدل على أنه لم يكن في نهجه النحوي خارجا عما كان عليه النحاة القدماء.

ويتضح من نهج ابن هشام شدة مخالفته لأبي حيان، وهو من تلامذته، ولم يرتض مذهب شيخه، بل أنني لأجد من شدة مخالفته لأبي حيان ملاءه كتبه احتجاجا بالأحاديث. تفنيدا للشبهة المزعومة من أن القدماء تركوا الاحتجاج بالأحاديث النبوية، ولا يعقل أن جمعا كبيرا من

نحاة هذا القرن يخالفون القدماء فيما ذهبوا إليه، ولا نجد من يرد أو ينكر عليهم مذهبهم.

فيتين مما سبق ذكره من الأقوال أن دعاوى التي ذكرها الأندلسيون عن النحاة الأوائل عن تركهم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، دعاوى واهية ولا أصل لها، وأن ما قالوه عن النحاة الأوائل ما هو إلا من بنيات أفكارهم وما هي إلا صورة من صور ثورتهم ضد المشرق العربي، وقد بينت أن ما تداوله المعاصرون من أقوال في هذا الصدد كان مصدره أبو حيان الأندلسي والذي اعتمد في رأيه على ما ادعاه الحسن ابن الضائع رأياً منه عن الأوائل لا قولاً منقولاً عنهم.

### الخاتمة ونتائج البحث

- ١- إن دعوى ترك الاحتجاج بالأحاديث النبوية الشريفة ظاهرة أندلسية، ظهرت بعد القرن السابع الهجري.
- ٢- ثبت أن النحاة القدماء احتجوا بالحديث النبوي، من دون إشارة إلى تردد في استشهادهم كما ادعى ابن الضائع.
- ٣- لم يتوافق أهل المشرق العربي مع أهل الأندلس دعوة ترك الاحتجاج بالحديث النبوي، بل وقفوا بالضد من هذه الدعوة بكل شدة وقوة، ومُلئت كتبهم بالاحتجاجات.
- ٤- تذبذب رأي السيوطي في موافقته لمذهب ابن الضائع وأبي حيان وعدم وضوح الرؤيا في أرائه، مما يجعلني القول إنه لا يوجد أحد من علماء المشرق العربي وافق قول الشيخين فيما ذهبوا إليه.
- ٥- لم يثبت قول للقدماء في تركهم الاحتجاج بالحديث النبوي، وما قاله ابن الضائع من أن القدماء تركوا الاحتجاج كانت من بنيات أفكاره.
- ٦- جمع من المعاصرين ساروا على نهج الأندلسيين في ترك الاحتجاج وبعد استقرار أقوالهم تبين أنهم اعتمدوا على قول أبي حيان من دون تتبع وتحقيق لمواقف القدماء.
- ٧- إن ابن الضائع وأبو حيان أنفسهما ثبت أنهما قد استشهدا بالأحاديث النبوية، لاسيما أبو حيان الذي أصل بها قواعده وناصر بها مخالفه.
- ٨- إن أول من استشهد بأقوال الصحابة وأهل البيت (رضي الله عنهم جميعاً)، هو أبو علي الفارسي وليس الرضى الاستربادي.



- (١) - النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٣.
- (٢) - التبيان والتبيين ج ٢ ص ١٤.
- (٣) شرح صحيح مسلم (كتاب الجهاد والسير) ص ٤٥٦.
- (٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (باب فضائل القرآن) ص ٦٢٠.
- (٥) - البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥.
- (٦) - لسان العرب ج ٢ ص ١٣١.
- (٧) - علوم الحديث ومصطلحه ص ٥.
- (٨) - الغاية في شرح الهداية ص ٦١.
- (٩) - أصول النحو السماعية ص ٤٨ .
- (١٠) - مسند الإمام أحمد، كتاب القرآن والسنة والعلم / ٤٦/٢٢ رقم الحديث ١١٠٨.
- (١١) ينظر الاقتراح للسيوطي ص ٤٣.
- (١٢) - تمهيد القواعد ج ١ ص ٧١
- (١٣) - التذيل والتكميل ج ٥ ص ١٦٩.
- (١٤) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ١٦.
- (١٥) - ينظر أصول التفكير النحوي ص ١٣٥.
- (١٦) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ١٦ .
- (١٧) - ينظر: الاتصاف في مسائل الخلاف المسألة: (٧٢).
- (١٨) - الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٣٥٩.
- (١٩) - الاقتراح ص ١٨.
- (٢٠) - المصدر نفسه ص ١٧.
- (٢١) - الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٣٠٩.
- (٢٢) - الخزائن ج ١ ص ١٠.
- (٢٣) - المصدر نفسه ج ١ ص ١٠.
- (٢٤) - ينظر أصول التفكير النحوي ص ١٣٦.
- (٢٥) - الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٣١٠ .
- (٢٦) - ينظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ص ١٦، والحديث النبوي الشريف وأثره ص ٣١٠ .

- (٢٧) - ينظر أبو حيان الأندلسي ص ١٥.
- (٢٨) - ينظر بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٠٣.
- (٢٩) - الاستشهاد بالحديث في اللغة مقال محمد الخضر حسين مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٩٣/٣.
- (٣٠) - الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٤٢٤.
- (٣١) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ٤٢-٤٣.
- (٣٢) - العين ج ١ ص ٣٧١.
- (٣٣) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ٥٠.
- (٣٤) - ينظر الصاحب ص ١٨، ونزهة الالباء ص ٤٧.
- (٣٥) - المصدر نفسه ص ٥٠.
- (٣٦) - الاستشهاد في النحو العربي ص ٥٧.
- (٣٧) - ينظر الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ص ٦٩.
- (٣٨) - ينظر الاستشهاد في النحو العربي ص ٥٧، وفهرس شواهد سيبويه ص ٥٧ - ٥٨، احتجاج النحويين بالحديث، مجلة المجمع الأردني ص ٥٠ العدد ٣-٤ السنة الثانية.
- (٣٩) - أبو زكريا الفراء ص ٣٩٤.
- (٤٠) - ينظر المصدر نفسه ص ٢٤٢.
- (٤١) - ينظر المصدر نفسه ص ٤٠٩.
- (٤٢) - المصدر نفسه ص ٤٠٩.
- (٤٣) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ٨٨.
- (٤٤) - ينظر المصدر السابق ص ٨٨-٨٩.
- (٤٥) - المصدر نفسه ص ٩٧.
- (٤٦) - ينظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي من ص ٤٢ وإلى ص ١٧١ هـ. وينظر الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٣١٦.
- (٤٧) - الاقتراح للسيوطي ٤٣.
- (٤٨) - الخزائن ١٠/١.
- (٤٩) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ١٧.
- (٥٠) - الحديث النبوي الشريف وأثره ٣٢٠.

- (٥١) - في أصول النحو الأفغاني ص ١٨.
- (٥٢) - الخزانة ج ١ ص ١٠، وينظر الاقتراح ص ١٧.
- (٥٣) - أصول التفكير النحوي ص ١٣٧.
- (٥٤) - الاقتراح ص ١٧.
- (٥٥) - في أصول النحو ص ٤٩-٥٠.
- (٥٦) - ينظر الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٤٢٢.
- (٥٧) - الجامع المسند الصحيح المعروف بـ (صحيح البخاري) رقم الحديث (٢٩٤١).
- (٥٨) - ينظر ارتشاف الضرب ج ٤، ص ١٧١٨.
- (٥٩) - الماجد للحديث تخريجا في كتب الحديث. ينظر السير الحثيث ٢٤٤
- (٦٠) - السير الحثيث ج ٣ ص ١٥٥٤.
- (٦١) - الجامع المسند الصحيح المعروف بـ (صحيح البخاري) رقم الحديث (٣٤٤١).
- (٦٢) - ينظر ارتشاف الضرب ج ٥ ص ٢٣٥٤.
- (٦٣) - صحيح مسلم رقم الحديث (٢٠٤).
- (٦٤) - المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٥٠.
- (٦٥) - بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٠٣.
- (٦٦) - الخزانة ج ١ ص ١٠.
- (٦٧) - ينظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ص ٢١٢.
- (٦٨) - ينظر المصدر نفسه ص ٢١٧.
- (٦٩) - الاقتراح ص ٢٣.
- (٧٠) - المصدر نفسه ص ٤٢.
- (٧١) - ارتشاف الضرب ص ٨٤.
- (٧٢) - الاستشهاد النحوي في كتاب التوضيح والتصحيح ص ٢٣٧.
- (٧٣) - شواهد التوضيح ص ١٤.
- (٧٤) - شواهد التوضيح ص ١٠١.
- (٧٥) - الاستشهاد بالحديث في اللغة مقال محمد الخضر حسين مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٩ / ٣.
- (٧٦) - الاقتراح ص ١٨-١٩.

- (٧٧) - همع الهوامع ج ١ ص ١٠٥ .
- (٧٨) - الاقتراح ص ٢٥ .
- (٧٩) - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي ٢٨ .
- (٨٠) - الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٤٢٤ .
- (٨١) - ينظر الحديث النبوي الشريف وأثره ص ٣٣٩ . والسير الحثيث ص ١١٩ .
- (٨٢) - ينظر أصول التفكير النحوي ص ١٤٠ .
- (٨٣) - ينظر الحديث النبوي الشريف وأثره ٣٣٩ .
- (٨٤) - خزنة الأدب ج ١ ص ٩ .
- (٨٥) - العربية ص ٢٧٧ . يوهان فك
- (٨٦) - ينظر المجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية لوحة ١٥٣ نقلا عن أبو علي الفارسي ص ٥٦٣ .
- (٨٧) - ينظر تفسير الكشف ج ٣ ص ٤٤٢ .
- (٨٨) - ينظر تاريخ ابن خلدون ص ٧٥٥ ، ومقدمة ابن خلدون ٣٥٣ .
- (٨٩) - ينظر أبو حيان ص ٥٢٦ .
- (٩٠) - بغية الوعاة ج ٢ ص ٦٩ .
- (٩١) - ينظر مغني اللبيب ص ٢٥٩ ، ١٢٦ ، ٢٨٥ ، ٦١٥ .

## ثبت المصادر

- ١- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسير البحر المحيط. د. أحمد خالد شكري. دار عمار. الأردن ط ١ ٢٠٠٧ م.
- ٢- أبو حيان النحوي. تأليف: د. خديجة الحديثي. دار التضامن/ بغداد، ١٩٦٦ م.
- ٣- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة. تأليف: د. أحمد مكي الأنصاري. مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٤- احتجاج النحويين بالحديث. محمود حسني محمود. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد ٣-٤ ١٩٧٩ م.
- ٥- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد النحاس، ط ١، مطبعة المدني ١٩٨٧ م.
- ٦- ١- الاستشهاد بالحديث في اللغة مقال محمد الخضر حسين مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٩/٣.
- ٧- الاستشهاد النحوي في كتاب التوضيح على التصحيح (لابن مالك).
- ٨- الاستشهاد في النحو العربي. عثمان مكي. رسالة ماجستير كلية العلوم ١٩٦٩ م. (نقلا عن موقف النحاة. د. خديجة الحديثي).
- ٩- أصول التفكير النحوي. تأليف: د. علي أبو المكارم. منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية-جامعة الموصل ١٩٣٧ م.
- ١٠- أصول النحو السماعية. الباحث محمد رفعت رسالة /كلية اللغة العربية / جامعة الأزهر.
- ١١- الاقتراح في علم أصول النحو. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، قرأه وعلق عليه: د. محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦.

- ١٢- الأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) تحقيق جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١ .
- ١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. الحافظ السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، العلمية بيروت- ط ١ (٢٠٠٤م).
- ١٤- البيان والتبيين. الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الهلال- بيروت (١٤٢٣ هـ).
- ١٥- تاريخ العرب ابن خلدون. (ت ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢ ١٩٨٨ م.
- ١٩- التذييل والتكميل في شرح التسهيل. لأبي حيان النحوي. مخطوطات دار الكتب المصرية. (نقلا عن موقف النحاة. د. خديجة الحديثي).
- ٢٠- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه . البخاري (ت ٢٥٦هـ)، مطابع الشعب، مصر.
- ٢١- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية. تأليف: د. محمد ضاري حمادي. اللجنة الوطنية، ط ٢ ١٩٨٢ م.
- ٢٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية: تأليف عبد القادر البغدادي ، المطبعة الأميرية ببولاق ط ١ (١٢٩٩هـ).
- ٢٣- دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي، دمشق ط ٢ ١٩٦٠ م .
- ٢٤- السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي. تأليف: د. محمد فجال. أصول السلف.

- ٢٥- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه. تأليف: د. خديجة الحديثي. مطبوعات دار جامعة الكويت، ١٩٧٤م.
- ٢٦- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب، بيروت.
- ٢٧- الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ). علق: أحمد حسن بسبح. العلمية بيروت ط ١ ١٩٩٧م.
- ٢٨- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فيك مع تعليقات المستشرق: شيبثالر، ترجمة د. رمضان مكتبة الخانجي مصر ١٩٨٠م.
- ٢٩- علوم الحديث ومصطلحه. تأليف: صبحي الصالح. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥م.
- ٣٠- العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٥ م.
- ٣١- الغاية في شرح الهداية في علم الرواية. ابن الجزري / السخاوي. تحقيق أبو عائش عبد المنعم إبراهيم. مكتبة أولاد الشيخ للتراث. ٢٠٠١م.
- ٣٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد، وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- ٣٣- فهرس شواهد سيبويه. أحمد راتب النفاخ. دار الأرشاد. ط ١ بيروت ١٩٧٠م.
- ٣٤- في أصول النحو. تأليف: سعيد الأفغاني. دار الفكر، دمشق، ط ٣ ١٩٦٤م.

- ٣٥- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاول في وجوه التأويل للعلامة الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان الرياض ط١ ١٩٨٨م.
- ٣٦- لسان العرب، تأليف: ابن منظور(ت ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت ١٤١٤ هـ.
- ٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (ت٢٤١هـ)، طبع ونشر المكتب الإسلامي، دار صادر- بيروت، ط١ - ١٩٦٩م.
- ٣٨- المسند الصحيح المختصر. الإمام مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٩- المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة . تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- ٤٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي عبد الله، دار الفكر بيروت ط ٦ ١٩٨٥م .
- ٤١- مقدمة ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ)، دار العودة (د.ط)، بيروت، ١٩٨١م.
- ٤٢- المقرب، ابن عصفور الاشبيلي(ت٦٦٩هـ) تحقيق : كد.أحمد عبد الستار الجواري ود.عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط١، بغداد ١٩٧٢م.
- ٤٣- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف. تأليف: د. خديجة الحديثي. دار الرشيد للنشر-العراق ١٩٨١م.



٤٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، العلمية

- بيروت، ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناحي.

٤٥ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، السيوطي

(ت ٩١١هـ)، عني بتصحيحه السيد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.



# المحسنات المعنوية واللفظية

## في كتاب المثل السائر

أ.م.د. مثنى نعيم حمادي  
الجامعة العراقية / كلية الآداب

### ملخص البحث

فقد نحنا ابن الأثير بالبلاغة منحى آخر أساسه التعريف بصناعة الكتابة،  
فقسم كتابه إلى قسمين أو مقاليتين:

المقالة الأولى في الصناعة اللفظية، وتحدث في القسم الثاني منها  
عن الألفاظ المركبة، حيث عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي،  
وفيها يقول: ((وأعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع  
هي: السجع ويختص بالكلام المنثور، التصريع ويختص بالكلام المنظوم،  
التجنيس ويشمل القسمين جميعاً، الترصيع ولزوم ما لا يلزم، الموازنة)).  
وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية، فجمع بهذا العمل  
مسائل البيان والمعاني والبديع في تلك المقاليتين.

لهذا فإننا نحاول جمع ما تفرق في أنحاء الكتاب من الأنواع التي  
اشتهر بها علم البديع عند معظم المتأخرين.

مبتدئين بالمحسنات المعنوية مرتبة على الحروف الهجائية لجذر

الكلمة ثم اللفظية

### Abstract

Has tended son ether eloquent turn another definition based writing industry, dividing the book into two or two articles:

The first article in the verbal industry, and occur in the second section, including all words vehicle, as displayed in this section of the types of magnificent verbal, and in which he says: ((I know that written words industry is divided into eight types: assonance and specializes speak Wallflowers, Altbara specializes speak Almnzawm, naturalization and includes all sections, studding and necessity of what is not necessary, the budget)).

Speaking at the second article about the moral industry, gathered this work issues statement meanings and magnificent in those numbers below.

That is why we are trying to gather scattered throughout the book of the species that are known for their Literary technique when most of the latecomers.

Beginners Bamahsnat moral arranged the alphabets to the root of the word, and verbal



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين. أما بعد: فقد نحنا ابن الأثير بالبلاغة منحى آخر أساسه التعريف بصناعة الكتابة، فقسم كتابه إلى قسمين أو مقالتين: المقالة الأولى في الصناعة اللفظية، وتحدث في القسم الثاني منها عن الألفاظ المركبة، حيث عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي، وفيها يقول: ((وأعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع هي: السجع ويختص بالكلام المنثور، التصريع ويختص بالكلام المنظوم، التجنيس ويشمل القسمين جميعاً، الترصيع ولزوم ما لا يلزم، الموازنة))<sup>(١)</sup>.

وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية، فجمع بهذا العمل مسائل البيان والمعاني والبديع في تلك المقاليتين. لهذا فإننا نحاول جمع ما تفرق في أنحاء الكتاب من الأنواع التي اشتهر بها علم البديع عند معظم المتأخرين. مبتدئين بالمحسنات المعنوية مرتبة على الحروف الهجائية لجذر الكلمة ثم اللفظية وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة ومبحثين: المبحث الأول: المحسنات المعنوية. المبحث الثاني: المحسنات اللفظية. ثم الخاتمة، فالمظان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

## المبحث الأول المحسنات المعنوية

**التجريد:** وعرفه بقوله: (أخلص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه) <sup>(٢)</sup>.

وبين سر هذه التسمية، فبين أن أصله في وضع اللغة : ((من جردت السيف إذا نزعت من غمده، وجردت فلاناً إذا نزعت ثيابه، ومن هنا قال النبي ﷺ: ((لا مد ولا تجريد)) في النهي عند إقامة الحد، أن يمد صاحبه على الأرض وان تجرد ثيابه، ثم نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان)) <sup>(٣)</sup>.

وجد ابن الأثير للتجريد فائدتين <sup>(٤)</sup>:

**الأولى:** طلب التوسع في الكلام، لأنه إذا كان ظاهره خطاباً لغيرك وباطنه خطاباً لنفسك كان ذلك من باب التوسع.

**الثانية:** وهي الأبلغ أن المتكلم يتمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه إذ يكون مخاطباً بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه.

وعلى هذا الأساس قسم ابن الأثير التجريد قسمين : محضاً وغير محض.

**القسم الأول:** التجريد المحض وعرفه بقوله: ((أن تأتي بكلام لغيرك وأنت تريد به نفسك)) <sup>(٥)</sup> وهذا القسم ينطبق على تعريف ابن الأثير للتجريد. وقد قسم المحض إلى قسمين <sup>(٦)</sup>:

**الأول :** ما يمكن به تمكين المتكلم من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، وقد مثل له بقول الشاعر المعروف بالحيص بيص <sup>(٧)</sup>:

إلام يراك المجد في زي شاعر      وقد نحتل شوقاً فروع المنابر  
كتمت بعيب الشعر حلماً وحكمة      ببعضهما تنقاد صعب المفاهر

أما وأبيك الخير إنك فارس الـ مقال ومحى الدارسات الغوابر  
وإنك أعيتت المسامع والنهى بقولك عما في بطون الدفاتر  
فقد أجرى الشاعر الخطاب على غيره، وهو يريد نفسه ليتمكن من  
ذكر ما ذكره ونحن نعلم أن هذا التجريد التفات على رأي السكاكي حيث  
انتقل من التكلم إلى الخطاب<sup>(٨)</sup>.

الثاني: ما قصد به التوسع خاصة ومنه قول الشاعر :

حننت إلى ريا ونفسيك باعدت فرارك من ريا وشعباكما معاً  
فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً وتجزع أن داعي الصباية اسمعا  
ثم يقول ابن الأثير: (وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن  
المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي خشية أن يتصدعا بنفسي  
تلك الأرض ما أطيب الريا وما أحسن المصطاف والمتربعا، فانتقل من  
الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الأولى لما  
قضى عليه بالتوسع وإنما يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف  
الآخر<sup>(٩)</sup> وهذا النوع هو التفات من المخاطب إلى المتكلم على رأي  
الجمهور، وكان الأخرى بابن الأثير أن يضم هذا النوع إلى أنواع الالتفات  
عنده.

أما القسم الثاني: فهو تجريد غير محض<sup>(١٠)</sup>، فهو خطاب للنفس  
لا للغير، ومن أمثلته :

أقول لها وقد جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي  
الاستدراج:

يقول أنه استخرجه من كتاب الله تعالى، وعرفه بقوله : ((وهو  
من مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال))<sup>(١١)</sup>.  
ويوضح أن مدار البلاغة فيه إنما تكمن في النكت الدقيقة التي  
يستعملها في استدراج الخصم للإذعان والتسليم.

ويقول: ((وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك الطريق))<sup>(١٢)</sup> فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾<sup>(١٣)</sup>.

يقول ابن الأثير: ((ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطفه فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقاً فيصحبكم بعض الذي يعدكم أن تعرفتم له))<sup>(١٤)</sup>.

ثم يقول: ((إنما قال يصيبكم بعض الذي يعدكم، وقد علم أنه نبي صادق وإن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم، لا بعضه ذلك لأنه احتاج مقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم إليه، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وادخل من تصديقهم إياه، فقال: ((وإن يك صادقاً يصحبكم بعض الذي يعدكم)) وهو كلام المنصف في مقابلة المشتط، وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله: ((يصحبكم بعض الذي يعدكم)) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيّاً، فضلاً عن أن يتعصب له، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، كأنه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه، لئلا ينفروا منه))<sup>(١٥)</sup>.

ويقول ابن الأثير في آخر الآية: ((لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات))<sup>(١٦)</sup>، وفيه من خداع الخصم واستدراجه مالا خفاء فيه.



وللاستدراج مسالك وتصرفات عجيبة في القرآن الكريم، كشف عنها ابن الأثير ببراعة وإتقان، نرى ذلك حين تكلم عن قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ١٧﴾ يقول ابن الأثير: ((هذا كلام يهز أعطاف السامعين، وفيه من الفوائد ما أذكره وهو أنه لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل رتب الكلام معه في أحسن نظام، مع استعمال المجاملة واللفظ، والأدب الحميد، والخلق الحسن مستضيئاً في ذلك بنصيحة ربه، وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئة طلب منبه على تماديه، موقظ من غفلته لأن المعبود لو كان حياً مميزاً سمياً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب، إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة، ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبیین فيكف بمن جعل المعبود جماداً لا يسمع ولا يبصر يعني به الصم ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق، مترقياً به، فلم يسم أباه بالجهل المطلق، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال أن معي لطائفة من العلم وشيئاً منه، وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق، فلا تستتكف، وهب أنني وإياك في مصير وعندي معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعني أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتنبيطه عما كان عليه ونهيه ثم حذره من سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال: ((إني أخاف أن يمسك عذاب)) فنكر العذاب ملاطفة لأبيه، وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله يا أبت توسلاً إليه واستعطافاً)) (١٨).

ثم يقول: ((وفي القرآن مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما في مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم - للكفار - والرد عليهم))<sup>(١٩)</sup>.  
**الأرصاد:**

ويعرفه بقوله: ((وان يبني الشاعر البيت من شعره على قافيه قد أرصدها له، أي أعدها في نفسه، فإذا أنشد البيت عرف ما يأتي في قافيته))<sup>(٢٠)</sup> ثم يذكر أن ذلك محمود الصنعة، لأن الكلام ما دل بعضه على بعض، فقد افتخر ابن نباته السعدي بذلك فقال<sup>(٢١)</sup>:

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب      صدورها عرفت منها قوافيها  
ثم يبدأ ابن الأثير في التمثيل لهذا النوع البديعي بما جاء منه شعراً ويختمه بما جاء منه نثراً، فما جاء منه شعراً قول النابغة<sup>(٢٢)</sup>.

فداء وأمرئ سارت إليه      بعذرة ربها عمي وخالي  
لو كفي اليمين نفتك خوفاً      لأفردت اليمين عن الشمال  
ثم يقول: ((إلا ترى أنه يعلم إذا عرفت القافية في البيت الأول أن في البيت الثاني ذكراً للشمال))<sup>(٢٣)</sup>.

وأما ما جاء منه نثراً فقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً  
وَّاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٢٤)</sup> عرف أن بعده يختلفون لأنه تقدم ما يدل عليه<sup>(٢٥)</sup>.

ويذكر ابن الأثير أنه قد رأى أبا هلال العسكري يسمي هذا النوع باسم التوشيح ((وليس كذلك بل تسميته بالأرصاد أولى حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فإنه نوع آخر من علم البيان))<sup>(٢٦)</sup>.

والملاحظ مما تقدم أن تعريف ابن الأثير للأرصاد لم يكن دقيقاً لأنه خصه بالشعر حيث قال: ((أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافيه قد أرصدها له، أي أعدها في نفسه، فإذا أنشد صدر البيت عرف ما

يأتي به في قافيته)) (٢٧) على الرغم من هذا فقد مثل له نثراً والتعريف لم يشمل النثر كما شمل الشعر.

ولهذا عرفه الخطيب القزويني بقوله: ((أن يجعل من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي)) (٢٨).

أما تسميته بالأرصاد فقد انفرد به ابن الأثير ولعل أول من نبه إليه عبد الله بن المقفع بقوله عندما سئل عن البلاغة ((وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته)) (٢٩)، ولم يسمه وجاء قدامه فسماه التوشيح (٣٠) وجاراه في التسمية كل من أبي هلال العسكري (٣١)، وأطلق عليه ابن رشيق التسهيم متابعاً في ذلك علي بن هارون المنجم (٣٢).

وجاء الأرصاد على لسان ابن الأثير، فجاءت على لسان من بعده إلا أن الخطيب أطلق عليه اسم الإرصاد أو التسهيم (٣٣).

وقد ذكر العلامة السبكي: ((أن الأرصاد إنما سمي إرصاداً لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها وسمي تسهيماً من البرد المسهم المستوي الخطوط، وقيل يسمى تسهيماً، لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام إلى عجزه والتسهيم، تصويب السهم إلى الغرض)) (٣٤).

### عكس الظاهر:

وقد عرفه ابن الأثير بقوله: ((وهو نفي الشيء بإثباته وعده من مستظرفات علم البيان. ذلك لأنك ((تذكر كلاماً يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي للموصوف أصلاً)) (٣٥).

ومن أمثلة هذا النوع قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف مجلس رسول الله ﷺ ((لا تنتهي فلتاته)) أي لا تداع وليس المعنى ذلك بل المعنى أنه لم يكن ثم فلتات تنتهي.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قول الشاعر:

لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينحجر

فظاهر المعنى من البيت أنه كان هناك ضب ولكنه ليس منحجر وليس الأمر كذلك، لأن المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلاً.

وسبب قلة استعمال هذا النوع من الكلام، كما يقول ابن الأثير: ((أن الفهم يأباه ولا يقبله إلا بقريضة خارجة عن دلالة لفظه على معناه، وما كان عارياً عن قرينه فإنه لا يفهم منه ما أراد قائله))<sup>(٣٦)</sup>.

ولئن كان هناك قريضة وضحت المراد من قول علي عليه السلام ((لا تتنى فلتاته))، وهي أنه قد ثبتت في النفوس، وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزّه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فليس هناك قريضة تبين المراد من قول القائل ((ولا ترى الضب بها ينحجر)) ويقول ابن الأثير: ((أنه مكث يطوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد إلا بيتاً لأمرئ القيس هو :

على لا حب لا يهتدي بمناره إذا ساقه العود النباطي جرجرا<sup>(٣٧)</sup>

فقوله ((لا يهتدي بمناره)) ظاهرة أنه له منار ولكنه لا يهتدي به، وليس الأمر كذلك بل وإنما المراد: أنه لا منار له، فيهتدي به.

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يطلع على كتاب العمدة، لابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦هـ، لأنه يقول: ((قد طوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد غير ما تقدم))<sup>(٣٨)</sup> مع العلم بأن ابن رشيق أورد هذا النوع وسماه نفي الشيء بإيجابه<sup>(٣٩)</sup>.

ومن أمثلته قول الشاعر:

بأرضٍ خلأ، لا يسد وصيدها عليّ ومعروفي بها غير منكر

حيث أثبت بها في اللفظ وصيداً، وإنما أراد: ليس لها وصيد وقد عده من البديع.

ومن أمثلته أيضاً قول أبي ذؤيب<sup>(٤٠)</sup>:

متفلق أنساؤها عن قائي      كالقِرط صاوٍ غبره لا يرضع  
فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، ولكن أراد أنها لا لبن لها  
فيرضع.

وقد دل العلامة السيوطي على هذا النوع من الكلام في علم البديع  
وأطلق عليه نفي الشيء بإيجابه متابعاً فيه ابن رشيق صاحب العمد<sup>(٤١)</sup>.

### المقابلة:

نجد كثيراً من النقاد والبلاغيين قد وقفوا إزاء هذه الظاهرة  
البديعية، فقد ذكرها ابن المعتز تحت مصطلح المطابقة<sup>(٤٢)</sup>، ووقف عندها  
أبو هلال العسكري فعرفها قائلاً: ((المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله  
في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة))<sup>(٤٣)</sup>.

ويتحدث ابن سنان عن التناسب فيذكر أنه ((إما عن طريق  
التقارب بين اللفظين في المعنى، وإما عن طريق التضاد أو قريباً منه))<sup>(٤٤)</sup>  
وتناول هذا المصطلح مفرقاً بين المطابقة والمقابلة مبيناً أن ((الأليق  
من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال فيه من  
وجهين أما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه  
ثالث))<sup>(٤٥)</sup>.

فالمصطلح الذي اختاره ليعالج قضية التوازي عن طريق الطباق  
هو المقابلة باعتباره أشمل وأليق للتضاد والنشابه أيضاً.  
ومن خلال ما ذكره أشار إلى شيئين لا ثالث لهما:

الأول: مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض، وما جرى مجراهما  
فإنه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: مقابلة في اللفظ والمعنى، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً  
وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾<sup>(٤٦)</sup> فقابل الضحك والبكاء، والقليل والكثير. وكذلك قوله

تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٤٧)</sup> وهذا أحسن ما جاء في هذا الباب<sup>(٤٨)</sup>.

والآخر: فهو مقابلة في المعنى دون اللفظ، فقد مثل لها بقول المقنع الكندي من شعراء الحماسة:

لهم جل ما لي إن تتابع لي غنى وإن قل ما لي لم أكلفهم رفدا  
فقوله: ((تتابع لي غنى بمعنى قوله: كثر مالي، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ، نحو قام وقعد.. وقل وكثر، فالقيام ضد العقود، والقليل ضد الكثير، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، وهذا مقابلة معنوية لا لفظية))<sup>(٤٩)</sup>.

الثاني: مقابلة الشيء بما ليس بضده، فهو ضربان:

الضرب الأول يتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول: ما كان بين المقابل والمقابل به نوع مناسبة وتقارب، كقول قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً  
((فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضدّاً لها وإنما ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم))<sup>(٥٠)</sup>.

الفرع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل به بعد، وهذا في نظره

مما لا يحسن استعماله، ومما أورده مثلاً على هذا قول من الشعراء الأوائل باعتبار أن الشعر في عهد هؤلاء أصبح يعتمد أيضاً على الصنعة قول المتنبي<sup>(٥١)</sup>:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو مساء مجرم

يعلق عليه قائلاً: ((فإن المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض، لا بين المحب والمجرم وليست متوسطة أيضاً، حتى يقرب الحال فيها، وإنما هي بعيدة فإنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضاً لك))<sup>(٥٢)</sup>.  
فملاحظته هنا في محلها، لأن الحقيقة اللغوية لا تقول بأن محب يقابلها مجرم، ومن ثم فإن بيت الشاعر يتضمن مقابلة متباعدة بين معنيين.

**الضرب الثاني:** في مقابلة الشيء بمثله، ويتفرع إلى فرعين:

**الفرع الأول:** مقابلة المفرد بالمفرد، كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾<sup>(٥٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾<sup>(٥٤)</sup>.  
ويذكر ابن الأثير أن هذا الضرب قد ورد كثيراً في القرآن الكريم وأنه إذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلاً كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾<sup>(٥٥)</sup> وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾<sup>(٥٦)</sup> ويقول: ((وهذا هو الأحسن وإلا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه: كان جائزاً ولكن الأحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى، وعليه مدار الاستعمال))<sup>(٥٧)</sup>.

إن هذه المقابلة بالصورة التي مثل لها معتبرة عند بعض البلاغيين من المشاكلة أو من باب حمل اللفظ على اللفظ<sup>(٥٨)</sup>.  
على أن هذا التوضيح لابن الأثير رافقه توضيح آخر مفاده أن الأمر إذا لم يتعلق بجواب - كما هو هنا - فإن التقابل يكون عن طريق الألفاظ المترادفة، وقدم لذلك أمثلة منها، قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>، يعلق: ((ولو كان لا تورث الكلمة إلا مثل لقليل وهو اعلم بما تعملون))<sup>(٦٠)</sup>.

## الفرع الثاني: في مقابلة الجملة بالجملة:

أما مقابلة الجملة بجملة أخرى تتناسبها فهو مما يولد إيقاعاً ويعرف هذا النوع بقوله: ((وأعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مستقبلية قوبلت بمستقبلية، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية، وربما قوبلت الماضية بالمستقبلية، والمستقبلية بالماضية، إذا كانت إحداها في معنى الأخرى))<sup>(٦١)</sup>.

وقد لاحظ أن في هذه الظاهرة ((باباً عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنشور وبالإعجاز من الأبيات الشعرية))<sup>(٦٢)</sup>.

ومن النماذج على هذا قول تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٦٣)</sup> يرى أن هذه الآية إنما فصلت ((بلطيف خبير، لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وغيره...))<sup>(٦٤)</sup>.

وهكذا فهو يعلل ما ختمت به الآيات السابقة الذكر تعليلاً معنوياً يعكس ترجيحاً إيقاعياً لما فيه من التناسب والتلاؤم بين أجزاء الكلام بشكل منقطع النظير، ((وأعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قلما توجد هذه الملاءمة والمناسبة في كلام ناظم أو ناثر))<sup>(٦٥)</sup>.

## الالتفات:

يرى ابن الأثير أن: ((الالتفات خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة، وعندها يعنعن))<sup>(٦٦)</sup>.

وهذا النوع مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ويسميه شجاعة العربية<sup>(٦٧)</sup>.

## الإسرار البلاغية لأسلوب الالتفات

يورد ابن الأثير رأياً للإمام الزمخشري -رحمه الله- في قيمة الالتفات، وهو: ((أن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن



في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء، إليه))<sup>(٦٨)</sup>. ولكنه يرد هذا الرأي لسببين اثنين:

**أولهما:** ((أن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية للنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام لا وصف له، لأنه لو كان حسناً لما مل))<sup>(٦٩)</sup>.

**وثانيهما:** إنه لو سلم للزمخشري: ((ما ذهب إليه لكان يوجد ذلك في الكلام المطول، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معاً يبلغ عشرة ألفاظ، أو أقل من ذلك))<sup>(٧٠)</sup>.

ثم يبين ابن الأثير رأيه فيقول: ((إن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحدٍ ولا تضبط بضابط لكن يشار إليها إلى مواضع منها، ليقاس عليها غيرها، فإن رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه، وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود))<sup>(٧١)</sup>.

و ابن الأثير ينهج منهج الأوائل فيها هو ذا ((ابن جني)) ينبه إلى البحث عن الأسرار التي يلتفت من أجلها في الكلام، موضحاً أن هذه الأسرار هي من خصائص التراكيب، ومتطلبات السياق والمقام.

يقول ابن جني: ((وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة أهل النظر أن

يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ، هذا ينبغي إن يقال إذا عرى الموضع من غرض معتمد، وسر على مثله تتعدّد اليد)) (٧٢).

أقسام الالتفات عند ابن الأثير:

قسم ابن الأثير الالتفات إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

(١) أما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى في سورة الفاتحة :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ أَمْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (٧٣) حيث

رجع هنا من الغيبة إلى الخطاب إذ قال : (( إياك نعبد وإياك

نستعين)) بعد قوله : ((الحمد لله رب العالمين)) فعدل فيه من الغيبة

إلى الخطاب، لأن الحمد دون العبادة فأنت تحمد نظيرك ولا تعبد،

ولهذا استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال الحمد لله

ولم يقل الحمد لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات

قال : إياك نعبد فخطب بالعبادة تصريحاً بها وتقريباً منه عز اسمه.

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال (٧٤) ((صراط الذين أنعمت

عليهم)) فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال: ((غير المغضوب

عليهم)) عطفاً على الأول، لأن الأول موضع تقرب من الله بذكر نعمه

فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند

النعمة إليه لفظاً، وروى عنه ذكر الغضب تحناً ولطفاً وهذه صورة من

صور الالتفات التي حظيت بالقبول عند البلاغيين من بعده (٧٥).

ثم ذكر أنواعاً تدرج تحت هذا النوع أعني الرجوع من الغيبة إلى

الخطاب.

(أ) الرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس (٧٦).

(ب) الرجوع من خطاب النفس إلى الجماعة (٧٧).

ج) الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد<sup>(٧٨)</sup>.

٢) وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة<sup>(٧٩)</sup>.

فمن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٨٠)</sup>.

يقول ابن الأثير: ((فإنه إنما قال ((فآمنوا بالله ورسوله)) ولم يقل: فآمنوا بالله وبني، عطفاً على قوله: ((إني رسول الله إليكم)) لكن تجري عليه الصفات التي أجريت عليه، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائناً من كان، أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة وبعد التعصب لنفسه، فقرر - أولاً في صدر الآية أنه رسول إلى الناس، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين:

الأول منها: إجراء تلك الصفات عليه.

الثاني: الخروج من تهمة التعصب لنفسه<sup>(٨١)</sup>.

القسم الثاني: الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الماضي إلى فعل الأمر<sup>(٨٢)</sup>.

ويقول عنه ابن الأثير: ((إنه كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط بل الأمر وراء ذلك وإنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفضيماً لأمره وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر))<sup>(٨٣)</sup>.

ومن هذا القسم قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٨٤)</sup> ﴿٥٢﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾<sup>(٨٤)</sup>.

فقد قال: اشهدوا، ولم يقل: وأشهدكم ((ليكون موازناً له وبمعناه فاشهادة الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم))<sup>(٨٥)</sup>.

و هذا المثال راجع إلى صورة الرجوع من المتكلم إلى الخطاب التي ذكرها ابن الأثير، لأنه رجع عن المتكلم في قوله: ((وأشهدوا)).  
القسم الثالث:

الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي<sup>(٨٦)</sup>.  
فالأول: وهو الأخبار عن الماضي بالمستقبل، أبلغ من الأخبار بالماضي لأن الفعل المستقبل يبين الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الماضي.

مثاله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْشُّورُ﴾<sup>(٨٧)</sup>.

وإنما عبر بالمستقبل عن الماضي في قوله: ((فتثير)) لحكاية الحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك<sup>(٨٨)</sup>.

والثاني: الأخبار عن المستقبل بالماضي: وفائدته المبالغة في تحقيق الفعل وإيجاده، لأن الفعل الماضي يعطيك معنى أنه كان ووجد، وإنما يكون ذلك إذا كان المستقبل من الأمور العظيمة التي يستعظم وجودها ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٨٩)</sup>. فهو إنما قال: ((فزع)) بلفظ الماضي بعد قوله: ((ينفخ)) وهو مستقبل، للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً به<sup>(٩٠)</sup>.

تلك هي أقسام الالتفات عند ابن الأثير، وقد رأينا كيف فهم هذا الفن البديعي وعرف سر بلاغته عندما جعل القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وكلام العرب البلغاء همه في التطبيق ليعرف قيمة هذا الفن، وهذا النوع عند علماء البلاغة المتأخرين، لأنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية، يقول ابن يعقوب معلقاً على هذا النوع على أنه من علم البديع: ((فإن قلت لأي وجه خصص تسميته بعلماء المعاني مع أن عد الالتفات من البديع أقرب، لأن حاصل ما فيه أنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية، فيصغى إليه لطرافته وابتداعه، وإن لم يكن الكلام مطابقاً لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعاني فضلاً عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع؟ قلت: أما كونه من الأحوال التي تذكر في علم المعاني وصحيح كما إذا اقتضى المقام فائدة من طلب مزيد الاصغاء لكون الكلام سؤالاً، أو مدحاً، أو إقامة حجة أو غير ذلك فهو من هذا الوجه من علم المعاني، ومن جهة كونه شيئاً ظريفاً مستبعداً يكون من علم البديع، وكثيراً ما يوجد في المعاني مثل هذا فليفهم، وأما تخصيص علماء المعاني بالتسمية فلا حرج فيه ولا حرج، والله أعلم))<sup>(٩١)</sup>.

قال صاحب البغية معلقاً على الشق الأول من عبارة ابن يعقوب ((والحق أن مثل هذا يكون شرطاً لحسنه، ولا يقتضي وجوبه في البلاغة فلا يصح أن يعد به من علم المعاني))<sup>(٩٢)</sup>.

## المبحث الثاني المحسنات اللفظية

**الجناس:** لقد عد ابن الأثير (التجنيس) فناً مشتركاً بين النثر والشعر<sup>(٩٣)</sup>، وقال عنه أنه: ((غرة شادخة وجه الكلام))<sup>(٩٤)</sup>. وقد تصرف العلماء من أرباب الصناعة فيه، فمنهم من يسمي هذا الفن من البديع اللفظي تجنيساً، ومنه من يسميه مجانساً، ومنه من يسميه جناساً، أسماء مختلفة والمسمى واحد، وسبب هذه التسمية كما يقول ابن الأثير: ((وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً، لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد))<sup>(٩٥)</sup>، وحقيقة الجناس عنده: ((أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً))<sup>(٩٦)</sup>. وهذا يعني أنه ((هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء، إلا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيساً، وتلك تسمية بالمشابهة لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه))<sup>(٩٧)</sup>.

ويذهب أيضاً إلى أن التجنيس يشمل الاشتقاق خلافاً لما ذهب إليه علماء البيان الذين (يفصلون الاشتقاق عن التجنيس، وليس الأمر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام، وذاك أن التجنيس في أصل الوضع من قولهم جانس الشيء الشيء، إذا ماثله وشابهه ولما كانت الحال كذلك وجدنا من الألفاظ ما يتماثل في صيغته وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه أسم التجنيس))<sup>(٩٨)</sup>.

ويضيف ((كذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه أسم التجنيس أيضاً))<sup>(٩٩)</sup>. فالتجنيس والاشتقاق في تصويره شيء واحد، وهكذا يتضح لنا مفهومه للتجنيس كما نلاحظ هنا، ويتضح أنه حريص على دقة المصطلح وحريص على هذه الخاصية التي قال عنها إنها غرة شادخة.

لقد قسم ابن الأثير الجنس إلى قسمين :  
**الأول:** تجنيس على الحقيقة : وهو (( أن تتساوى حروف ألفاظه  
 في تركيبها ووزنها ))<sup>(١٠٠)</sup>، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ  
 مَا لِيُثْأُ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾<sup>(١٠١)</sup> فالساعة الأولى - القيامة - والساعة الثانية الوقت  
 المعلوم من الزمن.

فهذا الخطاب القرآني يحتفظ بمقومات صوتية تنتج من خاصيتين  
 صرفية، وتنغيمية<sup>(١٠٢)</sup>، أي البناء الصرفي الموحد للفظتين، والتناظر  
 التنغيمي الذي حصل عن المجاورة بين اللفظتين، فالقيمة الصوتية  
 للتجنيس نقل كلما تباعدت اللفظتان المجنستان، في حين يكون ذا فاعلية  
 صوتية كلما تقاربت اللفظتان، وهذا ينطبق على نوعي الجنس الحقيقي  
 والمشبه.

ومن أمثله قوله ﷺ لأصحابه حين نازعوا حرير بن عبد الله  
 البجلي زمام ناقته ((خلو بين جرير والجرير))<sup>(١٠٣)</sup> أي دعوا زمامه.  
 ومما جاء منه في الشعر<sup>(١٠٤)</sup> قول أبي تمام:  
**فأصبحت غرر الأيام مشرقة بالنصر تضحك عن إيامك الغرر**<sup>(١٠٥)</sup>  
 فالغرر الأولى استعادة من غرر الوجه، والغرر الثانية مأخوذة  
 من غرة الشيء: أكرمه، فاللفظ واحد، والمعنى مختلف.  
 ومنه أيضاً:

**كم أحرزت قضب الهندي مصلتة تهتز من قضب تهتز في كذب**  
**بيض إذا انتضيت من حجبها رجعت أحق بالبيض أتراباً من الحجب**<sup>(١٠٦)</sup>  
 فالقضيب : السيوف، والقضب: القدور على سبيل الاستعادة .  
 والبيض : السيوف وتعنى أيضاً: النساء.  
 وهناك أمثلة أخرى<sup>(١٠٧)</sup>.

يلاحظ على المثالين السابقين التي ساقهما ابن الأثير والأمثلة التي أشرنا إليهما إنما هو - أي الجناس - بين اسمين بمعنى أن اللفظين فيه إنما هما من نوع واحد وهذه الذي سماه الخطيب : المماثل<sup>(١٠٨)</sup>، وقد سماه عبد القاهر بالمستوفي<sup>(١٠٩)</sup>، وسماه العلوي المستوفي والكامل<sup>(١١٠)</sup>، وسماه الحلبي المستوفي التام<sup>(١١١)</sup>، وعند ابن الأثير بالتجنيس الحقيقي ولا مشاحة في المصطلحات أو تعدد الأسماء للمسمى الواحد كما يقول السجلmani<sup>(١١٢)</sup>.

وقد أورد ابن الأثير قول أبي العلاء المعري<sup>(١١٣)</sup>:

لو زارنا طيف ذات الخال أحياناً ونحن في حفر الأجداث أحياناً<sup>(١١٤)</sup>

فأحياناً : في الشطر الأول من البيت الأول : جمع حين، وهو الزمن، وأحياناً في الشطر الثاني منه فعل ماضي، أي بعث فينا الحياة بعد الموت، فالجناس في هذا البيت ليس بين لفظين من نوع واحد، وإنما هو لفظات من نوعين مختلفين لأنه بين اسم وفعل.

علماً أن ابن الأثير لم يفرق بينهما.

الثاني: تجنيس بالمشابهة، وهو ستة أنواع<sup>(١١٥)</sup> :

(١) أن تكون الحروف المتساوية في تركيبها مختلفة في وزنها، وهذا يعني أن الاختلاف في هيئات الحروف فقط. وقد مثل له ابن الأثير بقول النبي ﷺ : ((اللهم كما حسنت خلقي، فحسن خلقي))<sup>(١١٦)</sup>.

فاللفظتان متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن؛ لأن تركيب ((الخلق)) و((الخلق)) من ثلاثة أحرف وهي الخاء، واللام، والقاف، إلا أنهما تختلفان في الوزن، إذ وزن ((الخلق)) فعل بفتح الخاء، ووزن ((الخلق)) فعل بضم الفاء.

(٢) أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس، نحو قوله

تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(١١٧)</sup>، فاللفظتان على وزن



واحد إلا أن تركيبها مختلف في حرف واحد، حتى أن التقارب بين مخرج الحرفين زادها نغماً، فالفرق الصوتي بين (ض) و(ظ) ضئيل في هذا المثال.

(٣) أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد. نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(١١٨)</sup>، حيث نجد الاختلاف في التركيب بين حرف الباء والنون والاختلاف في الوزن، إذ وزن (يَحْسَبُونَ) يفعلُ بفتح العين، ووزن (يُحْسِنُونَ) يفعلُ بكسر العين. (٤) التجنيس المعكوس: وهو ضربات: أحدهما عكس الألفاظ<sup>(١١٩)</sup>، نحو قولهم: (شيم الأحرار أحرار الشيم) . ويؤكد ابن الأثير على جمال هذا الضرب من التجنيس إيقاعياً بوروده في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر.

ومنه قول الأضبط بن قريع من شعراء الجاهلية<sup>(١٢٠)</sup>:  
قد يجمع المال غير آكله ويأكلُ      المالَ غيرُ مَنْ جمعه  
ويقطع الثوب غير لابسِه      ويلبس الثوبَ غير من قطعه  
يقول ابن الأثير: ((وقد سمي هذا النوع قدامه بن جعفر بـ(التبديل) وذلك اسم مناسب لمساها، لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدماً في جزء كلامه مؤخراً في الثاني وبما كان مؤخراً في الأول مقدماً في الثاني))<sup>(١٢١)</sup>، ثم مثل له بقول:

أشكر لمن أنعم عليك      وأنعم على من شكرك  
وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْهَيَّ مِنْ الْهَيَّ وَتُخْرِجُ الْهَيَّ مِنْ الْهَيَّ﴾<sup>(١٢٢)</sup>.

ومنه قول النبي ﷺ : ((جار الدار أحق بدار الجار))<sup>(١٢٣)</sup>. ويلاحظ أن هذا النوع من البديع بعد أن سماه قدامه باسم التبديل جاء أبو هلال العسكري فسماه ((العكس))<sup>(١٢٤)</sup> وأول من جمع المصطلحين معاً

هو أبو بكر الباقلائي حيث سماه ((العكس والتبديل))<sup>(١٢٥)</sup> ثم تابعه في هذه التسمية الخطيب القزويني<sup>(١٢٦)</sup>.

فالكلمة في هذا الأسلوب لا تظل في مكانها إلا ريثما ترجع إليها لتحركها ثانية في توافق مع جارتها فتنب كل واحدة مكان الأخرى فيتولد معنى جديد وكأننا نتوهم أن ليس وراء هذا التغيير المفاجئ للكلمات معنى جديد ثم نواجه بهذا المعنى وكل ذلك له أثر في تنشيط النفس وإثارة الانتباه.

و الآخر: عكس الحروف، ومثل له بقول الشاعر:

جاذبتها والريح تجذب عقرباً      من فوق خدّ مثل قلب العقرب  
وظفقت ألثمُ ثغرها فتمنعتُ      وتحجبتُ عني بقلب (العقرب)  
قال ابن الأثير: ((وإذ قلب لفظ: عقرب صار برقعاً))<sup>(١٢٧)</sup>.

٥) التجنيس المجنب: وهو أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالمتبع للأخرى والجنبيه لها.

ومنه قوله الشاعر:

أبا العباسي لا تحسب بأنّي      لشيء من حلى الأشعار عاري  
فلي طبع كسلسال معين      زلال من ذرا الأحجار جاري

ثم يقول: ((وهذا القسم عندي فيه نظر، لأنه بلزوم مالا يلزم أولى منه بالتجنيس إلا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وها هنا لم يتفق إلا جزء من اللفظ، وهو أقله، وأما اللزوم من الكلام المنشور فهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل المجموعة، وهذا هو كذلك لأن العين والراء تساويا في البيت الأول في قوله: ((الإشعار... وعار)) والجيم والراء في البيت الثاني في قوله ((الأحجار وجار))<sup>(١٢٨)</sup> ليساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تنفذ وتتأخر.

وقد ورد في الحديث النبوي في قوله ﷺ في فضيلة تلاوة القرآن الكريم: ((يقال لصاحب القرآن إقرأ، وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن فنزلك عند آخر آية تقرأ))<sup>(١٢٩)</sup>. ومنه قول أبي تمام<sup>(١٣٠)</sup>:

**بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب**

فلقد حدث تقديم وتأخير للحروف في لفظتي (إقرأ) و(ارق) مع تساوي في الوزن والتركيب، وكذا لفظتي الصحائف والصفائح وغيرهما.

فإحساس ابن الأثير بإيقاع هذه الظاهرة التجنيسية منطلق من تصويره لأقسامه كظواهر لغوية فنية تساهم في إيجاد جرس صوتي يكسبه لوناً متعدد المشارب الموسيقية فلكل ضرب من التجنيس كمال قال ابن الأثير : ((له حلاوة وعليه رونق))<sup>(١٣١)</sup>. وهذه الإشارة إلى الحلاوة والرونق هي نفسها دوال على التوازن الإيقاعي الذي يحققه التجنيس بشقيه التام والناقص<sup>(١٣٢)</sup>. ((فهو أفضل نموذج للتوازي بكل أبعاده ومعاييره، كما أنه خير ما يمثل الناحية الصوتية التقطيعية))<sup>(١٣٣)</sup>.

### الترصيع:

هو من ألوان التوازن الصوتي، وقد ذكر عز الدين إسماعيل أن قدماء وابن الأثير قد وقفا عند الترصيع الذي هو: ((وحده يضيفي على الكلام الرونق ويحسنه))<sup>(١٣٤)</sup>.

وابن الأثير وفي إطار رؤيته البيانية العامة وإتساقاً مع ولعه بالإيقاع الصوتي نجده يعرف الترصيع بقوله: ((هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية))<sup>(١٣٥)</sup>.

فبموجب هذا التعريف ينقل الترصيع من الإنجاز الشفهي المقترن بالسمع إلى الإنجاز الكتابي المقترن بالبصر، الفكرة جاءت من أثر بصري<sup>(١٣٦)</sup>، إذ هو يشير للتساوي عندما قال إن الترصيع : ((هو أن

تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية)).

ويجيء الترصيع في الشعر، ولكنه لا يجيء في كلام الله تعالى لما فيه من التكلف<sup>(١٣٧)</sup>، ويعلل صاحب كتاب ((شعرية النص النثري)) خروج ابن الأثير بالترصيع عن حقل القرآن الكريم بقوله: ((ولعل الانتباه إلى الأثر البصري للترصيع هو الذي جعل ابن الأثير يبعده عن القرآن))<sup>(١٣٨)</sup>.

وكذلك أنه قليل جداً في الشعر لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة، إلا أن هذه البنية البلاغية حاضرة في الخطاب النثري وخاصة فن المقامة كما جاءت عند الحريري في مقاماته قائلاً: ((فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الإسماع بزواجر وعظة))<sup>(١٣٩)</sup>، إذ جعل ألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية، أي أن كل ما وقع في السجعة الثانية مواز ومطابق لما جاء السجعة الأولى، كما يأتي:

فهو يطبع الأسجاع      بجواهر لفظه  
ويقرع الإسماع      بزواجر وعظه  
السجع:

إذا كانت الفنون البديعية مما تجري في الشعر والنثر على حد سواء فإن السجع يكاد يكون خاصاً بالنثر، وهو الفن البلاغي الوحيد الذي يمكن أن يقال أنه يجري في داخل البيت ويسمى تشطييراً أو ترصيعاً. وقد عرف ابن الأثير السجع بقوله: ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد))<sup>(١٤٠)</sup>.

والتعريف ينص صراحة على أنه من الفنون الخاصة بالنثر. ولقد دافع على هذه الظاهرة بقوة مستدلاً بورودها في الخطاب القرآني بقوله: ((وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن

الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى أنه ليؤتي بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما))<sup>(١٤١)</sup>.

ودافع كذلك عن وجوده في الحديث النبوي الشريف نافياً أن القصد من قول الرسول ﷺ ((أسجعا كسجع الكهان))<sup>(١٤٢)</sup> هو النهي عن السجع مطلقاً وإنما القصد منه النهي عن نوع من السجع كان الهدف منه كما هو معروف التلاعب بالكلمات قصد التضليل والابتعاد عن الحق ومعروف أن الكهان كانوا يدعون العلم بالغيب ولهذا وصفه ابن الأثير: ((إنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع))<sup>(١٤٣)</sup> فالسجع إذن ليس بمنهي عنه ((وإنما المنهي هو الحكم المتبوع في قول الكاهن))<sup>(١٤٤)</sup>.

وقد أكد دفاعه عن السجع بذكر أنه يوجد في الحديث الشريف، قصد تحقيق التوازن في الكلام، فالرسول ﷺ قال: ((ارجعن مأزوران غير مأجورات))<sup>(١٤٥)</sup> وإنما أراد موزورات من الوزر. قال ابن الأثير: ((إنما أراد موزوران من الوزر فقال ما زورات لمكان مأجورات طلباً للتوازن والسجع وهذا مما يدل على فضيلة السجع))<sup>(١٤٦)</sup>.

أما شروط السجع عنده كي يؤدي وظيفة تحسين الكلام ويحقق الغاية الجمالية المنوطة به فهي أن تكون الألفاظ: حلوة، حارة، طنانة، رنانة<sup>(١٤٧)</sup>، في الشروط الثلاثة الأولى ما يدل على حرصه على الجانب الإيقاعي فالحلاوة والحرارة، التي هي ضد البرودة والغثاثة كما ذكر تحمل دلالة إيقاعية، فالحلاوة لا تكون إلا إذا كانت اللفظة تتمتع بجرس موسيقي عذب، وكذلك هذه الرنة المذكورة.

فمن هذه الشروط يفهم أن السجع في الأصل إيقاع ويرى ابن الأثير زيادة إلى الشروط السابقة أن يكون السجع غير متكلف، لأن ذلك مما يفسد الخطاب ويفسد إيقاعه ويذهب إلى أن من أهم شروط السجع أن تكون السجعة الثانية حاملة لمعنى غير معنى السجعة السابقة لها يقول: ((وأعلم أن للسجع سراً هو خلاصته المطلوبة فإن عري الكلام المسجوع

منه فلا يعتد به أصلاً وهذا شيء لم ينبه عليه غيري... والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه<sup>(١٤٨)</sup>.

### أقسام السجع:

يقسم ابن الأثير السجع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما عن الآخر<sup>(١٤٩)</sup>.

كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ ﴿٢﴾﴾ وهو أشرف السجع عنده منزلة للاعتدال الذي فيه، ((والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع))<sup>(١٥١)</sup>.

فابن الأثير قدرك ما للإيقاع من تأثير على النفوس بدليل تفسيره النفسي لظاهرة السجع، وهذا ما قال به المحدثون، فالمنشأ النفسي لميل العرب إلى الإيقاع وشيوعه في القول العربي بشكل لافت للنظر إنما هو - عند أحمد أمين - التركيب النفسي للشخصية العربية القديمة التي طبعتها الصحراء الرتيبة بإيقاعها الرتيب ذي النغمة الواحدة المتكررة<sup>(١٥٢)</sup>.

الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول طويلاً لا يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً<sup>(١٥٣)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۖ ﴿١١﴾ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سِعُوا لَهَا تَعْظِيمًا وَزَفِيرًا ۖ ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبَقًا مُّقْرَيْنَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۖ ﴿١٥٤﴾﴾. فالفصل الأول ثمان لفظات، والفصل الثاني والثالث تسع لفظات.

الثالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، وهو عند ابن الأثير عيب فاحش ويعلل ذلك ((أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله، ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول، فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى

غاية فيعشر دونها)) (١٥٥)، ومن ثم فهو يجعل للسجع باعتبار تساوي السجعات وتوازيها قسمان حسان، وقسم قبيح بل وفاحش أيضاً.

ثم يبين ابن الأثير أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان:

**الأول:** السجع القصير، وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، وأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (١) ﴿فَالْمُصَفَّتِ عَصْفًا﴾ (١٥٦)، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾ (١) ﴿فُؤَادِنَا﴾ (٢) ﴿وَرَبِّكَ فَكَبَّرُ﴾ (٢) ﴿وَبَابَكَ فَطَعَّرُ﴾ (٤) ﴿وَالرَّجَرَ فَاهْبِجُرُ﴾ (١٥٧)، لأنه ((كلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع)) (١٥٨)، فابن الأثير يرى في هذا الضرب تكثيفاً للإيقاع والجرس الموسيقي، لذا كان أدعى مذهباً وأبعده متتالواً ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً.

والضرب الآخر: وهو ضد الأول لأنه أسهل متتالواً، وكل من هذين الضربين تتفاوت درجاته في الطول، فنجد منه ما يقرب من السجع ((القصير))، وهو ما كان تأليفه من إحدى عشرة لفظة إلى اثني عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة.

ومنه ما يبعد عن السجع القصير، ويكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها (١٥٩)، ويترك ابن الأثير الباب مفتوحاً أمام السجع ((الطويل)) بقوله: ((ومن السجع الطويل أيضاً ما يزيد عن هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط)) (١٦٠).

فكل هذه الدقة والشمول في التحديد والتقسيم لبنية السجع لا نلمس إحساسه بإيقاعية السجع فحسب، بل نحس معه برغبة عارمة في إخراج هذه البنية البلاغية من دائرة الصنعة والجمود إلى سماحة الطبع وصفاء القريحة.

**لزوم ما لا يلزم:**

يرى ابن الأثير أن هذا الفن ((من أشق هذه الصناعة مذهباً وأبعدها مسلماً، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، فإن اللازم في هذا

الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء  
الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك، وهو أن  
تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً، وهو في الشعر أن تتساوى  
الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية)) (١٦١).

وهذا النوع سماه عبد الله بن المعتز ((إعانات الشاعر نفسه)) (١٦٢)  
فدلت التسمية على ما في صناعته من مشقة وعناء وقد سماه ابن جني  
التطوع بما لا يلزم ثم قال وهو ((أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه، ليدل  
بذلك على غزارة وسعة إطلاعه)) (١٦٣).

ولئن جعل ابن المعتز هذا النوع خاصاً بالشعر وخصه كذلك ابن  
جني، فإن ابن الأثير جعله شاملاً للشعر والنثر وجاراه في ذلك الخطيب  
القزويني (١٦٤).

ومن جملة الشواهد التي اختارها ابن الأثير في فصل يتضمن ذم  
الجبان : ((إذا نزل به خطب ملكه الفرق، وإذا ضل في أمر لم يؤمن إلا  
إذا أدركه الغرق)) (١٦٥)، فاللزم هنا في (الراء) و(القاف) وابن الأثير يقر  
بأنه لا كلفة على كلمات اللزوم هامة، فالكلفة تخرج هذه الظاهرة  
الأسلوبية من دائرة الإيقاعية الجمالية لأن ((الكلفة وحشة تذهب برونق  
الصنعة، وما ينبغي لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجيء به  
متكلفاً، ومثاله في هذا المقام كمن أخذ موضوعاً، رديئاً فأجاد فيه صنعته،  
فإنه يكون عند ذلك قد راعى الفرع وأهمل الأصل، فأضاع جودة الصنعة  
في رداءة الموضوع)) (١٦٦).

وورود مثل هذا النوع في القرآن الكريم يسير جداً، يقول: ((فمن  
ذلك قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (١٦٧) ومنه  
قوله: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ و﴿كَتَبَ مَسْطُورٍ﴾ (١٦٨) ويقول: ((وربما وقع بعض  
الجهال في هذا الموضع، فأدخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبَ



فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنَ يَمَّا ءَانَتْهُمْ رَيْثُهمْ وَوَقَّهَتْهُمْ رَيْثُهمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٦٩﴾  
وهو لا يدخل في باب اللزوم لأن الأصل فيه (نعم) و (جحيم) والياء هي  
من حروف المد واللين، فلا يعتد بها هنا)) (١٧٠).

ومن الشواهد الشعرية، فقد تمثل بشعر أبي العلاء المعري، وأبي  
تمام والفرزدق وكثير عزة مبيناً الفرق بينها، وذكر أن المعري ألف كتاباً  
اسماه اللزوم وذكر أنه ((أتى فيه بالجيد الذي يحمد والرديء الذي  
يذم)) (١٧١).

أما من بين ما حسن من شعره فيه فبقوله:

لا تطلبين بآلة لك حاجة      قلم البليغ بغير جد مغزل  
سكن السما كان السماء كلاهما      هذالـه رمح وهذا أعزل  
وهذا بين الاسترسال وبين الكلفة (١٧٢)، أما ما تكلف له تكلفاً ظاهراً وإن  
أجاد، فقوله:

تنازع في الدنيا سواك وماله      ولا لك شيء في الحقيقة فيها  
ولكنها ملك لرب مقدر      يعير جنوب الأرض مرتد فيها  
ومما على هذا الأسلوب قول أبي تمام في مريثة (١٧٣):

طواه الردى طي الرداء وغيبت      فضائله عن قومه وفواضله  
طوى شيماً كانت تروح وتغتدي      وسائل من أعيت عليه وسائله  
فيا عارضاً للعرق أقلع مزنه      ويا وادياً للجود جفت مسايله

يعلق قائلاً: ((وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب، وليس بمتكلف  
كشعر أبي العلاء، فإن حسن هذا مطبوع، وحسن ذاك مصنوع)) (١٧٤)،  
واستدلالاً على فعالية هذه الخاصية الإيقاعية إذا لم تأت متكلفة بذكر  
شواهد من الشعر منها قول الفرزدق (١٧٥):

منع الحياة من الرجال وطيبها      حدق تقلبها النساء مراض  
فكان أفندة الرجال إذا رأوا      حدق النساء لنبلها أغراض

يعلق قائلاً : ((وإذا شئت أن تعلم مقادير الكلام، وكان لك ذوق صحيح فانظر إلى هذا العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار، وانظر إلى ما أورده لأبي العلاء المعري، فإن أثر الكلفة عليه ظاهر))<sup>(١٧٦)</sup>.

ويذكر كيف أن هذه الظاهرة قد يحسن استغلالها فتؤتي ثمارها الجيدة وذلك كما في قصيدة لكثير عزة التي مطلعها<sup>(١٧٧)</sup>:

**خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم احللا حيث حلت**

يقول عنها: ((وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً، وهي مع ذلك سهلة لينة، تكاد تتفرق من لينها وسهولتها، وليس عليها من أثر الكلفة شيء))<sup>(١٧٨)</sup>.

### الموازنة:

ويعرفها بقوله هي: ((أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزناً))<sup>(١٧٩)</sup>.

والإيقاع الناجم عن هذه البنية البلاغية صادر عن تساوي أوزان الكلمات، وليس صادراً عن تساوي الكلمات (الفواصل) على حرف واحد كما هو في السجع، لذا قال ابن الأثير أن ((هذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال، وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد. وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذا: كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً))<sup>(١٨٠)</sup>.

فإذا كان السجع يساوي الاعتدال مع التماثل، فالموازنة هي سجع ينقصه المماثلة في الحرف الأخير، فهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَيَّتَهُمَا أَلْكَتَبَ الْمُسْتَبِينَ ۖ وَهَدَيْتَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١٨١)</sup>، فالمستبين والمستقيم موازنة، لأنهما تساوتا في الوزن دون التقفية، فالوزن واحد والحرف الأخير غير واحد. ويذهب العسكري

أن هناك صورة أحسن وأكمل من هذه للتوازن، وذلك بأن تكون الفواصل على زنة واحدة، وحرف واحد<sup>(١٨٢)</sup>.

وأقل ما يشترطه للتوازن ((أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وإن لم يكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن))<sup>(١٨٣)</sup>. و إن كان لا يطلق مصطلح (الموازنة) بل يدخل بها في باب الازدواج. ويستشهد ابن الأثير لجمال إيقاع (الموازنة) بالنص القرآني خالصاً إلى أن ((معظم آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لا تخلو منه سورة من السور، ولقد تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة))<sup>(١٨٤)</sup>.

## الخاتمة

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث
- (١) برز ابن الأثير فائدتين للتجريد، الأولى طلب التوسع في الكلام، والثانية أن المتكلم يتمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه.
  - (٢) وضح أن مدار البلاغة في الاستدراج تكمن في النكت الدقيقة التي يستعملها في استدراج الخصم للإذعان والتسليم.
  - (٣) لم يكن تعريف ابن الأثير للأرصاد دقيقاً، لأنه خصه بالشعر، في حين مثل له نثراً.
  - (٤) لم تكن المقابلة عند ابن الأثير من قبيل الصنعة الزائدة بل كانت مظهراً من مظاهر الحسن والجمال الإيقاعي.
  - (٥) لا يرى للالتفات غرضاً فنياً واحداً، وإنما يرى أغراضه متعددة، ومتنوعة حسب المقامات والسياقات التي يصاغ في إطارها الخطاب.
  - (٦) التفت ابن الأثير إلى أن الاشتقاق والتجنيس في تصويره شيء واحد. والاتفاق قد يكون في اللفظ والمعنى معاً.
  - (٧) حقق تصوراً عاماً لنبيه الترصيع من خلال النظام الذي يجعل كل جزء من أجزاء الفصل بإزاء الجزء المساوي له المتوازن معه، وهذا ما زاده إيقاعاً على إيقاع. ولكنه في الوقت ذاته لاحظ أن هذا العنصر الإيقاعي قد يكون من علامات التكلف بدليل عدم وجوده في كتاب الله تعالى.
  - (٨) لا ينظر إلى السجع من زاوية الحسن الإيقاعي فحسب، وإنما يقيدها بالدلالة حتى لا يصبح السجع من أجل السع، ويفقد الخطاب به قيمته وأهميته، ويصبح الكلام مجرد تطويل وتكلف.

٩) يذهب ابن الأثير إلى ورود (لزوم ما لا يلزم) في القرآن الكريم، ولكنها جاءت على صورة الخلقة والطبع لا على صورة التخلق والتكلف.

١٠) يستشهد لجمال إيقاع الموازنة بالخطاب القرآني خالصاً إلى أن معظم آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لا تخلو منه سورة من السور.

## الهوامش

- (١) المثل السائر : ٢٠٩/١.
- (٢) المصدر نفسه: ١٥٩/٢.
- (٣) المصدر نفسه : ١٦٠-١٥٩/٢.
- (٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٦٠/٢.
- (٥) المصدر نفسه : ١٦٠/٢.
- (٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٠/٢، ١٦٣.
- (٧) ديوانه: ٤٠٤/٢.
- (٨) ينظر: الإيضاح: ٢٠٦.
- (٩) المثل السائر: ١٦٢/٢.
- (١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٣/٢.
- (١١) المصدر نفسه: ٢٥٠/٢.
- (١٢) المصدر نفسه: ٢٥١/٢.
- (١٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.
- (١٤) المثل السائر: ٢٥١/٢.
- (١٥) المصدر نفسه: ٢٥٢/٢.
- (١٦) المصدر نفسه: ٢٥٢/٢.
- (١٧) سورة مريم، الآية: ٤١-٤٥.
- (١٨) المثل السائر: ٢٥٣/٢.
- (١٩) المصدر نفسه: ٢٥٤/٢.
- (٢٠) المصدر نفسه: ٢٠٦/٣.
- (٢١) لم أجده في الديوان.
- (٢٢) ديوان النابغة الذبياني: ٦٠، ٦١.
- (٢٣) المثل السائر: ٢٠٦/٣.
- (٢٤) سورة يونس، الآية: ١٩.
- (٢٥) المثل السائر: ٢٠٧/٣.
- (٢٦) المصدر نفسه: ٢٠٧/٣.
- (٢٧) المصدر نفسه : ٢٠٦/٣.

- (٢٨) الإيضاح: ١٩٨.
- (٢٩) البيان والتبيين : ١/١١٧.
- (٣٠) ينظر : نقد الشعر: ١٦٧.
- (٣١) ينظر: الصناعتين: ٣٩٧.
- (٣٢) ينظر : البلاغة تطور وتاريخ : ١٤٩.
- (٣٣) ينظر: الإيضاح: ١٩٨.
- (٣٤) عروس الافراح: ٤/٣٠٥.
- (٣٥) المثل السائر: ٢/٢٤٨.
- (٣٦) المصدر نفسه: ٢/٢٤٨.
- (٣٧) ديوانه: ٦٤.
- (٣٨) المثل السائر: ٢/٢٤٩.
- (٣٩) ينظر: العمدة: ٢/٨١.
- (٤٠) ديوانه : ٦٤.
- (٤١) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان : ١٣٤.
- (٤٢) ينظر: كتاب البديع: ٣٦.
- (٤٣) كتاب الصناعتين: ٣٧١.
- (٤٤) سر الفصاحة: ١٨٨.
- (٤٥) المثل السائر: ٣/١٤٤.
- (٤٦) سورة التوبة، الآية : ٨٢.
- (٤٧) سورة الحديد، الآية : ٢٣.
- (٤٨) ينظر: المثل السائر: ٣/١٤٤.
- (٤٩) المصدر نفسه: ٣/١٥١.
- (٥٠) المثل السائر: ٣/١٥٢.
- (٥١) ديوانه: ٤٦٢.
- (٥٢) المثل السائر: ٣/١٥٣.
- (٥٣) سورة التوبة، الآية : ٦٧.
- (٥٤) سورة النمل، الآية : ٥٠.
- (٥٥) سورة الروم، الآية : ٤٤.

- (٥٦) سورة الشورى، الآية :٤٠.
- (٥٧) المثل السائر: ١٥٩/٣.
- (٥٨) ينظر: سر الفصاحة: ١٣٣.
- (٥٩) سورة الزمر، الآية : ٧٠.
- (٦٠) المثل السائر: ١٦٠/٣.
- (٦١) المصدر نفسه: ١٦٢/٣.
- (٦٢) المصدر نفسه: ١٦٣/٣.
- (٦٣) سورة الحج، الآية : ٦٣.
- (٦٤) المثل السائر: ١٦٤/٣.
- (٦٥) المصدر نفسه: ١٦٤/٣.
- (٦٦) المصدر نفسه: ١٦٧/٢.
- (٦٧) المصدر نفسه: ١٦٧/٢.
- (٦٨) المصدر نفسه: ١٦٨/٢.
- (٦٩) المصدر نفسه: ١٦٩/٢.
- (٧٠) المصدر نفسه: ١٦٩/٢.
- (٧١) المصدر نفسه : ١٦٩/٢.
- (٧٢) المحتسب: ١٤٥/١.
- (٧٣) سورة الفاتحة، الآية: ١-٧.
- (٧٤) المثل السائر: ١٧٠/٢.
- (٧٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٧١/٢.
- (٧٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٢/٢.
- (٧٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٣/٢.
- (٧٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٤/٢.
- (٧٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٧/٢.
- (٨٠) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
- (٨١) المثل السائر: ١٧٩/٢.
- (٨٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٩/٢.
- (٨٣) المصدر نفسه: ١٧٩/٢.



- (٨٤) سورة هود، الآية : ٥٣-٥٤.
- (٨٥) المثل السائر: ١٨٠/٢.
- (٨٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٨١/٢.
- (٨٧) سورة فاطر، الآية: ٩.
- (٨٨) ينظر: المثل السائر: ١٨٢/٢.
- (٨٩) سورة النحل، الآية: ٨٧.
- (٩٠) ينظر: المثل السائر: ١٨٥/٢.
- (٩١) مواهب المفتاح: ٤٦٣/١، ٤٦٤.
- (٩٢) بغية الايضاح: ١٤٥/١.
- (٩٣) ينظر: المثل السائر: ٢٦٣/١.
- (٩٤) المصدر نفسه: ٢٦٢/١.
- (٩٥) المصدر نفسه: ٢٦٢/١.
- (٩٦) المصدر نفسه: ٢٦٢/١.
- (٩٧) المصدر نفسه: ٢٦٢/١.
- (٩٨) المصدر نفسه : ١٩٥/٣، ١٩٦.
- (٩٩) المصدر نفسه: ١٩٦/٣.
- (١٠٠) المصدر نفسه: ٢٦٣/١.
- (١٠١) سورة الروم، الآية: ٥٥.
- (١٠٢) ينظر: شعرية النص النثري: ٤٥.
- (١٠٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٩.
- (١٠٤) ينظر: المثل السائر: ٢٦٣/١.
- (١٠٥) لم أجده في ديوانه.
- (١٠٦) ديوانه: ٤٨/١.
- (١٠٧) ينظر: المثل السائر: ٢٦٣/١.
- (١٠٨) ينظر: الإيضاح: ٢٠٦/٦.
- (١٠٩) ينظر: إسرار البلاغة: ٥.
- (١١٠) ينظر: الطراز: ٣٥٦/٢.
- (١١١) ينظر: حسن التوسل: ٤٣.

- (١١٢) ينظر: المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع: ٣٧٢.
- (١١٣) لم أجده في سقط الزند.
- (١١٤) ينظر: المثل السائر: ٢٦٦/١-٢٧٣.
- (١١٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٨/١.
- (١١٦) مسند الإمام أحمد: ٤٠٣/١.
- (١١٧) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.
- (١١٨) سورة الكهف، الآية: ١٠٨.
- (١١٩) ينظر: المثل السائر: ٢٧٣/١.
- (١٢٠) ينظر: الشعر والشعراء: ٣٤٣/١.
- (١٢١) المثل السائر: ٢٧٤/١.
- (١٢٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.
- (١٢٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٨٨/٤، ولفظه جار الدار أحق بالدار من غيره.
- (١٢٤) ينظر: الصنائع: ٣٨٥.
- (١٢٥) ينظر: إعجاز القرآن: ٩٨.
- (١٢٦) ينظر: الإيضاح: ٢٠٠.
- (١٢٧) المثل السائر: ٢٧٦/١.
- (١٢٨) المثل السائر: ٢٧٧/١.
- (١٢٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٩٢/٢، ٤٧١.
- (١٣٠) ديوانه: ٣٢/١.
- (١٣١) المثل السائر: ٢٧٤/١.
- (١٣٢) وهذه الأقسام أطلق عليها فيما بعد عند المتأخرين بـ (الجناس التام، وغير التام، والناقص، والمحرف... إلخ).
- (١٣٣) البديع والتوازي: ٤١-٤٢.
- (١٣٤) الأسس الجمالية في النقد العربي: ٢٢٦.
- (١٣٥) المثل السائر: ٢٧٧/١.
- (١٣٦) ينظر: شعرية النص النثري: ٤٥-٤٦.
- (١٣٧) ينظر: المثل السائر: ٢٧٧/١.
- (١٣٨) شعرية النص النثري: ٤٦.

- (١٣٩) مقامات الحريري: ١٩/١ .
- (١٤٠) المثل السائر: ٢١٠/١ .
- (١٤١) المصدر نفسه: ٢١٠/١ .
- (١٤٢) صحيح مسلم: ١٣١١/٣، بلفظ : ((أسجع كسجع الاعراب)).
- (١٤٣) المثل السائر: ٢١١/١ .
- (١٤٤) المصدر نفسه: ٢١١/١ .
- (١٤٥) سنن ابن ماجه: ٥٠٣/١ .
- (١٤٦) المثل السائر: ٢١١/١ .
- (١٤٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٣/١ وما بعدها.
- (١٤٨) المثل السائر: ٢١٤/١ .
- (١٤٩) المصدر نفسه: ٢٥٥/١ .
- (١٥٠) سورة الضحى، الآية: ٩-١٠ .
- (١٥١) المثل السائر: ٢١١/١ .
- (١٥٢) ينظر: فجر الإسلام: ٤٥ .
- (١٥٣) ينظر: المثل السائر: ٢٥٥/١ .
- (١٥٤) سورة الفرقان، الآية: ١١-١٣ .
- (١٥٥) المثل السائر: ٢٥٧/١ .
- (١٥٦) سورة المرسلات، الآية: ١-٢ .
- (١٥٧) سورة المدثر، الآية: ١-٥ .
- (١٥٨) المثل السائر: ٢٥٨/١ .
- (١٥٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٨/١ .
- (١٦٠) المصدر نفسه: ٢٥٨/١ .
- (١٦١) المثل السائر: ٢٨١/١ .
- (١٦٢) البديع: ٧٤ .
- (١٦٣) الخصائص: ٢٣٤/٢ .
- (١٦٤) الإيضاح: ٢١٢ .
- (١٦٥) المثل السائر: ٢٨١/١ .
- (١٦٦) المصدر نفسه: ٢٨٣/١ .

- (١٦٧) سورة العلق، الآية: ١-٢.
- (١٦٨) سورة الطور، الآية: ١-٢.
- (١٦٩) سورة الطور، الآية: ١٧-١٨.
- (١٧٠) المثل السائر: ١/٢٩٠.
- (١٧١) المصدر نفسه: ١/٢٨١.
- (١٧٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/٢٨٣.
- (١٧٣) ينظر: نهاية الأرب: ٥/٢١١.
- (١٧٤) المثل السائر: ١/٢٨٨.
- (١٧٥) ديوانه: ٣٣٩.
- (١٧٦) المثل السائر: ١/٢٨٦.
- (١٧٧) ديوانه: ٩٥.
- (١٧٨) المثل السائر: ١/٢٨٦.
- (١٧٩) المثل السائر: ١/٢٩١.
- (١٨٠) المصدر نفسه: ١/٢٩١.
- (١٨١) سورة الصافات، الآية: ١١٧-١١٨.
- (١٨٢) ينظر: الضاعتين: ٢٨٨.
- (١٨٣) الضاعتين: ٢٩٨.
- (١٨٤) المثل السائر: ١/٢٩٣.

## ثبت المظان

### بعد القرآن الكريم

- (١) الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م
- (٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: هـ ريتز، دار المسيرة، بيروت، ط/٣، ١٩٨٣م.
- (٣) إعجاز القرآن : أبو بكر محمد الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/٤، القاهرة.
- (٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، ط/٢.
- (٥) البديع: ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) اعتنى بنشره إغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت.
- (٦) البديع والتوازي: عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع الفنية، الاسكندرية، ط/١، ١٩٩٩م.
- (٧) بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المعتال الصعيدي، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز.
- (٨) البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط/٦.
- (٩) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الانجلو المصرية، ط/٢، ١٩٤٨م.

- (١٠) حسن التوصل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٦م.
- (١١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط/٢، ١٩٦٣م..
- (١٢) ديون أبي ذؤيب، نورة الشمالان، الناشر عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض، ١٩٨٠م
- (١٣) ديون امرئ القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٥، ٢٠٠٤م.
- (١٤) ديوان حيص بيص، حققه : مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٤م.
- (١٥) ديوان زهير بن أبي سلمى : شرحه وقدم له : علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٨م.
- (١٦) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له : علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٧م.
- (١٧) ديوان كثيرة عزة، جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
- (١٨) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
- (١٩) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٣، ١٩٩٦م.
- (٢٠) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، ط/١، ١٩٣٢م.
- (٢١) سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق : محمود فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

- ٢٢) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تعليق: راجي الأسمر، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٩٨٨م.
- ٢٣) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩م.
- ٢٤) شعرية النص النثري: أبلغ محمد عبد الجليل، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط/١، ٢٠٠٢م.
- ٢٥) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، ط/٢.
- ٢٦) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مفيد قمحة، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٩٨١م.
- ٢٧) الطراز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
- ٢٨) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، طبعة عيسى الحلبي، مصر.
- ٢٩) العمدة، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ط/٥، ١٩٨١م.
- ٣٠) فجر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط/١٠، ١٩٦٥م.
- ٣١) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق: علي النجدي حافظ، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، طبعته المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩م.

- (٣٢) المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
- (٣٣) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٩٧٨م.
- (٣٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أو أبو محمد القاسم السجلmani الأنصاري، تحقيق: علال الغازي، مكتبة العارف، المغرب.
- (٣٥) نقد الشعر. قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار عطوة للطباعة، ط/١، ١٩٧٩م.
- (٣٦) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠٤م.
- (٣٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجرزي ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط/٢، ١٩٧٩م.



## الإتباع Reduplication في اللغتين

### العربية والإنكليزية - دراسة مقارنة

أ.م.د. هيام فهمي إبراهيم

الجامعة العراقية - كلية التربية للبنات

أ.د. صباح صليبي / جامعة بغداد - كلية اللغات

#### ملخص البحث

في هذا البحث سنتناول دراسة مقارنة لظاهرة صوتية لغوية ، وهي الإتباع في اللغتين العربية والإنكليزية ، ومن المعروف أن هاتين اللغتين تنتميان لفصيلتين مختلفتين ، فالعربية ترجع للفصيلة السامية الحامية ، والإنكليزية ترجع أصولها للفصيلة الهندوأوروبية . جمع الباحثان (ثمانية وخمسين وثلاثمائة) مثالاً للإتباع في العربية، و(ثلاثة ومئتين) مثالاً في اللغة الانكليزية. اقتضت طبيعة المادة المجموعة أن يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، المبحث الأول يقسم على قسمين، الأول ذكرنا فيه حدّ الإتباع في العربية والإنكليزية، والثاني وضحنا فيه فائدة الإتباع في العربية والإنكليزية. أما المبحث الثاني فيشتمل على قسمين، الأول ذكرنا فيه أنواع الإتباع في العربية والإنكليزية، وشروط الإتباع في العربية، والفرق بين الإتباع والتوكيد والترادف في العربية، ثم ذكرنا أنواع الإتباع في الإنكليزية، والقسم الثاني لأنماط الإتباع في العربية والإنكليزية. والمبحث الثالث الدراسة الصوتية في اللغتين العربية والإنكليزية ويقسم على قسمين:

الأول: ضمّ الدراسة الصوتية في اللغة العربية، والثاني: كان للدراسة الصوتية في اللغة الإنكليزية. ثمّ ختمنا البحث بالخاتمة والنتائج.

**Reduplication in the Arabic and English Languages:  
A Comparative Study**

by

Prof. Sabah Selibi, Ph.D.

Bagdad University, College of Languages

Ass. Prof. Hayam Fahmi Ibrahim, Ph.D.

Al-Iraqia University, College of Women Education

**Abstract**

The paper presents a comparative study of a phonetic linguistic phenomenon which is reduplication in the Arabic and English languages. It is known that these two languages belong to two different families that the Arabic language belongs to the Hamito-Semitic family and the English belongs to Indo-European family. The researchers collected three hundreds fifty eight examples for reduplication in Arabic and two hundreds three examples for reduplication in English. The nature of the collected materials required that the paper would be divided into a preface, and three parts. The first part comprises two sections: the first presents the definition of reduplication in Arabic and English and the second shows the advantage of reduplication in Arabic and English; The second part consists two sections: the first shows the types of reduplication in Arabic and English, its conditions in Arabic, the differences between reduplication, emphasis, and synonymy in Arabic and the types of reduplication in English, and the second section shows the patterns of reduplication in Arabic and English. The third part tackles the phonetic study in both languages and is divided into two sections: the first tackles the phonetic study in Arabic and the second the phonetic study in English. The paper ends with the conclusion and the findings.

## مقدمة : .

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، في هذا البحث سنتناول دراسة مقارنة لظاهرة صوتية لغوية ، وهي ظاهرة الإتياع في اللغتين العربية والإنكليزية ، ومن المعروف أن هاتين اللغتين تنتميان لفصيلتين مختلفتين ، فالعربية ترجع للفصيلة السامية الحامية ، والإنكليزية ترجع أصولها للفصيلة الهندوأوروبية ، ولا يخفى على القارئ أهمية الدراسات المقارنة بين اللغات التي تنتمي لفصائل مختلفة ، فهي تساعد في معرفة الكثير من أسرار أصولها وتطورها. وإعداداً لهذا البحث، فقد جمع الباحثان (ثمانية وخمسين وثلاثمائة) مثالاً للإتياع في العربية، عدا أمثلة الإتياع الحركي ، (وثلاثة ومئتين) مثالاً في اللغة الانكليزية، قسمنا في ضوئها أنواع الإتياع وحققنا دراسة صوتية عملية. أما طبيعة المادة المجموعة فقد اقتضت أن يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، المبحث الأول يقسم على قسمين، الأول ذكرنا فيه حدَّ الإتياع في العربية والانكليزية، والثاني وضحنا فيه فائدة الإتياع في العربية والانكليزية. أما المبحث الثاني فيشتمل على قسمين ، الأول ذكرنا فيه أنواع الإتياع في العربية والإنكليزية، وشروط الإتياع في العربية، والفرق بين الإتياع والتوكيد والترادف في العربية، ثم ذكرنا أنواع الإتياع في الانكليزية (ونظراً لسعة المادة في العربية زادت تفاصيل هذا القسم على المادة في الانكليزية)، والقسم الثاني لأنماط الإتياع في العربية والانكليزية. والمبحث الثالث الدراسة الصوتية في اللغتين العربية والانكليزية ويقسم على قسمين:

الأول: ضمَّ الدراسة الصوتية في اللغة العربية، والثاني: كان للدراسة الصوتية في اللغة الانكليزية. ثم ختمنا البحث بالخاتمة والنتائج. ولا بد لي من ذكر مسألة قد يظن القارئ أنها أضرت بمنهج البحث، هي أنَّ الأعلام المعروفين الذين جاء ذكرهم في البحث لم نترجم لهم عدا بعض الأعلام

الذين لم يتردد ذكرهم كثيراً على أسماعنا فقد ترجمنا لهم، هذا وأرجو أن نكون قد وفقنا أنا وزميلي في هذا البحث ووصلنا إلى نتائج تقيد الباحثين ، وأرجو أن يجعله الله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه، ومن الله التوفيق.

### تمهيد:

إنّ ظاهرة الإتياع من الظواهر اللغوية التي تشترك فيها الكثير من لغات العالم، أدرك ذلك أجدادنا القدماء، فقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ؛ (وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب) <sup>(١)</sup>. فنجدها في اللغات العربية واللاتينية واليابانية والكورية والاندونيسية والإيطالية والإنكليزية والعبرية وغيرها <sup>(٢)</sup> ، لذا عدّها علماء اللغة إحدى العموميات (universals) التي تتشاطرها اللغات الحية ، التي تستفيد من التلاعب بالألفاظ Word Play على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي لتؤدي وظائف مختلفة ولتعبّر عن مفاهيم كثيرة <sup>(٣)</sup>.

ومصطلح الإتياع من المصطلحات المستقرة في العربية ويقابله في الإنكليزية مصطلح واحد هو (Reduplication). وقداهتمّ العرب بالإتياع قديماً ، ومن أبرز من أهتم به وألف فيه تأليفاً مستقلاً هو ابن فارس في كتابه (الإتياع والمزاوجة) ، وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ) : إنّ تأليف ابن فارس اسمه (الإماع الإتياع) ولم أقف عليه، واختصر السيوطي كتاب (الإماع الإتياع) في كتاب سمّاه (الإماع في الإتياع). ومن الكتب التي ورد فيها ذكر الإتياع ، هي المعجمات وكتب الأمالي والغريب وكتب اللغة ، ومن أبرز كتب النوع الأخير (المزهر) للسيوطي <sup>(٤)</sup>.

أمّا في الإنكليزية فيرى دينين (Dineen) أن الإتياع موجودة في اللغة الإنكليزية في نوع من الصيغ التي تتواجد في اللغات على مستوى شمولي <sup>(٥)</sup>.

لقد تناول اللغويون هذه الظاهرة في اللغة الإنكليزية تحت حقلي علم الصرف ، وعلم وظائف الأصوات، ومنهم المهتمون بدراسة علم

الصرف، إلّا أنّ تناولهم كان هامشياً<sup>(٦)</sup>. وحظيت هذه الظاهرة باهتمام كبير من النحويين واللغويين شمل دراسة أشكالها ومعانيها ووظائفها اللغوية ولا سيما بعد التطور البارز الذي حصل في أواخر القرن العشرين نتيجة التداخل بين علمي الصرف ووظائف الأصوات - Phonology morphology interface تحت علم أُطلق عليه (علم الصرف العروضي) Prosodic - morphology وأساسه أنّ الطريقة التي يتمّ فيها تطبيق بعض القواعد الصرفية لابدّ أن تخضع للقيود الصوتية المتعلقة بالتركيب العروضي prosodic structure للكلمة<sup>(٧)</sup>.

وكان من أبرز رواد هذه النظرية العروضية علماء لغة تابعين لمدرسة النحو التوليدي التي قادها اللغوي نعوم جومسكي، ومن بين هؤلاء الرواد، مكارثي وبرنس، وقد خالفا جومسكي في مسألة أنّ المورفيمات في عددٍ من اللغات السامية ليست متوالية بل متداخلة<sup>(٨)</sup>.

## المبحث الأول

### حدّ الاتباع وفائدته في اللغتين العربية والانكليزية:

#### ١ - حدّ الاتباع في العربية والانكليزية:

**الإتباع في العربية لغةً :** تبعْتُ الشيءَ تبوعاً : سِرْتُ في إثره ، وتبعْتُ الشيءَ واتَّبَعَهُ وأَتَّبَعَهُ وَتَتَبَعَهُ : قفاهُ<sup>(٩)</sup> . والتابع في الإعراب هو (لفظٌ يتأخر عن متبوعه فيتبعه في حركات إعرابه ، والمتبوع متأثر بالعوامل ) ، والتابع يأخذ حركة ما قبله ولا يؤثر في حركة ما بعده ، والتوابع هي : النعت (الصفة) ، والبدل ، وعطف البيان ، والعطف بحرف العطف ، والتوكيد .

كما يشيع في كتب اللغة تعريف ابن فارس و ( هو: أن تُتبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنِها أو رويّها إشباعاً وتأكيّداً )<sup>(١٠)</sup> ، نحو : حَسَنٌ بَسَنٌ ، وكثيرٌ بثيرٌ ، وإنه لمجرَّبٌ مُدَرَّبٌ ، فنلاحظ اتفاق التابع والمتبوع لهذه الأمثلة في

الوزن والروي . أمّا قوله إشباعاً فيقصد به إشباع الجانب الصوتي ، وقوله : تأكيداً ، يقصد به تأكيد المعنى . فضلاً عن الإتيان بالكلمات نجد في العربية الإتيان الحركي . وهو أن تتبع الحركة الحركة ، لتحقيق الانسجام الموسيقي في الصوت ، وهو أقلُّ وقوعاً من الإتيان بالكلمات وقد يضطر فيه المتكلم أحياناً إلى مخالفة قوانين الإعراب، نحو قوله

تعالى: " مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ " <sup>(١١)</sup>، والأصل: لَا تَأْمَنُنَا، لَأَنَّ لَا نَافِيَةَ وَالْفِعْل مضارع مرفوع، وحصل إدغام للنونين فسكنت النون الأولى لأجل الإدغام <sup>(١٢)</sup>، وسيأتي تفصيله في أنواع الإتيان ، أمّا من المحدثين فقد عرفها د. رمضان عبد التواب ، إذ قال: (والإتيان عبارة عن تأكيد الكلمة بضم كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية بغرض الزينة اللفظية وتأكيد المعنى ، والكلمة الثانية تسمى كلمة الإتيان) <sup>(١٣)</sup>، وفي ضوء الأمثلة المجموعة للبحث وضع الباحثان تعريفاً إجرائياً للإتيان في العربية ، هو: أن تتبع الحركة الحركة ، أو الكلمة الكلمة على وزنها ورويها لتحقيق إشباع الصوت وصولاً لتوكيد المعنى .

ولابد من الإشارة إلى أنّ المزوجة من المصطلحات التي اقترنت بكلمة الإتيان في العربية ، وكثيراً ما يقع الخلط بين مفهوميهما، ووضحنا معنى الإتيان في العربية ، فما معنى المزوجة ؟ لقد سمى ابن فارس كتابه ( الإتيان والمزوجة ) وقال : ( هذا كتاب الإتيان والمزوجة ، وكلاهما على وجهين ... ) <sup>(١٤)</sup> ، فنلاحظ أنّ ابن فارس عطف (المزوجة) على (الإتيان)، ثمّ أكّد اختلافهما، إذ قال: (كلاهما) ففصل الإتيان عن المزوجة ، وعند عرضه الأمثلة ، قال : ( ومن المزوج قولهم في جواب من قال : هاتِ لا أهاتيك ولا أواتيك . والمعنى مفهوم في الكلمتين . ويقولون : لم يبقَ منهم ثبيتٌ ولا هبيتٌ ، أي : جبان ولا شجاع ... ) <sup>(١٥)</sup> . وقال عن (رجل خيَّاب تيّاب) ، هو تزويج ويصلح أن يكون إتياعاً. <sup>(١٦)</sup> ولم يحدد ابن فارس تعريفاً للمزوجة ليفرق بينها وبين مفهوم الإتيان .

ومن المحدثين عز الدين التتوخي محقق كتاب (الإتباع) لأبي الطيب اللغوي ، حاول أن يحصر المزاوجة في الكلمات التي يحصل فيها تغييرات في بنية الكلمات لتوافق المتبوع صوتياً ، وهناك آراء أخرى للقدماء والمحدثين استعرضها بشكل جميل لا يسمح باستزادة المستزيد محمد أديب عبد الواحد جمران، محقق كتاب (الإتباع والمزاوجة) لابن فارس في مقدمة الكتاب، ثم يدلو المحقق بدلوه في هذا الموضوع، إذ قال: (إنَّ المزاوجة أسلوبٌ من أساليب الكلام ،يقوم على تجاوز طرفين منه، وعلى إيجاد تناسب موسيقي بينهما، ومصدر هذا التناسب جناس ناقص ربطهما، أو مشكلة في السجع وارتباط بوزن ، ولا حاجة لربط القضية بالقصة أو لغلبة وجود فعل في الطرفين)<sup>(١٧)</sup>.

أمَّا حدَّ الإتباع في الإنكليزية ، فيرجع المصطلح Reduplication في الأصل إلى اللغة اللاتينية فهي كلمة مشتقة من الفعل ( re - replicare ) ومعناه يضاعف أو يكرّر ، والعملية بحد ذاتها reduplication تشير إلى تكرار وظيفي من منظور نحوي لجذر الكلمة أو جزء منها في الغالب وهذا يحصل عادة في بداية الكلمة يرافقه في كثير من الأحيان تغيير في صوت صامت<sup>(١٨)</sup>. وبعبارة أخرى هو تكوين أو صياغة لمضاعفة صوت أو كلمة أو عنصر من كلمة يتم عادة لأغراض نحوية أو معجمية<sup>(١٩)</sup> وذكر علماء اللغة مجموعة من التعريفات من بينها : أنها عملية يجري على أساسها صياغة المورفيمات (الوحدات الصرفية) إذ يكمن الاختلاف بين العنصرين المضاعفين إمَّا في الحروف الصامتة (consonants) التي تبدأ بها الكلمة مثل - walkie talkie أو في الحروف الصائتة (vowels) التي تتوسط الكلمة في الغالب مثل - criss - cross .<sup>(٢٠)</sup>

وقد عرّف بعضهم الإتباع أنه وحدة مقفأة تتكون من مقطعين وتستمد تمثيلها الكامل في الجانب الصوتي عن طريق استتساخ إيقاع

الجزر<sup>(٢١)</sup>. وفي ضوء ذلك يمكننا القول : إنّ الإتياع هو عملية إعادة مباشرة لوحدة صوتية أو معجمية تعبر عن معانٍ متعددة ومضامين دلالية معينة ، إنّها وسيلة لغوية منتجة Productive لها مكانتها في النظام المعجمي للغة الإنكليزية لا تقل شأنًا عن مكانتها في لغات العالم ، بيد أنّها تُميز عن اللغات الأخرى وعلى حدّ رأي باور (Bauer) في أنّها عملية غير قياسية في صياغة الكلمات بالإنكليزية<sup>(٢٢)</sup> .

ويتكوّن الإتياع في العادة من عنصرين أساسيين هما جذر الكلمة root والكلمة المضاعفة reduplicant ، أمّا في جانبه الصوتي فإنّ الإتياع يستلزم نطق الكلمتين بإيقاع سريع دون توقف بارز مع توزيع النبر stress على المكونين بدرجة مختلفة لتحقيق الانسجام والموسيقى في الكلام .

أمّا طريقة كتابة الإتياع ، فإنه على العموم يتخذ ثلاثة أشكال ، وهي كتابة كلمتي المركب المضاعف كلمة واحدة مثل habhab و riprap ، أو كلمتين تفصل بينهما فاصلة مثل: dilly – dally ، و pell – mell ، أو كلمتين منفصلتين مثل shilly shally , fifty fifty

## ٢- فائدة الإتياع في العربية والانكليزية :

اتفق العلماء على أنّ فائدة الإتياع في العربية : هو توكيد الكلام ، فقال الكسائي (ت ١٨٩هـ) : ( إنما سُمِّي إتياعاً ، لأنّ الكلمة الثانية إنّما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها وليس يُتكلم بالثانية منفردة ولهذا قيل : إتياع)<sup>(٢٣)</sup> .

وقال السيوطي في ( المزهرة ) نقلاً عن ابن الأعرابي (ت ٥٢٣١هـ) : ( سألتُ العرب أيّ شيء معنى شيطان ليطان ، فقالوا : شيءٌ نَدُّ به كلامنا : نشدّه )<sup>(٢٤)</sup> .



وفي هذا المعنى ما حكاه ابن دريد (ت ٣٢١هـ) حين سأل أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) عن معنى ( بسن ) من قولهم: (حسن بسن)، فقال: لا أدري ما هو (٢٥).

وعلق التاج السبكي في ( شرح منهاج البيضاوي ) (ت ٦٨٥هـ) على قول أبي حاتم بقوله : ( والتحقق أن التابع يفيد التقوية فإن العرب لا تضعه سُدىً ، وجَهْلُ أبي حاتم بمعناه لا يضر ، بل مقتضى قوله : إنه لا يدري معناه ، أن له معنى وهو لا يعرفه ) (٢٦). ونقل ابن فارس قول ابن الأعرابي عن العرب وقال : ( إن الحكمة منه هو شيء نَدَّ به كلامنا ) (٢٧).

فيمكننا القول: إن الإتياع كالسجع استعملته العرب للتأثير في السامع وتوكيد المعنى . والعرب قد يضيفون حرفاً على أصل كلمة التابع ليمائل المتبوع في الصوت فيعطيه القوة والتوكيد في المعنى والإشباع في الصوت ، وفي ذلك قال أبو علي القالي ( ت ٣٥٦هـ ) في ( أماليه ) : إنهم قد يضيفون حرفاً على أصل الكلمة لتوافق المتبوع في الوزن والروي ، وتؤكد معناه بإشباعه صوتياً ، كما أضافوها في ( بسن ) من قولهم : ( حسنٌ بسنٌ ) ، لأنَّ أصل ( بسن ) هو بسّ السويق : إذا لته وزيته ليكمل طيبه ، كما زادوها في ( قسن ) من قولهم : ( حسنٌ قسنٌ ) لأنَّ ( قسن ) من قسّ الشيء وتتبعه وطلبه فكأنَّه حسنٌ مقسوس ، أي : مطلوب، كما قال أبو علي: وأحسن من هذا المذهب أن تكون النون بدلاً من حرف التضعيف، لأنَّ حروف التضعيف تُبدل منها الياء مثل: تَضَعِفُ وتَقْضِيْتُ وأشباههما، فلمَّا كانت النون من حروف الزيادة كما أنَّ الياء من حروف الزيادة، كما أنَّها من حروف البدل، أُبدِلت من السين إذ مذهبهم أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد، مثل القوافي والسجع، ولتكون مثل حسنٍ (٢٨) . ولو لاحظنا التابع والمتبوع نجد أنَّ العربي يكثر من استعمال صيغة (الصفة) في التابع والمتبوع ، والصفة يستعملها العربي للتوضيح وتوكيدها بالتابع الصفة يؤدي إلى توكيد المعنى ، ثمَّ إشباعه صوتياً

بالتوافق بين التابع والمتبوع بالوزن وحرف الروي ، يزيد المعنى قوةً وتوكيداً عند السامع.

**وللإتباع في اللغات الأخرى** عدة وظائف قد تتباين من لغة لأخرى أو تشترك أحياناً أخرى، ومن أبرزها الوظيفة النحوية والدلالية متمثلة بجوانب كثيرة مثل: الجمع plurality، والتشديد intensification، والتوزيع distribution، والتصغير diminutive، والتوكيد emphasis، والاستمرارية continuity، وتامة الفعل Perfect، وغيرها (٢٩) .

**أمّا في اللغة الإنكليزية** فأبرز وظيفة لها هي الوظيفة المعجمية lexical التي تتجسد بصياغة كلمات جديدة على أساس الاشتقاق المعجمي derivation الذي غالباً ما يتبنى نغمة أكثر تعبيراً وتأثيراً على السامع بل أكثر مجازاً ممّا عليه الحال في الكلام الاعتيادي وتؤدي التغيرات الصوتية والصرفية الناتجة عن عملية الإتياع دوراً مهماً في تمييز المعاني المعجمية والمعاني النحوية (٣٠) .

ويرى كرسنل (Crystal) أنّ الإتياع هو سمة من السمات التي يتأثر بها الطفل ويلتقطها من الأم، وهو دليل واضح على حصول النمو الصوتي عنده مثل كلمتي mama، وpapa ويظهر ذلك جلياً في السنة الثانية من العمر (٣١) أمّا باركر، ورالسي، فوجدوا أنّ تكرار أجزاء من المقطع الصوتي عملية شائعة لدى الأطفال إذ تدرج ضمن الخمسين كلمة التي عادة ما يبدأ الطفل نطقها في بداية نطقه اللغة (٣٢) .

فالطفل مثلاً يبدأ لفظ كلمة water أي ماء بلفظه (wowo) وكلمة bottle أي قنينة بلفظه (bubu) وكلمة (ball) أي كره بلفظه (bobo) وتلك حالة تختلف من طفل لآخر وقد تستمر شهوراً عدة ، ويمكن سبب تكرار الكلمات أو مقاطع منها إلى حدّ ما في حاجة الطفل إلى التلاعب بالأصوات والتدريب عليها وممارستها الأمر الذي يتيح له فرصة السيطرة على عملية نطق الكلمات وتلفظها (٣٣) .

إنَّ ظاهرة تكرار الكلمة كلياً أو جزئياً ولاسيماً في الكلمات التي تدلُّ الأصوات فيها على معانيها والتي يطلق عليها تسمية onomatopoeic words أو echo words ما هي إلَّا حالة تبين علاقة الصوت بمعنى الكلمة كما في quack – quack, bow – wow (٣٤). وهذا رأي يخالف تماماً رأي علماء اللغة بهذا الموضوع ومن أبرزهم العالم اللغوي الشهير دي سوسير الذي ينصُّ على عدم وجود علاقة جوهرية بين الدال signifier والمدلول Signified، أي: أنَّ العلاقة بين شكل الكلمة ومعناها هي علاقة اعتباطية (arbitrary) (٣٥) وقال ريكز في هذا الصدد : إنَّ اللاعتباطية للعلاقة القائمة بين الصوت والمعنى المتمثلة في الإتياع قد تعزى إلى التداخل الحاصل بين عاملين أساسيين هما الرمزية الصوتية Sound Symbolism، أو إيقاع الصوت iconicity، والتوسع الدلالي Semantic extension للكلمة القائم على مبدأ المفهوم concept فلو أخذنا الكلمات riffraff ، claptrap ، dumdum فإنَّنا سنلاحظ أنَّها تشترك في سمتين أولها مضاعفة الكلمة وثانيها الدلالة على عنصر الازدراء أو الاحتقار (٣٦) .

أمَّا من الناحية الدلالية فقد تبين للباحثين في ضوء الأمثلة التي جمعت أنَّ للإتياع معانٍ يعبر عنها في اللغة الإنكليزية فإلى جانب استعماله في لغة الأطفال وأغانيهم لا سيَّما تلك التي تنتهي بصوت (y) مثل wishy – washy – nilly – willy – dovey – lovey فإنه يدلُّ على المعاني الآتية :

- ١- التصغير itty – bitty .
- ٢- الازدراء claptrap .
- ٣- التكرار boogie – woogie .
- ٤- اضطراب الحركة dilly – dally .
- ٥- الحيرة والاضطراب في المشاعر helter – skeiter .

٦- المودة والعاطفة bye – bye .

٧- التوكيد tip – top .

كما لوحظ أنَّ الإتياع غالباً ما يستعمل في الإعلانات وعناوين الأخبار بُغية جذب انتباه القارئ ، وإنَّ جُلَّ أمثله تعبر عن لغة غير رسمية وغريبة الأطوار slang وهي نوع من أنواع اللغة الهجينة pidgin creole ، وإنَّ بعضاً منها ناتج من الاقتراض اللغوي مثل كلمة beri beri التي تشير إلى مرض يتسبب عن نقص في فيتامين (B<sub>1</sub>)<sup>(٣٧)</sup> . ومن الجدير بالذكر، أنَّ عنصرى الإتياع يتخذان ثلاثة أشكال من حيث المعنى :

١. إنَّ كلا العنصرين يعبران عن معنى مركزي مثل sin bin . tip top  
٢- إنَّ أحد العنصرين يحمل معنى والآخر ليس له معنى إذ يضاف لناحية جمالية مثل

super – uper  
piggy – iggy

٣- إنَّ كل عنصر مستقل لا يحمل معنى بانفصالهما لكن مجموع العنصرين يعبران عن معنى معين مثل

hoity – toity  
wishy – washy

## المبحث الثاني

### أنواع الإتياع وأنماطه في العربية والانكليزية :

#### ١- أنواع الإتياع في العربية والانكليزية:

لقد اختلفت تصنيفات الإتياع في العربية بين القدماء والمحدثين، فقد قسم أبو علي القالي: (الإتياع على ضربين، فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً، لأنَّ لفظه مخالف للفظ الأول، وضربٌ فيه الثاني غير معنى الأول)<sup>(٣٨)</sup> ، أي: تقسيمه قائم على أساس المعنى، وصنّف ابن فارس الإتياع على تصنيفين ، الأول : بحسب

حرف الروي، وهو على وجهين : (أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويٍّ واحدٍ . والوجه الآخر أن يختلف الرويان)<sup>(٣٩)</sup> . ولم يذكر الوزن وكأنه أشار له ضمناً ، فمثال النوع الأول ، أي: ما أتفق فيه الوزن والروي ، قولهم : عطشان نطشان ، وقسيمٍ وسيمٍ . وأمّا أمثلة ما يختلف فيه الوزن أو حرف الروي أو كلاهما ، فقليلة ، ومنها : لا زبرٌ ولا جولٌ ، وقليلٌ شقنٌ ، وما ذاق علوقاً ولا ألوساً ، وناصٍ وناضٍ ، وجوعاً له وجوداً وجوساً ، وإنه لتاكٌ فاكٌ ماجٌ ، ولحزٌ لصبٌ ، وجديدٌ قشيبٌ ، أمّا تصنيفه الثاني فكان بحسب المعنى ، وهو على وجهين أيضاً ( أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاق ، إلّا إنها كالإتباع لما قبلها)<sup>(٤٠)</sup> ، فمثال الأول قولهم : رجلٌ حريبٌ سليبٌ ، وإنه لساغبٌ لاغبٌ ، ومثال الوجه الثاني ، قولهم : هو ذو حصاةٍ وأصاةٍ . الحصاة : العقلُ والرّزانةُ ، والأصاة : ليس لها اشتقاق .

كما خصص ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في كتابه (المخصص) باباً للإتباع، وقسم فيه الإتباع على قسمين وافق فيه تقسيم أبي علي القالي<sup>(٤١)</sup> . وقسم الرضي الاستربادي (ت ٦٨٨هـ) الإتباع بحسب المعنى ، على أنواع ثلاثة ، إذ قال : ( وهو على ثلاثة أضرب : إمّا أن يكون للثاني معنى ظاهر ، نحو : هنيئاً مريئاً ، وهو سرير ، أو لا يكون له معنى أصلاً بل ضمّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنىً ، وإن لم يكن له في حال الأفراد معنى ، نحو قولك حسن بسن ، أو يكون له معنى متكلف غير ظاهر ، نحو : خبيث نبيث ، من نبثت الشر ، أي : استخرجته)<sup>(٤٢)</sup> . فنلاحظ أنّ الرضي عدّ لفظة (بسن) لا

معنى لها في كلام العرب ، علماً أنّ ( بسن ) لها معنى خاص بها في حال الإفراد ، ففي لسان العرب : ( أبسن الرجل : إذا حسنت سحتته )<sup>(٤٣)</sup> ،

وبعضهم عدّه من بسّ السويق إذا لنته أو زيت ليكمل طيبه ثم أضيفت النون ليتفق في الوزن والروي مع المتبوع (حسن)<sup>(٤٤)</sup> .

وتتبع الرضي الاستربادي معاني الإتياع ليجت عن التوافق والاختلاف والتقارب بين معاني التابع والمتبوع، بل إنه لدقته يحتار في تصنيف مثال تحت أي يضرب يضعه، وهو قولهم : ( أكتعون أبصعون ، قيل : من القسم الثاني ، أي : لا معنى لها مفردة ، وقيل من الثالث مشتق من حول كنع ، أي : قام ، ومن تبصع العرق ، أي : سال ، أو من بصع ، أي : روى ، ومن البتع ، وهو : طول العنق)<sup>(٤٥)</sup> . وخلافات اللغويين حول معاني التابع كثيرة ومبثوثة في كتب اللغة والمعاجم .

أمّا الباحثون المحدثون فقد تابعوا القدماء في تقسيم الإتياع على أساس المعنى، وبعضهم قال: إن الإتياع على قسمين، هما :  
الأول : أن يكون فيه الثاني بمعنى الأول ، فيؤتى به تأكيداً ، كقولهم :  
قسيم وسيم وكلاهما بمعنى جميل ، وضئيل بئيل بمعنى واحد ، وجديد قشيب ، ومُضيع مُسيع .

والثاني : يكون فيه معنى الكلمة الثانية غير معنى الأولى ، كقولهم : حارٌّ يارٌ ، وعطشان نطشان، فالكلمة الثانية في هذه الأمثلة تابعة للأولى على وجه التوكيد لها ، ولهذا قيل إتياع<sup>(٤٦)</sup> . ولم يشيروا إلى الإتياع الذي لا معنى له في كلام العرب ولا اشتقاق .

وفي هذا البحث ، وفي ضوء الأمثلة المجموعة ، إعداداً للبحث أرى أنّ الإتياع على ضربين ، هما:

## ١ - الإتياع بالحركات ٢ - الإتياع بالكلمات

١. **الاتباع بالحركات** وهوان تُتبع الحركة الحركة لتحقيق الانسجام الموسيقي بين الأصوات ، وسماء بعضهم تسمية لطيفة وهي هجوم الحركات على الحركات<sup>(٤٧)</sup> ، والإتياع الحركي على أنواع ، هي :

أ. إتباع يكون بإبدال الحركة في الكلمات للمجانسة الصوتية ، كقولهم : ( ضربتُمُ اللصَّ ) بضم ميم ( ضربتُمُ ) الساكنة أصلاً إتباعاً لضمّة التاء قبلها<sup>(٤٨)</sup> ، ( وقالوا أيضاً : هو رجسٌ نجسٌ ، فإن أفردوا لفظة نجسٍ ردّوها إلى أصلها ، فقالوا : نجسٌ ، كما قال سبحانه وتعالى : "إنما المشركون نجسٌ" )<sup>(٤٩)</sup> . فنلاحظ أنّ حركة الحرف السابق أو حركة الكلمة السابقة تؤثر في حركة اللاحق من حرفٍ أو كلمة فيتشاكلان . وكقراءة من قرأ : " الحمد لله " بكسر الدال في الحمد إتباعاً للام المكسورة بعدها ، كما قرئت بضم اللام ، أي : " الحمد لله " إتباعاً لضمّة الدال قبلها<sup>(٥٠)</sup> ، وقد يقع الإتباع في الحركات للمجانسة الصوتية في غير أواخر الكلمات في قولهم : ( قد حدّث أمر ، فيضمون الدال من " حدث " مقايضة على ضمها في قولهم : أخذه ما حدّث وما قدّم ، فيحرّفون بنية الكلمة المقولة ويخطئون في المقايضة المعقولة ، لأنّ أصل بنية هذه الكلمة حدّث على وزن فعّل ، بفتح العين ، كما أنشد في بعض أدباء خراسان لأبي الفتح البستي :

جرعتُ من أمرٍ فظيعٍ قد حدّثُ

أبو تميم وهو شيخٌ لا حدّثُ

قد حبسَ الأصْلَحَ في بيتِ الحدّثِ

وإنما ضُمّت الدال من حدّث حين قرُنَ بقُدُم لأجل المجاورة والمحافظة على الموازنة ، فإذا أفردت لفظة حدّث زال السبب الذي أوجب ضمّ دالها في الأزواج ، ووجب أن تُردّ إلى أصل حركتها وأولية صيغتها<sup>(٥١)</sup> . ومثله ( من العرب من يقول في الوقف : هذا عمرٌ ، بضم الميم ، بكُرُ ، بضم الكاف ، ومررت بعمر ، بكسر الميم ، وبكر ، بكسر الكاف ، فينقل حركة الراء إلى ما قبلها وإنما جاز ذلك ، لأنّه إذا حرّك ما قبل الراء فكأن الراء متحركة )<sup>(٥٢)</sup> .

ونلاحظ في ضوء الأمثلة المتقدمة أنه يمكننا أن نستنتج أن الكلمة اللاحقة أو الحرف اللاحق يؤثر في السابق فيتمثالان ، وهو الأكثر . كما سيتضح لنا من الأمثلة اللاحقة أن الإتياع الحركي قد يقع في كلمة واحدة ، أو في كلمات متصلة في تركيب جملي .

**ب. إتياع حركي عن طريق حذف الحركة أو الحذف والنقل معاً، ومثال الحذف كلمة (لَذَن) عند نطقها ساكنة العين ، أي : ( لَذَن) ، ومثال الحذف والنقل معاً ما حصل في كلمة ( لُذَن) وذلك بحذف حركة فاء الكلمة أولاً ثم نقل حركة العين إليها<sup>(٥٣)</sup> . وجاء في ( الشيرازيات) : إنه يجوز تسكين العين في (لَذَن) و( عَجَز) و( عضُد) ، فإذا أسكنت كان فيه بعد الاسكان وجهان : أحدهما : أن تحذف الحركة حذفاً كما تحذف من عضد . وآخرهما : أن تلقي الحركة على الحرف السابق بعد حذف حركته<sup>(٥٤)</sup> .**

**ج. إتياع حركي فيه مخالفة لقوانين الأعراب ، والحركات في هذه الحالة لا تدل على معانٍ إعرابية ، بل حدث الإتياع سعياً وراء التجانس الصوتي فقط ، ويتحقق بالطرق الآتية :**  
**أولاً : نقل الحركة ، كقول الشاعر<sup>(٥٥)</sup> :**

من عَنَزِيٍّ سَبَنِيٍّ لم أَضْرِبُهُ عَجِبْتُ والدَّهْرُ كثيرٌ عَجَبُهُ  
ومحل الشاهد ( لم أَضْرِبُهُ) لأنه وفق القوانين النحوية يجب القول (لم أَضْرِبُهُ) ؛ لأنه مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون ، ولكن الشاعر نقل حركة الهاء إلى الباء قبلها ليكون أبين للهاء في الوقف، لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها .

كما قرأ بعض النحاة قوله تعالى : " وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ " <sup>(٥٦)</sup> ، بضم



الكاف من ( يدركه ) ، وتوجه هذه القراءة : انّ ضمة الكاف في ( يدركه ) وهي ساكنة أصلاً ؛ لأنّ الفعل مجزوم ، منقولة من الهاء بعدها<sup>(٥٧)</sup> .  
ومنه أيضاً قول الشاعر<sup>(٥٨)</sup>:

من أيّ يوميّ من الموتِ أفرُّ      أيّومَ لم يُقدِرَ أمْ يومَ قدُرْ

ومحلّ الشاهد ( لم يُقدِرَ أم ... ) فالأصل في الفعل أن يكون مجزوماً بلم وعلامة جزمه السكون ، والفتحة خرّجها النحاة أنّها نُقلتْ إلى راء ( يُقدِر ) من همزة (أم) ، ثُمَّ أُبدِلَتْ الهمزة الساكنة ألفاً، ثُمَّ الألف همزة متحركة بالفتحة لالتقاء الساكنين، وحُرِكتْ بالفتحة أتباعاً لفتحة الراء، وعلّل ابن هشام الأنصاري (ت ٥٧٦١هـ) ذلك وفق قاعدة: ( إنَّ الشيء يُعطى حكم الشيء إذا جاوره )<sup>(٥٩)</sup> . وقرئ قوله تعالى : " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " <sup>(٦٠)</sup> بفتح الحاء<sup>(٦١)</sup> ، أي بنقل حركة اللام التي بعدها إلى الحاء الساكنة، لأنّ الفعل مجزوم بلم ، ويُلاحظ من الأمثلة السابقة ، أنّه غالباً ما يكون نقل الحركة من الحرف اللاحق إلى السابق .

### ثانياً: حذف الحركة :

كقوله تعالى : " مالك لا تأمّنّا على يوسف " <sup>(٦٢)</sup> ، والأصل : لا تأمّنّا ؛ لأنّ لا نافية والفعل مضارع مرفوع ، وحصل ادغام للنونين فسكنت النون الأولى لأجل الادغام<sup>(٦٣)</sup> .

### ثالثاً: إبدال الحركة ، ومنه قول الحطيئة<sup>(٦٤)</sup>:

فإياكم وحيّة بطنٍ وادٍ      هموزِ النَّابِ ليس لكم بسيّ

فيمين جر هموزِ النَّابِ ، وقول العجاج<sup>(٦٥)</sup>:

كأنّ نسج العنكبوتِ المُرْمَلِ

والصواب : المرملا .

٢- إتياع بالكلمات : وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها غالباً ، لتوكيد المعنى باشباعه صوتياً ، وهو على ضربين :

أ. إتباعٌ يقتضي تغييرات لا تجري على القاعدة الأساسية ، كقولهم : ( الغدايا والعشايا ) وجاء في (لسان العرب) : ( إنَّ العرب تُوازنُ اللفظَ باللفظِ ازدواجاً ، كقولهم : إنِّي لآتيه بالغدايا والعشايا ، وإنَّما تُجمَعُ الغداةُ غَدَوَات ، فقالوا : غدايا لأزدواجه بالعشايا )<sup>(٦٦)</sup> . وقد روي عن النبي محمد ، ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة وتعديل المقارنة كقوله للنساء المتبرزات في العيد: " ارْجِعن مَأْزورات غير مأجورات "<sup>(٦٧)</sup> ، أي آثَمَات ، وقياسه : موزورات لاشتقاقها من الوزر ، وقال: مأزورات، للآزدواج . وقال الرسول محمد ، ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، في عُودته للحسن والحسين ، عليهما السلام ، ( أعيدكما بكلمات الله التامة من كلِّ شيطان وهامة ومن كلِّ عين لامة )<sup>(٦٨)</sup> ، الأصل في لامة ملمة ، لأنها فاعل من أَلَمَّت إلا أنه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أراد أن يعادل بلفظ ( لامة ) لفظتي ( تامة ) و ( هامة )<sup>(٦٩)</sup> ، ومثله قوله عليه الصلاة والسلام : ( مَنْ حَفَّنَا أَوْ رَفَّنَا فَلْيَقْتَصِدْ )<sup>(٧٠)</sup> ، أي : من خدمنا أو أطعمنا ، وكان الأصل : أَتَحَفَّنَا فَاتَّبِعْ حَفَّنَا رَفَّنَا ليقابلها في الوزن والروي<sup>(٧١)</sup> ، ومنه أيضاً قولهم : ( فعلت به ما ساءه وناءه ، فإن أفردوا قالوا : أناءه )<sup>(٧٢)</sup> وقالوا : هنأني الشيء ومرأني ، فإن أفردوا ، مرأني ، قالوا : أَمْرَأني<sup>(٧٣)</sup> و ( قالوا : للشجاع الذي لا يزايل مكانه : أهَيْسَ أَلَيْسَ ، والأصل في الأهيس الأهُوسُ لاستقاقه من هاس يهوس ، إذا دقَّ ، فعدلوا به إلى الياء ليوافق لفظة أليس )<sup>(٧٤)</sup> .

ومنه أيضاً قول العرب : وقع في الحيص بيص ، وعلق عليه الرضي بقوله : ( ويجب أن يُرعى تجانس اللفظين في باب الإتباع بما يمكن ، فلهذا قلبوا واو بوص ياء ، وأصله حيص بوص<sup>(٧٥)</sup> ، ومعنى الكلمة التابعة يختلف عن معنى الكلمة

المتبوعة ،والْحَيْصُ : الحَيْدُ عن الشيء ، وحاص عنه : رجع ، ويُقال : ما عنه مَحْيَصٌ ولا مَحْيَدٌ وَمَهْرَبٌ<sup>(٧٦)</sup> ، وبيصَ من باصَ إذا تقدم<sup>(٧٧)</sup> ، فالمعنيان مختلفان ولكنهما يؤيدان إلى فكرة واضحة مترابطة المعاني . ومنه قولهم : حَيَّاكَ اللهُ وبَيَّاكَ ، ( وقال الأحمر : بَيَّاكَ اللهُ معناه بَوَّأكُ منزلاً ، إلا أنها لما جاءت مع حَيَّاكَ تركت همزتها وحُوِّلتْ واوها ياء ، أي : أسكنك منزلاً في الجنة وهيَّاكَ له)<sup>(٧٨)</sup> . وقيل بَيَّاكَ : أضحكك . وبعض المحدثين عدَّ هذا النوع من الإتياع ازدواجاً .

ب. إتياع بالكلمات ، لا يحدث فيها تغييرات صرفية ، نحو : عطشان نطشان ، وإنه لساغبٌ لاغبٌ ، وكثير بثيرٌ . وفي ضوء الأمثلة المجموعة للبحث ، والتي تُصنف تحت هذا الضرب ، وبعد الوقوف على معانيها ، أرى أنه يمكن تقسيمها كما يأتي :  
أولاً: أن يكون للكلمة التابعة معنى مختلف عن معنى الكلمة المتبوعة ، وهذا الاختلاف فيه درجات متفاوتة ، فيمكن أحياناً أن يجمع معنيين متناقضين ومختلفين تماماً ، ويمكن أن ندرج تحته كل الأمثلة التي عدّها ابن فارس من المزوجة في كتابه (الإتياع والمزوجة) ، فقال : ( ومن المزوَّج : ما له هاربٌ ولا قاربٌ ، أي : ماله صادرٌ عن الماء ولا واردٌ )<sup>(٧٩)</sup> .

وقال : ( ومن المزوجة : فيمن ينفعُ مرّةً ويضرُّ أخرى : هو جَيْشٌ مرّةً وعَيْشٌ مرّةً )<sup>(٨٠)</sup> ، ونلاحظ وجود الفاصل بين التابع والمتبوع في كل أمثلة هذا النوع .

إلا أنّ المزوجة عند ابن فارس لم تطرد في كل أمثلة هذا النوع في كتابه ، وجعلها من الإتياع كقولهم : وما له حلوبةٌ ولا ركوبةٌ . الحلوبة : ما تحلب ، والركوبة : ما تُركب وكقول امرأة من العرب : إنّي

لأبغضُ من الرجال الأملح الأفلح . الملحّة : بياضُ الشيب ، والقَلْحُ : صفرة الإنسان .

وكقولهم: ما سمعت له حسّاً ولا جرئاً ، أي حركة ولا صوتاً<sup>(٨١)</sup>. وهذا الضرب من الإتياع يمكن أن ندرج تحته أيضاً الأمثلة المختلفة المعاني ولكنها ليست متناقضة تماماً كالأمثلة التي سبق ذكرها ولكنه اختلاف فيه تقارب وكأن المعنى الأول يؤدي إلى الثاني وباجتماعهما يصير المعنى تاماً ، كقولهم : إنه لساغبٌ لاغبٌ ، فالساغب : الجائع ، واللاغبٌ : المعبي الكالٌ . فالجوع يؤدي إلى الأحساس بالتعب . وكقولهم : فقيرٌ وقيرٌ ، والوقير : صغار الشاء ، والوقير : الذي أثقله الدّين ، فصغار الشاء في ضعفها وذلتها كضعف وذلة الذي أثقله الدّين .

وقولهم : عطشان نطشان ، والنطشُ ، الشدة ، فنلاحظ أن معنى الكلمة المتبوعة يختلف عن معنى الكلمة التابعة، لكنه يؤدي إليه ليرسم صورة وفكرة منسجمة المعنى ويقويها الاتفاق في الوزن والروي ، ليعطي المعنى تأكيداً وتأثيراً أقوى . وأمثلة هذا النوع كثيرة .

ثانياً : أن يكون للكلمتين التابعة والمتبوعة المعنى نفسه ، أي : عندنا لفظان مختلفان متفقان في المعنى والوزن والروي ، نحو : هنيئاً مريئاً ، ويوم عكّ أكّ ، والعكيك والأكّة : شدة الحرّ وسكون الريح ، وصلمعة بن قلمعة ، تقال للذي لا يُعرف أصله ، وصلمع وقلمع الشيء : قلعه من أصله .

وغالباً ما يتبع علماءنا القدامى عند ذكر أمثلة هذا النوع قولهم : وهو إتياع أو إتياع لا يُفرد ، كقولهم : بَقْلٌ ثَعْدٌ معدٌ ، إذا كان غضاً ليناً . معدٌ إتياع . وهو كثير بثير وبذير ، وهو إتياع ويوصف به الكثرة ومكان عمير بجيرٌ من العمارة ، وهو إتياع<sup>(٨٢)</sup> .

وفي هذا النوع من الإتياع، أي: عندما توافق الكلمة التابعة المتنوعة في الوزن الروي والمعنى وتخالفها في اللفظ، قد تكون الكلمة التابعة لغة من لغات العرب، فمثلاً: أسوان أتوان، فأسوان: حزين وأتوان بمعنى: أُنْبِيَتْهُ آتِيَهُ وهي لغة هذيل<sup>(٨٣)</sup>، ويقولون: كثيرٌ بجيرٌ، فالبجير لغة في البجيل، وهو العظيم<sup>(٨٤)</sup>، ويقولون: ذهب دمه خضيراً مَضِيراً، أي: باطلاً، ويمكن أن يكون مَضِيراً لغة في نَضِيراً<sup>(٨٥)</sup>، كما أشار لذلك الفراء بقوله: ( كثيرٌ بذيرٌ ، مثل بثير ، لغة )<sup>(٨٦)</sup>.

ومن المهم أن نذكر أن الاتفاق في المعنى يصير أحياناً تقارباً ولا يمكن أن نعدّه اختلافاً كقولهم: نسأل الله السلامة والغنامة، وأمثلة الإتياع المتفق المعاني كثيرة كأمثلة المختلف المعاني. ولم أستطع أن أقدم إحصائية في إعدادها لأنّ المعاني تكون متداخلة في كثير من الأمثلة ولا يمكن تصنيف عدد من الأمثلة تحت أي نوع، بل قد تتعدد الروايات في تفسير معنى مثال واحد، كما تعددت في تفسير (أتوان) من قولهم (أسوان أتوان) فقالوا: أسوان من الأسى والحزن. وأتوان أي حريص، ويُقال: (حزين متردد يذهب ويجيء من شدة الحزن)<sup>(٨٧)</sup>، وقد ذكر العلماء الأوائل احتمالات معنى عدد من الكلمات في الإتياع، مثل أبي علي القالي في (الأمالي)، وابن فارس في (الإتياع والمزاوجة) وغيرهما.

ثالثاً: والنوع الأخير من الإتياع هو أن يكون للكلمة التابعة أي معنى، أو اشتقاق، ولا يشترك التابع والمتبوع إلا في الانسجام الموسيقي للفظتين لاتفاقهما بالوزن والروي،

ومن أمثلته، قول ابن دريد: (شَيْطَانٌ لَيْطَانٌ، وقالوا لَبْطَانٌ، ولا أدري ممّا اشتقاقه)<sup>(٨٨)</sup>، ومثله قول أبي علي القالي في: (رَغْمًا دَغْمًا شِنْغَمًا) (فأَمَّا شِنْغَمٌ فلا أعرف له اشتقاقاً، وسألتُ عنه جميع شيوخنا لم أجد أحداً يعرفه...)<sup>(٨٩)</sup>، كما قال ابن فارس: (وهو ذو حَصَاةٍ وأَصَاةٍ. الحَصَاة: العقل والرَّزَانة، والأصَاة: ما سمعت لها باشتقاق)<sup>(٩٠)</sup>، وهو أقل أنواع

الاتباع ، أمّا دلالته فصوتية بحتة بخلاف النوعين الأول والثاني فدلالتهما معنوية صوتية .

### والتعريف الجامع للاتباع حسب زعمنا هو :

أن تتبع الحركة الحركة أو الكلمة الكلمة لتوكيد المعنى باشباعه صوتياً ، وذلك بتحقيق الاتفاق في الوزن أو الروي ، إلا ما ندر .  
وأخيراً هنا لابد من ذكر الإتياع المتعدد ، وقال عنه السيوطي :  
إنّ الإتياع قد يأتي بلفظين بعد المتبع كما يأتي بلفظ واحد<sup>(٩١)</sup> ، وأمثله محدودة ، وهي كما يأتي:  
١. حسن بسن قسن .

٢. لا بارك الله فيك ولا تارك ولا دارك .

٣. امرأة عقانة شقدانة عدوانة ، أي : بدية سليطة .

٤. حار جار يار .

٥. أجمعون أكتعون أبصعون .

٦. وإنه لمطر هم مصلخهم مطلقهم ، وهو المتكبر الشامخ .

٧. جوع يرقوع يهقوع ديقوع .

٨. وهو ولع تلغ وزع ، أي : سريع إلى الشر .

٩. نعوذ بالله من الخضوع والقنوع والكنوع . فالخضوع :

التصاغر ، والقنوع : المسألة ، والكنوع مثل الخضوع .

١٠. هو خاسر دامر دابر ، وخسر دمر دبر .

١١. وقد طبع ورع ودفع ، وذلك من الحرص والنهم .

١٢. كثير بثير بذير .

١٣. واحد قاحد صاخذ .

١٤. ويقال للرجل المنبوز : أقعد منبوحاً مقبوحاً مشقوقاً !

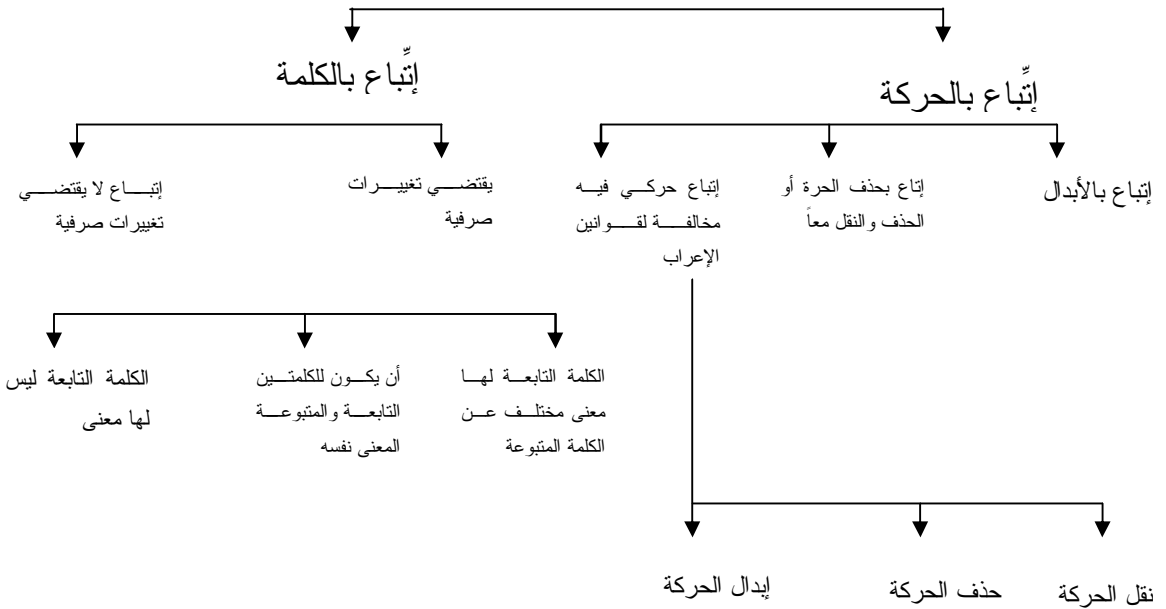
والمشقوق : المكسور المبعد .

١٥. شيء شد قد بد .

- وقد يختلف وزن التابع الثاني أو حرف الروي ،كقولهم :
١٦. أحرق أخرق زبعيق ، فالأخرق : الذي لا يعتدل بيديه ، والزبعيق : الحديد الغلق .
١٧. رَغماً دَغماً شِنَغماً .
١٨. لتاك فاك ماج ، أي : لا ينبعث من الكبر ، يعني البعير ، وقد يوصف به الرجل.
- ومثال ما لم يجئ فيه التابع على روي الأول :
١٩. جوعاً له وجوداً وجوساً .
- وقد تتعدد الروايات في هذا النوع من الإتياع ، نحو :
٢٠. ذهبت إليه شذر مذر بذر ، إذا تفرقت في كل وجه ، كما يُقال : تفرقت إليه شجر بجر ومذر .
- والمخطط الآتي يوضح أنواع الإتياع في العربية :

### شروط الإتياع في العربية:

وضع العلماء العرب القدماء مجموعة من الشروط لتحديد الإتياع



، ولم تذكر هذه الشروط بشكل واضح وصريح ، إنما وقفت عليها مبنوثة في كتب اللغة والمعجمات ، فأحد الشروط التي دار النقاش حول صحتها هو الفصل بين التابع والمتبوع بفواصل ، فقال ابن منظور (٥٧١١هـ) : ( قال اللحياني<sup>(٩٢)</sup> : فعل ذلك على رغبة وشيغمة ، ذهب إلى أنه إتباع ، والإتباع في غالب الأمر لا يكون بالواو ، وحكى غيره : رَغْمًا شَيغَمًا ، وكل ذلك إتباع )<sup>(٩٣)</sup> .

ونقل ابن منظور في ( اللسان ) رأي أبي عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ) وردّه على من قال : إن حيّاك الله وبّياك ، إتباع ، وقال : ( إن الإتباع لا يكاد يكون بالواو ، وهذا بالواو )<sup>(٩٤)</sup> ، كما نقل ابن منظور قول أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) عن قولهما : هي لشاربٍ حلٌّ وبلٌّ : ( لا يكون بلٌّ إتباعاً لحلٍّ لمكان الواو )<sup>(٩٥)</sup> .

ونلاحظ قوله ( لا يكاد ) ، فهي تعني ضمناً وجود أمثلة يفصل فيها بين التابع والمتبوع بفواصل ، وفي الحقيقة هي كثيرة .

أما ابن بري (ت ٥٨٢هـ) فشرطه ( أن يكون الثاني بمعنى الأول )<sup>(٩٦)</sup> ، وإلا لم يكن إتباعاً ، ثم قال : إن ( الإتباع لا يكون بحرف العطف )<sup>(٩٧)</sup> . ففي هذه النصوص نجد أن اللحياني، يجيز الفصل بين التابع والمتبوع ، وابن بري لا يجيزه ، وابن منظور قال ( والإتباع في غالب الأمر لا يكون بالواو ) ، أما الدراسة العملية لأمثلة الإتباع فنستقري بها أمثلة كثيرة يفصل فيها بين التابع والمتبوع بفواصل ، والفواصل قد يكون حرفاً واحداً ، كقولهم : ساءه وناءه ، وناص وناص ، أو أكثر من حرف كقولهم : لا تقتلوا عسيفاً ولا أسيفاً ، وقد يكون الفاصل كلمة ، كقولهم : ( الإيناس )



قبل الإيساس ) ، وهو قليل . ولابد من القول : إنَّ قوة التأثير الصوتي والمعنوي تكون أقوى في الأمثلة التي لا يفصل فيها بين التابع والمتبوع بفاصل.

أما قول ابن بري عن شرط المعنى ، ويجب أن يكون الثاني بمعنى الأول ، فهذا الشرط أيضاً تخالفه نتائج الدراسة العملية ، فقد وردت في كتبنا العربية الكثير من الأمثلة التي لم يختلف اثنان من العلماء في كونها إتباعاً ، ويختلف فيها معنى التابع عن المتبوع ، بل يناقضه في أمثلة كثيرة ، ومرّ ذكر ذلك في أنواع الإتباع.

وهناك اعتراض من وجه ثالث في قول علي بن حمزة الكسائي ، إذ قال : لا وجه للإتباع في قولهم : قليلٌ شَقْنٌ ، لأنَّ لكلمة (شَقْنٌ) معنىً معروفاً في حال انفراده ، والشَقْنُ : القليل <sup>(٩٨)</sup> ، أي : شرط الإتباع عنده الا يكون للكلمة التابعة معنىً معروفاً في حال انفرادها ، فضلاً عن أن شَقْنٌ تخالف المتبوع في الوزن والروي ، وفي ضوء أمثلة الإتباع المجموعة للبحث وجدتُ أنَّ العرب قد حرصت على تحقيق شرطي الوزن القافية إلا ما ندر ، وقد نراهم يقلّبون مثلاً واحداً لحرصهم على تحقيق الوزن والقافية، كقولهم : ( أعطاني عطاءً شَقْنًا ووتحاً وشَقْنًا ووتحاً <sup>(٩٩)</sup> ) (وفي الحديث: إنّه حارٌّ يارُّ ، ويُقال : حَرانٌ يَرانٌ) <sup>(١٠٠)</sup> كما قالوا: (سَبِغٌ لَبِغٌ ، وكذلك سائغٌ لائغٌ، وهو الذي تسيغه سهلاً في الحلق) <sup>(١٠١)</sup> ، كما قالوا : خاسِرٌ دامِرٌ ، وخَسِرَ دَمِرَ ، ونادِمٌ سادِمٌ ، وندمان سَدَمان . ورجلٌ هَيِّنٌ لَيِّنٌ ، وهَيِّنٌ لَيِّنٌ ، ومهين وهين . والله ما أبقيت ولا أُرعيت ، وهي البقيا والرّعا ، والبقوى والرّعوى ، يقالان معاً <sup>(١٠٢)</sup> . أما الأمثلة التي خالف فيها التابع المتبوع في الوزن والقافية فيمكن أن نعللها وفق قاعدة (لكل قاعدة شواذ) . وفي ضوء هذه المناقشة ، وضعت الباحثة شروطاً للإتباع ، وهي :

١. أن تتبع حركةً حركةً ، أو كلمةً كلمةً أخرى ، أو كلمات أخرى .

- ٢- تتفق الكلمات في الوزن أو حرف الروي غالباً .
- ٣- الاتفاق في المعاني لا يتحقق دائماً في الإتياع ، فقد يتفق التابع ومتبوعه في المعنى ، أو يختلفان ، أو لا معنى للتابع أصلاً ولا اشتقاق له ، وهو أقل الأنواع .
- ٤- قد يفصل بين التابع والمتبوع بفواصل .

### الإتياع والتوكيد والترادف والإبدال في العربية:

تكلم الباحثون عن علاقة الإتياع بكل من التوكيد والترادف والإبدال و كيفية التمييز بينها فنقول ربّ سائل يسأل ، كيف نميّز بين الإتياع والتوكيد ، وكما هو معروف إنّ ( التأكيد اللفظي على ضربين لأنك إما أن تعيد لفظ الأول بعينه ، نحو : جاءني زيدٌ زيدٌ ، وجاءني جاءني زيد ، أو تقويته بموازنة مع اتفاقهما في الحرف الأخير ويسمى إتياعاً )<sup>(١٠٣)</sup> ، نحو : حيص بيص ، وذكر السيوطي في (المزهر) نقلاً عن التاج السبكي في كتابه ( شرح منهاج البيضاوي ) ، الفرق بين معنى التقوية في الإتياع ومعنى التقوية في التأكيد بقوله : ( والفرق بينه وبين التأكيد ، أن التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز ، وأيضاً فالتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع ، والتأكيد لا يكون ذلك )<sup>(١٠٤)</sup> .

والمقصود بقوله: (بمعنى التقوية في التأكيد نفي احتمال المجاز ، كأن تقول العرب:عشرةٌ وعشرةٌ فتلك عشرون وذلك زيادة في التأكيد ، ومنه قوله جلّ ثناؤه : " فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتن ، تلك عشرة كاملة"<sup>(١٠٥)</sup> وإنما قال هذا لنفي الاحتمال أن يكون أحدهما واجباً إما ثلاثة وإما سبعة فأكدوا وأزيل التوهم بأن جُمعَ بينهما)<sup>(١٠٦)</sup> ، فالإتياع يفيد التوكيد لأنّ فيه تكراراً لعددٍ من أحرف المتبوع في التابع، مثل: عريضٌ أريضٌ، وخبيثٌ نبّيثٌ، فكل أحرف التابع تكررت في المتبوع ، عدا فاء الكلمة، وبذلك أفاد التوكيد فضلاً عن اتفاق الوزن والقافية والمعنى أو اقترابه من معنى المتبوع .

ولو سأل سائل عن الفرق بين الإتياع والترادف ، فالترادف ( هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد )<sup>(١٠٧)</sup> كالسيف والحسام والصيقل ، وقوله تعالى : "فجاءاً سُبُلًا"<sup>(١٠٨)</sup> ، و " غرابيب سود " <sup>(١٠٩)</sup> .

ويُفسر غالباً أنه من تدخل اللهجات العربية فقبيلة تسمي المسمى باسم معين وتسميه الأخرى باسم آخر وتداخلت اللهجات فكثرت مرادفات المعنى الواحد . أما كيف تميّز بين الترادف والإتياع، فقد جاء في (المزهر) : ( ظنّ بعض الناس أن التابع من قبيل المترادف لشبهه به . والحق الفرق بينهما فإن المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئاً بل شرط كونه مفيداً تقدم الأول عليه )<sup>(١١٠)</sup> . ثم يجب ألا ننسى في الإتياع غالباً ما يتفق التابع والمتبوع بالوزن أو الروي ولا يتحقق ذلك بالترادف فضلاً عن ناحية المعنى فالترادف هو إتفاق المعاني غالباً أما في الإتياع فقسم كبير من الإتياع يخالف فيه التابع المتبوع في المعنى كما مرّ في أنواع الإتياع.

والسؤال الآن كيف نميّز بين الإتياع والإبدال ، لقد عرّف ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) الإبدال : (أن تُقيم حرفاً مقام حرف في موضعه، إمّا ضرورةً ، وإمّا استحساناً)<sup>(١١١)</sup> وحروفه أحد عشر حرفاً، نحو: مدّحه ومدّه. والإبدال هو وضع حرف مكان آخر في كلمة دون أن يطرأ تغيير على المعنى ولا يستعمل المتكلم الكلمتين المبدل والمبدل منها معاً ، وإنما يستعمل المبدل منها فقط ، عكس الإتياع ، فشرط كونه إتياعاً أن يستعمل التابع والمتبوع معاً ، فضلاً عن مشكلة المعنى في الإتياع فقسم كبير من أمثلة الإتياع يخالف فيها التابع المتبوع في المعنى ، أما الإبدال فشرطه التطابق في المعنى ، فيكيف يمكن لنا تأويل ذلك ؟

وعلى الرغم من كل هذه الحجج فقد عدّ بعض علمائنا القدماء عدداً من أمثلة الإتياع من قبيل الإبدال ، وجاء في (لسان العرب) الآتي :

( ما في النَّحْيِ ، عَبَقَةٌ ، وَعَمَقَةٌ ، أَي : لَطَخُ وَضُرٌّ مِنَ السَّمَنِ ... وزعم اللحياني أن ميم عَمَقَةٍ بدل من باء عَبَقَةٍ ، وأصل ذلك من عَبَقَ بِهِ الشَّيْءُ يَعْبَقُ عَبَقًا إِذَا لَزِقَ بِهِ )<sup>(١١٢)</sup> .

وناقش المحدثون هذه الفكرة ورفضوا أن يكون الإتياع إبدالاً ومنهم الدكتور صبحي الصالح وطلب ممن قال إن الإتياع هو إبدال أن تكون شواهدهم ( من النوع الذي يتجانس فيه بين اللفظين الحرف المظنون إبداله ، لأن فرص القول بالإبدال تقلّ عند التباعد أو قلّ : إنها حينئذ تصبح نادرة )<sup>(١١٣)</sup> ، يقصد التباعد بالمخارج الصوتية .

أما أنواع الإتياع في اللغة الإنكليزية فهو يتخذ أنواعاً وصيغاً متعدّدة شأنه شأن اللغات

الأخرى، وهذا يتوقف عموماً على عوامل كثيرة من أهمّها نوع الوحدة الصوتية، أو الصرفية المتكررة ، وعدد مرّات تكرارها، وهل أن الوحدات المتكررة ، أي : جذر الكلمة والكلمة المضاعفة تتشابه كلياً أو جزئياً، وأين يحصل التغيير في الكلمة المكررة . وإستناداً إلى ذلك فالإتياع يتخذ ثلاثة أنواع رئيسة ، هي : <sup>(١١٤)</sup>

### ١ الإتياع الكامل Complete Reduplication

وهو تكرار الوحدة الصرفية الأساسية شكلاً ومضموناً دون أيّ تغيير في مثل

din din	clap – clap
hush hush	bye bye
tick – tick	boo – boo

وقد وقف الباحثان على (٦٥) كلمة يمكن تصنيفها تحت هذا النوع .

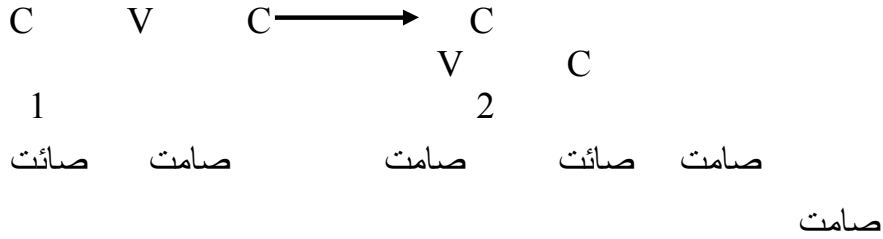
### ٢ – الإتياع الجزئي Partial Reduplication

وهو تكرار الوحدة الصرفية مع تغيير جزئي في صوت الكلمة في الجزء المكرر لها ، وهذا النوع كما يرى باور أنه إحدى العمليات

الصرفية التي يتمّ عن طريقها صياغة الكلمات في الإنكليزية ، وتندرج تحت قائمة المركبات <sup>(١١٥)</sup> ، وقد وقف الباحثان على ثمانٍ وثلاثين ومئة كلمةٍ من هذا النوع ، وفي ضوء هذه الأمثلة يمكن تقسيم هذا النوع على قسمين :

### أ. الإِتاء ٭ باء المقفى Rhyming Reduplication

وهو تكرار الوحدة الصرفية الأساسية مع تغيير في الحرف الصامت الذي تبدأ به الكلمة الأولى من هذا المركب المضاعف وتكون صيغته كالآتي :



وقف الباحثان على ثمانٍ وثمانين كلمةً يمكن إدراجها تحت هذا القسم ، ومن أمثلتها ما يأتي :

هراء	hocus – pocus
مرح صاخب	razzle – dozzle
حلوى	roly – poly
شعوذة	hanky – panky
راديو	walkie – talkie
هجرة العقول	hrain – drain

### ب- الإِتباع المتباين في الحرف الصائت ablaut motivated Reduplicatin

وهو تكرار الوحدة الصرفية الأساسية مع تغيير في الحرف الصائت الذي يتوسط الكلمة، وتكون صيغته كآتي :



وجمع الباحثان (٥٠) كلمة يمكن إدراجها تحت هذا القسم ، ومن

أمثلتها:

مصلب	criss – cross
تكتكة الساعة	tick – tock
متعرج	zig – zag
تردد	dilly – dally
غثيث	wishy – washy
لعبة التنس	ping – pong <sup>(١١٦)</sup>

وفيما يأتي مخطط لأنواع الإتياع في اللغة الإنكليزية:

## إتياع

### REDUPLICATION

#### Complete Reduplication

إتياع تام

CVC + CVC

٦٥ كلمة

#### Partial Reduplication

إتياع جزئي

#### rhyming

مقفى

CVC

1

→

CVC

2

صوت صامت

→

صوت صامت

٨٨ كلمة

#### Ablaut

متباين

CVC

1

→

CVC

2

صوت

صوت صائت

→  
صائت

٥٠ كلمة

ويمكن توضيح عدد تكرار أنواع الإِتباع في ضوء الأمثلة التي جمعها الباحثان كما هو مبين في الجدول الآتي : -

العدد	النوع
٨٨	الإِتباع الجزئي المقفى
٥٠	الإِتباع الجزئي المتباين
٦٥	الإِتباع التام

ومن ذلك يتبين أنّ الإِتباع الجزئي يتفوق على الإِتباع التام عدداً .  
وضمن الإِتباع الجزئي فإنّ النوع المقفى هو أكثر عدداً من النوع المتباين ، وهذا بالتأكيد يتفق تماماً مع الهدف الذي يكمن وراء هذه الظاهرة اللغوية ألا وهو التأثير الصوتي على السّامع وهي بالتّالي أسهل الصّيغ استعمالاً .

## ٢ - أنماط الإِتباع في العربية والانكليزية:

لو تتبعنا أمثلة الإِتباع في العربية وحاولنا معرفة التّابع والمتبوع هل هو اسم أو فعل أو مصدر أو غير ذلك ، نجد أنّ الأفعال قليلة ومن أمثلتها :

ما أدري أين سقّع بقع ، أي : ذهب ، ويُقال : حاسّه وباسّه ، أي : حرّكه وذهبَ به وجاء .

والأسماء أيضاً قليلة ومن أمثلتها :

ما يُعرف القاموس من النّاموس ، والنّاموس : صاحب الوحي ، والقاموس : وسط البحر .

وكذلك المصادر قليلة كقولهم : الإيناس قبل الإيباس ، وهو الدعاء والتسكين عند الحلب ووقفت على أمثلة قليلة لصيغة المبالغة ، نحو : إنّه لحوّاسٌ عوّاسٌ ، ومثال واحد لاسم صوت ، نحو : الخاز باز ، وهو صوت الذباب . أمّا حصة الأسد من أمثلة الإِتباع فكانت للصفة ، لأنّ



الصفة يؤتى بها لوصف شيء فإذا كرّرت مرادفاً لها يوافقها في الوزن والروي زادت قوة الوصف عند السامع وتأثيره ، كقولهم :  
عطشان عطشان ، وخاسر دابر ، وفلان ذو هشاش وأشاش ، إذن يمكن القول إنّ الصفة فضلاً عن الاهتمام بالوزن وحرف الروي ، كلها تتحدّد لتحقيق تأكيد المعنى وإشباعه صوتياً ، ليحدث التأثير المطلوب عند السامع ، والعرب قد تقلّب مثلاً واحداً ليوافق التابع فيه المتبوع في الوزن والروي ومن أمثلة ذلك :

قولهم : ضائع سائع ، ومُضيع مُسيّع ، ومُضياع مُسياع .  
وقالوا : وقع في حيّص بيّص ، وحيص بيّص ، وحيص بيّص ، وحيص بيّص ، وحيص بيّص ، وحاصل باص ، أي : في ضيق وشدة .  
أمّا أنماط الإتياع في الإنكليزية : فبصرف النظر عن طريقة كتابة المركبات المضاعفة فإنّ الإتياع يتخذ أنماطاً كثيرة تعتمد بشكل أساسي على الفصائل المعجمية للكلمات التي تشكل الإتياع، وعلى الفصيلة المعجمية للإتياع الناتج من عملية التركيب، وعليه فالإتياع ما هو إلا نوع من التلازم اللفظي الثابت إذ تتلازم فيه كلمتان لا يمكن استبدال كلمة بكلمة أخرى ، ومن أبرز أنماطه :

#### ١- الأسماء المركبة

rip – rop	(أركام من حجر)
ping – pong	(لعبة التنس)
hanky panky	(دجل)
braindrain	هجرة العقول

#### ٢- الصفات المركبة

hurry – scurry	(مضرب)
stur – gun	(رائع)
teensy – weensy	(صغير)

wishy – washy (ضعيف)

### ٣- الأفعال المركبة

dilly – dally (تردد)

hob nob (يعاشر)

pooh-pooh (يزدري)

### ٤- الظروف المركبة

holus – bolus (دفعة واحدة)

tittke-tattle (القليل والقال)

nilly-willy (رغماً عن أنفه)

faxi – faxi (بسرعة فائقة)

chop – chop (على عجل)

hub hub (هرج ومرج)

pell-mell (شذو مذر)

### ٥- أدوات مركبة

bye – bye (وداعاً)

ومن الجدير بالملاحظة وبعد جمع الأمثلة من المعاجم الإنكليزية تبين أنّ الصّفات هي أكثر أنماط الإتياع استعمالاً في اللغة الإنكليزية يلي ذلك الاسماء والظروف ثمّ الأفعال .

### المبحث الثالث

#### الدراسة الصوتية للاتباع في اللغتين العربية والانكليزية:

##### ١- الدراسة الصوتية للاتباع في العربية:

هدف الدراسة الصوتية للاتباع في العربية هو الوصول إلى الأصوات التي يفضلها العربي في التّابع ، ليحقق فيها الإشباع والتأثير الصوتي المطلوب عند السّامع .

وقد وقف الباحثان على ثمانية وخمسين وثلاثمائة مثالٍ للاتّباع ، منها خمسة وخمسون ومئتان مثال ، تغيّر فيها الصّوت الأول من التّابع ، وبقيّة الأمثلة كان التّغيير في الصّوت الثاني ، أو الأول والثاني معاً ، أو الثالث ، ولذلك جعلنا مادة الدّراسة الصوتية ، للنّوع الأكثر من الاتّباع ، وهو ما حصل فيه التّغيير في الصّوت الأول.

وبعد حصر الأصوات في التّابع وجدت أنّ العربي لا يحاول أن يختار الأصوات في التّابع القريبة في المخرج من الأصوات في المتبوع كما هي الحال في الإبدال ، وكان اهتمامه باختيار التّابع الذي يحوي الأصوات التي تتّصف بما يأتي وبحسب التّرتيب التّنازلي، كما يأتي:

١. الأصوات التي تتّصف بالجهر وبالتّوسط بين الشّدة والرّخاوة ، وبلغ مجموعها (١٣٥) صوت .

٢. الأصوات التي تتّصف بالشّدة والجهر وبلغ مجموعها (٦٧) صوتاً .

٣. الأصوات التي تتّصف بالرّخاوة والهمس وبلغ مجموعها (٤٢) صوتاً .

٤. الأصوات التي تتّصف بالرّخاوة والجهر ، أو الشّدة والهمس أخذت المرتبة الأخيرة وبلغ مجموعها (١١) صوتاً .

ويمكن أن نوضّح الأصوات المفضّلة في التّابع بطريقة أخرى، وبحسب مخرجها الصوتية ، فالمرتبة الأولى كانت لمجموع الأصوات

الشفوية وهي (ف. ب. م) وكان الصّوت المفضّل هو الباء ،وبتكرار (٣٦) مرة ، ويليه صوت الميم بـ (٢٩) مرة ، وأخيراً الفاء تكرر (١٢) مرة.

وأصوات الذلاقة وهي (ر.ل.ن) أخذت المرتبة الثانية بفارق صوت واحد ، ويمكن القول إنّها أخذت الدّرجة نفسها من الاهتمام ، واحتلّت اللام المركز الأول بـ (٣٨) تكراراً ، وتليها النّون بـ (٢٨) تكراراً ، ثمّ الرّاء بـ (١٠) مرات.

ثمّ أصوات الحلق وكان لصوت العين مكان مهم، وبلغ (١٤) تكراراً وهو من الأصوات التي تعطي الوضوح والقوة للكلمات المنطوقة . وإذا رتبنا الإحصائية بشكل ثالث كالآتي :

الصّوت المفضّل هو اللّام وتكرر (٣٨) مرة ، ويليه الباء (٣٦) مرة ، ثمّ صوت الميم (٢٩) مرة ، ثمّ صوت النّون (٢٨) مرة ، ويليه العين (١٤) مرة ، ثمّ الفاء (١٢) مرة ، وأخيراً الرّاء (١٠) مرات .

فنلاحظ أنّ الأصوات المفضّلة في التّابع هي الأصوات المذلّقة ، وهي ستة أصوات (ف . ب . ر . م . ل . ن) لأنّها من أسهل الأصوات ، إذ لا احتكاك فيها ولا انفجار ، كما أنّها من أوضح الأصوات في السّمع ، فصفة الغنة لصوتي النّون والميم ، وصفة التّكرار لصوت الرّاء ، وصفة الانحراف لصوت اللّام تجعلها من أوضح الأصوات ، وتزيد في درجة استمراريتها في السّمع<sup>(١١٧)</sup> .

ولا ننسى أنّ علماء اللغة القدماء قرّروا أنّ أخف الحروف ، حروف الذّلاقة ، وقال عنها ابن جني (ت٣٩٢هـ) ( سرّ ظريف يُنتفع به في اللغة ، وذلك أنّك متى رأيت اسماً رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد فلا بدّ فيه من حرف من هذه السّتة أو حرفين ، وربّما كان فيه ثلاثة ...) (١١٨) .

أمّا سبب تفضيل العربي للأصوات المجهورة في التّابع على المهموسة هو أنّ الأصوات المجهورة هي صاحبة التأثير الأقوى في

السَّامِع ، وقال إبراهيم أنيس : إنَّ ( الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل كلام مجهورة ، ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي نميِّز به الكلام من الصمت ، والجهر من الهمس والإسرار ... وقد برهن الاستقراء على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس وعشرين في المائة منه ، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة )<sup>(١١٩)</sup> .

وفي ضوء ما تقدم تبين أنَّ قوة التأثير في السَّامِع وتوكيد المعنى هي سبب الإتياع ، ويتوصل لها بما يأتي :

١. استعمال لفظان مختلفان هما التَّابِع والمتَّبوع . والصَّوَّت المتغير في التَّابِع عن المتَّبوع يتَّصف غالباً بالجهر أو بالتَّوسط بين الشَّدة والرَّخاوة ، والمخرج الصَّوْتِي المفضل هو الأصوات المذلقة وهي ( ف . ب . م . ر . ل . ن ) .
  ٢. على وزن واحد أو حرف روي واحد .
  ٣. الأغلب في التَّابِع أن يكون صفة .
  ٤. محاولة عدم وجود فاصل بين التَّابِع والمتَّبوع .
  ٥. المعنى العام لمثال الإتياع يجري وفق بناء فكرة واحدة .
- وفي الدِّراسة الصَّوْتِيَّة لأبْدَّ لي من تقطيع عدد من شواهد الإتياع صوتياً ، لمعرفة هل يختلف التَّفْسير الصَّرْفِي القديم عن التَّفْسير الصَّوْتِي الحديث ، والإتياع كما ظهر لنا في هذه الدراسة ، على نوعين ، وهما :

#### ١. الإتياع الحركي : وهو على أنواع :

أ — إتياع بإبدال الحركة للمجانسة الصَّوْتِيَّة ، مثل : ضربتُمُ اللصَّ .

في الأصل : ضربتُمُ : ض - /ر - ب / ت - م  
في الإتياع : ضربتُمُ : ض - /ر - ب / ت - /م -

والتفسير الصَّرْفِي القديم مرّ ذكره في أنواع الإِتِّبَاع بالتفصيل،  
لذلك سأستغني عن ذكره في كل الأمثلة التي قَطَعْتُها صوتياً ، طلباً  
للاختصار المفروض .

التفسير الصوتي الحديث : أضيف الصَّائِت القصير ( الضمة ) إلى  
المقطع الأخير وهو طويل مغلق فانشطر إلى مقطعين قصيرين .  
في حال أفرادها: نَجَسْ : ن - ج - / س - ن  
في الإِتِّبَاع قالوا : نَجَسْ : ن - ج - / س - ن  
أُبدِلَ الصَّائِت القصير ( الفتحة ) في المقطع الأول ( كسرة ) ،  
وسقط الصَّائِت القصير ( الفتحة ) من المقطع الثاني ليندمج مع المقطع  
القصير الأول ليكون مقطعاً طويلاً مغلقاً .

أصل القول : الحمد لله : ع - ل / ح - م / د - ل / ل - ل / هـ  
في قراءة الإِتِّبَاع : الحمد لله : ع - ل / ح - م / د - ل / ل - ل / هـ  
التفسير الصوتي الحديث : أُبدِلَ الصَّائِت القصير (الكسرة) في المقطع  
الرابع (ضمة) مجانسةً لضمة الدال قبلها .  
في أصل القول : الحمد لله : ع - ل / ح - م / د - ل / ل - ل / هـ  
في قراءة : الحمد لله : ع - ل / ح - م / د - ل / ل - ل / هـ  
التفسير الصوتي الحديث : أُبدِلَ الصَّائِت القصير (الضمة) في المقطع  
الثالث (كسرة) ، مجانسةً لكسرة اللام بعدها .

حَدَّثَ: ح - د - / ث -

حَدَّثَ: ح - د - / ث -

أُبدِلَ الصَّائِت القصير ( الفتحة ) في المقطع الثاني ( ضمة ) .

عُمِرُ : ع - م - / ر - بَكُرُ : ب - ك - / ر -  
هذا عُمِرُ: ع - م - / ر - هذا بَكُرُ: ب - ك - / ر -

التفسير الصوتي الحديث : أُبدلت ( الفتحة ) وهي الصائت القصير في المقطع الثاني (ضمة) في (عمر) ، وأُبدل الصائت القصير (الكسرة) في المقطع الثاني (ضمة) في (بكر) .

ب — إتباع حركي عن طريق حذف الحركة أو الحذف والنقل معاً

، نحو :

في الأصل : لُذْن : ل — / د — ن

بعد الحذف : لُذْن : ل — د ن

التفسير الصوتي الحديث : سقطت ( الضمة ) وهي الصائت القصير في المقطع الطويل الثاني ليندمج المقطعان القصير والطويل المغلق لنحصل على مقطع مديد .

في الأصل : لُذْن : ل — / د — ن

بعد الحذف والنقل : لُذْن : ل — د ن

سقط الصائت القصير ( الفتحة ) من المقطع الأول ، وأندمج المقطعان القصير والطويل المغلق ، لنحصل على مقطع مديد ، فنلاحظ حذف الحركة في الاصطلاح القديم يقابله سقوط الصائت القصير بالمصطلح الحديث ، أمّا مصطلح النقل فهو واحد في القديم والحديث .

ج — إتباع حركي فيه مخالفة لقوانين الإعراب ، نحو :

لم اضربهُ : ل — م / ع — ض / ر — ب / ه —

لم اضربهُ : ل — م / ع — ض / ر — ب / ه —

حدث تغيير في المقطعين الأخيرين فالصائت القصير (الضمة) انسحب إلى الدّاخل وتغيّرت تشكيلة المقطعين الأخيرين من طويل مغلق وقصير إلى قصير وطويل مغلق على التوالي .

يُذْرِكُهُ : ي — د / ر — ك / ه —

يُذْرِكُهُ : ي — د / ر — ك / ه —

انسحب الصَّائت القصير (الضمة) في المقطع الأخير إلى الدَّاخل، وتحوّلت تشكيلة المقطعين الأخيرين من طويل مغلق وقصير إلى قصير وطويل مغلق ، على التوالي ، فنلاحظ اتفاق التفسير في أمثلة النوع الواحد .

لم يَقْدِرْ : ل - م / ي - ق / د - ر

لم يَقْدِرْ : ل - م / ي - ق / د - ر -

بإضافة الصَّائت القصير (الفتحة) إلى المقطع الأخير وهو طويل مغلق فانشطر إلى مقطعين قصيرين .

الم نشرحْ : ن - ش / ر - ح

الم نشرحْ : ن - ش / ر - ح -

بإضافة الصَّائت القصير (الفتحة) إلى المقطع الأخير فانشطر وتحوّل من مقطع طويل مغلق إلى مقطعين قصيرين .

تَأْمَنَّا : ت - ء / م - ن / ن -

تَأْمَنَّا : ت - ء / م - ن / ن -

سقط الصَّائت القصير (الضمة) من المقطع القصير (الثالث) فانسحب الصَّائت إلى المقطع السَّابِق له وتحوّل من مقطع قصير إلى طويل مغلق.

هموزَ : ه - م / ز -

هموزَ : ه - م / ز -

أُبدل الصَّائت القصير (الفتحة) في المقطع الأخير إلى (كسرة) .

المرملِ : ء - ل / م - ر / م - ل -

المرملا : ء - ل / م - ر / م - ل -

أُبدل الصَّائت القصير في المقطع الأخير (الكسرة) إلى صائت طويل ( - ) فتحول المقطع الأخير من قصير إلى طويل مفتوح ، وأرى أنّه لا خلاف بين التفسيرين القديم والحديث ، والفارق هو شكلي ويعود إلى الفرق في استعمال الكتابة الصَّوتية واستعمال المصطلحات ، والأصل



هو إبدال أو نقل أو حذف حركة فتتغير تشكيلة المقاطع في الكتابة الصوتية لتترب من جديد فنقول هذا المقطع أنشطر وهذا تحول من قصير إلى طويل وهكذا فالفرق هو في استعمال الألفاظ والتسميات وليس فرقاً في أصل التفسير .

## ٢. الإتياع بالكلمات :

وعرض الأمثلة هنا ، بما يتناسب وأصواتها لا معانيها كما عرضتها في أنواع الإتياع ، ومن أمثلة الإتياع التي تغير فيها الصوت الأول :

حسن : ح - / س - / ن - ن

بسن : ب - / س - / ن - ن

أبدلت ( الحاء ) وهي قاعدة المقطع الأول ( باء ) ، ولا أعني باستعمال كلمة (أبدل) في هذه التحليلات ( الإبدال ) بمعناه الصرفي المعروف ، وإنما قصدت الصوت الذي اختاره العربي في التابع .

قسيم : ق - / س - / م - ن

وسيم : و - / س - / م - ن

أبدلت القاف وهي قاعدة المقطع الأول واواً ، ويمكننا القول : إن التفسير الصوتي الحديث متشابه لكل أمثلة هذا النوع .

ومن أمثلة الإتياع التي يقع فيها التغيير في الصوت الثاني من الكلمة التابعة ، كقولهم : وقرة وغرة ، وأسوان أتوان ، وهو أقل وقوعاً من النوع الأول ، والكتابة الصوتية لهذين المثالين كما يأتي :

وقرة : و - ق / ر - / ت - ن

وغرة : و - غ / ر - / ت - ن

فأبدلت ( القاف ) وهي القاعدة الثانية للمقطع الأول ( غيناً )

أسوان : ء - س / و - / ن - ن

أتوان : ء - ت / و - / ن - ن

أُبدلت السّين وهي القاعدة الثّانية للمقطع الطويل المغلق الأول تاءً ، وهنا تتشابه التفسيرات الصّوتية الحديثة أيضاً لأمثلة هذا النوع .  
ومن الأمثلة التي تغير فيها الصّوت الثّالث من الكلمة التّابعة قولهم :  
ناص وناض ، وبنوا دارهم على ميتاءٍ واحدٍ وميداءٍ واحدٍ ، وهو قليل  
الوقوع ، والكتابة الصّوتية لهذين المثالين كما يأتي :

ناص : ن - / ص -

ناض : ن - / ض -

أُبدلت (الصاد) وهي قاعدة المقطع الثّاني ( ضاداً ) .

ميتاء : م - / ت - / ع - ن

ميداء : م - / د - / ع - ن

أُبدلت ( التاء ) وهي قاعدة المقطع الثّاني ( دالاً ) .

ومن أمثلة الإتياع التي وقع فيها التّغيير في الصّوتين الأوّل والثّاني قولهم : كثير بذير ، وهنيئاً مريئاً ، والكتابة الصّوتية لهذين المثالين ، كما يأتي :

كثير : ك - / ث - / ر - ن

بذير : ب - / ذ - / ر - ن

إبدال ( الكاف ) وهي قاعدة المقطع الأوّل (باءٍ) وإبدال (النّاء)  
وهي قاعدة المقطع الثّاني ( ذالاً ) .

هنيئاً : ه - / ن - / ع - ن

مريئاً : م - / ر - / ع - ن

أُبدلت (الهاء) وهي قاعدة المقطع الأوّل (ميماً) ، وأُبدلت (النون)  
وهي قاعدة المقطع الثّاني (راءٍ) .

ومن الأمثلة التي حصل فيها التّغيير في الصّوتين الثّاني والثّالث  
في الإتياع قولهم : أكتعون أبصعون .

أكتعون : ع - / ك - / ت - / ع - ن

أبصعون : ء - ب / ص - ع - ن

أُبدلت (الكاف) وهي القاعدة الثانية للمقطع الأول (باء) ، وأُبدلت (التاء) وهي قاعدة المقطع الثاني (صاداً) . ونستنتج في ضوء ما مرَّ أنَّ الإِتباع بالكلمات سواء تغير فيه الصَّوت الأوَّل أو الثَّاني أو الثَّالث أو تغيَّر فيه صوتان ، لا يختلف التفسير الصَّرفي القديم عن التفسير الصَّوتي الحديث إلا بالكتابة الصَّوتية واستعمال المصطلحات .

## ٢- الدراسة الصوتية للإِتباع في الإنكليزية:

أما الجانب الصوتي للإِتباع في الإنكليزية، فنظراً للتداخل الصَّوتي الصَّرفي في ظاهرة الإِتباع ، نرى من الضَّروري تناول التَّغيرات الصَّوتية التي تطرأ على المركَّب المضاعف وبالذات الإِتباع الجزئي بنوعيه المقفى وغير المقفى مع ذكر الأسباب التي تكمن وراء هذه التَّغيرات .

### أ. الإِتباع المقفى

لوحظ في هذا النوع أنَّ الصَّامت الأوَّل من الكلمة الثَّانية (المكررة) في مركب الإِتباع يعود في الغالب إلى مجموعة الأصوات w/p/t/d/b والتي يمكن درج أوصافها وتكرار وقوعها على النحو الآتي :

الصوت	عدد تكراره	أوصافه
W	١٥	مجهور شفوي لهوي تقريبي
P	١٤	مهموس شفوي انفجاري
T	١٠	مهموس شفوي انفجاري
D	١٠	مجهور لثوي انفجاري
B	٩	مجهور شفوي مقطوع

أمَّا سبب تكرار وقوع هذه الأصوات المبدلة فيعود إلى كونها أكثر وضوحاً للسَّامع

أمَّا الأصوات التي تليها تنازلياً فهي /m/sc/g/j/k/n/l/f/

## ب ـ الإتياع المتباين

- لوحظ في هذا النوع أنَّ الأصوات الصَّائتة التي تتوسط الكلمة قد أبدلت أصواتاً أخرى وهي على نوعين :
- ١- إبدال صوت / i / بصوت / a / أي إبدال الصَّوْت الصَّائت الأمامي العلوي للكلمة الأولى بصوت صائت أمامي دنوي للكلمة الثَّانية وقد وقف الباحثان على (٤٣) مثلاً لهذا النوع .
  - ٢- إبدال صوت / i / بصوت / o / أي إبدال الصَّائت الأمامي العلوي للكلمة الأولى بصائت آخر خلفي دنوي للكلمة الثَّانية وقد وقف الباحثان على (٨) أمثلة من هذا النوع . وهذا يعني أنَّ عدد الكلمات المبدلة إلى صوت /a/ تفوق تلك التي أبدلت إلى صوت /o/ .

### الخاتمة والنتائج :

الإتباع ظاهرة لغوية يتداخل فيها الجانب الصَوْتِي مع الجانب الصَّرْفِي لتولد مركباً لغوياً متلازماً يعبر عن وظائف ومعانٍ متعددة في اللُّغَتَيْن العربية والإنكليزية . وفيما يأتي أوجه الاختلاف والاتفاق لظاهرة الإتباع ، والتي نتجت من هذه الدِّراسة .

#### أ. أوجه الاختلاف :

١. مادة الإتباع في العربية أوسع وعدد الأمثلة المجموعة أكثر من اللغة الانكليزية، وحدثُ الإتباع في العربية ، هو : أن تتبع الحركةُ الحركةَ ، أو الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويها لتحقيق إشباع الصوت وصولاً لتوكيد المعنى، أمّا حدثُ الإتباع في الإنكليزية هو عملية إعادة مباشرة لوحدة صوتية أو معجمية تعبر عن معانٍ متعددة ومضامين دلالية معينة .

٢. الهدف من الإتباع ، الإتباع في العربية يُؤتى به لتوكيد معانٍ مختلفة قد تكون جميلة ومرغوبة ، نحو : قسيم وسيم ، أو عكسها ، نحو : رجسٌ نجسٌ ، أمّا في الانكليزية غالباً ما يعبرُ الإتباع عن معانٍ غير مرغوب بها ، مثل : الاضطراب ، والتّصغير ، والاحتقار ، والازدراء ، والتّهكم ، والحيرة ، وغيرها .

٣. من حيث الأنواع ، في العربية هناك نوعان من الإتباع ، هما : إتباع بالحركة، وهو قليل، وإتباع بالكلمات وهو الأكثر، ويتفرّع كل قسم بدوره إلى أقسام ، أمّا في الانكليزية فيوجد نوعان ، هما : إتباع تام وإتباع جزئي ، أي ليس هناك تطابق بين اللُّغَتَيْن ففي الانكليزية تتكرّر الكلمة نفسها ، أمّا في العربية فلا تتكرّر الكلمة نفسها ، وإلا عدّ توكيداً لفظياً ، والإتباع في العربية يُقسم على أساس المعنى، أو بحسب حرف الرّوي والوزن، أي: على أساس صوتي، أمّا في الانكليزية فيقسم على أساس صوتي فقط ، لذلك الهدف من الإتباع في الانكليزية صوتي، أمّا الهدف منه

- في العربية فمعنوي صوتي، عدا الإتياع الذي لا معنى له في العربية فهذه صوتي بحث لتوكيد المعنى، وهو أقل الأنواع.
٤. قد يفصل بين التّابع والمتبوع في العربية فاصل كحرف العطف مثلاً، وهو قليل، أمّا في الانكليزية فلا يوجد أيّ فاصل في الرّسم أو الصّوت.
٥. الإتياع في العربيّة قد يكون متعدداً، أي: يتكرر التّابع أكثر من مرة، وهو قليل، مثل: حسنٌ بسنٌ قسنٌ، أمّا في الانكليزية فالإتياع يتكون من مقطعين فقط.
٦. الأصوات التي تُبدل في التّابع في العربيّة، هي وبحسب التّرتيب التّنازلي: (ل، ب، م، ن، ع، ف، ر)، أمّا في الانكليزية فالأصوات الصحيحة التي تُبدل في التّابع، هي (w.p.t.d.b)، أمّا الأصوات الصّائتة فتبدل إلى صوت (a ثم o).
- ب ـ أوجه التّـ شابه :**

- ١- في الإتياع بالكلمات (في العربية) مقارنةً بالإتياع في الانكليزية يكون الإتياع على صيغة كلمة مركبة من عنصرين ، هما التّابع والمتبوع ، تتّبع إحداهما الأخرى ، دون فاصل في الصّوت ، ويتفقان في الوزن أو الرّوي فضلاً عن القافية لتحدث الكلمة المركّبة التّأثير المطلوب في السّامع ، وصولاً لتوكيد المعنى .
- ٢- يكون التّابع والمتبوع متلازمين ، ولا يمكن استبدال أحدهما بكلمة أخرى ، ولا تقبل كل لغة صيغاً جديدة بسهولة .
- ٣- الصّفات هي أكثر أنماط الإتياع استعمالاً في اللّغتين للتّعبير عن معانٍ مختلفة .
- ٤- أمّا الأصوات ففي اللّغتين يُستبدل صوت صامت بآخر ، وهو الأكثر ، أو صائت بآخر ، والأصوات التي تتّصف بالجر هي المفضّلة في التّابع .

- (١). الصاحبي ، ٢٢٦.
- (٢). كريستال Crystal (١٩٨٩ : ١٧٥) وينظر فصول في فقه العربية، ٢٤٧.
- (٣). لورد Lord (١٩٧٤ : ٦٨) .
- (٤). ينظر المزهري ١ / ٤١٥ وما بعدها .
- (٥). دينين Dineen (١٩٦٧ : ٢٢٨) .
- (٦). كاتامبا Katamba (١٩٩٢ : ١٨٠)
- (٧). كريددي O Grady وآخرون (١٩٨٧ : ٢٥١)
- (8).katamba, f(1993)Morphology.London ;Macmillan pres L T D,165.
- Mecarthy j.and prince A.s. (1990)"Foot and word in prosodic Morphology"NLLT8 PP.209-83.
- (٩). ينظر لسان العرب مادة ( ت ب ع ) .
- (١٠).الصاحبي ، ٢٢٦.
- (١١). سورة يوسف ١١ .
- (١٢) . هذه قراءة الأعمش، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٣/٧٦، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، ٦٢ .
- (١٣). فصول في فقه العربية، ٢٤٦.
- (١٤). الإتياع والمزاوجة، ٢٧ باب الناء.
- (١٥). المصدر نفسه، ٢٨ باب الباء.
- (١٦). المصدر نفسه، ٤٣ باب الباء.
- (١٧). الإتياع والمزاوجة، ٣٠، وينظر بقية الآراء، ٢٨-٣٠.
- (18).Webster (1988 : 988)
- (19).Mc Arthur (2005 : 5000) .
- (٢٠). ماثيوز Mathhews (١٩٧٤ : ٢٧) .
- (٢١). كاتامبا Katamba (١٩٩٢ : ٢٠٠) .
- (٢٢). بلور (١٩٨٣ : ٩١) .
- (٢٣). المزهري ١/٤١٥
- (٢٤). المزهري ١/٤١٦
- (٢٥). ينظر جمهرة اللغة، باب جمهرة من الإتياع ٣/١٢٥٣.

- (٢٦) المزهر ٤١٦/١ .
- (٢٧). الصاحبى ، ٢٢٦
- (٢٨) ينظر الأمالي ٢١٧/٢
- (٢٩).سايبير Sapir (١٩٢١ : ٧٦) ، كاتامباKatamba (١٩٩٣ : ١٨٠ — ١٨١ )
- ، كومشي Ghomeshi وآخرون (٢٠٠٤ : ٣ )
- (٣٠).دينينDineen (١٩٦٧ : ٢٠) .
- (٣١). كرستالCrystal (١٩٨٩ : ٢٣٥ — ٢٤٠) .
- (٣٢). باركر ورليParker and Riley (٢٠٠٥ : ١٧٣) .
- (٣٣) كرستالCrystal (١٩٨٩ : ٢٣٥ — ٢٤٠) .
- (٣٤) . أجنس Aitchison (١٩٩٤ : ٢٢٣) .
- (٣٥). دي سوسيرSaussure (1966) .
- ( 36 ) ريكرRegier (١٩٩٩ : ١٥) .
- (37).Mc Arthar (2005 : 500)
- (٣٨). الأمالي ٢٠٨/٢ .
- (٣٩). الإتياع والمزاوجة ، ٤٣ .
- (٤٠). الإتياع والمزاوجة ، ٤٣ .
- (٤١) . المخصص،باب الاتياع٢١٤/٤ .
- (٤٢). شرح الرضي على الكافية ٣٣٣/١ .
- (٤٣). لسان العرب مادة ( ب س ن ) .
- (٤٤). المزهر ٤١٦/١ ، ٤١٧ .
- (٤٥) . شرح الرضي على الكافية٣٣٣/١ .
- (٤٦). ينظر : دراسات في فقه اللغة ، ٢٣٩ .
- (٤٧). ينظر الخصائص ١٣٨/٣ ، وأبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ، ٢٤٣ .
- (٤٨). ينظر الشامل ٤٣ .
- (٤٩). التوبة ٢٨،وينظر : درة الغواص ، ٦٧ .
- (٥٠) . ينظر الخصائص ١٧٩/٣ .
- (٥١). درة الغواص، ٦٦ .
- (٥٢). المبدع الملخص من الممتع ، ٤٦ .



- (٥٣). سر صناعة الاعراب ٢١/١.
- (٥٤). ينظر لسان العرب مادة ( ل د ن ) ، وأبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ، ٢٤٣.
- (٥٥). الرجز منسوب لزياد الأعجم في الكتاب ٤/١٧٩-١٨٠، وبلا عزو في التكملة ٢٢٨، وشرح الشافية للخضر اليزدي ٤٩٤-٤٩٥ .
- (٥٦). النساء ١٠٠ .
- (٥٧). هذه القراءة للنخعي وطلحة بن مصرف في البحر المحيط ٣/٣٣٦.
- (٥٨). الرجز للحارث بن منذر، وهو بلا عزو في ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢/٥٢٢، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٨٩٤، ٣٦٦، ٣٦٥.
- (٥٩). مغني اللبيب ٨٩٤-٨٩٥.
- (٦٠). الانشراح ١.
- (٦١). قال اللحياني: إن بعض العرب قرأ بها، ينظر المحتسب ٢/٣٦٦ .
- (٦٢). يوسف ١١ .
- (٦٣). ينظر معاني القرآن للنحاس ٣/٧٦ .
- (٦٤). البيت منسوب للحطيئة في الخصائص ٣/٢٢٤، وأخل به ديوانه بشرح ابن السكيت، وينظر: إعراب أبيات ملغزة الإعراب ٢٢٥.
- (٦٥). الرجز للعجاج في ديوانه، ٤٧، ومنسوب إليه في الكتاب ١/٤٣٧، وبلا عزو في الخصائص ٣/٢٢٤.
- (٦٦). اللسان مادة ( ش ج ا )
- (٦٧). ينظر درة الغواص ٦٧ — ٦٨ ، والنهية في غريب الحديث ٥/١٧٩.
- (٦٨). ينظر النهاية في غريب الحديث ٢/٢٧٢.
- (٦٩). ينظر درة الغواص، ٦٧ ، ٦٨ .
- (٧٠). النهاية في غريب الحديث ٢/٢٤٤.
- (٧١). ينظر درة الغواص ، ٦٨ .
- (٧٢). درة الغواص ، ٦٧ .
- (٧٣). درة الغواص، ٦٧.
- (٧٤). المصدر نفسه، ٦٧.
- (٧٥). شرح الرضي على الكافية ١/٣٣٣ .

- (٧٦). ينظر لسان العرب مادة ( ح ي ص ) .
- (٧٧). ينظر لسان العرب مادة ( ب ي ص ) .
- (٧٨). ينظر لسان العرب مادة ( ب ي ي ) .
- (٧٩). الإتياع والمزاوجة ، باب الباء .
- (٨٠). الإتياع والمزاوجة، باب الشين .
- (٨١). ينظر الإتياع والمزاوجة ، كل مثال في بابيه ، لأنه قسم الإتياع بحسب حرف الروي وجعل لكل حرف روي باباً .
- (٨٢). ينظر الإتياع والمزاوجة ، باب الدال وباب الراء ، وينظر أمثلة متفرقة من هذا النوع في المزهري ٤١٤/١ - ٤٢٥ .
- (٨٣). الأمالي ٢٠٨/٢ .
- (٨٤). الأمالي ٢١٠/٢ ، وينظر المخصص، باب الإتياع ٢١٤/٤ .
- (٨٥). الأمالي ٢١٢-٢١٣ .
- (٨٦). لسان العرب مادة ( ب ذ ر ) .
- (٨٧). المزهري ، ٤١٦/١ .
- (٨٨). جمهرة اللغة، باب جمهرة من الإتياع ١٢٥٣/٣ .
- (٨٩). الأمالي ٢١٦/٢ .
- (٩٠). الإتياع والمزاوجة ، ( باب الواو والياء والألف والهمزة ) .
- (٩١). المزهري ٤٢٠/١ .
- (٩٢). هو علي بن المبارك، أبو الحسن اللحياني، أخذ عن الكسائي والأصمعي، وأخذ عنه القاسم بن سلام، ينظر بغية الوعاة ١٨٥/٢ .
- (٩٣). لسان العرب مادة ( ش غ م ) .
- (٩٤). لسان العرب مادة ( ب ي ي ) .
- (٩٥). لسان العرب مادة ( ب ل ل ) .
- (٩٦). لسان العرب مادة ( ن و ع ) .
- (٩٧). لسان العرب مادة ( ن و ع ) .
- (٩٨). ينظر لسان العرب مادة ( ش ق ن ) .
- (٩٩). جمهرة اللغة، باب جمهرة من الإتياع ١٢٥٣/٣ .
- (١٠٠). جمهرة اللغة، باب جمهرة من الإتياع ١٢٥٣/٣ .

- (١٠١) . جمهرة اللغة، باب جمهرة من الإتياع ١٢٥٣/٣ .
- (١٠٢) . ينظر الإتياع والمزاوجة، باب الرءاء، وباب الميم، وباب النون، وباب الواو والياء، وباب الألف والهمزة .
- (١٠٣) شرح الرضي على الكافية ٣٣٣/١ .
- (١٠٤) المزهري ٤١٦/١ .
- (١٠٥) البقرة ١٩٦ .
- (١٠٦) الصاحبى ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
- (١٠٧) المزهري في علوم اللغة وأنواعها ٣١٦/١ .
- (١٠٨) الأنبياء ٣١ .
- (١٠٩) فاطر ٢٧ .
- (١١٠) المزهري ٤١٥/١ .
- (١١١) . شرح الملوكي في التصريف ، ٢١٣ .
- (١١٢) لسان العرب مادة ( ع ب ق ) .
- (١١٣) دراسات في فقه اللغة ، ٢٤٠ .
- (١١٤) ستاكابيرغ Stageberg (١٩٨١ : ١٢٧) .
- (١١٥) باور Bauer (١٩٨٣ : ٢١٢ — ٢١٣) .
- (١١٦) . لمزيد من الأمثلة ، ينظر ستاكابيرغ Stageberg ١٩٨١ : ١٢٧ وباور Bauer (١٩٨٣ : ٢١٢ — ٢١٣) . علماً أن الباحثين قد أعتمدوا في جمع الأمثلة للإتياع على بعض المعاجم مثل المغني الأكبر (١٩٨٨) والمورد (١٩٩٠) وقاموس اكسفورد Oxford (١٩٧٤) .
- (١١٧) . الأصوات المنزقة في العربية ، رسالة دكتوراه ، ولاء صادق محسن ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ٤١٥ .
- (١١٨) سر صناعة الإعراب ٦٤/١ .
- (١١٩) الأصوات اللغوية ، ٢٢ .

### قائمة المصادر العربية:

- (١) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية : د. علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- (٢) الإتياع والمزاوجة : أحمد بن فارس ( ت ٣٩٥هـ ) ، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران ، دمشق ، ١٩٩٥ .
- (٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، ط ١، ١٩٨٤م.
- (٤) الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٩ .
- (٥) الأصوات المذقة في العربية : ولاء صادق محسن ، رسالة دكتوراه ، بغداد ، ١٩٩٢ .
- (٦) إعراب أبيات ملغزة الإعراب، الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، سوريا، ١٩٥٨م.
- (٧) الأمالي ، القالي البغدادي، أبو علي اسماعيل بن القاسم ، (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان .
- (٨) البحر المحيط: وبهامشه النهر الماد من البحر، أبو حيان الأندلسي، طبعة الأوفست، بيروت.
- (٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- (١٠) التكملة، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، ط ٢، عالم الكتب، ٢٠١٠م.

- (١١) جمهرة اللغة ، ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت ٣٢١هـ)، تحقيق : رمزي منير البعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين ، بيروت .
- (١٢) الخصائص : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية .
- (١٣) دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨م.
- (١٤) درة الغواص في أوهام الخواص : الحريري، القاسم بن علي ، (ت ٥١٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة ، مصر .
- (١٥) ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- (١٦) ديوان العجاج ، جمع وليم بن الورد، ليبسك، ١٩٠٣م .
- (١٧) سر صناعة الاعراب : ابن جني ، تحقيق : د. حسن هندراوي ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ .
- (١٨) شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط، للخضر اليزدي، من أعيان القرن الثامن ، تحقيق: د. حسن أحمد عثمان، ط ١، مطبعة روح الأمين، ١٤٣٣هـ.
- (١٩) شرح شافية ابن الحاجب : لرضي الدين الاستربادي ، (ت ٦٨٨هـ)، تحقيق محمد نور الحسن وصاحبيه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٥م.
- (٢٠) شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ)، ط ٢، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٨م .
- (٢١) الصاحب في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ابن فارس ، المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، ١٩١٠م.

- (٢٢) فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٧ م .
- (٢٣) الكتاب ،سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مطبعة المدني، ١٩٨٨ م .
- (٢٤) لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، (ت ٧١١هـ) ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي ، قدّم له : عبد الله العلي ، دار لسان العرب ، بيروت .
- (٢٥) المبدع الملخص من الممتع : أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : د. مصطفى النحاس ، مكتبة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- (٢٦) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، ١٣٨٦ هـ .
- (٢٧) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: ابن خالويه، تحقيق: برجستراسر، دار الهجرة .
- (٢٨) المخصص ،ابن سيده ،أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- (٢٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، (ت ٩١١هـ) شرحه وضبطه : محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر .
- (٣٠) معاني القرآن : النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ) تح : يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٤ م .

- (٣١) معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠٠٣ م .
- (٣٢) معجم القراءات القرآنية، د. عبد العال سالم مكرم، و د. أحمد مختار عمر، ط٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨ م.
- (٣٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤ هـ.
- (٣٤) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن هشام، (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، ١٩٨٥ م.
- (٣٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، الناشر : المكتبة الإسلامية .

### قائمة المصادر الأجنبية

1. Aitchison , J. (1994) Words in the Mind oxford : Blackwell Publishers ltd .
2. Bauer L. (1983) English Word – Formation Cambridge : CUP .
3. Crystal , D. (1989) The Cambridge Encyclopedia of Language . Cambridge : CUP .
4. Dineen , F. (1967) An Itroduction to General Linguistics New York : Holt Rinehart and Winston INC .
5. Ghomesh , J. Jackendoff (2004) Contrastive R. Rosen N. and Russell . K. Focns in English (The Salad – Salad ) Paper . Natural Language and Linguistic Theory .
6. Katamba , F. (1993) Morphology London : Macmillan Press Lta .

7. Lord , R. (1974) Contrashve Linguishcs London : ST . Pauls House Warwick Lane
8. Malhews , P. H. (1974) Morphology : An Zmroduction to the Theory of word – Formation Cambridge : CUP .
9. Mecarthy , J. e prince (1986) Prsodic Morphology . Ms published Techincal Report Center for Conitive Sciences . Rutgers University Press .
10. G : Grady W. Dobrovolsky (1987) Contemporary M. and Katamba F.
11. Raimy . E. (2000) The Phonoloy and Morphology of Reduplication . Berlin : Monton de Gruyter .
12. Reger , T. (1999) Reduplication and the Arbitrariness of the Sign in . Gernes bacher M. and Derry S. eds . Proceedings . F the 20<sup>th</sup> Annuel conference of the Society Cognitive Hahwat . N. J. PP. 887 – 92 .
13. Parker . F. and Riley K. (2005) Linguistics For Non – Linguists : Aprimer With Exercises . New York : Pearson .
14. Sapier . E. (1921) Language . New York Harcourt Brace and World . Inc .
15. Saussune F. D. (1966) A Course in Genece Linguistics . New York : Philosophical Library .
16. Webster's Ninth Collegiate Dictionary (1988) Merriam Webster . Inc Publishers Masl : Spring Field .
17. Sapir, E. (1921) Language . New York . Harcourt Brace and World , Inc.
18. De Saussure, F. D. (1966) A Course in General Linguistics . New York : Philosophical Library .
19. Stageberg, N. (1981) An Introductory English Grammar . New York : Holt. Rinehart and Winston , Inc.
20. Webster's Ninth Colligate Dictionary. (1988) Merriam Wevster, Inc Mass: Springfield.



# التعدد الوظيفي للبدل بين النحويين والمفسرين

م. عماد علوان حسين  
كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد

## ملخص البحث

إنَّ التعددَ الوظيفيَّ لأحدِ العناصرِ النحويةِ داخلَ نطاقِ الأنماطِ التركيبيةِ يعدُّ من الظواهرِ اللغويةِ التي نالتَ قسطاً لا بأسَ به من اهتمامِ النحويين ، ومن ذلك تعددُ الخبرِ أو تعددُ النعتِ أو تعددُ الحال ... ألخ .  
لقد سلَّطت الدراسةُ الضوءَ على قضيةٍ تكادُ تكونُ في عدادِ القضاياِ النحويةِ التي لم تظهرْ ملامحُها بشكلٍ واضحٍ ، بل جاءتِ حيثياتُها مبنوثةً هنا وهناك ، ويتلخصُ مضمونها بأنَّ جلَّ النقاشِ الذي طالها ينصبُّ في جوهره على مسألةِ تعددِ الأبدالِ عموماً وتعددِ الأبدالِ (الاشتغالِ وكلِّ من كلِّ وبعضٍ من كلِّ) خصوصاً مرةً بعدَ أخرى من مبدلٍ واحدٍ بشرطِ أن يكونَ التعددُ بدونِ قرينةٍ لفظيةٍ ، وهي الرِّبطُ بواسطةِ حرفِ العطفِ .

إنَّ ما يثيرُ الاستغرابَ أنَّ التعددَ الوظيفيَّ للبدلِ قد ندرَ التطرُّقُ إليه في كتبِ النحاةِ منذُ بواكيرِ التأليفِ النحويِّ إلى أن ناقشه ابنُ الحاجبِ في كتابه الأُمالي ، ثم جاءتِ أولى الإشاراتِ عن جوارِهِ عندَ المفسرين ، وكان في مقدمتهم ابنُ عطيةَ ، ثم العكبريُّ ، ثم بعد ذلك الزمخشريُّ ، في مقابلِ ذلك اتخذَ أبو حيانَ بعدهم طريقاً مغايراً فمنعه وفقاً لنظريته العقليةِ

والمنطقية ، ويبدو أنّ منهجَه ها هنا قد تأثّر به من جاء بعده من المفسرين، لا سيما السفاقي والحليّ .

### Abstract

The multifunctionality of a grammatical elements within the range of compositional styles is one of the linguistic phenomena, which won a share quite a bit of attention grammarians, including multi-story or multi epithet or multiple case ... etc.

The study has highlighted the issue almost in counter grammatical issues that features did not appear clearly, but came merits Mbthoth here and there, and boils down to content that most of the debate, which have long been focused essentially on the issue of multiple substitutes in general, and the multiplicity of substitutes (inclusion and all of each and some of the all), especially once again after one of the Changer provided that the multiplicity without the presumption of verbal, a link by the conjunction.

What is surprising that the multifunctionality of the allowance may rarely touched upon in the books of the grammarians since the early authoring grammar to be discussed by the son of the eyebrow in his aura of hopes, then the first signals from the permissible when the commentators came, and led by the son of Atia, then Akbari, then Elzimkhshari In contrast, Abu Hayyan after them took a different route Fmnah according to mental and logical outlook, and it seems that his approach is here has been influenced by who came after him from the commentators, especially Ambassaksa and Halabi.

## - المقدمة -

إنَّ التعدّدَ الوظيفيَّ لأحدِ العناصرِ النحويّةِ داخلَ نطاقِ الأنماطِ التركيبيةِ يعدُّ من الظواهرِ اللغويةِ التي نالتَ قسطاً لا بأسَ به من اهتمامِ النحويين ، ومن ذلك تعدّدُ الخبرِ أو تعدّدُ النعتِ أو تعدّدُ الحال ... إلخ .

لقد سلّطت الدراسةُ الضوئَ على قضيةٍ تكادُ تكونُ في عدادِ القضاياِ النحويّةِ التي لم تظهرْ ملامحُها بشكلٍ واضحٍ ، بل جاءت حيثياتُها مبثوثةً هنا وهناك ، ويتلخّصُ مضمونها بأنَّ جلَّ النقاشِ الذي طالها ينصبُّ في جوهره على مسألةِ تعدّدِ الأبدالِ عموماً وتعدّدِ الأبدالِ (الاشتغالِ وكلِّ من كلِّ وبعضٍ من كلِّ) خصوصاً مرةً بعدَ أخرى من مبدلٍ واحدٍ بشرطٍ أن يكونَ التعدّدُ بدونِ قرينةٍ لفظيةٍ ، وهي الرّبطُ بواسطةِ حرفِ العطفِ .

إنَّ ما يثيرُ الاستغرابَ أنَّ التعدّدَ الوظيفيَّ للبدلِ قد ندرَ التطرُقُ إليه في كتبِ النحاةِ منذُ بواكيرِ التّأليفِ النحويِّ إلى أن ناقشه ابنُ الحاجبِ في كتابه الأُمالي ، ثم جاءتْ أولى الإشاراتِ عن جوازِهِ عندَ المفسرين ، وكان في مقدمتهم ابنُ عطيةَ ، ثم العكبريُّ ، ثم بعد ذلك الزمخشريُّ ، في مقابل ذلك اتخذَ أبو حيان بعدهم طريقاً مغايراً فمنعه وفقاً لنظريتهِ العقليةِ والمنطقيةِ ، ويبدو أنَّ منهجهِ ها هنا قد تأثّرَ به من جاء بعده من المفسرين ، لا سيما السفاقيُّ والحليُّ .

إنَّ إنتاجَ اللغةِ لأنماطٍ تركيبيةٍ تتعدّدُ فيها الوظيفةُ النحويّةُ للبدلِ ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً وملحاً بالحاجةِ لأغراضٍ دلاليةٍ أو سياقيةٍ أو أغراضٍ تتعلقُ بموقفِ الحالِ أو المقامِ أو رغبةٍ لدى المتكلمِ يعبرُ عن مقاصدهِ وينوي إيصالها بشكلٍ أكثرِ إيضاحاً وبياناً للمتلقّي (المخاطب) .

❖ حقيقةُ البدل

ذكَرَ النحويون قديماً وحديثاً للبدلِ حدوداً تعريفيةً ومعانيَ اصطلاحيةً محاولين تلمسَ ماهيتهِ الوظيفيةِ والدلاليةِ والوقوفَ على حقيقةِ

هذا النمط التركيبي التي تنفرد به اللغة العربية عن مثيلاتها الساميات ، فعرفوه مرةً بأنه : ((ما يذكرُ بعدَ الشيء من غيرِ واسطةِ حرفِ العطفِ على نيةٍ أنْ يعلّقَ به غيرُ ما يعلّقُ بالأولِ))<sup>(١)</sup> ، ومرةً بأنه : ((التابعُ المقصودُ بحكمِ بلا واسطةٍ))<sup>(٢)</sup> ، كما عرفه المحدثون بأنه ((تابعٌ مسبوقٌ باسمٍ قبله))<sup>(٣)</sup> ، لكن ما يلفت النظرَ في حقيقة الأمرِ هو أنهم اتفقوا على أمرين هما :

١. أن الطرفين في بابِ البدلِ (أي : المبدل منه والبدل) يشكلانِ عنصرين لغويين مهمين في التركيب الذي يحويهما ، غير أن الطرفَ الثاني (أي : البدل) يعدُّ النواةَ لهما والمحورَ الأساسَ من بينهما ، وهذا ما نستشفُّه من مقولاتِ كبارِ النحويين أمثالِ ابنِ الحاجبِ (٦٤٦هـ) ، فإنه يفرّقُ بينه وبين نوعٍ آخرٍ من التّوابع وهو النّعتُ معللاً ذلك بأنَّ ((البدلَ أصلٌ ؛ لأنّه مقصودٌ ، والصفةُ فرعٌ ؛ لأنها تنمّةٌ))<sup>(٤)</sup> .

كذلك يشيرُ ابنُ يعيش (٦٤٦هـ) إلى أنَّ المعولَ عليه في الجملةِ هو البدلُ لا المبدلُ منه ؛ لأنَّ بيانَ المعنى وإيضاحه يرتكزُ عليه حيثُ يقولُ : إنّ ((الذي عليه الاعتمادُ من الاسمين \_ أعني : البدل والمبدل منه \_ هو الثاني))<sup>(٥)</sup> .

٢. أنَّ المعيارَ الدلاليّ هو المحركُ الأساسُ لاستعمالِ المتكلمِ لهذا النوعِ من التّوابع ، إذ يقصدُ التعميمَ ثم يأتي به للتأكيد ، أو أنّه يبهّمه على المخاطبِ ثم يزيلُ ذلك الإبهامَ ، وهذا ما درجوا عليه بقولهم : ((البدلُ هو المقصودُ بالحكم))<sup>(٦)</sup> .

وينبهُ المستشرقُ الألمانيُّ برجشتراسير إلى أنَّ استعمالَ البدلِ في التراكيبِ اللغويّةِ يعودُ إلى خصائصَ ساميّةِ الأصلِ ، إلّا أنّا نراه خاصاً باللغةِ العربيّةِ ، فلا نجدُ له إلا آثاراً قليلةً في سائرِ اللغاتِ الساميّةِ الأخرى

، وقد يكون للتركيب أصل آخر معه في حالة كون الكلام مبهماً أو خطأً في الأول ثم يستدرك أو يصحح كما في بدلي الاشتمال والغلط<sup>(٧)</sup> .  
❖ وظيفته الدلالية

إن إنتاج اللغة لتركيب لغوي يحوي طرفي البدل يحتم أمراً مهماً، وهو أنه يراد منه وظيفة دلالية لا تتأتى إلا من خلال اللجوء إليه ، وقد نبه علماء الصنعة النحوية وأهل التفسير على بعض تلك الوظائف ، ومن أهمها :

١. **إزالة التوهم** : وهو ما يطلق عليه بـ (الإيضاح بعد الإيهام) ، إذ قد يكون المبدل منه يشوبه الغموض أو الالتباس عند المخاطب ، فيعمد المتكلم إلى كشف ماهيته الملتبسة بغيره أو تبيان صفاته فيؤتى بالبدل لأجل ذلك ، فإن الاسم الآخر يذكر على سبيل بدل ثانيهما من الأول للبيان وإزالة الإيهام ، فإنك إذا قلت : رأيت زيدا أخاك ، فقد رفعت الشك ورفعت الإبهام بأنك تريد بزيد الأخ لا الصديق ولا غيره<sup>(٨)</sup> .
٢. **التأكيد** : لقد كان إمام النحاة سيبويه (١٨٠هـ) هو أول من نبه على هذه الفائدة المعنوية والوظيفية الدلالية للبدل في (باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر ...) ، وذكر أن العامل فيهما واحد حينما قال : ويبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر ، فيعمل فيه كما عمل في الأول كما في قولك : رأيت قومك أكثرهم ، على أنه أراد : رأيت أكثر قومك ، أو رأيت ثلثي قومك ، إذ أنه ثنى الاسم تأكيداً<sup>(٩)</sup> .

ويظهر هذا المعنى جلياً في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿الشورى: ٥٢-٥٣﴾ ، فإن ما قبل البدل ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ يتصف بأنه كلام تام قد استغنى عما بعده ؛ لأن المعنى يدل على أن الصراط المستقيم هو صراط الله

سبحانه وتعالى ، ولا يشكُّ أحدٌ في ذلك ، ولكن جيءَ بالبدل لفائدة التأكيد عليه<sup>(١٠)</sup> .

٣. **التخصيص** : إنّ من خصائص البدل في الجملة تخصيص العام وتحديدَه لتبيان ملامحه عند المخاطب ؛ لأنّ ذلك ((يصيرُ مذكوراً مرتين إحداهما بالعموم والثانية بالخصوص))<sup>(١١)</sup> .

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] ، فإنّ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾ أبدل من قوله ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؛ وإلى ذلك أشار الزمخشري (٥٢٨هـ) قائلاً : ((فإن قلت: ما فائدة البدل...؟ قلت: فائدته التوكيد ؛ لما فيه من التثنية والتكرير...؛ لأنك تثبت ذكره مجملاً أولاً ومفصلاً ثانياً))<sup>(١٢)</sup> .

#### ❖ تعدد البدل المصطلح والماهية

إنّ التكرار مصطلح آخرُ استعمله أبو حيّان (٧٤٥هـ) ومن بعده مرادفاً لمصطلح التعدد ، ولكنّ التعدد كان أكثر تداولاً بين أوساط العلماء ، وقد عرفَ التعدد بشكل عامّ في أبواب نحويّة ، فقد نوقش فيها مثلاً مسائل تعدد الخبر وتعدد الحال وتعدد النعت وغيرها ، إلا أنّهم لم يذكروا له حداً اصطلاحياً واضحاً ، وإنّما جاء تعريفُ التكرار في كتاب التعريفات بأنّه ((عبارة عن الإتيان بالشيء مرة بعد أخرى))<sup>(١٣)</sup> .

ولم يعرفوا ما نحنُ بصددِه اصطلاحياً لا قديماً ولا حديثاً ، وهو تعدد البدل ، ولكنّا من التعريف السابق يمكنُ أنْ نقولَ : إنّ المقصودَ به هو تكرارُ الوظيفة النحويّة للبدل في التركيب اللغويّ الواحد ، فيتوالى البدل الذي يمثلُ العنصرَ النحويّ فيه مرة بعد مرة إما بواسطة العاطف أو مجرداً منها .

وإذا تتبعنا مسارَ المصطلح اللغويّ أعلاه الذي يعبر عن هذه الإشكالية فيبدو أنه قد اتضحت معالمُه وتبلورت خصائصُه على يد أبي

حيّان عندما تتبع الزمخشريّ مناقشاً آراءه التي جوزَ فيها تعدّد الأبدال في آياتٍ من الذكر الحكيم ، ثم نجدُ أنّه \_ أي : المصطلح \_ قد صارَ مسلماً به عند مَنْ جاء بعده من النحويين والمفسرين عليه .

إنّ التعدّد الوظيفيّ عموماً يضيفي على التركيب اللغويّ قيماً دلاليةً لا تلمحُ في القاعدة النحويّة ولم يذكرها النحويون ؛ على الرّغم من حقيقة أنّ المتكلم يلجأ إليه لغرضٍ دلاليّ معين ، فيعمدُ إلى التعدّد في الوظيفة النحويّة من أجلِ وظيفةٍ دلاليةٍ مرتبطةٍ بها يقصدُ إيصالها إلى المخاطب<sup>(١٤)</sup> .

لقد عزفَ الأكثرون من النحويين \_ فيما وقفتُ عليه من كتبهم \_ منذ سيبويه (١٨٠هـ) وصولاً إلى ابن مالك (٦٧٢هـ) عن الخوض في قضية تعدّد الأبدال واتحاد المبدل منه ، وقد ابتعدوا عن مناقشة ماهيتها وإماطة اللثام عن تفاصيلها ، إلا أنّ أبا حيان قد جزمَ بأنهم لم يأتوا على ذكرها جوازاً أو منعاً ، فقد صرّح بذلك في موضعين :

**الأول :** قال في تفسيره عند قوله تعالى ﴿عَبْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] : ((وفيه تكرارُ الأبدال ، وهي مسألة لم أفقُ على كلامٍ أحدٍ فيها إلا أنّهم ذكروا ذلك في بدلِ البداء))<sup>(١٥)</sup> .

**وثانيهما :** وقال أيضاً مفسراً قوله تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] ((فلا نصّ عن أحدٍ من النحويين أعرّفه في جوازِ التكرار أو منعه إلا أنّ في كلامٍ بعضِ أصحابنا ما يدلُّ على أنّ البديل لا يكرر))<sup>(١٦)</sup> .

إنّ إطلاقَ أبي حيان بشأنِ عزوفِ النّحاة عن قضية تعدّد الأبدال وجزمه بأنهم لم يتناولوها لا من قريبٍ ولا بعيدٍ \_ كما مرَّ أعلاه \_ لم يكن موفّقاً فيه ولم يكن في محله ، إذ أنّ عدمَ إطلاعه عليها لا يعني أنّها غيرُ موجودةٍ مطلقاً كما أكّد الدّماميني<sup>(١٧)</sup> (٨٢٧هـ) ، بل إنّهُ ((قد أقرَّ على نفسه \_

أي : أبي حيان \_ بعدم الاطلاع على نص في المسألة إلا من جهة كلام حكاه عن بعض أصحابه ولم يسمه... ، ولا يلزم من عدم عرفائه بالجواز عدم الجواز في نفسه<sup>(١٧)</sup> .

كما أن الخفاجي (١٠٦٩هـ) كان له رأي مناقض لما طرحه أبو حيان مشيراً إلى أنه ((لا يرد عليه قلة البدل بالمشتقات ... ، ولا أن تعدد البدل لم يذكره النحاة كما قيل ؛ لأن النحاة صرحوا بخلافه في الجميع)<sup>(١٨)</sup> .

وهذا الذي ذكره \_ أي : الدماميني والخفاجي \_ أنفا لا يمكننا إغفاله والتعاضّي عنه ؛ وذلك لأن النحوي الأصولي ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) قد ناقش هذه المسألة مناقشة دقيقة مجوزاً تكرار الأبدال واحداً بعد الآخر من مبدل واحد ، إذ أعرب قوله تعالى ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣] أبدالاً متتاليةً ، وكذلك ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ من قوله ﴿ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢] ، فقال : ((فالأولى أن يقال : هو بدل أيضاً ثان من المبدل الأول ، كأنه قال : من الله العزيز العليم من رب غافر الذنب من الله ذي الطول ، فعلى هذا يستقيم ، ولكن بتقدير بدل بعد بدل))<sup>(١٩)</sup> .

وكذلك أشار إلى أن ﴿ أَسْبَاطًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴾ وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴿ [الأعراف: ١٦٠] لا يمكن إعرابه تمييزاً من العدد ؛ لأن عددهم حينئذ يكون ستة وثلاثين ، وهذا يخل في معنى التركيب ، وعليه فلا بد أن يعرب بدلاً من العدد ، وكذلك يعرب ﴿ أُمَمًا ﴾ بدلاً آخر منه ، وهذا يقتضي أن المعنى الصحيح يرتبط بجعل ﴿ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ الأبدال مكررة في الآية<sup>(٢٠)</sup> .

وأخيراً فإن ابن هشام (٧٦١هـ) قد تبني الرأي القائل بأنه لا يعرف التكرار في أقسام البدل إلا في بدل الإضراب ، ووصف التعدد فيه بأنه



ضعيفٌ ، ولا يمكن حملُ آياتِ التَّنْزِيلِ عليه<sup>(٢١)</sup> ، كما أنَّ السيوطيَّ (٩١١هـ) في كتابه (الأشباه والنظائر) قد تطرَّق إليها ونبه عليها في باب (ما يجوز تعدُّده وما لا يجوز) من دون إيضاح موقفه منها ، بل اكتفى بنقلِ المنع في ذلك<sup>(٢٢)</sup> .

في مقابل ذلك فقد كانت المسألة عند المفسرين والمربين تأخذُ اتجاهاً آخرَ مختلفاً عما سلكه النحاة ؛ لأنها تتعلقُ بتفسيرِ آياتٍ قرآنيةٍ وإعرابها ، فكان أول من أَلَمَحَ إلى التعدد من دون الإشارة إليه صراحةً هو ابنُ عطية<sup>(٢٣)</sup> (٥٤٦هـ) ، ثم سلك بعده الزمخشريُّ والعكبريُّ (٦١٦هـ) مساره في مواضع بيّنا فيها أنَّ الأبدالَ تبدلُ من مبدلٍ واحدٍ بصورةٍ متكررةٍ ومتتاليةٍ بدونِ واسطةٍ العطفِ<sup>(٢٤)</sup> ، وقد تتبعها أبو حيَّان بالتفصيل في كتابه (البحر المحيط) منكرًا آراءهم فيها ومانعًا الأبدالَ المكررةَ معللاً ذلك بأنَّ المبدلَ منه على نيةِ الحذفِ ، فلا يبدلُ منه مرةً أخرى<sup>(٢٥)</sup> ، وعمل المفسرون من بعده على تقصي دقائقها ومناقشة حجج المختلفين فيها وتوضيح إشكالاتهم فيها<sup>(٢٦)</sup> .

ويبقى أمرٌ أخيرٌ يجبُ التَّوَيُّهُ عليه وهو أنَّه من خلالِ دراسةِ التراكيبِ التي تضمُّ هذا العنصرَ النحويَّ يتبين لنا أنَّ التعددَ في اللغةِ عموماً وتعددِ البدلِ خصوصاً قد سلكَ نمطين تركيبيين ، هما :

- **التَّعدُّدُ بواسطة :** ونقصد هنا أنَّ تكرارَ العنصرِ النحويِّ كتكرارِ البدلِ يجوزُ عند النحاة والمفسرين من خلالِ واسطةٍ تربطُ بينها ، وهي حرفُ العطفِ ؛ ولم نجدُ خلافاً فيه ، بل كلامهم يؤكدُ أنَّ الجميعَ متفقون عليه .
- **التَّعدُّدُ بغيرِ واسطة :** وهذا هو القسمُ الذي نحن بصددِه ، إذ قد يتكرَّرُ البدلُ مرتينِ أو أكثرَ من مبدلٍ واحدٍ من غيرِ التوصلِ إليه بحرفِ عطفٍ ؛ ((لأنَّ المعطوفَ على البدلِ بدلٌ))<sup>(٢٧)</sup> .

❖ التعدد في بدل البداء

لقد سبق سيبويه غيره من النحاة في إثبات بدل البداء ، فكان أول من أدرجه قسماً من أقسام البدل<sup>(٢٨)</sup> ، وبدل في الاصطلاح على ((ذكرِك المبدل منه والبدل من غير أن يكون الثاني مطابقاً للأول في المعنى ... ، بل هما متباينان من حيث اللفظ والمعنى))<sup>(٢٩)</sup>.

وكذلك يطلق عليه مصطلح آخر ، وهو بدل الإضراب ، ويكون الطرفان فيه \_ خلافاً لباقي أقسام البدل \_ هما المقصودين في التركيب ، إذ لا تفضيل لأحدهما على الآخر ، وقد شبهوا البدل بالناسخ والمبدل منه بالمنسوخ ، ويكون على تقدير (بل) التي للإضراب ، فهو يشبه المعطوف بـ (بل) لكن على نية حذفها من الجملة<sup>(٣٠)</sup> .

لقد اعتمد النحويون في إثبات بدل البداء على أمثلة صناعية كانت هي الأصل عندهم في التقعيد النحوي ، فلم يأتوا بشاهد واحد عليه ، ويعود سبب اتفاقهم على تعدده إلى أن منشأه هو الغلط أو النسيان ، فيعمد المتكلم إلى تكراره لتصحيح المعلومة لدى المخاطب ، ((كما في قولك : ركبْتُ حماراً فرساً بغلاً ، فتخبرُ بأنك ركبْتَ حماراً ، ثم لما ثبت لك كان الذي ركبته غيرَ حمارٍ أخبرْتَ أنَ المركوبَ فرسٌ ، ثم لما تبينَ أنَ المركوبَ غيرهُ أخبرْتَ بأنه بغلٌ))<sup>(٣١)</sup> .

كما أنهم لم يتطرقوا \_ حسبما وقفتُ عليه \_ إلى جزئية تكرار بدل البداء من مبدل متحد حتى جاء أبو حيان فكانت له يدُ السبق في إثارة قضية تكراره وبيان موقفه منها ؛ كون البداء قسماً من أقسام البدل التي درجوا على ذكرها ، وكان ذلك في سياق نفيه للتعدد في الأقسام الأخرى ، وقد نسبَ جواز التكرار فيه إلى من أثبتَه قائلاً : ((أما بدلُ البداء عند مَنْ أثبتَه فقد تكررت فيه الأبدال))<sup>(٣٢)</sup> .

كذلك وجدتُ بعده قضية تعدد البدل رواجاً بين أوساط النحويين ، إذ لم تلقَ الاهتمام المطلوب قبله كما لقيته لدى من جاء بعده ، فهذا ابن

هشام مثلاً يعلن عن رأيه قائلاً : ((لا يعرف أنّ البديل يتكرر إلا في بدل الإضراب ، وهو ضعيف لا يحمل عليه التنزيل)) (٣٣) ؛ وذلك لأنّ أصله \_ أي : البداء \_ هو النسيان أو الغلط ، فيؤدي وقوعه في التركيب إلى خلل في المعنى وارتباك في الفهم عند المخاطب ، والذكر الحكيم منزّه عنه .

#### ❖ تعدّد البديل واتحاد المبدل منه

إن النّمط النحويّ الذي نحن بصدد تسليط الضوء على تركيب عناصره في الجملة العربية ينحصر في تكرار أقسام البديل : الاشتمال ، وكل من كل ، وبعض من كل ، يضاف إلى ذلك أنّ التعدّد فيه يحصل بدون عاطف ، ويكون بأبدال متعددة في حال كون المبدل منه واحداً ، وتتّشكل صورة النّمط كالتالي : أن يؤتى بعنصر نحويّ يكون مبدلاً منه ، ثم يؤتى بعنصرين آخرين أو أكثر تكون أبدالاً متكررة ، أي : بدلاً أولاً وبدلاً ثانياً ... إلخ من المبدل منه .

فلو أخذنا مثلاً قوله تعالى ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ (٢) الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢- ٤] فإننا نجد أنّ العناصر النحوية بعد قوله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ يجوز فيها أن تكون أبدالاً متكررة مرة بعد مرة بدون رابط العطف (٣٤) ، ولإيضاح هذه الصورة للنّمط النحويّ كما في الآية الكريمة نضع المخطط التالي :

عنصر أول	عنصر ثانٍ	عنصر ثالث	عنصر رابع	عنصر خامس	
اَلْحَمْدُ	رَبِّ الْعَالَمِيْنَ	الرَّحْمٰنِ	الرَّحِيْمِ	مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ	
مبتدأ	بدل أول	بدل ثانٍ	بدل ثالث	بدل رابع	خبر (المبدل منه)

لم تأت مواقف العلماء نحواً وتفسيراً إزاء النمط النحوي المتمثل بتكرار الأبدال بصورة متتالية من غير عطف متوافقة أو موحدة فيما بينها، وإنما كانت تتصف بالاختلاف والانقسام كل حسب معطياته وأدلته العقلية والنقلية، إذ جرى بحثها بينهم في آيات كثيرة من الذكر الحكيم<sup>(٣٥)</sup>، نخلص مما قالوه فيها إلى أن آراءهم قد تفرعت على قسمين، أخذ كل واحد منهما اتجاهاً نقيض الآخر، فسلكت اتجاهين، هما:

#### الأول: القبول

لقد بزغت الملامح الأولى لقبول تكرار أقسام البدل عند المفسرين، وكان في مقدمتهم ابن عطية، ثم تبعه بعد ذلك كل من العكبري والزمخشري كما ذكرنا سابقاً، ثم ظهرت عند ابن الحاجب، وهو من كبار النحويين، مناقشة واضحة المعالم لهذه الحيثية مجيزاً القول بالتعدد<sup>(٣٦)</sup>.

فضلاً عن ذلك فإن الآراء قد توالفت مجيزة التعدد في البدل بشكل صريح لا يدع مجالاً للشك، فكان للزركشي رأي يوافق ما قالوه، إذ أن عبارته تكشف قبوله التعدد الوظيفي لأقسام البدل، فقال: ((وقد يكرر البدل، كقوله ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]))<sup>(٣٧)</sup>.

كذلك اتجه الدماميني<sup>(٥٨٢٨)</sup> إلى إثبات تعدد الوظيفة النحوية للبدل متصدياً لكل من أنكره مناقشاً ذلك مناقشة مطولة في كتابه (العيون الفاخرة)، ونستشف رأيه الصريح القائل بالإيجاب من موضعين:

الأول: استدل على إثباته بأنه ((قد نصَّ غير واحد من المعربين

في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

﴿[الفاتحة: ٢-٤] على جواز إعرابِ التوابعِ أبدالاً مع أنها ليستْ بأبدالٍ بداءٍ قطعاً﴾ (٣٨) .

**الثاني:** استدلل أيضاً بقوله تعالى ﴿حَمَّ ۝١ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ﴾ [غافر: ١-٣] بأن ((فيه دليلاً بيناً على جواز تعدد البديل مع اتحاد المبدل منه)) (٣٩) .

إنَّ الخفاجي ، وهو من المفسرين المتأخرين ، تتبع ما قاله النحاة مشيراً إلى أنهم قد نهوا على جواز التعدد الوظيفي للبديل في التركيب اللغوي بدون قرينة الربط بالعاطف ، سواءً كان البديل بدل بداء أم غيره (٤٠) .

لقد تبنى الألوسي (١٢٧٠هـ) رأياً يشابه ما قيل أعلاه ، فقد أشار إلى أن الآيتين ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيطٍ ۝٣٢ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ۝٣٣ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢-٣٣] ، فيهما دليل على ((جواز تعدد البديل والمبدل منه واحد ، وقول أبي حيان : تكرر البديل والمبدل منه واحد لا يجوز ... غير مسلم)) (٤١) .

### **الثاني : المنع**

لقد توجه عدد من المفسرين والنحويين إلى القول بإنكار التعدد الوظيفي للبديل من غير رابط يربط تلك العناصر النحوية المتكررة ، وعزوا سبب ذلك إلى أن المبدل منه على نية الحذف ؛ لأنَّ البديل يقوم مقامه ، وإنكارهم يتأتى من تساؤل طرحوه مفاده : كيف يحذف المبدل منه ثم يؤتى ببديل ثان مرة أخرى ؟!

إنَّ أبا حيان اتخذ موقفاً صارماً إزاء تكرار بدل الاشتمال والكل أكثر من مرة ، وقد تتبع الأقوال التي تجيزه بعدم قبولها وردّها جملةً وتفصيلاً ، وإليك أبرز ما قاله :

- ((إنَّ البديل لا يتكرر ويتحدُّ المبدل منه)) (٤٢) .

- ((لا يتكرر الإبدال من مبدلٍ منه واحد))<sup>(٤٣)</sup> .
  - ((إنَّ البدلَ الظاهرُ أنَّه لا يتكررُ فيكون كالصفات))<sup>(٤٤)</sup> .
- وكان من جملة النحويين القائلين بمنع تكرار البدل بدون عطف لا سيما في النص القرآني هو ابن هشام كما عرفنا سابقاً ، بالمقابل جوزّه في بدل البداء لا غير .
- ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ المفسرين بعد أبي حيان قد اختلفوا في المسألة وفقاً لمشاربهم كما رأينا ، إلا أنّ مفسرين كبيرين يعدان من أبرز تلامذته يوافقانه في منع توالي الأبدال المتكررة ، هما :
- السفاقي<sup>(٧٤٢هـ)</sup> حيث يقول : ((إنَّ البدلَ لا يتكررُ كالصفات))<sup>(٤٥)</sup> .
  - الحلبي<sup>(٧٥٦هـ)</sup> ، فقد تتبع آثار المسألة في كتب المفسرين قبله ، فأورد ما قاله شيخه أبو حيان من غير الاعتراض عليه<sup>(٤٦)</sup> ، ((وأقره على حاله كأنه من قبيل المرتضى عنده))<sup>(٤٧)</sup> .
- وأخيراً فإنّ المفسر ابن عادل (٨٨٠هـ) قد اتخذ ذات الرأي مما جاء آنفا مؤكداً أنّ القول بتعدد البدل في قوله تعالى ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۚ﴾<sup>(٤٨)</sup> إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ<sup>(٤٩)</sup> يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرُ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٥٠﴾ [ق: ٤٠-٤٤] ((فيه نظرٌ من حيث تعدد البدل والمبدل منه واحد))<sup>(٤٨)</sup> .

#### ❖ تعدد البدل من البدل

إنّ النمط النحويّ الذي يطالعنا هاهنا هو نمطٌ لوجهٍ آخر من توالي الأبدال بدون عاطف ولكن بصورةٍ مختلفةٍ تماماً عما عهدناه سابقاً ، فهو يمثلُ شكلاً آخر من تكرار البدل بحيث يكون النمط كالتالي : يأتي عنصرٌ نحويٌّ في تركيبٍ لغويٍّ وظيفته أن يكون بدلاً من عنصرٍ آخر

قبله يكونُ مبدلاً منه ، ثم يؤولُ بعنصرٍ ثالثٍ يكونُ بدلاً من الثاني ، فحينها يكون الثاني بدلاً مرةً وأخرى مبدلاً منه في الوقت ذاته .

إن ما يستحق الملاحظة هو أنّ أيّ خلافٍ يتعلق بهذا النمط لم يجر بين النحويين والمفسرين بالرغم من معرفتنا بأن مناقشاتٍ ومناكفاتٍ كانت قد جرت بينهم على خلفيةٍ توالي الأبدال من مبدلٍ منه بغير عاطفٍ ، فقد نبهوا على أنّ العنصرَ النحويّ نفسه يكون بدلاً ومبدلاً منه بالقول : ((إنّ البدل من البدل جائزٌ))<sup>(٤٩)</sup> ، مؤيدين ذلك بنصٍّ شعريٍّ يقول :

فإلى ابنِ أمّ إياسٍ أرحلُ ناقتي عمرو فتبلغُ ناقتي أو ترحفُ

ملكٍ إذا نزلَ الوفودُ ببابه عرفوا مواردَ مزنيه لا تنزفُ<sup>(٥٠)</sup>

فإنّ (عمرو) بدلٌ من (ابنِ أمّ إياس) ، و(ملكٍ) بدلٌ من (عمرو)<sup>(٥١)</sup> ، ويبررون ذلك بأنّه ((قد أبدلُ من عمرو ، فلا يجوزُ أن يبدلَ منه مرةً أخرى ؛ لأنّه قد طرح))<sup>(٥٢)</sup> ، ويكونُ تسلسلُ تلك العناصرِ النحويّةِ في البيت كالتالي :

عنصرٌ أول	عنصرٌ ثان	عنصرٌ ثالث
ابنِ أمّ إياس	عمرو	ملك
مبدلٌ منه	بدلٌ من الأول + مبدلٌ منه	بدلٌ من الثاني

لقد ظهرَ هذا التّوجيهُ الإعرابيُّ لهذا النمطِ التركيبيِّ عند الأوائلِ من العربيين أمثالِ مكّي القيسيّ<sup>(٥٤٣٧هـ)</sup>، وهذا ما نلاحظه مثلاً في إعرابِ قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فإنّ ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿بَنِي آدَمَ﴾ ، و﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿ظُهُورِهِمْ﴾<sup>(٥٣)</sup> ، فأصبحَ ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدلاً ومبدلاً منه في الوقت نفسه.

ولو أخذنا مثلاً آخر ، وهو قوله تعالى ﴿ إِلَّا نَصْرُهُ فَقَدْ  
 نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ  
 لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴾ [التوبة: ٤٠] <sup>(٥٤)</sup> لوجدنا أنهم قد عمدوا إلى إخضاعه  
 للنمط التركيبي أعلاه خلافاً لمن قال بتكرار البدل واتحاد المبدل ؛ ((لأنَّ  
 الزمنَ الثاني والثالثَ غيرُ الأولِ)) <sup>(٥٥)</sup>، وطبقاً لهذا فإنَّ ﴿ إِذْ ﴾ الأولى  
 ظرفٌ لـ ﴿ نَصْرُهُ ﴾ ، و﴿ إِذْ ﴾ الثانية بدلٌ من الأولى ، ولو  
 جعلنا ﴿ إِذْ ﴾ الثالثة ((بدلاً من البدل لم يمتنع)) <sup>(٥٦)</sup>.





## الهوامش

- (١) التخمير ١١٥/٢ .
- (٢) همع الهوامع ٢١٢/٥ .
- (٣) اللباب في قواعد اللغة ١١٧ .
- (٤) الإيضاح في شرح المفصل ٤٢٧/١ .
- (٥) شرح المفصل لابن يعيش ٦٣٢/٣ .
- (٦) المقاصد الشافية ١٩٠/٥ .
- (٧) ينظر : التطور النحوي ١٤٧-١٤٩ .
- (٨) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٢٨/٣ ، البرهان ٤٥٢/٢ .
- (٩) ينظر : الكتاب ٧٥/١ .
- (١٠) الإيقان ٣١٠/١ .
- (١١) البرهان ٤٥٥/٢ .
- (١٢) الكشف ٣٠/١ .
- (١٣) التعريفات ٢١ .
- (١٤) ينظر : ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية ٩ .
- (١٥) البحر المحيط ١٥١/١ .
- (١٦) المصدر نفسه ٤٣٠/٧ .
- (١٧) العيون الفاخرة ١٢-١٣ .
- (١٨) عناية القاضي ٣٥٧/٧ .
- (١٩) أمالي ابن الحاجب ١٥٢/١ .
- (٢٠) ينظر : الإيضاح في شرح المفصل ٤٩٢/١ ، التبيان ٥٩٩/١ .
- (٢١) ينظر : مغني اللبيب ١١٧/١ .
- (٢٢) ينظر : الأشباه والنظائر ٣٤٩/١ .
- (٢٣) ينظر : المحرر الوجيز ٥٠٤/٢ ، ٥٠٦ .
- (٢٤) ينظر : التبيان ٥٩٩/١ ، ٦١٧/٢ ، ٦١٨ ، ٦٢٤ ، ١١٧٦ ، ١١٧٦ ، والكشاف ١٢٨/٢ ، ١٤٩-١٥١ ، ٢٠٤ ، ١١٢-١١٣ ، ٢٩٦-٢٩٧ ، ٥٢٠ .
- (٢٥) ينظر : البحر المحيط ١٥١/١ ، ٤٣٠-٤٣١/٧ ، ١٢٦/٨ ، ٤٠٧ .
- (٢٦) ينظر : الدر المصون ٤٧/١ ، ٤٨٧/٥ ، ٤٩١-٤٩٣ ، ٤٥٣-٤٥٥/٩ ، ٣٢-٣١/١٠ ، ٣٧ ، ٦٦٥ ، واللباب ٤٥٩/٩ ، ٤٦٥ ، ٩٤/١٠ ، ٦/١٧ ، ٨- ، ٤٠/١٨ ، ٥٣ ، وروح المعاني ٨٧-٨٨ ، ١٧٥ ، ٩٧-٩٦/١٠ ، ٤٢-٤١/٢٤ ، ١٨٩-١٩٠/٢٦ .

- (٢٧) البحر المحيط ٤٣١/٧ .
- (٢٨) ينظر : الكتاب ٤٣٧/١ .
- (٢٩) ارتشاف الضرب ١٩٧٠/٤ .
- (٣٠) ينظر : شرح التسهيل ٣٣٦/٣ .
- (٣١) حاشية الدسوقي ١٩١/١ .
- (٣٢) البحر المحيط ٤٣٠/٧ . وينظر فيه أيضاً : ١٥١/١ .
- (٣٣) مغني اللبيب ١١٧/١ . وينظر : شرح الدماميني على مغني اللبيب ٣٢٤/١ .
- (٣٤) ينظر : التبيان ٦-٥ ، الدر المصون ٤٧/١ .
- (٣٥) تنظر هذه المواضع في : [ الفاتحة : ٢-٤ ] ، [ الأعراف : ١٦٠ ، ١٦٣ ] ، [ الأنفال : ٧-١١ ] ، [ التوبة : ٤٠ ] ، [ غافر : ١-٣ ] ، [ ق : ٣٢-٣٣ ، ٤١-٤٤ ] ، [ النبأ : ٣٦-٣٧ ] .
- (٣٦) ينظر : أمالي ابن الحاجب ١٥٢/١ .
- (٣٧) البرهان ٤٥٢/٢ .
- (٣٨) العيون الفاخرة ١٣ .
- (٣٩) المصدر نفسه ١٣ .
- (٤٠) عناية القاضي ٣٥٧/٧ .
- (٤١) روح المعاني ١٨٩/٢٦ .
- (٤٢) البحر المحيط ٤٣١/٧ .
- (٤٣) المصدر نفسه ١٢٦/٨ .
- (٤٤) المصدر نفسه ٤٠٧/٨ .
- (٤٥) المحيد في إعراب القرآن المجيد ٩٤ .
- (٤٦) ينظر : الدر المصون ٤٧/١ ، ٤٨٧/٥ ، ٤٩١-٤٩٣ ، ٤٥٣-٤٥٥ ، ٣١/١٠ ، ٣٢-٣٧ ، ٦٦٥ ، ٣٧ .
- (٤٧) العيون الفاخرة ١٢ .
- (٤٨) اللباب لابن عادل ٥٣/١٨ .
- (٤٩) البحر المحيط ٤٣١/٧ . وينظر أيضاً : التبيان ١٦٠/١ ، البحر المحيط ١٥١/١ .
- ٤٦١/٨ ، ١٢٦/٨ ، ١٢٩ .
- (٥٠) البيتان لبسر ابن أبي خازم ، وهما من البسيط ، ينظر : الكتاب ٢٢٢/١ ، همع الهوامع ١٢٧/٢ .
- (٥١) ينظر : الكتاب ٢٢٢/١ ، شرح أبيات سيبويه ١١١ .
- (٥٢) البحر المحيط ٤٣١/٧ .

- (٥٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٣٠٦/١ .
- (٥٤) لمزيد من الأمثلة القرآنية التي خرجت طبقا لهذا النمط ، ينظر : دراسات لأسلوب القرآن العظيم ق٣/ج٤/١١١ .
- (٥٥) مغني اللبيب ١١٧/١ .
- (٥٦) شرح الدماميني على مغني اللبيب ٣٢٤/١ . ينظر : حاشية الدسوقي ١٩١/١ .

— فهرس المصادر والمراجع —

- **الآلوسيّ** : محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : دار إحياء التراث العربي ، بيروت — لبنان .
- **برجشتراسير** : التطور النحويّ للغة العربية : أخرجه وصححه د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م .
- **الجرجانيّ** : علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ) ، التّعريفات : تح . إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- **ابن الحاجب** : عثمان ابن أبي بكر بن يونس (ت ٦٤٦هـ) ، الإيضاح في شرح المفصل : تح . أ.د. إبراهيم محمد عبد الله ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٥م . وأمالى ابن الحاجب : دراسة وتحقيق د. فخر صالح سليمان قدره ، دار الجيل ، بيروت — لبنان ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م .
- **أبو حيّان** : محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، ارتشاف الضرب من لسان العرب : تح . د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م ، والبحر المحيط : تح . جماعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م .
- **الخوارزميّ** : القاسم بن الحسين (ت ٦١٧هـ) ، التخمير ، تح . د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت — لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

- **الخفاجي** : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٦٩هـ) ، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي : دار صادر ، بيروت - لبنان .
- **الدسوقي** : محمد بن أحمد بن عرفة (ت ١٢٣٠هـ) . حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : دار السلام للطباعة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- **الدّماميني** : محمد ابن أبي بكر (ت ٨٢٨هـ) ، شرح الدماميني على مغني اللبيب : صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م . والعيون الفاخرة الغامزة على خفايا الرامزة : المطبعة الأميرية ، بولاق - مصر .
- **الزركشي** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن : قدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٧م .
- **الزّمخشري** : محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ضبط وتوثيق أبي عبد الله الداني ابن منير، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- **السبيعي** : مها عبد الرحمن ، ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ .

- السراج : محمد علي ، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب : عني بمراجعته خير الدين شمسي ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- السفاقيّ : برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت ٧٤٢هـ) ، المجيد في إعراب القرآن المجيد : تح. أ.د. حاتم صالح الضامن ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ .
- السّمين الحلبيّ : أحمد بن يوسف الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، الدرّ المصون في علوم القرآن المكنون : تح. د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- سبيويه : عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) الكتاب : المطبعة الأميرية ، بولاق - مصر ، ١٣١٦هـ .
- السيّوطيّ : عبد الرحمن ابن أبي بكر الخضير (ت ٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن : تح. محمد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة - مصر ، ١٩٦٧م ، والأشباه والنظائر في النّحو : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان . وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع : تح. أ.د. عبد العال مكرم سالم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- الشّاطبيّ : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ) ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية : تح. د. عبد الرحمن بن سليمان ، مركز إحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ابن عادل : عمر بن علي بن عادل (ت بعد ٨٨٠هـ) ، اللباب في علوم الكتاب : تحقيق جماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

- **عضيمة :** محمد عبد الخالق . دراسات لأسلوب القرآن العظيم : دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م .
- **ابن عطية :** عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤٦هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : تحـ . عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- **العكبري :** عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ) ، التبيان في إعراب القرآن : تحـ . علي محمد البجاوي ، عيسى ألبابي الحلبي ، القاهرة .
- **القيسي :** أبو محمد مكيّ ابن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) ، مشكل إعراب القرآن : دراسة وتحقيق د. حاتم صالح الضامن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .
- **ابن مالك :** محمد بن عبد الله بن عبد الله الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) ، شرح التسهيل : تحـ . د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوي ، هجر للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٠هـ — ١٩٩٤م .
- **النحاس :** أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ) ، شرح أبيات سيبويه ، تحـ . د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .
- **ابن هشام :** عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : تحـ . د. مازن مبارك ومحمد علي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٩م .
- **ابن يعيش :** يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، شرح المفصل : تحـ . أحمد السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة — مصر .





# رمزية الرقم سبعة

م.م. عادل فائق رشيد

الجامعة العراقية / كلية الآداب

## ملخص البحث

حاولت في بحثي هذا بيان خصوصية هذا الرقم ومعانيه من خلال تتبع المواضيع الذي ورد فيها منذ اقدم زمن لتدوين واستخدام الكتابة مروراً بالحضارات القديمة والاديان السماوية اليهودية والنصرانية ختاماً بالدين الاسلامي الحنيف، وجدت في هذا البحث نوعاً من الخصوصية للرقم سبعة وهذا لايعني ان بقية الارقام لم يكن لها من الذكر نصيب ولكن الرقم سبعة احتل مكاناً خاصاً بين الاعداد اذ كان عادة ما يرمز الى تمام الشيء وكماله اذ انه لا يكاد يكون كاملاً ان لم يقترن بالرقم سبعة، كما هو الحال عند السومريين وحكمائهم السبعة اللذين علموا الانسان الحرف وفي عدد بوابات العالم السفلي في قصة نزول الالهة عشتار للعالم السفلي وملاقاتها اختها والهة العالم السفلي السبعة، وخصوصية الاعياد والصلوات في العهدين القديم والجديد وفي الدين الاسلامي بفاتحة الكتاب وكيف ان الله خلق سبع سموات طباقاً ومن الارض مثلهن وخلق السماوات والارض في ستة ايام ثم الاستواء على العرش في اليوم السابع، مضاعفة الحسنات بقوله عز وجل في سورة البقرة الاية ٢٦١ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ ثَمَرَةٌ بِأَلْفٍ عَشْرٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ و كذلك اركان الاسلام التي اختصت بهذا الرقم سواء في تمام الصلاة والسنن التي يؤمر فيها الاولاد بالصلاة اضافة الى السعي والطواف في الحج، كذلك مصداقاً لقول الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم) حيث نلاحظ أن كل ذرة من ذرات الكون تتألف من سبعة طبقات إلكترونية وهذا

قانون ثابت يشهد على وحدانية الله وان الارض نفسها تتالف من سبعة طبقات، أن ما يمكن قوله خلاصة لهذا البحث الذي لا ادعي فيه الكمال ان سبب تكرار الاشارات لهذا الرقم منذ اقدم الازمان وفي الديانات القديمة والسماوية ما هو الا دليل (والله اعلم) بأن هذا الرقم مستمد من الله عز وجل حيث نراه موجودا عند كافة الديانات القديمة مثلا والتي انحرفت عن التوحيد الا ان اساسها كان من الانبياء اللذين ارسلهم الله عز وجل الى القرى وظل هذا الرقم مستمرا في العهدين القديم والجديد وصولا الى الاسلام الامر الذي يدل على وحدانية المصدر لكل هذه الاديان القديمة والسماوية ويدل في مواضعه المختلفة على التمام والكمال والكثرة .

### **Issue Abstract**

Number seven had so many interpretations and this number was adopted since the early attempts of writing in 3500 BC at the time of Sumerians who inhabited the southern part of Modern Iraq known as Sumer (Ki-En-Gi) that translates into the land of reed's master, the number was used by Sumerians themselves in their literature especially in referring to the seven Gods of wisdom (Seven Sages) who taught the humanity all the known professions, as well as the seven Gods of the underworld, the seven gates of the netherworld.

in times of Babylonians the number was clearly used in the rituals of exorcism to purify houses from evil spirits, the number seven strongly appeared in the divine books of old testament and bible as well, mentioning the number of days prophet Moses had to wait before launching the pigeon to know that the deadly flooding waters have recessed, also number of prayers etc, reaching to the Islamic religion were this number was particularly mentioned in SURAT AL FATIHA the opening verse in the holy Quran and its importance to the limit that Muslim prayer considered incomplete if this verse wasn't narrated, the other mentions of this strange number in other SURA's, beside what Prophet Mohammed (Peace Be Upon Him) said in the Sunnah and Hadeeth, This number as I presume represents the mighty creation of Allah and that the continuity of this number since Sumerian times up to Islam is a clear evidence that it is all from Allah who created earth and heavens in six days and laid rest on the throne at the seventh day.

## تمهيد

لطالما أحتلت الأرقام أهمية كبيرة في حياة الناس منذ أقدم العصور لأرتباطها بالدورة الزراعية للمحاصيل والفعاليات الاقتصادية اليومية، كذلك الممارسات الدينية حيث ظهرت أولى المحاولات للحساب بواسطة الكرات الطينية الصغيرة المعروفة بأسم tokens والتي أستخدمت في بادئ الامر لتسجيل واردات المعابد السومرية منذ اواسط الالف الرابع قبل الميلاد في مدينة الوركاء واحتل الرقم سبعة من بين هذه الاعداد اهمية خاصة لدى جميع الشعوب تقريبا وان ما مثله هذا الرقم كان يشير الى (الكمال، الكلية، التمام) وفسر هذا العدد ضمن علم الاعداد Numerology وهو العلم الذي يفسر وجود علاقة روحانية بين الاعداد والاشياء بمعنى الفكر - الوعي - الروحانية بل وحتى التمام الروحي كما هو الحال في الدين الاسلامي الحنيف ومنها تمام السجود في الصلاة على الاعضاء السبعة حيث قال عليه الصلاة والسلام (أمرت ان أسجد على سبعة أعظم على الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولانكف الثياب ولا الشعر)<sup>(١)</sup>.

تناولت في بحثي المتواضع هذا الاشارات التي ورد فيها هذا الرقم منذ اقدم ظهور للكتابة في مدينة الوركاء في حدود ٣٤٥٠ ق.م مرورا باقدم ضروب الادب السومري ثم الاشارات الواردة عند البابليين، كذلك العهدين القديم والجديد وانتهاء بالرقم سبعة في القران الكريم والسنة النبوية مراعيًا في كتابة البحث التسلسل الزمني من الاقدم فالاحدث.

## الرقم سبعة في اساطير وحضارة السومريين:

لعل اول ما يتبادر الى الذهن عند التفكير بالرقم سبعة وأشاراته الكثيرة عند السومريين القدماء نتذكر الحكماء السبعة Seven Sages وهم الحكماء اللذين بعثهم أله الحكمة (أيا) في أزمان ما قبل الطوفان على هيئة واشكال السمك متوجهين من مياه العمق (الابسو) ليعلموا الناس فنون الحضارة<sup>(٢)</sup>.

كان كل واحد من هؤلاء الحكماء يسمى ب (الابكالو) بأستثناء الحكيم الاول (ادابا) الذي اصبح كاهنا لمدينة أور، يعزى الى هؤلاء الحكماء تعليم الناس فكرة المدن المسورة للدفاع وكذلك تعليم المهارات الصناعية لذلك نجد ان النصوص السومرية وصفتهم بكونهم صناع Ummianu. من الاشارات الأخرى التي جاءتنا من القصيدة السومرية المسماة (ترتيلة الكاهنة العظمى انخيدوانا للالهة عشتار) تحديدا في السطر الخامس منها : التي تمسك بيدها النواميس الالهية السبعة<sup>(٣)</sup>

كذلك نقرأ في ملحمة كلكامش وكيف انه عانى من الهم والغم والتعب بعد فقدانه صاحبه انكيديو وخوفه من ان يكون مصيره كمصير صاحبه الا وهو الموت والفناء، فيقول كلكامش في جملة من البيوت الشعرية:

انه انكيديو الذي أحببته حبا جما

واجه معي كل انواع الصعاب

قهره مصير البشر المحتوم

قد بكيت عليه ستة ايام وسبع ليال<sup>(٤)</sup>

نرى هنا من الاشارات الواردة ان الرقم سبعة ذكر للاشارة للعدد الاعلى لايام النحيب والحزن على فراق الاحبة وهو للدلالة على الكثرة والزيادة.

أشارة اخرى من ملحمة كلكامش نفسها، بعد ما عشقت الالهة  
عشتار كلكامش ورفض الاخير عرضها بقوله:  
اي من عشاقك دام معك الى الابد، انك احببت الطائر الملون وحفرت له  
سبع حفر وسبع حفر

الاشارة الاخرى التي تتعلق بالالهة عشتار نفسها وبقصة نزولها  
الى العالم السفلي في رغبة منها لتحرير الاموات تذكر الاسطورة وجود  
سبعة ابواب للعالم السفلي كما نرى في هذه الابيات:

عند نزول عشتار الى عالم اللاروجة عبرت البوابة الاولى  
...وفي البوابة الثانية جردت من قرطبيها وفي البوابة الثالثة جردت من  
سلسلة كانت حول عنقها وعند البوابة الرابعة من الحلي التي كانت تزين  
صدرها...وعند البوابة الخامسة من نطاق حول خصرها وفي السادسة من  
أساورها وخلخالها واخيرا عند السابعة جردها الحارس من كل الثياب  
التي كانت عليها، بعدما عبرت عشتار البوابة السابعة اصبحت امام اختها  
أيرشيجال<sup>(5)</sup> وتصور لنا الاسطورة السومرية كيفية اللقاء بين الاختين  
حيث كانت حاكمة العالم السفلي جالسة على عرشها يقف امامها الالهة  
السبعة الانوناكي الذين صوبوا نظراتهم القاتلة على الالهة عشتار  
وسرعان ما حولوها الى جثة هامدة ، ذكرت قصة نزول عشتار الى  
العالم السفلي الالهة السبعة (الانوناكي) والذين هم الهه السماء والتي  
تقابلها مجموعه الهه العالم السفلي الايجيجي وهم ايضا مجموعه مكونه  
من سبعة الهه حيث نرى التوازن ما بين الرقمين في وجود الهه سماويه  
تقابلها الهه سفلية بنفس العدد.

أسطورة الطوفان السومرية لم تغفل عن ذكر هذا الرقم في إشارة  
للأيام والليالي التي استمر فيها الطوفان، تذكر النصوص ان الالهة أمرت  
رجلا تقيا وحكيما من سكان مدينة شروباك في جنوب العراق بالانتباه الى

الامر الخطير الذي سيحدث ويهدد اهل الارض حيث خاطب اله الحكمة رجل الطوفان أوتتابشتم وقال:

هدم بيتك وابن السفينة، وبعد سبعة ايام من العمل المتواصل أستطاع العمال اكمال بناء السفينة التي أطلق عليها أسم "منقذة الحياة" والتي قسمت بدورها الى سبعة طوابق، بعد ان ظهرت سحابة سوداء في الافق وكان الاله أدد اله الرعد يرعد بداخلها، أستمر الحال (المطر) لسبعة ايام وسبع ليال اي اربعة عشر يوما مات خلالها كل ما في الارض من مخلوقات، واصبح الناس يملئون البحر كأنهم صغار السمك<sup>(٦)</sup>.

أشارة خاطفة بالعودة الى ملحمة كلكامش الذي غالبا ما كان يوصف بان جسمه نمت على رضاع الحيوانات البرية ولم يعرف شيئا عن الجعه (شرب من الجعه سبعة اقداح كاملة فأسترخى وسر قلبه) توالت الاشارات في زمن سلالة لجش الثانية في زمن أميرها جوديه (كوديا) الذي ذكر في احد النصوص المذكورة والتي نقشت على التماثيل التي كان جوديا يهديها الى الهته ومنها البيوت الشعرية بخصوص انشاءه معبد الاي - با e-pa والذي يعرف ب (بيت الزوايا السبعة) المهدي للاله نن - كرسو مع الذكر لهدايا العرس :

(١-٤) لننجرسو المحارب العظيم، لأتليل سيده

(٥-١٠) جوديا حاكم لجش الذي بنى الاي ننو لننجرسو

(١١-١٨) بنى لننجرسو الهه، بيت الزوايا السبعة، منزل السيادة الذي قطع لننجرسو وعدا ثابتا<sup>(٧)</sup>

في تمثال اخر من زمن جوديا نفسه مهدي في هذه المرة الى الالهه بائو زوجة الاله نن - جرسو، نقرأ في العمود الخامس

(١-٣) في يوم السنة الجديدة، يوم أحتفال بائوو عندما قدمت هدايا العرس

(٩-١٢) سبع سلال من التمر، سبعة دلاء من السمك، سبعة فساءل تمر وسبعة ....

(١٣-١٨) سبعة.... من السمك، سبعة طيور

كذلك نقرأ في العمود السابع

سبعة من السمك، أربعة عشر، اربع عشر سلة من الخيار، سبعة طيور، سبعة أوزان من ستين طنا من الصفصاف<sup>(٨)</sup>.

يجدر الإشارة الى ان جوديا استخدم في البيت الشعري في العمود السابع الرقم اربعة عشر والذي ينتج من مضاعفة الرقم سبعة نفسه الامر الذي يشير الى اهمية هذا الرقم.

### الرقم سبعة عند البابليين

عند الحديث عن الادب البابلي نذكر اقدم قصيدة بابلية عنيت بموضوع خلق الانسان والكون، هذا الموضوع تمثل بأسطورة الخليفة البابلية التي تعد واحدة من أبرز القصائد الشعرية في الادب الديني وهي المصدر الاساس في دراستنا لمعتقدات البابليين بشأن خلق الكون والانسان، وصلتنا هذه القصة مدونة على سبع رقم طينية يرقى تاريخها الى حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد<sup>(٩)</sup>.

تبدأ هذه الملحمة بجملة (عندما في العلا) إشارة الى ان الاحداث التي جرت فيها القصة كانت في الكون ولم يكن هنالك شيء ما سوى العتمة أو العماء والذي كان مكونا من عنصرين الهيين الا وهما ايسو (المياه العميقة) وتيامة (المياه المالحة) ونتيجة لامتزاج تلك المياه ولد جيل من الالهة الثانوية التي خلقت البشر فيما بعد ليقوموا باعمال الالهة الثانوية.

تذكر الاسطورة في ابياتها الشعريه "في حالة خسوف القمر حينما يقهر اله القمر سن بصورة مؤقتة، اخترقت ألهة الشر السبعة قبة السماء

وتجمعت غاضبة حول هلال القمر"، هذه الابيات التي ذكرت الرقم سبعة كانت مقدمة لترتيبة دينية مخصصة لوقت الخسوف والتي كانت تهدف لحماية الملك ومن ثم حماية البلاد من آلهة الشر السبعة التي اجتاحت البلاد كالاعصار وهاجمت البلاد كالزوبعة ذلك بعد انتصارها المؤقت على الاله سن اله القمر<sup>(١٠)</sup>.

من الاساطير الاخرى التي أتننا مدونة باللغة البابلية الاسطورة المعروفة بأسطورة أيرا (أله الطاعون والامراض والحرب)، تصور هذه الاسطورة رغبة الاله أيرا بأنزال الدمار بمدينة بابل واهلها، جاء في الرقيم الاول لهذه الاسطورة كيف ان أنو اله السماء قرر المصير لابنائيه السبعة Sebeti وكيف انه جعلهم في خدمة الاله ايرا وجعلهم يسيرون الى جانبه وهم المتمرسون في القتال لاحظوا كيف ان سيدهم الاله ايرا تراجع عن تدمير مدينة بابل بعد ان اقنعه وزيره بالعدول عن تدمير المدينة كيف اصبح الاله ايرا يقضي وقته في الراحة والكسل، فأخذ الاله السبعة يحثون ايرا على نبذ حياة الراحة والخروج لشن الغزوات والحروب:

لقد نسج العنكبوت خيوطه على عدتنا الحربية

أقواسنا المعهودة تمردت وأصبحت أقوى منا

سهامنا الماضية صارت كليلة الحد

تأكلت خناجرنا بفعل الصدا

فأستمع اليهم المحارب ايرا واستساغ الكلام الذي قاله السبعة كأنه زيت فاخر<sup>(١١)</sup>.

كذلك امن البابليون بالعفاريت والارواح الشريرة والتي كانت على عدة انواع منها البازوزو والاماشتو وكذلك اولاد انو "نرية من جبال الغرب"، كان البابليون غالبا ما يشيرون الى هذه العفاريت جميعها بصيغة الجمع "السبعة" على الرغم من انه يمكن تمييز أكثر من سبعة انواع<sup>(١٢)</sup>



واعتماد البابليون ايضا على استخدام بعض الطقوس السحرية الخاصة بالتطهير Exorcism لتطهير البيوت وطرد الارواح الشريرة التي تسكن فيها احيانا، حيث كانوا يضعون بداخل صناديق من الخشب مواد متفرقة كالمبخرة والمشعل و الاناء المقدس فضلا عن سبع حبات من الفضة وسبع حبات من الذهب وقطعتين من الاحجار الثمينة كلها توضع في اناء يسمى كولاتو او قولالتو التي هي ربما الاصل لمفردة القلة (الانية الفخارية التي تستخدم لتبريد الماء في الصيف).

أضافة لتلك الشعائر الانفة الذكر وجدت ايضا شعائر نفذت بكلفة عالية ويمكن ان تستخدم ضد جميع انواع الشرور وتستمر مدة صلاحيتها لعام واحد:

لتقطع قدم الشرير من بيت الرجل، عليك ان تدق وتطحن وتمزج بعسل الجبل (سبع نباتات مذكورة )

وصفة اخرى الا انها ذات منحنى علاجي ومتعلقة بأمراض المعدة:

اذا كانت معدة الرجل حارة ولا تقبل طعاما ولا شرابا

اسحق الادوية السبعة والقصب (الحلو) والحلتيت والتمر<sup>(١٣)</sup>

وفي ختام حديثنا عن البابليين لا بد من ان نذكر ان اقدم تقسيم لايام الاسبوع الى سبعة يعود الى زمن البابليين حيث احتفلوا باليوم المقدس السابع<sup>(١٤)</sup>.

### الرقم سبعة في العهدين القديم والجديد

يرمز هذا الرقم في الكتاب المقدس الى التمام والكمال فعدد أيام الاسبوع سبعة وقد ابتدأت التوراة بذكر هذا الرقم في سفر التكوين: فأكملت السموات والارض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فأستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل

وبارك الله اليوم السابع وقده، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل هذه مبادئ السموات والارض حين خلقت يوم عمل الاله... الارض والسموات<sup>(١٥)</sup>

حادثة الطوفان والتي ذكرت في العهد القديم وسبقها بذكر هذه الحادثة الكونية أساطير السومريين بشخص بطلها (زيوسدرا) وعند البابليين بشخصية بطلها (أوتنابشتم) وبنسخة أخرى (أتراخاسيس) ذكرت التوراة هذه القصة بشخص النبي نوح عليه السلام حذر الله نوح قبل الطوفان، قبل نزول المطر بسبعة ايام، عندما ارسل نوح الغراب والحمامة كان ذلك بعد سبعة ايام<sup>(١٦)</sup>.

لم تتوقف الاشارات التي ذكرت الرقم سبعة عند حادثة الطوفان بذاتها بل فصلت الحيوانات بين طاهرة وغير طاهرة و حيث بلغ عدد الحيوانات الطاهرة التي دخلت الفلك سبعة (سفر التكوين ٧:٢) ناهيك عن أن سفينة نوح قسمت بدورها الى سبعة طوابق اضافة الى انها استقرت على الجبل في اليوم السابع الذي قدم فيه نوح الشكر للرب<sup>(١٧)</sup>.

بالاضافة لكل ما تم ذكره فإن الرقم سبعة ذكر حوالي الستمائة مرة في الكتاب المقدس وكان له ان يحتل المعنى الرمزي للكمال والكل والكثرة، اذ ان نصف الرقم سبعة يشير الى الضيق وهو نصف الكمال (دانيال ٧/٢٥).

أما عند النصارى فقد ورد عن الكنيسة القبطية الارثوذكسية في كتاب السواعي ذكر سبع صلوات تتلى على مدار اليوم وقد تم ترتيبها زمنيا حيث ان كل جزء منها يمثل جانبا من حياة السيد المسيح على الارض: الصلاة الربانية "ابانا الذي في السماء"، صلاة الشكر، المزمار الخمسون، تلاوة مجموعة من المزامير، مقتطف من احد الاناجيل، قطع الابتهاالات، قول يا رب ارحم احدى واربعين مرة<sup>(١٨)</sup>.

أضافة لتلك الاشارات فقد ورد ايضا على سبيل المثال "انتخاب سبعة شمامسة" خدمة للكنيسة اضافة الى الصلوات السبع ل ثيودوسيوس والعذارى السبع.

تجدر الاشارة الى انه من الامور الواجب توفرها بداخل المعبد او المصلى اليهودي Synagogue والتي تعتبر من الموجودات الدائمة منها ما يعرف ب Menorah اي الشمعدان السباعي وهو احد اقدم رموز الديانة اليهودية المستخدمة في المعبد والذي يوقد وينظف في المساء حيث يتم استبدال الفتائل، كذلك يعتبر هذا الرمز رمزا للوطن او ادامة اسرائيل أذ يرمزاليه ايضا بعبارة (الضوء الذي يشع على كل الامم)<sup>(١٩)</sup>.

الاعیاد ايضا كان لها ارتباط خاص بالرقم سبعة حيث ذكرت سبعة اعياد في العهد القديم (عيد الفصح - التطهير - الحصاد - الباكورات - الابواق - الكفارة - العظال)، الحال نفسه بالنسبة للاعياد الكبيرة في العهد الجديد ايضا سبعة وهي (عيد البشارة - الميلاد - الغطاس - احد الشعانين - القيامة - الصعود - العنصرة) كذلك وجود سبعة اعياد صغيرة (الختان - دخول المسيح للهيكل - مجيئه ارض مصر - حضوره عرس قانا الجليل - عيد التجلي - خميس العهد - أحد توما)<sup>(٢٠)</sup>.

جاء ايضا في قصة النبي يوسف عليه السلام في سفر التكوين الاصحاح الحادي والاربعين:

ثم نام فحلم ثانية وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحدة سمينة وحسنة، ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملقوحة بالريح الشرقية نابته وراها فأبتلعت السنابل الرقيقة السنابل السمينة (اصحاح ٧)

سبع بقرات طالعة من النهر وسبع بقرات قبيحه اكلن الحسنة، سفر الامثال لم يغفل عن الرقم سبعة ايضا حيث ورد ( الكسلان اوفر

حكمه في عيني نفسه من السبعة المجبيين بالعقل) حيث نلاحظ ان الرقم سبعة هنا عادل او ساوى الكثرة وفي انجيل مرقس من العهد الجديد نقراً:

أخرج سبعة شياطين من مريم المجدلية .

قسم اهل النصرانية العالم الى سبعة عصور:

الاول من ادم الى الطوفان

الطوفان الى ابراهيم

ابراهيم الى موسى

موسى الى داود

نهاية دولة اليهود في القدس والسبي البابلي (٥٩٧ ق.م)

جلاء بابل الى عصر المسيح

المسيح الى نهاية العالم وهو عصر النعمة<sup>(٢١)</sup>

كذلك الفضائل قسمت الى سبعة الا وهي (الايمان - الرجاء - المحبة -

الصبر - القناعة - العدالة - الحكمة) ولاننسى ايضا الخطايا السبع الا

وهي (الكبرياء - الكسل - الشهوة - الغضب - الفجور - الشراسة -

البخل) وان افضل الاعمال سبعتها.

### الرقم سبعة في القرآن الكريم والسنة النبوية

بسم الله والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعد،

الرقم سبعة كان له اهمية خاصة ان صح القول في ديننا الاسلامي الحنيف

ولعل أول ما نبدأ به السورة التي أفتتح به القرآن الكريم الا وهي سورة

الفاتحة،

١. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٣. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

٥. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

٦. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

٧. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

لقبت هذه الآية الكريمة ب"السبع المثاني" وإياتها سبع وسميت بالفاتحة لأنه افتتح بها القرآن الكريم واشتملت معاني القرآن في التوحيد والاحكام والجزاء ولذلك سميت بأمر القرآن ومن مميزاتها انها ركن أساسي من أركان الصلاة ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" (٢٢) وهي كذلك رقية إذا قرئ بها على المريض ذلك لان النبي قال للذي قرأ على اللديغ "وما يدريك لعلها رقية" (٢٣)، كذلك ان الصلاة لا تصح بدون قراءة الفاتحة وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم "كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن أو بفاتحة الكتاب فهي خداج" (أخرج هذا الحديث مسلم من حديث أبو هريرة رضي الله عنه).

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز في سورة الحجر ( ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) وقيل ان السبع المثاني هي سورة الفاتحة لأنها سبع آيات وهو القول المشهور وقيل ايضا أن المراد بالسبع المثاني السبع الطوال من السور التي هي البقرة، وأل عمران، والمائدة، والانعام، والانفال، والتوبة وقيل بالمثاني هي التي تكرر فيها المواظ والعبر.

وقيل المراد بالمثاني السبعة الاحزاب فأنها سبع صحائف والمثاني جمع مثناة من التثنية فعلى القول الول يكون تسمية الفاتحة مثاني انها تتثنى أي تكرر في الصلاة.

وكذلك إن أريد بالسبع المثاني السبع الطوال لأنها بعض من القرآن ، وأما إذا أريد بها السبعة الأحزاب أو جميع القرآن أو أقسامه.

ومما يقوي كون الفاتحة الآية المقصودة بالسبع المثاني ان هذه السورة  
مكية وأكثر السبع الطوال مدنية وظاهر قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني  
انه قد تقدم ايتاء السبع على نزول هذه الآية.

ثم لما بين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أنعم به عليه من  
هذه النعمة الدينية نفره عن اللذات العاجلة الزائلة فقال : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى  
مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨) أي لا تطمح  
ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها ، والأزواج  
الأصناف . (٢٤)

توالت الاشارات لهذا الرقم في القران الكريم كما هو الحال في سورة  
البقرة ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ  
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢١) (٢٥).

كذلك في سورة الطلاق : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْزُ  
يَبْنِيْنَ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٣) (٢٦)  
وفي سورة الاسراء : ﴿ تَسْبِغُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّغْ  
بِحَبْرَةٍ وَّلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤٤) (٢٧).

وفي سورة المؤمنون قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ  
الْفَلَاقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧) (٢٨) ، سبع سموات ، سميت طرائق لتطارقها ، وهو  
أن بعضها فوق بعض ، يقال : طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض  
. وقيل : سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة ، وما كنا عن الخلق  
غافلين أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله  
تعالى " : ﴿ وَمَسِكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٢٩) ، اشارة اخرى  
من سورة يوسف ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ  
وَسَبْعُ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَأْسَسُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوسِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسَا

تَعَبُّوْكَ ﴿١٣﴾ ۞ وكذلك ﴿٣٠﴾ قَالَ تَزْرَعُوْنَ سَبْعَ سِنِيْنَ دَابَّآ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوْهُ فِيْ سُبُلِيْهِۦ  
 اِلَّا قَلِيْلًا مِّمَّا تَاْكُلُوْنَ ﴿١٧﴾ ۞ ، وفي سورة الحاقة ايضا ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ  
 وَتَمِيْنَةً اَيَّامٍ خُسُوْمًا فَتَرَى الْاَقْوَمَ فِيْهَا صَرَخٰى كَاٰثِمُهُمْ اَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ۞ ، وفي  
 سورة لقمان ﴿ وَلَوْ اَتَمَّآ فِي الْاَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ اَقْلَمُ وَالْبَحْرِ يُمْدُّهُ مِنْۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ  
 اُبْحُرٍ مَاۤ يَفِدَتْ كَلِمَتُۨ اَللّٰهِ اِنَّ اَللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿١٧﴾ ۞ . (٣١) اشارة اخرى من  
 سورة الكهف ﴿ سَيَقُوْلُوْنَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُوْلُوْنَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ  
 رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُوْلُوْنَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّيۡ اَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا قَلِيْلٌ  
 فَلَا تُمَارِ فِيْهِمْ اِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيْهِمْ مِنْهُمْ اَحَدًا ﴿٢٢﴾ ۞ وايضا في  
 سورة الاعراف ﴿ وَاٰخَرًا مُّوسٰى قَوْمُهُ سَبْعِيْنَ رَجُلًا لِّمَيِّقَتِنَاۤ اَفَلَمْآ اَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ قَالَ  
 رَبِّ لَوْ شِئْتَ اَهْلَكْتَهُمْ مِّنۢ قَبْلُ وَاِنِّىۡ اَتَّبِعُكَ اِيْمًا فَعَلَّ السُّفْهَاءُ مِنَّا اِنْ هٰى اِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا  
 مَنۢ شِآءَ وَتَهْدِيۡ مَنۢ شِآءَ اَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَاَرْحَمْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِيْنَ ﴿١٥٥﴾ ۞ . (٣٢)

أما عن الرقم سبعة في الحديث الشريف فقد جاء هذا الرقم في  
 عدة مواضع ولعل أول ما يتبادر الى الذهن حديث السبع الموبقات، حيث  
 ورد عن ابي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال: أجتنبوا  
 السبع الموبقات... قلنا وما هن يا رسول الله، قال: الشرك بالله والسحر  
 وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي  
 يوم الزحف وقذف المؤمنات المحصنات الغفلات".

حديث عظيم اخر ورد فيه هذا الرقم عن اللذين يظلمهم الله في ظله  
 يوم لا ظل الا ظله، قال عليه الصلاة والسلام: سبعة يظلمهم الله في ظله  
 يوم لا ظل الا ظله، أمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل  
 قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله أجتعما عليه وأفترقا عليه  
 ورجل دعتة امرأة ذات حسن وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين  
 ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر  
 الله خاليا ففاضت عيناه من الدمع" (٣٤)، الحديث أخرجه مسلم في كتاب

الزكاة، فصل باب اخفاء الصدقة واخرجه البخاري في كتاب الاذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد).

من الاحاديث التي تدل على معنى الكثرة والمبالغة ما ورد في الاحاديث الخاصة بكتاب الطهارة، عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "اذا شرب الكلب في أناء احذكم فليغسله سبع مرات" (٣٥) وعند الترمذي الذي زاد في اللفظ أغسلوه سبع مرات اولاهن واهراهن بالتراب.

حديث اخر ورد فيه الرقم سبعة بمناسبة الذبح للمولود الجديد حيث ان افضل توقيت للذبح يكون في اليوم السابع من الولادة لقوله عليه الصلاة والسلام (كل غلام رهينه بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى) (٣٦).

تتوالى الاحاديث الشريفة والتي خصت بذكر الرقم سبعة ومنها خاص بالعمر الذي يؤمر فيه الفتى للصلاة، عن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم: أمروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع، ومن الاحاديث الخاصة بقيام الساعة والتحذير من فتنة الدجال كيف انه لا يستطيع دخول المدينة "لايدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكان" (٣٧).

الصلاة في الاسلام ركن اساسي ومن شروط تمامها السجود على الاعضاء السبعة، قال عليه الصلاة والسلام "أمرت أن أسجد على سبعة أعظم" (٣٨) الا وهي الوجه - الجبهة - الانف - اليدين - الركبتان - اصابع القدمين، وما دما في ذكر الصلاة وتتمامها نذكر الحديث الخاص في المواطن التي لاتجوز فيها الصلاة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:



سبع مواطن لاتجوز فيها الصلاة الا وهي ظاهر بيت الله الحرام،  
المقبرة، المزبلة، المجزرة، الحمام، عضن الابل ومحجة الطريق" رواه  
ابن ماجة.

كذلك ورد عن الامام الشافعي رحمه الله ان الاذان يتألف من ٤٩  
كلمة اي ٧x٧ والاقامة من ٣٥ كلمة اي ٥x٧ وكذلك نذكر احدى  
الوصايا التي وصى بها نبينا محمد عليه افضل الصلاة والتسليم لسيدنا ابو  
ذر الغفاري، اذ اوصاه بسبع (حب المساكين والدنو منهم والنظر الى ما  
هو اسفل منك لا فوقك وصلة الرحم والاكثار من لاحول ولا قوة الا بالله  
والتكلم بمر الحق وان لا تسأل الناس شيئاً)<sup>(٣٩)</sup>

أما بالنسبة لعلاقة الرقم سبعة بركن عظيم اخر الا وهو ركن  
الحج حيث ان السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط سواء في الحج او  
العمرة، قال رسول الله "ابدؤا بما بدأ به الله ( ان الصفا والمروة من  
شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن  
تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) والاشواط تبدؤها من الصفا وتنتهيها عند  
المروة ولكل شوط دعاء<sup>(٤٠)</sup>، وكذلك بالنسبة للطواف فيكون على سبعة  
اشواط والطواف يكون على ثلاثة انواع منها طواف القدوم والافاضة  
والوداع الذي يؤديه الحاج قبل المغادرة .

## الخاتمة

حاولت في بحثي هذا بيان خصوصية هذا الرقم ومعانيه من خلال تتبع المواضع الذي ورد فيها منذ اقدم زمن لتدوين واستخدام الكتابة مروراً بالحضارات القديمة والاديان السماوية اليهودية والنصرانية ختاماً بالدين الاسلامي الحنيف، وجدت في هذا البحث نوعاً من الخصوصية للرقم سبعة وهذا لا يعني ان بقية الارقام لم يكن لها من الذكر نصيب ولكن الرقم سبعة احتل مكاناً خاصاً بين الاعداد اذ كان عادة ما يرمز الى تمام الشيء وكماله اذ انه لا يكاد يكون كاملاً ان لم يقترن بالرقم سبعة، كما هو الحال عند السومريين وحكمائهم السبعة اللذين علموا الانسان الحرف وفي عدد بوابات العالم السفلي في قصة نزول الالهة عشتار للعالم السفلي وملاقاتها اختها والهة العالم السفلي السبعة، وخصوصية الاعياد والصلوات في العهدين القديم والجديد وفي الدين الاسلامي بفتحة الكتاب وكيف ان الله خلق سبع سموات طباقاً ومن الارض مثلهن وخلق السماوات والارض في ستة ايام ثم الاستواء على العرش في اليوم السابع، مضاعفة الحسنات بقوله عز وجل في سورة البقرة الآية ٢٦١ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْتِ سَبْعَ سَعَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ و كذلك اركان الاسلام التي اختصت بهذا الرقم سواء في تمام الصلاة والسنن التي يؤمر فيها الاولاد بالصلاة اضافة الى السعي والطواف في الحج ، كذلك مصداقاً لقول الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم) حيث نلاحظ أن كل ذرة من ذرات الكون تتألف من سبعة طبقات ألكترونية وهذا قانون ثابت يشهد على وحدانية الله وان الارض نفسها تتألف من سبعة طبقات، أن ما يمكن قوله خلاصة لهذا البحث الذي لا ادعي فيه الكمال ان سبب تكرار الاشارات لهذا الرقم منذ اقدم الازمان وفي الديانات القديمة والسماوية ما هو الا دليل (والله اعلم) بأن هذا الرقم مستمد من الله عز وجل حيث نراه موجوداً عند كافة الديانات القديمة مثلاً والتي انحرفت عن التوحيد الا ان اساسها كان من الانبياء اللذين ارسلهم الله عز وجل الى القرى وظل هذا الرقم مستمراً في العهدين القديم والجديد وصولاً الى الاسلام الامر

الذي يدل على وحدانية المصدر لكل هذه الأديان القديمة والسموية ويدل في مواضعه المختلفة على التمام والكمال والكثرة .

وقد تعرض ابن القيم رحمه الله في كتابه "زاد المعاد في هدى خير العباد" (٩٠/٤) للعدد سبعة عند كلامه على حديث الصحيحين : (من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) فقال : وأما خاصية السبع فإنها وقعت قَدراً وشرعاً ، فخلق الله عز وجل السموات سبعا ، والأرضين سبعا ، والأيام سبعا ، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار ، وشرع الله لعباده الطواف سبعا ، والسعي بين الصفا والمروة سبعا ، ورمي الجمار سبعا سبعا ، وتكبيرات العيدين سبعا في الأولى، وقال صلى الله عليه وسلم: (امروهم بالصلاة لسبع) وإذا صار للغلام سبع سنين خير بين أبويه في رواية ، وفي رواية أخرى : أبوه أحق به من أمه وفي الثالثة : أمه أحق به ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه أن يصب عليه من سبع قرب ، وسخر الله الريح على قوم عاد سبع ليال ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعينه الله على قومه بسبع كسبع يوسف ، -أي سبع سنوات من الجذب - ومثل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة، والسنابل التي رآها صاحب يوسف سبعا، والسنين التي زرعوها سبعا ، وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفا.

ثم علق ابن القيم قائلاً : فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره ، والسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه ، فإن العدد شفع ووتر ، والشفع أول وثنان ، والوتر كذلك ، فهذه أربعة مراتب ، شفع أول وثنان ، ووتر أول وثنان ، ولا تجتمع هذه المراتب في أقل من سبعة والله اعلم ومن الله التوفيق.

## الهوامش

- (١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب اعضاء السجود
- (٢) علي، فاضل عبد الواحد، سومر اسطورة وملحمة، بغداد ١٩٩٧ ص ١٨١
- (3) Kramer, Samuel Noah, Hymnal Prayer Enheduana, P 579, 1969
- (٤) علي، فاضل عبد الواحد، المصدر السابق ص ٢٢٠
- (5) Descent of the goddess Ishtar to the netherworld, PP 89-100
- (٦) علي، فاضل عبد الواحد، حضارة العراق، مجموعه من الباحثين، الجزء الاول ص ٣٣٤-٣٣٦
- (٧) شاكر، حنان، جوديا امير سلالة لجش الثانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد /كلية الاداب ٢٠٠٣، ص ١١٤
- (٨) المصدر نفسه، ص ١١٠
- (٩) علي، فاضل عبد الواحد، حضارة العراق - الجزء الاول، الفصل التاسع، (الادب) تأليف مجموعه من الباحثين العراقيين، ص ٣٢٦، بغداد ١٩٨٥
- (١٠) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، ص ٣٣٩-٤٧١، ١٩٦٦
- (11) [www.piney.com/baberraishum.html](http://www.piney.com/baberraishum.html)
- (١٢) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان ص ٣٤٦
- (١٣) ساكز، هاري، المصدر السابق، ص ٥٣٨
- (14) En, Wikipedia/wiki/seven-days-a-week
- (١٥) العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح الثاني (٢:٧)
- (١٦) العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح السابع ١٠-١٢
- (١٧) دائرة المعارف الكتابية [st.takla.org](http://st.takla.org)
- (١٨) الصلاة القبطية الارثوذكسية، الصلوات السبع، [st.takla.org](http://st.takla.org)
- (19) [www.jewfaq.org/signs.htm](http://www.jewfaq.org/signs.htm)
- (٢٠) منتدى الشباب المسيحي [www.christian-guys.net](http://www.christian-guys.net)
- (21) [www.Monsar2455.blogspot.com](http://www.Monsar2455.blogspot.com)
- (22) <http://ar.islamway.net/fatwa/14815>
- (٢٣) صحيح البخاري، دار أبن كثير، دمشق، ص ١٧٧، الحديث رقم ٢٢٧٦

(24)

[http://library.islamweb.net/newlibrary/display\\_book.php?flag=1&bk\\_no=66&ID=478](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=66&ID=478)

(٢٥) البقرة ٢٩

(٢٦) الطلاق ١٢

(٢٧) الاسراء ٤٤

(٢٨) المؤمنون ١٧

(29)

[http://library.islamweb.net/newlibrary/display\\_book.php?flag=1&bk\\_no=51&ID=1192](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=51&ID=1192)

(٣٠) يوسف ٤٣

(٣١) لقمان ٢٧

(٣٢) الكهف ٢٢

(٣٣) الاعراف ١٥٥

(٣٤) صيد الفوائد

(٣٥) سنن النسائي، كتاب الطهارة

(٣٦) ابي داود، رقم الحديث ٢٨٣٨

(٣٧) مكتبة الشبكة الاسلامية

(٣٨) صحيح مسلم، باب اعضاء السجود والنهي عن كف الشعر، دار ابن الجوزي،

ص ١١٤، ٢٠٠٩.

(٣٩) رواه احمد والطبراني

(٤٠) صلاح، محمد محمود، النفحات الالهية في المناسك البهية، الحج والعمرة

والزيارة النبوية، مكتبة مدبولي محمد، ص ١٣١



# الجزية والمسلمين الجدد

((دراسة تاريخية))

أ.د. خليف عبود الطائي

الجامعة العراقية – كلية الآداب

## ملخص البحث

من بين ما كان قد ألزم الإنسان به والذين لهم علاقة بالدين من الذين سبقوا الإسلام كاليهود والنصارى ، ثم ألحق بهم المجوس، فحدد علاقتهم بالدولة الإسلامية بدفع الجزية ، إذ أن نصرة أهل الذمة للمسلمين يشك فيها لاتفاقهم في الاعتقاد مع أعداء المسلمين، وأن الجهاد قد فرض على المسلمين. فقد أوجب الإسلام على أهل الذمة والذين هم من غير المسلمين المساهمة في نفقات الحرب عن طريق الجزية التي تؤخذ منهم وتصرف على المقاتلين من المسلمين فتكون خلفاً عن النصرة. كما أنها تستخدم لسد النفقات وأرزاق الجيش في المناطق والبلاد التي يفتحها المسلمون.

ويجب أن يلاحظ أن الجزية لا تعتبر عقوبة في حق الذمي لبقائه على دينه وإنما هي مساهمة مادية منه بالدفاع عن بلاده التي يسكنها وكانت تسقط حال اشتراك الذمي مع المسلم في مهمة الدفاع عن بلاد الإسلام. وتسقط الجزية عن الذمي في حاله إسلامه أو عجزه أو فقره ، وعجز المسلمين عن حمايته ، والتحاقه بأهل دار الحرب.

### Abstract

Among what he had committed human doing and who have a relationship with religion than those who preceded Islam, the Jews and the Christians, and then caused them Magi, select the relationship with the Islamic state to pay tribute, as the victories dhimmis to Muslims doubt where their agreement in the belief with the enemies of Muslims, and jihad may impose Muslims. Islam has enjoined the dhimmis who are non-Muslims to contribute to the expenses of the war by the tribute that taken away from them and acted on fighters from the Muslims shall be the successor for the victory. It is also used to meet the expenses and the livelihoods of the army and the country in the areas opened by Muslims.

It should be noted that the tribute is not considered punishment in the right dhimmi for survival on religion, but is a physical contribution to the defense of his country, which was inhabited by fall if the dhimmi involvement with Muslim to defend the land of Islam task. The fall of tribute for the dhimmi in case his conversion to Islam or disability or a paragraph, and the inability of Muslims to protect him, and joining the people of the house of war.





## مقدمة

لم يكن الإسلام ثورة في مجال محدد من مجالات الحياة بل كان ثورة الحياة بكاملها، إلا أنه لم يقطع الجذور الصالحة وإنما عززها وثبت صفحاتها، وبين أركانها ، وأساليب العمل للإنسان.

ومن بين ما كان قد ألزم الإنسان به والذين لهم علاقة بالدين من الذين سبقوا الإسلام كاليهود والنصارى ، ثم ألحق بهم المجوس، فحدد علاقتهم بالدولة الإسلامية بدفع الجزية ، إذ أن نصرة أهل الذمة للمسلمين يشك فيها لاتفاقهم في الاعتقاد مع أعداء المسلمين، وأن الجهاد قد فرض على المسلمين. فقد أوجب الإسلام على أهل الذمة والذين هم من غير المسلمين المساهمة في نفقات الحرب عن طريق الجزية التي تؤخذ منهم وتصرف على المقاتلين من المسلمين فتكون خلفاً عن النصرة. كما أنها تستخدم لسد النفقات وأرزاق الجيش في المناطق والبلاد التي يفتحها المسلمون.

ويجب أن يلاحظ أن الجزية لا تعتبر عقوبة في حق الذمي لبقائه على دينه وإنما هي مساهمة مادية منه بالدفاع عن بلاده التي يسكنها وكانت تسقط حال اشتراك الذمي مع المسلم في مهمة الدفاع عن بلاد الإسلام. وتسقط الجزية عن الذمي في حاله إسلامه أو عجزه أو فقره ، وعجز المسلمين عن حمايته ، والتحاقه بأهل دار الحرب.

## الجزية في الأنظمة السياسية قبل الإسلام:

(١) الساسانيون : كان النظام السياسي للدولة الساسانية يعتمد في موارده المالية على الضرائب ومنها ضريبة الرأس<sup>(١)</sup>. ويطلق عليها الضريبة الشخصية<sup>(٢)</sup>، أي تضرب على الأشخاص وهي الجزية ذاتها.

فقد قام الملك الفارسي قباد (٥٠١-٥٣١ م) بإجراء تغييرات في نظام الضرائب مما تطلب إجراء مساحة للأرض وإحصاء للسكان إلا أنه مات قبل إتمام ما أراد<sup>(٣)</sup>.

ولما جاء كسرى نوشروان الأول (٥٣١-٥٧٩ م) ، تم إحصاء السكان وفرضت الجزية على الرؤوس نقداً<sup>(٤)</sup>. وجعلت واجبة على نسبة كبيرة من سكان الدولة من سن العشرين إلى الخمسين<sup>(٥)</sup>. وأعفى من هو دون ذلك أو يتجاوز ذلك<sup>(٦)</sup>. وجعل لها نظاماً متدرجاً،؟؟؟ على طبقات كل طبقة تعادل اثني عشر درهماً ، وثمانية، وستة ، أو أربعة دراهم. على قدر إكثار الرجال، وإقلاله. وأعفى منها أهل البيوتات والعظماء، والمقاتلة والهرابذة، والكتاب ومن كان في خدمة الملك، وهؤلاء من طبقة الإشراف والنبلاء ، وأعفى منها غير القادرين من الفقراء والضعفاء والنساء والأطفال<sup>(٧)</sup>.

وقد أخذت الدولة الساسانية الجزية من الدول المجاورة التي انتصرت عليها ، فقد أخذتها من الأمبراطور البيزنطي جستنبان الأول بعد هزيمة سنة (٥٤٠م)<sup>(٨)</sup>، وأخذ كسرى نوشروان الجزية من سيف بن زي يزن ملك اليمن نظير مناصرته وطرده الأحباش من اليمن<sup>(٩)</sup>.

كما أخذ ملوك الساسانيين الضرائب من يثرب وتهامة<sup>(١٠)</sup>.

(٢) الدولة البيزنطية: لقد فرضت الدولة البيزنطية عدت ضرائب ، منها ضريبة الرؤوس . فقد فرضتها الرومان على الأمم التي خضعت لها وكانت تتراوح ما بين تسعة دنائير وخمسة عشر

ديناراً في السنة على الشخص الواحد<sup>(١١)</sup>. وقد فرضتها الدولة البيزنطية على سن الرابعة عشر إلى الستين سنة<sup>(١٢)</sup>. ويبدو أنها كانت تفرض على غير المسيحيين من سكان الدولة<sup>(١٣)</sup>. وأعفى منها الشيوخ والأطفال والنساء وأبناء الجند. وبقي هذا النظام في مصر حتى الفتح الإسلامي.

وقد فرضت ضرائب أخرى على الناس لتغطية أجرة مساحي الأرض وكلف الناس بالسخرة وضريبة التاج وغيرها<sup>(١٤)</sup>. وأخذت ضريبة الأبارك ، وكان تفرض على العبيد والغلمان<sup>(١٥)</sup>.

٣) **العرب قبل الإسلام:** كانت هناك ضرائب عند الدويلات والإمارات والمشايخ العربية، وكان يطلق عليها الإتاوة. والإتاوة لغة: اشتقت من الفعل الثلاثي (أتوا) ورد في اللغة : أتوته وأتوه، وأتأوه ، أي رشوته<sup>(١٦)</sup>. وقيل ضربت عليه الإتاوة أي الرشوة<sup>(١٧)</sup>. وقيل الاتو هي العطاء<sup>(١٨)</sup>.

أما اصطلاحاً: هي كل ما أخذ بكره ، وقسم على قوم من الجباية، أو ما أخذ من الناس جبراً في السنة بقدر معلوم<sup>(١٩)</sup>.

وكان رؤساء القبائل العربية وشيوخ القبائل قد أطلق على بعضهم قبل الإسلام لقب ملك<sup>(٢٠)</sup>. وقد اعترف الفرس بدولة المناذرة<sup>(٢١)</sup>. واتخذوها حاجزاً يحميهم من هجمات بيزنطة والقبائل الأخرى، وقد دفع المناذرة الضرائب المفروضة عليهم للفرس<sup>(٢٢)</sup>، كما قام المناذرة بدورهم من أخذها من القبائل الأخرى<sup>(٢٣)</sup>.

أما في الشام فقد أصبح الغساسنة يقومون بالدور نفسه اتجاه الدولة البيزنطية وكان ملك الغساسنة يعين على القبائل التابعة له عمالاً يجيبون الضرائب المفروضة عليهم<sup>(٢٤)</sup>.

وفي سنة (٥٥٤م) حدث نزاع بين المناذرة والغساسنة على الإتاوة التي تجبى من عرب منطقة تدمر ، وقد أجبر الغساسنة على دفع الإتاوة إلى المناذرة<sup>(٢٥)</sup>.

وفرض شيوخ قبائل شمال الجزيرة العربية على السكان إتاوة الرؤوس التي أطلق عليها جزية الأعناق<sup>(٢٦)</sup>.

وعندما خضعت اليمن لسيطرة الأحباش في عام (٥٢٥م) عينوا حاكماً عليها واشترطوا عليه أن يدفع جزية سنوية<sup>(٢٧)</sup>.

### الجزية في الأديان الأخرى:

لقد نقل العهد الجديد شيوع أخذ الجزية من قبل الأمم الغالبة للمغلوبة، فقد قال المسيح عليه السلام لسمعان: (( ماذا تظن يا سمعان ؟ ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، من بينهم أم من الأجانب؟ قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع: فإذا البنون أحرار<sup>(٢٨)</sup>.

والأنبياء عليهم السلام حين غلبوا على بعض الممالك بأمر الله ونصرته أخذوا الجزية من الأمم المغلوبة بل واستعبدوا الأمم المغلوبة، كما صنع النبي يشوع مع الكنعانيين حين تغلب عليهم ((فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين من جاور مسكن الكنعانيون في واسطهم وكانوا عبيد تحت الجزية فجمع لهم بين العبودية والجزية))<sup>(٢٩)</sup>.

والمسيحية لم تنقص شيئاً في شرائع اليهودية . فقد أمر المسيح ﷺ أتباعه بدفع الجزية للرومان، ولم يجد المسيح ﷺ غشاً من جماله ومحبة العشار من الذين يقبضون الجزية ويسلمونها للرومان. وقد قال لهم: أعفوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله<sup>(٣٠)</sup>.

### الجزية في الإسلام:

الجزية لغة: اشتقت من الفعل الثلاثي (جزى) وجاء في اللغة، جزى، وجزاء، وهي على وزن فعله، والجزاء دلالة على الهيئة، وهي

الإذلال عند الإعطاء<sup>(٣١)</sup>. وقيل المكافأة بالإحسان والإساءة<sup>(٣٢)</sup>. وقيل هي الققاء وتعني العقوبة<sup>(٣٣)</sup>.

أما اصطلاحاً، فهي مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم<sup>(٣٤)</sup>.

أو بأنها الضريبة التي توضع على أهل الذمة لإقامتهم في دار الإسلام<sup>(٣٥)</sup>.

وأن بداية زمن الجزية في الإسلام ، كان أثر نزول آية الجزية في سورة التوبة في السنة التاسعة للهجرة في قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ

يَدٍ وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴾<sup>(٣٦)</sup>. وليست هناك أي إشارة إلى أن النبي ﷺ قد فرض جزية على اليهود والنصارى، قبل نزول هذه الآية<sup>(٣٧)</sup>.

وذكر أن أول من دفع الجزية للرسول ﷺ هم أهل نجران النصارى<sup>(٣٨)</sup>. وبعض المصادر ذكرت أن الجزية التي فرضت على أهل نجران سنة ١٠هـ بعد رجوع النبي ﷺ من تبوك<sup>(٣٩)</sup>.

وقد فرض رسول الله ﷺ على كل رجل ذمي من أهل اليمن دينار، أو ما يعادله، ويقول الشافعي، فهو دينار مقدر بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص منه، لأن الرسول ﷺ فرض مقدراً عندما قال لمعاذ: ((خذ من كل حالم دينار))<sup>(٤٠)</sup>.

وذكر أن رسول الله ﷺ ضرب على رجل نصراني بمكة يقال له موهب دينار في السنة<sup>(٤١)</sup>. وكذلك على أهل نصارى أيلة ثلاثمائة دينار، وكانوا ثلاثمائة رجل<sup>(٤٢)</sup>.

وقد شهد عبد الرحمن بن عوف للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ( سنوا بهم سنة أهل الكتاب )<sup>(٤٣)</sup>. وهو بذلك

يخص مجوس البحرين. واتفق العلماء على تحريم أكل ذبائح المجوس ونكاح نسائهم، ولكنهم اتفقوا على أخذ الجزية منهم وحقق دمائهم<sup>(٤٤)</sup>. وكذلك فرضت الجزية على أهل تيماء<sup>(٤٥)</sup>، وغيرهم من الذين عقدت معهم المعاهدات. ولابد من الملاحظة أنه في نفس السنة التي فرضت فيها الجزية على أهل الذمة، فرضت الزكاة على المسلمين وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة<sup>(٤٦)</sup>.

حيث دفعت التطورات السياسية بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة إلى ضرورة قيام مؤسسات في الدولة الإسلامية، وقد حولت الصدقة الطوعية إلى صدقة فرض أو الزكاة<sup>(٤٧)</sup>. حتى أن ثعلبه بن حاطب قد قال عن الزكاة: ((ما هذا إلا الجزية أو أخت الجزية))<sup>(٤٨)</sup>.

ولابد من الإشارة إلى أن الجزية تسقط عن الذمي في حالة إسلامه أو عجزه أو فقره أو عجز المسلمين عن حمايته أو التحاقه بأهل الحرب. فقد قال أبو عبيدة بن الجراح إلى عمال المدن يأمرهم بأن يردوا إليهم الجزية عندما تركوها بقوله: ((إنما ردنا عليكم أموالكم لأنه ما جمع لنا الجموع وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وأنا لا نقدر على ذلك وقد ردنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم أن نصر الله عليكم))<sup>(٤٩)</sup>.

وقد اختلفت في مقادير الجزية إذ كانت في زمن رسول الله ﷺ دينار واحداً واستثنى من ذلك النساء والصبيان<sup>(٥٠)</sup>. ثم جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل السواد في العراق دينار على الطبقة السفلى وعلى الوسطى دينارين وعلى العليا أربعة دنانير. وفعل ذلك على قدر الطاقة واليسار، ويسقط ذلك عن النساء والصبيان والشيوخ والرهبان<sup>(٥١)</sup>.

وقد جعلها الخليفة عمر بن الخطاب نظاماً ثابتاً يسير عليه الولاة في سائر الأمصار ليمنع اجتهادهم. فكتب إلى عماله في الأمصار ولا يوضع عليهم أكثر من ذلك، ومن عجز منهم خففوا عنه<sup>(٥٢)</sup>.

ولا يشترط في الجزية أن تكون نقداً بل يجوز أخذها مما تيسر من أموالهم من ثياب وسلاح ومواشي وحبوب وغير ذلك. وقد روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يأخذ الجزية من صاحب الأبر، أبراً ومن صاحب المال مالاً، ومن صاحب الحبال حبالاً ولا يأخذ منها خمراً ولا خنازير، ولا يباع في الجزية بقرهم ولا حميرهم ولا مواشيهم<sup>(٥٣)</sup>.

#### الجزية والمسلمين الجدد:

في رواية عبد الملك بن سلمه عن أبي لهيعة عن رزين ابن عبد الله المرادي، أن أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف، ثم كتب عبد الملك ابن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فحكمه ابن حنبل في ذلك، فقال: (( أعيذك بالله أنها لا بد أن تكون أول من سن ذلك بمصر، فوالله أن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم ، فكيف تضعها على من أسلم منهم؟ ))<sup>(٥٤)</sup>.

ونقل الطبري<sup>(٥٥)</sup> في رواية أخرى... أن الحجاج بن يوسف رد المسلمين الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق ((ردهم إلى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم)).

أما ابن الأثير<sup>(٥٦)</sup> فقد أشار إلى أن الحجاج أخرج الناس (( ليؤخذ منهم الجزية ))، وهناك إشارة إلى أن الحجاج قد أخذ الجزية ممن أسلم من أهل العراق أودرها الجهشيار في أشارته إلى مقتل يزيد بن أبي مسلم وإلى أفريقيه على أنه أراد أن يصنع ما صنعه الحجاج بالعراق وأخذه الخراج<sup>(٥٧)</sup>.

وقد حاول باحثون<sup>(٥٨)</sup> أن يناقشوا هذه الروايات في محاولة منهما باستخدام منهجية البحث العلمي ونقد الروايات السابقة الذكر للدفاع عن الحجاج، وأن إجراءاته هذه إدارية بحثه نتيجة للظروف التي كانت تمر

بها البلاد، إلا أنهما لم يستطيعا من رفع الحقيقة الثابتة بأن الحجاج هو من أخذ الجزية وتبعه ولادة آخرون عدا عبد العزيز بن مروان الذي رفض الأمر حتى جاء عمر بن عبد العزيز وأسقط الجزية في كافة الأمصار عن المسلمين الجدد.

وكان الحجاج لا يأخذ الجزية من المسلمين الجدد فحسب بل كان يأخذ ضريبة أخرى عن أيام المهرجان والنيروز يقوم الدهاقين بجبايتها<sup>(٥٩)</sup>. وأن كان هذا الأمر موجود منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان.

ولا بد من الإشارة إلى أن الباحثون يحاولون الرد على بعض المصادر<sup>(٦٠)</sup> والمراجع<sup>(٦١)</sup> التي حاولت أن تجعل من موضوع الجزية على المسلمين الجدد التي ابتدعها الحجاج بسبب الظروف التي مرت بها البلاد بأنها إجراءات ضد الموالى، وهؤلاء الباحثين على حق، لأن الحجاج لم يكن لديه عداوة أو حق أو نية بإيذائهم وإن مشاركة بعض الموالى في حركة ابن الأشعث كان يقابلها مشاركة موالى آخرون مع الحجاج وعلى رأسهم الذي كتب ونقل كتاب الحجاج المرسل لابن الأشعث حول المفاوضات بين الجانبين وهو نافع<sup>(٦٢)</sup>. كما لابد من توضيح التداخل الحاصل خطأ الذي يجعل الدهاقين وكأنهم موالى<sup>(٦٣)</sup>، وهذا غير صحيح، فالدهاقين هم من نبلاء الفرس وحكام القرى والمدن كمل سنوضح لاحقاً.

لذا فإن إجراءات الحجاج هي إجراءات إدارية في مجال الزراعة والموارد المالية من والى مسؤول عن تدبير أمور الدولة ولم يكن يقصد الموالى فقط بعد اتخاذ إجراءات برد الأراضي التي كانت عند العرب أراضي عشيرة إلى أراضي خرابية<sup>(٦٤)</sup>.

ولقد كان العطاء مستمراً للموالى فكان في زمن معاوية خمسة عشر درهماً لكل فرد، وفي خلافة عبد الملك أصبح عشرين درهماً، ثم خمسة وعشرون في خلافة سليمان، وجعله هشام ثلاثين درهماً<sup>(٦٥)</sup>.



إلا أن الاعتقاد بأن من الأسباب التي جعلت الحجاج يأخذ الجزية من المسلمين الجدد ربما يأخذنا إلى أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان على الأقل موافقاً للحجاج بذلك ولذا أصدر أمره إلى أخيه وإلى مصر ورفضه الأخير بما قدمنا. وإن الأمر كان قد سرى في الأمصار الأخرى وعاد ثانية بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز. وأن الحجاج كان منفذاً لسياسة الخلافة، خاصة وأن الخليفة عبد الملك بن مروان قد أجرى عدت تعديلات على من كان يدفع الجزية من أهل الشام. ((فلما ولي بعث الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري فاستقل ما يؤخذ منهم فأحصى الجماجم...))<sup>(٦٦)</sup>.

ورواية أخرى تقول: (( في عام ٧٢هـ / ١٩٢م قام عبد الملك بالتعديل وأصدر مرسوماً قاسياً يأمر كل رجل أن يرجع إلى بلده ، إلى قريته الأصلية ، ويسجل هناك اسمه واسم أبيه وكرمه وأشجار الزيتون لديه وأمواله وأموال أولاده، وكل ما يملك ، وهذا أصل الجزية، ومصدر كل الشرور التي عمت المسيحيين ، فحتى ذلك الوقت أخذ الملوك الضريبة من الأرض لا من الرجال. ومنذئذ صار كل أبناء هاجر يفرضون العبودية المصرية على أبناء أرام. وكان هذا أول إحصاء قام به العرب<sup>(٦٧)</sup>)).

وبغض النظر عن المفردات التي وردت في الرواية ومصدرها إلا أنها تعبر عن سياسة إدارية جديدة في تحصيل الجزية. إذ جعل على كل جمجمة ديناراً ومدين قمحاً وقسطين زيت وقسطين خل<sup>(٦٨)</sup>.

وربما أن الحجاج قد برر أخذ الجزية من المسلمين الجدد بالاعتماد على رأي بعض الفقهاء ومنهم شريك<sup>(٦٩)</sup> الذي يقول: (( أن أهل السواد أرقاء والجزية التي تؤخذ منهم إنما مثل ما يؤخذ من العبد الخراج ولا يسقط ذلك عنهم في إسلامهم))<sup>(٧٠)</sup>.

ويتساءل دانييل دانيت<sup>(٧١)</sup>: (( لماذا كان هؤلاء الفلاحين أن يتركوا قراهم ويهاجروا إلى المدن، هل كان ذلك ليضمنوا الحصول على أعطية؟ لا نظن، إذ تدل الدلائل على أنهم لم يكونوا يحصلون عليها، وحتى إذا كانوا يحصلون على أعطية فلا شك أنه كان في استطاعتهم الحصول عليها سواء كانوا في القرى أو في المدن، فهل كانت هجرتهم هذه استجابة لأغراء الحياة في المدينة والأمل في الإثراء؟ أن هذا بعيد الاحتمال فلن يجد المرء متعة في حياة تنسم بالوضاعة الاجتماعية وأن يكون هناك أمل كبير عند الفلاح في منافسة الصانع والتاجر في المدينة)).

ولكن ابن عبد ربة<sup>(٧٢)</sup> يشير إلى أن التجارة قد نشطت نشاطاً ملحوظاً في البصرة وأدى هذا النشاط إلى هجرة الفلاحين أراضيهم وقراهم وأقبلوا على مدن العراق ينهلون من منابع الثروة التجارية مما أدى إلى تهديد الثروة الزراعية وهي عماد من الأعمدة التي تقوم عليها التجارة فعمد الحجاج بن يوسف إلى إرجاعهم بالقوة إلى قراهم.

### الدهاقين والجزية على المسلمين:

اكتسبت حرفة الزراعة في الدولة الساسانية صفة القدسية، أخذتها من كتابهم المقدس (الافستا)<sup>(٧٣)</sup>. ولقد كان التنظيم الزراعي للدولة الساسانية قائم على أساس إقطاعي، بمعنى أن الأرض مقسمة على الملك والطبقات العليا في الدولة، فكانت أراضي الدولة مقسمة كذلك على حاشية الملك وشمل التنظيم الإقطاعي شمل أيضاً كلاً من الاصابة والمرابذة والدهاقين والمرابذة وهم رجال الدين<sup>(٧٤)</sup>. فكان أصحاب الاقطاعات ملوكاً غير متوجين<sup>(٧٥)</sup>. ولابد من الإشارة إلى أن الدولة الساسانية كانت مقسمة إلى أرباع، ويتولى إدارة الربع شخص يدعى المرزبان وهو مسئول عن حفظ الأمن والنظام وتنظيم أعمال الجباية<sup>(٧٦)</sup>. يليه في المسؤولية (الشهرج) وهو رئيس الكورة الذي يساعد المرزبان في إدارة الربع<sup>(٧٧)</sup>. فضلاً عن الدهقان أو (الديهبيك) وهو رئيس القرية<sup>(٧٨)</sup>.

وكان الساسانيون يتخذونهم لجمع الضرائب والذين كانوا يحتفظون بسجلات الضرائب . وقد استعان بهم العرب المسلمون في البلاد المفتوحة لهذا الغرض<sup>(٧٩)</sup>.

وقد تمتع هؤلاء الدهاقنة بنفوذ كبير في خراسان ، فلم يكتفوا بالنفوذ الإداري لرئاسة القرية أو الكور، إنما سعوا إلى حصر موارد الإقليم بأيديهم فأصبحوا رؤساء للإقليم والمدن الكبرى<sup>(٨٠)</sup>. فمثلاً كان ماهوية دهقاناً وحاكماً لمدينة مرو<sup>(٨١)</sup>.

ولما فتح المسلمون العراق ثم خراسان لم يكن في البداية لديهم نظام خاص ليطبق من قبل قادة الفتح أو الولاة، بل كانت الأمور تعالج بالمعاهدات وخاصة في خراسان . أما في السواد فكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قال: (( قد بآن لي الأمر فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يتحملون فاجتمعوا على عثمان بن حنيف ))<sup>(٨٢)</sup> وكان ذلك بعد معركة نهاوند وبينما كان سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية يخاطب الخليفة ويطلب الأمر منه لمعالجة الوضع لم تكن لديه توجيهات أو رؤيا محددة إذ أنه (( لما ظهر المسلمون على السواد وفارس ، لم يعلموا كيف يصنعون بالخراج وجباية أهل الذمة. وكان سعد يستعمل العامل على طروح فيأتيه بما يجد ، ولا يدري كيف يعمل ))<sup>(٨٣)</sup>.

ولابد من الذكر أن مصطلح الجزية والخراج وأن تداخلها في بعض المصادر إلا أنها كانت واضحة في المعنى فالجزية على الرؤوس والخراج على الأرض، وأما المعاهدة فكانت على المنطقة بكاملها أي مبلغ محدد وأن اختلفت الجزية عند المسلمين عنها عند الساسانيين، فقد كان الساسانيون يفرضون ضريبة الجزية وتسمى ضريبة الرأس (Kragge) على جميع الأفراد، رجالاً ونساء ، ومن لا يقدر على دفعها يفرض عليه أن يخدم من يدفعها عنه حتى يسددها، أي يستعبد، وأن العامة من

الزاردشتية كانوا يدفعونها - عدا سدنة المعابد وبيوت النار والعلماء. ويقول الطبري<sup>(٨٤)</sup>: (( أن الجزية فرضت على الناس ، ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب من كان في خدمة الملك)).

بينما جاء الإسلام فوضع الجزية على الرجال البالغين وأعفى النساء والصبيان<sup>(٨٥)</sup>، وقد أعفى الفقراء من الجزية<sup>(٨٦)</sup>. وهناك رواية مهمة ذكرها يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح فيقول: (( وأما سوادنا فأنا سمعنا أنه كان في أيدي النبط فلما ظهر المسلمون على أهل فارس تركوا السواد ومن لم يقاتلهم من النبط والدهاقين على حالهم ووضعوا الجزية على رؤوس الرجال))<sup>(٨٧)</sup>.

وقد أبقى المسلمون على الضرائب الدهاقين لأن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان يريد من الأمة الإسلامية أن تكون أمة مقاتلة وأن يتفرغ الرجال لمهمة القتال لا أن يكلفوا بواجب الضرائب في كل قرية ومدينة ، مع أن صاحب بيت المال والمهام الكبرى في إدارة الدولة قد أصبحت في يد المسلمين.

وعندما أراد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أن يضع الضرائب في السواد فقد رأى أن يأخذ رأي الدهاقين لخبرتهم ومسؤوليتهم السابقة، فقد أرسل الخليفة إلى حذيفة بن اليمان: أن أبعث لي بدهقان من جوخي، وبعث إلى عثمان بن حنيف: أن أبعث إلي بدهقان من قبل العراق، فبعث إليه كل واحد منهما بواحد ومعه ترجمان من أهل الحيرة فلما قدموا على عمر ﷺ قال: كيف كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟<sup>(٨٨)</sup>.

وبذلك نرى الأهمية للدهاقين في فرض الضرائب وتقدير مقدارها، وقد كان قرار الخليفة : (( رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمينا الله أموالهم، وأرضهم، وعلوجهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجهته على وجهة وأنا في

توجيهه ، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلاجها واضع فيهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيناً للمسلمين : المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم))<sup>(٨٩)</sup>.

وقرر الخليفة عمر بن الخطاب بعد المشاورة مع الصحابة رضي الله عنهم إلى بقاء الفلاحين (النبط) على أرضهم في السواد وكذلك في الشام. فاعتبرهم ذمة تؤخذ منهم الجزية ومن أرضهم الخراج فهم أحرار لا رق عليهم<sup>(٩٠)</sup>. وفي رواية : ((كان السواد في أيد النبط يؤدون الخراج إلى أهل فارس، فلما جاء المسلمون تركوا السواد ومن فيه من النبط والدهاقين على حالهم ، ووضعوا الجزية على رؤوس الرجال، والخراج على الأرض))<sup>(٩١)</sup>.

ولقد كان للدهاقين سيطرة كاملة واستعباد للفلاحين قبل الإسلام، ومن ذلك قول شيرزاد دهقان ساباط لسعد بن أبي وقاص بعد أن نزل بهرسير واصاب مجموعة من فلاحها: (( أنك لا تصنع بهؤلاء شيئاً، إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجروا إليك ، فدعهم إليّ حتى يفرق لكم الرأي، فأمرهم بالعودة إلى قراهم))<sup>(٩٢)</sup>.

ويبدو أن الدهاقين قد خافوا على مصالحهم من الإسلام قبل القادسية وذلك عندما سمعوا الكلام الذي تقدم به المغيرة بن شعبة وهو يتحدث عن المساواة في الإسلام فقال الدهاقين: ((والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه))<sup>(٩٣)</sup>.

إلا أن أنهم أبدوا المعاونة في المشورة والعمل مع المسلمين ويقول فلهوزن: أنهم استطاعوا في تثبيت مركزهم فيما بعد، مقابل أداء أدوار إدارية محلية أو الخدمة في الجيش<sup>(٩٤)</sup>. وبذلك يظهر أن حظ الدهاقين كان عالياً فقد أسلم بعضاً منهم ودخلوا في ديوان العطاء كما في الأحواز<sup>(٩٥)</sup>. وقد أسلم جميل بن بصهري دهقان الفلاليح والنهرين<sup>(٩٦)</sup> وبسطام بن نرسي دهقان أبل والرفيل دهقان العال وفيروز دهقان نهر

الملك وكوفي وغيرهم من الدهاقين وأعفاهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الجزية<sup>(٩٧)</sup>. بينما يؤكد بارتولد أن الدهاقين قد أسلموا لأول مرة مع أبو مسلم الخرساني<sup>(٩٨)</sup>.

وكان أمرهم مختلف في الخلافة الإسلامية. فقد كان الدهاقين قد استغلوا انشغال المسلمين بالفتوحات وسيطروا على الأراضي التي ليس بأيدي أحد مما زاد من إيراداتهم . إلا أنهم قد أرادوا أن يقدموا للخلافة الأموية برهاناً لولائهم فقد أخبروا عبد الله بن دراج، مولى معاوية ومتولي خراج الكوفة عن الصوافي التي كانت للساسانيين وأفراد عائلاتهم . فكتب عبد الله إلى معاوية بن أبي سفيان يعلمه بالأمر. فأمره بإحصائها واستصفائها إذ يذكر اليعقوبي أن الديوان كان بخلوان، فاستخرج منه ما كان لكسرى وأله ، وضرب عليه المنسيات واستصفاه لمعاوية<sup>(٩٩)</sup>.

وكان الدهاقين يحاولون استغلال الفرص للحضور إلى الخلفاء والأمراء والتقرب منهم وهذه عادتهم قبل الإسلام وبعده، ففي رواية هارون بن عنترة عن أبيه قال: (( أتيت علياً بالرحبة يوم فيروز ومهرجان وعنده دهاقين وهدايا.. فقال أحدهم: (( يا أمير المؤمنين أنك رجل لا تليق (أي لا يستقر بيده شيء) ، وأن لأهل بيتك في هذا نصيباً، وقد خبئت لك خبيئة)) قال: (( وما هي؟)) قال: (( أنطلق فانظر ما هي، قال: فادخله بيتاً فيه ياسنة (كساء مخيط يجعل فيه طعام) مملوءة أنية وفضة مموهه بالذهب ، فلما رآها علي قال: (( ثكلتك أمك لقد أردت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ، ثم جعل يزنها ويعطي كل عريف حصته))<sup>(١٠٠)</sup>. وقد قدم ماهوية مزربان مرو على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته وهو بالكوفة فكتب إلى الدهاقين والأساورة والدهيشيلارية أن يؤدوا إليه الجزية<sup>(١٠١)</sup> وأصبح من واجب الدهاقين جباية هدايا الفيروز والمهرجان وتقديمها للعامل في ولاية الحجاج<sup>(١٠٢)</sup>. بعد أن أقرها معاوية بن أبي سفيان<sup>(١٠٣)</sup>. كما قدم الدهاقين إلى خالد القسري (٩٠,٠٠٠,٠٠٠)

درهم<sup>(١٠٤)</sup> وفي رواية أخرى قدموا الذهب والفضة<sup>(١٠٥)</sup>. وتملك الدهاقين المقاطعات والمدن وهم الأمراء والحكام للمدن . فكان البخارا أخوذة وهو أحد أمراء بخارى من طبقة الدهاقين<sup>(١٠٦)</sup> والمرزبان بن تركسفي وهو من دهاقين الصغد يملك رستاقاً كاملاً بما فيه من قرى وبساتين<sup>(١٠٧)</sup>. وكما ذكرنا كان ماهوية دهقاناً وحاكماً لمدينة مرو<sup>(١٠٨)</sup>.

ولابد من ملاحظة رواية البلاذري أن اتفاقيات الصلح في خراسان عقدت مع الرؤساء المحليين من مرازمة ودهاقين، وكلف هؤلاء بجباية الوظائف منذ البدء<sup>(١٠٩)</sup>. وأن معاهدات الصلح كما هو معلوم مقادير ثابتة ومحددة. وبذلك فقد حصل مرزبان مرو على إعفاء له ولأهل بيته من الجزية<sup>(١١٠)</sup>.

وبما أن الدهاقين هم الذين يجبون ما محدد في الاتفاقية من الناس، وأن ((خراج خراسان على رؤوس الرجال))<sup>(١١١)</sup>. فأن ذلك يعني بالتحديد أن إسلام الناس سيعفيهم من الجزية مما يتحمل الدهقان النقص الحاصل على ما يجمعه منهم ليؤديه وفق المعاهدة مع العرب المسلمين. وبذلك ضرر خاص بالدهقان مما جعلهم يشكون في دخول الناس في الإسلام ويعدون أسلامهم تهرباً من الجزية<sup>(١١٢)</sup>. ومن هنا جاءت أطروحتهم بانكسار الخراج، ويطالبون في فرض الجزية على من أسلم ، حتى قالوا عن من أسلم في بخارا بأنهم منافقون يثيرون الفتنة<sup>(١١٣)</sup>. وكان الدهاقين يقولون أن بإسلام هؤلاء أنكسر الخراج ، ويعني ذلك أن هناك مالا قد نقص في الجباية لغيبة أهله أو موتهم. أي أن مالا لا يطمع في استخراجه<sup>(١١٤)</sup>.

وبما أن الدهاقين هم من كان يجبي المال (جزية وخراج ) في الخلافة الأموية<sup>(١١٥)</sup> . فقد عارضوا أي إصلاح كان يجري من قبل الولاة الأمويين<sup>(١١٦)</sup>. فقد عارضوا إصلاحات الحجاج بن يوسف الاقتصادية والإدارية ومنها:

(١) تأمين مصادر المياه وحفر الأنهر وأحياء ما عليها من الأرضيين<sup>(١١٧)</sup>.

(٢) مساعدة الفلاحين لاستصلاح أراضيهم بإمدادهم قروض تقرب من (٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم)<sup>(١١٨)</sup>.

(٣) منعه ذبح البقر لاستعماله في الحراثة والزراعة<sup>(١١٩)</sup>.

(٤) استقدامه زط السند مع أسرهم وجواميسهم وإسكانهم في السافل كسكر لسد نقص الأيد العاملة<sup>(١٢٠)</sup>.

(٥) محاولاته لإعادة الفلاحين المهاجرين إلى أرضهم ومساعدتهم على القيام بها.

(٦) كان للحجاج دور كبير في تحديد التلاعب بالعملة المدفوعة في الجزية وهي الدرهم إذ تم سكها من قبل الحجاج وتقدير قيمتها بدقة وبذلك خسر الدهاقين التلاعب والغش بالدرهم المدفوعة وطالب بالكسور أي الفرق بين الدرهم الوافي والدرهم المتداول<sup>(١٢١)</sup>.

(٧) حدد الحجاج المكايل الخاصة التي يدفع بموجبها المحاصيل كالحنطة والشعير فثبت وزن هذه المكايل ووضع الجريب الحجاجي والذي يساوي ثمانية أرطال<sup>(١٢٢)</sup>. وبذلك ضيق الخناق على الدهاقين في دفع المقادير بدقة بدلاً من التلاعب بهذه المكايل.

وكان الحجاج لما قدم العراق ثقل أمره على أهل البلاد، فاجتمع الدهاقين إلى جميل بن بصهري، وكان حازماً مقدماً، فشكوا إليه ما يتخوفون من شر الحجاج<sup>(١٢٣)</sup>.

وقد كانت هذه المعالجات لا ترضي الدهاقين عمال الخراج بل كتبوا إلى الحجاج: (( أن الخراج قد انكسر وأن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ))<sup>(١٢٤)</sup>، كما كانت محاولاتهم مع ولاية الخليفة عمر بن



عبد العزيز، إلا أن الخليفة كان على عكس ما يروونه. وفي خلافة هشام بن عبد الملك تذر الدهاقين من واليه أشرس بن عبد الله السلمي (١٠١هـ)، عندما دعا إلى الإسلام عندما أرسل أبو الصيذاء صالح بن طريف إلى سمرقند ودعاهم إلى الإسلام على أن ترفع عنهم الجزية، فسارع الناس. وظهر تذر الدهاقين حينما كتب غوزك إلى أشرس: ((أن الخراج قد انكسر))، ثم جاء دهاقين بخارا إلى أشرس، فقالوا: لمن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرب، فكتب أشرس إلى عماله، خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه، فاعادوا الجزية على من أسلم<sup>(١٢٥)</sup>. وتذر الدهاقين لأنهم ((لا يريدون نشر دين فيه روح المساواة))<sup>(١٢٦)</sup>. وقد أغضبت تدابير نصر بن سيار الدهاقين<sup>(١٢٧)</sup>.

إلا أننا لابد أن نشير إلى تاريخ تولية الدهاقين مسؤولية الجزية وعلاقتهم بالولاء وأسباب التمسك بهم. فتذكر المصادر التاريخية أن مسؤولية الدهاقين استمرت من الحكم الساساني إلى الإسلامي، إذ بعد أن تم مسح العراق من قبل عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان ثم ((حسبا أهل القرية وما عليهم، وقالوا لدهقان كل قرية: على قريتك كذا وكذا، فأذهبوا فتوزعوها بينكم، فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته))<sup>(١٢٨)</sup>.

كما اعتمد زياد ابن أبيه وإلي العراق سنة ٤٥هـ على الدهاقين وهو القائل: ((أحسنوا إلى الدهاقين فأنكم ما تزالوا سماناً ما سمنوا))<sup>(١٢٩)</sup>. وكذلك اعتمد عبيد الله بن زياد على الدهاقين وقال: ((... فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون على مطالبته))<sup>(١٣٠)</sup>.

واستمر الدهاقين في ولاية الحجاج بن يوسف إلا أنهم مالوا إلى ابن الأشعث وعارضوا سياسية الحجاج التي أضرت بهم<sup>(١٣١)</sup>. وكان لهم دوراً كبيراً في ولاية خالد القسري<sup>(١٣٢)</sup>. وكان أميه بن عبد الله بن خالد

وإلى عبد الملك على خراسان ، فقال الناس: لقد سلط علينا الدهاقين في الجباية<sup>(١٣٣)</sup>.

وسياسة الدهاقين هذه شجعت الحجاج لاتخاذ قراره بأخذ الجزية من المسلمين الجدد.

### إجراءات عمر بن عبد العزيز:

((أن الله بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جابياً))<sup>(١٣٤)</sup>.

بهذا ابتداء فهم عمر بن عبد العزيز للإسلام، وأن مهمات الخليفة والوالي هي رفع الناس وتهئية الأجواء لهم وإقناعهم بالإسلام، ولم تكن مهمة المسئول جباية الأموال وتضخيم بيت المال.

فأن عمر كان همه منصب باتجاه نشر الإسلام وتطبيق مبادئه قبل أي شيء آخر<sup>(١٣٥)</sup>. وفي رواية أبو يوسف عن شيخ من أهل الكوفة ، قال: جاء كتاب من عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : ((كتب تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى أو المجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذني في أخذ الجزية منهم ، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه جابياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل، فعليه من ماله الصدقة ولا جزية عليه))<sup>(١٣٦)</sup>.

وفي رواية أخرى أنه لما كتب إليه عدي ابن أرطاه : (( أن قوماً من أهل الذمة تعوذوا بالإسلام مخافة الجزية، فكتب أمير المؤمنين إلي فيهم برأيه))، أجابه: (( أن الله بعث نبيه ﷺ داعياً ولم يبعثه جابياً، فمن دخل في المسلمين فله مالهم وعليه ما عليهم، فأنظر من كان من أهل الذمة فأظهر الإسلام وأختتن، وقرأ سورة من القرآن، فأسقط الجزية عنه أن شاء الله))<sup>(١٣٧)</sup>.

وقد كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد سبق عمر بن عبد العزيز بذلك، ففي رواية عن عبد الله بن رواحه قال: كنت مع مسروق بالسلسلة ، فحدثني أن رجلاً من الشعوب أسلم فكانت تؤخذ منه الجزية

فألق عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين: أني أسلمت ، فقال: لعلك أسلمت تعوداً ، فقال: أما بالإسلام ما يعيذني؟ فقال: بلى. قال: فكتب (عمر) أن لا يؤخذ منه الجزية<sup>(١٣٨)</sup>.

وفي خلافة علي ابن أبي طالب ﷺ أسلم دهقان، فقال له علي: أن أقسمت في أرضك رفعنا جزية رأسك<sup>(١٣٩)</sup>.

وفي رواية حجاج عن حماد بن سلمه عن حميد قال: (( كتب عمر بن عبد العزيز من شهد شهادتنا، واستقبل قبلتنا وأختن، فلا تأخذوا منه الجزية ))<sup>(١٤٠)</sup>.

قال أبو عبيد: ((... وإنما أحتاج الناس إلى هذه الآثار في زمان بني أمية، لأن يروى عنهم، أو عن بعضهم: إنهم كانوا يأخذونها منهم وقد أسلموا ، يذهبون إلى أن الجزية بمنزلة الضرائب على العبيد، يقولون: فلا يسقط أسلام العبد عن ضريته))<sup>(١٤١)</sup>.

وفي رواية النضر، عن عوف، قال: (( كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاه كتاباً قرأ على الناس وأنا أسمع أن: (( من أسلم ممن قبلك من أهل الذمة ، فضع عنه الجزية... )) ))<sup>(١٤٢)</sup>.

بذلك يتضح أن الجزية كانت تأخذ من المسلمين الجدد ، في الخلافة الأموية ومن قبل بعض الولاة، حتى أن أبو عبيد قد نقل لنا رواية فيها استنكار لما أحدث في الخلافة الأموية وكان من بينها أخذ الجزية من المسلمين، إذ روى عن عبد الله بن صالح عن حرمة بن عمران عبد يزيد بن أبي حبيب قال: (( أعظم ما أتت هذه الأمة - بعد نبيها ﷺ ثلاث خصال: قتلهم عثمان، وإحراقهم الكعبة، وأخذهم الجزية من المسلمين ))<sup>(١٤٣)</sup>.

وقد استاء الخليفة عمر بن عبد العزيز من الإجراءات التي يتخذها بعض الولاة في الأمصار، ويرد عليهم بكتب بالغة الحدة والجدية في منعهم من التصرف خلافاً للشريعة الإسلامية، وإيقاعهم إجراءات من

سبقهم إذ كتب إلى عروة بن محمد السعدي: (( أما بعد، فأنتك كتبت تذكر أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة ثابتة في أعناقهم، كالجزية يؤدونها على كل حال، أن أجذبوا وأن أخصبوا ، وأن أحيوا، وأن ماتوا، فسبحان الله رب العالمين ، ثم سبحان الله رب العالمين، ما أعجب هذا الأمر والعمل به، أبعد من الله تبارك وتعالى ورضاه، فإذا أتاك كتابي هذا فدع ما تتكر من الباطل إلى ما تعرف من الحق، ثم ائنف الحق وأعمل به بالغاي وبك، حيث بلغ ، وأن أحاط بمهج أنفسنا، ولو لم ترفع إلي من جميع اليمن إلا حفنة من كتم فقد يعلم الله أنني بها حق مسروراً، إذا كانت موافقة للحق وسلام))<sup>(١٤٤)</sup>.

قال أبو عبيد: فهذا ما جاء في أخذ الجزية من الذمي بعد إسلامه<sup>(١٤٥)</sup>.

بذلك فأن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان واضحاً فلا يهيمه أن تكون هناك أموال بطريقة غير شرعية. ويبدو أن رأى الخليفة عمر بن عبد العزيز هذا لم يعجب بعض المستشرقين الذين يتعاملون على أساس بناء الدولة المادي وليس الشرعي فيقول فون كريم: (( كان ذهن عمر بن عبد العزيز بحكم سلطان الدين عليه بعيداً عن كل أدراك لما تقتضيه الحكمة السياسية... وساعد في الجملة على أفساد نظام الدولة من أساسه ... فإنه لم يقم حتى بمحاولة اصطناع شيء من العقل عند تطبيق ما في القرآن من مبادئ كبرى على أحوال هذه الدنيا الناقصة، وكان تفكيره الساذج يقول أن الله يريد كذا وكذا))<sup>(١٤٦)</sup> ثم يعلق م.مولر على إجراءات الخليفة عمر بن العزيز فيقول: (( فأدى ذلك من جديد بطبيعة الحال إلى نقص كبير في دخل الدولة))<sup>(١٤٧)</sup>.

وفي دراسة متأنية لمستشرق الماني جاء بعد كريم ومولر إلا وهو فلهوزن فقد رد على أراء من سبقه بقوله: (( أما ما يزعمه البعض (١. مولر) من أن أموال الدولة في عهده قد تلاشت، كما يزول الشيء

بإشارة سحرية، وأن ما يتحصل من الخراج قد أنحط دفعه واحدة. فأني لا أريد هنا أن أتعرض للكلام فيما إذا كان ذلك الزعم أكثر من أن يكون خطأ، ولكنه على كل حال زعم لا يمكن أن يكون صحيحاً بوجه من (الوصي...) <sup>(١٤٨)</sup>، ويضيف فلهوزن : (( أما فون كريمر وأوجست موللر فرأيهما أن عمر بن عبد العزيز إنما تدخل في الأمور المالية دون أية ضرورة علمية، جرياً وراء ما صور له ورعه من مثل عليا خيالية، فأفسد المجرى الطبيعي للمالية وأخرجها عن الطريق الذي أدى بها إليه التطور السابق، وهما يزعمان أيضاً أنه لم تكن عنده أية فكرة عن الأحوال الواقعة.

أما الحقيقة فهي بالأحرى أن المؤرخين الذين ينقدون أعمال عمرهم الذين يتصورون الأحوال الواقعة لذلك العصر تصوراً خاطئاً.)) <sup>(١٤٩)</sup>

ورأى فلهوزن صحيح جداً فينما كانت الحاجة إلى المال في خلافة من سبقه فقد ترد الروايات عن خلافة عمر بن عبد العزيز بأن هناك فائض من المال ولم يحتاج بيت المال إليه، فبدل من أن يأخذ المال من المسلمين الجدد من أهل الزمة، فقد أمر بتسليفهم من فضول بيت المال دعماً لهم. وفي رواية سعيد بن أبي مريم عن عبد الله بن عمر العمري عن سهيل بن أبي صالح عن رجل من الأنصار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ابن عبد الرحمن .. وهو بالعراق - ((وأن أخرج للناس أعطياتهم)) فكتب إليه عبد الحميد: أني قد أخرجت للناس أعطياتهم ، وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه: ((أن أنظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف فأقض عنه)) فكتب إليه: أني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت المال المسلمين مال، فكتب إليه: (( أن أنظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه)) فكتب إليه: أني قد زوجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا ((

وأن أنظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوي به على عمل أرضه فأنا لا نريدهم لعام ولا لعامين)) (١٥٠).

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يفهم على من وضع الإسلام الجزية وكيف الرفق بهم فقد كتب إلى عدي بن أرطاه ، وإليه على البصرة ((أما بعد، فأنا الله سبحانه وتعالى، إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام ، واختار الكفر عتواً وحزناً مبيناً، فضع الجزية على من أطاق حملها، وخل بينهم وبين عمارة الأرض، فأنا ذلك صلاحاً لمعاش المسلمين، وقوة على عدوهم، وأنظر من قبلك من أهل الذمة، قد كبرت سنة، وضعفت مؤنه ، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فلو أن رجلاً من المسلمين ، كان له مملوك كبرت سنة، وضعفت قوته وولت عنه المكاسب، كان من الحق عليه أن يقوته أو يقويه حتى يفرق بينهما موت أو عتق...)) (١٥١).

إذن لم يكن عمر ليأخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة، بل لينفق عليهم وهم على ذمتهم ليس بمسلمين أن لم تكن لهم قوة أو مكسب. وفي خراسان فقد أمر عمر بن عبد العزيز واليه الجراح، أن أنظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية (١٥٢)، وذلك بعد أن قدم إليه رجلاً من أهل خراسان وقالوا: يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق. ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج (أي الجزية) (١٥٣). وقد عزل عمر واليه الجراح بعد أن لم يتمكن من تنفيذ أوامره وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، ففعل ذلك (١٥٤).

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، ظلت خراسان مضطربة ولم يتمكن الولاة من السيطرة على أهلها فولى هشام بن عبد الملك عليها نصر بن سيار الليثي (١٥٥).

## إجراءات وإلي خراسان نصر بن سيار:

كان الموقف مضطرباً في خراسان ولم يتمكن أحد من الوثوق بالدهاقين وحكام المنطقة، بل حتى صحة إسلامهم، وهل أن إعفاءهم من الجزية بعد أن أعلنوا إسلامهم سيجعل المنطقة تستقر، بل هل أن دخول هذه الجموع للإسلام عن صدق أم للتخلص من الجزية. فلما ولي نصر بن سيار المنطقة خطب في الناس قائلاً: (( إلا أن برامس كان مانح المجوس بمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أثقالهم على المسلمين . إلا أن استبداد بن جريجور كان مانح النصارى. إلا أن عقوبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك. إلا أنه لا يقبل مني إلا توفي الخراج على ما كتب ورفع. وقد استعملت عليكم منصور بن عمر ابن أبي الخرقاء وإمرته بالعدل عليكم، فأیما رجل من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه ، وتقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك إلى منصور بن عمر يحوله عن المسلم إلى المشرك. قال فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم. وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألغيت عنهم جزيتهم ، فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين، ثم صنف الخراج ووضعه مواضعه. ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح، فكانت مرو يؤخذ منها مئة ألف سوى الخراج أيام بني أمية<sup>(١٥٦)</sup>)).

ويشك فلهوزن بهذه الأعداد ولكنه من ناحية أخرى يفسره على أنه (رأي نصر بن سيار) قد وضع نظام يقضي بأن يجبي الخراج بالمقدار الثابت الذي تقرر على المدن والنواحي، كل على حدتها، ومن الأرض وحدها، وعلى هذا حدد مقدار الخراج من جديد، وصار يؤخذ من جميع ملاك الأرض بحسب ما يملكونه، سواء كانوا مسلمين ، أو كانوا رعايا غير مسلمين خاضعين للدولة الإسلامية. ولما كان الخراج يؤخذ عن عين الأرض لا عن الشخص الذي يملكها . فلم يكن في ذلك ما

يشعره بالصغار. وقد حدث مع ذلك جنباً إلى جنب فصل تام بين خراج الأرض - فأصبح وحده هو الذي يسمى خراجاً - وبين ضريبة الرأس التي بقي لها أسم الجزية<sup>(١٥٧)</sup>.

وبذلك سد أدعاء الدهاقين الذين كانوا مسئولون عن جمع الضرائب إذ كانوا يقولون لولاة خراسان أن الخراج قد أنكسر، وممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرب<sup>(١٥٨)</sup>. وكان قبل ذلك أن أشرس بن عبد الله السلمي قد أمر بطرح الجزية عن أسلم فيما وراء النهر فساروا إلى الإسلام. ثم أنكر ذلك<sup>(١٥٩)</sup>.

إلا أن دانيت<sup>(١٦٠)</sup> يؤيد ما جاء به الطبري ويعدل ترجمة فلهوزن ، ويقول: أن نصر بالإضافة إلى هذا الإجراء فقد صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة [ أي قدر الإتاوة بين السكان ] التي جرى عليها الصلح، ولم ينص على أنه منذ ذلك الوقت يجب أن تأتي الضريبة كلها أو الإتاوة كلها من الأرض كما ترجم فلهوزن.

ويضيف ((أن هذه عبارة سهلة وواقعية ذكرها الطبري. أن نصر بن سيار كان منظماً، مصلحاً ولم يكن مبتدعاً أو مبتكراً، فهو لم يخلق نظاماً جديداً ، أو يبتدع فروقاً وتمييزات جديدة أو يقلب مبادئ ونظم الإدارة المالية في الإمبراطورية العربية. كلا، فكل ما قام به نصر هو أن صحح الأخطاء وقضى على من إساءة استعمال السلطة في النظام القديم))<sup>(١٦١)</sup>.

### مصر والجزية على المسلمين الجدد:

في نص المعاهدة التي نظمها عمر بن العاص لأهل مصر نصاً مفاده: ((وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف...))<sup>(١٦٢)</sup> وبذلك عمل عمر بن العاص ((لما أستوسق له الأمر أقر قبضها على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وأن قل أهلها



وخربت نقصوا فيجمع عرفاء كل قرية ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى إذا اقرؤا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور... ثم يخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومصرياتهم من جملة الأرض ثم يخرج عدد المسلمين...<sup>(١٦٣)</sup>.  
إلا أن دخول المصريين الإسلام يبدو وكأنه قد مر بعدة أسباب ومنها:

(١) الثابت تاريخياً أن كثيرين من قبط مصر قد دخلوا الإسلام طوعاً أو عن اقتناع ، والراجح أن هذا الأمر بدأ مع مجيء جيش عمرو بن العاص لفتح مصر ، فيذكر القلشندي<sup>(١٦٤)</sup> ((أن العرب ساروا إلى عين شمس، وكان معظم حاميتهم من القبط)). ويذكر الأسقف حنا النقيوسي - وكان قد شهد فتح مصر - أن جيش المسلمين كان يرافقه مصريون كفروا بالمسيحية واعتنقوا ديانة عمرو بن العاص<sup>(١٦٥)</sup>.

أما المؤرخ بتلر ينصر الذي لم يدخر جهداً في الإشادة بصلافة القبط في الدفاع عن عقيدتهم الدينية، فقد توصل إلى نتيجة مؤداها أن ثمة بواعث قوية قد حدث بالقبط إلى أن يمتزجوا بالإسلام كل الامتزاج في معيشتهم ودينهم<sup>(١٦٦)</sup>. وأن ما لمس أهل البلاد المفتوحة من أن حكم المسلمين قد بدأ أخف وطأة من نير الرومان، وقد تغير حال القبط في السنوات الخمسين أو الستين التي أعقبت الفتح، فقد ترك العرب مقاليد الأمور بأيدي أهل مصر من القبط واحتفظوا لأنفسهم بالسيادة العليا وتنفيذ أحكام الدين حتى أصبح للقبط ((نصيب كبير في إدارة بلادهم ربما لم يصلوا إليه قبل الفتح العربي))<sup>(١٦٧)</sup>.

(٢) ومن العوامل التي أحاطت بدخول كثير من القبط في الإسلام مرتبط بالنظم الضريبية التي طبقت على المصريين، وما حدث هو أن العرب المسلمين قد أبقوا على طرق الروم في تدوين

دواوينهم وجمع ضرائبهم ، وأن كان العرب على ما يلوح أخف وطأة في جباية الأموال<sup>(١٦٨)</sup>. وكان للجباية مصدران رئيسان: الجزية والخراج. وكانت الجزية كما هو معلوم تؤخذ من غير المسلمين. ويؤخذ الخراج من المسلم والقبطي على حد سواء وكانت الجزية فرضت على القبط مقداراً معلوماً، في حين كان خراج الأرض يتغير بحسب علو الفيضان وبحسب الزراعة<sup>(١٦٩)</sup>. ولكن مع تعاضل أعداد الداخلين في الإسلام أخذ مقدار الجزية يتناقص بإطراد .

وفي الوقت نفسه، وفي ظل متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية محيطة بالدولة العربية ازدادت حاجة الدولة إلى المال. هنا بدأ بعض الولاة يشددون أساليب الجباية ، ففي ولاية عبد العزيز بن مروان، وعلى الرغم من أنه اهتم بإدخال إصلاحات كثيرة في مصر وبنيت في عهده كنائس ، فرضت الجزية على الرهبان على الرغم من التقليد العربي والمستقر بالألا تفرض أي ضريبة على هذه الطائفة . وكان من أثر هذا الأمر أن اعتنق الكثيرون الدين الإسلامي<sup>(١٧٠)</sup>.

وخلف عبد العزيز بن مروان في ولاية مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ((وكان محباً للمال جداً.. وأمر أن لا يدفن ميت حتى يقومون [يقوموا] عنه الجزية))<sup>(١٧١)</sup>. وفي خلافة الوليد بن عبد الملك كان وإلي مصر قرة بن شريك الذي اتخذ عدة إجراءات لمنع هجرة الفلاحين ومع ذلك فقد أمر عماله كافة في الأقاليم، مراعاة أوضاع أهل الذمة عند تقرير الضرائب<sup>(١٧٢)</sup>. واشتد أسامة بن زيد التنوخي عامل لسليمان بن عبد الملك في تحصيل الضرائب فأسلم كثيرون في عهده تخلصاً من الأعباء المالية<sup>(١٧٣)</sup>.

وعندما جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر أن لا يؤخذ الخراج من الأساقفة والبيع وأبطل الجبايات وعمر المدن وكان النصراني في أمن

وهذوء. ورفض أن تؤخذ الجزية ممن أسلموا وأسقطها عنهم، على الرغم من أن متولي خراج مصر طالب بإبقائها وعندئذ جذبت هذه السياسية إلى الإسلام عدداً كبيراً من الأقباط<sup>(١٧٤)</sup>.

ويذكر الطبري<sup>(١٧٥)</sup> والجهشياري<sup>(١٧٦)</sup> أن وإلي أفريقيا عام ١٠٢هـ يزيد بن أبي مسلم قد قتل عندما أراد أن يسير بسيرة الحجاج ويضع الجزية على رقاب من أسلم كما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم. إلا أن ابن الحكم<sup>(١٧٧)</sup> يشير إلى أن مقتل يزيد كان لظروف أخرى تخص علاقته بقبائل البربر فقتله أحد حراسه. وابن الحكم أقرب مكاناً وزماناً من غيره.

ويبدو أن الطبري الذي لم يذكر مصدره أنه ربما اقتبسها من خليفة بن خياط<sup>(١٧٨)</sup>.

أما الجهشياري فقد زاد على روايته الأولى معلومات مفصلة عن يزيد بن أبي مسلم، فقال: (( أن أسم أبي مسلم : دينار - من موالى ثقيف، وليس مولى عتاقه، وكان أبا الحجاج من الرضاة، يتقلد للحجاج ديوان [الرسائل] وكنيته أبو العلاء، وكان الحجاج يجري له في كل شهر ثلاث مئة درهم))<sup>(١٧٩)</sup> وأضاف الجهشياري : ((ولما حضرت الحجاج الوفاة في شهر رمضان سنة خمس وتسعين استخلف يزيد بن أبي مسلم على خراج العراق، فأقام به تسعة أشهر))<sup>(١٨٠)</sup>.

ومن هذا فقد اعتقد الجهشياري أن يزيد بن أبي مسلم قد نقل تجربة الحجاج إلى أفريقيا.

إلا أن التشدد في جمع الجزية والخراج من فعل بعض الولاة ، وما قد اتبع في أخذ الجزية ممن يسلم من القبط . وقد استقبله الناس بعدم الرضا بل بالمقاومة أحياناً وخاصة من قبل الفلاحين، وقد تراوحت أشكالها بين الهروب من القرى وبين المقاومة العنيفة، ووقعت في بدايات القرن الثاني أي بعد وفاة عمر بن عبد العزيز انتفاضات شديدة، فثاروا

في الصعيد عام ١٢١هـ، وثاروا في سموند عام ١٣٢هـ، وثاروا أهل الرشيد في السنة نفسها ، كما ثار أهل البشروء أيضاً<sup>(١٨١)</sup>.

وامتدت في الخلافة العباسية حتى اضطر المأمون أن يحضر إلى مصر بنفسه<sup>(١٨٢)</sup>. ويذكر المقرئ أن من نتائج قمع هذه الانتفاضة أن حل ((الموازيت)) أو ورؤساء القرى أو العمدة المسلمون محل الموازيت القبط<sup>(١٨٣)</sup>.

ولقد تم إحصاء عدد دافعين الجزية في مصر، ففي رواية عثمان بن صالح وعبد الله بن صالح قالوا: حدثنا الليث بن سعد قال: (( لما ولى ابن رفاع مصر خرج ليحصى عدة أهلها، وينظر في تعديل الخراج عليهم، فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد ، حتى بلغ أسوان، ومعه جماعة من الأعوان والكتاب يكفونه ذلك بجد وتشمير، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض، فأحصلوا من القرى أكبر من عشرة الآلاف قرية ، فلم يحصى فيها، في أصغر قرية منها، أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية<sup>(١٨٤)</sup>).

## الخلاصة

١. ذكرت المصادر التاريخية أن الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في خلافة عبد الملك وابنه الوليد قد فرض الجزية في فترة معينة ومحددة على بعض الفلاحين الذين تركوا أرضهم الزراعية وأعلنوا إسلامهم وذلك للظروف التي مرت بالدولة في تلك الفترة، وقد اضطرت ذلك وكان للظروف الاقتصادية التي شارك في أسبابها الدهاقين لما كان لهم دور في تحصيل الضرائب من الناس.
٢. لم يكن إجراء الحجاج هذا وما حدث لفترة أقصر في ما وراء النهر إجراء شرعي أو إداري، بل كان احترازي ومقصود في مناطق محددة. ولم يسري على أرجاء الدولة الإسلامية في الولايات الأخرى وإن كان البعض من الولاة قد فكر بذلك إلا أنه لم ينفذ.
٣. لم يقصد بهذا الإجراء احتقار للموالي أو سوء تعامل أو تفرقة، بل كان إجراء لضرفه الزماني والمكاني، وكان الموالي يأخذون حقوقهم كاملة في الدولة.
٤. في خلافة عمر بن عبد العزيز ألغى الإجراءات نهائياً، وفي ولاية نصر بن سيار على خراسان تم تطبيق الضرائب بصورة حقيقية وكشف دور الدهاقين وإجراءاتهم غير العادلة.

- (١) الدينوري، أبو حنيفة (٢٨٢هـ) ، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عباس وجمال الشيال، دار إحياء التراث، ٧١؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس ، بيروت، ١٩٦٥م ، حـ ١ ، ص ٢٩١؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن أبي الكرم الشيباني (٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٢، حـ ١، ص ٤٥٥.
- (٢) الرئيس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية ، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٧٥.
- (٣) الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، (٣٣١هـ) ، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حـ ١، ص ٤٥٦.
- (٤) اليعقوبي، أحمد أبي يعقوب (٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٥، حـ.
- (٥) ابن الأثير، الكامل، حـ ١، ص ٤٥٥.
- (٦) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٩هـ .
- (٧) الدينوري، الأخبار، ص ٦٩.
- (٨) الرئيس، الخراج، ص ٧.
- (٩) المسعودي، مروج الذهب، حـ ٢، ص ٥٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، حـ ٢، ص ١٣٢.

- (١٠) سحاب، فكتور ، إيلاف قریش ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٥٦.
- (١١) الجمال ، محمد عبد المنعم ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٦٠.
- (١٢) بينز ، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠، ص١٣٢.
- (١٣) الرئيس، الخراج، ص٥١.
- (١٤) الرئيس، الخراج، ص٤٩.
- (١٥) بينز، الإمبراطورية ، ص١٦٢.
- (١٦) ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم (٧٧١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٥، ح٢، ص١٨.
- (١٧) ابن عباد، إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد آل ياسين ، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٩٤، ح٩، ص٤٣.
- (١٨) ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الباني الحلبي وأولاده ، القاهرة، ١٩٧٢م، ح١، ص٥٠.
- (١٩) ابن منظور، لسان العرب، ح٦، ص٢٢١.
- (٢٠) علي ، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ح٥، ص١٩١.
- (٢١) ابن الجوزي، المنتظم، ح٢، ص١٢٩.
- (٢٢) الدينوري، الأخبار، ص٥٣.
- (٢٣) ابن حبيب، أبو جعفر، محمد بن حبيب ، (٢٤٥هـ)، المحبر، المكتب التجاري، بيروت، ص٢٠٤.

- (٢٤) حمور، عرفان محمد، أسواق العرب، دار الشورى، بيروت، ١٩٧٩، ص ٥٢-٥٤.
- (٢٥) علي، جواد، المفصل، حـ ٢، ص ٧٩.
- (٢٦) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٠.
- (٢٧) علي، جواد، المفصل، حـ ٣، ص ٤٧٣.
- (٢٨) إنجيل متي، ١٧ / ٢٤-٢٥.
- (٢٩) يشوع ١٠/١٦.
- (٣٠) متي ١٩/١١، ١٦/٢٢ - ٢١.
- (٣١) ابن منظور، لسان العرب، حـ ٢، ص ١٤٦.
- (٣٢) ابن عباد، المحيط، حـ ٧، ص ١٥١.
- (٣٣) ابن فارس، معجم، حـ ٢، ص ٤٥٥.
- (٣٤) أبو عبيد، القاسم بن سلام، (٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، بيروت، ١٩٨١، ص ٥٥.
- (٣٥) ابن قدامه، أبو محمد عبد الله المقدسي (٦٢٠هـ)، المغنى، مكتبة الرياض، السعودية، ص ٥٥٧.
- (٣٦) سورة التوبة: آية ٢٩.
- (٣٧) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف البكري، السعودية، ١٩٩٧، حـ ١، ص ٩.
- (٣٨) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (١٨٢هـ)، الخراج، دار المعرفة، بيروت، ص ٧١؛ الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، نيل الأوطار، القاهرة، ١٩٩٣م، حـ ٨، ص ٦٣.
- (٣٩) الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبا الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، حـ ٣، ص ٣٨٨.



- (٤٠) الشافعي، محمد بن أدريس (٢٠٤هـ)، الأم، أشرف على طبعه محمد النجار ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٣م، حـ٣، ص ١٧٩.
- (٤١) أبن قدامه ، المغني، حـ٨، ص ٥٠٣.
- (٤٢) أبو عبيد، الأحوال، ص ٩٠.
- (٤٣) أبو يوسف، الخراج، ص ١٣٠.
- (٤٤) الشافعي، الأم، حـ٣، ص ١٨٢؛ أبن قدامه، المغني، حـ٨، ص ٤٩٦؛ أبن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة، حـ١٠، ص ٨١٥.
- (٤٥) ابن سعد، محمد بن منيع (٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، حـ١، ص ٢٧٩.
- (٤٦) البيهقي، أحمد الحسين (٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٤م، حـ٢، ص ٤٣.
- (٤٧) الشريف، عون، نشأة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ، جامعة الخرطوم، ص ١١٤.
- (٤٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، حـ٣، ص ١٢٤؛ أبن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٩، حـ١، ص ٣٤٩.
- (٤٩) أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٠.
- (٥٠) الصولي، أبو بكر محمد، أدب الكتاب، تصحيح وتعليق: محمد بهجة الأثري، ص ٢١٤.
- (٥١) أبن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص ٢٨.
- (٥٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة الباني الحلبي، ١٩٦٠. ص ٢٢٤.
- (٥٣) الصولي، أدب الكتاب، ص ٢١٥.
- (٥٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢١٠.

- (٥٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح٦، ص٦١٧.
- (٥٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٤، ص٤٦٥.
- (٥٧) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص٥٧.
- (٥٨) طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، بغداد، ١٩٨٥، ص١٩١؛ كاتبى، غيداء خزنة، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص١٣٩، البدراوى، رياض عبد الحسين، الموقف الأموي من الموالى، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ص٢١١.
- (٥٩) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، ح١، ص٣٩١.
- (٦٠) الجاحظ، عمر بن بحر (٢٥٥هـ) البيان والتبيين، ح٢، ص٥٦٩، المبرد، محمد بن يزيد (٢٨٥هـ) الكامل في الأدب، ص، ابن عبد ربه (٣٢٨هـ) العقد الفريد، ح٣، ص٢٦٠-٢٦١.
- (٦١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ح٤، ص٩٨، وما بعدها، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ح١ ص٣٤١، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ح٢ ص٢٣٩.
- (٦٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢١٠.
- (٦٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٢ ص٢٩٤.
- (٦٤) الطبري، تاريخ، ح٣ ص٦٤٨، ابن الأثير، الكامل، ح٤ ص٢٠٠.
- (٦٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ح٤ ص٤٢٩.
- (٦٦) أبو يوسف، الخراج، ص٤١.
- (٦٧) ديونبوس التلمحري، التاريخ المنحول، ترجمة عن السريانية يوسف متي إسحاق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ص٢٣.
- (٦٨) أبو يوسف، الخراج، ص٤١.

(٦٩) شريك بن عبد الله بن شريك النخعي، ولي القضاء بواسط سنة (١٥٥م، ٧٧١م) ثم في الكوفة، ومات بها، (ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، حيدرآباد الدكن، ١٣٢٥هـ، ٤، ص ٣٣٣.

(٧٠) م. ن. ٤، ص ٣٣٣ .

(٧١) الجزية والإسلام، ترجمة الدكتور فوزي فهمي جاد الله، دار مكتبة الحياة، ص ٧٤.

(٧٢) العقد الفريد، ٣، ص ٤١٦.

(٧٣) الافستا Avesta ، أي كتاب الحكمة وهو كتاب المجوس المقدس، يمثل الديانة الزرادشتية. عندما أدعى أزردشت النبوة والذي توفي نحو ٥٨٣ ق.م . يتألف من فصول عدة كتبت في فترات مختلفة (ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم محمد حنين، نشر دار الكتاب المصري، ١٩٨٥، ص ٨٦.

(٧٤) الرئيس، ضياء الدين، الخراج والنظم المالية، ص ٦٩ - ٧٢.

(٧٥) أربي، أ.ج، تراث فارس، تعريب محمد كفاتي وآخرون، مراجعة يحيى الخشاب، دار أحياء الكتاب العربي، ١٩٥٩، ص ١٢.

(٧٦) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (٢٥٠هـ)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص ١٨؛ البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد (٤٠٠هـ)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مطبعة ليزك، ١٩٢٣م، ص ١٠٠.

(٧٧) كرستنس، أرثر، إيران في عهد الساسانية، ترجمة علي الخشاب وعبد الوهاب عزام، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١٢٩.

- (٧٨) الصابي، أبي الحسن الهلال بن المحسن (٤٤٨هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق : عبد الستار أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م، ص ٤٥٢.
- (٧٩) البلاذري أحمد بن يحيى (٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ ، ص ٤٢١.
- (٨٠) الرئيس، الخراج، ص ٦٩؛ كريستنسن ، إيران في عهد الساساني، ص ٩٩.
- (٨١) المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، إعادة طبعه بالأوفسيت ، مكتبة المثنى، بغداد، حـ ٥، ص ٢١٦.
- (٨٢) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٦.
- (٨٣) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الأوائل ، حققه وعلق عليه محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة ، ص ١٣٥.
- (٨٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ح ٣ ص ٢٦٥ .
- (٨٥) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٥ - ٥٦؛ أبو يوسف، الخراج، ص ٦٩ ؛ ابن عساكر علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عبد الغني الدقر مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨١. ح ١، ص ٥٧١.
- (٨٦) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص ٧٣.
- (٨٧) ابن آدم القرشي، أبو زكريا يحيى بن سليمان، كتاب الخراج، صححه وشرحه أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٣٩، ص ٢٢.
- (٨٨) أبو يوسف، الخراج، ص ٣٨.
- (٨٩) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٥؛ قدامه بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد ١٩٨١، ص ٣٨٦.

- (٩٠) أبو عبيد، الأموال، ص ١٥٣؛ ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد، كتاب الاستخراج لأحكام الخراج، تحقيق: محمد إبراهيم الناصر ١٤١٢هـ - ص ٩٦.
- (٩١) ابن آدم، كتاب الخراج، ص ٢١-٢٢؛ ابن رجب، كتاب الاستخراج، ص ٨٧-٨٨.
- (٩٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ح-٤، ص ٥.
- (٩٣) تاريخ الدولة العربية الإسلامية، الكويت، ١٩٨١، ص ٢٧.
- (٩٤) ابن رجب، كتاب الاستخراج، ص ١٧٠.
- (٩٥) ابن آدم، كتاب الخراج، ص ٦٠.
- (٩٦) م.ن، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٥.
- (٩٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٥؛ قدامه، الخراج، ص ٣٦١.
- (٩٨) الحضارة الإسلامية، ص ٦٥.
- (٩٩) تاريخ اليعقوبي، ح-٢، ص ٢١٨.
- (١٠٠) أبو عبيد، الأموال، ص ٢٥١.
- (١٠١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٩.
- (١٠٢) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ح-٢، ص ٣٩١.
- (١٠٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ح-٢، ص ٢١٨.
- (١٠٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢١.
- (١٠٥) البكري، عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ح-٢، ص ٤٥٠.
- (١٠٦) فلوتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليون في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم وزكي إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥ ص ٤٥.
- (١٠٧) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١٦٠.

- (١٠٨) المقدسي، البدء والتاريخ، حـ، ص ٢١٦.
- (١٠٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٤.
- (١١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ، ص ٨١-٨٢.
- (١١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ، ص ٨١، ابن الأثير، الكامل، حـ، ص ١٤٧.
- (١١٢) م.ن، حـ، ص ٥٣-٥٤.
- (١١٣) فلهوزن، ص ٥٣-٥٤.
- (١١٤) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨١.
- (١١٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ، ص ٨١-٨٢.
- (١١٦) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٥٥.
- (١١٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٣.
- (١١٨) ابن رسته أحمد بن عمر، الأعلام النفيسة، تحقيق: ف. وستفلد، لين، ١٩٨١، ص ١٠٥.
- (١١٩) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ١٥.
- (١٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٨.
- (١٢١) الماورى، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨١.
- (١٢٢) يحيى بن آدم، الخراج، ص ١٤١.
- (١٢٣) الجهشيارى، كتاب الوزراء والكتاب، ص ٣٩.
- (١٢٤) ابن الأثير، الكامل، حـ، ص ٥٠١.
- (١٢٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ، ص ٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، حـ، ص ٥٤.
- (١٢٦) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٥١.

- (١٢٧) الدوري، العصر العباسي الأول، مكتبة الانجلو، مصر، ١٩٧٢، ص ١٥.
- (١٢٨) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٧؛ ابن زنجويه، الأموال، ص ٧٢.
- (١٢٩) البلاذري، انساب الإشراف، مطبعة الجامعة العبرية، القدس، ١٩٤٠، ح ١، ص ٧٩.
- (١٣٠) م.ن، ١٩٧٩، ح ١، ص ١٩٦.
- (١٣١) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٣، ح ٥، ص ٢٥١؛ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص ٢٧٢.
- (١٣٢) البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٢١.
- (١٣٣) م.ن ص ٢٢١.
- (١٣٤) أبو يوسف، الخراج، ص ٧٥.
- (١٣٥) ابن سعد، الطبقات، ح ٥، ص ٢٨٣.
- (١٣٦) أبو يوسف، الخراج، ص ٧٥.
- (١٣٧) البلاذري، أنساب الإشراف، ق ٢، ص ١٣٧.
- (١٣٨) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢؛ ابن زنجويه، الأموال، ص ٦٧.
- (١٣٩) أبو عبيد، الأموال ص ٥٢، ابن زنجويه الأموال ص ٦٧.
- (١٤٠) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص ٥٣.
- (١٤١) م.ن.
- (١٤٢) ابن زنجويه، كتاب الأموال، ص ٦٨.
- (١٤٣) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص ٥٣؛ ابن زنجويه، الأموال، ص ٦٨.
- (١٤٤) ابن زنجويه، كتاب الأموال، ص ٦٩.
- (١٤٥) م.ن.

(١٤٦) يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ٢٠٠١، هامش ، ص٢٦٣-٢٦٥، نقلاً عن كتاب مولر، تاريخ الإسلام في المشرق والمغرب، حـ١، ص ٤٣٩ فما بعدها، نقلاً فيه تعرف عن كتاب فون كريمر تاريخ حصتك المشرف، حـ١، ص ١٧٤ وما بعدها.

(١٤٧) م. ن.

(١٤٨) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٢٩٦.

(١٤٩) م. ن ، ص٢٩٦.

(١٥٠) أبو عبيد، الأموال، ص٢٦٥.

(١٥١) ابن زنجويه، الأموال، ص٦٥.

(١٥٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، حـ٢، ص٢١١.

(١٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ٨، ص١٩٨.

(١٥٤) اليعقوبي، تاريخ، حـ٢، ص ٢١١.

(١٥٥) م. ن، حـ٢، ص ٢٣٩.

(١٥٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ٨، ص٢٦٨.

(١٥٧) فلهوزن، الدولة العربية، ص ٤٥٦.

(١٥٨) الطبري، تاريخ الرسل، حـ٨، ص ١٩٦.

(١٥٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤١٧.

(١٦٠) الجزية والإسلام، ص ١٩٤.

(١٦١) دانييت، الجزية والإسلام، ص ١٩٤-١٩٥.

(١٦٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ٤، ص ١٠٩.

(١٦٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٥٢-١٥٣؛ ابن آدم القرشي،

الخراج، ص٢٣.



- (١٦٤) صبح الأعشى وصناعة الانشاء، دار الكتب، مصر ١٩١٨.
- حـ ١٣، ص ٣٢٤.
- (١٦٥) يوسف يوسف، الأقباط والقومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٥٩.
- (١٦٦) الفرد. ج. بتلر، فتح العرب لمصر، ترجمة : فريد أبو حديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٣٣، ص ٤٢٦.
- (١٦٧) الكاشف، سيدة إسماعيل، مصر في الإسلام: من فتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، ص ١٩٠.
- (١٦٨) بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٣٩٢.
- (١٦٩) م . ن، ص ٣٩٢.
- (١٧٠) الكاشف، مصر في الإسلام، ص ٢٢٢-٢٢٤.
- (١٧١) سايروس بن المقفع، تاريخ بطارقة الكنسية المصرية، ننزه أيفنيس، باريس، حـ ٢، ص ٥٥.
- (١٧٢) الكاشف، مصر في الإسلام، ص ٢٢٩.
- (١٧٣) م . ن، ص ٢٢٩.
- (١٧٤) م.ن ، ص ٢٣١ - ٢٣٢.
- (١٧٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، حـ ٦، ص ٦١٧.
- (١٧٦) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٥٧.
- (١٧٧) ابن عبد الحكم، فتح مصر، ص ٢٨٩.
- (١٧٨) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ص ١١٤.
- (١٧٩) كتاب الوزراء، والكتاب، ص ٤٢.
- (١٨٠) م.ن، ص ٤٣.
- (١٨١) الكاشف، مصر في الإسلام، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(١٨٢) أرثر ستانلي ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة : حسن

حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(١٨٣) المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي، الخطط المقرئزية المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار إحياء العلوم، بيروت،

٢-، ص ٤٩٤.

(١٨٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢١٠-٢٢١.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر الأولية

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (٦٣٠هـ) .

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٩ .

٢- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٢ .

الأصطخري أبو أسحق إبراهيم

٣- المسالك والممالك ، تحقيق محمد تحقيق جابر عبد العال ، دار الثقافة الظاهرة ، ١٩٦١ .

ابن آدم القرشي ، أبو زكريا يحيى بن سليمان ، (٢٠٣هـ) .

٤- كتاب الخراج ، صححه وشرحه أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٣٩ .

البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ) .

٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣ .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، (٢٧٩هـ) .

٦- فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٧- أنساب الأشراف ، مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٤٠ .

البيروتي ، أبو الريحان محمد بن أحمد (٥٤٠هـ) .

٨- الآثار الباقية عن العزون الخالية ، مطبعة ليزك ، ١٩٣٣ .

البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ)

٩- السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ .

ابن خردادبة ، أبو القاسم عبد الله ، (٢٥٠هـ) .

- ١٠- المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- خليفة بن خياط ، أبو عمر العضوي ، (٢٤٠هـ) .
- ١١- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٦٧ .
- الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٣٨٧هـ) .
- ١٢- مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر (٢٥٥هـ) .
- ١٣- البيان والتبيين ، تحقيق فوزي عطوب ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، (٥٩٧هـ) .
- ١٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة المعارف العثمانية ، حيد آباد ، ١٣٥٩هـ .
- الجشيارى ، محمد بن عبد رس (٣٣١هـ) .
- ١٥- كتاب الوزراء والكتاب ، مطبعة الباني الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) .
- ١٦- المحبر ، المكتب التجاري ، بيروت .
- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (٨٥٢هـ) .
- ١٧- تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٥هـ .
- ديونيسيوس التلمحري .
- ١٨- التاريخ المنحول ، ترجمة عن السريانية يوسف مني إسحاق ، الجامعة الأمريكية ، بيروت .
- الدينوري ، أبو حنيفة (٢٨٢هـ) .

- ١٩- الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عباس وجمال الشيال ، دار إحياء التراث.
- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ) .
- ٢٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ، تحقيق عمر الطباع ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٩ .
- ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد .
- ٢١- كتاب الاستخراج لأحكام الخراج ، تحقيق محمد إبراهيم الناصر ، ١٤١٢ .
- ابن رسته ، أحمد بن عمر .
- ٢٢- كتاب الأعلام النفسية ، تحقيق ف . وستفد ، ليدن ١٩٨١ .
- ابن زنجويه ، أبو أحمد حميد بن مخلد (٢٥٦هـ) .
- ٢٣- كتاب الأموال ، تحقيق شاكر ديب فياض ، الرياض ، ١٩٨٦ .
- سايروسن بن المقفع .
- ٢٤- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، نشر نزه إيفنيس ، باريس .
- ابن سعد ، محمد بن منيع (٢٣٠هـ) .
- ٢٥- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .
- الشافعي ، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ) .
- ٢٦- كتاب الأم ، أشرف علي طبعة محمد النجار ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- الشوكاني ، محمد بن علي (١٢٥٠هـ) .
- ٢٧- نيل الأوطار ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- الصابي ، أبو الحسن الهلال بن المحسن (٤٤٨هـ) .
- ٢٨- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار ، أحمد فرج ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ .

- الصولي ، أبو بكر محمد (٣٣٥هـ) .
- ٢٩- أدب الكتاب ، تصحيح وتعليق محمد بهجة الأزي ، القاهرة ، ١٣٤١هـ .
- الطبري ، جعفر بن جرير (٣١٠هـ) .
- ٣٠- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ابن عباد ، إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ) .
- ٣١- المحيط في اللغة ، تحقيق حمد آل ياسين ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (٣٢٨هـ) .
- ٣٢- العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٣ .
- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن علي (٢٥٧هـ) .
- ٣٣- فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق شارلز توري ، ليدن ، بريل ، ١٩٢٠ .
- ابن عبيد ، القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) .
- ٣٤- كتاب الأموال ، تحقيق محمد حامد تقي ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ابن فارس ، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)
- ٣٥- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الباني الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- قدامة بن جعفر ، أبو الفرج (٦٢٠هـ) .
- ٣٦- الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ .
- ابن قدامة أبو محمد عبد الله المقدسي (٣١٠هـ) .

- ٣٧- المغني ، مكتبة الرياض ، السعودية .
- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ) .
- ٣٨- أحكام أهل الذمة ، تحقيق يوسف البكري ، السعودية ، ١٩٩٧ .
- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (٤٥٠هـ) .
- ٣٩- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة الباني الحلبي ، ١٩٦٠ .
- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ) .
- ٤٠- الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ) .
- ٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- المقدسي ، المطهر بن طاهر .
- ٤٢- البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- المقريزي ، أبو العباس أحمد بن علي (٨٤٥هـ) .
- ٤٣- الخطط المقرئية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار إحياء العلوم ، بيروت .
- القلقشندي ، أحمد بن علي ، (٨٢١هـ) .
- ٤٤- صبح الأعشى في صناعة الأنس ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٨١ .
- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله .
- ٤٥- كتاب الأوائيل ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، المدينة المنورة .
- ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم (٧٧١هـ) .
- ٤٦- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- اليقوبوي ، أحمد بن أبي يعقوب (٢٩٢هـ) .
- ٤٧- تاريخ اليقوبوي ، دار صادر ، بيروت .
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ، (١٨٢هـ) .

٤٨- كتاب الخراج ، دار النعرفة ، بيروت .

### المراجع

٤٩- أرثر ، ستانلي ، أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٥٠- أربي راج ، تراث فارس ، تعريب محمد كفاقي ، مراجعة يحيى الخشاب ، دار إحياء الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٩ .

٥١- بارتولد ، فالسي ، الحضارة الإسلامية ، الكويت ، ١٩٨١ .

٥٢- البدرأوي ، رياض عبد الحسن ، الموقف الأموي من الموالي ، تموز للطباعة ، دمشق .

٥٣- بتلر ، الغزو ، الفتح العربي بمصر ، ترجمة فريد أبو حديد ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

٥٤- بينز ، نورمان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد ، لجنة النشر والترجمة والتأليف ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

٥٥- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، مكتبة النهضة ، بيروت ، ١٩٩٧ .

٥٦- جمور ، عرفان محمد ، أسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت ، ١٩٩٧ .

٥٧- جرجي زيدان ، تاريخ التحدث ، بيروت .

٥٨- الجمال ، محمد عبد المنعم ، موسوعة الاقتصاد المصري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٥٩- الدوري عبد العزيز ، العصر العباسي الأول ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ١٩٧٢ .



- ٦٠- دينيت دانيال ، الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهمي جلال الله ، مكتبة الحياة.
- ٦١- الرئيس ، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ٦٢- سحاب ، فكتور ، إيلاف قريش ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ٦٣- الشريف ، عون ، منشأة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ، جامعة الخرطوم .
- ٦٤- الكاتب ، غيداء خزنة ، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ٦٥- الكتاب المقدسي ، منى ، يشوع .
- ٦٦- الكاشف ، سيدة إسماعيل ، مصر في الإسلام من الفتح حتى قيام الدولة الطولنية ، مصر .
- ٦٧- كرستين آرثر ، إيران في عهد الساسانية ، ترجمة على الحساب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ٦٨- علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٦٩- فان فلوطن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وزكي إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٧٠- فلهوزت ، بوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- ٧١- طه عبد الواحد ذنون ، الحجاج في عهد الحاج بن يوسف ، بغداد ، ١٩٨٥ .

- ٧٢- وليد ، دونالد ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد المنعم محمد حنين ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٥ .
- ٧٣- ماجد عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ١٩٥٧ .
- ٧٤- يوسف اليوسف ، الأقباط والقومية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

# الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام

أ.م.د. عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي

استاذ السيرة النبوية

الجامعة العراقية / كلية الآداب

## ملخص البحث

فإنَّ دراسة الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام تستأهل استقراغ الجهد فما من دارس لمجتمع مكة بعد الإسلام، إلا ويستدعي منه التعرف على ديانتهم وأخلاقهم ونظم حياتهم قبيل الإسلام.

فمجتمع مكة، له موقفان، موقف العداء، وموقف الولاء، وقبيلة قريش هي التي انبعث منها رسول الله ﷺ، وكان من أبناء قريش آلاف الصحابة، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والقواد الذين ثبتوا الدولة الإسلامية، وحملوا راية التوحيد إلى المجال العالمي، فكان تحت قيادتهم هذا البناء الضخم.

ومكة هذه انفردت بمزايا متألقة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما صباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق، ولذلك كان لقريش سيطرتهم على سدانة الكعبة، فكانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء .

ومن هنا، أصبحت مركزاً جذاباً، ولها مساس في قلب كل المسلمين، وكما ذكرت هفت إليها أرواحهم، وتاقت إليها مشاعرهم، وزاد حنينهم لزيارة ذلك المكان المبارك.

### Issue Abstract

The study of the general characteristics of the community such as Mecca, Islam vomiting effort worthy of what the student community to Islam after Mecca, but requires him to identify their religion and morals and life systems such as Islam.

The community of Mecca, his two positions, hostility position, and the position of loyalty, and the Quraysh tribe is boiled off, the Messenger of Allah ﷺ, and it was the people of Quraish thousands of companions, and had them Caliphs, and pimp who held fast to the Islamic state, and carried the banner of monotheism to the world area, was under their command This huge building.

Mecca and this is alone the benefits of radiant, on the basis of religious position, and when her youth by God from the exploits, has been associated with the old House geographically, and therefore it was Quraish control over the stewardship of the Kaaba, was the Arabs prefer Quraysh in everything.

Here it is, has become an attractive center, and has a prejudice in the heart of every Muslim, as I mentioned Haft to their lives, and yearned to their feelings, and increased nostalgia to visit this holy place.



## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإنَّ دراسة الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام تستأهل استقراغ الجهد فما من دارس لمجتمع مكة بعد الإسلام، إلا ويستدعي منه التعرف على ديانتهم وأخلاقهم ونظم حياتهم قبيل الإسلام. فمجتمع مكة، له موقفان، موقف العداء، وموقف الولاء، وقبيلة قريش هي التي انبعث منها رسول الله ﷺ، وكان من أبناء قريش آلاف الصحابة، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والقواد الذين ثبتوا الدولة الإسلامية، وحملوا راية التوحيد إلى المجال العالمي، فكان تحت قيادتهم هذا البناء الضخم.

ومكة هذه انفردت بمزايا متألفة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما صباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿١﴾، ولذلك كان لقريش سيطرتهم على سدانة الكعبة، فكانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء (٢).

ومن هنا، أصبحت مركزاً جذاباً، ولها مساس في قلب كل المسلمين، وكما ذكرت هفت إليها أرواحهم، وتاقت إليها مشاعرهم، وزاد حنينهم لزيارة ذلك المكان المبارك.

وهنا تكمن أهمية موضوع البحث وسبب اختياري إياه.

**منهج البحث:** حاولت في هذه الدراسة التاريخية، أن أكون متوسطاً بين الاطناب والإيجاز، مازجاً بين أصالة القديم وروح المعاصرة فيما بين المصادر القديمة، والمراجع الحديثة، أو فيما بين العناوين وأسلوب العرض.

**خطة البحث:** قسمت البحث بعد المقدمة، على ستة مطالب، وخاتمة، وأتبع ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي كوَّنت لُحمة البحث وسُداًه.

ذكرت في المقدمة، فكرة البحث، وأهمية دراسته، والفائدة المرجوة من ورائه مع بيان منهج البحث فيه.

أما **المطالب**، فهي على النحو الآتي:

**المطلب الأول:** تناولت فيه جغرافية مكة المكرمة، وتاريخها، وتركيب سكانها.

**المطلب الثاني:** خصصته عن الحالة الاجتماعية، وجزأته على محورين:

- **المحور الأول:** العادات والأعراف الاجتماعية.
  - **المحور الثاني:** الأسرة وعلاقة الرجل بأهله وبني عمه وقبيلته.
- المطلب الثالث:** كان عن الحالة الدينية ومعابدات المكيين.
- المطلب الرابع:** عرضت فيه الحالة التجارية ومصادرهما.
- المطلب الخامس:** تركز على إدارة مكة ونظام الحكم فيها.
- المطلب السادس:** اشتمل على الحالة الثقافية، وتوضيح لمعنى كلمتي (الأمية والجاهلية) الواردتان في القرآن الكريم والسنة النبوية.

**أما الخاتمة:** فلخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الدراسة، وبناءً على ما تقدم ذكره فإنّ ما في هذه الدراسة التاريخية من سعة موضوعها، وتشعُّب جوانبها، أرجو أن أكون قد وفقت إلى إبراز النقاط الجوهرية لصلب موضوعي، ولم أَلْ جهداً في تقصي الحقيقة، فقد كانت حريصاً في انتهاج حقائق البحث العلمي المعاصر، ولا أدعي العصمة لما كتبت، فما فيها من صحيح فهو من آلاء الله عليّ، وما جاء فيها من خطأ فهو محض اجتهادي، وعذري أنني اجتهدت الصواب وقصدته: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

### المطلب الأول: جغرافية مكة وتاريخها، وتركيبها السكاني

مكة: يجدر بنا معرفة تاريخ مكة، وتحديد الزمن الذي أصبح فيه هذا المكان بلداً وهذا ما لم أعثر عليه بشكل مؤكد لبداية سكنى هذا الوادي، يرجع إلى أيام سيدنا إبراهيم وأبنة إسماعيل -عليهما السلام- أي في التاسع عشر قبل الميلاد، فقد كانت هاجر ورضيعها إسماعيل عليه السلام أول الساكنين بمكة، ثم جاءت قبيلة جرهم من اليمن فاستقرت إلى جوار زمزم، ثم ابتنى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- الكعبة المكرمة وهي أول بيت لعبادة الله <sup>(٣)</sup>. وعمدتنا في توثيق هذا القول، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ <sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ <sup>(٥)</sup> وفي هذا المكان قامت مكة المشرفة.

جغرافية مكة: تقع مدينة مكة في بلاد الحجاز في واد منبسط من أودية جبال السراة، تحيط به الجبال الجرداء من جميع الجوانب إلا من ثلاثة منافذ تصلها بطرق اليمن والشام وفلسطين، ومن أسفل جبل احياء، إلى ظهر جبل قينقاع مثل ذلك <sup>(٦)</sup>.

ومن جراء هذا الوضع الجغرافي، لم تسقط فيها الأمطار، إلا بصورة غير منتظمة في فصل الشتاء وأوائل الربيع وبصورة شديدة فتسبب سيول جازفة في الوديان والشعاب مما قد يلحق الأضرار بالأبنية التي تقع في بطون الوديان، كما كان يحصل للكعبة المشرفة، ولذا فقد عرفت بأنها: ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ <sup>(٧)</sup> كما جاء في القرآن الكريم.

ولولا وجود بعض المياه الجوفية التي تم استخراجها بحفر الآبار، لأصاب أهل مكة عنناً لا طاقة لهم به <sup>(٨)</sup>.

التركيب السكاني: يتكون سكان مكة من طبقات ثلاث:

(١) **الطبقة الصرحا أو الصليبية:** هم كل من ينتمي إلى قريش، وهو فهد بن مالك، فإن البطون القرشية التي نزلت مكة كلها تنتمي إليه، ومن مجموعها تكونت القبيلة التي عرفت بهذا الاسم (قريش) وقد جعل القرشيون من أنفسهم أصل المجتمع المكي، وكل من عداهم من العرب الأحرار، وانظم إليهم عن طريق التبعية بالحلف أو الجوار، وقد تميزت قبيلة قريش على قسمين، فالقسم الذي سكن الوادي بجوار البيت عرف بقريش البطاح، والقسم الذي سكن على أطراف مكة عرف بقريش الظواهر<sup>(٩)</sup>.

(٢) **طبقة الحلفاء:** هم الذين لا تربطهم مع القبيلة روابط الدم والنسب، وإنما انظموا إليها لأسباب عدة كزواجهم من القبيلة، أو هروبهم من قبيلتهم الأولى وغيرها<sup>(١٠)</sup>. وكانت مكة ملجأ لكثير من العائدين بحرمتها، لوحدة أهلها، ولذلك كثر الموالي والحلفاء في قريش<sup>(١١)</sup>.

(٣) **طبقة العبيد أو الأرقاء:** هم الذين يقومون بخدمة بيوت القبيلة وغالباً يكونون من أسرى الحرب، وعن طريق الشراء من الأسواق، أو استقدامهم من الحبشة لهذا الغرض، ولذلك سُمّوا بـ (الأحابيش)، وكانت هذه الطبقة كبيرة العدد بمكة نظراً لأعمال أهل مكة التجارية الواسعة، وقد كان هؤلاء العبيد من:

(أ) أصل أفريقي اشتراهم أثرياء مكة للعمل لهم في مختلف الأعمال ولخدمتهم.

(ب) الأسرى البيض الذين كانوا يقعون في أيدي الفرس والروم أو القبائل المغيرة على الحدود، فيباعون في أسواق النحاسية، ومنها ينقلون إلى انحاء الجزيرة العربية للقيام بمختلف الأعمال. وكانوا أعلى ثمناً من الرقيق السود لأنهم أكثر ثقافة<sup>(١٢)</sup>.



وكانت القبيلة<sup>(١٣)</sup> الأساسية، فيما منذ منتصف القرن الخامس الميلادي، هي قبيلة قريش التي جمعها قصي بن كلاب وأنزلها مكة بعد إجلائه قبيلة خزاعة عنها.

### المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

من المعلوم، أنّ مكة المكرمة تقع بواد غير ذي زرع، غير أن المصادر التاريخية لم تزودنا بمعلومات دقيقة عن الحياة الاجتماعية في مكة قبل استقرار قبيلة قريش فيها بحدود منتصف القرن الخامس الميلادي<sup>(١٤)</sup>، كما لو تزودنا المصادر التاريخية برصد واضح عن عدد سكان مكة في زمن قصي بن كلاب الذي انتهت إليه السيادة المطلقة في مكة<sup>(١٥)</sup>، فكانت إليه الحجابة<sup>(١٦)</sup>، والسقاية<sup>(١٧)</sup> والرفادة<sup>(١٨)</sup>، والندوة<sup>(١٩)</sup>، واللواء<sup>(٢٠)</sup>، فحاز شرف مكة كله<sup>(٢١)</sup>.

والذي نريد التركيز عليه، في هذه الحالة على جانبين:

(١) العادات والأعراف الاجتماعية.

(٢) الأسرة وعلاقة الرجل بأهله.

### (١) العادات والأعراف الاجتماعية:

المجتمع المكي، شأنه شأن سائر الأمة العربية في عموم الأخلاق التي كانت مألوفة عندهم، ومن العادات والتقاليد الحسنة وأقرّها الإسلام:

#### أ) الإيمان بالله وبغيره.

عرف مجتمع ما قبل الإسلام، الإيمان بالله والقسم بغيره<sup>(٢٢)</sup>، وقد أكد القرآن العظيم القسم بالله عندهم، بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾<sup>(٢٣)</sup>.

فأقر الإسلام الإيمان والقسم، لكنه هذب ذلك، فجعل اليمين مختصة بالله تعالى ناهياً عن الحلف بغيره سبحانه، لقوله ﷺ: ((من أراد أن يحلف فليحلف بالله، أو ليذر)<sup>(٢٤)</sup>.

#### ب) مكارم الأخلاق:

مجلة مداد الآداب

وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل  
البراجم، وتنف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، وقال الراوي -  
نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة<sup>(٣٠)</sup>.

وعموماً فقد (كانت طبائعهم تتراءى فيها الفطرة الإنسانية السليمة  
التي لم تتصهر بعد في أي بوتقة محولة، إلا أنهم كانت تعوزهم المعرفة  
التي تكشف لهم الطريق إلى ذلك)<sup>(٣١)</sup>.

#### العادات والتقاليد التي شجبتها الإسلام:

لم تقتصر العادات الموجودة لدى مجتمع ما قبل الإسلام على  
العادات الحسنة، وإنما فشّت فيهم العادات البتراء التي استحقوا أن يوصفوا  
بجاهلية لتمسكهم بها ودفاعهم عنها، ومنها:

القمار والميسرة، القيان، مجالس اللهو، أكل أموال الناس بالباطل،  
غط الناس<sup>(٣٢)</sup>، وأمام هذه المثالب، قال القرآن المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَصْأَبُ وَالْأَزْكَامَ رِجْسًا مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣٣)</sup>.

ومن عاداتهم قتل أولادهم خشية الفقر، فوبخهم الله بقوله: ﴿وَلَا  
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ مِّنْ إِنْمَالِكُمْ  
مِّنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾<sup>(٣٤)</sup>.

ومن عاداتهم: الحسد واللمز والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد،  
فخوفهم القرآن العظيم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ  
بِمُعَذِّبِينَ﴾<sup>(٣٥)</sup>.

﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ  
أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الَّتِي مَوْفَدُهُ  
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ ۝٦ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٧ فِي عَمْدٍ مُّتَدَدَةٍ ۝٨﴾<sup>(٣٦)</sup>.  
ومن أخلاقهم التي هدمها الإسلام:

ما قاله ﷺ: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنائحة)) (٣٧).  
أما المأكولات فهي تعود إلى العرف والبيئة، وقد وضّح القرآن المعجز الذبائح المحرمة التي كان العرب قبل الإسلام يبيحونها لأنفسهم، فقال: ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَّةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فُسْقٌ﴾ (٣٨).

## ٢) الأسرة وعلاقة الرجل بأهله وأولاده وبني عمه وقبيلته :

المتأمل في تاريخ العرب قبل الإسلام، يرى واضحاً أن المرأة العربية كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية، فكانت تستشار في مهام الأمور، بل تشارك الرجل في كثير من أعماله (٣٩).

وكان اهتمام العرب بارزاً في اختيار زوجاتهم، فحرصوا على أن تكون الزوجة من المنجبات المتوفرة فيهن النجابة والذكاء والجمال، فعليها يتوقف مستقبل العشيرة ومكانة الجيل الجديد.

وينتج عن المصاهرة بين الاثنين ألفة بين القبيلتين وموالة بين العشيرتين (٤٠) وبالجملية فإنّ المنتبغ لأشعار العرب لا يشمّ منها رائحة الصغار والإهانة للمرأة، فجميع الشعراء - تقريباً - قصائد لهم التي بها يفاخرون بمحامد قومهم لا يذهبون إلى شيء من ذلك حتى يعطوا المرأة قسطها مما يحب النسيب، ويرون أن شعرهم بدون ذلك يفقد العطر، وتلمس هذا في أشعار حاتم الطائي - شيخ الكرام - وعنتر بن شداد العبسي - شيخ الشجعان (٤١) - وغيرهما.

من أجل ذلك، يمكننا القول: أن علاقة الرجل العربي بأهله كانت على درجة من الرقي والاحترام أكثر مما يخيّل إلينا.

وكان جمهور العرب يقترونون بالزوجة بعد رضاء أهلها، كما كان كثير منهم يستشيرون البنات في أمر زواجهن. وينبغي ألا نخلط بين هذا الارتباط بالزواج وبين غيره مما عُرف عن بعض العرب من اجتماع الرجل بالمرأة بغير هذه الطريقة، وهذا الأمر لم يكن يستحسنه جمهور العرب مع ما عرف عنهم من غيرة على الأهل ومحافظة على الشرف، حتى كان من النادر أن يرى الإنسان بنتاً بالغة قد أدركت سنّ الزواج، أو أرملة صغيرة في سنّ لم تتزوج<sup>(٤٢)</sup>.

ولكن على الرغم مما سلف، فلا يعني أن المرأة لم يصحبها بخس أو تعسف أو اضطهاد، فقد منيت المرأة في طور الجاهلية بآلام وجروح اجتماعية على صعيد النكاح، والميراث، والطلاق.

فقد اتخذ النكاح صوراً متغايرة، نوع واحد منه أقرّه الإسلام فقط وهو أن يخطب الرجل امرأة من وليّ أمرها، لقاء مهر وشاهدين وبرضا المرأة، (وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا النحو في النكاح، فإن الله استخلص رسوله ﷺ ( من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة )<sup>(٤٣)</sup>.

أما بقية الأنكحة، فقد أبطلها الإسلام ولم يتعرف بها بحال، مثل:

**نكاح المقت:** وهو زواج الرجل امرأة أبيه بعد وفاته<sup>(٤٤)</sup>، وفي تحريم هذه الظاهرة قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٤٥)</sup>.

**نكاح الشغار:** أن يُزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق، وفي تحريم هذا النمط، قال ﷺ: ((لا شغار في الإسلام))<sup>(٤٦)</sup>.

**نكاح البدل:** إن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك.

**نكاح الزائدة على الأربع:** هو أن يجمع الرجل ما يشاء من النساء<sup>(٤٧)</sup>.

هذا ما ألفه بعض العرب قبل الإسلام- وهم الندرة- ومن الحصافة- كما أرى- ألا تُعمّم الأنكحة المقيّنة على قريش، وكثير من قبائل العرب.

وحسبنا أن نعلم أنه لم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً، ولا يجال عليها السهام<sup>(٤٨)</sup>. وهذا مما امتازت به المرأة في مكة.

ومن عادات العرب ألا يُزوّجوا بناتهم لغير العرب، ولقد حاول كسرى- ملك الفرس- مرة أن يخطب لنفسه من بنات تابعه النعمان بن المنذر- ملك الحيرة- فرفض، وقد دفع النعمان حياته لموقفه ذلك.

ولم يكن عند العرب حدّ لتعدد الزوجات، فقد جاء الإسلام وتحت الرجل الواحد ثمان نسوة، أو عشر، فحصرهن على أربع قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدُوا فَوَاحِدَةً﴾<sup>(٤٩)</sup>.

ومما لاقتة المرأة من هضم لبعض حقوقها قبل الإسلام: عدم الميراث، فقد كان العرب يُورثون بشيئين:

(١) **النسب:** وهم الأبناء الكبار الذي يقاتلون على الخيل، ومن هنا كانوا لا يُورثون النساء والأطفال، وحجتهم: (لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحازم الغنيمة)<sup>(٥٠)</sup>.

(٢) **السبب:** ويشمل التبني، الحلف، المعاقدة. وعليه، فالزوجة كل ما تتركه يكون من حظ زوجها، دون أولادها وأقاربها، على حين أنها لا ترث زوجها في شيء. ومما عانتة المرأة أيضاً، ما كان عليه أمر الطلاق (كان الرجل في الجاهلية يُطلق امرأته ثم يرجعها قبل أن تنتقضي عدتها، ولو طلقها ألف مرة كانت القدرة على المراجعة ثانية له)<sup>(٥١)</sup>.

وليس هذا فحسب، فهناك ما هو أدهى وأمر: **طلاق العضل:** هو أن يُطلق الرجل زوجته ويفارقها، ثم تدركه الغيرة فلا يأذن لها بالزواج من آخر.

ومن المآسي التي حاقت المرأة أنه شاع في بعض المجتمعات أسد وتميم: وأد البنات.

**والوآد:** هو دفن البنات وهن أحياء خوفاً من العار، فكانوا يحفرون حفرة فإذا ولدت الحامل بنتاً ولم يشأ أهلها الاحتفاظ بها رموا بها في الحفرة، وهذا من إشتطاط الحرص.

ويقال أول من وأد بناته قبل الإسلام: قيس بن عاصم التميمي ويبدو لنا بالنسبة إلى ما نسب لـ (قيس بن عاصم) أنه أول من وأد بناته، فيه نظر: لأنه ممن أدرك الإسلام، وأعلن إسلامه، والمتأمل يستبعد التوفيق بين بداية الوآد وإسلام قيس، فالوآد عند ظهور الإسلام وشيك الانقراض.

#### والذي نخلص إليه :

أن حياة المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام بين جانبيين متناقضين: جانب سلبي، وآخر إيجابي.

أما معاملة العرب لأبنائهم الذكور فكانت تتطوي على الحنان والمحبة إلا قليلاً من الفقراء والضعفاء كانوا يقتلون أولادهم مخافة الإملاق - وهذا الأمر لا يصح نسبته إلى العرب قاطبة، فما يشيع في مجتمع ضيق لا يتحملة المجتمع كله - وأما معاملتهم للأخ وابن العم، فكانوا ينصرونهم أخطأوا أو أصابوا، عدلوا أو ظلموا.

**لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا**

هذا حال العربي مع أهله وأخيه وبني عمه<sup>(٥٢)</sup>.

#### أما علاقة العربي مع قبيلته، فتتلخص:

إذا جني أحدهم جناية حملتها قبيلته، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة ولرئيسها خيرها وإذا أبت قبيلته أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاه، وحسب نفسه أحد أفرادها، الشعور بارتباطه بقبيلة يحميها وتحميه هو المسمى بالعصبية.

وبلغ من التعصب للقبيلة، أن قال دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد<sup>(٥٣)</sup>

### المطلب الثالث: الحالة الدينية

إنَّ أصدق مصدر يبني عقائد العرب قبل الإسلام، ومنهم أهل مكة هو القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو مرآة الحياة الجاهلية، وذلك من خلال الآيات المكية التي تناولت عقائد المكين، ووضحت أنَّ العرب المشركين كانوا يقرون بأنَّ الله هو خالق الكون والحياة والمدبر لأمرهما نحو قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>(٥٤)</sup>.

فمسألة الربوبية لم يختلف فيها أحد، الخلاف في مسألة كونهم لم يخلصوا الله وحده بالعبودية، هذا هو الذي حصل فيه الخلاف<sup>(٥٥)</sup>.

إنَّ إيمانهم بالله على النحو المشار إليه آنفاً، لم يجعلهم يتجهون إليه وحده بالعبادة، بل أنهم عبدوا إلى جانبه آلهة وأصناماً على أمل يجعلهم يتجهون إليه زلفى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٥٦)</sup>.

فهم يعرفون الله لكنهم يستشفعون إليه بالآلهة المزعومة كما ذكر القرآن الكريم: ﴿أَيُّكُمْ لَشَّهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟﴾<sup>(٥٧)</sup>.

إن هذا الاعتقاد يدل على أنَّ المشركين كانوا يرون أنَّ آلهتهم التي يشركونها في عبادة الله أقل منزلة من الله غير أنها على الرغم من ذلك تتمتع بحظوة خاصة عند الله لكونها قادرة على الشفاعة لهم عنده<sup>(٥٨)</sup>.

وتبع الانحراف في العقيدة: انحراف في العبادة والسلوك والشعائر والشرائع، فإذا بمناسك الحج تدخلها الوثنية، حيث وضعت الاصنام حول الكعبة وجرى الطواف حولها، بالتعري من الثياب أحياناً، وأصبحت



قريش لا تخرج إلى عرفات بل تقف بمزدلفة خلافاً للناس، وكانوا يُسمُّون "الحمس" (٥٩).

فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، ذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ﴾ (٦٠).

ومن زيادتهم ونقصانهم في العبادة أيضاً: كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور. ويرون تحريم الجمع بين الحج والعمرة، حتى جاء الإسلام فجوز الجمع بين الحج والعمرة. ومما زاده في العبادة: المكاء والتصدية في المسجد الحرام وهما الصغير والتصفيق، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (٦١).

ومن ذلك استسقاؤهم بالأنواء وذبحهم على النصب تعظيماً للأصنام ومن معتقداتهم: إنكار البعث: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعُثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ﴾ (٦٢).

وكان أول من أدخل الشرك إلى أرض العرب، وحملهم على عبادة الأصنام: "عمرو بن لحي بن قمة جد خزاعة" حيث جاء من أرض البلقاء بصنم يقال له: (هبل) فنصبه في مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (٦٣).

وبهذا يتبين تاريخ تحول العرب عن عبادة الله إلى الوثنية.

#### معبودات المكيين:

من معبودات أهل مكة الوثنيين:

مناة: وكانت منصوبة على البحر بناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة، وكانت قريش تعظمها.

العزى: وكانت أعظم الأصنام عند قريش (٦٤).

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرائيق العلى، إن شفاعتهن لترتجى.

كما كانوا يقولون: بنات الله وهن يشفعن إليه<sup>(٦٥)</sup>. فأُنزل الله:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٦) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (١٧) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (١٨) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (١٩) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾<sup>(٦٦)</sup>.

وهكذا انتشرت عبادة الأوثان في الجزيرة العربية وشاع في أهلها الشرك، فانسلخوا بذلك مما كانوا عليه من عقيدة التوحيد واستبدلوا بدين إبراهيم، وإسماعيل -عليهما السلام- غيره، وانتهوا إلى مثل ما انتهت إليه الأمم الأخرى من الضلالات والقبائح في المعتقدات والأفعال<sup>(٦٧)</sup>. وكان بين العرب أناس مستتبIRON فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها، ودعوا إلى نبذ عبادة الأوثان والتخلص من عادات الجاهلية كؤاد البنات وشرب الخمر ولعب الميسرة<sup>(٦٨)</sup>.

وممن اشتهر من هؤلاء أربعة نفر، ثلاثة من قريش والرابع من حلفائهم.

فالقريشيون: زيد بن عمرو بن نفيل العدوي بن عدي بن كعب، وعثمان بن الحويرث الأسدي بن عبد العزى، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي<sup>(٦٩)</sup>.

الرابع: عبيد بن جحش الأسدي بن خزيمة وأمه أمية بنت عبد المطلب<sup>(٧٠)</sup>، وتوضيح المصادر أنّ عدد الأحناف لم يقتصر على هؤلاء الأفراد من قبيلة قريش، بل ذكر أفراداً آخرين من قبائل شتى منهم: أمية بن الصلت، وقيس بن ساعدة الأيادي، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس من

بني النجار في يثرب، وخالد ابن سنان من بني عبس، أكثم بن صيفي وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام<sup>(٧١)</sup>.

الزلم: القدح الذي لا ريش عليه، والأزلام مكتوب عليها: أمر ونهي وأفعل، ولا تفعل.

وبرغم ما كان للعرب من الأصنام والأوثان، فأنهم كانوا يُعظمون الكعبة ويجعلونها فوق إجلالهم لأي معبود آخر<sup>(٧٢)</sup>.

ويظهر سبب عبادة الأصنام، بما رواه البخاري عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾<sup>(٧٣)</sup>.

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى لهم الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك عبدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب<sup>(٧٤)</sup>.

#### وصفة القول:

إنّ ديانة المشركين تقوم على الإيمان بالله بأنه الخالق، وعلى الإيمان بتعدد الآلهة، وأنها رموز مقربة إلى الله، هكذا كانت عبادتهم وحياتهم أدينية قبل الإسلام، وهو شرك، وعبادة غير مقبولة عند الله، ومن يقرأ كتاب الأصنام وهو أهم مرجع في هذا الباب يصل إلى حقيقة كبرى هي: أنّ عبادة الأصنام عند العرب لم تكن أمراً جاداً لأنّ فيها كثير من الإهانات للأصنام من عابديها أتباعها تحدث من حين إلى آخر.

#### المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية

أوضح القرآن الكريم، على لسان إبراهيم عليه السلام، موقع مكة بأنه غير ذي زرع: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمُحَرَّمُ ﴿٧٥﴾، ولما كانت بلداً غير ذي زرع، فقد اعتمدت على التجارة وما يجلب لها من الخارج.

ومما ساعدها في نمو تجارتها: موقعها الجغرافي، فهي تقع على طريق القوافل التجارية، [ وبذلك فإن مكة ارتبطت بنظام المحطات التجارية الذي أنشأته حكومات اليمن القديمة] (٧٥). بين اليمن جنوباً، والشام شمالاً وكانت قوافل قريش تحمل من أسواق صنعاء: البخور والعطور (٧٦) والحجارة الكريمة وتحمل الجلود ذات الرائحة الطيبة، وتحمل من الشمال: القمح والدقيق والزيت والخمر (٧٧).

وبلغ من اهتمام القرشيين بالتجارة أنهم كانوا يرحلون رحلتين في العام: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لِّلْفِهِمْ رِحْلَةٌ ۚ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٧٨).

إنّ هذا التعامل التجاري الواسع لتجار مكة فرض عليهم التعامل بمختلف أنواع العملات، وكان من أبرزها الدينار البيزنطي، وهو عملة ذهبية، والدرهم الساساني وهو عملة فضية، ولما لم يكن لأهل مكة عملة خاصة بهم فإنهم كانوا يتعاطون العملتين ويقدرن قيمتهما على أساس وزنها باعتبارها معدناً من المعادن (٧٩).

وتشير المصادر إلى أن تجار مكة لم يقتصرُوا اهتماماتهم الاقتصادية على التجارة، بل تعدوا ذلك إلى استثمار أموالهم في الزراعة خارج مكة وبخاصة في منطقة الطائف، فقد ذكر أنه [ كانت للعباس بن عبد المطلب أرض زراعية وكان الزبيب يحمل فيها فينبذ في السقاية

للحاج وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتون بها من مكة فيصلحونها<sup>(٨٠)</sup>.

وكان الربا مظهراً من مظاهر الحركة الاقتصادية التجارية، وكان أهل مكة يعملون عليه كثيراً في تنمية ثرواتهم<sup>(٨١)</sup>، ويذكر المسعودي، أنّ زعماء قريش كانوا يفرضون ضريبة على من يدخل مكة من التجار الغرباء عن قريش عرفت بـ (العشر)<sup>(٨٢)</sup>، وقيل: أن قريشاً سميت بهذا الاسم: لاشتغالها بالتجارة، فلم يكونوا أصحاب زرع، وهي من قولهم: فلان يتقرش المال أي: يجمعه<sup>(٨٣)</sup>.

وبالإضافة إلى حرفة التجارة، كان الحج من مصادر الثروة في مكة، فالحج إلى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب قبل الإسلام ووسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب للتجارة، فكانت تقام في مواسم الحج أسواق تجارية وأدبية، مثل سوق عكاظ<sup>(٨٤)</sup>، سوق مجنة<sup>(٨٥)</sup>، سوق ذي المجاز<sup>(٨٦)</sup>، وفي هذه الأسواق كان العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة يقدمون بسلعهم المختلفة وبذلك يكون للمكيين سوق تجاري للمبادلة والاستهلاك<sup>(٨٧)</sup>، وقامت في مكة صناعات بسيطة لصناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال، وكذلك عرفوا صناعة الفخار من قدور وجفان وصحافة وأباريق، وصناعة الأسرة والأرائك<sup>(٨٨)</sup>، وأدوات الكتابة من قرطاس وقلم ومداد ورقوق، وهذه الأعيان والمسميات وردت في آيات من القرآن الكريم مكية ومدنية<sup>(٨٩)</sup>.

وبفضل هذا النشاط أصبحت مكة في بداية القرن السادس للميلاد مركزاً تجارياً ومالياً خطيراً<sup>(٩٠)</sup>.

ولكن لا يعني هذا أنّ مجتمع مكة كانوا جميعاً يعيشون في بحبوحة الرفاه، فقد كان هناك بون شاسع بين عظماء مكة وسواد الناس. ولم تكن الثروة موزعة توزيعاً عادلاً، بل كانت مكدسة عند نفر احتكر

لنفسه المال والثراء. أما الأكثرون فكانوا فقراء حتى ذوي قرابة هؤلاء  
المثرين، كان أغلبهم فقراء لا يجدون منهم عوناً<sup>(٩١)</sup>.

هذا هو الواقع التجاري الذي كان قائماً في مكة عند ظهور  
الإسلام.

#### المطلب الخامس: إدارة مكة

تولى قصي بن كلاب أمر مكة منتصف القرن الخامس الميلادي،  
وبين قصي وظهور الإسلام مدة لا تزيد على مائة وخمسين سنة<sup>(٩٢)</sup>.  
وحديثنا على هذه الفترة - حصراً - ولكي تكتمل الصورة، علينا أن ندخل  
البيوت من أبوابها.

كان قصي في قومه سيداً مطاعاً معظماً، جمع قريشاً من متفرقات  
مواضعهم من جزيرة العرب، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على  
حرب خزاعة وإجلاتهم عن البيت، فملكوه<sup>(٩٣)</sup>.

وبعد موت قصي لم يصبح لقريش زعيم عام ترجع إليه القبيلة،  
وإنما أصبح يحكمها (الملاء)<sup>(٩٤)</sup>، وحرص الرجال الملاء على وحدة القبيلة  
إرضاء العشائر فاستحدثوا عشر وظائف أخرى هي:

**العمارة:** وهي مراعاة الأدب والوقار في البيت الحرام.

**المشورة:** هي أنهم لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على  
صاحبها.

**الاشناق:** هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش.

**الأعنة:** هي قيادة خيل قبيلة قريش في الحرب.

**السفارة:** هي الاتصال بالقبائل الأخرى في المناقرات  
والمفاوضات.

**الأيصار:** هي الأزام التي يضرب بها عند (هبل) كبير الأصنام في  
جوف الكعبة.

**القبعة:** هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش.

**العقاب:** هي راية قریش، وكان من واجب حامل الراية أن يخرجها: إذا حميت الحرب.

**الحجابه:** هي قفل البيت الحرام وفتحة للزائرين.

**الحكومة:** هي الفصل في المناقرات والخصومات والأموال المحجرة، وهي الأموال المسماة للآلهة<sup>(٩٥)</sup>.

وقد استمرت هذه المناصب حتى فتح مكة، حين ألغاها النبي ﷺ جميعاً إلا سدانة البيت والسقاية<sup>(٩٦)</sup>.

إن إدارة مكة مؤلفة من مجموعة متنوعة من الوظائف التي تتعاون العشائر القرشية على الاضطلاع بعبئها من خلال قيام أفراد تتوافر لديهم المؤهلات وحسن التمثيل لقومهم في تدبير شؤونها استناداً إلى قواعد الشورى والعرف السائد بين العرب، وكان يطلق على هؤلاء رجال الملاء<sup>(٩٧)</sup>.

وكان أهل ما قبل الإسلام لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، النجدة، الصبر، الحلم، التواضع، البيان.<sup>(٩٨)</sup>

ولقد قام أبناء قصي وأحفادهم بأعمال مهمة أدت إلى ازدهار مكة. ابرزت مكانتهم وفضلهم ومكنت لسيادتهم. وتمكن هاشم بن عبد مناف من عقد الإيلاف وتوسيع نطاق التجارة المكية، وقام بحفر آبار لخدمة قریش والحجيج معاً، وعرف المطلب أخو هاشم بأنسك ومكارم الأخلاق، وعرف عبد المطلب بن هاشم بالفياض لجوده، وبشبية الحمد لكثرة حمد الناس له. وهكذا فإنّ عشيرة الرسول ﷺ كانت تتبوأ مكانة اجتماعية خاصة في مكة عند ظهور الإسلام.<sup>(٩٩)</sup>

لم يكن في مكة جيش نظامي ثابت، فهي مجتمع قبلي، وكان جيشها يتألف من رجال القبيلة أنفسهم ومن ينظم إليهم من رجال القبائل الأخرى التي ترتبط معهم برباط الحلف.

وتقدر قوة قريش الذاتية ألف ونصف من المحاربين<sup>(١٠٠)</sup> ، ولكن تستطيع أن تستأجر المحاربين أو تجمع من أحلافها بما يفوق هذا العدد بكثير [ إن قريشاً جمعوا واستأجروا حياً من قبائل العرب فسارت غطفان وأسد وسليم وقريش ومن دخل فيها فاجتمع منهم نفر جم ] وكان مجموع ما جمعته في غزوة الخندق عشرة آلاف مقاتل<sup>(١٠١)</sup>.

ولكن تبقى [ القبيلة هي الوحدة السياسية عند العرب في العصر الجاهلي، فهي بذلك مصدر للقوة السياسي والدفاعية، فتعمل على بقاء المجتمع وحفظ كيانه ]<sup>(١٠٢)</sup>.

ووحدة أهل مكة يفسر شدة مقاومتهم للإسلام عند ظهوره، فقد رأوا فيه تهديداً لوحدة قريش<sup>(١٠٣)</sup>.

#### ومجمل القول:

إنّ النظام الإداري في مكة، يتكون من أشخاص تؤهلهم مواهبهم وقدراتهم لقيادة الناس، وتدبير شؤونهم، وقد أثبت رجال المأّ نجاحهم في كثير من حسم المنازعات والمنافسات التي تنشأ بين الأفراد والعشائر. [ فمأّ مكة أناس محافظون سنتهم بالتعلق بالقانون الموروث وعلى الناس الطاعة والانقياد ]<sup>(١٠٤)</sup>.

إذن رجال المأّ سلطة سيرت أمور مكة منذ عهد قصي بن كلاب، حتى دخولها الدولة الإسلامية عام الفتح ٨ هـ.<sup>(١٠٥)</sup>

#### المطلب السادس: الحالة الثقافية

عرفنا من خلال الحالة التجارية، أن مكة محط جذب الناس لغرض التجارة والحج، وفي غضون هذا تشهد أسواق مكة، مختلف المناظرات والمساجلات بين ممثلي القبائل من زعماء وشعراء وغيرهم. وهذا مما ساعد أهل مكة على التكلم باللغة الفصيحة، وخير ما يدل على ذلك، أن الله - عزّ وجل - وصف رسوله - ﷺ - حال قريش في



بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والمكر واللدد عند الخصومة<sup>(١٠٦)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾<sup>(١٠٧)</sup>.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾<sup>(١٠٨)</sup>.

﴿مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾<sup>(١٠٩)</sup>.

ولشهرة العرب ببلاغة العقول، نزل القرآن الكريم بلغتهم، ليكون التحدي من جنس ما اشتهروا به<sup>(١١٠)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ

لَهُمْ﴾<sup>(١١١)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾<sup>(١١٢)</sup>.

على أن التعليم في هذا العصر لم يكن منتشراً في بلاد العرب - وعلى الأخص مكة - ما كانت تعني بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة. ولكن لم يحل عدم انتشار التعليم في مكة دون قيام من يجيد القراءة والكتابة<sup>(١١٣)</sup>.

إن لا ورود كلمات الكتابة ومشتقاتها في القرآن - العزيز - أكثر من ثلاثمائة مرة، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو تسعين مرة، بأساليب متنوعة<sup>(١١٤)</sup>.

مما يدل على أنها كانت معروفة على نطاق واسع في مكة.

وكانت قريش قبل الإسلام، تألف منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لخصلتين: العلم والطعام<sup>(١١٥)</sup>.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يشاور المهاجرين والأنصار،

ومسلمة الفتح من أهل مكة<sup>(١١٦)</sup>. فكان لهم أثر في توجيه السياسة في

المدينة عززته خبراتهم وخدماتهم التي قدموها بعد إسلامهم<sup>(١١٧)</sup>،

فاعتمدتهم النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة الدولة الفتية وكذلك الخلفاء الراشدون.

إنّ عدد الذين يُحسنون القراءة والكتابة في مكة كان يفوق الرقم الذي ذكره البلاذري<sup>(١١٨)</sup>، "سبعة عشر" حينما دخل الإسلام في قريش. ومما يؤيد هذا الاستنتاج موقف الرسول صلوات الله عليه من أسرى بدر "فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذقوا فهم فداؤه"<sup>(١١٩)</sup>.

وهذا يفيد أنّ الذين يجيدون القراءة والكتابة في مكة أكثر من أهل المدينة ويعزز هذا أن الآيات المكية تشير إلى معرفة المشركين من أهل مكة للقراءة والكتابة من ذلك قوله عز وجل: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(١٢٠)</sup>.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾<sup>(١٢١)</sup>، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾<sup>(١٢٢)</sup>. وفي مكة كانت المعلقات التي اختيرت من سائر الشعر<sup>(١٢٣)</sup>.

#### الأمية في قريش:

القرآن الكريم والسنة النبوية أوردا كلمتي (الأمية) و(الجاهلية). قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١٢٤)</sup>، فالقرآن الكريم سمي العرب أمة أمية، جاء في تفسير الرازي<sup>(١٢٥)</sup>: الأميون أمة العرب كما أنهم أمة أميون لا كتاب لهم ولا يقرعون كتاباً ولا يكتبون، ويقول ابن كثير: الأميون هم العرب<sup>(١٢٦)</sup>.

وورد أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما ضاعف الصدقة على نصارى بني تغلب بدل الجزية قال: إنهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب<sup>(١٢٧)</sup>، وقد وردت كلمة (أمية) في حديث رسول الله ﷺ: ((نحن أمة أمية لا تحسب ولا تكتب))<sup>(١٢٨)</sup>، ولكن علينا أن نعلم: أنّ من بين العرب من كان يحسن القراءة والكتابة (وكانوا يعرفون الأعداد ومضاعفاتها وكسورها)<sup>(١٢٩)</sup>، ولكن على الرغم من هذا، فالكتابة كانت فيهم عزيزة.

ومن هنا.. سُمُّوا بـ (الأميين) لأنهم كانوا لا يقرءون ولا يكتبون في الغالب.

وقيل سموا بـ (الأميين) لأنَّ اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم إنهم (جوييم) باللغة العربية، أي أمميون نسبة إلى الأمم بوصفهم هم شعب الله المختار، وغيرهم هم الأمم<sup>(١٣٠)</sup>.

أما كلمة: (الجاهلية) الواردة في القرآن المجيد، والحديث الشريف، والشعر، فلا تعني المفهوم اللغوي: ضد العلم بشكل مطلق، وإنما هو مُحدد بعبادة الله وتعاليمه [ إنَّ لفظة الجاهلية مصطلح قرآني، لم ترد في استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم، والمصطلح القرآني هو استخدام خاص للفظ من الألفاظ يخصصه بمعنى معين لا يفهم من المعنى اللغوي على هذا النحو، فالصلاة في اللغة مثلاً هي الدعاء، والزكاة هي الطهارة، ولكن الصلاة في المصطلح القرآني هو تلك الهيئة الخاصة التي يقف فيها الإنسان بين موله راكعاً.

والزكاة هي تلك النسبة المعينة التي يؤديها المسلم من ماله لتتفق في مصارفها المحددة في كتاب الله، و(الجاهلية) كسائر المصطلحات القرآنية- لها معناها المحدد الذي يدخل بطبيعة الحال في إطار المعنى اللغوي العام، ولكنه يتخذ دلالاته المحددة من استخدام القرآن له وتحديده لمعناه<sup>(١٣١)</sup>.

قال جلَّ وعلا: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(١٣٢)</sup>.

أي: إذا أمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فأعرض عنهم<sup>(١٣٣)</sup>.

وهكذا الشأن في حال ورودها في الحديث الشريف، فقد قال ﷺ لأبي ذر وقد عيّر رجلاً بأمه: ((إنك أمرؤ فيك جاهلية))<sup>(١٣٤)</sup>.

فأبو ذر ؓ من الصحابة وضمن الطبقة الأولى، ولكن حينما يوجد الخلل مع الإسلام: تطلق الجاهلية، من هنا قال عمرو بن كلثوم التغلي:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا<sup>(١٣٥)</sup>

أي: لا يسهه علينا أحد، فنسهه عليه فوق سفههم. فالجاهلية معناها: الجهل، ولكن معناه الاصطلاحي في القرآن: هو إمّا الجهل بالحقيقة الألوهية (وهي الحالة العقلية)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾<sup>(١٣٦)</sup>.

وإمّا أتباع غير ما أنزل الله (وهي الحالة النفسية والسلوكية)<sup>(١٣٧)</sup>. إذا يبدو التفسير الصحيح للجاهلية إذا ما أطلقت في القرآن أو السنة أو في أي كتاب إسلامي هادف هي: مجانية المنهج الرباني وليس الجهل الذي هو نقيض العلم.

ومن ثم فهي ليست صفة للعرب قبل الإسلام، بل صفة للأمم التي حادت عن طريق الله وهي ليست مقرونة بزمن ومكان محددين<sup>(١٣٨)</sup>، فعمر بن هشام الملقب بأبي الحكم، لقّب في الإسلام بأبي جهل<sup>(١٣٩)</sup>، وحسبنا أن نقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(١٤٠)</sup>.

وهنا نتهاوى الدعوى القائلة: إنّ لفظة الجاهلية في القرآن، أو في السنة تعني الجهل الذي هو ضد العلم فقط، وذلك للنيل من العرب والمسلمين معاً.

كما إن الأُمّية الواردة أيضاً في القرآن الكريم أو في السنة المظهرّة ليست على ظاهرها بشكل مطلق، وإذا ما عمّمت فإنّه جزاف لا تدعمه حقائق التاريخ.

### الخاتمة وأهم النتائج

بفضل الله ومنه، أنهيت هذه الدراسة التاريخية بمطالبتها الستة، وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

(١) إنّ مكة المكرمة انفردت بمزايا متألّقة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما حباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٢) يتألف سكان مكة من طبقات ثلاث:

(أ) الصرحاء أو الصليبية.

(ب) الحلفاء.

(ج) العبيد أو الأرقاء.

(٣) المجتمع المكي شأنه شأن سائر الأمة العربية في الأخلاق، فمن العادات الحسنة التي جُبِلوا عليها وأقرّها الإسلام: الكرم، الشجاعة، الوفاء بالعهد، الإحسان إلى الجار، الاغتسال من الجنابة، غسل الموتى وتكفينهم.

كما لديهم عادات شجبتها الإسلام ومنها: الخمر والميسر، وعدم ميراث المرأة، وقتل الأولاد خشية الفقر.

(٤) إنّ ديانة المشركين تقوم على الإيمان بالله بأنه الخالق، وعلى الإيمان بتعدد الآلهة، وأنها رموز مُقَرَّبَة إلى الله، وهو شرك، وعبادة غير مقبولة عند الله، بيد أنه كان من بين العرب من نبذ عبادة الأوثان، وسُمّوا بـ (الاحناف).

(٥) مكة بلد غير ذي زرع، اعتمدت على التجارة وما يُجلب لها من الخارج، ومما ساعد نمو تجارتها موقعها الجغرافي وارتباطها بالبيت الحرام، وكان لهم رحلتان في العام: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

(٦) إنّ نظام الحكم في مكة، يتكوّن من أشخاص تُؤهلهم قدراتهم لقيادة الناس، وقد أثبت رجال المأّ نجاحهم في كثير من حسم المنازعات، ولم يكن في مكة جيش نظامي، فهي مجتمع قبلي، وهي بذلك مصدر للقوة السياسية والدفاعية، ووحدة أهل مكة يُفسّر شدة مقاومتهم للإسلام.

ولذلك نزل القرآن العظيم، بلهجتهم، وفي مكة كانت المعلفات التي اختيرت من بين سائر الشعر العربي.

(٧) وما ورد في القرآن الكريم من كلمتي (الأمّية- والجاهلية)، فليس على ظاهرهما، فكلمة الأمّية لا تعني ضدّ القراءة والكتابة، وإنما وصف لما كان عليه العرب من ندرة من يُحسن القراءة والكتابة، فسُمّوا بـ (الأميين) لأنهم في الغالب لا يقرعون ولا يكتبون.

وكذلك كلمة (الجاهلية) لا تعني المفهوم اللغوي: ضدّ العلم بشكل مطلق، إنما هو مُحدّد بعبادة الله وتعاليمه، وحيثما وجد الخلل مع الإسلام، تطلق كلمة (الجاهلية)، وإذا ما عُممت فإنه جُزاف لا رصيد له من الواقع التاريخي.

## الهوامش

- (١) سورة آل عمران: آية ٩٦.
- (٢) الأصفهاني، أبو الفجر علي بن الحسين بن محمد، (ت ٣٥٦هـ)، القاهرة، مطبعة مصورة عن دار الكتب، ١٩٦٣م: ٣١٣.
- (٣) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م: ص ٩٣؛ العمري، د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والفكر، ١٩٩٣م: ٨/١.
- (٤) سورة البقرة: آية ١٢٧.
- (٥) سورة الحج: الآية ٢٦.
- (٦) الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الرحمن الحمصي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م: ٨/١٨٧؛ البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، ١٩٤٥م: ص ٥٠؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، القاهرة، دار الفكر، ١٩٦٥م، ط ٢: ص ٩٥.
- (٧) سورة إبراهيم: آية ٣٧.
- (٨) العلي، د. أحمد صالح، محاضرات في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٥٥م: ص ٧٧-٧٨.
- (٩) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد محمد قبة، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٦م: ٣/٣٢٠.
- (١٠) سالم، د. عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م، ص ٤٣٥.
- (١١) ابن هشام، محمد بن عبد الملك النحوي، (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م: ٢٥٨.
- (١٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٤٢٠؛ الأصفهاني، الأغاني: ١/٦٥؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول: ص ٢٢٨-٢٢٩.

(١٣) القبيلة: جماعة من الناس ينتمون أو يزعمون بأنهم ينتمون إلى جدّ واحد، انحدرت منه، ويسكنون في الغالب منطقة واحدة ينتقلون في أرجائها إلى ما جاورها من المناطق إذا دعت الحاجة، تربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي، (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م: ٢/٤٢٤. فعصبية القبيلة موروثة بين أشخاص إذ يقدم الإنسان نفسه للموت في معركة من أجل شرف القبيلة وكرامتها. قطب، محمد، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة القدس، ١٩٩٩م، ط١: ص ٨٤.

(١٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٠٣.

(١٥) المصدر نفسه: ١/٦١٧.

(١٦) الحجابة: هي قفل البيت الحرام وفتحه للزائرين، وكانت هذه الوظيفة حينما جاء الإسلام بيد عثمان بن طلحة من بني عبد الدار.

(١٧) السقاية: هي توفير الماء لشرب الحجاج في موسم الحج، فصنع قصي حياضاً للماء من أرم فيسقى فيها بمكة ومن عرفة. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت ٢٣٠)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م: ١/١٧٣.

(١٨) الرفادة: هي استضافة الحجاج في مكة وتوفير الطعام لهم في موسم الحج، ولصعوبة قيام شخص واحد باستضافة كافة الحجاج فقد دعا قصي قومه أن يساهموا معه في تغطية نفقات ذلك، فوافقوا على ذلك. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٤٠.

(١٩) الندوة: هذه الدار بمثابة دار الحكومة الذي تدار فيه أمور قبيلة قريش كلها، وما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم، كما كانت الدار المركز الذي تتطلق منه وتعود إليه القوافل التجارية. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/٧٠.

(٢٠) اللواء: هو العلم الذي يحمل في المعارك وتدور حوله الحروب، وهو يرمز عادة لمن تكون بيده قيادة قومه في الحروب والمعارك. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٥.

(٢١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٥؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة: ص ٩١٦.



- (٢٢) علي، د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٤/٦.
- (٢٣) سورة النحل: آية ٣٨.
- (٢٤) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٦م، ط١، باب النهي عن الحلف بغير الله.
- (٢٥) سورة البقرة: آية ١٧٧.
- (٢٦) سورة النساء: آية ٣٦.
- (٢٧) سورة الذاريات: الآيتان ٢٦-٢٧.
- (٢٨) ابن الهمام، كمال الدين الهمام الحنفي، (ت ٨٦١هـ)، فتح القدير، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٧٠م: ٩٨/٤.
- (٢٩) علي، د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٣/٦.
- (٣٠) مسلم، صحيح مسلم، باب خصال الفطرة، رقم (٢٦٠).
- (٣١) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، مكتبة الشروق بغداد، ١٩٩٠م: ص ٣٤.
- (٣٢) النووي، أبو الحسن، السيرة النبوية، لبنان - صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ: ١٠٨.
- (٣٣) سورة المائدة: آية ٩٠.
- (٣٤) سورة الأنعام: آية ١٥١.
- (٣٥) سورة سبأ: آية ٣٥.
- (٣٦) سورة الهزلة: الآيات ١-٩.
- (٣٧) العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد الكناي، (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م: ١٥٦/٧؛ صحيح مسلم، رقم الحديث ٩٣٤: ٦٤٤/٢.
- (٣٨) سورة المائدة: آية ٣.
- (٣٩) حسن، د. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ط٧: ٦٤/١.
- (٤٠) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عني بجمعه وتصحيحه: محمد بهجت الأثري: ٦/٢.

- (٤١) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، بالقاهرة، ١٣٧٦هـ، ط ٢: ١٧/١.
- (٤٢) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٥/١.
- (٤٣) عتر، عبد الرحمن، خطبة النكاح، مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط ١: ص ١٣؛ كذا الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٨م، ط ٢: ص ١٣١-١٣٢.
- (٤٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ: ٤/٤٦٤.
- (٤٥) سورة النساء: الآية ٢٢.
- (٤٦) مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث، ٢٥٣٩.
- (٤٧) الآلوسي، محمود، بلوغ الإرب، ٤٣/٢؛ كذا الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة، ط ٢: ص ١٣٥-١٣٦.
- (٤٨) الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ١٨٣/٨.
- (٤٩) سورة النساء: آية ٣.
- (٥٠) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتاب العلمية، طهران، (د.ت): ١٤٩/٩.
- (٥١) الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب: ٤٢/٣؛ الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة: ص ١٣٣.
- (٥٢) الخضري بك، محمد، محاضرات الأمم الإسلامية، ٢/١١؛ حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٥/١.
- (٥٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١٦٩/٥؛ البحتري، أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (ت ٢٣١هـ)، ديوان الحماسة، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م: ٣٣٧/١.
- (٥٤) سورة العنكبوت: الآيتان ٦١-٦٣.
- (٥٥) الشعراوي، محمد متولي، المختار من تفسير القرآن العظيم، المكتبة الشريفة، مصر، ١٩٩٠م: ١٥٣/١.
- (٥٦) سورة يونس: الآية ١٨.
- (٥٧) سورة الأنعام: الآية ١٩.

- (٥٨) الملاح، د. هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١م: ص ٦١.
- (٥٩) الحمس: ابن البلدة وابن الحرم الوطني المقيم الذي ينتمي إلى الكعبة والحرم، فقال القرشيون: نحن بنو إبراهيم وأهل الحزمة وولاية البيت وقاطنوا مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ومثل منزلتنا. ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٦/١.
- (٦٠) صحيح مسلم، حديث رقم ١٢١٩، ٨٩٥/٢؛ وسورة البقرة: من الآية ١٩٩.
- (٦١) العمري، د. أكرم، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٦/١؛ وسورة الأنفال: الآية ٣٥.
- (٦٢) سورة النحل: آية ٣٨.
- (٦٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٧٧/١؛ ابن الكلبي، أبو المنذر، هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م: ص ٨-٩. "هبل": كان من العقيق الأحمر على صورة إنسان وكان مكسور الذراع الأيمن، فأبدله القرشيون ذراعاً من ذهب، وقيل: جيء به من قضاء هيت أحد أقضية محافظة الأنبار ونصب في بطن الكعبة على بئر الأحنف.
- (٦٤) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ٥٥/١.
- (٦٥) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٧١/١.
- (٦٦) سورة النجم: الآيات ١٩-٢٠.
- (٦٧) البوطي، فقه السيرة: ص ٤٠.
- (٦٨) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٧٣/١.
- (٦٩) جاء في كتاب الأصنام: ص ٣٧. أخذ هؤلاء يفكرون فاهتدى ورقة وعثمان إلى النصرانية، والتبس الأمر على عبيد الله فبقي على حاله حتى ظهر الإسلام فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة وهناك تنصر، أما زيد فلم يدخل النصرانية ولكنه أبعد الأصنام عن نفسه.
- (٧٠) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٢٣/١.
- (٧١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨٠م، ط ٤: ص ٣٥.
- (٧٢) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ٦٥/١، الفرق بين الصنم والوثن: قيل، كان معمولاً من الخشب أو الذهب أو الفضة كصورة إنسان (فهو

- صنم) وإذا كان من الحجارة فهو (وثن). الأصنام: ص ٥٣. وقيل: الصنم، صورة بلا جثة. الوثن: كل ما له جثة من جواهر الأرض ومنهم من لا يفرق بينهما. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار الفكر، ١٩٥٦م: ٤٣٣/١٤، ٢٤١/١٥.
- (٧٣) صحيح البخاري: ٥١١/٨-٥١٢؛ وسورة نوح: الآية ٢٣.
- (٧٤) ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير، دمشقي القرشي، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م: ط ٣.
- (٧٥) الجميلي: د. خضير عباس فياض، دور قریش قبل الإسلام، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة إلى مجلس معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦م: ص ١٤.
- (٧٦) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ط ٢: ٥٧/٤؛ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: د. مارسدن جونز، مطبعة جامعة أوكسفورد، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م: ٦٥/١.
- (٧٧) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حمد الله، مطابع المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م: ٥٩/١.
- (٧٨) سورة قریش: آيات ١-٦.
- (٧٩) الخضري بك: محاضرات في تاريخ العرب: ص ٨٤.
- (٨٠) البلاذري: أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ص ٦٨.
- (٨١) كان الربا يبلغ أحياناً أضعاف القرض نفسه فتأكل بذلك أموال المدينة وتذهب حقوق الأفراد. الشريف: د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية، وعصر الرسول ﷺ: ص ١٣.
- (٨٢) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب، تدقيق: أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ط ٦: ٥٨/٢.
- (٨٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قریش): ٣٣٤/٢.
- (٨٤) سوق عكاظ: من أهم الأسواق قبل الإسلام، إذ لم يقتصر على البيع والشراء، وإنما كان المنتدى العلمي والشعري، حيث أصبح مضرب الأمثال في كثرة الناس فيه.

وعكاظ: نخل في واد بين مكة والطائف. القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم،  
الأمالي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦م: ص ٢٥٦.  
(٨٥) سوق مجنة: موضع قرب مكة يمر الظهران أعلى مكة، الأفغاني: سعيد، أسواق  
العرب الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠م، ط ٢: ص ٩٦.  
(٨٦) سوق ذي المجاز: موضع بمنى بين مكة وعرفة. وتقام بعد انتهاء سوق عكاظ لمدة  
عشرة أيام، وهي الكنانة وأرضها من أرض كنانة، وهي التي يقول فيها بلال  
البحشي:

إلا ليت شعري هل أبين ليلة  
بواد وحوالي أذخر وجيل

وهل أردن يوماً مياه مجنة  
وهل يبدون لي شامة وطفيل

#### ج

الأزرقى: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت ٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها  
من الآثار، تحقيق: رشدي صالح، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ط ٥: ص ١٩١.  
(٨٧) الخضري بك: محمد، محاضرات في تاريخ العرب: ص ٩٦.  
(٨٨) سالم: د. عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، جامعة الاسكندرية، مصر،  
١٩٦٨م: ص ٥١٢-٥١٣.  
(٨٩) سورة لقمان: آية ٣٧؛ سورة الأنعام: آية ٧؛ سورة الغاشية: الآيات ١٢-١٦؛  
سورة الرحمن: الآيات ١٤ و ٧٤؛ سورة الإنسان: آية ١٦.  
(٩٠) هيكل: محمد حسين، حياة محمد ﷺ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م، ط ٨:  
ص ٣٨.

(٩١) علي: د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام: ص ٦٨.  
(٩٢) الشريف: د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ:  
ص ١٠٣.

(٩٣) ابن كثير: أبو الفداء، البداية والنهاية: ١٩٢/٢.  
(٩٤) الملاء: هم رؤساء العشائر الذين عدوا أنفسهم متساوين من حيث المبدأ واقتسموا  
المناصب فيما بينهم، ويقال له في مصطلحاتنا (مجلس الوزراء).  
وذكر المؤرخون بعض هؤلاء الرؤساء: قصي بن كلاب، عبد مناف، عبد المطلب،  
هشام ابن المغيرة، قيس بن عدي بن سهم، عبد الله بن جدعان، أبو سفيان.

- (٩٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣١٣/٢-٣١٥.
- (٩٦) الآلوسي: محمود شكري، بلوغ الإرب: ٢٤٨-٢٤٩.
- (٩٧) الملاح: د. هاشم، الوسيط: ص ٥٠.
- (٩٨) الآلوسي: محمود شكري، بلوغ الإرب: ١٨٧/٢.
- (٩٩) العمري: د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٠/١.
- (١٠٠) ابن هشام، السيرة النبوية: ٥-٤/٢.
- (١٠١) مغازي، الواقدي محمد بن عمر: ص ٢٩٠.
- (١٠٢) الخضري بك، محاضرات في تاريخ العرب: ص ١٥٢.
- (١٠٣) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٠/١.
- (١٠٤) علي: د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام: ص ٧٦.
- (١٠٥) الكبيسي: د. عبد الحافظ، خصائص المجتمع المكي في عصر النبوة والخلافة الراشدة، بيروت، دار اليمامة، ٢٠٠٨م: ص ٥١.
- (١٠٦) الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٥م، ط ٥: ٨/١.
- (١٠٧) سورة الأحزاب: آية ١٩.
- (١٠٨) سور الحشر: آية ٢.
- (١٠٩) سورة إبراهيم: آية ٤٦.
- (١١٠) الدليمي: موفق عبد الرزاق خلف، تصوير القرآن الكريم للمجتمع الجاهلي، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية، ببغداد، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ص ٨٩.
- (١١١) سورة إبراهيم: آية ٤.
- (١١٢) سورة الشورى: آية ٧.
- (١١٣) حسن: د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٦/١.
- (١١٤) دروزة: د. محمد عزة، عصر النبي ﷺ، وبيئته قبل البعثة، بيروت، دار اليقظة العربية، ١٩٦٤م: ص ٤٤٠.
- (١١٥) الجاحظ: أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين: ٧٦/٤.
- (١١٦) الزبير بن بكار: أبو عبد الله الزبير، (ت ٢٥٦هـ)، جمهرة نسب قريش أخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦١م: ٣٧٣/١.

- (١١٧) العلي: د. صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول ﷺ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م: ص ٤٣٦.
- (١١٨) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ص ٤٥٧.
- (١١٩) ابن سعد، محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م: ٢/٢٢.
- (١٢٠) سورة القلم: آية ١.
- (١٢١) سورة القلم: آية ٣٧.
- (١٢٢) سورة القلم: آية ٤٧.
- (١٢٣) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/٣٧٤.
- (١٢٤) سورة الجمعة: آية ٢.
- (١٢٥) ٣/٣٠.
- (١٢٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م: ٤/٣٦٣.
- (١٢٧) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٩٣٣م، ط ٢: ص ١٢١.
- (١٢٨) صحيح البخاري، رقم ١٧٨٠، صحيح مسلم: رقم ١٨٠٦.
- (١٢٩) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم، الخراج: ص ٢٦-٢٧.
- (١٣٠) قطب: سيد، في ظلال القرآن، أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م: ٨/٩٣.
- (١٣١) قطب: محمد، رؤية إسلامه لأحوال العالم المعاصر، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٩٩١م، ط ١: ص ١٤.
- (١٣٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.
- (١٣٣) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م: ٧/٣٤٤.
- (١٣٤) مسلم: صحيح مسلم في باب الإيمان ٣٨، ابن حنبل، أحمد، (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، مصر، المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ: ٥/١٦١.
- (١٣٥) أمين: أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ط ١: ص ٨٧.
- (١٣٦) سورة الزمر: آية ٦٤.

- (١٣٧) قطب: محمد، كيف نكتب التاريخ: ص ٤٢.
- (١٣٨) علي: د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م: ٣٧/١.
- (١٣٩) القيسي: د. نوري حمودي وآخرين، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م.
- (١٤٠) سورة الأنعام: آية ١٤٠.



## المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر:

- ❖ الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت ٢٢٣هـ).
- (١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ط ٥.
- ❖ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت ٢٧٩هـ).
- (٢) أنساب الإشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، مطابع المعارف، ١٩٥٩م.
- ❖ الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، (ت ٣٥٦هـ).
- (٣) الأغاني، القاهرة، طبعة مصورة من دار الكتب، ١٩٦٣م.
- ❖ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ).
- (٤) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام، محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م، ط ٩.
- ❖ ابن كثير: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي، (ت ٧٤٤هـ).
- (٥) البداية والنهاية، تحقيق: د. أحمد ملحم، بالاشتراك ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ط ٣.
- ❖ الرازي: أبو عبد الله بن محمد الملقب بفخر الدين الرازي، (ت ٦٠٦هـ).
- (٦) التفسير الكبير، طهران، دار الكتب العلمية، (ت. ت).
- ❖ الطبري: أبو جعفر بن جرير، (ت ٣١٠هـ).
- (٧) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ط ٤.

- ❖ **الزبير بن بكار:** أبو عبد الله الزبير، (ت ٢٥٦ هـ).
- (٨) جمهرة نسب قریش وأخبارها، ج ١، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦١م.
- ❖ **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١ هـ).
- (٩) الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٢م.
- ❖ **أبويوسف:** يعقوب بن إبراهيم، (ت ١٨٣ هـ).
- (١٠) الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢ هـ.
- ❖ **الجميري:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠ هـ).
- (١١) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- ❖ **ابن هشام:** محمد بن عبد الملك النحوي، (ت ٢١٨ هـ).
- (١٢) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨م.
- ❖ **ابن كثير:** أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي القرشي، (ت ٧٧٤ هـ).
- (١٣) السيرة النبوية، تحقيق: أحمد ملحم بالاشتراك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- ❖ **البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ).
- (١٤) صحيح البخاري، بيروت، لبنان، عالم الكتب، (ب، ت).
- ❖ **مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ).
- (١٥) صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٩٥٦م.

- ❖ **ابن سعد:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت ٢٣٠هـ).
- ١٦) الطبقات الكبرى، بيروت، لبنان، دار صادر، ١٩٥٧م.
- ❖ **ابن عبد ربه:** أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ).
- ١٧) العقد الفريد: بيروت، دار الهلال، ١٩٨٦م.
- ❖ **العسقلاني:** ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الكناني، (ت ٨٥٢هـ).
- ١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، (١٤١٠هـ).
- ❖ **الزمخشري:** محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ).
- ١٩) الكشاف عن وجوه التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٤٨م.
- ❖ **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ).
- ٢٠) لسان العرب، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٦م.
- ❖ **الواقدي:** أبو عبد الله محمد بن عمر، (ت ٣٠٧هـ).
- ٢١) المغازي، تحقيق: مارسون جونس، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م.
- ❖ **ابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ).
- ٢٢) المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ❖ **المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ).
- ٢٣) مروج الذهب، تحقيق: أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ط ٦.
- ❖ **ابن حنبل:** أحمد، (ت ٢٤١هـ).

- ٢٤) مسند الإمام أحمد، مصر، المطبعة اليمنية، ١٣١٣هـ.
- ❖ الحموي: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحمصي، (ت ٦٢٦هـ).
- ٢٥) معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م.
- ❖ البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ).
- ٢٦) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ثانياً: المراجع:**
- ٢٧) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠م.
- ❖ حوى: سعيد.
- ٢٨) الأساس في السنّة وفقهها- السيرة النبوية- الأردن، عمان، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
- ❖ الألوسي: محمود شكري.
- ٢٩) بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عني بجمعه وتصحيحه: محمد بهجت الأثري.
- ❖ رضا: رشيد، (ت ١٣٥٤هـ).
- ٣٠) تفسير المنار، القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٦هـ.
- ❖ حسن: د. إبراهيم حسن.
- ٣١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦٤م، ط ٤.
- ❖ العلي: د. جواد.
- ٣٢) تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧م.
- ❖ القيسي: د. نوري حموي، وآخرين.
- ٣٣) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، بغداد، دار الحرية، ١٩٧٩م.
- ❖ الجميلي: د. رشيد.

٣٤) تاريخ الإسلام في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٢م.

❖ هيكّل: محمد حسين.

٣٥) حياة محمد، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٩٦٣م، ط٨.

❖ عتر: د. عبد الرحمن.

٣٦) خطبة النكاح، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٥م، ط١.

❖ البوطي: د. محمد سعيد رمضان.

٣٧) فقه السيرة، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٠م.

❖ قطب: سيد.

٣٨) في ظلال القرآن، لبنان، أحياء التراث العربي، ١٩٦٧م، ط٥.

❖ سالم: د. عبد العزيز.

٣٩) دراسات في تاريخ العرب، مصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م.

❖ أمين أحمد:

٤٠) فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ط٦.

٤١) ديوان الحماسة، البحتري، أبو تمام، بيروت، دار الفكر العربي،

١٩٨٥م.

❖ قطب: محمد

٤٢) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي،

مكتبة القدس، ١٩٩٢م.

❖ الندوي: أبو الحسن علي الحسيني

٤٣) السيرة النبوية، لبنان، صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر،

١٣٩٩هـ.

❖ العمري: د. أكرم ضياء.

٤٤) السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والفكر،

١٩٩٣م.

❖ الشريف: د. أحمد إبراهيم.

(٤٥) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، بيروت، دار الفكر العربي، (ب، ت)، ط ٢.

❖ الخضري بك: محمد

(٤٦) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٧٦هـ، ط ٧.

❖ العلي: د. جواد

(٤٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م.

❖ الشعراوي: محمد متولي

(٤٨) المختار من تفسير القرآن العظيم، مصر، المكتبة الشرعية، ١٩٩٠م.

❖ الملاح: د. هاشم يحيى

(٤٩) الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، جامعة الموصل، ١٩٩١م.

❖ الكبيسي: د. عبد الحافظ

(٥٠) ويسألونك عن المرأة، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٧م، ط ٢.  
(٥١)

# توجيهات الخليفة ابي بكر الصديق في فتح العراق وبلاد الشام

م.م. عمر عبدالله عبدالعزيز  
الجامعة العراقية / كلية التربية

## ملخص البحث

لقد برز في التاريخ العربي الاسلامي عدد كبير من الشخصيات القيادية السياسية والعسكرية والفكرية التي اسهمت في إثراء هذا التاريخ بالانجازات الكثيرة والاعمال والمواقف المشرفة، وكان لهم الفضل والسبق في تسجيل تلك الانجازات على صفحات التاريخ، بعد ان منَّ الله عليهم بالايمان والثبات والجهاد فقد انتدب الخليفة ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) الناس لتحرير العراق وبلاد الشام ، وبذلك بدأت حروب تحرير العراق والشام في عهده ، وتبين من خلال الدراسة انه كان له الفضل في تنظيم قوات المسلمين في العراق والشام وتوحيدها وتوحيد قيادتها وتسلمه القيادة ، ووضعه لهذه القوات تعبئةً جديدةً ، وهذا الجيش يمثل اول انطلاق عربي اسلامي خارج حدود شبه الجزيرة العربية بشكل واسع ومنظم، وكذلك يمثل اول صدام كبير للعرب المسلمين مع الفرس والروم وكذلك فان هذا الدور الذي قام به ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) يمثل بداية تحرير الارض العربية من الاحتلال الاجنبي، وكذلك بداية وجود العرب المسلمين على هذه الارض والى يومنا هذا .

### Abstract

Has emerged in the Arab-Muslim history a large number of leading political, military and intellectual figures who have contributed to the enrichment of this history and the many business and honorable positions achievements, and have been credited and a head start in those achievements recorded on the pages of history, after that of God on them by faith, fortitude and Jihad has commissioned Caliph Abu Bakr (may Allah be pleased with him) people for the Liberation of Iraq and the Levant, and thus began the liberation of Iraq and the Levant wars during his reign, and was found through the study he was credited with the organization of the Muslim forces in Iraq and the Levant, standardization and unification of leadership and assuming leadership, and put it to the troops a new mobilization, and this Army represents the first launch of Arabic Islamic outside the Arabian Peninsula borders and widespread and systematic, and also represents the first major clash of the Arab Muslims with the Persians and the Romans, as well, this is the role played by Abu Bakr (may Allah be pleased with him) represents the beginning of the liberalization of Arab lands from foreign occupation, as well as the beginning of the presence of Arab Muslims on this earth, and to this day.





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) خير الأنام وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين يعد القتال في سبيل الله تعالى من المواضع الهامة التي تستحق الدراسة خاصة ونحن نبحت في عصر صدر الإسلام، فقد شرع الله عز وجل القتال في سبيله بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة وأصبح المسلمون دولة، وكان أول تشريع للقتال دفاعاً عن النفس جاء في قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>. ونزلت آيات أخرى تنقل المسلمين إلى مراحل أخرى في القتال بأهداف وغايات تتلائم مع ما يحقق أهداف الأمة الإسلامية وإعلاء كلمة الحق، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. إن دراسة حركة الفتوحات في الخلافة الراشدة ومن خلال توجيهات أبي بكر الصديق في تحرير العراق وبلاد الشام من الفرس والروم لما لهذا الدين من أثر على أمتنا العربية والانسانية جمعاء بما فيه من دروس وعبر في كيفية انتشاره ودور القادة والمقاتلة في نشره وتحرير الأرض وإعلاء كلمة الله تعالى. وقسمنا بحثنا على مبحثين الاول / تحرير العراق وتناولنا فيه توجيهه الخليفة ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) جيش الخلافة بالتوجه الى العراق وتحريره فجاءت موقعة ذات السلاسل ومن ثم موقعة المذار ، وتناولنا موقعة أليس ، وبعدها تناولنا موقعة امغشيا ، ثم موقعة الحيرة وتحرير الانبار وموقعة عين التمر ، اما في مبحثنا الثاني ، تناولنا توجيهات الخليفة الصديق (رضى الله عنه) جيش الخلافة بالتوجه الى بلاد الشام لتحريره وكيف قسم الخليفة جيشه ومن ثم كيف تم إعداد هذا الجيش من خلال الاعداد المعنوي والاعداد المادي والاعداد التدريبي ومن ثم تناولنا اعلان التعبئة العامة ، وتناولنا الدعاية الاعلامية ومن ثم كيف تم

توحيد الجيوش وتوحيد القيادة ومن ثم وقفنا على معركة اليرموك ،  
وتناولنا تقسيمات الجيش ، من خلال قياداته : جيش يزيد بن ابي سفيان  
ومن ثم جيش شرحبيل بن حسنة ، ثم جيش عمرو بن العاص ومن ثم  
جيش ابي عبيدة عامر بن الجراح واخيرا جيش خالد بن الوليد ثم ختمنا  
دراستنا باهم ماتوصلنا اليه في بحثنا هذا .

## المبحث الاول تحرير العراق

بعد الانتهاء من حروب الردة وتأمين الجزيرة العربية أمر أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) الجيوش العربية الإسلامية بالتوجه لتحرير بلاد العرب من الاحتلال الأجنبي، وتشير الروايات ان الصديق (رضى الله عنه) استشار الصحابة فقال له عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : " هذا خالد قد فتح الله عز وجل على يديه اليمامة فاكتب إليه ومره بالمسير إلى العراق حتى يطمأ لك الفرس بخيله ورجله " (٣)

فقال له أبو بكر (رضى الله عنه) " فانك قد وفقت وأصبحت وأحسنست الرأي " (٤) وكتب أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) إلى المثنى بن حارثة الشيباني كتاباً جاء به : " فاني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى ارض العراق فاستقبله بمن معك من قومك ، ثم ساعده وأزره، وكاتفه ولا تعصين له أمراً ولا تخالفن له رأياً، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه نراهم ركعاً سجداً فما أقام معك فهو الأمير فان شخص عنك فأنت على ما كنت عليه والسلام عليك " (٥) ، وفي رواية أخرى كتب الصديق إلى خالد بن الوليد (رضى الله عنهما) وهو في اليمامة فيدخل العراق من الجنوب والجيش الثاني وكان على رأسه عياض بن غنيم (رضى الله عنه) من الشمال الغربي (٦) ، وقال لهم: " أن يسير حتى تأتي المصيخ فأبدأ بها ثم أدخل العراق من أعلاها ، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه فإذا اجتمعتما بالحيرة فليكن أحكما رداءً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقمم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن " (٧) ، وتشير النصوص ان الخليفة الصديق (رضى الله عنه) قال له: يا أبا سليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به ارض العراق وفارس وارجو الله أن ينصركم ثم إنه ودعه وسار خالد بمن معه يطلب العراق. (٨) ، وعندما وصلت الرسالة إلى خالد وعياض

(رضى الله عنهما)، اطلعا عليها المقاتلين فرجع أهل المدينة ومن حولها من المقاتلين وكان الهدف من ذلك أن تبقى الصفوة من المسلمين ممن يفضلون الشهادة على متاع الدنيا ، وكانت الخطة التي رسمها أبي بكر (رضى الله عنه) تضع قوات الفرس غربي الفرات بين فكي كماشة بحيث تواجه هذه القوات أحد الجيشين وهي مهددة من خلفها بالجيش الثاني وهذا التخطيط يوقع قادة الفرس في ارتباك من حيث معرفة أهداف كل جيش ومقصده وملاقاة كل من الجيشين في وقت واحد واختيار أماكن الدفاع والمراقبة وعدم الطمأنينة لقوات الفرس<sup>(٩)</sup> ، فابلى خالد وعباض (رضى الله عنهما) الخليفة بالموقف " فأرسل الخليفة ، القعقاع بن عمرو التميمي إلى خالد ، وعبد بن عوف الحميري إلى عياض ، لكن خالد لم ينتظر قدوم الدعم فكتب إلى حرملة وسلمة والمثنى ومعذور ، ليلحقوا به على محور الأبله كما حدد لهم يوم التجمع ، وبدأ يستتفر القبائل ويحشد القوى فتجمع لديه ثمانية آلاف مقاتل وكان معه ألفان قد بقيا معه بعد اليمامة ، وفي اليوم المحدد تجمع مع القادة الأربعة، ومعهم ثمانية آلاف مقاتل فأصبح مجموع القوة ثمانية عشر ألف وقد فرق جنده ثلاثة ارتال واستخدم الإدلاء لكل رتل من هذه الارتال وذلك خوفاً من وقوعها في كمائن العدو<sup>(١٠)</sup> ، وقد استخدم خالد هذا الأسلوب في معارك أخرى مع الفرس " <sup>(١١)</sup> والملاحظ ان الخليفة ابا بكر (رضى الله عنه) بعد ان عزم على تحرير العراق وطرد الفرس من الارض العربية اختار لقتالهم قائداً مجرباً خبرته الوقائع والخطوب وصقلته العقيدة والصحة .

### موقعة ذات السلاسل

تحرك خالد بن الوليد (رضى الله عنه) من اليمامة بناءً على رسالة الخليفة أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) وأول أمر قام به خالد بن الوليد (رضى الله عنه) كتب رسالته الملتهبة وأرسلها من اليمامة إلى هرمز ، ونصها " بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى ملوك

فارس أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرا لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرابذة فارس أما بعد فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جئتم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر<sup>(١٢)</sup>. عرف أن الفرس سيتوقعون تقدمه على الطريق المباشر من اليمامة إلى الأبله عن طريق كاظمة وأنهم سيضعون خططهم الدفاعية طبقا لذلك ، فقرر أن لا يسير على ذلك الطريق وان يتقدم إلى الأبله من الجهة الجنوبية الغربية بحيث يكون باستطاعته حرية المناورة على محورين محور كاظمة ومحور الحفير وبذلك يخلق مشكلة صعبة للفرس كونهم بطيئي الحركة نتيجة كثرة التجهيزات والمعدات التي يحملونها<sup>(١٣)</sup>. سار خالد وقسم جيشه إلى ثلاثة أرتال<sup>(١٤)</sup>:

**الأول :** رتل المثنى بن حارثه الشيباني

**الثاني :** رتل عدي بن حاتم الطائي : يتحرك قبل حركة القسم الأكبر من

الجيش بيوم واحد .

**الثالث :** كوكب الجيش : بقيادة خالد نفسه ، ويتحرك في اليوم الثالث

على أن يلتقي رتلته مع الرتلين السابقين في الحفير للتجمع هناك .

انطلقت الأرتال الثلاثة وفق الأوامر المذكورة لتأمين سهولة الحركة وقربها من بعضها لتسهيل مهمة تبليغها بالتحشد بسرعة استعدادا للمعركة الفاصلة ، وكان الطريق المباشر من اليمامة إلى الأبله يقع عبر كاظمة<sup>(١٥)</sup> فجاء هرمز إليها متوقعا أن يسلك خالد ذلك الطريق وعند وصوله إلى كاظمة تحرير جيشه للمعركة بحيث يواجه الجنوب الغربي ، في اليوم التالي وصلت الأنباء إلى هرمز من الكشافين أن خالدا (رضى الله عنه) لم يكن يتحرك نحو كاظمة وإنما تحرك نحو الحفير ومعه ثمانية

عشر ألف رجل ، وفي اللحظة التي علم فيها هرمز بتحريك خالد (رضى الله عنه) نحو الحفير أدرك الخطر الذي يحقق بجيشه ، لأن الفرس لا يجرون على دخول الصحراء لقطع خطوط مواصلات خالد بصرف النظر عن أن قوات خالد خفيفة الحركة ويصعب قطع خطوط مواصلاتها ، لما شعر هرمز بأن قاعدته أصبحت مهددة أمر بالتحرك فوراً إلى الحفير التي تبعد ٥٠ ميلاً عن كاظمة وبدأ جيشه المثقل بالتجهيزات والمعدات الكثيرة بالحركة كالسحابة ببطء على الطريق ، وكانت مسيرة اليومين لجيش الفرس مضنية وعندما وصل هرمز إلى الحفير فوجئ بعدم وجود أثر لخالد ففتح جيشه للمعركة يحارب بها طواحين الهواء ولكن لم يكد رجاله يتخذون مواقعهم في الحفير حتى أخبره الكشاف أن خالدًا يتقدم نحو كاظمة<sup>(١٦)</sup> وبعد مسيرة أربعة أيام قضاها الفرس متجولين في الصحراء عادوا إلى كاظمة وأقاموا معسكرهم هناك ، وقام هرمز بتقسيم جيشه إلى قلب وجناحين وبعد ذلك قام بتقييدهم حتى يثبتوا في القتال<sup>(١٧)</sup> .

على عادة المتقاتلين في تلك الأزمان ، يجب أن يبدأ القتال بالمبارزة بين قائدي الجيشين وما هي إلا لحظات حتى سقط هرمز بضربة على الأرض بدون حراك ثم استل خالد خنجره ليغرز في صدره، فخمدت أنفاسه إلى الأبد<sup>(١٨)</sup> . فاندفع العرب المسلمون للهجوم بحماس عظيم وبمعنويات عالية حيث اندفع القلب والجناحان عبر السهل لمهاجمة جيش الفرس ، وقبل أن يسدل الظلام ستائره ، انتهت المعركة بعد ثماني ساعات بنصر شامل للعرب المسلمين ، وهزيمة نكراء للفرس، وكان ذلك في الأسبوع الأول من محرم عام ١٢ هـ / ٦٣٣ م ، سميت هذه الموقعة في التاريخ بـ (موقعة ذات السلاسل) بسبب استخدام الفرس للسلاسل ، التي كانوا يستعملونها لربط الجنود في المعركة. <sup>(١٩)</sup>

## وقعة المذار

كانت وقعة المذار في صفر من هذه السنة ويقال لها وقعة الثني وهو النهر سار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار وهو على تعبئته فاقتتلوا ، وفرت الفرس وركب المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفا وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه وأقام خالد (رضى الله عنه) بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل وبعث بالخمس والتحرير والبشارة إلى الصديق (رضى الله عنه) ، فلبس خالد خوذة هرمز فكان أول شعار ظهر به لذكرى أول نصر في سبيل تحرير العراق من السيطرة الفارسية<sup>(٢٠)</sup> ، أرسل اردشير أوامره بالتوجه لقتال المسلمين كما أمر بهمن جاذويه بأن يسير نفس طريقه حتى يدركه بالولجة ما بين النهر ، وعسكر وعزم على التوجه إلى الحفير للقاء المسلمين تحرك خالد (رضى الله عنه) نحو حشود الفرس ، على محور مواز لنهر دجلة ، ووضع الكمائن وأمر بعض افراد جيشه بالبقاء في موقعهما وإتقان التمويه لحين خروجهما عندما تشتد المعركة فيصبح بإمكانهما مباغته الفرس من الخلف ، بدأت المعركة قوية حتى خشي خالد (رضى الله عنه) الهزيمة عندها ظهر الكمينين خلف الفرس وبدأت عملية إبادة قوات الخصم وتحول سير المعركة وتمت هزيمتهم في صفر سنة ١٢ هـ .<sup>(٢١)</sup> ، مما تقدم يتبين لنا ان خالد بن الوليد (رضى الله عنه) وضع خطة عسكرية جديدة تقوم على نظام الكمائن والمواجهة لإيهام العدو بقلّة عدد جيش المسلمين وأوصاهم بالحيلة والحذر وعدم الغفلة ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولوا فأخذهم خالد (رضى الله عنه) من بين أيديهم والكمين من خلفهم وكانت هذه المعركة من أشرس المعارك التي خاضها خالد بن الوليد (رضى الله عنه) ضد الفرس

موقعة أليس<sup>(٢٢)</sup>

وقعت موقعة أليس على الفرات صفر سنة ١٢هـ ، أصاب خالد يوم الوجيه<sup>(٢٣)</sup> من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا أهل فارس ، فغضب لهم نصارى قومهم واجتمعوا إلى أليس وبلغ ذلك اردشير فكتب إلى بهمن جاذويه أن سر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب فقدم بهمن جاذويه فلما نزل أليس اجتمعت إليه المسالحي التي كانت بإزاء العرب ، وانضم إليه النصارى من بكر الذين كاتبوا الأعاجم ، ووصلت قوات العرب المسلمين فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها ، فما كادت تحط قواته أثقالها حتى عاجل الفرس بالقتال<sup>(٢٤)</sup> ، وبرز خالد (رضى الله عنه) أمام الصف وهو ينادي قادة العرب النصارى للبراز ، وما كاد يخرج إليه أحدهم إلا وقتله بسرعة خاطفة ، فترك الأعاجم طعامهم وصبروا للمسلمين على أمل ورود المدد إليهم ، ورأى خالد صبرهم وقوة تجلدهم ، فتوجه إلى ربه يستنصره ويقول : " اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ، ألا استبقى منهم أحداً قدرنا عليه ، حتى أجري نهرهم بدمائهم "<sup>(٢٥)</sup>. وضيق خالد الخناق على الفرس حتى انهزموا ، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس " الأسر الأسر لا تقتلوا إلا من امتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوق النعم " <sup>(٢٦)</sup>.

### موقعة أمغشيا<sup>(٢٧)</sup>

لم يترك خالد فرصة لتحشد العدو ، بل أتى أمغشيا فأصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله ، لان أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وغير ذلك<sup>(٢٨)</sup> ، فلما بلغ أبا بكر أخبار انتصار خالد ، قال : " عجزت النساء أن يلدن مثل خالد "<sup>(٢٩)</sup>.

### موقعة الحيرة

وقد علم القائد الفارسي الأزداذبه في الحيرة بنصر المسلمين في أليس وتدمير بلدة امغشيا اخذ في الاستعداد ، ولكن استخدم خالد (رضى الله



عنه) السفن التي غنمها من الفرس واعدتها لعبور الفرات نحو الحيرة ، وعندما علم الأزاذبه ترك الحيرة ليدافع عنها العرب الموالين إلى المدائن ودخل خالد الحيرة من الخلف ولم يقترب منها جبهوياً وكان أهل الحيرة قد تحصنوا في قصورهم فوضع خالد الفرسان خارج الحيرة لحصارها <sup>(٣٠)</sup> ، طلب خالد من سكان القصور واحد من ثلاثة الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فرفضوا وبدأ القتال مع كل الحصون ، وقسم الجيش إلى أربعة مجموعات من اجل حصار القصور ، كان أول ما أنشبه ضرار بن الأزور مع أهل القصر الأبيض ، فرموهم بالفخار بالمقلع ولكن المسلمين ابتعدوا من مرمى أهل الحصن ثم أمر ضرار المسلمين أن يرشقونهم بالنبل حتى اجبروا عدوهم أن يخفصوا رؤوسهم وهكذا حصل في القصور الأخرى حتى قبلوا بواحدة من ثلاث، أرادوا أن يلتقوا بخالد(رضى الله عنه) والحصون بقيت محاصرة وهكذا اجتمع خالد(رضى الله عنه) بأهل كل حصن على حدا ثم اجتمع بهم جميعا وكانت النتيجة أنهم اختاروا البقاء على دينهم مع أداء الجزية <sup>(٣١)</sup>.

### فتح الأنبار

ثم أعاد خالد بن الوليد(رضى الله عنه) تنظيم جيشه وعلم أن عياض بن غنم (رضى الله عنه) في ضائقة فاصدر أوامره إلى القعقاع بن عمرو للبقاء في الحيرة وغادرها متبعا محور تحرير الأنبار، وكان أهلها قد تحصنوا بها بقيادة شيرزاد حاكم الأنبار وبدأت المعركة، لاحظ خالد (رضى الله عنه) أن خصومه غير أشداء فرماهم بالرماح مما ادى الى اصابة عيونهم لذلك سميت " ذات العيون " وأرسل شيرزاد لمصالحة خالد (رضى الله عنه) لشروط لم يقبلها خالد ، واستمرت المعركة إلى أن قصد خالد (رضى الله عنه) ثغرة ضعيفة في خندق العدو وأمر بقتل الإبل الضعيفة والمحطمت التي لا يحتاجها ووضعها بهذه الثغرة حتى أصبحت ممرا للجنود وتحولت المعركة مما دفع شيرزاد لعقد صلح مع خالد بن

الوليد (رضى الله عنه) على أن يغادر الحصن بمساعدة حراس من المسلمين وعندما علم أهلها بما حدث عقدوا صلحا مع خالد (رضى الله عنه) ، ودخل خالد (رضى الله عنه) وجنده الأنبار في رجب ١٢هـ / ٦٣٣م ، وكان لفتح الأنبار أكبر الأثر في استسلام جميع القبائل التي كانت تسكن منطقة الأنبار، والتي تحالفت مع الفرس ضد المسلمين<sup>(٣٢)</sup>. وجد خالد بن الوليد (رضى الله عنه) أن تجمع القوى المعادية في عين التمر تشكل تهديدا خطيرا لمؤخرات جيش عياض (رضى الله عنه) فقرر الإسراع بالتحرك وترك الزبرقان بن بدر في الأنبار لإدارة أمورها<sup>(٣٣)</sup> .

### موقعة عين التمر

حين استخلف خالد بن الوليد (رضى الله عنه) الزبرقان على الأنبار ومشى إلى عين التمر وبها جموع غفيرة من العجم وعليهم مهران بن مهران وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من نمر وتغلب وإياد وغيرهم ولما سمعوا بقدم خالد قال عقة لمهران " ان العرب اعلم بقتال العرب فدعنا وخالداً قال : صدقت فانتم اعلم بقتال العرب<sup>(٣٤)</sup>. وصل خالد (رضى الله عنه) عين التمر ونظم الجيش مجموعات قتالية صغيرة لتقوم بغارات تستهدف اعتقال القادة وأخذهم أسرى ونجح في اختطاف عقه بن أبي عقه منذ اللحظات الأولى للمعركة ، وكان اثر هذه المباغته انتشار الذعر في صفوف المقاتلين وهروبهم وترك ميدان المعركة<sup>(٣٥)</sup>.

مما تقدم كانت معارك تحرير العراق حرب معنويات لعب فيها عاملان في تحقيق النصر أولهما قيادة الخليفة ابا بكر الصديق (رضى الله عنه) وحكمة القائد الفذ خالد بن الوليد (رضى الله عنه) حيث أوقع الرعب في صفوف قادة الفرس قبل جنودهم ، وثانيهما حب الشهادة التي ملأت نفوس القائد وجنده .

## المبحث الثاني فتح بلاد الشام

جاء فتح الشام بعد فتح العراق في زمن أبي بكر الصديق (رضى الله عنه)، وقد كان يتوق إلى فتح الشام، ويحدث به نفسه (٣٦)، ولما تولى الخلافة أراد أن يحقق تلك الرغبة، وذلك الحديث النفسي، إلا أنه فوجئ بالمشي قادماً عليه يستحثه على الحرب في العراق، والقضاء على فارس (٣٧)، ولهذا لما فرغ من العراق وجه جيوشه إلى بلاد الشام مباشرة (٣٨). واراد ابو بكر (رضى الله عنه) تحقيق رغبات رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحث العرب المسلمين على إعطاء أولوية لتحرير الشام، والاهتمام بها أكثر من غيرها من الأقطار. ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنكم ستجدون أجناداً. جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن. قلت يا رسول الله خر لي. قال: عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمينه، وليستق من غدرة، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله" (٣٩).

قال الواقدي (٤٠) عن فتوح الشام بما كان، قالوا جميعاً: إنه لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستخلف بعده أبو بكر (رضى الله عنه) الصديق (رضي الله عنه) قتل في خلافته مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة، وقاتل بني حنيفة، وأهل الردة وأطاعته العرب، فعزم أن يبعث جيشه إلى الشام وصرف وجهه لقتال الروم فجمع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المسجد وقام فيهم خطيباً فحمد الله عز وجل، وقال: يا أيها الناس رحمكم الله تعالى اعلموا أن الله فضلكم بالإسلام وجعلكم من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وزادكم إيماناً وبقيناً ونصركم نصراً مبيناً، وقال فيكم "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً" (٤١)، واعلموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان عول أن يصرف همه إلى الشام فقبضه الله إليه واختار له ما لديه، ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم

ومالهم فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنبأني بذلك قبل موته، وقال: "زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسبيل ملك أمتي ما زوى لي منها"، فما قولكم في ذلك. فقالوا: يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت، فإن الله تعالى فرض علينا طاعتك. فقال تعالى: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا { (٤٢)، ففرح أبو بكر (رضى الله عنه) ونزل عن المنبر وكتب الكتب إلى ملوك اليمن وأهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة. وهي: بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم أما بعد: فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد عزمت أن أوجهكم إلى بلاد الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام، فليبادر إلى طاعة الملك العلام، ثم كتب " {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { (٤٣) ، ثم بعث الكتب إليهم وأقام ينتظر جوابهم وقدمهم، وكان الذي بعثه بالكتب إلى اليمن أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: فما مرت الأيام حتى قدم أنس (رضي الله عنه) يبشره بقدوم أهل اليمن وقال: يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر إلى طاعة الله ورسوله، وأجاب دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد ، وقد أقبلت إليك يا خليفة رسول الله مبشراً بقدوم الرجال، وأي رجال، وقد أجابوك شعناً غبراً وهم أبطال اليمن وشجعانها، وقد ساروا إليك بالفراري والأموال والنساء والأطفال، وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا إليك فتأهب إلى لقائهم. قال: فسر أبو بكر (رضى الله عنه) بقوله سروراً عظيماً، وأقام يومه ذلك حتى إذا كان من الغد أقبلوا إلى الصديق رضي الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة. قال: فأخبروه فركب المسلمون من أهل المدينة

وغيرهم وأظهروا زينتهم وعلاهم ونشروا الأعلام الإسلامية ورفعوا الألوية المحمدية فما كان إلا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضاً، قوم في أثر قوم وقبيلة في أثر قبيلة، فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وأمامهم ذو الكلاع الحميري رضي الله عنه. وتشير النصوص انه استشار كبار الصحابة في امر قتال الروم وعقد الالوية لهذا الامر (٤٤) " ثم قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلى على النبي ثم قال: أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمّر عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون وأمر أبو بكر (رضى الله عنه) بلالا، فنادى في الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم! الروم بالشام " (٤٥).

عين أبو بكر (رضى الله عنه) قادة من كبار الصحابة الذين يشهد لهم بالكفاءة وحسن القيادة والتصرف وهم (٤٦):

١. أبو عبيدة بن الجراح باتجاه حمص.
  ٢. يزيد بن أبي سفيان باتجاه دمشق سالكاً محور تبوك.
  ٣. شرحبيل بن حسنة باتجاه الأردن سالكاً محور تبوك.
  ٤. عمرو بن العاص باتجاه فلسطين سالكاً طريق أيلة العقبة
- واوصى الخليفة (رضى الله عنه) أثناء التجميع القتالي، وتوحيد هذه الجيوش، يكون أبو عبيدة هو القائد العام لهذه الجيوش، وإن اجتمع شرحبيل وعمرو بن العاص ويزيد ابن أبي سفيان، فالقائد لهذه المجموعة هو يزيد، وإن اجتمع جيشان من هذه الجيوش في منطقة عمل، فإن القيادة

تكون لمن كان في نطاق عمله القتال (٤٧)، وإن اجتمع خالد فيما بعد  
فالقادة لخالد بن الوليد. (٤٨)

### إعداد الجيش

لابد لكل جيش قبل أن يدخل المعارك، أو أن يبدأ في القتال من أن  
يعد إعداداً كاملاً، يستطيع من خلاله أن يكون قادراً، أو على الأقل مطمئناً  
لإحراز النصر وذلك من خلال :

### الإعداد المعنوي:

جمع أبو بكر (رضى الله عنه) المجلس العسكري، وذكرهم بفضل  
الجهاد، وطرح موضوع تحرير الشام، فلم يتردد واحد منهم، بل أقر  
الجميع هذه الفكرة ، ثم طرحها على مستوى القاعدة من الشعب في  
المدينة في شبه استفتاء فأوكلوا له الأمر، وفوضوا إليه أن يسيرهم إلى  
حيث أراد ، وإن القائد الأعلى بهذا التصرف جمع القلوب ووحّد الصفوف  
وقوى المعنويات، وزاد في إيمانهم وثقتهم بالقتال والجهاد في سبيل الله.  
ومما شجع المقاتلين، وجعلهم يتمتعون بمعنويات عالية هو الثقة المطلقة  
بالقائد، وفرضية الجهاد، والإيمان بالله وبرسوله، وصدق الدعوة، واليقين  
بالنصر من عند الله، والانتصار الكبير الذي تحقق في قتال الردة،  
وتحرير العراق، لأن التحرير يدفع بالناس إلى التطوع حباً في المشاركة،  
والأجر والثواب، أو طلباً للغنيمة والمال. منهم من يريد الدنيا، ومنهم من  
يريد الآخرة، لكنهم يلتقون بهدف واحد مشترك وهو القتال، وإن كان  
الأول أعف وأفضل، ولا أدل على ذلك من إقبال الناس من مكة والمدينة  
والحجاز واليمن وغيرها على التطوع وخاصة بعد نجاح القوات العربية  
بأجنادين، وانتصارها على القوات الرومية، وكذلك حين قدم قادة اليمن  
بقبائلهم ومقاتليهم ونسائهم وأولادهم مليونين بذلك نداء القتال ودعوة الداعي،  
مستعدين للبذل والعطاء، معلنين الشهادة أو النصر. (٤٩)

## الإعداد المادي:

لقد جاء المقاتلون بأموالهم يحملونها وبأسلحتهم يتقلدونها، وبخيولهم يمتطونها، وبزادهم وطعامهم يتزودون به. فلم ينقصهم أي شيء، جاؤوا جاهزين للقتال، على درجة كاملة من الاستعداد، وقد أعلنوا عن جاهزيتهم عندما وصلوا إلى المدينة أمام القائد الأعلى. وقد تأكد بنفسه عندما تفقدهم وبارك لهم وأعطاهم من حبه، وأثنى عليهم. وما عليه الآن إلا أن يأمرهم بالمسير والتوجه نحو بلاد الشام، لم يقتصر هذا الإعداد على مستوى أهل اليمن فحسب بل شمل الأقطار العربية كلها، وبخاصة المدينة التي كانت مقراً ومستقراً للقيادة العليا في البلاد، لقد حث القائد الأعلى المواطنين والمقاتلين على بذل المال والنفس فقدموا كل ما عندهم، ولئن شمل الإعداد المادي أول من شمل جيش يزيد بن أبي سفيان، إلا أن الجيوش التي تلت قد شملها الإعداد المادي أيضاً، فكان كل جيش بعد أن يحضر ويستكمل احتياجاته المادية يتوجه الوجهة التي أمر بها. (٥٠)

## الإعداد البشري:

لبي الناس نداء القتال، فأنتت الوفود من كل حذب وصوب من اليمن ومن مكة وسائر بلاد العرب والمسلمين، وأول عمل قام به القائد الأعلى في هذا المجال هو تنظيم هؤلاء الوفود، وقلبهم إلى تنظيم عسكري يتمشى مع فكرة القتال، ومع إمكانيات العدو، والأوضاع القبلية، والصفات القيادية التي كانت لكل قبيلة أميرها، قبيلة حمير يقودها أميرها ذو الكلاع الحميري، وقبائل طيء الحارث بن سعد الطائي، والأزد جندب بن عمرو الدوسي وغيرها، أتبع نفس التنظيم الذي كان متبعاً من قبل في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان أكبر تنظيم هو الألف وأقله هو العشرة، وكان يزيد أول قائد يتوجه بألف إلى بلاد الشام (٥١).

## الإعداد التدريبي:

لاشك أن هذا النوع من التدريب يكتسب أهمية كبرى في تقرير مصير المعارك المقبلة بدءاً من أصغر وحدة وحتى أكبر تشكيل. فلقد كان المقاتل العربي المرشح للاشتراك في فتوح الشام مؤهلاً بكل هذه الصفات حيث كان خفيف الحركة، ذا لياقة بدنية عالية، متمرساً على الطعان والمبارزة والمطاردة، مجيداً لركوب الخيل واستخدام السيف، مدرباً على الحرب بالحرب، فهو الذي خاض معارك الدعوة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمر في قتال أهل الردة، وكذلك في الجبهة العراقية، فكان هذا التدريب جامعاً لكل ما تقدم. ولهذا فإنه لا يحتاج إلا إلى التعرف والتدريب على ظروف المعركة وطبيعتها التي سيقاقل عليها في بلاد الروم، وكذلك التعرف على طبيعة المقاتلين الذين سيلقاهم عند المواجهة. وبهذا فإن أبا بكر كان يرسل الجيش تلو الآخر بمجرد اكتماله من الناحية التنظيمية لاعتقاده في أن هذا الجيش مدرب على كل أنواع القتال، وعنده القدرة على الصمود والاقترحام، وعنده اللياقة القتالية والمعرفة التامة بفنون الحرب المختلفة. إن القائد الأعلى مقتنع بالمستوى التدريبي الذي وصلت إليه القوات العربية، ولهذا فإنه كان لا يشير إلى هذه الناحية في توجيهاته. وتعليماته إلى المقاتلين، إنما كان يشير إلى النواحي المعنوية والإنسانية والحربية. (٥٢)

ما إن استقر رأي القائد الأعلى على تحرير الشام حتى بادر إلى وضع خطة استراتيجية، يضمن بها النجاح والسيطرة على القوات، وضمان الانتصار على العدو. وكان أهم ما تضمنته هذه الخطة:

## إعلان التعبئة العامة:

إعلن التعبئة العامة في كل البلاد، وفي أرجاء شبه الجزيرة العربية، وبخاصة في المدن الهامة في مكة والمدينة والطائف واليمن، وفي مناطق نجد والحجاز، فسارع المتطوعون متحمسين في المدينة



المنورة (٥٣). ومن دعوة أبي بكر إلى الاستتار العام قوله إلى أهل اليمن: "فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً. وقد استتفروا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد ساروا إلى ذلك.. فساروا عباد الله إلى فريضة ربكم (٥٤)، فلبى العرب النداء، ولبى أهل اليمن هذه الدعوة فأتوا مسرعين، وتقدمت الوفود تتبعها الوفود (٥٥). و تنظيم الأفراد المتطوعين والذين وصلوا إلى المدينة بجيوش نظامية تعتمد على التنظيم العشري، وعلى القيادة القبلية (٥٦)، فانظر إلى الوفود التي جاءت متتالية، كانت القبيلة مع زعيمها، فلقد أقبل حمزة بن مالك الهمداني في بني همدان في أكثر من ألفي مقاتل، فولاه أبو بكر (رضى الله عنه) عليهم، وأرسله إلى جبهة القتال، كما أمر قادة الجيوش أن يعتقدوا لكل قبيلة لواءاً يُعرفون به (٥٧). والتحرك باتجاهات مختلفة وعلى محاور متباعدة، فقد سار قائد كل جيش على محور يختلف عن القائد الآخر، ولقد كان وجهة كل جيش إلى مكان يختلف عن وجهة الجيش الآخر، وذلك لضمان سلامة التحرك، والسرعة في المسير. (٥٨)

### الدعاية الإعلامية :

ان الدعاية الإعلامية الكبيرة الداخلية، التي هيأت النفوس، وقوت المعنويات، ووضعت كل مقاتل أمام مسؤولياته. فلقد كانت دعوة أبي بكر إلى الناس كافة، ومن بلغ هذه الدعوة عليه أن يستجيب لنداء القتال. وهكذا فقد اجتمع الآلاف المؤلفة من المقاتلين في المدينة من كل أرجاء الجزيرة العربية، وكلهم يتوق التوجه إلى جبهة القتال. وقد قام بهذه الدعاية القائد الأعلى والقيادة المركزية في المدينة. ومن خطب أبي بكر الإعلامية: "أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمر عليكم أمراء، وعاقدهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم

محسنون (٥٩) "كما كتب إلى عمال الصدقات يستحثهم ويدعوهم إلى القتال ويأمرهم بالتحضير والإعداد، ومنهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وغيره، وكلهم أجابوه بالطاعة والاستعداد وحب الجهاد وتفضيله على أعمال الصدقات . (٦٠)

### توحيد الجيوش وتوحيد القيادة:

كان من خطة أبي بكر قتال الروم بجيش موحد، وذلك بأن تجتمع كل الجيوش المتجهة نحو الشام، بجيش يضم أبا عبيدة وعمرو وشرحبيل ويزيد تحت قيادة خالد بن الوليد. ومما جاء في كتاب أبي بكر لأبي عبيدة بن الجراح: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنني قد وليت خالداً قتال الروم بالشام، فلا تخالفه، واسمع له، وأطع أمره، فإنني وليته عليك، وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبك سبل الرشاد، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته" (٦١).

والاحتفاظ باحتياطي كبير في المدينة له أهمية كبيرة وكان أبو بكر (رضى الله عنه) يدفع هذا الاحتياطي تبعاً إلى جهة القتال، تبعاً لأهمية هذه الجبهة، وإمكانية العدو القتالية، وحجم القوى التي يقاتل بها، وقد قيل: "ما زال أبوبكر رضي الله عنه يبعث بالأمراء إلى الشام، أميراً، أميراً، ويبعث بالقبائل، قبيلة، حتى ظن أنهم قد اكتفوا، وأنهم لا يبالون ألا يزدادوا رجلاً" (٦٢).

وتركيز الجهود الرئيسة باتجاه دمشق، وذلك عندما تجتمع جيوش الروم، والقتال على جبهة عريضة، وبنقاط اسناد متصلة فيما بينها وبذلك عندما لا يكون للروم جمع. وتنفيذاً لهذا البند من الخطة فقد أصدر أبو بكر (رضى الله عنه) إلى جميع الجيوش أمراً بتركيز جهودها نحو دمشق وباتجاه فلسطين، وأما القتال على جبهة عريضة فقد تحرك كل جيش وتمركز بدءاً من الشمال، من حمص وحتى جنوبي الأردن بأربعة جيوش متصلة مع بعضها بعضاً، ومن الطبيعي أن تبدأ القوات العربية مطبقة

الانتشار ومنتخذة مراكز انطلاق إلى الأراضي التي يحتلها الروم. تجمع هذا الجيش في اليرموك واستطاع بهذا التمرکز والتركيز أن يحقق نصراً ساحقاً. (٦٣)

### معركة اليرموك:

مع توقع المعركة التصادمية، تلقى قادة الجيوش عند تحركهم من المدينة مهمة القتال في طريقهم مع توقع حدوث مصادمات مع العدو. فالطريق التي سيسلكونها ليست خالية من الروم، وعلى الجيوش المتحركة أن تكون يقظة حذرة، وأن تقاوم كل من يعترض طريقها حتى تصل إلى المكان الذي أرسلت إليه. وفعلاً فقد سار كل جيش واصطدم مع قوات من الروم. فهذا جيش يزيد بن أبي سفيان اشتبك مع الروم في قتال في عربة وفي دائن، وهذا مسير جيش أبي عبيدة الذي اصطدم أيضاً في طريقه مع الروم في مؤاب بعمان، وهذا خالد بن الوليد الذي اقتحم عدة بلدان، وخاض عدة معارك في طريقه إلى بلاد الشام، وهكذا ترى معي أن هذه المسيرات اصطدمت مع الروم في مناوشات لم تكن فاصلة، إلا أنها كانت تعيق سير تلك الجيوش حتى تصل إلى أمكنتها المحددة. (٦٤) بعد أن أعلنت التعبئة، وأعدت وأحضرت الجيوش، وجهزت بالأعتدة والأسلحة، أمر القائد العام بإرسال الجيوش، وتحركها باتجاه الشام، بعد أن تلقى كل جيش مهمته التي كلف بها.

### جيش يزيد بن أبي سفيان.

تحرك أول جيش من المدينة بتاريخ الأول من صفر الموافق الأول من نيسان سنة ٦٣٤/١٣ باتجاه دمشق. فسلك المحور: المدينة، وادي القرى، تبوك، الجابية، دمشق (٦٥). ويشير الواقدي (٦٦) "وكان أول من دعاه أبو بكر (رضي الله عنه) يزيد بن أبي سفيان وعقد له راية وأمره على ألف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلاً من بني عامر بن لؤي يقال له ربيعة بن عامر وكان فارساً مشهوراً في الحجاز فعقد له راية

وأمره على ألف فارس ثم أقبل أبو بكر (رضى الله عنه) على يزيد بن أبي سفيان وقال له: هذا. ربيعة بن عامر من ذوي العلا والفاخر قد علمت صولته وقد ضمته إليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان إلى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن أبي سفيان وربيعه بن عامر وأقبلا بقومهما إلى أبي بكر رضي الله عنه فأقبل يمشي مع القوم فقال يزيد: يا خليفة رسول الله الناجي من غضب الله من رضيت عنه لا نكون على ظهور خيولنا وأنت تمشي فأما أن تركب وأما أن ننزل فقال: ما أنا براكب وما أنتم بنازلين وسار إلى أن وصل إلى ثنية الوداع فوقف هناك فتقدم إليه يزيد فقال: يا خليفة رسول الله أوصنا فقال: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فإنه لا افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم: {إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَاقُوهُمْ الْقُدْبَارَ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقَتَالٍ أَوْ مُحْزِزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (٦٧) وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة المأكول ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون إنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبداء الصليبان قد حلقوا أوساط رؤوسهم حتى كأنها مناحيض العظام فاعلوهم بسيفوكم حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتم الله ثم عانقه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال: يا عامر اظهر شجاعتك على بني الأصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال: وسار القوم ورجع أبو بكر (رضى الله عنه) بمن معه إلى المدينة "

كان على يزيد إزاء هذه التوقعات والاحتمالات أن يرسل أمامه دوريات الاستطلاع والطلائع، وأن يبث العيون على طول الطريق لكشف قوة العدو، وتحديد أماكن دفاعه الرئيسية والثانوية، ونوع أسلحته ومراكز إمداد، استتفرت القوات الرومية ورفعت جاهزيتها القتالية عندما علمت بتحريك العرب على هذا المحور، فاجتمع جيش مؤلف من ثمانية آلاف فارس ومقسم إلى خمسة ألوية على رأس كل لواء أحد البطارقة، وتوجهوا جميعاً بقيادة البطاريق شطر تبوك، جاعلين من أدلائهم، وعيونهم العرب الذين كانوا يقيمون في المدينة وعلى الطريق إلى دمشق. (٦٨)، تنبه قادة الجيش العربي الاسلامي إلى هذه التحركات المريبة، فأسرع جيش يزيد في السير لكي يسبق الجيش الرومي إلى تبوك، وليختار أمكنة التمركز، وبذلك يستطيع أن يحسن أمكنة القوات، وأن يستعد لملاقاة العدو، فوصل قبل ثلاثة أيام، وتحريراً بتشكيلة القتال بقوة ألف مقاتل أي بنسبة ١ إلى ٨، وخطب في المقاتلين، وحرصهم على القتال، وقوى من معنوياتهم، كما أرسل بالكمان أمام الجيش بقيادة ربيعة بن عامر. (٦٩)

تلاقت الفئتان، واصطف الجيشان، وبدأ القتال على أشده، لكن يزيد أمر الكمين أن يجذب قسماً من القوات الرومية، وأن يعميه عن الاتجاه الرئيسي، وبذلك أتاح لقوات القلب والمجنبتين أن تتحرك بسرعة محدثة خرقاً كبيراً في صفوف الجيش الرومي. حاول هذا الجيش أن يعيد تنظيمه لكنه لم يستطع بسبب عدم تدريب هذه القوات على القتال المشترك مع جميع الألوية الداخلة في قوام هذا الجيش، واستطاع الجيش العربي الاسلامي استغلال هذه الناحية فانفرد بكل جزء على حدة، وضاعت فرص التعاون بين ألوية الجيش الرومي، أما الجيش العربي الاسلامي فقد كان يقاتل كتلة واحدة، وبشجاعة نادرة، وانهارت قوى الجيش الرومي عندما قتل القائد العام لهذا الجيش، ولما علم قادة الألوية بمقتله فروا

هاربين طالبين النجاة، فتبعهم الجيش العربي الاسلامي قتلاً وأسراً. وقد بلغ مجموع القتلى ألفاً ومائتين، ومن جيش يزيد مائة وعشرين.(٧٠)

### جيش شرحبيل بن حسنة

وأراد الروم بعد المعركة التصادمية مع يزيد أن يسترجوا العرب حيلة ودهاء وإغراء، لكن العرب عرفوا واكتشفوا هذه الطرق، وأعلنوها صريحة إما السيف، أو أداء الجزية أو الإسلام ، فلم يرضوا بذلك واختاروا القتال ، تواصلت المعركة وشد كل جيش ضد الآخر، وأنقذ الموقف جيش شرحبيل الذي وصل لتوه إلى تبوك والذي أنفذه الخليفة ، فبعد ان حدد أبو بكر (رضى الله عنه)الصديق لمسير شرحبيل ثلاثة أيام بعد مسير يزيد بن أبي سفيان فلما مضى اليوم الثالث ودع أبوبكر شرحبيل وقال له: " ياشرحبيل ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد، أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر، أو تُقتل، وبعبادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيراً على كل حال، فقال شرحبيل: الله المستعان وماشاء الله أن يكون كان " (٧١)

واحتدم القتال، وهنا زج يزيد النسق الثاني الاحتياط الذي كان بيده، والتف جيش شرحبيل حول مجنبة العدو. فكان جيش يزيد يثبت العدو من الأمام، ويقوم جيش شرحبيل بالالتفاف حتى وصل مؤخرة الجيش الرومي وطوقه حتى لم يفلت منهم أحد، وتبعثرت قواته المتبقية والناجية من القتل، واستخدمت القوات العربية بعد هذا الانتصار المطاردة حتى قضى على أكثر القوات الرومية الثمانية آلاف (٧٢).

غنم الجيش العربي الاسلامي الأموال الكثيرة، والأعتدة والأسلحة، فأرسل بالأموال إلى المدينة، وأبقى الأعتدة والأسلحة، احتياطي لاستخدامها إذا لزم الأمر، وأرسل مع الغنائم شداد بن أوس إلى القائد الأعلى أبي بكر.(٧٣)

واصل جيش شرحبيل تقدمه بعد هذه المعركة المشتركة مع جيش يزيد، وتوجه بأمر من أبي عبيدة إلى بصرى في أربعة آلاف فارس ، وبصرى بلد له أهميته الدينية والتجارية عند الروم، ويحكمه بطريق له شهرته ومكانته يدعى "روماس". وجه شرحبيل إنذاراً لهذا البطريق: الإسلام أو الجزية، أو السيف . وبعد مشاورات ومفاوضات قرر هذا البطريق الدخول في الحرب في اثني عشر ألف فارس . صف شرحبيل جيشه بتشكيلة القتال، وحرضه، وقوى معنوياته، وذكره بالجهاد والجنة ، وكذلك فإن الجيش الرومي أخذ مكانه بصفوف بعضها خلف بعض، وابتدأ القتال بين الجيشين في أول النهار، وأشرقت الشمس على الهاجرة، ولا يزال القتال ضارياً ومستمراً، وكاد الجيش الرومي يتغلب على الجيش العربي، لولا أن خالد بن الوليد الذي نفذ بجيشه الذي خرج به من العراق، ودخل المعركة من الحركة فثبت جبهة القتال إلى آخر اليوم، وفي اليوم الثاني أعاد تنظيم الجيش وانتصر على الروم (٧٤).

### جيش عمرو بن العاص

استنفر المقاتلون من أهل مكة والطائف، وتدافعوا عن حب وطواعية، وأقبلوا للانضمام إلى الجيش الذي سيتجه إلى الشام، أصدر القائد الأعلى أمراً بتعيين عمرو بن العاص على هذا الجيش، كما وجه إليه التوجيهات التي ركزت على التعاون مع أبي عبيدة بن الجراح (٧٥)، وعلى كثير من الأمور السياسية والعسكرية والإدارية والإنسانية (٧٦) . وتقدم عمرو بن العاص وسار قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه: " اتق الله في شرك وعلايتك واستحيه في خلواتك فإنه يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإذا

سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعه وشرحبيل بل اسلك طريق أيليا حتى تنتهي إلى ارض فلسطين وابعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيدة فإن كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وأن كان يريد عسكريا فأنفذ إليه جيشا في أثر جيش وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد وإياك أن تكون وانيا عما ندبتك إليه وإياك والوهن أن تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عدونا ثم رأيت يوم حنين ما نصر الله عليهم واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر فآكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول إنما ولاني أبو بكر (رضى الله عنه) لاني خيرهم وإياك وخداع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة اذن بها إذا دخل وقتها ولا تصل صلاة إلا بأذان يسمعه أهل العسكر ثم ابرز وصل بمن رغب في الصلاة معك فذلك افضل له ومن صلاها وحده أجزأته صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم وأجلس معهم ولا تكشف استار الناس واتق الله إذا لاقيت العدو وإذا وعظت أصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيته فالإمام ينفرد إلى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله في رعيته وإنني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حميتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا امامك وخلف على الناس من ترصاه وإذا رايت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فخرا والزم أصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فإن ذلك يورث العداوة بينهم وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الإئمة



الممدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (٧٧) قال فكان أبو بكر (رضي الله عنه) رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وأبو عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقتلوا اعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فإن الله ناصر من ينصره قال فسلم المسلمون " (٧٨). والمتأمل في هذه الوصية يجد فيها الكثير من المبادئ الإسلامية سواء كان ذلك في الجانب الأخلاقي المرتبط بأوامر ونواهي الدين أو في الجانب العسكري أو الإداري وهي جميعها معاني سامية نابعة من روح الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه النبيلة والخالدة .

تحرك قائد هذا الجيش على محور: إيليا متجهاً إلى أرض فلسطين. وقد نظم قواته حسب قواعد المسير، حيث أرسل الطلائع أمامه، والحراسات الجانبية والأمامية، وفي الخلف الساقة والشؤون الإدارية، وسار بحيلة وحذر في تسعة آلاف مقاتل. (٧٩)، علم الروم بتحرك هذا الجيش، فحشدوا جيوشهم، وأمر هرقل القائد الأعلى أن تكون هذه الجيوش مستعدة لملاقاة الجيش العربي الإسلامي الذي وصل إلى أرض فلسطين. وعين "روبيس" قائداً عاماً للجيوش الرومية التي بلغت مائة ألف فارس ، وأرسل الطلائع والعيون لاستطلاع الأخبار (٨٠).

وتشير النصوص ان ابا بكر (رضي الله عنه) اوصى عمراً بن العاص بقوله " ياعمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمر وبصير بالحرب، وقد خرجت مع أشرف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور، فقال عمرو بن العاص: ما أخلقتني أن أصدق ظنك، وأن لا أفيل رأيك " (٨١)

علم عمرو بن العاص بواسطة استخباراته تحرك الروم نحوه، فعقد على الفور مجلس الحرب الذي خرج بمقررات منها: المجابهة والقتال

ضد الروم على كثرتهم، وأن لا تهاون ولا تخاذل ولا تراجع أما مهم، ونظم جيشه استناداً لمهمة القتال المقبلة، وأرسل طليعة قوامها ألف فارس بقيادة عبد الله بن عمر بن الخطاب. وبعد مسيرة يوم اصطدمت بطليعة الجيش الرومي التي كانت مؤلفة من عشرة آلاف فارس، نشر عبد الله بن عمر فرسانه بتشكيلة القتال، وأمرهم بالهجوم، دون أن يترك لعدوه فرصة الاستعداد، أو تحرير القوات إلى وحدات قتالية، ثم هاجمها بمجموعات قتالية من المجنبات، واستخدم الرمح والسيف والقتال القريب، وقاد بنفسه مجموعة باتجاه قائد طليعة الجيش الرومي، فوصل إليه، وأهوى عليه السيف فقتله، وبقتله ضعفت معنويات الجيش الرومي، وانهارت قواه، وداخله الرعب، فهرب من هرب، وقتل العديد، وأسر ستمائة قتلوا بعد ذلك حين رفضوا الدخول في الإسلام، وجمعت الغنائم من الخيل والأعتدة والأسلحة. (٨٢)

إن هذا النجاح الذي أحرزه عبد الله بطليعته أتاح للقوة الرئيسية للجيش العربي بقيادة عمرو بن العاص أن يعد العدة، وأن يتهيأ للقتال، وأن ينشر قواته، ويتحرير وحداته القتالية، ويعين القادة والأجنحة والكتائب والسرايا والمؤخرة. فكان على الميمنة الضحاك، وعلى الميسرة سعيد بن خالد، وعلى القلب عمرو بن العاص، وعلى الساقة أبو الدرداء، أما الجيش الرومي فقد كان في مائة ألف مقسماً إلى عشر فرق، في كل فرقة عشرة آلاف فارس، قام الجيش العربي الاسلامي بالهجوم السريع، وتقدمت الميسرة بقيادة سعيد بن خالد بسرعة كبيرة نحو مجنبة الجيش الرومي حيث استطاعت أن تخرق تلك الصفوف المتعددة، استطاع الجيش الرومي أن يسد على سعيد طريق العودة، وأن يقتل قائد الميسرة مع عدد من رجاله، إلا أن القلب في هذه اللحظة ضغط وتقدم باتجاه الصفوف، كما أن الميمنة بقيادة الضحاك استطاعت أن تخرق جزءاً بسيطاً من القوات الرومية، وأبطأ الجيش العربي الاسلامي في تقدمه لوجود المقاومات

العديدة، ولصمود القوات الرومية. وفي آخر النهار ضعفت مقاومة الجيش الرومي، وبقي الجيش العربي الاسلامي ضاغطاً، حتى انهزم الجيش الرومي، وفر هارباً من أرض المعركة في الاتجاهات المختلفة. وقد قتل في هذه المعركة التصادمية من الروم أكثر من خمسة عشر ألف فارس، وقتل من العرب مائة وثلاثون (٨٣)، ويرجع انتصار العرب على الروم إلى المعنويات العالية، وإلى الخفة والسرعة في ميدان المعركة، وإلى الوسائل القتالية التي كانت فيها خيل الجيش العربي الاسلامي أسرع وأقوى على التحمل من خيل الجيش الرومي، وفي الإيمان والعقيدة التي ظهرت حين بدء القتال بصيحات "الله أكبر"، وفي التصميم على النصر، وبعد الانتصار اجتمع المقاتلون فأقاموا الصلاة، وجمعوا الغنائم فخمسوها. (٨٤)

أعاد عمرو بن العاص تنظيم جيشه بعد هذه المعركة، وأرسل يستطلع خبر الروم، وفي نيته أن يتحرك لإكمال تحرير فلسطين، فتطوع للاستطلاع خالد بن سعيد والد سعيد الذي قتل في هذه المعركة لينثأر لابنه، فقاد مجموعة من ثلاثمائة فارس، وتحرك بعيداً عن تركز الجيش، فاصطدم بقوم من الأنباط فقتل منهم ثلاثين وأسر أربعة، فدلوه على أماكن تركز الروم، وعلى المستودعات المملوءة بالاحتياجات المادية، فلما وصل تلك المنطقة درس أرضها وعدد الحرس الذين كانوا يقومون بحراسة الوسائل المادية وهم ستمائة. فباغتهم، وقصد رئيسهم فقتله واستولى على الغنائم، وعاد بها إلى مقر قيادة الجيش إلى عمرو بن العاص، فقدم له تقريراً عن مهمته، وسلمه الغنائم، وأعلمه أن الروم تحشدوا بأجنادين. (٨٥)

### جيش أبي عبيدة الجراح

لما عزم الصديق على بعث أبي عبيدة بن الجراح بجيشه دعاه فودعه ثم قال له: " اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له، ثم يعمل بما أمر به،

إنك تخرج في إشراف الناس، وبيوتات العرب، وصلحاء المسلمين، وفرسان الجاهلية، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة، والنية الحسنة، أحسن صفة من صحتك، وليكن الناس عندك في الحق سواء، واستعن بالله وكفى بالله معيناً، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً، أخرج من غد إن شاء الله " (٨٦)، وكان في صفة أبي عبيدة بن الجراح فارس من فرسان العرب المشهورين، قيس بن هبيرة بن مسعود المرادي فأوصى به الصديق أبا عبيدة قبل سفره وقال له: إنه قد صحتك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، ليس بالمسلمين غناء عن رأيهم ومشورته وبأسه في الحرب فأدنه وألفه وأره أنك غير مستغن عنه، ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج بذلك نصيحتك لك وجهده وجدّه على عدوك، ودعا أبوبكر قيس بن هبيرة فقال: إن بعثتك مع أبي عبيدة الأمين، الذي إذا ظلم لم يظلم، وإذا أسىء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمراً، ولا تخالفن له رأياً، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس، سيد مجرب في زمان الجاهلية الجهلاء، إذ ليس فيهم إلا الإثم، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك في الإسلام على المشركين، وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره فقد جعل الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل " (٨٧)

أمر القائد الأعلى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) القائد أبا عبيدة الجراح أن يتحرك على محور الجابية باتجاه الشام إلى حمص، وأعطاه نفس التوجيهات التي أعطاها لعمر بن العاص، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة، سار أبو عبيدة كما سار غيره من الجيوش التي سبقته، وبنفس شروط المسير، مع أخذ الحيلة والحذر، ولم يلق أثناء تحركه مقاومة تذكر، لكنه توقف على مشارف الشام لوصول معلومات مؤكدة أن العدو حشد قوات كبيرة في أجنادين، وإن هرقل أرسل بجيوشه

للتصدي للقوات العربية (٨٨) ولما علم أبو بكر (رضى الله عنه) توقف أبي عبيدة، أراد أن يدعم الموقف، ويضفي عليه الحيوية والنشاط، فعين خالد بن الوليد ليكون القائد العام للجبهة الشامية. (٨٩) وسار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية وأنه قد جمع لهم جموعا كثيرة فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر يخبره : بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإننا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزاً متيناً، وأن يتحرير لهم تحريراً يسيراً، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام، تدعى أنطاكية وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول ، وقد رأيت أن أعلمك ذلك، فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فكتب إليه أبو بكر (رضى الله عنه) : " بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وتحرير من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ما ذكرت من حشره لكم أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وما كان قوم ليدعوا سلطانهم ويخرجوا من ملكهم بغير قتال، وقد علمت والحمد لله، قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم للحياة، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبنائهم ونسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند التحرير خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجنودك، ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين فإن الله معك، وأنا مع ذلك مُدُّك بالرجال حتى تكفي ولا تريد أن تزداد إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (٩٠). فقام أبو بكر (رضى الله عنه) في الناس " فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن إخوانكم المسلمين معافون مكلئون مدفوع عنهم مصنوع لهم وقد ألقى الله

الرعب فى قلوب عدوهم منهم وقد اعتصموا بحصونهم وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم وقد جاءتتى رسلهم يخبروننى بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من قرى الشام فى أقصى الشام وقد بعثوا إلى يخبروننى أنه قد وجه إليهم هرقل جندا من مكانه ذلك فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم ويكبت بهم عدوهم ويلق بهم الرعب فى قلوبهم فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبى وقاص واحتسبوا فى ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهو التحرير والغنيمة وإن تهلکوا فهى الشهادة والكرامة " (٩١)

ثم انصرف أبو بكر (رضى الله عنه) إلى منزله، ومال الناس على هاشم بن عتبة حتى كثروا عليه، فلما أتموا ألفاً أمره أبو بكر (رضى الله عنه) أن يسير، فجاءه فسلم عليه وودّعه، فقال له أبو بكر (رضى الله عنه): "يا هاشم، إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته، وإن الله -عز وجل- قد جمع لك الخصال كلها، وأنت حديث السن، مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة، ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً، إن الله لا يضيع أجر المحسنين فقال هاشم: إن يرد الله بي خيراً يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله، وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل، ثم أقتل إن شاء الله، فقال له عمه سعد بن أبى وقاص: يا بن أخي، لا تطعن طعنة، ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً، وراجع إلى الله قريباً، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته، أو عمل صالح أسلفته، فقال: أي عم، لا تخافن مني غير هذا، إني إذا لمن الخاسرين، إن جعلت حليّ وارتحالي، وغدوي ورواحي، وسيفي وطعني برمحي، وضربي بسيفي رياء للناس ثم خرج

من عند أبي بكر فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه، فتباشر بمقدمه المسلمون، وسُرُّوا به" (٩٢)

كانت قيادة الجيوش الإسلامية بالشام تتابع تطور حركة الجيوش الرومانية وشعر القادة بخطورة الموقف، فعقدوا مؤتمراً بالجلولان وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة يشرح له الموقف وفي الوقت نفسه قرروا الانسحاب من جميع الأراضي التي تم تحريرها وتجمعوا في مكان واحد ليتمكنوا من احباط خطة الرومان واجبارهم على خوض معركة فاصلة تخوضها كل الجيوش الإسلامية وكان عمرو بن العاص اشار على القادة أن يكون التجمع باليرموك، وجاء رأي الصديق مطابفاً لرأي عمرو بن العاص (٩٣) في اختيار مكان التجمع واتفقوا ان يتم الانسحاب مع تجنب الاشتباك مع العدو فانسحب ابو عبيدة من حمص وانسحب شرحبيل بن حسنة من الأردن وانسحب يزيد بن أبي سفيان من دمشق وأخذ عمرو بن العاص من الانسحاب تدريجياً من فلسطين، ولكنه لم يستطيع الانسحاب منها حتى نجده خالد بن الوليد قبل اليرموك، فظل يناور في بئر السبع لمتابعة الروم له وبذلك شن المسلمون هجوماً مضاداً فكانت معركة اجنادين (٩٤)

عندما استلم الصديق رسالة أبي عبيدة وشرح له فيها الموقف امره بالانسحاب إلى اليرموك والتجمع هناك وقال له: بث خيلك في القرى والسوداء وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ولا تحاصروا المدائن حتى يأتيتك امري، فإن ناهضوك فانهذ لهم واستعن بالله عليهم فإنه ليس يأتيتهم مدد إلا امددناك بمثلهم (٩٥) ويشير الطبري لهذا الامر بقوله: ففرعوا جميعاً بالكتب وبالرسل إلى عمرو: أن ما الرأي؟ فكاتبهم وراسلهم: إن الرأي الإجماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا. فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به. وقد كتب إلى أبي بكر بمثل كا

كاتبوا به عمراً ، فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو ، بأن اجتمعوا عسكرياً واحداً ، وألقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فإنكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه " (٩٦) .

ونرى من خلال ما تقدم بان الخليفة ابا بكر الصديق عمل على تجميع الجيوش في مكان واحد حتى لا يستغل العدو فترة انتشارهم في البلاد لينهك قواهم الواحد بعد الآخر وقرر الصديق أن ينقل خالد بن الوليد بجيشه إلى الشام وأن يتولى قيادة الجيوش بها ، فالأمر بالشام يحتاج إلى قائد يجمع بين قدرة أبي عبيدة ، ودهاء عمرو ، وحكمة عكرمة ، وإقدام يزيد ، وأن يكون صاحب قدرة عسكرية فائقة ، مع قدرة على حسم الأمور ، وصاحب دهاء وحيلة وإقدام ، وصاحب حنكة ودراية مع دقة في تقدير المواقف وصاحب تجربة طويلة في المعارك (٩٧) ، فوقع اختيار الصديق على خالد بن الوليد فكتب إليه بالعراق ونفذ ابن الوليد تعاليم الخليفة ووصل بجيشه إلى الشام وعندما أرسل الصديق إلى خالد يأمره بالتوجه إلى الشام وتولي الجيوش هناك ، قام الصديق بإرسال رسالة إلى أبي عبيدة يخبره فيها بتولية خالد عليه ويأمره فيها بالسمع والطاعة وبين فيها سبب توليه خالد : أما بعد فإنني قد وليت خالداً قتال الروم بالشام ، فلا تخالفه واسمع له واطع أمره . فإنني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . (٩٨)

### جيش خالد بن الوليد

بعد أن أرسل أبو بكر (رضى الله عنه) الجيوش الأربعة إلى بلاد الشام ، عاد فأرسل خالداً إلى العراق ، وإلى بلاد فارس . وكالعادة فإن القائد



الأعلى حدد لخالد المهمة والهدف، وأصدر إليه التوجيهات، وحدد له القوى والوسائل جيش الزحف ومقاتلي لحم وجدام ، نجحت الجبهة العراقية، وتوقفت جيوش الجبهة الشامية لوجود عدو قوي. وكان أبو بكر (رضى الله عنه) يهيمه كاستراتيجي أن تتجح جبهة الشام كما نجحت جبهة العراق، وعلى اعتبار أن خالد بن الوليد قد نجح في قيادته، فأراد القائد الأعلى أن يكلفه بهذه المهمة، فأصدر إليه أمراً أن يتحرك من بلاد فارس إلى بلاد الروم وإني قد وليتك على جيوش المسلمين، وأمرتك بقتال الروم (٩٩). " قال الواقدي: " واجتمع بالمدينة نحو تسعة آلاف، فلما تم أمرهم كتب أبو بكر (رضى الله عنه) كتاباً إلى خالد بن الوليد يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد ومن معه عن المسلمين. أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وأوصيكم وأمركم بتقوى الله في السر والعلانية، وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل إلى دمشق إلى أن يأذن الله بتحريرها على يدك فإذا تم لك ذلك فسر إلى حمص وأنطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته، وقد تقدم إليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك ابن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الأشتر وانزل على المدينة العظمى أنطاكية، فإن بها الملك هرقل فإن صالحك فصالحه وإن حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب، وأقول هذا وإن الأجل قد قرب ثم كتب " كل نفس ذائقة الموت " (١٠٠)، ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه إلى عبد الرحمن، وقال له: أنت كنت الرسول من الشام وأنت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن وسار على مطيته يطوي المنازل والمناهل إلى أن وصل إلى دمشق " (١٠١) .

تحرك خالد من أرض العراق متبعاً الطريق القصيرة التي تسهل له الوصول بسرعة إلى بلاد الشام، لتعزيز هذه الجبهة، وقبل أن يكتمل

تجمع العدو، ويتأهب للقتال. انطلق خالد بجيشه في ربيع الثاني في حزيران ٦٣٤/١٣ (١٠٢)، فسلك المحور الشمالي المحفوف بالمخاطر بجيش بلغ تسعة آلاف مقاتل أو أكثر (١٠٣). ولاقى خالد وهو في طريقه إلى الشام كثيراً من المقاومات الرومية أو العربية غير الموالية، وكانت أول مقاومة اصطدم بها عندما وصل إلى "سوى" ففضى عليها، وواصل تقدمه فمر بـ "أرك" فصالح أهلها على دفع الجزية وسلم قائد هذه الحامية الرومي كل ما يريده الجيش العربي، وكذلك في "تدمر" حيث صالح أهلها كما صالح أهل "أرك"، وفي "القريتين" قام أهلها ووقفوا في وجه هذا الجيش المتقدم، لكنهم هُزموا، وخضعوا، وفي مرج "راهط" اصطدمت قوات المسلمين بالغساسنة الذين أبدوا مقاومة ففضى عليهم، وأرسل خالد سرية إلى الغوطة الشرقية فأغارت على بعض النقاط المعادية، واستولت عليها. وكان قائد الجيش في تحركه يرسل الطلائع والدوريات والسرايا والعيون كما كان يستفيد من المصادر المحلية المتوفرة كالماشية والمياه والغنائم المستولى عليها، وكان لا يذر أية مقاومة صغيرة كانت أم كبيرة إلا قضى عليها، وذلك كله لتأمين تحرك الجيش. (١٠٤)

وصلت طلائع هذا الجيش إلى بصرى، واشتركت فوراً بالقتال مع جيش شرحبيل بن حسنة الذي كان مشتبكا مع الروم، وكذلك اشتركت القوة الرئيسية عند وصولها وتحريرت تشكيلاتها بوحدات قتالية، ومضى اليوم دون أن تظهر النتائج (١٠٥)، في اليوم التالي عاود القتال، ونظم خالد جيشه فجعل على الميمنة رافع بن عمير الطائي، وعلى الميسرة ضرار بن الأزور، وفي القلب خالد بن الوليد القائد العام، وفي الساقة عبد الرحمن بن أبي بكر، وقسم جيش الزحف إلى قسمين، وجعل على كل قسم قائداً قادراً على الحركة بسرعة. (١٠٦)

إن حجم القوى والوسائط في كلا الجيشين أصبحت متقاربة، ففي الجيش العربي الاسلامي تسعة آلاف، مضافاً إليها أربعة آلاف أما الجيش الرومي فكان اثني عشر ألف فارس. (١٠٧)

بدأت المعركة بالمبارزة إذ خرج من الجيش الرومي "الدير جان" قائد الجيش، وخرج من الجيش العربي الاسلامي خالد بن الوليد قائد الجيش، لكن عبد الرحمن بن أبي بكر استأذن من خالد ليبارزه فخرج، وطالت المبارزة، حتى إذا تضايق "الدير جان" فر هارباً. وهنا أمر خالد بالهجوم العام لاستغلال هذه الفرصة التي انهزم فيها قائد الجيش الرومي، وتراجع الجيش الرومي، وأزيع عن موقعه، وانسحب ودخل المدينة وتحصن بها، وحوصرت بصرى من قبل الجيوش مجتمعة، وفرض عليها الحصار الكامل (١٠٨) وبمساعدة العملاء من جيش الروم علم خالد مقر القيادة والتحشدات، فشكل مجموعة فدائية بقيادة عبد الرحمن بن أبي بكر قصدت قائد الروم، واستطاعت أن تصل إلى مقره وتقتله (١٠٩) وأسلم "روماس" الروماني، ودخل في دين الله بعد أن أسهم بانتصار المسلمين، وبخاصة عندما دلّ خالد بن الوليد على عورات الجيش الرومي، وعلى مقر قيادته، وأعطى الكثير من المعلومات التي ساعدت في تحرير المدينة، والانتصار على الجيش الرومي وتحرير بصرى، ودفع أهلها الجزية ثم أعلم خالد أبا بكر وأبا عبيدة بهذا التحرير والانتصار، ثم انضم أبو عبيدة إلى خالد. (١١٠) كانت حروب الشام تمهيداً لفتوحات أكبر، ولم تقع معركة حاسمة، وقد استفاد الجيش العربي الاسلامي الخبرة في القتال، والخصائص التي يتميز بها الروم عن الفرس وعن غيرهم، كما استطاع أن يغنم غنائم كثيرة ساعدته فيما بعد على إكمال احتياجاته ووسائطه المادية، وأضيف لهذا الجيش أعداد كبيرة من الذين تطوعوا من الأراضي التي دخلت تحت الحكم العربي الاسلامي.

لم يكن الروم يتوقعون نجاح الجيش العربي الاسلامي بهذه المعارك، وإنما كان في تصورهم أن هذا الجيش لا يملك العدة والعدد لمقاتلة الجيش الرومي، ولذا كان الاهتمام بالتحضير لحرب العرب المسلمين لا يأخذ تلك الأهمية، ولما أحس قادة الروم بالخطر، كان الجيش العربي، قد دخل معارك متعددة ونجح فيها، ولما اجتمع الجيش الرومي في اليرموك، ورأوا أن الفرصة سانحة للقضاء على هذا الجيش، لم يستطيعوا وبأؤوا بالفشل الذريع وخسروا المعركة وانهزموا شر هزيمة، وأن للعرب آنئذ أن ينطلقوا نحو الفتوحات الكبرى في زمن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).

## الخاتمة

لقد برز في التاريخ العربي الاسلامي عدد كبير من الشخصيات القيادية السياسية والعسكرية والفكرية التي اسهمت في إثراء هذا التاريخ بالانجازات الكثيرة والاعمال والمواقف المشرفة، وكان لهم الفضل والسبق في تسجيل تلك الانجازات على صفحات التاريخ، بعد ان منَّ الله عليهم بالايمان والثبات والجهاد فقد انتدب الخليفة ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) الناس لتحرير العراق وبلاد الشام ، وبذلك بدأت حروب تحرير العراق والشام في عهده ، وتبين من خلال الدراسة انه كان له الفضل في تنظيم قوات المسلمين في العراق والشام وتوحيدها وتوحيد قيادتها وتسلمه القيادة ، ووضعه لهذه القوات تعبئةً جديدةً ، وهذا الجيش يمثل اول انطلاق عربي اسلامي خارج حدود شبه الجزيرة العربية بشكل واسع ومنظم، وكذلك يمثل اول صدام كبير للعرب المسلمين مع الفرس والروم وكذلك فان هذا الدور الذي قام به ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) يمثل بداية تحرير الارض العربية من الاحتلال الاجنبي، وكذلك بداية وجود العرب المسلمين على هذه الارض والى يومنا هذا .

## الهوامش

- (١) سورة الحج، الآية ٣٩.
- (٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.
- (٣) ابن أعمم الكوفي، أبو محمد محمد بن أعمم (٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية مجيد آباد الدكن، (الهند، ١٣٨٨/١٩٦٨)، ص ٩٠.
- (٤) الازدي، محمد بن عبد الله (ت ٢٣١هـ)، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، الناشر سجل العرب، (مصر، ١٩٧٠)، ص ٥٤.
- (٥) المصدر نفسه، ص ٦٠، ٦١.
- (٦) ابن سيد الناس، أبو فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الأندلسي الإشبيلي (ت ٧٣٤هـ)، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائيل والسير، (بيروت، ١٩٨٠)، ١٦٢/٢، ١٦٣؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٥٢م)، ص ٦٧.
- (٧) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، منشورات مؤسسة الأعلمي ومؤسسة جواهر للطباعة والتصوير، الطبعة الرابعة، (بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٣٠٩/٢.
- (٨) الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)، فتوح الشام، المطبعة الميمنية، (مصر، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م)، ١٦/١.
- (٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٧٢/٣.
- (١٠) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين، (بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ص ٢٤٤.
- (١١) ابن الاثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٢٧٢/٢.
- (١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١٠/٢.
- (١٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الكبرى، (مصر، ١٢٨٤هـ)، ٥٠٧/٢.
- (١٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٤.

- (١٥) كاظمة : وهي على ساحل الخليج يبعد يومين على البصرة . ينظر ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، (ببريل ، ١٨٨٩) ، ص ١٥١ .
- (١٦) ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(٥٧٧٤هـ)،البداية والنهاية، مكتبة المعارف،الطبعة الخامسة،(بيروت ١٩٨٤/٥١٤٠٤م) ، ٣٤٤/٦ .
- (١٧) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٨٥/٢ .
- (١٨) ابن خلدون ، تاريخ ، ٥٠٧/٢ .
- (١٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٤٤/٦ .
- (٢٠) المصدر نفسه ، ٣٤٥/٦ .
- (٢١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣١٣/٢ ؛ مونتغمري ، وات ، الحرب عبر التاريخ، تعريب وتعليق العميد فتحي عبدالله النمر، مكتبة الانجلو المصرية ، (مصر ، بلا.ت) ، ١٨/١ .
- (٢٢) أليس بضم أوله وتشديد ثانيه بعده ياء وسين مهملة على وزن فعيل بلد بالجزيرة ، البكري ، ابو عبدالله بن عبدالعزيز (٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ،(بيروت ، ١٤٠٣هـ) ١٨٩ / ١ ،
- (٢٣)الولجة : موقع بين البصرة والكوفة : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٣٣/٨ .
- (٢٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣١٣/٢ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٨٩/٢ .
- (٢٥) ابن خلدون ، تاريخ ، ٨٩١/١ .
- (٢٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٤٧/٦ .
- (٢٧) امغشيا : وهي موضع كان في العراق وكان عبارة عن قصر كالحيرة وكانت أليس من مسالحها . ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، ١٩٠٦) ، ٣٣٦/١ .
- (٢٨) ابن خلدون ، تاريخ ، ٥١٠ / ٢ .
- (٢٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣١٦ / ٢ .

- (٣٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢٤٠ ؛ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري(ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، (بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ٣٩٦/٧.
- (٣١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٣٢٤، ٣٢٣ ؛ الجنرال أ.أكرم ، سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة، العميد الركن، صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص٤٤.
- (٣٢) ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٥١١ ؛ غلوب ، جون باجوت ، الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق خيرى حماد، الدار القومية للطباعة والنشر،(القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) ، ص٧٦ .
- (٣٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٨٩، ٣٨٨ ؛ ابن خياط: خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق : الدكتور ضياء العمري، مطبعة دار القلم ومؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية(بيروت، ١٣٩٧/١٩٧٧)، ٢٠/١
- (٣٤) ابن كثير ، البداية والنهاية / ٦ / ٣٤٩ .
- (٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٣٢٥ .
- (٣٦) الدواداري : أبو بكر عبد الله بن أبيك(ت٧٣٦)، كنز الدرر وجامع الغرر، الكنز الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين، تحقيق : محمد السعيد جمال الدين، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،(القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ١٦١/٣.
- (٣٧) الأزدري، فتوح الشام، ٥٣ وما بعدها؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٢٤٢.
- (٣٨) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٠؛ الخصري ، محمد ، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، المطبعة العربية،(مصر، بلا.ت) ، ٥٤ وما بعدها.
- (٣٩) البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدرآباد الدكن،(الهند، ١٣٤٤/١٩٢٥) ، ٣٥٥/٢؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين(ت٥٧١هـ)، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، دار المسيرة، الطبعة الثانية،(بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٤٩/١.
- (٤٠) الواقدي ، فتوح الشام ، ١/١



- (٤١) سورة المائدة ، الآية ٣.
- (٤٢) سورة النساء، الآية ٥٩.
- (٤٣) سورة التوبة، الآية ٤١.
- (٤٤) ينظر، الواقدي ، فتوح الشام ، ٥/١؛ الأزدي ، فتوح الشام ، ص٣،٢ ؛  
اليعقوبي ، ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٥٢٩٢)،  
تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغرى ،(النجف، ١٣٥٨هـ)، ١١١/٢.
- (٤٥) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ٦٥،٦٣/٢ .
- (٤٦) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١١٩، البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٠، كمال،  
أحمد عادل، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام)، دار النفائس ،(بيروت؛  
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ص ١٥٩، عبد الحميد، صبحي، معارك العرب الحاسمة،  
مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص ٢٤، ٢٥.
- (٤٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٦، ١١٧.
- (٤٨) الواقدي، فتوح الشام، ١٣/١؛ الأزدي، فتوح الشام، ٦٨؛ كمال، الطريق إلى  
دمشق، ص ٢٣٩.
- (٤٩) الواقدي، فتوح الشام، ٢/١؛ الدوادري، الدر الثمين، ١٦٥/٣.
- (٥٠) الواقدي، فتوح الشام، ٧/١ وما بعدها؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠.
- (٥١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٨/٢؛ الواقدي، فتوح الشام، ٤،٣/١.
- (٥٢) الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، مطبعة الفتوح  
الأدبية ،(مصر، ١٣٣٢هـ/١٩١٣م)، ٧/٣، ١٠، ١٢. انظر إلى توجيهات القائد  
الأعلى إلى يزيد بن أبي سفيان عندما أمره بالتحرك لمحاربة الروم عند الواقدي،  
فتوح الشام، ٤/١.
- (٥٣) الأزدي، فتوح الشام، ٨ .
- (٥٤) الأزدي، فتوح الشام، ٣٩، ١٦، ٩ وما بعدها.
- (٥٥) البلاذري، فتوح البلدان ١١٥.
- (٥٦) الأزدي، فتوح الشام، ٣٩ وما بعدها.
- (٥٧) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٧.
- (٥٨) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٠؛ الخضري، إتمام الوفاء، ٥٤ وما بعدها.
- (٥٩) الأزدي، فتوح الشام، ٤، ٥.

- (٦٠) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٨٧/٢، ٥٨٨.
- (٦١) الأزدي، فتوح الشام، ٨٦.
- (٦٢) الأزدي، فتوح الشام، ٣٩، ٤١، ٥٢.
- (٦٣) الأزدي، فتوح الشام، ٢١٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٠؛ كمال، الطريق إلى دمشق، ١٥٩.
- (٦٤) الأزدي، فتوح الشام، ص ٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٥/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٧/٢، ٩٦/٤.
- (٦٥) الواقدي، فتوح الشام، ٤/١؛ عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، ص ٢٥.
- (٦٦) الواقدي، فتوح الشام، ٨ / ١.
- (٦٧) سورة الأنفال، الآية ١٥-١٦.
- (٦٨) العسلي، بسام، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٩٧.
- (٦٩) الواقدي، فتوح الشام، ٥/١.
- (٧٠) المصدر نفسه، ٥/١.
- (٧١) الأزدي، فتوح الشام، ص ١٤.
- (٧٢) الواقدي، فتوح الشام، ٥/١.
- (٧٣) الأزدي، فتوح الشام، ص ١٥.
- (٧٤) الحديثي، نزار، والجنابي، خالد جاسم، أبو بكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، (العراق، ١٩٨٩)، ص ٦٢.
- (٧٥) الأزدي، فتوح الشام، ص ٤٨، ٤٩.
- (٧٦) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ١٣٠/١.
- (٧٧) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.
- (٧٨) الواقدي، فتوح الشام، ١ / ١٤.
- (٧٩) الجبوري، نهاد عباس، العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين، دار الحرية، (بغداد، بلا.ت)، ص ١٤٣.
- (٨٠) الأزدي، فتوح الشام، ص ٤٨، ٥١.
- (٨١) المصدر نفسه، ص ٤٨، ٥١.
- (٨٢) الواقدي، فتوح الشام، ١٠/١؛ الخصري، إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، ص ٥٥.

- (٨٣) الواقدي، فتوح الشام، ١/١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/٧.
- (٨٤) حداد، جورج مرعي، فتح العرب للشام (بحث تاريخي انتقادي تحليلي)، المنشورات الجامعة بطرابلس، (لبنان، ١٩٨٤)، ٦٨.
- (٨٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/١٥٥؛ عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، ٢٦.
- (٨٦) الأزدي، فتوح الشام، ص ١٧.
- (٨٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٦٦.
- (٨٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/٥٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/١٥٥.
- (٨٩) الواقدي، فتوح الشام، ١/١٣.
- (٩٠) الأزدي، فتوح الشام، ص ٣٠، ٣١.
- (٩١) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، (بيروت، بلا.ت)، ١ / ٢٠١.
- (٩٢) عاشور، محمد أحمد، والكومي، جمال عبد المنعم، خطب أبي بكر الصديق، (دار الاعتصام، بلا.ت)، ص ٩٢.
- (٩٣) الجبوري، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص ١٤٨.
- (٩٤) باشميل، محمد أحمد، حروب الإسلام في الشام، دار الفكر، (بلا.ت)، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٤٥.
- (٩٥) الجبوري، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، ص ١٤٨.
- (٩٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢١١.
- (٩٧) هاني، يسري محمد، تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، (بلا.ت)، ١٤١٨هـ، ص ٣٥٩، ٣٦٠.
- (٩٨) حمادة، محمد ماهر، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، الطبعة الخامسة، (بلا.ت)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٣٩٢، ٣٩٣.
- (٩٩) الأزدي، فتوح الشام، ٦٨، ابن أعثم، الفتوح، ١/١٣٣، ١٣٥، كمال، الطريق إلى دمشق، ٢٣٩.

- (١٠٠) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .
- (١٠١) الواقدي ، فتوح الشام ، ج ١ / ص ٤٩ .
- (١٠٢) الشيباني، محمد بن الحسن (ت١٧٩هـ)، شرح كتاب السير الكبير إملاء محمد بن أحمد ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، (مصر، ١٩٥٧)، ١/٤٨، ابن سعد، الطبقات، ٧/٣٩٦، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/٦٠٣، ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ١/١٣٨، أكرم، سيف الله، ٣٣٦، ٣٣٧ .
- (١٠٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٤٠٧، ابن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت٧٠٩هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، راجعه ونقحه : عوض إبراهيم وعلي الجارم، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، الطبعة الثانية، (مصر، ١٩٣٨م)، ٦٥ .
- (١٠٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٤٠٩؛ ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ١/١٣٥؛ كمال ، الطريق إلى دمشق، ٢٤٤ .
- (١٠٥) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٥ .
- (١٠٦) الأزدي، فتوح الشام، ٨١ .
- (١٠٧) الواقدي، فتوح الشام، ١/١٥ .
- (١٠٨) الأزدي، فتوح الشام، ٨٢ .
- (١٠٩) الواقدي، فتوح الشام، ١/١٧ .
- (١١٠) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ١١٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٥ .

## المصادر الاولية والمراجع

### اولاً : المصادر

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ ابن الاثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)
- ✓ ابن أعثم الكوفي، أبو محمد محمد بن أعتم (٣١٤هـ) ، كتاب الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية مجيد آباد الدكن، (الهند، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- ✓ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الكبرى ، (مصر، ١٢٨٤هـ)
- ✓ ابن خياط: خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق : الدكتور ضياء العمري، مطبعة دار القلم ومؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (بيروت، ١٣٩٧/١٩٧٧)
- ✓ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت؛ ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)
- ✓ ابن سيد الناس، أبو فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الأندلسي الإشبيلي (ت ٧٣٤هـ)، عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير ، (بيروت ، ١٩٨٠)
- ✓ ابن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، راجعه ونقحه : عوض إبراهيم وعلي الجارم، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، الطبعة الثانية، (مصر، ١٩٣٨م)

- ✓ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين (ت ٥٧١هـ) ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير؛ دار المسيرة، الطبعة الثانية، (بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩).
- ✓ ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٥٧٤هـ) ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، الطبعة الخامسة، (بيروت، ١٤٠٤/١٩٨٤م)
- ✓ الازدي ، محمد بن عبد الله (ت ٢٣١هـ) ، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، الناشر سجل العرب ، (مصر، ١٩٧٠).
- ✓ البكري ، ابو عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٤٠٣هـ)
- ✓ بلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين، (بيروت، ١٣٧٧/١٩٥٧م)
- ✓ البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن، (الهند، ١٣٤٤/١٩٢٥م) .
- ✓ الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، مطبعة الفتوح الأدبية، (مصر، ١٣٣٢/١٩١٣م)
- ✓ الدواداري : أبو بكر عبد الله بن أبيك (ت ٧٣٦هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، الكنز الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين، تحقيق : محمد السعيد جمال الدين، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة، ١٤٠٢/١٩٨١م)
- ✓ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، ١٩٥٢م).

- ✓ الشيباني، محمد بن الحسن (ت ١٧٩هـ) ، شرح كتاب السير الكبير  
إملاء محمد بن أحمد سرخسي، تحقيق صلاح الدين المنجد، معهد  
المخطوطات بجامعة الدول العربية، (مصر، ١٩٥٧)
- ✓ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك ،  
منشورات مؤسسة الأعلمي ومؤسسة جواهر للطباعة والتصوير،  
الطبعة الرابعة، (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- ✓ الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، فتوح الشام، المطبعة الميمنية  
(مصر، ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م) .
- ✓ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي  
(ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ، (القاهرة، ١٩٠٦)
- ✓ اليعقوبي ، ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب  
المعروف بابن واضح (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغرى  
(النجف، ١٣٥٨هـ)،

## ثانياً : المراجع :

- ✓ أ.أكرم الجنرال ، سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة، العميد الركن،  
صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .
- ✓ باشميل ، محمد احمد ، حروب الإسلام في الشام ، دار  
الفكر، (بلا مكان ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ✓ الجبوري، نهاد عباس، العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين، دار  
الحرية، (بغداد، بلا.ت).
- ✓ حداد، جورج مرعي؛ تحرير العرب للشام (بحث تاريخي انتقادي  
تحليلي)، المنشورات الجامعة بطرابلس ، (لبنان، ١٩٨٤)
- ✓ الحديثي، نزار، والجنابي، خالد جاسم، ابو بكر الصديق، دار الشؤون  
الثقافية العامة، (العراق، ١٩٨٩).

- ✓ حمادة ، محمد ماهر ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس، الطبعة الخامسة،(بلامان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)
- ✓ الخصري ، محمد ، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء،المطبعة العربية،(مصر، بلا.ت)
- ✓ صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، المكتبة العلمية ،(بيروت، بلا.ت)
- ✓ عاشور،محمد أحمد،والكومي،جمال عبدالمنعم،خطب أبي بكر الصديق،(دار الاعتصام،بلا.ت).
- ✓ عبد الحميد، صبحي، معارك العرب الحاسمة، مؤسسة الأبحاث العربية،(بيروت، ١٩٨٠).
- ✓ العسلي، بسام، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، الطبعة الثانية ، دار الفكر ،(بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)
- ✓ غلوب ، جون باجوت ، الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق خيرى حماد، الدار القومية للطباعة والنشر،(القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).
- ✓ كمال، أحمد عادل، الطريق إلى دمشق (تحرير بلاد الشام) ، دار النفائس ،(بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)
- ✓ مونتغمري ، وات ، الحرب عبر التاريخ، تعريب وتعليق العميد تحريرى عبدالله النمر، مكتبة الانجلو المصرية،(مصر، بلا.ت).
- ✓ هاني ، يسري محمد ، تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، جامعة أم القرى،معهد البحوث العلمية وإحياء التراث،(بلامان ، ١٤١٨هـ-)



## أثر مضيق البسفور والدردينيل في تغيير الموقف البريطاني من الحرب الروسية- العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨

الدكتور احمد ناطق إبراهيم  
كلية الآداب/ جامعة بغداد

### ملخص البحث

امتاز الوضع الدولي في القارة الأوروبية بعد مؤتمر باريس ١٨٥٦، وحتى اندلاع الحرب الروسية- العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨) بالتردي، إذ نشبت خلال تلك الحقبة أزمات وثورات وحروب عدة تباينت أسبابها، فقسم منها كانت استعمارية، وأخرى لأسباب قومية، ومثلت منطقة البلقان العثمانية احد اخطر بؤر التوتر في القارة الأوروبية، فقد أصبحت مسألة بقاء الدولة العثمانية ومناطقها المترامية الأطراف خلال وبعد تلك الحرب، من اعقد الإشكاليات في سياسات رجالات الدبلوماسية للقوى الأوروبية.

أن هذا البحث هو دراسة عن السياسية التي اتبعتها الحكومة البريطانية تجاه أحداث الحرب الروسية- العثمانية، منذ إعلان روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية في التاسع عشر من نيسان ١٨٧٧، وحتى توقيع الطرفين المتقاتلين لمعاهدة سان ستيفانو San Stefano، في الثالث من آذار ١٨٧٨. والنقطة الرئيسة التي يدور حولها هذا البحث هو: ما رد الفعل البريطاني تجاه تقدم القوات الروسية من العاصمة اسطنبول ومنطقة المضائق العثمانية (البيسفور والدردينيل)؟ ولتوضيح هذه النقطة المركزية تثار نقاط عدة: إلى أي مدى نجحت الدبلوماسية الروسية في تحييد الجانب البريطاني؟ ثم لماذا تغير الموقف البريطاني من الحياد إلى التصعيد؟ هل حافظت واحترمت الحكومة البريطانية المعاهدات والاتفاقيات ذات الصلة بمسألة المضائق؟ لماذا رفضت بريطانيا

هدنة السلام الروسية- العثمانية؟ وما الأسباب التي دفعتها بإدخال سفنها الحربية في مضيق الدردنيل؟ وما أهدافها من ذلك؟ ثم ما رد فعل الحكومة الروسية تجاه ذلك؟ وأخيراً كيف تصرفت الحكومة العثمانية في ظل ضعفها وانهايار قواتها؟

### **Issue Abstract**

RPR international situation in the European continent after Paris 1856 conference, and until the outbreak of war, Russian-Ottoman (1877-1878) degradation, since cropped up during that era crises and revolutions and wars of several varied causes, he divided them was a colonial, and other national reasons, and represented the Balkans Ottoman one the most dangerous flashpoints in the European continent, it has become a matter of survival of the Ottoman Empire and its regions sprawling during and after the war, of the most complex problems in men of European diplomatic powers policies.

That this research is to study the political pursued by the British government to bring the war Russian-Ottoman, since the announcement of Russia's war against the Ottoman Empire in the nineteenth of April 1877, and until the parties sign the combatants of the Treaty of San Stefano San Stefano, on the third of March, 1878. The point the President around which this research is: what the British reaction to the progress of Russian troops from the capital Istanbul and the Ottoman Straits (the Bosphorus and the Dardanelles)? To illustrate this central point raised several points: the extent to which Russian diplomacy in neutralizing the British side has succeeded? Then why the British position changed from neutral to escalation? Is the British government maintained and respected the treaties and agreements related to the question of the Straits? Why Britain refused truce peace Russian- Ottoman? The reason for doing the introduction of its warships in the Strait of Dardanelles? The objectives of this? Then what the reaction of the Russian government towards this? And finally how the Ottoman government had acted under the weakness and collapse of the troops?



### المقدمة

انتفض فلاحوا الهرسك في تموز ١٨٧٥<sup>(١)</sup>، بسبب سوء الإدارة العثمانية<sup>(٢)</sup>، لاسيما تعسف الملتزمين وإصرارهم على جباية ما بذمة المزارعين من ضرائب ورسوم متراكمة<sup>(٣)</sup>. وبحلول كانون الأول من العام نفسه انضمت صربيا والبوسنة والجبل الأسود إلى تلك الانتفاضة<sup>(٤)</sup>. وجلبت تلك الأحداث انتباه الدول الكبرى، لاسيما روسيا التي دأبت على استغلال مثل تلك الاضطرابات وتسخيرها من أجل تحقيق أهدافها في السيطرة على البلقان مما يمكنها من إحكام قبضتها على مضيق البسفور والدرنيل، والعاصمة العثمانية اسطنبول<sup>(٥)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد نشطت الدبلوماسية الأوروبية لإيجاد حل لتلك الأزمة، وطرحت خيارات عدة لعل من أهمها ما اقترحه الكونت جيولا أندراسي Count Gyula Andrassy وزير خارجية النمسا- المجر (١٨٧١ - ١٨٧٩)<sup>(٦)</sup>، في الثلاثين من كانون الأول ١٨٧٥ في مذكرته، التي أخفقت في تهدئة الوضع في المناطق المنتفضة بسبب رفضهم لبنود المذكرة<sup>(٧)</sup>. وحينما ازدادت الأزمة تعقيدا اقترح المستشار الألماني اوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck (١٨٧١ - ١٨٩٠)<sup>(٨)</sup>، مشروعه الخاص لتقسيم الدولة العثمانية<sup>(٩)</sup>، إلا أن المقترح رفض بشدة من جانب بريطانيا، ويبدو أن بنيامين دزيلي<sup>(١٠)</sup> Benjamin Disraeli رئيس الوزراء البريطاني (شباط ١٨٧٤ - نيسان ١٨٨٠)<sup>(١١)</sup> استنصر العرض الذي قدمه المستشار بسمارك بحصول بريطانيا على مصر فقط مقابل حصول روسيا على العاصمة العثمانية ومضيق البسفور والدرنيل وبيان القسمة الألمانية ضيزى إذ قال:

" إذا حصل الروس على القسطنطينية، عندها سيتمكنون وفي أي وقت من الوصول إلى

سورية ووادي النيل، وعند ذلك ما الجدوى  
في أخذ الانكليز لمصر، إذ لا تستطيع قواتنا  
تعزيز مركزها في مثل هكذا موقف... أن  
الذين يتكلمون بهذا الأسلوب لا يفقهون  
الجغرافية. القسطنطينية ليست كمصر ولا  
الدردينيل كقناة السويس، بماذا يمكن المقارنة؟  
أنهما مفاتيح الطريق إلى الهند!"<sup>(١٢)</sup>.

كان من الواضح، الأهمية الإستراتيجية للمضائق العثمانية  
(الْبسفور والدردينيل) في عقلية النخبة السياسية البريطانية، لذا لن يتوانى  
دزيلي في نعت من يساوم على البسفور والدردينيل بالجاهل جغرافياً،  
والحق تكمن أهمية المضائق بكونها تشرف على طرق المواصلات  
البريطانية إلى الهند.

### إعلان روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية

أخذت تداعيات انتفاضة البوسنة بعداً خطيراً بعد إخفاق مؤتمر  
اسطنبول<sup>(١٣)</sup>، (١١ كانون الأول ١٨٧٦ - ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)<sup>(١٤)</sup>، إذ  
بدأت طبول الحرب في العاصمة الروسية تقرر، بل أن جميع الاستعدادات  
العسكرية والسياسية لإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية اتخذت حتى قبل انعقاد  
مؤتمر اسطنبول، وأمر القيصر الكسندر الثاني Alexander II (١٨١٨-  
١٨٨١ / ١٨٥٥ - ١٨٨١)<sup>(١٥)</sup>، في الثالث من تشرين الثاني ١٨٧٧، نقل ستة  
فرق عسكرية وتحشدها عند الحدود العثمانية<sup>(١٦)</sup>، كما قامت الحكومة الروسية  
في الشهر نفسه بتدريب (٧٥٠٠) رجل من المهاجرين إليها من سلاف الدولة  
العثمانية بهدف القيام بعمليات عسكرية ضد خطوط إمدادات الجيش العثماني  
وقطعاته الخلفية<sup>(١٧)</sup>.

أما على صعيد السياسة الخارجية، فكان ضمان حياد النمسا- المجر  
من أهم أولويات السياسة الخارجية الروسية، إذ دخل يفغيني نوفيكوف

Yevgeny Novikov، السفير الروسي في فيينا (آذار ١٨٧٤ - تشرين الثاني ١٨٧٩)<sup>(١٨)</sup>، في مفاوضات مع الكونت أندراسي Count Andrassy، وزير خارجية النمسا- المجر (١٨٧١ - ١٨٧٩)<sup>(١٩)</sup>، منذ تشرين الثاني ١٨٧٦، أثمرت عن توقيع ما عُرف بمواثيق بودابست Budapest Convention في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٧، التي أضيفت إليها بنود أخرى في الثامن عشر من آذار من العام نفسه<sup>(٢٠)</sup>، وحصلت النمسا- المجر بموجب ذلك الاتفاق على موافقة روسيا بضمها للبوسنة والهرسك مقابل التزامها بالحياد الودي في أي حرب روسية- عثمانية، ولن تستجيب لمناشدات العثمانيين في تفعيل معاهدة الضمان الثلاثية المنعقدة في الخامس عشر من نيسان ١٨٥٦<sup>(٢١)</sup>، التي ألزمت بموجبها بالدفاع عن الدولة العثمانية مع كل من فرنسا وبريطانيا. فضلاً عن ذلك، عقدت روسيا ورومانيا اتفاقية عسكرية سرية ضد الدولة العثمانية في السادس عشر من نيسان ١٨٧٧، سمح بموجبها الأمير كارول الأول Carol I، (١٨٣٩-١٩١٤ / ١٨٦٦-١٨٨١)<sup>(٢٢)</sup>، بمرور القوات الروسية عبر الأراضي الرومانية (ولاشيا ومولدافيا)<sup>(٢٣)</sup>، كما تنازل عن إقليم بساربيا لصالح روسيا، وهذا يعني أن روسيا ستحصل على مصب نهر الدانوب مجدداً بعد أن طُردت منه بموجب معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، وفي المقابل تعهد القيصر ضمان تحقيق الاستقلال التام لرومانيا<sup>(٢٤)</sup>. وبذلك كان هذا الحلف بمثابة الحلقة الأخيرة في سلسلة الاستعدادات الروسية، وباتت الجيوش الروسية وحلفائها من الشعوب السلافية على أهبة الاستعداد وهي تتربص ساعة الصفر وانطلاق الشرارة الأولى للحرب.

أرسل الأمير غورجاكوف Prince Gorchakov وزير الخارجية الروسي<sup>(٢٥)</sup> مذكرة إلى جميع الحكومات الأوروبية في التاسع عشر من نيسان ١٨٧٧، أعلن فيها بأن بلاده قررت إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، وأوضح في المذكرة بأن الإجراء الروسي جاء بعد فشل الجهود الدبلوماسية لتسوية الأزمة، محملاً في الوقت نفسه الحكومة العثمانية المسؤولية الكاملة عن إشعال فتيل الحرب قائلاً: " بما أن كل الجهود قد فشلت في تسوية الأزمة،

وعليه فليس هناك من خيار سوى استخدام القوة والأساليب القسرية لإرغام الحكومة العثمانية للموافقة على مقترحات القوى الأوروبية"، وأخيراً دعا في ختام مذكرته الدول الكبرى للانضمام إلى الجهود الروسية من أجل تحقيق هذه الغاية<sup>(٢٦)</sup>، وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه، عبرت القوات الروسية الحدود العثمانية<sup>(٢٧)</sup>، وبذلك انطلقت شرارة الحرب العاشرة في سلسلة الحروب الروسية- العثمانية<sup>(٢٨)</sup>.

في تلك الاثناء، كانت الدولة العثمانية في وضع لا تحسد عليه، فقد تزامن إعلان روسيا الحرب، وقبل ذلك أحداث انتفاضة الشعوب البلقانية (١٨٧٥-١٨٧٧)، مع الوضع المالي المنهار، فقد كانت الحكومة العثمانية عاجزة عن دفع رواتب العاملين في أجهزتها، وبعبارة أدق، كان الوضع المالي للدولة العثمانية على شفى الإفلاس الوطني<sup>(٢٩)</sup>، لذا أرسلت الحكومة العثمانية في الرابع والعشرين من نيسان ١٨٧٧، مذكرة جماعية إلى الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، دعتها للتدخل، لاسيما أن هذا طلبها ينسجم مع الفقرة الثامنة من المعاهدة المذكورة<sup>(٣٠)</sup>.

فضلا عن ذلك، قدمت الحكومة العثمانية في اليوم التالي، احتجاجاً رسمياً لدى الدول الموقعة على المعاهدة المذكورة آنفاً، ضد روسيا لإعلانها الحرب وغزوها لأراضيها<sup>(٣١)</sup>، ويبدو أن رد فعل الحكومة البريطانية تجاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية لم يكن بمستوى الحدث، إذ اقتصر موقفها الرسمي الأول على تقديم مذكرة للاحتجاج والرفض، إذ تمثل بإرسال اللورد دربي برسالة احتجاج في الأول من أيار ١٨٧٧، التي بعثها من خلال اللورد أوغسطس لوفتوس Lord Augustus Loftus، السفير البريطاني في سان بطرسبورغ (١٨٧١-١٨٧٩)<sup>(٣٢)</sup>، إلى الحكومة الروسية، أوضح فيها بأن غزو القوات الروسية للأراضي العثمانية يعد انتهاكاً للمعاهدات الدولية لاسيما معاهدة باريس لعام ١٨٥٦، التي تعد روسيا أحد الموقعين عليها<sup>(٣٣)</sup>، التي نصت على احترام استقلال الدولة العثمانية ووحدة أراضيها، كما يتعارض مع ديباجة معاهدة لندن لعام ١٨٧١، التي بموجبها ألزمت روسيا نفسها مع بقية القوى

الأوربية الكبرى، بـ: "اعتراف القوى بأن المبدأ الأساس للقانون الدولي، الذي لا يمكن لأي قوة أن تحرر نفسها من الالتزامات أو تعديل الشروط ما لم توافق بقية الأطراف الموقعة من خلال اتفاقية ودية" (٣٤).

ثمة تساؤلات تفرض نفسها هنا: إذا كان رد الفعل البريطاني تجاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية يمكن وصفه بالفاتر! فلماذا تغير الموقف البريطاني فيما بعد؟ وإلى أي مدى أثرت تداعيات مسألة مضيق البسفور والدردينيل في ذلك التغيير؟.

في الواقع، قبل الإجابة على تلك التساؤلات ينبغي التعرف على تطورات الموقف العسكري لجبهات القتال الروسية- العثمانية، لاسيما أن تغير الموقف البريطاني، وتساعد حدثه تجاه الحكومة الروسية ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالانتصارات الروسية ومدى اقتراب قواتها من العاصمة العثمانية ومنطقة المضائق.

نظراً لافتقار روسيا للتفوق البحري في البحر الأسود، قررت قيادة الجيش الروسي أن تكون الحملة برية، وكانت الخطة كالتالي أن يبدأ الجيش تحركه من بسارابيا إلى مولدافيا وبعد عبور القوات لنهر الدانوب يتم غزو بلغاريا ومن ثم متابعة السير عبر سلسلة جبال البلقان وصولاً إلى منطقة المضائق والعاصمة العثمانية (٣٥)، هذا وأنيطت قيادة الحملة بشقيق القيصر الدوق نيكولاس (٣٦).

عبرت القوات الروسية نهر بروت (٣٧)، الذي مثل خط الحدود العثمانية- الروسية، في الرابع والعشرين من نيسان ١٨٧٧ (٣٨)، وبعد شهر أي في الرابع والعشرين من أيار وصلت ضفاف نهر الدانوب، وحدد يوم السادس من حزيران من العام نفسه موعداً لعبور القوات الروسية للدانوب، إلا أن ارتفاع مناسيب النهر قد أخر الموعد، وفي غضون ذلك، جرت أولى الاشتباكات البحرية، فقد امتلكت الدولة العثمانية قوات بحرية في الدانوب وكان بإمكانها تكبيد القوات الروسية أثناء عبورها للدانوب خسائر جسيمة، إلا أن إرسال القوات الرومانية، لعدد من عناصرها لزراعة الألغام البحرية في

الدانوب<sup>(٣٩)</sup>، أدى إلى إغلاق النهر أمام الطرادات والزوارق العثمانية<sup>(٤٠)</sup>، الأمر الذي أتاح عبور أمن للقوات الروسية التي بدأت عبورها في السابع والعشرين من حزيران ١٨٧٧<sup>(٤١)</sup>، وقد أنهت عبورها في الثلاثين من الشهر نفسه<sup>(٤٢)</sup>.

وفي سياق الحديث عن تداعيات الإعلان الروسي للحرب ضد الدولة العثمانية، عُدَّت الحكومة الروسية، في الواقع، مهمة وصول القوات الروسية على وجه السرعة إلى منطقة المضائق مهمتها الرئيسية، لأنها وضعت تقيماً صحيحاً للموقف الأوربي تجاه غزوها للأراضي العثمانية، وإن بريطانيا تمثل الخطر الحقيقي في هذه الحرب لأنها القوة الأكثر اهتماماً بمصير مضيق البسفور والدردينيل والعاصمة العثمانية، بعبارة أخرى أن بريطانيا هي القوة الوحيدة المحتملة التي يمكنها أن تنظم تحالفاً مناهضاً لروسيا<sup>(٤٣)</sup>، وأن بإمكان الأسطول البريطاني دخول البحر الأسود من خلال مضيق الدردنيل والفسفور بهدف مهاجمة المدن الساحلية المطلّة عليه، لذلك وضعت هيئة الأركان الروسية تلك الاحتمالات في حساباتها، لذا تميزت المرحلة الثانية من العمليات العسكرية التي افتتحت بعد عبور الدانوب بغزو بلغاريا وبشراصة القتال من أجل السيطرة على الممرات والطرق الحيوية في سلسلة جبال البلقان<sup>(٤٤)</sup>. لاسيما أن سقوط تلك الممرات سيسهل مهمة احتلالها للعاصمة العثمانية<sup>(٤٥)</sup>، ومن ثم الوصول إلى منطقة المضائق بهدف نصب بطاريات المدافع على طول ضفتي مضيق الدردنيل مما سيحول دون دخول الأسطول البريطاني إلى البحر الأسود.

مما تقدم، كان على الدوق نيكولاس القائد العام للجيش الروسي في البلقان تقسيم جيشه على فيلقين، الأول ومهمته احتلال الممرات الجبلية في سلسلة جبال البلقان، لاسيما ممر بليفنا plevna، بهدف تأمين خطوط الإمدادات للقوات المهاجمة في الفيلق الثاني الذي كانت مهمته التقدم صوب العاصمة العثمانية اسطنبول<sup>(٤٦)</sup>.

قاوم العثمانيون بضراوة من أجل الحفاظ على ذلك الممر الحيوي، فبعد أن الحق الجيش العثماني هزيمتين بالجيش الروسي في موقعة بليفنا<sup>(٤٧)</sup>، لم تعد الحكومة الروسية تنظر إلى المساعدة الرومانية بشكل مختلف فحسب، بل أنها



بدأت تعمل عليها، ففي التاسع والعشرين من آب ١٨٧٧، زار الأمير الروماني كارول الأول، القيصر الكسندر الثاني الذي كان في حينها يزور مواقع الجيش<sup>(٤٨)</sup>، وتم الاتفاق بان ترسل رومانيا قوات قوامها ثلاثين ألف جندي، وان يتولى الأمير كارول قيادة الجناح الغربي للجيش الروسي<sup>(٤٩)</sup>، وفي الحادي عشر من أيلول من العام نفسه حدث الهجوم الثالث على بليفنا، ومع أن الهجوم كان أوسع من الهجومين السابقين، إلا أن نتيجته كانت الفشل أيضاً، إذ خسر الروس خمسة عشر ألف جندي في حين خسر الرومانيين ثلاثة آلاف جندي<sup>(٥٠)</sup>.

عقد القيصر الكسندر الثاني اجتماعاً لمجلس الحرب في الثالث عشر من أيلول ١٨٧٧، لدراسة الأسباب التي أدت إلى الهزائم العسكرية، وبعد مناقشات مستفيضة لكبار قادة جيشه أيقن القيصر أخيراً باستحالة اختراق الدفاعات العثمانية، لاسيما أن إخفاق الهجوم القادم ربما يقود إلى نتائج كارثية على الجيوش الروسية، لذا تم التوصل في اليوم التالي لقرار التخلي عن فكرة أي هجوم آخر على بليفنا والاكتفاء بحصارها<sup>(٥١)</sup>.

استندت الخطة التي وضعها مجلس الحرب أساساً على فرض طوق الحصار على القوات العثمانية في بليفنا<sup>(٥٢)</sup> من خلال جلب المزيد من القطعات العسكرية بهدف إحكام السيطرة على طرق إمدادات الجيش العثماني، ولاسيما طريق بليفنا- صوفيا الذي مثل الشريان الوحيد لإمداد القوات العثمانية المحاصرة، ومع إطلالة فجر يوم العاشر من كانون الأول قام عثمان باشا قائد القوات العثمانية بهجوم يائس حاول فيه كسر الحصار واختراق الخطوط الروسية الأمامية<sup>(٥٣)</sup>، وقد نجح في بادئ الأمر، ولكن بحلول ظهر اليوم نفسه وصلت تعزيزات الجيش الروسي مما اجبر القوات العثمانية على التقهقر والتراجع إلى داخل المدينة مرة أخرى، إلا أنهم لم يتمكنوا من الحفاظ على المدينة فدخلتها الجيوش الروسية والرومانية، وتم أسر جميع عناصر الجيش العثماني المكون من عشر بشوات، وألفان ومائة وثلاثون ضابط، وواحد وأربعون ألف ومائتي جندي<sup>(٥٤)</sup>.

أوضح "الانهيار الكارثي" للقوات العثمانية أمام الجيوش الروسية وحلفائهم عقم الإجراءات العثمانية الخاصة بتأمين مستلزمات الحرب وفي مقدمتها مسائل التموين في الأرزاق والذخائر والانسحاب وفق خطة مدروسة، مما وضع الجيش العثماني المتراجع في موقف صعب للغاية. لقد أدت تلك "الكارثة العسكرية" إلى التأثير سلباً في الرأي العام والحكومة العثمانية، وظهر جلياً بأن معظم القوات العثمانية كانت في وضع ميؤس منه، لهذا تقهقرت صوب سلسلة جبال البلقان وهي بحالة يرثى لها. وبما أن فصل الشتاء قد حل وغطت الثلوج جبال البلقان، فقد كان من المتوقع أن تتوقف العمليات القتالية حتى حلول الربيع<sup>(٥٥)</sup>، غير أن القيصر اثر مواصلة التقدم صوب العاصمة اسطنبول واستغلال حالة الانكسار لدى الجيش العثماني.

ومهما يكن من أمر، فقد عبر الروس وحلفائهم سلسلة جبال البلقان، واحتلوا صوفيا في الثالث من كانون الثاني ١٨٧٨، وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه دخلت القوات الروسية وحلفائها مدينة اديانبول من دون مقاومة تذكر<sup>(٥٦)</sup>، وبذا أصبحت العاصمة اسطنبول تحت رحمة تلك القوات، وحينما بدأت المفاوضات بشأن الهدنة، شعر الروس بأن العثمانيين يرفضون مطالبهم، صدرت الأوامر للقوات الروسية للتقدم صوب اسطنبول<sup>(٥٧)</sup>، كان من الواضح أن هذا القرار قد ساهم بوضع حدٍ للحرب، فبعد يومين من المفاوضات الصعبة في قرية تكورلو Tchorlu، في اديانبول، تم التوقيع أخيراً على الهدنة في الحادي والثلاثين من كانون الثاني من العام نفسه<sup>(٥٨)</sup>.

### رد الفعل البريطاني تجاه تقدم القوات الروسية من العاصمة العثمانية

رَبِحَ الروس الحرب من الناحية العسكرية، ولم يبق لهم سوى كسبها في الحقل الدبلوماسي، الذي عَدَّ الأصعب في ضوء تغير الموقف الأوروبي، لاسيما البريطاني. فعلى الرغم من أن رد فعل الحكومة البريطانية تجاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية كان فاتراً، إلا إنه كان "حازماً" تجاه مسألة مصير منطقة المضائق والعاصمة اسطنبول، اللتان احتلتا مركزاً رئيساً في أولويات الدبلوماسيين ورجالات الدولة البريطانيين<sup>(٥٩)</sup>، ففي السادس من أيار ١٨٧٧،

استدعى اللورد دربي وزير الخارجية البريطانية، شوفالوف السفير الروسي في لندن<sup>(٦٠)</sup>، وسلمه مذكرة إلى الحكومة الروسية حذرًا فيها من مغبة المساس بالمصالح البريطانية في الشرق (الدولة العثمانية)، "وبأنه إذا ما تعرضت للخطر فإن حكومة صاحبة الجلالة لن تتورع عن القيام بأي عمل لحمايتها، لاسيما تلك المصالح المتعلقة بقناة السويس، التي يجب أن تبقى مفتوحة للملاحة لأنها الطريق المثالي للمواصلات بين أوروبا والشرق"<sup>(٦١)</sup>.

وفيما يتعلق بالعاصمة العثمانية ومنطقة المضائق، فقد كانت صيغة التحذير البريطاني صريحة وواضحة، إذ جاء فيها:

" أن طبيعة وأهمية القسطنطينية من وجهة النظر السياسية والعسكرية والتجارية واضحة جداً ولا تحتاج لتفسير، ولهذا فلا نحتاج للقول بأن حكومة صاحبة الجلالة غير مستعدة للوقوف مكتوفة الأيدي وهي ترى بأن ملاحمتها قد تغيروا. لذا ترى حكومة جلالته بأن التشريع الحالي المتعلق بمضيق البسفور والدرنديل، الذي انبثق بموجب القانون الأوروبي حكيم وعادل، ولهذا فهي ستعترض بشدة إذا ما حدث أي تغيير أو تعديل فيه"<sup>(٦٢)</sup>.

فضلاً عن ذلك، تطرق اللورد دربي في المذكرة نفسها إلى أهمية الخليج العربي بالنسبة للمصالح البريطانية، لذا جاء التحذير على وفق التالي: " أن حكومة جلالته تأمل بأن تقتصر الأعمال العدائية على مناطق محدودة بحيث يمكن الحفاظ على الحياد البريطاني". وفي ختام المذكرة ذكرت الحكومة الروسية بالوعود التي قطعها القيصر الروسي بشأن عدم نيته لاحتلال اسطنبول، أو حتى البقاء بشكل دائم في بلغاريا<sup>(٦٣)</sup>. لأنها الولاية الأوروبية الأكثر قرباً إلى العاصمة العثمانية وهذا يشكل تهديداً فعلياً لمنطقة المضائق.

مما تقدم يتبين أن ما كان يؤرق الحكومة البريطانية عند اندلاع الحرب الروسية العثمانية هو التعرض لطرق مواصلاتها البحرية.

لم يكن لدى الكونت شوفالوف Count Shuvalov السفير الروسي في لندن (١٨٧٤ - ١٧٧٩)<sup>(٦٤)</sup>، أي تصور بشأن الخطط العسكرية لبلاده، ومع ذلك حاول بوصفه دبلوماسياً أن يزرع بعض الاطمئنان عند الجانب البريطاني، إذ اظهر لدربي تفهماً بشأن قلق الحكومة البريطانية على مصالحها المذكورة<sup>(٦٥)</sup>.

الراجح ان غورجاكوف وزير الخارجية الروسي كان مطلعاً على تطور موقف الرأي العام البريطاني تجاه الغزو الروسي للأراضي العثمانية، ومدى تداعياته على الموقف الرسمي للحكومة البريطانية من خلال سفيره في لندن، إذ كان يمدّه بموقف تفصيلي عما ينشر في الصحف البريطانية من انتقادات لازعة لحكومة دزرائلي، وبأنها غير مكترثة بالمصالح البريطانية العليا<sup>(٦٦)</sup>، ولعل غورجاكوف قد وضع تصوراً صحيحاً للموقف البريطاني من الأحداث، فمن الممكن أن يتكرر سيناريو حرب القرم وترغم الضغوط الشعبية حكومة دزرائلي على إعلان الحرب ضد روسيا مثلما فعلت مع حكومة ابردين (كانون الأول ١٨٥٢ - كانون الثاني ١٨٥٥)<sup>(٦٧)</sup> في حرب القرم ١٨٥٤ - ١٨٥٦، وربما وضعت تلك الاعتبارات في حساباته حينما صاغ إجابته في الثلاثين من أيار ١٨٧٧، إذ أوضح فيها بان "روسيا ليس بنيتها تهديد قناة السويس أو مصر على الرغم من كونها جزء من الدولة العثمانية أو أن تمتد عملياتها العسكرية نحو الخليج العربي والطريق المؤدي إلى الهند"<sup>(٦٨)</sup>، وبذا حسمت تماماً مسألة التهديد الروسي لمنطقة الخليج العربي وقناة السويس بعد أن ألزمت روسيا نفسها بعدم التعرض لهما.

وقدر تعلق الأمر بمصير العاصمة العثمانية فان التعهد الذي قدمه غورجاكوف لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية، على الرغم من إعلانه بأنه لا توجد أي خطة لاحتلالها فقد جاءت أجابته بأسلوب دبلوماسي تحتمل تفسيرات عدة، إذ قال: "إن توقع مسار الحرب صعب الآن إلا أن القيصر أبعداها [ اسطنبول ]

تماماً عما ينوي تحقيقه"، ثم استطرد قائلاً: "إن مصيرها [اسطنبول] مهم لجميع الدول ولا يمكن تسويته إلا باتفاق دولي وتفاهم مشترك، وإن ملكيتها لا يمكن أن تكون لأي قوة أوروبية" (٦٩).

أما مستقبل مضيق البسفور والدردينيل، فقد أوضح بان كلتا سواحلهما تعودان للسلطان نفسه، إلا إنهما يشكلان المخرج الوحيد لبحرين عظيمين ينفع العالم كله، ولهذا فمن الضروري أن تتم تسوية الموضوع على وفق اتفاقية مشتركة على أساس ضمانات واضحة يحصل بموجبها الجميع فرص متساوية (٧٠). والأهم من كل ذلك، أن غورجاكوف أرفق إجابته برسالة سرية وشخصية إلى سفيره في لندن تضمنت معلومات عسكرية تؤكد وجود مخطط لاحتلال العاصمة العثمانية (٧١).

صحيح أن سريرة سفراء الدول الكبرى تحوي الكثير من الأسرار المطوية!! لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما الموجبات التي دفعت غورجاكوف لكشفه لسفيره في لندن معلومات عسكرية غاية في الخطورة؟

كانت الدبلوماسية الروسية محبكة من خلال التنسيق العالي بين وزير الخارجية وسفيره في لندن، فقد تعمد غورجاكوف من جانبه تظليل الحكومة البريطانية بقوله أن القيصر أبعد العاصمة العثمانية عما ينوي تحقيقه، وهذا اعتراف واضح وصريح بعدم وجود خطة عسكرية لدى روسيا، أو حتى نية لاحتلال اسطنبول، وبذلك يتم تهدئة المخاوف البريطانية. لكن من جانب آخر، كان على السفير الروسي وفقاً لتعليمات غورجاكوف السرية أن يلمح إلى الحكومة البريطانية بأن ظروف الحرب ربما تحتم على القوات الروسية الاقتراب من ضواحي اسطنبول (٧٢).

لذا صاغ السفير الروسي من جانبه مذكرة أخرى أرفقها مع إجابة وزير الخارجية الروسية أعلاه، وسلمها إلى وزير الخارجية البريطاني في الثامن من حزيران ١٨٧٧ (٧٣)، ذكر فيها: "إن تأكيداتنا بخصوص القسطنطينية تُفصح عن عدم احتلالنا للمدينة بشكل دائم، وبما أن ظروف الحرب غير

متوقعة، وعليه يمكن أن نزحف حتى أسوار العاصمة. وربما سيقوم الأتراك بإطالة أمد الحرب إذا ما علموا بوجود ضمانات وحصانة بشأن عاصمتهم<sup>(٧٤)</sup>.

هذا وحذر شوفالوف، الحكومة البريطانية في المذكرة نفسها من مغبة التدخل لصالح العثمانيين، الذي من شأنه أن يقود إلى تعقيدات خطيرة، فقد تضطر القوات الروسية على أثره باحتلال اسطنبول إذ قال: "لابد لانكلترا والقوى السياسية أن تساندنا وتفهم الأتراك أن من سينقذ القسطنطينية ليس التدخل الخارجي، وإذا لم يحصل التدخل فإن عاصمتهم لن تضيع، وهو ما يجعلنا غير مضطرين لاحتلال المدينة"<sup>(٧٥)</sup>. وهكذا رمى السفير الروسي الكرة في ملعب الحكومة البريطانية.

أغلب الظن وجدت الحكومة العثمانية نفسها في شتاء عامي ١٨٧٧-١٨٧٨، عالقة بين طموحات وأهداف كل من روسيا وبريطانيا، فلم تكن الدولة العثمانية وفقاً لمصالح هاتين القوتين سوى آلة في لعبتهما الدبلوماسية، إذ لم تواجه الحكومة العثمانية خلال تلك المدة خطر الغزو الروسي الشامل لأراضيها فحسب، بل كان عليها أن تواجه إشكالية اضطراب السياسة البريطانية، التي قد يكون لها عواقب خطيرة على مصير الدولة العثمانية، فقد كانت الحكومة العثمانية يحذوها الأمل بحدوث تدخل بريطاني لصالحها، سواء أكان عسكرياً أم على أقل تقدير أن تسلط بريطانيا ضغطاً دبلوماسياً على الروس يجبرهم على وقف إطلاق النار، وبما أن العثمانيين اعتقدوا بأنهم قد خذلوا من جانب البريطانيين، لاسيما بعد أن أصبح وضعهم العسكري حرجاً، فكان الدعم البريطاني آخر شيء في حساباتهم بعد أن فقدوا الأمل بالحصول على مساعدة خارجية، لذا اضطرت الحكومة العثمانية إلى طلب هدنة لعقد مفاوضات لإبرام معاهدة السلام مع روسيا<sup>(٧٦)</sup>، وهو ما سبق لنا ذكره.

على الرغم من الانقسامات بين أعضاء الحكومة البريطانية والموقف الغامض للسياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية<sup>(٧٧)</sup>، غير أن الحكومة البريطانية كانت قلقة بشكل كبير بشأن الخطر الروسي على اسطنبول والمضائق وشبه جزيرة غاليبولي<sup>(٧٨)</sup>، إذ أدى التقدم الروسي إلى العاصمة

العثمانية لحالة من الهلع في بريطانيا<sup>(٧٩)</sup>، مما أوجد شعوراً سائداً بحتمية القيام بعمل معاكس لمواجهة التهديد الروسي.

لقد أخذت الملكة فكتوريا Victoria (١٨١٩ - ١٨٣٧/١٩٠١ - ١٩٠١)<sup>(٨٠)</sup>، بالضغط على حكومتها لاتخاذ ما يلزم لوقف الاجتياح الروسي للأراضي العثمانية، لاسيما بعد ورود تقارير مروعة من السير أوستن هنري ليارد Sir Austen Henry Layard السفير البريطاني في اسطنبول (١٨٧٧ - ١٨٨٠)<sup>(٨١)</sup>، بشأن انهيار القوات العثمانية، ومحنة من سرعة تقدم القوات الروسية صوب العاصمة العثمانية، وخطورة الموقف إذا ما احتلت تلك القوات منطقة المضائق، وبأن الحفاظ على المصالح البريطانية يحتم إرسال الأسطول البريطاني لمنطقة المضائق ودخول بريطانيا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية<sup>(٨٢)</sup>، لكل ذلك، يمكن أن نتفهم أسباب غضب الملكة من سياسة "اللامبالاة" التي انتهجتها حكومة دزيلي تجاه الخطر الروسي<sup>(٨٣)</sup>، فقد حذرت حكومتها في رسالة لها في الثالث عشر من كانون الأول ١٨٧٧ تراجع مكانة بريطانيا "كقوى كبرى إلى دولة من الدرجة الثانية"<sup>(٨٤)</sup>.

وعليه أرسل اللورد دربي في اليوم نفسه مذكرة إلى الكونت شوفالوف ذكره فيها بوعود القيصر وتأكيده بشأن عدم احتلال اسطنبول محذراً في الوقت نفسه من عواقب احتلالها ولو بشكل مؤقت، حتى وإن كان ذلك لإغراض عسكرية بحتة، وإذا ما حصلت أي محاولة لاحتلال اسطنبول، أو مضيق الدردنيل<sup>(٨٥)</sup>. فأن بريطانيا ستكون مجبرة للتخلي عن حيادها وستتخذ الخطوات التي تراها ضرورية لحماية مصالحها، وختم اللورد مذكرته بالإعلان عن استعداد حكومته للتوسط في سبيل استعادة السلام<sup>(٨٦)</sup>.

لقد وضع غورجاكوف تقييماً صحيحاً عن تطور الأحداث وتسارعها مفاده، بأن العثمانيين سيعيدون تنظيم صفوف قواتهم ومن ثم التحشد عند أسوار اسطنبول مما سيعطيهم دافعاً قوياً للمقاومة، لاسيما إذا علموا بأن بريطانيا ستتدخل في حال كان الهجوم موجهاً نحو عاصمتهم، وإزاء هذا الاحتمال كان على غورجاكوف أن يبذل المخاوف البريطانية بخصوص مصير المضائق

والعاصمة اسطنبول، ففي السادس عشر من كانون الأول ١٨٧٧، حرر غورجاكوف إجابته، التي كرر فيها وعد القيصر الروسي فيما يخص مصير العاصمة اسطنبول بحسب ما جاء في رسالته المؤرخة في الثامن من أيار ١٨٧٧، إلا أنه طلب من سفيره في لندن أن يستوضح من اللورد دربي طبيعة المصالح البريطانية في مضيق البوسفور والدردينيل <sup>(٨٧)</sup>. وفي الثاني من كانون الثاني ١٨٧٨، سلم الكونت شوفالوف بدوره جواب الحكومة الروسية إلى اللورد دربي، الذي تضمن تأكيد القيصر الروسي بعدم احتلال العاصمة العثمانية و مضيق البسفور، كما أرفق شوفالوف الإجابة باستيضاح عن طبيعة المصالح البريطانية في منطقة المضائق <sup>(٨٨)</sup>.

صحيح أن الحكومة الروسية قدمت تعهداً خطياً بموجب رسالتها المؤرختين في شهري أيار وكانون الأول لعام ١٨٧٧ <sup>(٨٩)</sup>، ألزمت فيهما نفسها بعدم احتلال اسطنبول ومضيق البوسفور، إلا أن ذلك التعهد لم يكن كافياً على أقل تقدير من وجهة النظر البريطانية، إذ لم تشمل الضمانات المشار إليها آنفاً شبه جزيرة غاليبولي، التي يمكن من خلالها تهديد الملاحة في منطقة المضائق من خلال نصب بطاريات المدافع على سواحل مضيق الدردنيل.

وعليه لم تعد الحكومة البريطانية التأكيدات الروسية بشأن مضيق البسفور محدودة فحسب، بل غير كافية، وإنما ينبغي أن تكون واضحة وشاملة لكل منطقة المضائق، لاسيما مضيق الدردنيل، لذا أجابت الحكومة البريطانية، نظيرتها الروسية في الثاني عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، بأن أي "عملية تضع مضيق الدردنيل تحت السيطرة الروسية تعد عائقاً في وجه أي تسوية للمشكلة"، لذا حذرت بريطانيا، روسيا من إرسالها لقواتها واحتلالها لشبه جزيرة غاليبولي <sup>(٩٠)</sup>. وبالفعل قدم غورجاكوف تأكيدات حكومة بلاده السلمية بهذا الخصوص في رسالته المؤرخة في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، إلا أن تلك التأكيدات ارتبطت بشرطين، الأول: أن لا تقوم الحكومة العثمانية بتحشيد قواتها في شبه جزيرة غاليبولي؛ والثاني: أن لا تقوم بريطانيا نفسها باحتلالها <sup>(٩١)</sup>.



ومرة أخرى، ومع اقتراب الجيش الروسي من العاصمة العثمانية بدأت الملكة فكتوريا تعيش "توبات غضب" على ما يبدو، إذ أخذت تلح على وزرائها وتدفعهم باتجاه الحرب<sup>(٩٢)</sup>، بل أن الملكة ذهبت إلى ابعاد من ذلك، عندما أعربت عن عدم ثققتها باللورد دربي وزيراً للخارجية، إذ طلبت من رئيس حكومتها استبداله بشخص آخر كاللورد سالزبوري Lord Salisbury<sup>(٩٣)</sup>، الذي كان يشغل منصب وزير شؤون الهند (شباط ١٨٧٤ - نيسان ١٨٧٨) في الحكومة نفسها<sup>(٩٤)</sup>. وفي العاشر من كانون الثاني ١٨٧٨، بعثت رسالة شديدة اللهجة إلى رئيس وزرائها قالت فيها: "إن ما يخالجنى من شعور بأنه ليس في استطاعتي البقاء ملكة لبلد يخذل نفسه ليقبل أقدام البرابرة [الروس] معوقي الحرية والحضارة..." ثم تسخر الملكة في الرسالة نفسها من تخاذل وزرائها وطمعهم "لو أنها كانت رجلاً لتولت قيادة القوات البريطانية من أجل طرد الروس"<sup>(٩٥)</sup>.

وبناءً على إصرار الملكة اجتمعت الحكومة البريطانية في الحادي عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، واتخذت قراراً بدخول أسطول البحر المتوسط البريطاني، الذي كان راسياً في خليج بسىكا (قبالة مضيق الدردنيل) في مضيق الدردنيل<sup>(٩٦)</sup>، وفي اليوم التالي ابرق اللورد دزيرلي إلى ليارد السفير البريطاني في اسطنبول، بأن يفتح الحكومة العثمانية بضرورة السماح للأسطول البريطاني الدخول في مضيق الدردنيل والرسو فيه، وأن يوضح للحكومة العثمانية بالقول: "أن هذه الخطوة لا تعني التخلي عن مبدأ الحياد الذي تم الحفاظ عليه"<sup>(٩٧)</sup> وبأنه مجرد إجراء احترازي لحماية القناة من أن تغلق<sup>(٩٨)</sup>.

درس السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ - ١٩١٨ / ١٨٧٧ - ١٩٠٨)<sup>(٩٩)</sup>، شخصياً الطالب البريطاني مع صفوت باشا وزير الخارجية العثماني<sup>(١٠٠)</sup>، ورغم أن المعاهدات الدولية الخاصة بمسألة المضائق لم تحرم السلطان من صلاحية فتحها خلال وقت الحرب أمام السفن الحربية للدول الصديقة والحليفة للدولة العثمانية<sup>(١٠١)</sup>، إلا أن الرد العثماني، الذي استغرق يومين من النقاش المستفيض كان سلبياً<sup>(١٠٢)</sup>. صحيح أن العثمانيين كانوا حانقين على الحكومة البريطانية بسبب رفضها مساعدتهم في محنتهم وإصرارها على

موقفها الحيادي. وصحيح أيضاً أن بإمكان الوفد العثماني المفاوض استثمار وجود الأسطول البريطاني داخل مضيق الدردنيل كوسيلة ضغط ضد الوفد الروسي المفاوض، أو على أقل تقدير أن وجود الأسطول البريطاني قرب الأحداث ربما سيكون مهماً للعثمانيين في حال انهيار المفاوضات مع روسيا! (١٠٣).

إلا أن الواقع يشير، أن السبب الذي دفع السلطان عبد الحميد لرفضه دخول الأسطول البريطاني لمضيق الدردنيل نابع من خطورة التصعيد البريطاني على أمن العاصمة اسطنبول، لاسيما أن الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها بحماية الدولة العثمانية من نتائج دخول أسطولها إلى مضيق الدردنيل.

بما أن الحكومة العثمانية اتخذت قرارها في التفاوض مع الروس فإن تلك القوة ستنتظر لأي تحرك بريطاني بوصفه عملاً عسكرياً يهدد جيوشها وعندها ستفرض شروط قاسية في المفاوضات، وربما تقرر روسيا مواجهة التصعيد البريطاني باحتلال العاصمة اسطنبول، التي تقبع بدون دفاعات أمام جيوشها لذا جاء رد السلطان العثماني على الطلب البريطاني ما يلي:

" بأنه في ظل الظروف الطبيعية لم يكن ليعرض على فتح المضائق لأسطول حليف وصديق قديم ولكن عندما يكون هكذا عمل يؤثر على مصالح العثمانيين فإنه من غير الحكمة السماح بذلك" (١٠٤).

فضلاً عن ذلك، اخبر صفوت باشا وزير الخارجية العثماني، الفريد سانديسون Alfred Sandison مترجم السفارة البريطانية بأنه إذا ما سمحت الحكومة العثمانية للأسطول البريطاني الدخول لمنطقة المضائق فإنه سيسمح للأساطيل الأخرى بالدخول أيضاً (١٠٥). لذلك وفي ضوء الحجاج التي ساقها السلطان ووزير خارجيته اقتنع السفير البريطاني بوجهة النظر العثمانية، لذا لم ير من حاجة لهذا التحرك، وبذلك لم يتم إرسال الأسطول البريطاني لعدم الاتفاق داخل الحكومة البريطانية نفسها بشأن فائدة التحرك (١٠٦). ومن جانب آخر، تلقت لندن خبراً عن عزم الحكومة العثمانية عقد هدنة مع الروس والدخول في مفاوضات

مباشرة لتسوية الخلافات بين الطرفين بشيء من القلق وعدم الارتياح<sup>(١٠٧)</sup>، لاسيما بعد استلام الحكومة البريطانية لتقارير تؤكد نية الروس التفاوض على تعديل القوانين المتعلقة بمسألة المضائق، التي أقرت بموجب المعاهدات الأوروبية<sup>(١٠٨)</sup>، لذا أمرت الحكومة البريطانية في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٨، سفيرها في سان بطرسبرغ تسليم الحكومة الروسية مذكرة احتجاج<sup>(١٠٩)</sup>، تضمنت اعتراض حكومة "صاحبة الجلالة" لأي معاهدة قد يعقدها الطرفان المتنازعان وتؤثر على معاهدتي باريس ١٨٥٦، ولندن ١٨٧١، كما نوهت الحكومة البريطانية في المذكرة نفسها ببطلان المعاهدة المزمع عقدها من دون موافقة جميع القوى الأوروبية الموقعة على هاتين المعاهدتين، وبأن تعديل أي بند من بنودهما يجب أن يتم ضمن معاهدة أوروبية عامة<sup>(١١٠)</sup>.

وفي غضون ذلك، كانت روسيا قد قررت فعلاً صيغة الشروط الأساسية لإبرام معاهدة السلام مع الدولة العثمانية، ولعل من أهمها تلك المتعلقة بمسألة مضيق البوسفور والدردينيل، التي استندت على تقرير لـ الكسندر نيليدوف Aleksandr Nelidov<sup>(١١١)</sup> المستشار السياسي للدوق نيكولاس قائد الحملة الروسية، وقد تضمن التقرير الأهداف الإستراتيجية للحرب مع العثمانيين لاسيما المتعلقة بسياسة روسيا البحرية، والتي لخصها بمسألتين، الأولى: كيفية الاتصال بالبحر المتوسط؛ والثانية: منع سفن الدول المعادية من مهاجمة الأراضي الروسية المطلة على البحر الأسود، وعلى هذين الأساسين ينبغي أن تبذل الحكومة الروسية جهودها لتأسيس نظام جديد للملاحة في مضيقي البوسفور والدردينيل تضمن روسيا من خلاله حرية الملاحة لسفنها الحربية، وإن تستثنى كل السفن الحربية ولجميع الدول من حق المرور<sup>(١١٢)</sup>.

أما فيما يتعلق بالبحرية الروسية، فقد شخص نيليدوف حال الأسطول الروسي في البحر الأسود قائلاً:

" إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حالة الأسطول الروسي في البحر الأسود في وقتنا الحاضر فإن روسيا لن تستطيع ولسنوات عدة قادمة من إرسال أسطول قوي

بما فيه الكفاية للبحر المتوسط لممارسة تأثير ملموس فيه خصوصاً إذا ما قارناه بالأسطول البريطاني، ولكن سيكون من المهم أن تكون لروسيا القدرة على إرسال سفن قوية منفردة عبر مضيق البوسفور والدردينيل، فضلاً عن تعزيز الأسطول الروسي في البحر الأسود بسفن حربية جديدة تصدر إليها عبر مضيق البوسفور والدردينيل بعد أن تكون قد شيدت في أماكن أخرى خصيصاً للبحرية الروسية<sup>(١١٣)</sup>.

وعلى ذلك الأساس اقترح نيليدوف أن يتم تعديل قانون المضائق بموجب فقرة يفرضها الوفد المفاوض الروسي ضمن شروط معاهدة السلام مع الدولة العثمانية، بحيث يحق لروسيا وبموافقة الحكومة العثمانية وبموجب فرمانات خاصة يصدرها السلطان العثماني، إرسال سفن حربية منفردة عبر البوسفور والدردينيل محبباً وذهاباً، مع حتمية إغلاقهما بوجه السفن الحربية للدول الأجنبية غير المتشاطئة على البحر الأسود<sup>(١١٤)</sup>.

ليس ثمة شك، من أن السلطان العثماني كان قد حرم صلاحية فتح مضيق البوسفور والدردينيل أمام السفن الحربية الأجنبية في وقت السلم وفقاً لاتفاقية لندن للمضائق لعام ١٨٤١، وقد تم تأكيد ذلك المبدأ بموجب معاهدي باريس ١٨٥٦، ولندن ١٨٧١، فبعد أن وافقت الدولة العثمانية على تلك المعاهدات، فأنها قد سلمت حقوق السيادة التامة التي كانت تمتلكها، لأنها بعد أن دخلت في اتفاق مع الدول الأخرى، قد تخلت عن حقها في فتح مضيق البسفور والدردينيل بإرادتها الخاصة، بعبارة أدق، أن مبدأ غلقهما في وقت السلم كان لا ترقى إلى شك بعد أن خضعا للقانون الأوربي العام. وبما أن روسيا كانت ضمن القوى الموقعة على المعاهدات المذكورة، والتي ألزمت نفسها ليس فقط أمام الدولة العثمانية فحسب، بل أمام كل القوى الأوربية الأخرى، وهذا ما ينطبق أيضاً على بقية الدول الأخرى ومنها بريطانيا، وعليه فإن أي تغيير يتطلب موافقة جميع الموقعين<sup>(١١٥)</sup>.

في ضوء الحقائق آنفاً، يبدو أن الحكومة الروسية كانت تدرك صعوبة مقترح نيليدوف، وما يرمي إليه بضرب المعاهدات الأوروبية الخاصة بمضيقي البسفور والدردينيل عرض الحائط بتغييره لكل القوانين المتعلقة بمرور السفن الحربية والتجارية في وقتي السلم والحرب لصالح بلاده من خلال معاهدة روسية -عثمانية. وفي الواقع كان غورجاكوف حذراً في تعامله مع هكذا خطوة لاعتقاده أنها سوف تقود إلى تعقيدات خطيرة، لذا كان من الضروري قبل الإقدام عليها معرفة موقف حليفا روسيا في حلف الأباطرة الثلاث (ألمانيا، النمسا- المجر)، كما كان عليه أن يختبر رد فعل القوى الأوروبية الأخرى، لاسيما بريطانيا، إذ تم نقل مقترح نيليدوف لكل من الإمبراطور الألماني وليم الأول (1797-1888 / 1861-1888)<sup>(١١٦)</sup>، وإمبراطور النمسا- المجر فرانسيس جوزيف الأول Franz Joseph I في الرابع من كانون الثاني ١٨٧٨، وقد اعترض الكونت اندراسي وزير خارجية النمسا - المجر بشدة على موضوع مرور سفن روسية منفردة لمضيقي البوسفور والدردينيل معلل بأنه يتناقض مع المعاهدات الأوروبية<sup>(١١٧)</sup>.

ابرق غورجاكوف لسفيره في لندن الكونت شوفالوف يعلمه بمسودة شروط معاهدة السلام مع الدولة العثمانية، التي نص بندها التاسع على غلق المضائق بوجه السفن الأجنبية، والسماح بمرور سفن حربية منفردة للدول التي لديها إطلالة على سواحل البحر الأسود بموجب تصريح من السلطان شخصياً، الذي سيكون ملزماً بمنح اذونات المرور متى ما طلب منه ذلك<sup>(١١٨)</sup>.

درس السفير الروسي البند أعلاه بتمعن وخرج باستنتاج مفاده بأنه "سيؤدي إلى غضب بريطانيا أكثر مما لو كان مبدأ حرية الملاحة في المضائق قد اقر فعلاً" وعليه نصح شوفالوف، غورجاكوف بأن تؤكد روسيا للحكومة البريطانية بأن تسوية المضائق لا تخص روسيا فحسب بل جميع القوى الأوروبية<sup>(١١٩)</sup>.

كان من الواضح، أن امتياز منح السفن الحربية الروسية حق المرور عبر مضيقي البسفور والدردينيل، واستثناء الدول الأخرى سيعني هيمنة روسية

على مياه البحر الأسود، فضلاً على منطقة المضائق على الرغم من امتلاك الدولة العثمانية لتلك المنطقة، إذ ستمكن روسيا من نقل سفنها الواحدة تلو الأخرى من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، مما سيشكل "كابوساً مخيفاً لبريطانيا"، لاسيما إذا ما فرضت روسيا هذا المبدأ على الدولة العثمانية بصيغة معاهدة تحالف روسية-عثمانية مما سيشكل خطراً على طرق المواصلات البريطانية إلى الهند، إذ ستمكن السفن الحربية الروسية من مهاجمة السفن البريطانية في البحر المتوسط ومن ثم الاختباء داخل المضائق بينما يتم منع السفن الحربية البريطانية من دخول المضائق بهدف مهاجمة السفن الحربية الروسية.

في غضون ذلك، جرت مباحثات بين الوفدين الروسي والعثماني بشأن الهدنة، لذا يمكن وصف حال الحكومة البريطاني بأنها كانت في حالة ترقب وقلق وتوجس، وعندما وردتها شائعات بشأن التوصل لاتفاق يتضمن تسوية مسألة المضائق على أساس ثنائي، مما يناقض التأكيدات الروسية الممنوحة مسبقاً لبريطانيا، وعليه أمرت الحكومة البريطانية في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٨٧٨، سفيرها في اسطنبول بأن يطلب من السلطان توجيه الأوامر إلى الحاميات العثمانية في مضيق الدردنيل بعدم إطلاق النار ضد الأسطول البريطاني وتسهيل مهمة رسوه في بحر مرمرة<sup>(١٢٠)</sup>.

من جانب آخر، أمرت الحكومة البريطانية في اليوم نفسه<sup>(١٢١)</sup>، الاميرال هورنبي Hornby قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط باقتحام مضيق الدردنيل بكامل أسطوله سواء أقبِلت الحكومة العثمانية أم رفضت، وعندما علم الوزراء العثمانيين بذلك كان رد فعلهم قوياً، وأصروا على أن يعلم البريطانيون، الروس بأن دخول الأسطول البريطاني لمضيق الدردنيل لم يكن بطلب من الحكومة العثمانية، وإنما حمايةً للمصالح البريطانية<sup>(١٢٢)</sup>، ويبدو أن العثمانيين كانوا متخوفين من الآثار الخطيرة لهذا العمل على المفاوضات الجارية بين الطرفين معتقدين بأنه قد يقود لاحتلال روسي لعاصمتهم، ومع ذلك وبتردد كبير - وكان ذلك حتى قبل أن يخبر السفير

البريطاني الحكومة العثمانية بفحوى التهديد البريطاني بالدخول عنوة لمضيق الدردنيل وبضرب الحاميات العثمانية إذا ما أطلقت أطلق النار - اصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرمان اذن المرور للأسطول<sup>(١٢٣)</sup>. وفي اليوم التالي نقض مجلس الوزراء البريطاني قراره، إذ ألغى أمر دخول الأسطول بعد وروده برقية مغلوبة من ليارد بشأن ورود مسألة المضائق في المفاوضات الروسية- العثمانية، وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٨٧٨، استلم الاميرال هورنبي أوامر اقتحام مضيق الدردنيل، وهو ما أسلف ذكره آنفاً، إذ دخلت سفنه الدردنيل وخرجت بسرعة، وفي اليوم نفسه علمت الحكومة البريطانية من ليارد بان السلام المقترح بين الروس والعثمانيين قد تضمن بالفعل على الفقرة أو المسألة التي دارت حولها الشكوك، غير أن الوقت كان متأخر جداً لتغيير التعليمات مرة أخرى، وفي غضون ذلك طلبت الحكومة العثمانية من نظيرتها البريطانية منحها المزيد من الوقت في حال أرادت إدخال أسطولها مرة أخرى إلى المضائق<sup>(١٢٤)</sup>.

بيد أن الأزيمة الحقيقية بسبب مسألة المضائق حدثت بعد أسبوعين من التاريخ آنف الذكر، فعلى الرغم من التأكيدات الروسية لبريطانيا بعدم تطرق المباحثات الروسية- العثمانية للبنود المتعلقة بالمضائق في المعاهدات الأوروبية، إلا أن هدنة "أسس السلام التمهيدية" Preliminary bases of Peace الموقعة في مدينة اديانبول (أدرنة) في الحادي والثلاثين من كانون الثاني ١٨٧٨، احتوت على نوع من الترتيب الذي طالما خشيتة الحكومة البريطانية<sup>(١٢٥)</sup>. فقد نصت الفقرة الخامسة منها على ما يلي: "سيتوصل جلالة السلطان المعظم لاتفاق مع جلالة إمبراطور روسيا لترتيب يحمي فيه الحقوق والمصالح الروسية في مضيق البوسفور والدردنيل"<sup>(١٢٦)</sup>.

في ظني، أن تلك الفقرة تعد خرقاً واضحاً للتأكيدات الروسية للحكومة البريطانية، فبموجب شروط الهدنة تنازل العثمانيون عن حصون الدانوب لمدن : فيدين Vidin، روسو Rustchuk، سيلسترا Silistria؛ فضلاً عن إخلاء حصون البلقان لمدن: رازغراد Razgrad، بلغراد Belgradjik،

بازاجيك Bazardjik، كما فرض الروس انسحاب الجيش العثماني لآخر خطوطه الدفاعية وبمسافة تبعد عشرة كيلو مترا فقط عن أسوار العاصمة اسطنبول، في حين لا تقل المسافة الفاصلة بين الجيشين العثماني والروسي عن عشرة كيلو متر<sup>(١٢٧)</sup>، وبذا وصل الروس إلى شبه الجزيرة في النقطة التي تفصل البحر الأسود عن بحر مرمرة وبمحاذاة مضيق البوسفور.

وعليه ساد الاعتقاد لدى البريطانيين بصحة الشائعات التي تؤكد عن تحركات للجيش الروسي بهدف احتلال اسطنبول ومنطقة المضائق<sup>(١٢٨)</sup>، لاسيما بعد أن وردت لندن تقارير من ليارد السفير البريطاني في اسطنبول تؤكد انتقال مقر قيادة الجيش الروسي إلى ضواحي العاصمة اسطنبول في منطقة Chatalja<sup>(١٢٩)</sup>.

لقد أثارت تلك الأخبار الرأي العام البريطاني، فانتاب القلق جميع الأوساط البريطانية على مستقبل مصالحهم في الدولة العثمانية، وطالبوا الحكومة بإعلان الحرب ضد روسيا<sup>(١٣٠)</sup>، لذا أخذت طبول الحرب في العاصمة البريطانية تفرع، وأصبح إعلان بريطانيا للحرب مسألة وقت، لاسيما بعد أن طلبت الحكومة البريطانية من البرلمان تخصيص مبلغ ستة ملايين جنيه إسترليني استعدادا للحرب<sup>(١٣١)</sup>، كما استلم ليارد توجيهات من حكومته للحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني لدخول الأسطول البريطاني في البحر المتوسط، فضلاً عن ذلك، أمرت الحكومة البريطانية الأدميرال هورنبي قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط في الثامن من شباط ١٨٧٨، بدخول مضيق الدردنيل والإبحار حتى مضيق البوسفور والرسو في موانئ العاصمة اسطنبول<sup>(١٣٢)</sup>.

وبما أن الحكومة العثمانية لم تكن قد أرسلت بعدُ التوجيهات لقائد القلاع الحامية في مضيق الدردنيل في السماح للأسطول البريطاني بدخول الدردنيل، لذا أثر الأدميرال هورنبي التريث في تنفيذ الأوامر التي بلغته. وعندما وصل إلى لندن خبر رفض السلطان عبد الحميد الثاني منح فرمان الاذن بالدخول، أمرت الحكومة البريطانية الأدميرال هورنبي باقتحام المضائق عنوة،



كما ابرق للورد دربي إلى ليارد في العاشر من شباط ١٨٧٨، يخبره بان الأوامر صدرت إلى قائد الأسطول البريطاني باقتحام المضائق وبغض النظر عن الموافقة العثمانية، وإذا ما أطلق العثمانيين النار فان الادميرل هورنبي لديه تعليمات بالرد بالمثل، وان هدف الأسطول "حماية الممتلكات والرعايا البريطانيين القاطنين في اسطنبول". وعليه فان الأسطول سيرسو بالقرب من اسطنبول في بحر مرمرية عند جزر الأمراء<sup>(١٣٣)</sup>.

استلم الادميرل هورنبي أوامر حكومته باقتحام المضائق في الثاني عشر من الشهر نفسه<sup>(١٣٤)</sup>، وفي اليوم التالي دخل بأسطوله المكون من ست سفن حربيه وهي: (Salamis، Ruby، Temeraire، Alexakdera، Swiftsure، Achilles)<sup>(١٣٥)</sup>. وبينما كانت سفنه تبحر في مضيق الدردنيل قام قائد القلاع الحامية لمضيق الدردنيل بالصعود على سفينة هورنبي وسلمه مذكرة احتجاج على هذا الخرق الواضح لاتفاقية لندن لعام ١٨٧١، إلا انه لم يلتفت إلى ذلك وتابع إحارته حسب الأوامر الصادرة له من حكومته<sup>(١٣٦)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد قدم ليارد طلباً للحصول على إذن الدخول للأسطول البريطاني للمضائق، ولأن الحكومة العثمانية كانت في نيتها الالتزام بالهدنة التي وقعتها مع الروس، لذا رفضت الطلب وعلل صفوت باشا وزير الخارجية العثماني للسفير البريطاني ذلك بالقول: "ان الوضع قد تغير عما كان عليه في الشهر الماضي، وأنا لا نرى بأي وجه حق أو هدف يريد الأسطول البريطاني الدخول إلى القسطنطينية"<sup>(١٣٧)</sup>، وذكر أحمد وفيق باشا الصدر الأعظم (٤ شباط ١٨٧٨ - ١٨ نيسان ١٨٧٨)<sup>(١٣٨)</sup>، بذلك الخصوص قائلاً:

"عند عودتي للمجلس رأيت طلب السفير. أن الجيش الروسي يقف على بواباتنا، وعليه فنحن ننوي إبقاء التزاماتنا ثابتة دون تغيير...! وهل من الحكمة أن تختفي هذه العاصمة العظيمة مع مليون من الأبرياء بسبب صراع المصالح الأجنبية، وبسبب

الضعف الذي نمر به نتيجة للدفاع المستميت الذي قمنا به؟ سنحتج عند انكلترا ونترك لها مسؤولية هذه الكارثة الرهيبة... نحن لن ننتحر إنما نريد السلام بجدية<sup>(١٣٩)</sup>.

الحق، لقد شعرت الحكومة العثمانية بالامتعاض من التصرف البريطاني، لان الحكومة البريطانية- حتى وهي تقوم بخطوة دخول المضائق- رفضت القيام بالتزاماتها تجاه الدولة العثمانية، وان ترتب على ذلك دخول الجيش الروسي لإسطنبول، إذ اخبر صفوت باشا، ليارد قائلاً: "بما أن تركيا لا يمكنها أن تأمل في حصول المساعدة من أوروبا، فأنها ستكون أكثر فأكثر تحت رحمته روسيا". لذا تعاطف ليارد مع الموقف العثماني وكتب إلى حكومته قائلاً: "لا يوجد من سبب في الوقت الحالي يدعو للاعتقاد بان المصالح أو الرعايا الانكليز في خطر"، واعتقد أيضاً بأنه على الرغم من عدم منح الفرمان فان الباب العالي سيسمح بدخول الأسطول لكنه سيقدم احتجاجاً رسمياً يستند على مبدأ خرق المعاهدات<sup>(١٤٠)</sup>.

وحينما اخبر ليارد، العثمانيين في الثاني عشر من شباط ١٨٧٨، بدخول الأسطول البريطاني للمضائق، بدت علامات القلق والتوتر واضحة على السياسيين العثمانيين، إذ دُهِش الصدر الأعظم أحمد رفيق باشا من إصرار البريطانيين دخول المضائق بموافقة أو بدون موافقة الحكومة، وأعلن بأنه سيلتزم بما وعد به روسيا وسيأمر قائد القلاع في الدردنيل بإطلاق النار على السفن البريطانية، كما تصرف صفوت باشا وزير الخارجية العثماني بالأسلوب نفسه موضحاً للسفير البريطاني بان من واجب الحكومة مقاومة خرق المعاهدات، إلا أن ليارد حذرهم من مخاطر إطلاق النار على الأسطول البريطاني الذي ليس في خطته مهاجمة الدولة العثمانية<sup>(١٤١)</sup>.

يبدو أن العثمانيين أعادوا النظر في حساباتهم بخصوص إطلاق النار على الأسطول البريطاني، لان مثل هكذا تطور لن يبقى روسيا خارج اسطنبول، وعندها ستواجه الدولة العثمانية عدوين بدلاً من عدو واحد، لذا

اجتمع مساء يوم الثاني من شباط ١٨٧٨، كل من صفوت باشا، وسعيد باشا وزير الداخلية العثماني بالسفير البريطاني ونقل له مخاوف السلطان عبد الحميد الثاني من نتائج دخول الأسطول للمضائق، لاسيما أن الدلائل باتت تؤكد عزم روسيا على احتلال اسطنبول، الذي سيعقبه أعمال عنف متبادلة بين المسلمين والمسيحيين. وفي ختام الاجتماع أُخبرَ ليارد بان القلاع الحامية للمضائق ستبقى هادئة، وإنها لن تطلق النار على الأسطول البريطاني، إلا أنه سيتم تقديم احتجاج رسمي ضد انتهاك المعاهدات.<sup>(١٤٢)</sup>

على الرغم من اقتحام الأسطول البريطاني للمضائق في الثالث عشر من شباط ١٨٧٨، إلا أن محاولات العثمانيين الدبلوماسية بردع البريطانيين عن قرارهم استمرت دون هوادة، ففي الثالثة صباحاً من اليوم نفسه تلقى ليارد رسالة من السلطان عبد الحميد الثاني وبرفقتها نسخة من برقية الاحتجاج التي بعثها إلى الملكة فكتوريا ضد دخول الأسطول البريطاني للمضائق، أما بخصوص الرسالة نفسها فقد تمنى السلطان فيها على السفير أن يوعز لقائد الأسطول بالتوقف حتى يتلقى رداً من الملكة على برقيته، وعلى الرغم من أن ليارد لم تكن من صلاحياته إيقاف الأسطول، إلا أنه أرسل رسالة إلى هورنبي أرفقها بنسخ من رسالة السلطان عبد الحميد الثاني المعنونة إليه مع البرقية المعنونة إلى الملكة، وقد تعلق الأمر برسالته فقد ذكر بأنه ينصح بأن يبقى الأسطول البريطاني "بعيداً عن البر قدر الإمكان"<sup>(١٤٣)</sup>. وأخيراً رسا الأسطول بعيداً عن جزر الأمراء في الخامس عشر من الشهر نفسه<sup>(١٤٤)</sup>. وفي نهار اليوم نفسه أرسل الصدر الأعظم أحمد وفيق باشا، وزير الخارجية صفوت باشا إلى مقر السفارة البريطانية، وبعد أن بين الوزير العثماني للسفير ليارد عن مقدار المرارة العثمانية بشأن الموقف البريطاني، سلمه رسالتين الأولى من الصدر الأعظم شخصياً وجاء فيها:

"بعد أن دفعنا حكومتكم إلى الحائط

تخبرنا بأنه حتى دخول القوات الروسية لا

يمكن أن يجعلها تقبل بطلبنا في التدخل،

لكنها اليوم تتدخل رغم أنفنا بعد أن رأتنا  
نريد السلام بأي ثمن...! أن جالته  
[السلطان] يصر بأن تُوقف حكومتكم خطتها  
في الدخول [للمضائق] إذ يطلب وبقوة  
بإيقاف تقدم الأسطول حتى يتم التوصل  
لحل<sup>(١٤٥)</sup>.

أما الرسالة الثانية، فكانت نسخة طبق الأصل لبرقية القيصر الروسي  
الكسندر الثاني إلى السلطان عبد الحميد الثاني، إذ تضمنت تهديداً صريحاً  
باحتيال العاصمة اسطنبول، واهم ما جاء فيها قوله: "... في حال دخول  
الأسطول البريطاني للبوسفور فسأجبر عندها على وضع قطعات عسكريه في  
القسطنطينية وبشكل مؤقت". وعليه دخل صفوت باشا مع السفير البريطاني في  
مناقشه شديدة، حمل فيها الحكومة البريطانية المسؤولية الكاملة المترتبة عن  
احتلال القوات الروسية العاصمة اسطنبول، محذراً في الوقت نفسه من أن  
عواقب ذلك الاحتلال ستكون بالغة الأثر على المصالح البريطانية إذ قال: "أن  
احتلال [روسيا] للقسطنطينية وان كان مؤقتا ستكون له تأثيرات غير محسوبة  
على العالم الإسلامي والمصالح البريطانية" ثم حاول صفوت باشا تخويف ليارد  
من خلال ربط مسألة مصير العاصمة العثمانية بمصير الوجود البريطاني في  
الهند، إذ طرح عليه متسائلا عما سيفكر به مسلموا الهند إذا ما سمعوا خبر  
دخول الجيوش الروسية عاصمة الإسلام بوجود الأسطول البريطاني: "الذي لم  
يكن قادراً ولا حتى راغباً بالتدخل لمنع هذه الأهانة العظيمة للمسلمين في كل  
مكان، فهذه مسألة لن ينسوها أو يغفروها ابداً"<sup>(١٤٦)</sup>.

وفضلا عن ذلك حاجج صفوت باشا، السفير البريطاني بالقول:

"لم تكن لا الأرواح البريطانية ولا حتى  
ممتلكاتهم في خطر، ولكن إذا ما دخل الروس  
المدينة فإن الموقف سيتغير تماماً، لان  
الحكومة العثمانية ليست لديها القدرة وهي

مفلسة تماماً من أعاله ما بين عشرين إلى  
ثلاثين ألف جندي روسي، ومن ثم فهم من  
المؤكد سيساعدون أنفسهم، سيهدمون منازل  
المسلمين من اجل خشب التدفئة وسيسرقون  
من اجل تأمين مؤنهم وأرزاقهم... إن هذه  
الأوضاع ستقود لصراعات وستنتشر لتشمل  
المسيحيين ولن تنتهي هذه الاضطرابات إلا  
بمذبحة... ان بريطانيا اليوم تثبت بأنها عدو  
تركيا الأكبر فهي التي تستفز روسيا وتدفعها  
للقيام بخطوات قد تجلب الدمار الأخير  
للإمبراطورية التركية<sup>(١٤٧)</sup>. وبذلك رمى  
صفوت باشا الكرة في الملعب البريطاني إذ  
وضع الحكومة البريطانية أمام مسؤولية  
تاريخية.

في غضون ذلك، وصل سعيد باشا وزير الداخلية العثمانية إلى مقر  
السفارة البريطانية وبجعبته مقترح جديد من السلطان عبد الحميد الثاني ينص  
بأنه إذا كان احد المخاوف البريطانية أن تُسلم الحكومة العثمانية أسطولها  
للروس - بهدف غلق الدردنيل والبوسفور بوجه الأسطول البريطاني - فان  
السلطان مستعد لإرسال سفنه لأي مكان تقترحه الحكومة البريطانية، وإذا لم  
تكن لديها ثقة بالضباط العثمانيين فانه مستعد بأن يضع تلك السفن تحت تصرف  
قائد الأسطول البريطاني ويقبل بصعود ضباط بريطانيين على متنها!!<sup>(١٤٨)</sup>.

من الواضح أن السلطان العثماني كان يخشى على مصير عاصمته من  
عواقب رسو الأسطول البريطاني في موانئ العاصمة، لذلك لم يرغب بان  
يخطو البريطانيون مثل هذه الخطوة في ذلك الوقت، إلا أن سعيد باشا نقل  
للسفير البريطاني قول السلطان عبد الحميد الثاني ما نصه: "في حال كان هناك

سبب يدفعني للاعتقاد بأن الروس على وشك خرق الهدنة أو تعريض الإمبراطورية للخطر... عندها سأطلب من الحكومة البريطانية التدخل"<sup>(١٤٩)</sup>.

مهما يكن من أمر، فقد استمرت الحكومة العثمانية في جدالها مع الحكومة البريطانية من أجل سحب أسطولها من المضائق، ولكن دون جدوى فقد كتب أحمد وفيق باشا الصدر إلى ليارد في الرابع عشر من شباط ١٨٧٨، قائلاً:

"لقد أمر جلالتهم [السلطان] السفير [العثماني في لندن] بأن يضغط على حكومتهم لسحب الأسطول من الدردنيل، وبالمقابل فقد وعدت الحكومة الروسية بأنها ستنتظر نتائج هذه المفاوضات، وعليه فهلا طلبت من [قائد] الأسطول التوقف حيث هو الآن... إننا نتعرض لضغط شعبي كبير، وعلى عاتقنا مسؤولية ضخمة. فأينما ذهب الروس تبعهم جمع غفير من البلغار الذين يقتلون ويدنسون حرمان وشرف المسلمين... فقد وردتنا حتى ليلة البارحة حوالي خمس عشرة برقية تقطر القلوب عن مذبح بريشتينا prichtina . لذا فإن دخول الروس للقسطنطينية سيسبب عنفاً كبيراً ضد المسلمين فقط دون غيرهم، لأن الأجانب سيضلون متفرجين فقط، وسيدخل الجنود الروس المنازل دون أن يمنعهم ضباطهم، وسيبدون فيها بعد عن أسفهم وندمهم، ولكن بعد أن تحرق وتدمر الأحياء بكاملها"<sup>(١٥٠)</sup>.

أجرى موسورس باشا السفير العثماني في لندن مباحثات مع اللورد دربي وزير الخارجية البريطاني. إذ احتج الأول بشده ضد الخرق البريطاني للمعاهدات الأوروبية ذات الصلة بمسألة مرور السفن الحربية في مضيق

البوسفور والدردنيل<sup>(١٥١)</sup>، ففي الرابع عشر من شباط طلب من دربي أن يبين الأسس التي استند عليها دخول الأسطول البريطاني في دخوله للمضائق "بصفته صديقاً أم حليفاً أم حيادياً؟"، وعلى الرغم من أن وزير الخارجية حاول التهرب، إذ لم يعط تعريفاً للتحرك البريطاني، ولما كرر موسورس باشا السؤال مرة أخرى اضطر اللورد دربي بالقول بأنه : "يفضل مصطلح الحيادي"<sup>(١٥٢)</sup>. وبعد ناقش موسورس باشا مخاطر نتائج غزو روسيا للعاصمة العثمانية، وتحدث كذلك عن احتمال أن يجبر السلطان على طلب اللجوء على إحدى السفن البريطانية<sup>(١٥٣)</sup> وقد اتفق دربي وسورس باشا على هذه المسألة.<sup>(١٥٤)</sup>

في الوقت نفسه، كان على الحكومة العثمانية بطبيعة الحال أن تهدأ الروس من خلال استرضائهم. بالتأكد وضع التحرك البريطاني، الحكومة العثمانية في موقف حرج للغاية، إذ دخلت السفن الحربية البريطانية المضائق رغم انف السلطان العثماني وحكومته، وبذلك انتهكت بريطانيا السيادة العثمانية وقانون المضائق الذي نظم من خلال المعاهدات الأوروبية إلا أن بريطانيا استخدمت حجة حماية الرعايا البريطانيين القاطنين في اسطنبول، وهي حجة ربما تكون منطقية أمام التاريخ والرأي العام البريطاني أو الأوروبي إلا إنها حجة خطيرة كسيف ذي حدين، فمن المؤكد أن تقوم روسيا بالمثل وتدخل اسطنبول للسبب نفسه، أي بحجج حماية الرعايا الأرثوذكس. ففي الوقت الذي رفضت بريطانيا القيام بأي خطوة من شأنها مساعدته الحكومة العثمانية في محنتها كانت تصر على تمركز سفنها الحربية في بحر مرمره وبالقرب من مدينة اسطنبول. صحيح أن الحكومة البريطانية أخبرت نظيرتها العثمانية بأنه ليس في نيتها تهديد أو إسقاط الحكومة في اسطنبول<sup>(١٥٥)</sup>، لكن الرد الروسي المعاكس أي احتلال المدينة يمكن أن يهدد مستقبل الدولة العثمانية وربما يكون المسمار الأخير في نعشها.

لكن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا: لماذا أصرت الحكومة البريطانية إدخال أسطولها في منطقة المضائق والرسو بالقرب من العاصمة العثمانية؟

ضاربة بذلك جميع المعاهدات الدولية ذات الصلة بمسألة المضائق عرض الحائط!!

من الواضح، أن الحكومة البريطانية لم ترفض حماية العاصمة اسطنبول فحسب، بل وتخلت عن أعطاء الدولة العثمانية لأي دعم في حربها ضد روسيا، إذ فضلت "انتهاج سياسة عدم التدخل"<sup>(١٥٦)</sup> إلا أنها قامت بإدخال أسطولها عنوة في مضيق الدردنيل، ليس بهدف منع الجيش الروسي من احتلال اسطنبول، وإنما ادعت بان حياة وممتلكات رعاياها في خطر، وان الاتصالات التلغرافية في الدولة العثمانية ربما تقطع.

يبدو أن إصرار بريطانيا إدخال أسطولها يمكن تبريره في سببين اثنين، أولاً: توصلت الحكومة البريطانية إلى قناعة بان الروس يرومون من مفاوضات السلام مع العثمانيين تكوين تحالف مناهض لهم، لاسيما أن تلك القناعة كانت تستند على تقرير لسفيرها في اسطنبول يؤكد فيه رغبة روسيا في فصل الدولة العثمانية عن بريطانيا، وأنهاد بصدد تشكيل تحالف ثلاثي يضم كل من الدولة العثمانية وألمانيا وروسيا، كما وردت لندن المزيد من التقارير من مصادرها الاستخبارية بدخول روسيا في مفاوضات سرية مع والي مصر الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) من أجل ترتيب علاقات وثيقة معه، وبأنها حاولت توجيه الحكومة العثمانية والخديوي للعمل ضد بريطانيا<sup>(١٥٧)</sup>. لذا أمرت قائد أسطولها باقتحام مضيق الدردنيل، كما عززت من تواجدتها البحري في البحر المتوسط؛ ثانياً: لقد علمت الحكومة البريطانية بان الروس قد طلبوا من العثمانيين تسليم أسطولهم الحربي مقابل تخفيض مبلغ الغرامة الحربية، لذا أمرت الحكومة البريطانية قائد أسطولها في البحر المتوسط باقتحام الدردنيل بهدف منع الروس من الاستيلاء على الأسطول العثماني، الذي من شأنه أن يؤدي إلى هيمنة روسية مطلقة على البحر الأسود، او ربما يستخدم في تهديد الملاحة في البحر المتوسط الذي يعد همزة وصل في طرق المواصلات البريطانية إلى الهند، لاسيما بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩، لذا حاولت الحكومة البريطانية منع انتقال ملكية الأسطول العثماني إلى روسيا، وأوعزت



إلى ليارد في الرابع عشر من شباط ١٨٧٨، بأن يسعى سراً لشراء أربعة من أحدث السفن الحربية العثمانية<sup>(١٥٨)</sup>، إلا أن العثمانيين أخبروا السفير هذه المرة بصورة صريحة بأنهم لن يسلموا أسطولهم إلى روسيا ولا حتى بريطانيا وإن الأوامر صدرت إلى ربانة السفن الحربية العثمانية بإغراق أو حرق سفنهم إذا ما حاولت أي قوة لاستيلاء عليها<sup>(١٥٩)</sup>

في غضون ذلك، سجلت الدبلوماسية الروسية حضورها من أجل دخول محتمل للعاصمة العثمانية، إذ تم تبادل سلسلة من الرسائل بين السلطان والقيصر<sup>(١٦٠)</sup>، لكن أهم المفاوضات كانت تلك التي جرت بين سانت بطرسبرغ ولندن، إذ استخدمت الحكومة الروسية التبرير نفسه الذي استخدمته نظيرتها البريطانية في دخول أسطولها لمنطقه المضائق بل إنها ذهبت أبعد من ذلك وخطت خطوه أكبر للأمام بالقول: "أن الحكومة الروسية ستحمي كل المسيحيين وليس رعاياها فحسب"<sup>(١٦١)</sup> فقد أعلن جورجاكوف لشوفالوف في منتصف شباط ١٨٧٨، قائلاً :

"إننا نناقش الدخول المؤقت للمدينة بواسطة جزء من قواتنا والهدف هو نفسه باستثناء أن حمايتنا هذه المرة إذا ما دعت الحاجة ستشمل كل المسيحيين. وهكذا فإن الحكومتين ستقومان بواجب أنساني مشترك وبما أن المهمة طبيعتها سلمية فلا يمكن أن تكون هناك تحت أي ظرف اعتداءات متبادلة"<sup>(١٦٢)</sup>.

في الواقع، لم يكن بيان جورجاكوف حازماً فحسب، بل إنه لم يكن مستقراً أيضاً، فهو يحمل ميزة أنه يعتمد على مفهوم "التدخل الإنساني" وهذا يتناغم إلى حد ما مع إعلان الحكومة البريطانية ويضع مصداقيتها على المحك، لاسيما وهي تحاول أن تثبت للرأي العام بأن دخول أسطولها في منطقته المضائق مبني على أسس مبدئية.

لم يرد غورجاكوف حرباً مع بريطانيا، ولقد تمنى - في الواقع - بأن لا تتطور مسألة دخول السفن الحربية البريطانية للمضائق، وان تجد تلك المسألة حلاً سلبياً يبعد شبح الحرب عن بلاده مع بريطانيا - وهي بلا شك القوة البحرية الأقوى وبكل المقاييس - ويبدو أن شوفالوف قد شاطر غورجاكوف تلك الأمنية إلا أنه لم يعارض احتلال روسيا لاسطنبول، ولهذا تبني في مفاوضاته مع اللورد دربي موقفاً ثابتاً، ولكنه توافقي أيضاً، وحينما علم شوفالوف بخبر دخول الأسطول البريطاني لمضيق الدردنيل، كانت ردت فعله متسريعة، إذ كتب مذكرة إلى اللورد دربي، ولعله كتبها من دون الرجوع إلى حكومته، ومما جاء فيها قوله: " انه في حال وصل الأسطول [البريطاني] قرب القسطنطينية فستعد روسيا نفسها في حل من كل التعهدات التي منحتها بخصوص القسطنطينية وغاليبولي" (١٦٣).

من الجدير بالذكر، أن المنطقة الثانية (غاليبولي) كانت محط اهتمام بريطانيا الأكثر، لأن الساحل الشرقي لهذه المنطقة يطل على مضيق الدردنيل. وان بريطانيا بإرسال سفنها لبحر مرمره وضعت نفسها في موقع إستراتيجي سيئ، فمن الممكن محاصرة الأسطول البريطاني داخل منطقة المضائق بمجرد نصب أي قوة لمدافعها عند سواحل شبه جزيرة غاليبولي، وبذلك يتم غلق طريق العودة. وحينما أعطت الحكومة الروسية تأكيدات في الخامس عشر كانون الثاني، ١٨٧٨، بأنها لن تحتل شبه جزيرة غاليبولي إلا أن هذا التعهد ارتبط بشرطين، الأول: إبقاء القوات العثمانية بعيدة عن شبه جزيرة غاليبولي؛ أما الشرط الثاني: فهو أن لا تقوم بريطانيا بإدخال سفنها الحربية في المضائق والرسو فيها (١٦٤)، وهذا ما أسلفنا ذكره. ولكن بعد أن قامت بريطانيا باقتحام مضيق الدردنيل والرسو بالقرب من العاصمة، فإنها بذلك أعطت المبرر لروسيا لفسخ تعهداتها. ولعل اللورد دربي كان مدركاً لخطورة الموقع الحرج للأسطول البريطاني، لذا كتب في الخامس عشر من شباط ١٨٧٨، إلى السفير شوفالوف محذراً الحكومة الروسية من مغبة تحريك قواتها إلى شبه جزيرة غاليبولي، أو القيام بأي عمل من شأنه تهديد اتصالات الأسطول البريطاني (١٦٥).

وفي غضون ذلك، حدث تطور مهم أدى إلى انفراج الأزمة عندما جاء الحل من الجانب الروسي، إذ أبرق غورجاكوف إلى الكونت شوفالوف السفير الروسي في لندن في الخامس عشر من شباط ١٨٧٨، يخبره بقرار القيصر الكسندر الثاني بعدم تقدم القوات الروسية إلى شبه جزيرة غاليبولي، بشرط عدم تمركز القوات البريطانية على أحد الجانبين الأوربي أو الآسيوي من المضائق<sup>(١٦٦)</sup>، لذا قام شوفالوف بنقل فحوى تلك البرقية إلى اللورد دربي في الثامن عشر من الشهر نفسه<sup>(١٦٧)</sup>. وعلى صعيد ذي صلة، كانت الحكومة البريطانية وبناءً على مناشدات السلطان عبد الحميد للمكلة فكتوريا<sup>(١٦٨)</sup>، على ما يبدو، قد أصدرت أوامرها إلى الأدميرال هورنبي قائد الأسطول البريطاني بالانسحاب من جزيرة الأمراء، ففي حلول السابع عشر من الشهر نفسه تحرك الأسطول البريطاني من موقعه إلى خليج مودانيا Gulf Mudania<sup>(١٦٩)</sup> في بحر مرمره<sup>(١٧٠)</sup>.

وهكذا تمت تسوية مسألة احتلال روسيا لاسطنبول عندما أرسل القيصر الكسندر الثاني ببرقية إلى السلطان عبد الحميد الثاني في التاسع عشر من شباط ١٨٧٨، يقول فيها بأنه: "لن يدخل المدينة"<sup>(١٧١)</sup>.

صحيح أن من تداعيات وجود الأسطول البريطاني في بحر مرمره ورسوه عند جزر الأمراء، أن أصبح زمام المبادرة بيد روسيا، وإن القيصر الكسندر الثاني كان بإمكانه أن يتبنى موقفاً حاسماً إذا رغب بعمل مباشر أي احتلال اسطنبول وشبه جزيرة غاليبولي إلا إنه بتأثير معتدل من وزيري الحرب الكونت ميليويتين Count Milyutin (١٨٦١ - ١٨٨١)<sup>(١٧٢)</sup> والخارجية غورجاكوف اصدر تعليمات متناقضة وغير واضحة<sup>(١٧٣)</sup>، ونتيجة لذلك كان قرار الاحتلال الفعلي بيد الدوق نيكولاس القائد الميداني للجيش الروسية<sup>(١٧٤)</sup>، الذي كان مدرّكاً بشكل كامل لموقف جيشه الخطير بعد أن بعدت خطوط إمداداته، لذا لم يرغب أن يساهم في اندلاع حرب خاسرة مع بريطانيا، والنمسا- المجر<sup>(١٧٥)</sup>، التي أعلنت هي الأخرى عن رفضها لشروط الهدنة<sup>(١٧٦)</sup>، كما إنه لم يكن تواقفاً لأن يرى قواته متورطة في معارك خطيرة أخرى مع

القوات العثمانية، التي استعادت زمام المبادرة ولهذا من الصعب جداً دخول المدينة<sup>(١٧٧)</sup>.

وفي خضم ذلك، جرت مفاوضات السلام الروسية- العثمانية في منطقة سان ستيفانو، وكانت إشكالية انتهاك الأسطول البريطاني للمعاهدات الأوروبية المتعلقة بمضيق البسفور والدردينيل من أهم المسائل، التي أثارت امتعاض الوفد الروسي<sup>(١٧٨)</sup>، الذي لم يكن ليترك تلك المسألة من دون أن يبين للوفد العثماني التبعات المترتبة لذلك الانتهاك، وبعد أن ندد الكونت اغنانيف Count Ignatiev<sup>(١٧٩)</sup>، وهو أحد أعضاء الوفد الروسي خلال جلسة السابع والعشرين شباط ١٨٧٨، بالخرق البريطاني، وجه أصابع الاتهام للحكومة العثمانية، التي سمحت بدخول الأسطول البريطاني للمضائق بصورة سلمية، الذي يُعد "خرقاً سافراً لحقوقها السيادية". وعليه أصر اغنانيف بقوة بأن يدون احتجاج الحكومة الروسية ضمن محضر الجلسة الحالية، وأن يرفق بالخطاب التالي:

"إن بريطانيا اليوم وخلفاء لشروط المعاهدات الأوروبية للأعوام ١٨٤١، ١٨٥٦، ١٨٧١، وبتخريض من مجلس الوزراء في لندن، الذي سبق وقدم للقانون الأوربي العام مبدأ غلق المضائق بوجه الأساطيل الأجنبية تخرق هذا المبدأ بإرسال أسطولها عبر الدردنيل بحجة انه كان من الضروري الاقتراب من القسطنطينية سلمياً دون نية عدوانية تجاه الباب العالي، أو أي قوة أخرى وقد تم تنفيذ القرار بدون الأخذ بنظر الاعتبار الاحتجاجات المتكررة للحكومة العثمانية أو الالتماسات المباشرة، التي قدمها السلطان للملكة. وعندما بينت قيادة القلاع في الدردنيل بأنه إذا ما دخل الأسطول فسنجبر على إطلاق النار. كان الرد عليهم بأن أي إطلاقاً لمُدفع

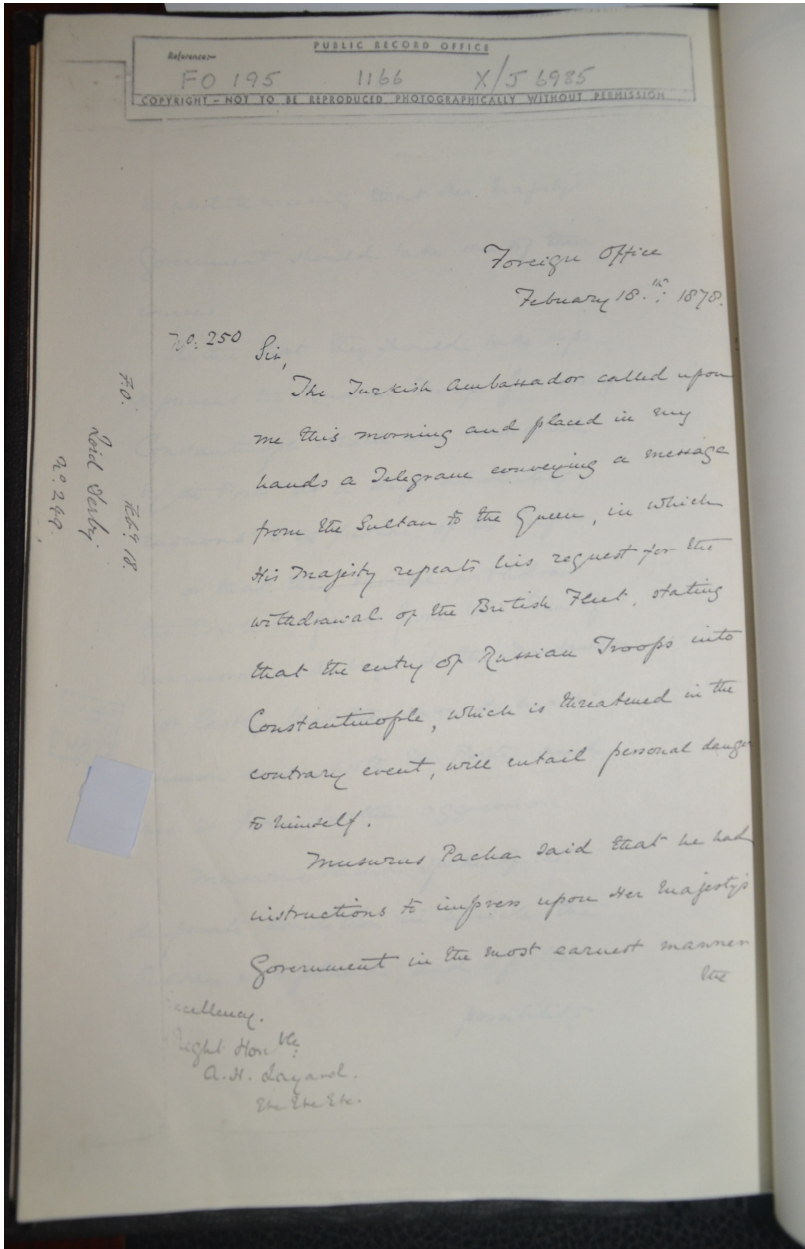
ستكون بمثابة إعلان الحرب على بريطانيا... ونحن  
نستطيع استخدام الحجج والجدالات نفسها، التي  
قدمتها بريطانيا للحكومة العثمانية... نقول بأننا أيضاً  
نرغب الاقتراب من القسطنطينية سلمياً دون خرق  
الهدنة والمفاوضات مستمرة...»<sup>(١٨٠)</sup>.

لقد سببت مسألتي اقتراب القوات الروسية من أسوار العاصمة  
العثمانية، ودخول الأسطول البريطاني للمضائق حالة من التأهب القصوى في  
دول القارة الأوروبية، التي كانت على وشك اندلاع حرب قد تتجر إليها القوى  
الكبرى. وبما أن الدولة العثمانية كانت في حالة حرب، لذا كان للسلطان  
العثماني نظرياً سيطرة كاملة على المضائق بموجب المعاهدات الأوروبية، ولأن  
التحرك البريطاني لم يكن بالضرورة من أجل مساعدة الدولة العثمانية، إنما كان  
هدفه الوقوف في طريق روسيا، ومنعها من الاستيلاء على الأسطول العثماني.  
وحينما جرت مفاوضات السلام الروسية-العثمانية، لم تمنح الحكومة البريطانية  
نظيرتها العثمانية لأية تأكيدات أو مساعدة أو حتى دعم على الرغم من وجود  
القطعات الروسية على أبواب العاصمة اسطنبول، بالتأكيد لم يكن العثمانيون  
ليطلقوا النار على الأسطول البريطاني، لقد شرع الخرق البريطاني لسابقة  
خطيرة، وعليه فقد ظل خطر حصول عمل روسي قائماً ما دامت شروط السلام  
النهائية لم يتم الاتفاق عليها بعد. لذا ازدادت احتمالية اندلاع حرب بين القوى  
الأوروبية الكبرى، وفي ظل هكذا ظروف أصبح موضوع وجود الأسطول  
البريطاني في المضائق والولوج المحتمل للأسطول البريطاني الحرب إلى  
البحر الأسود بهدف مهاجمة السواحل الروسية موضوعاً حرجاً للحكومة  
العثمانية، التي لم يكن لها حول ولا قوة في فرض إرادتها على مضيق البسفور  
والدرديل، على الرغم من أن تلك الإرادة كانت تستند على المعاهدات الدولية،  
ومهما يكن من أمر، فقد استمرت مفاوضات السلام بين روسيا والدولة  
العثمانية، وفي الثالث من آذار ١٨٧٨، تم توقيع معاهدة السلام في سان  
سيتيفانو، ومع أن موضوع المضائق تم استثناءه من المعاهدة، إلا أن البنود  
الأخرى قلبت توازن القوى في الشرق الأدنى وفضلاً عن خرقها للمعاهدات

السابقة، ومن أجل ضمان تنفيذ الحكومة العثمانية لمعاهدة السلام أصدرت الحكومة الروسية على بقاء قواتها قرب اسطنبول، لذا بقيت الحكومة البريطانية قلقة جداً بشأن النوايا الروسية حيال المضائق والعاصمة العثمانية، وعليه أصدرت الحكومة البريطانية هي الأخرى على بقاء أسطولها في منطقة المضائق حتى أيلول ١٨٧٨.

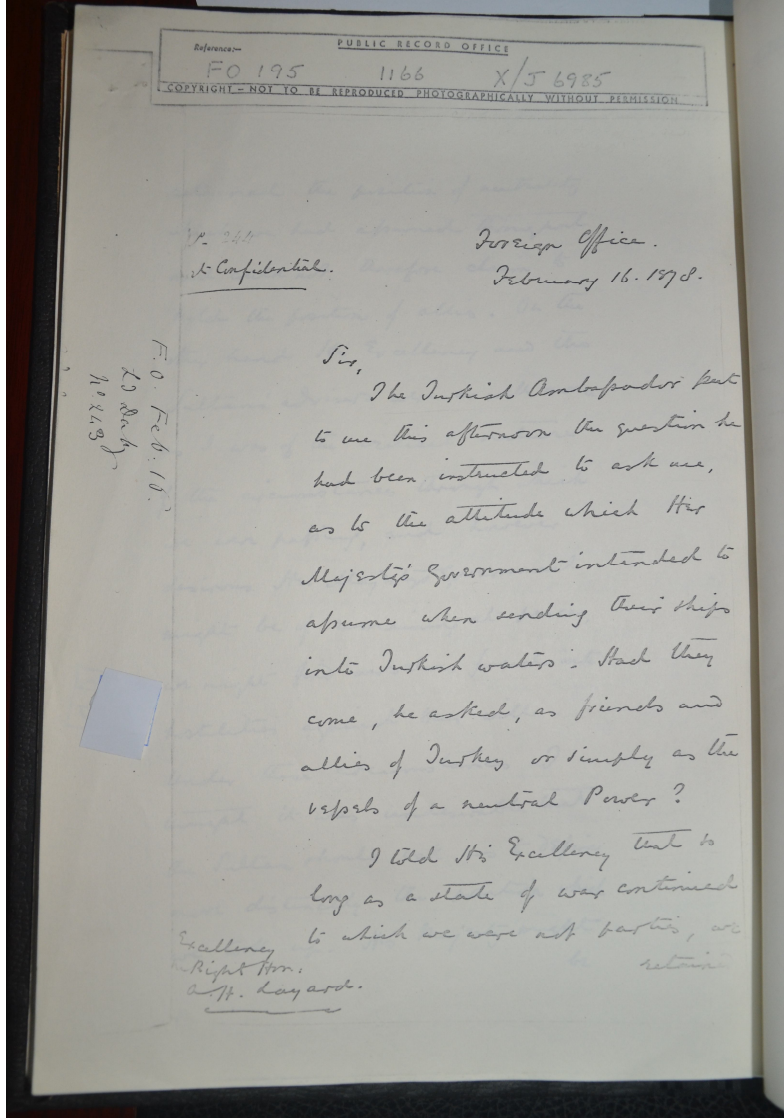
ملحق رقم (١)

السلطان يطلب إما سحب الأسطول البريطاني من المياه أو مساعدة  
البريطانيين لمنع احتلال العاصمة اسطنبول



ملحق رقم (٢)

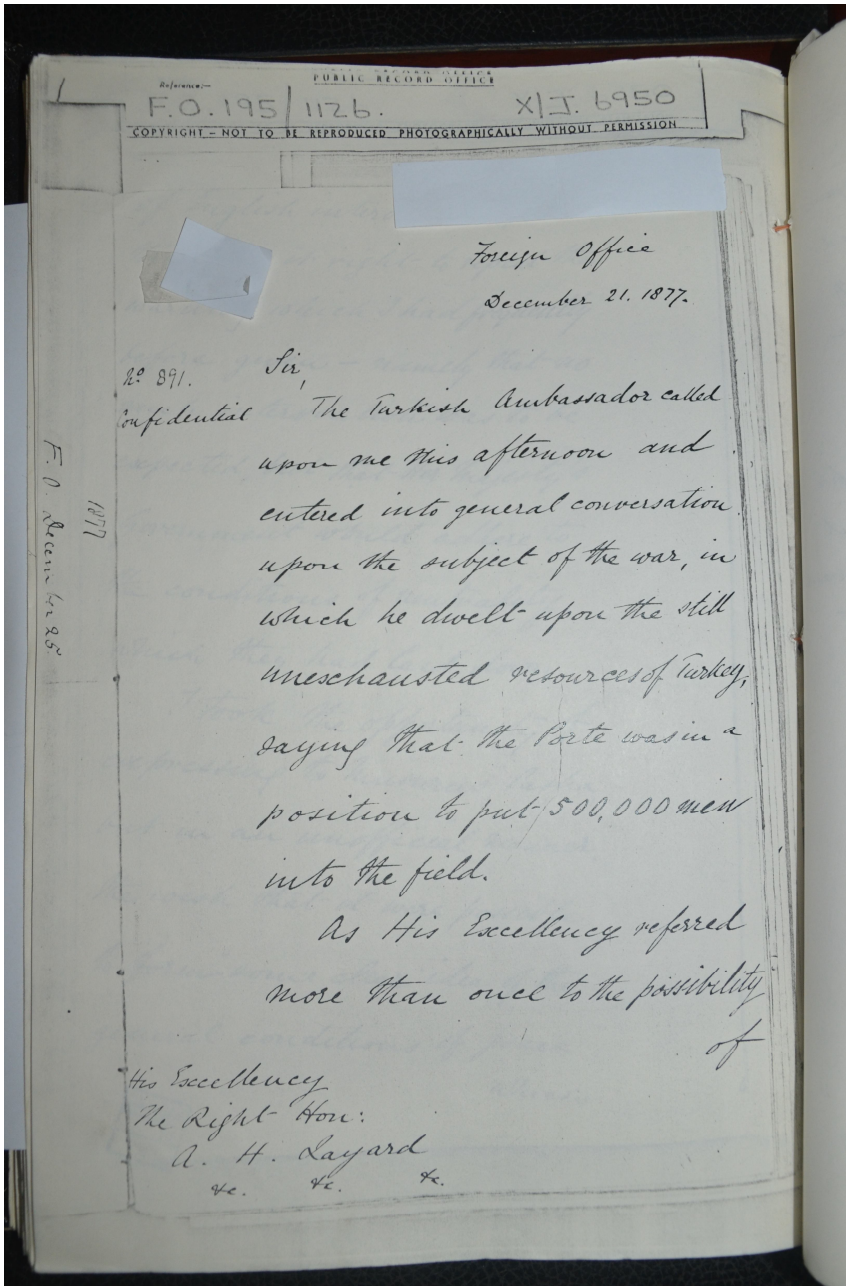
- ١- رد فعل السلطان تجاه دخول الأسطول البريطاني إلى بحر مرمرية والمضائق
- ٢- السلطان يبحث عن ملاذ امن على إحدى السفن البريطانية





ملحق رقم (٣)

تمسك بريطانيا بسياسة الحياد وعدم مساعدة الدولة العثمانية



## الهوامش

(١) أ. ج. ب. تايلور ، الصراع على سيادة أوربا ١٨٤٨-١٩١٨ ، ترجمة فاضل جتكر ، ( كلمة والمركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ ) ، ص ٣٢٧ .  
(٢) هاشم صالح التكريتي، الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨ نموذجاً)، (د.م، ٢٠٠٨)، ص ٢.

(٣) محسن حمزة حسن العبيدي، الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨ دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٠، ص ٦٧.

(4) G. D. Clayton, Britain and the Eastern Question: Missolonghi to Gallipoli (London, 1974) P.130

(٥) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٣-٤.

(٦) سياسي ورجل دولة مجري ولد في الثالث والعشرين من آذار ١٨٢٣، في Oláhpaták ضمن إمبراطورية هابسبورغ حالياً Vlachovo في جمهورية سلوفاكيا. كان له دور في المفاوضات التي أدت إلى إبرام تسوية "وفاق" (أوستلاخ Ausgleich) تشرين الأول ١٨٦٧، بموجبها نشأ ما يدعى بالحكم الثنائي، إذ أبدل اسم الإمبراطورية النمساوية إلى إمبراطورية النمسا - المجر:-

Encyclopedia Britannica, Vol. 3, PP.714- 722.

(7) W. L., Langer, European Alliances and Alignments 1871-1890,(New York,1966), P.75;

وللتفاصيل عن بنود مذكرة الكونت اندراسي انظر:

محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص ٧٨؛ هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ١٩.

(٨) سياسي ورجل دولة ألماني، ولد في الثامن عشر من نيسان ١٨١٥، في مقاطعة براد نبيرخ، عين سفيراً في العاصمة الروسية (١٨٥٩-١٨٦٢) ثم في باريس ١٨٦٢، وفي أيلول ١٨٦٢ استدعاه الملك وليام الأول ليشغل منصب المستشار (رئيس الوزراء) في بروسيا فضلاً عن منصب وزير الخارجية (١٨٦٢-١٨٧١) خاض ثلاث حروب من أجل توحيد ألمانيا ضد الدانمارك ١٨٦٢، والنمسا ١٨٦٦، وفرنسا ١٨٧٠-١٨٧١، أصبح مستشار ووزير

خارجية الإمبراطورية الألمانية بعد وحدتها (١٨٧١-١٨٩٠) توفي في الثلاثين من تموز ١٨٩٨، في فريدريج:-

Encyclopedia Britannica, Vol. 3, pp.714-722 .

(٩) نهار محمد نوري القره غولي، التطورات السياسية في قبرص ١٨٧٨-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٣، ص ٤٨.  
(١٠) هناك خلط شائع في نطق وكتابة الاسم بـ "دزرائيلي" والصواب هو "دزريلي"، لذا اقتضى التنبيه.

(١١) ولد في لندن في الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٨٠٤، لأب يهودي، والده المؤرخ إيزاك دزريلي الذي اعتنق المسيحية عام ١٨١٧، وقد تلقى ابنه نشأة مسيحية، لكن أصوله اليهودية تركت آثارها على شخصيته وتفكيره. انتخب عام ١٨٣٧، عضواً في البرلمان البريطاني. تولى وزارة الخزانة لثلاث مرات (شباط ١٨٥٢- تشرين الثاني ١٨٥٢)، (شباط ١٨٥٨- حزيران ١٨٥٩)، (تموز ١٨٦٦- شباط ١٨٦٧)، كما تولى رئاسة الحكومة لمرتين (٢٧ شباط ١٨٦٨- تشرين الثاني ١٨٦٨)، (٢٠ شباط ١٨٧٤- ٢١ نيسان ١٨٨٠). توفي في التاسع عشر من نيسان ١٨٨١:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 5, PP. 898-901; Bertold, Spuler, Rulers and Governments of the World, 1492 to 1929, Vol. 2, (Browker, 1977), P. 602.

(12) Quoted in D. A. Farnin, East and West of Suez: the Suez Canal in History 1854- 1956, (Oxford, Clarendon Press, 1969), P.253; A. Dascovici, La Question Du Bosphore Et Des Dardanelles, (Genève, Georg & Cie, Libraires- Éditeurs, 1915), P.246;

وللمزيد من التفاصيل عن مشروع بسمارك في تقسيم الدولة العثمانية أنظر:  
محمد يحيى احمد عباس، العلاقات السياسية بين بريطانيا وألمانيا ١٨٧١ - ١٨٨٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية/ ابن رشد، ٢٠٠٧، ص ص ١٠٦-١٠٨، ١٢٦-١٢٧، ١٣٧-١٣٨.

(13) General Ponsonby to Queen Victoria, Windsor Castle, 19 January 1877, in The Letters of Queen Victoria, Second series, A selection from her Majesty's Correspondence and Journal between the Years 1862 and 1878, George Earle Bucke (ed), Vol. II, 1870-1878, (London, 1926), P. 519.

وسنرمز للكتاب بـ (L. Q. V.).

(١٤) محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(١٥) هو الكسندر نيكولايفتش Alexander Nikolayrich ، خلف والده نيكولاس الأول، ولد في موسكو في (٢٩ نيسان ١٨١٨)، قام بإصلاحات اجتماعية مهمة في روسيا، كان أهمها إلغاء نظام القنانة في العام ١٨٦٩. اغتيل في (١٣ آذار ١٨٨١) في سان بطرسبورغ على يد طالب بولندي على اثر قنبلة يدوية ألقتها على موكبه:

The New Encyclopedia  
Britannica, Vol. I, P. 222.

(16) Tsonko Genov, The Russo- Turkish War 1877- 1878 and the liberation of Bulgaria, Sofia, N.D), P.19.

(17) Enver Ziy Karl, Osmanli Tarihi, Cilt. VII, (Ankara, 1988), S. 45.

(18) [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_Ambassadors\\_of\\_Russia\\_to\\_Austria](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Ambassadors_of_Russia_to_Austria).

(١٩) ولد الكونت جولا اندراسي في الثالث من آذار ١٨٢٣، في كاسا kassa، حالياً في هنغاريا، انتخب عام ١٨٦٥، نائباً لرئيس برلمان المجر، ثم اختير عام ١٨٦٦، رئيساً للجنة المفاوضات الخاصة والتي انبثق عنها تشكيل الحكم الثنائي (النمسا- المجر)، شغل منصب رئيس وزراء المجر ( ١٨٦٧ - ١٨٧١)، ثم أصبح وزيراً لخارجية النمسا- المجر ( ١٨٧١ - ١٨٧٩) تركزت سياسته الخارجية في مد نفوذ النمسا- المجر في البلقان، توفي في الثامن عشر من شباط ١٨٩٠:

Encyclopedia Britannica, Vol. I, P.359.

(٢٠) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٦٨؛ محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص ١٧٧:

وللتفاصيل عن بنود تلك الاتفاقية، انظر:

The Austro – Russian Military Convention of 15 January 1877 and Additional Convention of 18 March 1877, Cited in M. S. Anderson, The Great Powers And The Near East 1774-1923, (London , 1970), PP. 9-14.

(٢١) أ. ج. ب. تايلور، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٢٢) ولد الأمير كارل فريدريش ايتل برينز فون هوهنزولرن Prince Karl Eitel Friedrich Prinz Von Hohenzollern، في العشرين من نيسان ١٨٣٩، في بروسيا، ينحدر من أسرة هوهنزولرن وهي الأسرة الحاكمة في بروسيا. تلقى تعليمه في درسدن وبون، أصبح ضابطاً بسلاح المدفعية في الجيش البروسي، عرضت عليه الدول الأوروبية الكبرى حكم رومانيا بعد الإطاحة بأميرها الكسندر ليون كوزا Alexandru Ioan Cuza. أصبح أميراً لرومانيا في نيسان ١٨٦٦، بموجب الاستفتاء الشعبي، حصلت رومانيا في عهده على الاستقلال بموجب مقررات مؤتمر برلين ١٨٧٨، وفي عام ١٨٨١ ابدل نظام الحكم إلى الملكية ونصب نفسه ملكاً على عرشها حتى وفاته في العاشر من تشرين الأول ١٩١٤:

[http://en.wikipedia.org/wiki/Carol\\_I\\_of\\_Romania](http://en.wikipedia.org/wiki/Carol_I_of_Romania).

(٢٣) أجبرت الحكومة العثمانية في الحادي والثلاثين من أيار ١٨٦١، على الاعتراف بأمير واحد لإمارتي الدانوب ولاشيا ومولدافيا، وفي الثاني من كانون الأول من العام نفسه، اتخذت خطوة أخرى نحو الوحدة الرومانية عندما أصدرت الحكومة العثمانية بالاتفاق مع القوى الأوروبية الكبرى فرماناً ينص على تشكيل برلمان موحد ووزارة واحدة على أن تكون مدينة بخارست مقراً لهما، وفي ٢٣ كانون الأول ١٨٦٣، اعن رسمياً توحيد الإمارتين تحت السيادة العثمانية، وبذلك تحققت أهم خطوة في تأسيس الدولة الرومانية الحديثة.

للمزيد من التفاصيل انظر:

M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, (London, 1970), P. 193; Langer, OP. Cit., PP. 150- 6.

(24) Convention between Roumania and Russia for regulating the passage of Russian Troops through Roumania. Signed at Bucharest, 16th April, 1877, Cited in Sir Edward Hertslet, The Map of Europe Treaty; Political and Territorial Changes Since The General Peace of 1814. Vol. IV. 1875 to 1891, (London, 1891), Doc., No. 485, P. 2576:

(T. M. E. T. P. T. ) وسنرمز للكتاب بـ

(٢٥) ولد الأمير الكسندر ميخائيلوفيتش غورجاكوف Aleksandr Gorchakov Mikhailovich، في الخامس عشر من تموز ١٧٩٨، في سان بطرسبورغ لأسرة

نبيلة، دخل السلك الدبلوماسي بعد تخرجه عام ١٨١٧، أصبح عضواً الوفود الروسية التي شاركت في المؤتمرات الأوروبية خلال الأعوام (١٨٢٠-١٨٢٢) عين سفيراً لبلاده في فيينا ١٨٥٤-١٨٥٦، في نيسان ١٨٥٦ تولى حقيبة الخارجية، رسم السياسة الخارجية الروسية لأكثر من خمسة وعشرون عاماً كان له الدور الأساس في إعادة مكانة روسيا التي تراجعت بعد حرب القرم، رقي إلى درجة مستشار الإمبراطورية عام ١٨٦٧، استقال من وزارة الخارجية عام ١٨٨٢، وتوفي في الحادي عشر من آذار ١٨٨٣ في بادن في ألمانيا ونقل جثمانه ليدفن في مسقط رأسه:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. IV, P. 633.

(26) T. M. E. T. P. T., Russian Circular, announcing that orders had been given the Russian Armies Cross the Frontiers of Turkey; and explaining the Causes of War. St. Peters burgh, 7/19 the April, 1877, Vol. IV. Doc. No. 487, PP. 2586-7.

(٢٧) أ.ب. ج. تايلور ، المصدر السابق، ص ٣٤٣؛ هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٥؛

Anderson, OP.  
Cit., P. 156.

(٢٨) خاضت الدولة العثمانية خلال الأعوام ١٦٧٦-١٨٧٨ عشرة حروب ضد روسيا وهي:

(١٦٨١-١٦٧٦)، (١٦٩٩-١٦٨٦)، (١٧١٠-١٧١٣)، (١٧٣٥-١٧٣٩)،  
(١٧٦٨-١٧٧٤)، (١٧٨٧-١٧٩١)، (١٨٠٦-١٨١٢)، (١٨٢٨-١٨٢٩)،  
(١٨٥٣-١٨٥٦)، (١٨٧٧-١٨٧٨):

نعم عبد الهادي مهدي حسن، مضيقا البسفور والدردنيل في الدبلوماسية الأوروبية ١٨٥٣-١٨٧١ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠١٣، ص ٤٩.

(29) R. W. Seton- Watson, Disraeli, Gladstone and the Eastern Question A Study in Diplomacy and Party Politics, ( London, Frank Cass and Co. LTD.1962), P. 17. وللتفاصيل عن الوضع

المالي للدولة العثمانية انظر: طاهر يوسف عكاب الوائلي، إدارة الدين العام العثماني ١٨٨١-١٩٢٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الكوفة ١٩٩٩.

(30) T. M. E. T. P. T., Turkish Circular, Appealing to the Treaty of Paris of 1856, and suggesting the Mediation of the Treaty Powers to prevent the threatened War with Russia. Constantinople, 24th April, 1877, Vol. IV. Doc. No. 491, P. 2591.

(31) Ibid., Turkish protest against Russian Declaration of War and invasion of Turkish Territory without first appealing to the Mediation of the Treaty powers, Constantinople, 25th April, 1877, Vol. IV. Doc. No. 492, P. 2600.

(٣٢) ولد أوغسطس وليام فريدريك سبنسر لوفتس Augustus William Frederick Spencer Loftus، في الرابع من تشرين الأول ١٨١٧، في برسول Bristol في بريطانيا. دخل السلك الدبلوماسي في العشرين من عمره، إذ شغل مناصب دبلوماسية في عدد من المفوضيات البريطانية لدى الإمارات الألمانية ثم رقي إلى درجة سفير، أصبح سفيراً لبلاده في بروسيا (١٨٦٥-١٨٦٨) ثم سفيراً لدى الاتحاد الكونفدرالي لشمال ألمانيا (١٨٦٨-١٨٧١) وسفيراً في العاصمة الروسية سان بطرسبورغ (١٨٧١-١٨٧٩) كما أصبح حاكماً لولاية نيوت ساوث ويلز Governor of New South Wales (١٨٧٩-١٨٨٥) في استراليا. توفي في

السابع من آذار ١٩٠٤:

The New Encyclopedia  
Britannica, Vol

M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, (London, 1970), P. 193; Langer, OP Cit., PP. 150- 6.

(33) Ibid., Despatch from the British Minister for Foreign Affairs to the British Ambassador at St. Peters burgh, recording the disapproval of the British Government of the Russian Invasion of Turkish Territory. London, 1st May, 1877, Vol. IV. Doc. No. 496, PP. 2607-9.

(34) Protocols of Conferences held in London Respecting the Treaty of 30 March 1856, Accounts and Papers, 1871, Vol. LXXII, Protocol. Annex in Protocol. No.1, Sitting of 17 January, 1871, P.7.

(35) Lobanov- Rostovsky, Russia and Europe 1825-1878, (Michigan, 1954), P. 273.

(36) H. Seton -Watson, The Russian Empire 1801-1917, (Oxford University press, 1967), P. 275.

- (37) M. D. Stojanovic, *The Great Powers and the Balkans 1875-1878*, (London, 1968), P.152.
- (38) Lobanov– Rostovsky, OP. Cit., P. 273.
- (39) Tsonko Genov, *The Russo- Turkish War 1877-1878 and the Liberation of Bulgaria*, (Sofia , N. D.), P. 37.
- (40) F. V. Greene Lieutenanat, *Report on the Russian Army and its Campaigns in Turkey in 1877 -1878*, (New York, 1879), P. 40.
- (41) Setone– Watson , *The Russian Empire...*, p.453.
- (42) Barbara Jelavich, *St. Petersburg and Moscow Tsarist and Soviet Foreign Policy, 1814-1974*, (Indian University Press, 1974), p. 181.
- (43) Ibid., OP. Cit., P.181.
- (44) Lieutenant, OP. Cit., P. 183.
- (٤٥) يبيفانوف، فيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل، (موسكو، دار التقدم ، د.ت)، ص ٤٠١.
- (46) Lobanov– Rostovsky, OP. Cit., P. 274.
- (47) Lieutenant, OP. Cit., PP. 180-3.
- (٤٨) محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص ١٨٩.
- (49) Seton– Watson, *The Russian Empire...*, P.455; W. Miller, *The Ottoman Empire and its successors 1801-1927* (London, 1966), P. 373.
- (50) Lieutenant, OP. Cit., P. 261; Lobanov – Rostovsky, OP. Cit., P. 281; Seton – Watson , *The Russian Empire...*, P.456.
- محسن حمزة حسن العبيدي، المصدر السابق، ص ١٩٠.
- (51) Lobanov– Rostovsky, OP. Cit., P. 274. ; Seton – Watson, *The Russian Empire...*, P.455.
- (٥٢) يبيفانوف، فيدوسوف، المصدر السابق، ص ٤٠٤.
- (53) Setone – Watson, *The Russian Empire...*, P. 456.
- (54) Lobanov – Rostovsky, OP. Cit., P. 282.
- (55) Lieutenant, OP. Cit., PP. 353-366.
- (56) Stone – Watson, *The Russian Empire...*, P. 456.
- (57) Lobanov – Rostovsky, OP. Cit., PP. 287-8.
- (58) T. M. E. T. P. T., *Preliminary bases of Peace between Russia, & C., and Turkey. Signed at Adrianople, 31St. January, 1878, Doc., NO. 514., Vol. IV., P. 2659; Anderson, The Eastern Question...*, P. 200;



هاشم صالح  
التكريتي، المصدر  
السابق، ٩٤.

Jelavich, The Ottoman Empire the Great Powers (٥٩) Barbara and the Straits Question 1870-1887, (Indiana University Press, 1973), P.94.

Phillipson and Noel Buxton, The Question of (٦٠) Coleman the Bosphours and Dardanelles, (London, 1917), P.138.

D. E. Lee, Great Britain and the Cyprus Convention (٦١) Policy of 1878, (Harvard University Press, 1934), PP. 49-50.

(٦٢) T. M. E. T. P. T., Depatch from the Earl of Derby to Count Schouvaloff, defining British Interests in the East, Foreign Office, 6th May, 1877. Vol. IV. Doc. N0. 499, P. 2616.  
Ibid., (٦٣)

(٦٤) ولد الكونت بول اندريفيج شوفالوف Count Paul Andreevich Shuvalov في ٢٧ تموز ١٨٤٥ لأسرة روسية نبيلة، اشترك في حرب القرم، ثم شارك في الوفد المفاوض في مؤتمر السلام في باريس ١٨٥٦، عين في عام ١٨٧٤ سفيراً لبلاده في لندن مثل روسيا في مؤتمر برلين ١٨٧٨، اعفي من منصبه عام ١٨٧٩. توفي في ٢٢ آذار ١٨٨٩:

Encyclopedia Britannica, Vol. 20, P. 459 .

(65) L. S. Sravrianos, The Balkans Since 1453, (New York, 1958), PP.406-7;

هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٩.

(66) Serge Goriainov, Le Bosphore Et Les Dardanelles Étude Historique Sur La Question Détroits, Préface De M. Gabriel Hanotaux, (Paris, 1910), PP. 349 – 350.

(67) Spuler, OP. Cit., Vol. 2. P.595.

(68) T. M. E. T. P. T., Despatch from the Russian Ministers for Foreign Affairs to the Russian Ambassador in London, relative to British and Russian Interests in the East. St. Petersburg, 18/30th May, 1877, Vol. IV. Doc. No. 501, PP.2624-5.

(69) Ibid., P. 2625.

(70) Ibid.,

(71) Phillipson and Buxton, OP. Cit., P.139.

(72) Goriainov, OP. Cit., P.350; Ibid.,

(73) Phillipson and Buxton, OP. Cit., P.139.

(74) Ibid.,

(75) Ibid.,

(76) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 96.

(77) Seton Watson, Disraeli, Gladstone..., P. 237.

(78) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 96.

(79) Phillipson and Buxton , OP. Cit., P. 141

(٨٠) ملكة بريطانيا وإيرلندا وإمبراطورة الهند، ولدت في العشرين من أيار ١٨١٩ في لندن، وهي الابنة الوحيدة لادوارد دوق كنت Kent، ورثت عرش عمها الملك وليام الرابع William IV عام ١٨٣٧، تولت العرش في الثاني من حزيران من العام نفسه، وتوجت في الثامن والعشرين من حزيران ١٨٣٨، تزوجت في العاشر من شباط ١٨٤٠ من ابن خالها الأمير ألبرت، سمي عهدها بـ الفكتوري (١٨٣٨-١٩٠١) توفيت في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٠١:

The New Encyclopedia  
Britannica, Vol. X, P.421.

(٨١) سياسي ودبلوماسي بريطاني، رحالة ومكتشف وعالم بتقيب الآثار، لاسيما في الآشوريات، ولد في الخامس من آذار ١٨١٧، في باريس، ينحدر من أسرة فرنسية. كان له الفضل في اكتشاف الكثير من آثار مدن بلاد النهرين، آذ اشتهر باكتشافه لآثار النمرود ونيوى، لعل من أهم تلك الاكتشافات تمثال الملك آشور ناصر بال الثاني والثور المجنح، فضلاً عن الكثير من الكنوز المحفوظة في المتحف البريطاني، قضى طفولته في إيطاليا وتلقى تعليمه في بريطانيا وفرنسا وسويسرا، أصبح وكيلاً لوزارة الخارجية لمرتين، الأولى عام ١٨٥٢؛ والثانية خلال الأعوام ١٨٦١-١٨٦٦، كما أصبح سفيراً في العاصمة العثمانية خلال الأعوام ١٨٧٧-١٨٨٠. توفي في الخامس من تموز ١٨٩٤:

Ibid.,  
Vol.  
VI,  
PP.9  
4-5.

(82) Seton- Watson, Disraeli, Gladstone..., PP. 221-2; H. W. N. Temperley and L. M. Penson, Foundations of British Foreign Policy 1792- 1902, (London, 1966), P.361.

(٨٣) محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق ، ص ١٦٧.

(84) L. Q. V., Queen Victoria to Beaconsfield, Windsor, Castle, 13, December Vol. II, P. 576.

(٨٥) هاشم صالح التكريتي - المصدر السابق ، ص ٨٥؛

Philipson and Buxton, OP. Cit., P.141.

(86) T. M. E. T. P. T., Memorandum Communicated by the Earl of Derby to Count Schuraloff, respecting the non-occupation of Constantinople or Dardanelles by Russian Forces, London , 13th December, 1877, Vol. IV. Doc. No.507, pp.2664-7.

(87) T. M. E. T. P. T., Despatch from Prince Gortschakov to Count schouvaloff, in reply to the British memorandum respecting the possible occupation of Constantinople by Russia Troops. St. petersburgh, 16th December, 1877, Vol. IV, Doc., No. 510, PP.2653-5.

(88) Philipson and Buxton, Op. Cit., P. 141.

(89) Ibid.,

(90) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 96.

(91)T. M. E. T. P. T., Memorandum sent by Prince Gortchakov to Lord A. Loftus respecting the Non-occupation of Gallipoli by British or Russian Troops. St, Petersburg, 3rd/15th January, 1878, Vol. IV, Doc., No. 510, P. 2656.

(٩٢) محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(93) L. Q. V., Queen Victoria to Beaconsfield, Windsor, Castle, 13, December Vol. II, P. 576.

(٩٤) سياسي ورجل دولة بريطاني، ولد آرثر روبرت تالبوت - جاسكوين سيسيل،

الشهير باللورد سالزبوري المريكيز الثالث Robert Arthur Talbot

Gascoyne- Cecil, 3rd Marquess of Salisbury، في الثالث من شباط

١٨٣٠، دخل مجلس العموم البريطاني عن حزب المحافظين في آب ١٨٥٣،

اصبح وزيراً لشؤون الهند لمرتين (١٨٦٦ - ١٨٦٧)، (١٨٧٤ - ١٨٧٨) خلف

اللورد دربي في وزارة الخارجية (١٨٧٨ - ١٨٨٠)، أصبح زعيماً لحزب

المحافظين بعد وفاة دزرائيلي، ترأس الحكومة البريطانية لمرات ثلاث، (١٨٨٥ -

١٨٨٦)، (١٨٨٦ - ١٨٩٢)، (١٨٩٥ - ١٩٠٢). توفي في الثاني والعشرين من

آب ١٩٠٣:

[http://en.wikipedia.org/wiki/Robert Gascoyne](http://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Gascoyne)

(٩٥) نقلاً عن محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٩٦) محمد يحيى احمد عباس، المصدر السابق، ص ١٧٣؛

Arthur J. Marder, "British Naval Policy in 1878", Journal of Modern History, No. XII, (Sep., 1940), P.368.

(97) Beaconsfield to Layard, Foreign Office, 12 January, 1878, F. O. 78/ 4271, No. 53.

(98) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 97.

(٩٩) ولد في أيلول ١٨٤٢، وتسلم الحكم في ٣١ آب ١٨٧٦، بعد عزل السلطان

مراد الخامس، وبذلك أصبح السلطان الرابع والثلاثي من سلاطين الدولة

العثمانية، شهد بداية عهده اندلاع الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨،

عزل في ٢٧ نيسان ١٩٠٩، من قبل جماعة الاتحاد والترقي،

وتوفي ١٠ شباط ١٩١٨. للتفاصيل: أنيس عبد الخالق محمود القيسي،

السلطان عبد الحميد الثاني والأطماع الصهيونية (١٨٧٦-١٩٠٩)، رسالة

ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨. ص ٣٦-٤٧.

(100) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 97.

(١٠١) لقد خضعت المضائق العثمانية (البسفور والدردينيل) للقانون الدولي العام،

بموجب اتفاقية لندن للمضائق، Convention London لعام ١٨٤١، التي

بمقتضاها منع مرور السفن للدول الأجنبية من خلال البسفور والدردينيل في أوقات

السلم. وقد تم تأكيد هذا المبدأ بموجب المادة العاشرة الفقرة (أ) من معاهدة باريس

للسلام ١٨٥٦، واتفاقية لندن لعام ١٨٧١ الخاصة بمراجعة بنود معاهدة باريس:

للمزيد من التفاصيل انظر:-

نعم عبد الهادي مهدي حسن، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦، ١٨٩، ٢٣٨.

(102) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 97.

(103) Seton – Watson , Disraeli, Gladstone..., PP.266-9.

(104) Quoted in Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 98.

(105) Layard to Derby, Constantinople, 27, January, 1878, F. O. 78/ 4271, No. 122.

(106) Seton– Watson , Disraeli, Gladstone..., PP.266-9.

(١٠٧) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (دار الثقافة

للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦)، ٢٥٤.

(108) Derby to Layard , Foreign Office, 24 January, 1878, F. O. 78/ 4271, No. 97.

(109) Stone– Watson, The Russian Empire..., P .457.

(110) T. M. E. T. P. T., Memorandum handed by the British Ambassador at St. Petersburgh to Prince Gortcakow, as to the invalidity of any separate Treaty which might be concluded between Russia and Turkey . St. Petersburg, 15 th January , 1878, Doc. No. 513, Vol. IV, P . 2657.

(١١١) دبلوماسي روسي ولد عام ١٨٣٧، درس القانون واللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبورغ، دخل السلك الدبلوماسي وأصبح مسؤولاً عن قسم السفارات الشرقية في وزارة الخارجية الروسية، ومستشاراً للسفارة الروسية في اسطنبول خلال الأعوام (١٨٧٢ - ١٨٧٥)، والمستشار السياسي للدوق نيكولاس في الحرب الروسية- العثمانية (١٨٧٧ - ١٨٧٨) كان احد المفاوضات بين روسيا والدولة العثمانية التي أدت إلى إبرام معاهدة السلام في سان ستيفانو. عين سفيراً في روما (١٨٩٧ - ١٩٠٣)، وسفيراً في باريس (١٩٠٣ - ١٩١٠). توفي في السابع عشر من أيلول ١٩١٠:

[http://en.wikipedia.org/wiki/Aleksandr\\_Nelidov](http://en.wikipedia.org/wiki/Aleksandr_Nelidov)

M. S. Anderson, The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, (London, 1970), P. 193; Langer, OP Cit., PP. 150- 6.

(112) Goriainow, OP. Cit., P.355; Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 143.

(113) Quoted in Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 143.

(114) Gorianinov, OP. Cit., P. 356.

(115) Sir J. Headlam- Morley, Studies in Diplomatic History, (London, 1930), P. 229

(١١٦) ولد وليم فردريك لودويج William Friedrich Ludwig في الثاني والعشرين من آذار ١٧٩٧، في برلين، هو ملك بروسيا وإمبراطور ألمانيا، أصبح وليا لعهود بروسيا عندما توج أخوه فردريك وليم الرابع ملك على عرش بروسيا، ثم وصيا على العرش عام ١٨٥٨ بسبب مرض أخيه، توج ملك لبروسيا (١٨٦١-١٨٧١) توج إمبراطوراً للرايخ الثاني عام ١٨٧١ بعد إعلان وحدة ألمانيا في قاعة المرايا في باريس توفي في التاسع من آذار ١٨٨٨:

The New Encyclopaedia Britannica, Vol. X, PP. 678-9.

- (117) Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 143.  
 (118) Ibid.,  
 (119) Ibid., P.144; Goriainov, OP. Cit., P. 357.  
 (120) Jelavich, The Ottoman Empire ..., P.97.  
 (121) هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص ٩٢.  
 (122) Jelavich, The Ottoman Empire..., PP. 97-8.  
 (123) Ibid., P. 98.  
 (124) Ibid.,  
 (125) Ibid.,  
 (126) Quoted in B.H. Sumner, Russia and the Balkans, 1870-1880, ( Oxford University Press, 1937), P.625.  
 (127) T. M. E. T. P. T., Preliminary bases of peace between Russia, &c., and Turkey , Signed at Adrianople, 31 st January, 1878., Doc., NO. 514, Vol., IV, P. 2659; Labanov– Rostovsky, Op. Cit., p. 291.  
 (128) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 98.  
 (129) Philipson, and Buxton, Op. Cit., P. 145.  
 (١٣٠) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوروبا الحديث في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ( القاهرة، ١٩٧٢)، ص ٢٠٧؛  
 محسن حسن حمزة العبيدي ، المصدر السابق، ص ٢٠٥.  
 (١٣١) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص ٦٩٢؛ أ. ج. جراند، هارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة: محمد علي أبو درة ولويس اسكندر، مراجعة احمد عزت عبد الكريم، ( القاهرة، ١٩٦٧)، ص ١٩.  
 Clayton, OP. Cit., P. 141; Phillipson and Buxton, OP. Cit., P. 145.  
 (132) Jelavich, The Ottoman Empire..., PP. 98-9.  
 (133) Ibid., PP. 99-100.  
 (134) Clayton, OP. Cit, p. 141.  
 (135) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 99.  
 (136) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص ٩٧؛  
 Anderson , The Eastern Question..., P. 200.  
 (137) Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 99.  
 (138) Spuler, OP. Cit., Vol. 2, P. 527.  
 (139) Quoted in Jelavich, The Ottoman Empire..., P. 99.

- (140) Ibid., P. 100.  
 (141) Ibid.,  
 (142) Ibid., P.101.  
 (143) Ibid.,  
 (144) Clayton., OP. Cit., P.141.  
 (145) Quoted in Jeacvich, The Ottoman Empire..., P. 101.  
 (146) Ibid., P. 102.  
 (147) Quoted in Ibid.,  
 (148) Ibid.,  
 (149) Ibid.,  
 (150) Quoted in Ibid.,  
 (151) Sumner, OP. Cit., Vol. 2, P. 385.  
 (152) Seton– Watson, Disraeli, Gladstone..., PP . 321- 2.  
 (153) Foreign Office, 16 February, 1878, F. O.195/ 1166, NO. X/ J 6985.  
 (154) Seton– Watson, Disraeli, Gladstone..., PP . 321- 2.  
 (155) Foreign Office, 16 February, 1878, F. O. 195/ 1166, NO. X/ J 6985.  
 (156) Ibid.,  
 (157) Yakthan Sadoun Al- Amir, British Reaction to Germanys Ottoman Policy 1870- 1885, Vol. I, Unpublished Ph. D. Thesis, (University of Bradford, Britain, 1978), P.122.  
 (158) Beaconsfield to Queen Victoria, 10 Downing Street, 16 February, 1878, in The Life of Benjamin Disraeli Earl of Beaconsfield, George Earle Buckle, Vol. VI, 1876-1881, ( New York, The Macmillan Company, 1920), PP. 248- 9.  
 (159) Al- Amir, OP. Cit., Vol. I, P. 123.  
 (160) Goriainov, OP. Cit., PP. 369- 70 .  
 (161) Seton– Watson , Disraeli, Gladstone..., P.317.  
 (162) Quoted in Jelavich , The Ottoman Empire..., p. 105.  
 (163) Quoted in Philipson, and Buxton, OP. Cit., P. 145.  
 (164) T. M. E. T. P. T., Memorandum sent by Prince Gortchakov to Lord A. Loftus respecting the Non-occupation of Gallipoli by British or Russian Troops. St, Petersburg, 3rd/15th January, 1878, Vol. IV, Doc., No. 510, P. 2656.  
 (165) Jelavich , The Ottoman Empire..., P. 105.  
 (166) Ibid., P.106.  
 (167) T. M. E. T. P. T., Count Schouvaloff to the Earl of Derby. London, 6/18 February, 1878, NO. 1, Engagement of the Russian Government not to occupy Gallipoli or the Lines of Bulair, and of the British and Russian Governments not to occupy the Straits or

the Asiatic Shores of the Dardanelles. London, 18th/ 21st February, 1878, Doc. No. 517, Vol. IV, P. 2670.

(168) F. O. 16 February, 1878, F. O. 195/ 1166, NO. X/ J 6985.

(169) Jelavich , The Ottoman Empire., P. 106.

(١٧٠) خليج مودانيا نسبة إلى المدينة التي تطل على الخليج في بحر مرمرة في الجزء الآسيوي التركي، حالياً محافظة تركية.

(171) Ibid., P. 105.

(١٧٢) عسكري ورجل ودولة روسي ولد دميتري ميليوتين Dmitry Milyutin

في العاشر من تموز عام ١٨١٦، في موسكو، وتخرج من الأكاديمية العسكرية عام ١٨٣٦، خدم في القوقاز خلال الأعوام (١٨٣٧-١٨٤٥) ثم أصبح أستاذاً في الأكاديمية العسكرية عام ١٨٥٦، اختاره القيصر الكسندر الثاني وزيراً للحرب للأعوام (١٨٦١-١٨٨١) قام بإصلاح المؤسسة العسكرية إذ فرض التعليم الابتدائي على منسوبي الجيش الروسي، وبتوصية منه وافق القيصر عام ١٨٧٤، باعتماد نظام الخدمة الإلزامية للذكور ممن بلغوا سن العشرين سنة، توفي في السابع من شباط عام ١٩١٢:

[http://en.wikipedia.org/wiki/Dmitry\\_Milyutin](http://en.wikipedia.org/wiki/Dmitry_Milyutin)

(173) Ibid., P. 106.

(174) Goriainov, OP. Cit., P.368.

(175) Jelavich , The Ottoman Empire., P. 106.

(176) Stojanovic, OP. Cit., PP.211- 2; Anderson , The Eastern Question ..., PP. 201-2.

(177) Jelavich , The Ottoman Empire., P. 106.

(178) Ibid., P. 106.

(١٧٩) ولد الكونت اغناتيف في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٨٣٢، في

سان بطرسبورغ، عسكري ودبلوماسي روسي تخرج من كلية الأركان في سان بطرسبورغ وتدرج في الجيش حتى أصبح برتبة جنرال، ثم انتقل بعدها للعمل الدبلوماسي، إذ شارك في إعادة ترسيم الحدود الروسي- العثمانية بعد حرب القرم، كما عين ملحقاً عسكرياً في لندن، وسفيراً في العاصمة العثمانية (١٨٦٤-١٨٧٧) شارك في إعداد معاهدة سان ستيفانو ١٨٧٨، عين وزيراً

لداخية (١٨٨١-١٨٨٢) توفي في الثالث من حزيران ١٩٠٨:

[http://en.wikipedia.org/wiki/Nikolay\\_Pavlovich\\_Ignatyev](http://en.wikipedia.org/wiki/Nikolay_Pavlovich_Ignatyev)

(180) Quoted in Jeacvich, The Ottoman Empire..., P. 107.



# دراسة اصولية في آية الدين

أ.م.د. صلاح أحمد شلال  
الجامعة العراقية / كلية الآداب

## ملخص البحث

- المداينة احكاما شرعية عظيمة تتعلق بالمعاملات .
- أ- وجدت قرائن صرفت صيغ الامر من الوجوب الى النذب وصيغ النهي من التحريم الى الكراهة والقرائن منها نقلية كالكتاب والسنة ومنها مراعاة مقاصد الشريعة وغيرها .
- ب- دلت بعض صيغ العموم على احكام شرعية اختلفت اراء العلماء في دخولها ضمن العموم كالبيع بالاجل مع زيادة الثمن وغيرها.
- ج- وردت بعض طرق التخصيص كالاستثناء المنقطع والتخصيص بالصفة وافادت حكما شرعيا .
- د- تضمنت اية الدين الفاظا من المشترك اللفظي واختلفت اراء العلماء في حمله وامكانية حمله على جميع معانيه على ما اخترنا .
- هـ- حمل ما اطلق في الاية على ما ورد بعده بنفس الاية مقيدا تنوعت في اية الدين كيفية دلالة الالفاظ على الاحكام من عبارة نص واشارة نص ومفهوم مخالفة واقسامه كالعدد والحصر .
- و- هنالك في الاية العظيمة حروف معان كالفاء الرابطة التي افادت السببية والكاف التي افادت التشبيه او التعليل وحرف (او) الذي افاد التقسيم والباء وغيرها افادت حكما جليلا ضمناه في البحث .
- ز- عند تدبر اية المداينة توصلنا الى العلة التي شرع فيها حكم كتابة الدين والاشهاد عليه وسبب تعدد النساء في الشهادة ،ومواضع اظهر فيها ما كان مضمرا

ح- كما وتوصلنا الى ما تضمنته الآية الكريمة من عوارض الاهلية ومسالة الحجر على السفينة واختلاف العلماء فيها ورجحنا قول الجمهور بجواز الحجر عليه والله تعالى اعلم .

### Issue Abstract

Detectives said the book and methods of deduction of the greatest ways that can reach out to the knowledge of the legitimate government had included a state where a person sentenced legitimacy great related transactions.

A. I found evidence of it spent formats of obligatory to scar and formulas Prevention of prohibition to hatred and clues which Nkulaih Kketab year including pasture and other purposes of the law.

(B) some general formulas shown on the provisions of the legitimacy of different opinions of scientists in general, such as selling part of its entry on credit with the increase in the price and others.

C some ways customization and personalization Kalasttina interrupted received reported capacity and such legal provision.

D included a state religion scream of common verbal and varied opinions of scientists at the possibility of him and get him to all sense of what we have chosen.

(E) carry fired in verse on what was beyond the same verse restricted varied in any religion indication how wordy sentences from the text of the statement and a reference text and the concept of offense and its divisions and Kaladd few.

(F) There is in great letters gloss verse Calfae Association reported that the causal and CAF, which reported Covering or reasoning and character (or) who said partition and Alaba and others, according to a ruling solemn Dmna in the search.

Upon the management of state where a person reached an illness in which the rule of writing religion and certification him and cause multiple women in the certificate, which showed placements began what was implicit

(H) As we came to the contents of the verse of the symptoms of the civil and liquefied stone on the ship and the different scientists and the public say Rgehna passport stone him and Allah knows best.



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد و على اله وصحبه وسلم أن من اعظم السبل التي يعرف بها الاحكام ومسائل الحلال والحرام هو الوقوف على معرفة طرق الاستنباط من الكتاب والسنة بحسب ما وضعه علماء الاصول من قواعد الاستدلال .

ومن النصوص القرآنية التي تضمنت احكاما شرعية جلية ((آية الدين )) وهي أطول آية في القرآن الكريم دلت أن الإسلام معني باقتصاد الأمة و أنه دين عمل وجهد وكفاح وحرص على الكسب والربح من أوجه الحلال فهي تتضمن اعجازا تشريعيا رائعا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فيها حفظ لحقوق الناس إلا أحصاها. فالباري عز وجل لما علم من تقلب الإنسان إذا ما وكل إلى نفسه أنه اي الإنسان عرضة للنسيان بسبب أثقال الحياة وأمواجها المتلاطمة لم يرد جل وعلا أن تضيع حقوق الناس بعضهم عند بعض إذا تعاملوا بالدين وأراد لكل واحد منهم أن يتثبت في حفظ حقوق غيره لكي تستمر الحياة باستمرار الثقة بينهم. وفي الآية الكريمة ما يزيد عن ثلاثين مسألة اصولية عرفت بالتأمل والرجوع الى امات كتب الاصول والتفسير مما مكننا من تفسير الآية اصوليا اذ اننا مامرون بتدبر كتاب الله قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) وهذا البحث خطوة اولى في مجال التفسير الاصولي للقران العظيم وسميته

(دراسة اصولية في اية الدين)

وقسمته الى ستة مباحث اندرج تحت بعضها مطالب بحسب ما ورد من قواعد اصولية تضمنت بعضها اراء فقهية متنوعة ناقشت بعضها لما لها من اهمية كبيرة في وقتنا الحاضر ككتابة الدين والاشهاد عليه وبيع

الاجل ومسائل تتعلق بالشهادة وحاولت ان اسوق بعض الاستدلال  
الاصولي عند مناقشتي للاراء ورجحت بحسب ما ظهر لي والله اعلم .  
الدراسات السابقة درست اية المداينة دراسة بلاغية للاستاذ المساعد  
الدكتور سعيد جمعة الاستاذ في جامعة الازهر بعنوان البلاغة العالية في  
آية المداينة اجاد فيها بشكل كبير من الناحية البلاغية ومما لا شك فيه ان  
لا تعارض بين الدراستين اذ ان القران ممكن ان يدرسه الباحثون من  
جهات متعددة .

## المبحث الأول

### اقسام اللفظ من حيث افادته الحكم الشرعي في اية الدين

**الحكم لغة:** القضاء واصله المنع يقال حكمت عليه بكذا اذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك وحكمت بين القوم فصلت بينهم<sup>(٢)</sup>.  
**الحكم اصطلاحاً:** الحكم خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع<sup>(٣)</sup>.

فطلب الفعل ان كان جازماً فهو الواجب، وإن كان الطلب غير جازم فهو المندوب. وطلب الترك إن كان جازماً فهو الحرام، وإن كان غير جازم فهو المكروه.

**والتخيير وهو:** التسوية بين الفعل والترك، وهو الإباحة.

والوضع أن الشارع وضعه: أي شرع أمورا معلقة بالحكم وهي السبب والشرط والمانع تعرف عند وجودها أحكام الشرع من إثبات أو نفي، فالأحكام توجد بوجود الأسباب والشروط، وتنتفي لوجود الموانع. وحيث إن الأمر والنهي من أهم مباحث أصول الفقه؛ لأمرين:  
**أولهما:** أنهما أساس التكليف في توجيه الخطاب إلى المكلفين.

**ثانيهما:** أن معرفتهما تؤدي إلى معرفة الأحكام الشرعية بتفاصيلها وبها يتميز الحلال من الحرام، وإفادة الحكم الشرعي هو الأمر والنهي إذ بهما يثبت أكثر الأحكام وعليهما مدار الإسلام ولهذا صدر بعض كتب الأصول بباب الأمر والنهي قال الإمام السرخسي (أحق ما يبتدأ به في البيان الأمر والنهي؛ لأن معظم الابتلاء بهما، وبمعرفتهما يتم معرفة الأحكام، ويتميز الحلال والحرام)<sup>(٤)</sup>.

أما سبب تقديم الأمر على النهي فهو أن الأمر طلب إيجاد الفعل أما النهي فهو طلب الاستمرار على عدم الفعل، فقدم إيجاد على عدم.

### المطلب الأول : الامر

**تعريف الامر لغة:** قال ابن فارس (الهمزة والميم والراء أصول خمسة الأمر من الأمور والأمر ضد ألنهي والأمر النماء والبركة بفتح الميم والمعلم والعجب).<sup>(٥)</sup> والمقصود هنا المعنى الثاني وهو ضد النهي أي طلب الاتيان بالفعل

**الامر اصطلاحاً:** (طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء)<sup>(٦)</sup> ومن الاصوليين من عبر عنه بالعلو<sup>(٧)</sup> والفرق بينهما: ان الاستعلاء هيئة في الأمر من الترفع وإظهار القهر فيكون الامر فيه شدة وغلظة وأما العلو فهو يرجع إلى هيئة الأمر من شرفه وعلو منزلته بالنسبة إلى المأمور.

### دلالة الامر

ذهب جمهور الاصوليين على ان الامر يفيد الوجوب حقيقة<sup>(٨)</sup> ولا يدل على غيره إلا بقرينة .

والقرينة التي تصرف دلالة اللفظ عما استعملت فيه في الأصل إلى المعنى الآخر الذي دلت عليه هي اما صريحة او خفية لا تبدو إلا بالبحث والتأمل، كما أنها تستفد من نفس النص أو من دليل خارجي ولا يلزم أن تكون نصاً من الكتاب والسنة إنما يجوز أن تكون كذلك، ويجوز أن تستند إلى قواعد الشرع ومقاصده، ويجري فيها ما يجري على الدليل القائم بنفسه من جهة الثبوت والدلالة، فهي لا تعني القرينة اللفظية الصريحة فقط<sup>(٩)</sup>.

وردت صيغة الأمر في الآية بصيغتين صريحتين وهما: (افعل) و(لتفعل) (فاكتبوه) (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) (فليكتب) (وليمل الذي عليه الحق) (وليتق الله ربه) (فليمل وليه بالعدل) (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) (وأشهدوا إذا تبايعتم) (واتقوا الله).

ومما لا شك فيه ان صيغ الامر بتقوى الله تفيد الوجوب فيما يمليه ويقر به كقوله تعالى (وليتق الله ربه) ومما يدل عليه انه جمع بين اسم الذات وهو: الله، وبين الوصف الرب، وإن كان اسم الذات منطوقاً على

جميع الأوصاف. ليذكره تعالى كونه مربيا له، مصلحا لأمره، باسطا عليه نعمه . وقدم لفظ: الله؛ لأن مراقبته من جهة العبودية والألوهية أسبق من جهة النعم (١٠) .

فإن التقوى مانعة من بخس الحق ومن ضياع الأمانة، وكذا قوله تعالى (وانتقوا الله).

أما دلالة الامر في قوله تعالى (فاكتبوه) (وليكتب) (فليكتب) (واستشهدوا شهيدين) والتي تدل على حكم كتابة الدين والأشهاد عليه (١١) . قد اختلف العلماء في دلالة الامر الوارد في كتابة الدين من قوله تعالى (فاكتبوه) (وليكتب) (فليكتب) والأشهاد عليه من قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين) على قولين :

**القول الاول :** ان امر الكتابة والأشهاد على الدين يفيد الوجوب وبه قال الامام الطبري ونقل عن بعض التابعين كالضحاك وعطاء وجابر بن زيد والنخعي واليه ذهب اهل الظاهر ورجحه ابن حزم وابن عاشور (١٢) .  
**واستدلوا :**

إن الأمر للوجوب ولا قرينة تصرفه عن الوجوب فالكتابة والإشهاد فرض لازم يعصي بتركه لظاهر الأمر، ونقل عن ابن عباس إن آية الدين محكمة ليس فيه نسخ (١٣).

وحديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه ) قال (ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل له على رجل دين ولم يشهد عليه) (١٤) .

نوقش بأن لا دلالة فيه على الوجوب لأنه ذكر مع الذي له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ولا خلاف أنه ليس بواجب على من له امرأة سيئة الخلق أن يطلقها وإنما هذا القول منه على أن فاعل ذلك تارك للاحتياط والتوصل إلى ما جعل الله تعالى له فيه المخرج والخلص (١٥).

واستدلوا بفعل الصحابي كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا باع بنقد أشهد ولم يكتب، وإذا باع بنسيئة كتب وأشهد<sup>(١٦)</sup>.

ممكن ان يناقش بان كثيرا من الصحابة لم يكونوا يفعلوا ذلك وانما كان فعل ابن عمر ندبا او احتياطا وهو ليس بحجة ملزمة لوجود من خالفه من الصحابة.

والخلاف في قول الصحابي مشروطا بشرط منها إذا قال قولا فيما للرأي فيه مجال، ولم يشتهر، وليس مما تعم به البلوى، ولم يعرف له مخالف، ولم يرجع عنه وحجته على التابعين ومن بعدهم لا الصحابة قال به ابو حنيفة ومالك ورواية عن احمد ولم يقل به الشافعي في الجديد والامامية والزيدية<sup>(١٧)</sup>.

والقائلون بوجوب الاشهاد لم يعتدوا بالقرائن الصارفة وحملوا ما ورد في السنة على عدم الاشهاد انه قبل نزول الآية<sup>(١٨)</sup> ولا سيما ان الآية من اخر ما نزل من القرآن.

**القول الثاني:** انه الامر للندب او الارشاد وقد وجدت قرائن صرفته من الوجوب الى الندب او الارشاد وبه قال جمهور العلماء<sup>(١٩)</sup>.

والفرق بين الندب والإرشاد أن المندوب مطلوب لثواب الآخرة والإرشاد لمنافع الدنيا ولا يتعلق به الثواب لأنه فعل متعلق بغرض الفاعل ومصلحة نفسه وقد يقال إنه يثاب عليه لكونه ممثلا ولكن يكون ثوابه أنقص من ثواب الندب لأن امتثاله مشوب بحظ نفسه ويكون الفارق بينهما إنما هو مجرد أن أحدهما مطلوب لثواب الآخرة والآخر لمنافع الدنيا والتحقيق أن الذي فعل ما أمر به إرشادا إن أتى به لمجرد غرضه فلا ثواب له وإن أتى به لمجرد الامتثال غير ناظر إلى مصلحته ولا قاصد سوى مجرد الانقياد لأمر ربه فيثاب وإن قصد الأمرين أثيب على أحدهما دون الآخر ولكن ثوابا أنقص من ثواب من لم يقصد غير مجرد الامتثال<sup>(٢٠)</sup>.



والقرائن التي صرفت الامر الى النذب هي :

١- دلالة الكتاب وذلك أن الأمر بالكتابة والإشهاد في المبايعات

والمداينات ورد معه قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا

كَاتِبًا فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾<sup>(٢١)</sup> فلما جاز أن يترك

الرهن الذي هو بدل الشهادة جاز ترك الأشهاد ومعلوم أن الأمن

لا يقع إلا بحسب الظن والتوهم لا على وجه الحقيقة، وذلك يدل

على أن الشهادة إنما أمر بها لطمأنينة قلبه لا لحق الشرع، فإنها

لو كانت لحق الشرع ما قال : {فإن أمن بعضهم بعضا}، ولا ثقة

بأمن العباد، إنما الاعتماد على ما يراه الشرع مصلحة، فالشهادة

متى شرعت في النكاح لم تسقط بتراضيهما وأمن بعضهم بعضا

لذلك لم ترد طمانينة القلب في الاشهاد على النكاح بخلاف الدين

فافترقا في الحكم، فثبت بذلك أن الأمر بالكتابة والإشهاد مندوب

غير واجب، وأن ذلك شرع للطمأنينة. وفي هذا المعنى قال

الشافعي : (فلما أمر الله عز وجل بالكتاب ثم رخص في الأشهاد

إن كانوا على سفر ولم يجدوا كاتباً احتمل أن يكون فرضاً وأن

يكون دلالة فلما قال الله جل ثناؤه ﴿ فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ والرهن

غير الكتاب والشهادة ثم قال ﴿ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ

أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ دل كتاب الله عز وجل على أن أمره

بالكتاب ثم الشهود ثم الرهن إرشاد لا فرض عليهم لأن قوله

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ إباحة

لأن يأمن بعضهم بعضاً فيدع الكتاب والشهود والرهن).<sup>(٢٢)</sup>

٢- السنة ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي

طعاماً، ورهن درعه<sup>(٢٣)</sup>، واشترى من أعرابي فرساً فجحده

الأعرابي حتى شهد له خزيمة بن ثابت<sup>(٢٤)</sup>، ولم ينقل أنه أشهد

في ذلك وعن طارق بن عبد الله المحاربي - رضي الله عنه - قال (أقبلنا في ركب من الربذة وجنوب الربذة حتى نزلنا قريبا من المدينة ومعنا طعينة لنا، فبينما نحن قعود إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان فسلم فرددنا عليه فقال: «من أين القوم؟» فقلنا: من الربذة وجنوب الربذة، قال: ومعنا جمل أحمر، فقال: «تبيعوني جملكم هذا؟» فقلنا: نعم، قال: «بكم؟» قلنا: بكذا وكذا صاعا من تمر، قال: فما استوضعنا شيئا، وقال: «قد أخذته»، ثم أخذ برأس الجمل حتى دخل المدينة، فتوارى عنا فتلاومنا بيننا وقلنا: أعطيتكم جملكم من لا تعرفونه، فقالت الطعينة: لا تلاوموا فقد رأيته وجه رجل ما كان ليخفركم ما رأيته وجه رجل أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشاء أتانا رجل، فقال: السلام عليكم أنا رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليكم وإنه أمركم أن تأكلوا من هذا حتى تشبعوا، وتكتالوا، حتى تستوفوا قال: فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا) (٢٥).

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عروة بن الجعد أن يشتري له أضحية عندها اعطاه ديناراً ولم يأمره بالإشهاد واخبره عروة انه اشترى شاتين فباع احدهما واتى النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ودينارا (٢٦)، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتبايعون في عصره في الأسواق، فلم يأمرهم بالإشهاد، ولا نقل عنهم فعله، ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- الاجماع وقد نقلت الأمة خلفا عن سلف عقود المداينات والأشربة وسفرا وحضرا وبراً وبحراً وسهلاً وجواً من غير كتابة ولا اشهاد مع علم فقهاءهم بذلك من غير نكير منهم عليهم، ولو كان الإشهاد واجبا لما تركوا النكير على تاركه مع علمهم

به، وفي ذلك دليل على أنهم رأوه ندبا<sup>(٢٧)</sup> وقال الطوسي (الأول  
(اي انه مندوب) أصح، لاجماع أهل عصرنا على ذلك)<sup>(٢٨)</sup>.

ثم إن المبايعة تكثر بين الناس في أسواقهم وغيرها، فلو وجب  
الإشهاد في كل ما يتبايعونه أمضى إلى الحرج المحطوط عنا بقوله تعالى  
: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

ولقد ذكر ابن عطية الى ان الوجوب يوقع الناس في مشقة بقوله  
(والوجوب في ذلك قلق أما في الدقائق فصعب شاق وأما ما كثر فربما  
يقصد التاجر الاستيلاف بترك الإشهاد وقد يكون عادة في بعض البلاد  
وقد يستحيي من العالم والرجل الكبير الموقر فلا يشهد عليه فيدخل ذلك  
كله في الائتمان ويبقى الأمر بالإشهاد ندبا لما فيه من المصلحة في  
الأغلب ما لم يقع عذر يمنع منه)<sup>(٣٠)</sup>.

مع ان الكتابة لم تكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لجميع  
الناس بل كان من يعرف الكتابة قليلون .

٤- شرع من قبلنا<sup>(٣١)</sup> وذلك لما حكاه النبي صلى الله عليه وسلم بما  
رواه أبو هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:  
(أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه  
ألف دينار، فقال: انتني بشهداء أشهدهم. قال: كفى بالله شهيدا،  
قال انتني بكفيل قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت، فدفعها إلى  
أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم  
عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل  
فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها، ثم زجج موضعها،  
ثم أتى بها البحر، ثم قال: اللهم إنك قد علمت أنني استسلفت فلانا  
ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بذلك  
وسألني شهيدا، فرضي بذلك وإني قد جهدت أن أجد مركبا  
أبعث بها إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبا وإني استودعتكها،

فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجيئه بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما كسرهما وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه، فأتاه بألف دينار وقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: ألم أخبرك أنني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه؟ قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بألفك راشدا<sup>(٣٢)</sup>.

ومنهم من ذهب إلى النسخ فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أنه "تلا هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾<sup>(٣٣)</sup> حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾<sup>(٣٤)</sup>، فقال: هذه نسخت ما قبلها".

ونوقش بانه لا يمكن ان يرد الناسخ والمنسوخ في موضع واحد ونزولهما معا ولو جاز أن يكون هذا ناسخا للأول، لجاز أن يكون قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾<sup>(٣٥)</sup> ناسخا لقوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾<sup>(٣٦)</sup>

ولجاز أن يكون قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُّتَكَتِبَيْنِ﴾<sup>(٣٧)</sup>، ناسخا لقوله عز وجل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾<sup>(٣٨)</sup>.

و إن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾<sup>(٣٩)</sup>، لم يتبين بأخر نزوله عن صدر الآية المشتملة على الأمر بالإشهاد بل وردا معا، ولا يجوز أن يرد الناسخ والمنسوخ معا جميعا في حالة واحدة وقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه لما قيل له إن آية الدين منسوخة قال: لا والله إن آية الدين محكمة ليس فيها نسخ<sup>(٣٩)</sup>.

ومما تقدم من أدله من كتاب وسنة واجماع وشرع من قبلنا نرى رجحان قول الجمهور مع مراعاة الكتابة في ما يتعلق بديون الشركات وإذا طلب الدائن ذلك وغيرها.

### المطلب الثاني : النهي

**النهي في اللغة:** المنع، ومنه سمي العقل نهية، وجمعه : نهى ؛ لأن العقل يمنع صاحبه من الخطأ غالباً<sup>(٤٠)</sup>، ومنه قال الله تعالى: {إن في ذلك لآيات لأولي النهى}<sup>(٤١)</sup>

**اصطلاحاً النهي :** استدعاء ترك الفعل بالقول على وجه الاستعلاء<sup>(٤٢)</sup>.

وحكم النهي اذا تجرد من القرائن يفيد التحريم<sup>(٤٣)</sup> كقوله تعالى في اية المداينة ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ كما وتضمنت الاية عدة نواهي ترتب عليها احكاماً ومنها : النهي عن الامتناع من كتابة الدين قال تعالى ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ ورد فيه نهى بقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ ثم امر قوله تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ؛ الفاء للتفريع واللام لام الأمر وفي الامر بعد النهي قال بعض العلماء: إنها من التوكيد؛ لأن النهي عن إباء الكتابة يستلزم الأمر بالكتابة؛ فهي توكيد معنوي؛ وقيل: بل هي تأسيس تفيد الأمر بالمبادرة إلى الكتابة، أو هي تأسيس توطئة لما بعدها.

**والقاعدة :** إنه إذا احتمل أن يكون الكلام توكيداً، أو تأسيساً، حمل على التأسيس؛ لأنه فيه زيادة معنى؛ وبناء على هذه القاعدة يكون القول بأنها تأسيس أرجح.

قال الطيبي (لان النهي عن امتناع مطلق الكتابة لا يدل على الامر بالكتابة المخصوصة فخصص بالكتابة الشرعية حيث لم يدل عليه النهي فلا يكون للتاكيد ويمكن ان يقال ان التاكيد انما يحصل من التكرير فاذا

نهى عن امتناع مطلق الكتابية دخل في النهي امتناع الكتابة الشرعية ضمنا ثم امر بها صريحا كان اقوى مما امر اولا لان الشئ بعد الطلب اعز من المنسلق بلا تعب<sup>(٤٤)</sup>

أما اصطفاء المصدر المؤول \_ ولا يأب كاتب أن يكتب \_ دون الصريح - كتابته - فلأن الكاتب يراعي مقام كل حالة ويعرف الشروط الضابطة لكل نوع، ولما كانت أنواع المداينات ذات أوصاف مختلفة كان الإلزام بكل حالة وضوابطها على حدة من لزوميات الكاتب وهذا يتواءم مع المصدر المؤول الدال على التغير والتجدد والحدوث، وكل ذلك مفهوم من المضارع " يكتب " أما لو قيل : ولا يأب كاتب كتابة ما علمه الله لظن أن هناك صيغة واحدة لجميع العقود ولحفظها الجميع ولاستغني عن الكاتب وهذا بعيد . إذ إن لكل نوع ما يناسبه من صيغ كما أن لكل حالة ما يتوافق معها من شروط وضوابط وأحوال تخالف غيرها . ومع أن الفعل \_ يكتب \_ متعد إلا أن مفعوله حذف لدلالة السياق عليه<sup>(٤٥)</sup> .

### وحكم النهي الوارد في الآية والامر الوارد بعده

ذهب الربيع ومجاهد والطبري وابن حزم وابن عاشور<sup>(٤٦)</sup> على أن النهي يقتضي التحريم والامر على الوجوب وإن من دوعي الى الكتابة يجب ان يستجيب لانه ورد لفظ كاتب وهو نكرة في سياق النفي تفيد العموم : أي لا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كتاب التداين كما علمه الله : أي على الطريقة التي علمه الله من الكتابة أو كما علمه الله بقوله العدل . قال أبو جعفر الطبري: (والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عز وجل أمر المتدائنين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل، وأمر الله فرض لازم، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد ونذب. ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك، ندب

وإرشاد، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه، ومن ضيعه منهم كان حرجا بتضييعه<sup>(٤٧)</sup> .

وقال الحسن والشعبي والجبائي والرماني على انه واجب على الكفاية ورجحه الشافعي<sup>(٤٨)</sup> .

بقوله : (وقول الله جل ذكره {ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا} يحتمل ما وصفت من أن يأبى كل شاهد ابتدئ فيدعى ليشهد ويحتمل أن يكون فرضا على من حضر الحق أن يشهد منهم من فيه الكفاية للشهادة فإذا شهدوا أخرجوا غيرهم من المأثم وإن ترك من حضر الشهادة خفت حرجهم بل لا أشك فيه وهذا أشبه معانيه به والله تعالى أعلم . قال فأما من سبقت شهادته بأن أشهد أو علم حقا لمسلم أو معاهد فلا يسعه التخلف عن تأدية الشهادة متى طلبت منه في موضع مقطع الحق)<sup>(٤٩)</sup> .

ويكون ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يقدر على كاتب غيره، فيضر صاحب الدين إن امتنع، فإن كان كذلك فهو فريضة، وإن قدر على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره.

وقال السدي : واجب عليه في حال فراغه وقال ابن عاشور (ولو قيل : إنه واجب على الكفاية على من يعرف الكتابة من أهل مكان المتدينين، وإنه يتعين بتعيين طالب التوثيق أحدهم لكان وجيها)<sup>(٥٠)</sup>.

وذهب الجمهور الى النهي للكرامة والأمر على النذب، والقريضة الصارفة انها لو كانت الكتابة واجبه لما صح الاستتجار عليها، لأن الإجارة على فعل الواجبات باطله ولم يختلف العلماء في جواز الإجارة على كتب كتاب الوثيقة<sup>(٥١)</sup>.

والذي يظهر لي ان الراجح هو ان الحكم واجب على الكفاية لقوله تعالى: (ولا تكتموا الشهادة)<sup>(٥٢)</sup> ولحديث النبي صلى الله عليه وسلم "من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"<sup>(٥٣)</sup> وقد ذكر فضل الله عليه بقوله تعالى (وليكتب كما علمه الله) ومما يدل على ما رجحناه قول

صلى الله عليه وسلم (خير الشهداء الذي يأتي بشهادة قبل ان يسألها)<sup>(٥٤)</sup> ويفهم بدلالة النص ان من يدعى للشهادة ويؤدها تكون في حقه واجب. وممكن ان يضع الامام اناس لهم خبرة في شهادة الحقوق يقومون بذلك مقابل اجر وتكون في حقهم واجبة .

قال القرطبي (وقد يستلوح من هذه الآية دليل على أن جائزا للإمام أن يقيم للناس شهودا ويجعل لهم من بيت المال كفايتهم، فلا يكون لهم شغل إلا تحمل حقوق الناس حفظا لها، وإن لم يكن ذلك ضاعت الحقوق وبطلت. فيكون المعنى ولا يَأْب الشهداء إذا أخذوا حقوقهم أن يجيبوا. والله أعلم. فإن قيل : هذه شهادة بالأجرة، قلنا : إنما هي شهادة خالصة من قوم استوفوا حقوقهم من بيت المال، وذلك كأرزاق القضاة والولاة وجميع المصالح التي تعن للمسلمين وهذا من جملتها. والله أعلم . وقد قال تعالى : {والعاملين عليها} <sup>(٥٥)</sup> ففرض لهم <sup>(٥٦)</sup>).

اما كون ورود النهي بصيغة الغائب فقد بين ابن عرفة ذلك بقوله : (قالوا : إن النهي تارة يكون للحاضر، وتارة يكون للغائب، فأما بالنسبة إلى القديم فلا فرق بينهما، وأما في المحدثات فقد يكون النهي في الغيبة أقوى وأشد منه في الحاضرة، لأنك قد تنهي الشخص الحاضر عن فعل شيء بين يديك وتكون بحيث لو سمعت عنه أنه يفعله في غيبتك لا تزجره ولا تنهاه) <sup>(٥٧)</sup>.

وهذا يعني : أن الجملتين \_ جملة الأمر وجملة النهي \_ تتوجهان إلى شيء واحد وهو إلزام الكاتب بنوع خاص من الكتابة وموصوف بأنه على وفق ما أنزله الله وبينه . كتاب الدين والإشهاد ليس بواجبين ولكنه متى كتب فعلى الكاتب أن يكتبه على الوجه الذي أمره الله تعالى به وأن يستوفي فيه شروط صحته ليحصل المعنى المقصود بكتابته <sup>(٥٨)</sup>

وأن النهي عن الشيء أقوى في الدعوة إلى الاعتصام منه وإلى مجانبته من الأمر بنقيضه ولذلك جاء في الحديث : "فإذا نهيتكم عن شيء



فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» <sup>(٥٩)</sup>، فلما كان الضرر الواقع من الكتابة الباطلة ضررا بالغاً نهى عنه أولاً .

- ١- النهي عن السامة :هي الملل من تكرير فعل ما.والخطاب للمتدينين أصالة، ويستتبع ذلك خطاب الكاتب : لأن المتدينين إذا دعوا للكتابة وجب عليه أن يكتب. والنهي عنها نهى عن أثرها ، وهو ترك الكتابة، لأن السامة تحصل للنفس من غير اختيار، فلا ينهي عنها في ذاتها، وقيل السامة هنا كناية عن الكسل والتهاون ومعنى: ولا تسأموا، أي لا تكسلوا، وعبر بالسأم عن الكسل، لأن الكسل صفة المنافق قال تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) <sup>(٦٠)</sup> المقصود من الآية الكريمة الحث على الكتابة قل المال، أو كثر، فإن النزاع في المال القليل ربما أدى إلى فساد عظيم، ولجأ شديد وتقديم الصغير على الكبير هنا، مع أن مقتضى الظاهر العكس، قصد إلى التخصيص على العموم لدفع ما يطرأ من التوهّمات في قلة الاعتناء بالصغير، وهو أكثر، أو اعتقاد عدم وجوب كتابة الكبير <sup>(٦١)</sup>

## المبحث الثاني

### تقسيم اللفظ بحسب وضع المعنى في آية الدين

ينقسم اللفظ من حيث وضعه للمعنى إلى أقسام عدة وسنتناول منهما ما ورد في الآية وهو العام وتخصيصه والمشارك والمطلق والمقيد

**العام لغة** من عم أي شمل الشيء يعم عموماً أي شمل الجماعة. يقال: عمهم بالعطية. أي شملهم <sup>(٦٢)</sup>

**العام اصطلاحاً**: هو لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة بلا حصر <sup>(٦٣)</sup>

### المطلب الاول صيغ العموم

للعوم صيغ كثيرة ورد في اية المداينة بعض منها وترتب عليها اثر فقهي منها

١- النكرة في سياق الشرط<sup>(٦٤)</sup> الواردة في الاية لفظ الدين نكرة في سياق الشرط فهي تفيد العموم، أي : أي دين كان من قليل، أو كثير من قرض، أو سلم، أو بيع دين إلى أجل. الأصل في البيع أن يتم تعجيل الثمن والمثمنون فيه، لكن قد يعجل الثمن وتؤجل السلعة، وذلك هو السلم وقد تعجل السلعة ويؤجل الثمن، ويسمى البيع بالاجل وان كان سبب نزول الاية هو السلم<sup>(٦٥)</sup> كما ثبت عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال في الاية: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه، وأذن فيه، ثم قال : {أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى}<sup>(٦٦)</sup>؛ ولكن القاعدة الاصولية ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتحمل الاية على جميع المداينات إجماعا فإذا تداينتم أي دين كان صغيرا أو كبيرا، على أي وجه كان، من قرض أو سلم أو بيع عين إلى أجل<sup>(٦٧)</sup>.

واختلف العلماء في حكم بيع بالأجل اذا كان الثمن اكثر منه نقدا على قولين ذهب الجمهور منهم الأئمة الأربعة<sup>(٦٨)</sup> على أن زيادة الثمن مع الأجل جائز، وإن البيع صحيح.

### واستدلوا بهذه الاية

وبقوله تعالى (واحل الله البيع وحرم الربا) والبيع بالأجل نوع من انواع البيوع التي دلت السنة على جوازها ومن الادلة حديث عائشة قالت : (كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثوبان قطريان غليظان، فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه، فقدم بز من الشام لفلان اليهودي، فقلت : لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه. فقال : قد علمت

ما يريد، إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كذب، قد علم أني من أتقاهم لله وآداهم للأمانة" (٦٩) وقد بوب الترمذي - رحمه الله - لهذا الحديث بقوله (ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل) (٧٠).

وحديث بريرة حيث جاءت إلى عائشة فقالت (إني كاتب أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني) (٧١). ووجه الدلالة فيه أن فيه بيعاً مؤجل الثمن، ولم يعترض النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك، فيكون إقراره عليه من السنة.

وذهب زين العابدين علي بن الحسين، والناصر، والمنصور بالله، والهادوية، والإمام يحيى إلى منعه (٧٢) مما استدلوا به قوله - صلى الله عليه وسلم - "من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا" (٧٣) واستدلوا بما ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - "نهى عن بيعتين في بيعة".

وقد فسر مالك الأول أن رجلاً قال لرجل: ابتع لي هذا البعير بنقد، حتى ابتاعه منك إلى أجل، فسئل عن ذلك عبد الله بن عمر، فكرهه ونهى عنه. والثاني أن القاسم بن محمد سئل عن رجل اشترى سلعة بعشرة دنانير نقداً، أو بخمسة عشر ديناراً إلى أجل، فكره ذلك ونهى عنه.

نوقش بما قاله الترمذي عند إيراد حديث النهي عن بيعتين في بيعة : (والعمل على هذا عند أهل العلم. وقد فسر بعض أهل العلم بيعتين في بيعة أن يقول: أبيعك هذا الثوب بنقد بعشرة، وبنسيئة بعشرين، ولا يفارقه على أحد البيعتين، فإذا فارقه على أحدهما فلا بأس، إذا كانت العقدة على أحد منهما) (٧٤).

وذكر الترمذي أن علة النهي عن هذا البيع هو تردد الثمن بين الحالتين، دون أن تتعين إحداهما عند العقد، وهذا يوجب الجهالة في

الثلث، وليس سبب النهي زيادة الثمن من أجل التأجيل، فلو زالت مفسدة الجهالة بتعيين إحدى الحالتين فلا بأس بهذا البيع شرعاً.

وما ذكره الامام الترمذي عن بعض اهل العلم سماه ابن القيم ثم ذكر له وجه اخر في تفسير الحديث فقال ابن القيم وللعلماء في تفسير هذا الحديث وقولان:

**أحدهما:** أن يقول بعثك نقداً بعشرة أو عشرين نسيئة، وهذا الذي رواه أحمد عن سماك، فسره في حديث ابن مسعود قال: "تهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفتين في صفقة". قال: الرجل يبيع البيع، فيقول: هو على نساء بكذا، وبنقد بكذا، وهذا التفسير ضعيف، فإنه لا يدخل الربا في هذا الصورة ولا صفتين هنا وإنما صفقة واحدة بأحد الثمنين.

**والتفسير الثاني:** أن يقول: أبيعكها بمئة إلى سنة على أن أشتريها منك بثمانين حالة، وهذا معنى الحديث الذي لا معنى له غيره، وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: "قله أو كسهما أو الربا"، فإنه إما أن يأخذ الثمن الزائد فيربي أو الثمن الأول فيكون هو أو كسهما ومطابق لصفتين في صفقة، فإنه قد جمع صفتي النقد والنسيئة في صفقة واحدة ومبيع واحد، وهو قد قصد بيع دراهم عاجلة بدراهم مؤجلة أكثر منها ولا يستحق إلا رأس ماله، وهو أوكس الصفتين، فإن أبى إلا الأكثر كان قد أخذ الربا<sup>(٧٥)</sup>.

وبناء على هذه الأدلة وغيرها فقد ذهب الجمهور — إلى جواز البيع إلى أجل مع زيادة في الثمن على ما لو باعه نقداً. وفسروا حديث النهي عن بيعتين في بيعة بما إذا تفرقا ولم يجزم المشتري بالأخذ بأحد الثمنين، أما إذا أخذ بأحدهما فالبيع صحيح عملاً بالمفهوم أي في بيعة واحدة لا بيعتان لما تقدم فالذي يبدو راجحاً ما ذهب إليه الجمهور في جواز بيع الاجل مع زيادة الثمن لقوة ما استدلوا به ولا مكانيه تأويل احاديث المنع

ولأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يعارضها نص شرعي، فالعقود جميعها مباحة إذا كانت مبنية على التراضي بين المتعاقدين، ما لم يمنع ذلك نص من نصوص الشرع، ولم يرد مانع، بل جاء النص عاما في جواز البيع، والبيع إلى أجل مع زيادة الثمن على الحال عقد مبني على التراضي، يخدم الطرفين، فالبايع ربحه يزيد، والمشتري ينتظر زمنا ما حتى تحصل له السلعة، فيستفيد من هذه السلعة التي قبضها قبل أن يتوفر لديه ثمنها، والمعروف أن للزمن قيمة اقتصادية مهمة في المقاولات وعقود الاستصناع وغيرها من أنظمة التجارة والمعاملات.

٢- الجمع المحلي بال يفيد العموم<sup>(٧٦)</sup> ورد في الآية لفظ الشهاد الذي يشمل الرجال والنساء يحمل على عمومهم ولا يختص بالأموال بل يدخل أيضا النكاح عند الحنفية<sup>(٧٧)</sup> قوله تبارك وتعالى {واستشهدوا} الآية، جعل الله سبحانه وتعالى لرجل وامرأتين شهادة على الإطلاق ؛ لأنه سبحانه وتعالى جعلهم من الشهداء، والشاهد عام من له شهادة على العموم، فافترض أن يكون لهم شهادة في سائر الأحكام، إلا ما خصص بدليل<sup>(٧٨)</sup>.

وروي عن عمر - رضي الله عنه - أنه أجاز شهادة النساء مع الرجال في النكاح والفرقة، ولم ينقل أنه أنكر عليه منكر من الصحابة فكان إجماعا منهم على الجواز؛ ولأن شهادة رجل وامرأتين في إظهار المشهود به مثل شهادة رجلين، لرجحان جانب الصدق فيها على جانب الكذب بالعدالة<sup>(٧٩)</sup>.

وذهب الجمهور الى عدم اطلاق الشهادة للنساء وجعلها خاصة بالأموال<sup>(٨٠)</sup> بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"<sup>(٨١)</sup> فالحديث دل على أن الانعقاد موقوف على حضور رجلين. والنكاح أكد من الأموال فلا يقاس عليه لوجوه أبرزها اشتراط

الولاية فيه بخلاف البيع وكذلك لا يدخل النكاح الأجل والخيار والهبة ويدخل البيع مما دعانا الى ترجيح قول الجمهور والله اعلم .

٣- الجمع المضاف ورد في الآية قوله تعالى (من رجالكم) وهو جمع مضاف يفيد العموم<sup>(٨٢)</sup> ولأجل هذا اتفق علماء الإسلام على عدم قبول شهادة غير المسلمين على المسلمين في غير الوصية في السفر واختلفوا في الإشهاد على الوصية في السفر، ذهب الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية<sup>(٨٣)</sup> على عدم قبول شهادة غير المسلمين مطلقا عملا بعموم هذا الآية ولا مخصصا لها عندهم وما ورد في سورة المائدة منسوخا او مؤولا<sup>(٨٤)</sup> وبقوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)<sup>(٨٥)</sup> وقياسا على الفاسق بطريق الأولى وذلك أن الله تعالى أمر بالتوقف في خبر الفاسق وهنا أولى إذ الشهادة أكد من الخبر<sup>(٨٦)</sup>.

وذهب الحنابلة ومروى عن الجماعة من الصحابة والتابعين الى جواز شهادة غير المسلمين على المسلمين بالوصية في السفر<sup>(٨٧)</sup> واستدلوا بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين}<sup>(٨٨)</sup>.

قال القرطبي (أن الكاف والميم في قوله : {منكم} ضمير للمسلمين {أو آخران من غيركم} للكافرين فعلى هذا تكون شهادة أهل الكتاب على المسلمين جائزة في السفر إذا كانت وصية، وهو الأشبه بسياق الآية، مع ما تقرر من الأحاديث. وهو قول ثلاثة من الصحابة الذين شاهدوا التنزيل ؛ أبو موسى الأشعري وعبدالله بن قيس وعبدالله بن عباس)(رضي الله عنه)<sup>(٨٩)</sup>

وعن الشعبي [أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقواء هذا ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدموا الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلاً ولا كتماً ولا غيراً وإنها لو صية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما] (٩٠).

وجه الدلالة: أن أبا موسى رضي الله عنه قضى بقبول شهادتهما على الوجه المذكور، ورفع فعله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدل على أن ذلك القضاء من السنة.

وفي قضائه بذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن الحكم غير منسوخ.

و أن سورة {المائدة} من آخر القرآن نزولاً حتى قال ابن عباس والحسن وغيرهما: إنه لا منسوخ فيها. وما ادعوه من النسخ لا يصح فإن النسخ لا بد فيه من إثبات النسخ على وجه يتنافى الجمع بينهما مع تراخي النسخ؛ ولأنه ربما كان الكافر ثقة عند المسلم يرتضيه عند الضرورة؛ فليس فيما قالوه ناسخ فيترجح عندنا قول الحنابلة والله أعلم

### المطلب الثاني: تخصيص العام

**التخصيص :** هو بيان أن اللفظ الموضوع لجميع الأفراد أريد منه بعضها. (٩١)

مع أننا تطرقنا إلى بعض أقسام التخصيص في المطلب السابق عند تناولنا صيغ العموم لارتباطه بها ونكمل الأقسام الأخرى التي تناولته الآية المباركة .

#### ١- التخصيص بالاستثناء المنقطع

قبل الدخول في معنى الاستثناء المنقطع لا بد لنا من تعريف الاستثناء

**الاستثناء لغة** من التثني وهو العطف والرد، تقول تثنيته عن مراده إذا صرفته عنه<sup>(٩٢)</sup> **اصطلاحاً** الاخراج بالآ أو احدى اخواتها من متكلم واحد<sup>(٩٣)</sup>

وهو يقسم الى قسمين : فالمتصل ما كان اللفظ الأول منه يتناول الثاني "والمنقطع ما كان اللفظ الأول منه لا يتناول الثاني، وفي معنى هذا ما قيل: إن المتصل ما كان الثاني جزءاً من الأول، والمنقطع ما لا يكون الثاني جزءاً من الأول. مثل المتصل جاء القوم الا زيذا ومثال المنقطع جاء القوم إلا حماراً<sup>(٩٤)</sup>

حكم الاستثناء المنقطع ذهب بعض العلماء الى انه حقيقة والجمهور على انه مجاز<sup>(٩٥)</sup>

وسبب كونه مجازاً أن الاستثناء أخرج بعض ما دخل في المستثنى منه وغير جنسه لم يدخل حتى يخرج<sup>(٩٦)</sup>.

وقد ورد في آية المداينة قوله تعالى (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها).

والاستثناء هنا منقطع؛ لأنه ليس هناك دين حتى يكتب، وليست التجارة الحاضرة من جنس التعامل بالديون فكأنه قيل : إذا تداينتم فتكتبوا وأشهدوا لكن التجارة الحاضرة التي يجرى فيها التقابض لا جناح عليكم في عدم كتابتها.

قال الرازي بعد ان ذكر احتمال نوعين الاستثناء في الآية ( فالنقدير : لكنه إذا كانت التجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها، فهذا يكون كلاماً مستأنفاً، وإنما رخص تعالى في ترك الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة، لكثرة ما يجري بين الناس، فلو تكلف فيها الكتابة والإشهاد لشق الأمر على الخلق، ولأنه إذا أخذ كل واحد من المتعاملين حقه من صاحبه في ذلك المجلس، لم يكن هناك خوف التجاحد، فلم يكن هناك حاجة إلى الكتابة والإشهاد)<sup>(٩٧)</sup>



نجد ان أول الآية دل على إباحة البيوع المؤجلة وآخرها على إباحة التجارة في البيوع الحالة.

٢- **التخصيص بالصفة** هو ما أشعر بمعنى يتصف به بعض أفراد العام<sup>(٩٨)</sup>

والمراد بها المعنوية لا النعت بخصوصه نحو أكرم العلماء الزهاد فإن التقييد بالزهاد يخرج غيرهم قال إمام الحرمين ابو المعالي الجويني ( الوصف عند أهل اللغة معناه التخصيص فإذا قلت رجل شاع هذا في ذكر الرجال فإذا قلت طويل اقتضى ذاك تخصيصا فلا تزال تزيد وصفا فيزداد الموصوف اختصاصا وكلما كثر الوصف قل الموصوف)<sup>(٩٩)</sup>

قال تعالى (تجارة حاضرة تديرونها بينكم)

وقد وردت التجارة موصوفة بحاضرة مما يدل على تقسم التجارة الى حاضرة وغائبة وهي البيع بالنسيئة وله أن يبضعه لأن الإبضاع من عادة التجار ويحتاج المضارب إليه لتحصيل الربح فالتجارة نوعان حاضرة في بلده وغائبة في بلدة أخرى ولا يتمكن من مباشرتهما بنفسه ولم يجز له الإبضاع والتوكيل والإيداع لفاته أحد نوعي التجارة لاشتغاله بالأنوع الآخر وله أن يستأجر معه الإجراء يشتركون ويبيعون ويستأجر البيوت والدواب للأمتعة التي يشتريها لأن ذلك من صنع التجار فالمضارب لا يستغني عن ذلك في تحصيل الربح وللمنافع حكم المال عند العقد والإجارة والاستئجار تجارة من حيث إنه مبادلة<sup>(١٠٠)</sup>.

رفع الجناح عن عدم الكتابة في كل مبايعة بنقد، يدا بيد كما أنه ليست كل تجارة حاضرة دائرة، فالدوران والحضور صفتان لازمتان لإباحة منع الكتابة.

أما الحضور فيعني وجود السلعة والتمن في مكان واحد ويتم فيها البيع يدا بيد.

وأما الدوران: فيعني التجارة السريعة ولقد كان الفقهاء يقولون إنها ذات المطعومات؛ أو ذات الثمن القليل؛ لأن هذه هي الدائرة بين الناس؛ لكن اللفظ أعم من ذلك؛ وبخاصة في عالمنا المعاصر؛ وقد رأينا السلعة الواحدة تباع في المجلس الواحد أكثر من مرة؛ ولأكثر من شخص؛ وذلك في السوق المصرفي؛ أو ما يسمى بالبورصة؛ أو ما يطلق عليه المزاد العلني؛ فهذا الدوران للسلعة الواحدة يبيح ترك الكتابة؛ بل يستلزمها إذ لا يمكن الكتابة في مثل هذه المبيعات الحاضرة السريعة توسعة على الناس؛ ورفعاً للحرص.

وجملة: "تديرونها بينكم"؛ فيها استحضار لعملية الانتقال من تاجر إلى آخر، ومن ثالث إلى رابع، مما يصعب معه التوثيق. وقوله سبحانه "بينكم" يعطي معنى اجتماعهم، وتداول البيع يدا بيد، وانتفاء الحرج؛ لأن البيع قائم على الإيجاب والقبول

### المطلب الثالث: المشترك

المشترك هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء (١٠١)

وهو أن يتحد اللفظ ويتعدد المعنى كالعين فإنها وضعت للباصرة، والجارية، والجاسوس، والذهب. وفي ترجيح احد المعان على الاخرى يعرف بالسياق والقرائن ذهب كثير من المالكية والشافعية والحنابلة الى حمل المشترك على جميع معانيه (١٠٢).

ان المشترك إذا علق عليه حكم ولم تكن ثم قرينة فيحمل على جميع معانيه لكن بقيد ألا تكون هذه المعاني متضادة .

وذهب الحنفية وبعض المالكية (١٠٣) الى عدم حمله على جميع معانيه واحتجوا في ذلك بأن أرباب الوضع إنما وضعوا هذا الاسم لكل واحد من المسميات على سبيل البديل لا على سبيل الجمع فإذا حمل على الجميع كان استعمالاً له في ضد ما وضع له وعكس ما قصد به

قوله تعالى : { ولا يضار كاتب ولا شهيد . . . }

حيث ورد فيها اشتراك في أحواله العارضة في التصريف<sup>(١٠٤)</sup>.  
اختلف فيها العلماء الى قولين<sup>(١٠٥)</sup>:

**القول الاول:** الحاق الضرر من الكاتب والشهيد على المكتوب له والمشهود له وجه ذلك الضرر من الكاتب وشهيد إما بعدم الإجابة أو بالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان في كتابه وقال به الحسن وقتاده وطاوس وابن زيد وروي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن المعنى لا يمتنع الكاتب أن يكتب ولا الشاهد أن يشهد<sup>(١٠٦)</sup>.

ويدل على هذا قراءة عمر بن الخطاب وابن عباس وابن أبي إسحاق ولا يضارر بكسر الراء الأولى - "ولا يضار" على هذين القولين أصله يضارر بكسر الراء، ثم وقع الإدغام، وفتحت الراء في الجزم لخفة الفتحة<sup>(١٠٧)</sup>، واختاره الزجاج واحتج عليه بقوله تعالى بعد ذلك (وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم) قال: وذلك لأن اسم الفسق بمن يحرف الكتابة، وبمن يمتنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكلية أولى منه بمن أضر الكاتب والشهيد، ولأنه تعالى قال فيمن يمتنع عن أداء الشهادة (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)<sup>(١٠٨)</sup> والآثم والفاسق متقاربان<sup>(١٠٩)</sup>

**القول الثاني :** الحاق ضرر على الكاتب والشهيد من المكتوب له والمشهود له (عكس القول الاول) وقال به مجاهد والضحاك وطاوس والسدي وروي عن ابن عباس<sup>(١١٠)</sup>: معنى الآية : {ولا يضار كاتب ولا شهيد} بأن يدعى الشاهد إلى الشهادة والكاتب إلى الكتب وهما مشغولان، فإذا اعتذرا بعذرهما أخرجهما وآذاهما، وقال : خالفتما أمر الله، ونحو هذا من القول واحتجوا بأن هذا لو كان خطابا للكاتب والشهيد لقل: وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم، وإذا كان هذا خطابا للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن الضرار ممكن ان يناقش ان المثني يرد بصيغة الجمع اذ ذهب بعض العلماء الى ان اقل الجمع اثنان<sup>(١١١)</sup>.

وانما أوجب هذا الخلاف أن قوله {ولا يضار} يحتمل أن يكون تقديره ولا يضارر بفتح الراء فيلزم على هذا أن يكون الكاتب والشهيد مفعولا بهما لم يسم فاعلهما وهكذا كان يقرأ ابن مسعود بإظهار التضعيف وفتح الراء ويحتمل أن يكون تقديره ولا يضارر بكسر الراء فيلزم على هذا أن يكون الكاتب والشهيد فاعلين وهكذا كان يقرأ ابن عمر بإظهار التضعيف وكسر الأول والأصل في يضار على هذين القولين يضارر بكسر الراء ثم وقع الإدغام وفتحت الراء في الجزم لخفة الفتحة وقال ابن عباس أيضا ومجاهد والضحاك والسدي وطاوس وغيرهم معنى الآية " ولا يضار كاتب ولا شهيد " بأن يؤذيه طالب الكتبة أو الشهادة فيقول اكتب لي أو اشهد لي في وقت عذر أو شغل للكاتب أو الشاهد فإذا اعتذرا بعذرهما حرج وآذاهما وقال خالفت أمر الله ونحو هذا من القول ولفظ المضارة إذ هو من اثنين يقتضي هذه المعاني كلها والكاتب والشهيد على القول الأول رفع بفعلهما وفي القول الثاني رفع على المفعول الذي لم يسم<sup>(١١٢)</sup>.

قال الرازي (أن كلا الوجهين جائز في اللغة، وإنما احتمل الوجهين بسبب الإدغام الواقع في لا يضار أحدهما: أن يكون أصله لا يضارر، بكسر الراء الأولى، فيكون الكاتب والشهيد هما الفاعلان للضرار والثاني: أن يكون أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى، فيكون هما المفعول بهما للضرار)<sup>(١١٣)</sup> وقال ابن عرفة قال ابن عرفة: ويصح حمله على الأمرين معا على القول بجواز تعميم اللفظ المشترك في مفهوميه معا، كما قالوا في الجور والقرء ونحوه)<sup>(١١٤)</sup>.

الذي يبدو لي ما اختاره الرازي وابن عرفة وذلك بان يحمل على الأمرين معا على انه مشترك وممكن حمل المشترك على جميع معانيه ما لم تكن متضادة وما يؤيد ما اخترنا قول الاستاذ الدكتور فاضل السامرائي (قوله تعالى في سورة البقرة (ولا يضار كاتب ولا شهيد) ونسأل كلمة

(ضار) هل هي مبني للفاعل أو المفعول؟ نقول هي تحتل الإثنين ولو أراد التصييص لفك الإدغام كما في قوله تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله) وقوله (ومن يرتدد منكم عن دينه) بمعنى أنه لو أراد إسم الفاعل لقال (يضارر) ولو أراد إسم المفعول لقال (يضارر). والله تعالى أراد الإثنين معا ومعنى الآية أنه نهى الكاتب والشهيد أن يضرا غيرهما إما بكتم الشهادة أو الإمتناع عن الحضور لها أو تحريفها وأراد المعنى الآخر وهو نهى أن يقع الضرر على الكاتب والشهيد ممن يضغطون عليهم لتغيير الشهادة أو تبديلها أو الإمتناع عنها. إذن المطلوب منع الضرر من الكاتب والشهيد ومنعه عنهما أيضا في نفس الآية وبدل أن يقول ولا يضارر ولا يضارر كاتب ولا شهيد جاء بالصيغة التي تحتل المعنيين وهي كلمة (يضار) (١١٥)

#### المطلب الرابع : المطلق والمقيد

**المطلق لغة :** اسم مفعول، مأخوذ من مادة يدور معناها في وجوه تصاريفها المختلفة على معنى الانفكاك والتخلية والإرسال والشيوع قال ابن فارس: (الطاء واللام والقاف أصل صحيح مطرد واحد، وهو يدل على التخلية والإرسال. يقال انطلق الرجل ينطلق انطلاقا. ثم ترجع الفروع إليه، تقول أطلقته إطلاقا. والطلق: الشيء الحلال، كأنه قد خلي عنه فلم يحظر... والطارق: الناقة ترسل ترعى حيث شاءت. ويقال للطبي إذا مر لا يلوي على شيء: قد تطلق...) (١١٦)

**المطلق اصطلاحا** هو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، وهي النكرة في سياق الأمر (١١٧).

**اما المقيد في اللغة** فهو قال ابن فارس (القاف والياء والذال كلمة واحدة، وهي القيد، وهو معروف، ثم يستعار في كل شيء يحبس. يقال: قيدته أقيدته تقييدا. ويقال: فرس قيد الأوابد، أي فكأن الوحش من سرعة إدراكه لها مقيدة.) (١١٨).

**وفي الاصطلاح:** هو المتناول لمعين، أو غير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة<sup>(١١٩)</sup> والمعنى ان المقيد يحد من الإطلاق، فيعطل اللفظ عن بعض ما يصدق عليه، كالنقييد بالوصف في قول الله تعالى {فتحرير رقبة مؤمنة}<sup>(١٢٠)</sup>، فالرقبة مطلقة؛ لأنها نكرة في سياق الإثبات، وقيدت بعد ذلك بالصفة حين قال: (مؤمنة) فخرج ما سواها من الرقاب فلا يمتثل به الأمر.

### اشتراط العدالة في الشهود

ذهب جمهور العلماء<sup>(١٢١)</sup> الى حمل المطلق على المقيد اذا ورد المطلق محتمل والمقيد بمنزلة المحكم فيحمل المحتمل عليه ويكون المقيد بياناً للمطلق على ما هو المختار لا نسخاً فيثبت الحكم مقيداً ففي نصوص العدالة فإن النصوص المطلقة عن صفة العدالة في الشهادات مثل قوله {واستشهدوا شهيدين من رجالكم}<sup>(١٢٢)</sup>.

محمولة على النصوص المقيدة بها بالاتفاق حتى شرطت العدالة لقبول الشهادة مثل قوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) هذا تقييد من الله سبحانه على الاسترسال على كل شاهد، وقصر الشهادة على الرضا خاصة؛ لأنها ولاية عظيمة؛ إذ هي تنفيذ قول الغير على الغير؛ فمن حكمه أن يكون له شمائل ينفرد بها، وفضائل يتحلى بها حتى يكون له مزية على غيره توجب له تلك المزية رتبة الاختصاص بقبول قوله على غيره، ويقضى له بحسن الظن، ويحكم بشغل ذمة المطلوب بالحق بشهادته عليه، ويغلب قول الطالب على قوله بتصديقه له في دعواه<sup>(١٢٣)</sup>.

في هاتين الجملتين يجد أن الشهود في الجملة الأولى لم يقيدوا بالعدالة بخلافهم في الجملة الثانية فيحمل المطلق على المقيد، وتكون العدالة شرطاً في الشهادة في الأموال والحدود والأنكحة، وكل الأقضية التي تبنى على الشهادة و ذلك لأن العرب تطلق في موضع، وتقيّد في موضع آخر، فيحمل أحدهما على صاحبه. الالفاظ من حيث المفهوم

وبذلك ترد شهادة الفاسق<sup>(١٢٤)</sup> وهو اسم فاعل من فسق لفسق: الخروج من الطاعة، وفسقت الرطبة: خرجت عن قشرها<sup>(١٢٥)</sup>.

اصطلاحاً الخروج عن الطاعة بارتكاب الذنب وإن قل، لكن تعورف فيها إذا كان كبيرة وأكثر<sup>(١٢٦)</sup> لأن الله تعالى أمر بالتوقف في خبر الفاسق بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا}<sup>(١٢٧)</sup>.

والأمر بالتوقف يمنع العمل بالشهادة وهذا لأن رجحان جانب الصدق لا يظهر في شهادة الفاسق لأن اعتبار اعتقاده يدل على صدقه واعتبار تعاطيه يدل أنه كاذب في شهادته فلتعارض الأدلة يجب التوقف ثم لما لم ينزجر عن ارتكاب محذور دينه مع اعتقاده حرمة فالظاهر أنه لا ينزجر عن شهادة الزور مع اعتقاده حرمة.

### المبحث الثالث

#### اقسام اللفظ باعتبار كيفية دلالاته على المعنى في آية الدين

سنتناول في هذه المبحث عبارة النص إشارة النص ودلالة النص ومفهوم المخالفة وذلك بحسب ما ورد في آية الدين

#### المطلب الأول : عبارة النص:

دلالة اللفظ على المعنى المتبادر فهمه من نفس صيغته، سواء كان هذا المعنى هو المقصود من سياقه أصالة أو تبعا فكل معنى يفهم من ذات اللفظ واللفظ مسوق لإفادة هذا المعنى أصالة أو تبعا<sup>(١٢٨)</sup>

اثبات الاقرار على من عليه الحق قال تعالى {وليمل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا} إنما أملى الذي عليه الحق؛ لأنه المقر به الملتزم له، فلو قال الذي له الحق: لي كذا وكذا لم ينفع حتى يقر له الذي عليه الحق، فلأجل ذلك كانت البداءة به؛ لأن القول قوله<sup>(١٢٩)</sup>، وإلى هذه النكته وقعت الإشارة بقوله - صلى الله عليه وسلم - : «البينة

على من ادعى واليمين على من أنكر»<sup>(١٣٠)</sup>، على نحو ما تقدم في قوله تعالى: {ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن} <sup>(١٣١)</sup>

### المطلب الثاني اشارة النص :

هو العمل بما ثبت بنظمه لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص<sup>(١٣٢)</sup> فالنص لا يدل على هذا المعنى بصيغته، وإنما يشير إلى هذا المعنى بطريق الالتزام. وما يشير إليه النص قد يحتاج فهمه إلى دقة نظر لخفاء التلازم وقد يكون التلازم ظاهرا يعرف بأدنى تأمل ومما ورد في آية المدائنه من هذا المعنى .

اشتراط الكاتب ان يكون عالما بما يكتب. قال مالك رحمه الله تعالى) لا يكتب الوثائق بين الناس إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون) <sup>(١٣٣)</sup>، لقوله تعالى : {وليكتب بينكم كاتب بالعدل} وجه الاستدلال عند الامام مالك هو اشارة النص التي بينه الطيبي بقوله (ان الكلام مسوق لمعنى، ومدمج فيه معنى آخر يعني دل اشارة النص وتقييد الكاتب بالعدل على ادماج معنى الفقهه ،لان مراعاة الفقهه مراعاة العدل والسوية من الامور الخطيرة فلا يتمكن منها الا الفقيه الكامل العالم بكتابة الشروط والصكوك ) <sup>(١٣٤)</sup> .

ويشترط في الكاتب ان يكتب بحيث لا يزيد فيه ولا ينقص منه، ويكتب بحيث يصلح ان يكون له عند الحاجة اليه، وان لا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر بل لا بد وأن يكتبه بحيث يكون كل واحد من الخصمين آمنا من تمكن الآخر من إبطال حقه، وان لا يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا إلى إبطاله على مذهب بعض المجتهدين، و أن يحترز عن الألفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد بها.

وهذه الأمور لا يمكن رعايتها إلا إذا كان الكاتب فقيها عارفا بمذاهب المجتهدين، وأن يكون أدبيا مميزا بين الألفاظ المتشابهة <sup>(١٣٥)</sup> ولذلك جاز تعلق الجار والمجرور " بالعدل " بكل من الفعل والفاعل،



يجوز تعلقه بالفعل " يكتب " ويجوز تعلقه بالفاعل " كاتب " . فإذا قدرنا تعلقه بالفعل " يكتب " يكون المعنى المدمج هو: وليكتب بينكم كاتب كاتب كتابة عادلة تكون محل ثقة من أهل الاختصاص عند التنازع؛ بحيث تخلو من الثغرات التي تمكن أحدهما من المراوغة أو الانفكاك مما في ذمته؛ فالعدل هنا ناتج عن موافقة الكتابة للشروط الواجب توافرها لضمان الحقوق؛ فهي صفة للكتابة. وقد يكون الجار والمجرور متعلقا بالفاعل " كاتب " فيكون المعنى المدمج هو: وليكتب بينكم كاتب مشهور بالفقه والعدل وعدم الميل إلى هذا أو ذاك، وهذا يعرف من خلال كتاباته السابقة بين الناس؛ " فالأصل ألا يكتب الوثيقة إلا العدل في نفسه<sup>(١٣٦)</sup> .

كما ودلت الآية بإشارة النص على صيانة المرأة واحترامها تبين علل بعض الأحكام الواردة فيها كعلة اشتراط اجتماع المرأتين في الشهادة مع الرجل الواحد وهي أن تذكر إحداها الأخرى إذا ضلت. وذلك حرص من الإسلام على صيانة المرأة حيث لم يباح للرجل - وهو شريك لها في شهادة الواقعة - أن يذكرها<sup>(١٣٧)</sup> فجعل المذكر لها اختها التي شهدت معها الواقعة .

**المطلب الثالث دلالة النص :** ما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهدا ولا استنباطا<sup>(١٣٨)</sup> مثل قوله تعالى: {فلا تقل لهما أف}<sup>(١٣٩)</sup> يدل على حرمة الضرب ؛ لأن المعنى المفهوم منه، وهو الأذى موجود في الضرب بل اشد ذهب بعض العلماء ان أرجى<sup>(١٤٠)</sup> آية في كتاب الله عز وجل، آية الدين: وذلك ان الله بين فيها الطرق الكفيلة بصيانة الدين من الضياع، ولو كان الدين يسيرا كما يدل عليه قوله تعالى فيها: {ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله} قالوا هذا من المحافظة في آية الدين على صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه، ولو يدل على العناية التامة بمصالح المسلم، وذلك يدل على ان اللطيف الخبير لا يضيعه يوم القيامة عند اشتداد الهول، وشدة حاجته إلى ربه<sup>(١٤١)</sup> .

### المطلب الرابع: مفهوم المخالفة

مفهوم المخالفة فهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق يسمى دليل الخطاب <sup>(١٤٢)</sup>.

١- مفهوم الصفة اشتراط الاجل بمسمى قال تعالى (الى اجل مسمى) حيث ان الاجل ورد موصوفاً بالمسمى دل على ان الاجل اذا ورد غير مسمى اي اجل مجهول لا يصح البيع او السلم ، ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل معنى كتاب الله تعالى. ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يستلفون في الثمار السننتين والثلاث، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم" <sup>(١٤٣)</sup> وقال ابن عمر : كان أهل الجاهلية يتبايعون لحم الجزور إلى حبل الحبلية. وحبل الحبلية : أن تنتج الناقة ثم تحمل التي نتجت. فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك <sup>(١٤٤)</sup>.

وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم الجائز أن يسلم الرجل إلى صاحبه في طعام معلوم موصوف، من طعام أرض عامة لا يخطئ مثلاً. بكيل معلوم، إلى أجل معلوم بدنانير أو دراهم معلومة، يدفع ممن ما أسلم فيه قبل أن يفترقا من مقامهما الذي تبايعا فيه، وسميا المكان الذي يقبض فيه الطعام. فإذا فعلاً ذلك وكان جائز الأمر كان سلماً صحيحاً لا أعلم أحداً من أهل العلم يبطله.

ووصفه الأجل بمسمى دليل على أن المجهولة لا تجوز فكأن الآية رفضتها وإذا لم تكن تسمية وحد فليس أجل <sup>(١٤٥)</sup> لوصف الله تعالى ونبيه الأجل بذلك.

وذهب مالك ورواية عن احمد بجواز البيع إلى الجذاذ والحصاد والنيروز والمهرجان، إذ ذاك يختص بوقت وزمن معلوم <sup>(١٤٦)</sup>

ولم يجزه الجمهور<sup>(١٤٧)</sup> قال الشافعي : (ولو لم يكن هكذا ما كان من الجائز أن تكون العلامة بالحصاد والجداد فخلافه وخلافه قول الله عز وجل أجل مسمى والأجل المسمى ما لا يختلف والعلم يحيط أن الحصاد والجداد يتأخران ويتقدمان بقدر عطش الأرض وريها وبقدر برد الأرض والسنة وحرها ولم يجعل الله فيما استأخر أجلا إلا معلوما والعطاء إلى السلطان يتأخر ويتقدم)<sup>(١٤٨)</sup>

والراجع والله تعالى اعلم قول الجمهور بعدم الجواز والسبب في منع ذلك هو الغرر والمخاطرة، لعدم تحديد الأجل.

٢- مفهوم العدد (استشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان)

واشترط العدد في الشاهد ولم يكتف بشهادة عدل واحد لأن الشهادة لما تعلقَتْ بحق معين لمعين اتهم الشاهد باحتمال أن يتوسل إليه الظالم الطالب لحق مزعوم فيحمله على تحريف الشهادة، فاحتيج إلى حيلة تدفع التهمة فاشترط فيه الإسلام وكفى به وازعاً، والعدالة لأنها تزرع من حيث الدين والمروءة، وزيد انضمام ثانٍ إليه لاستبعاد أن يتواطأ كلا الشاهدين على الزور. فثبت بهذه الآية أن التعدد شرط في الشهادة من حيث هي، بخلاف الرواية لانتفاء التهمة فيها إذ لا تتعلق بحق معين.

٣- (من رجالكم) ومما يدل عليه لفظ رجالكم مفهوم المخالفة فلا تصح عند الجمهور<sup>(١٤٩)</sup> شهادة الأطفال والصبيان لقوله تعالى: {واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان والصبي ليس من الرجال لقوله - صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق)<sup>(١٥٠)</sup>.

عن ابن أبي مليكة، قال: سألت ابن عباس عن شهادة الصبيان، فقال ابن عباس: قال الله: ممن ترضون من الشهداء وليسوا ممن نرضى<sup>(١٥١)</sup>.

ولأنه إذا لم يؤمن على حفظ أمواله، فلأن لا يؤمن على حفظ حقوق غيره أولى والصبي ممن لا يرضي؛ ولأن الصبي لا يأثم بكتمان الشهادة، فدل على أنه ليس بشاهد.

وذهب المالكية وبعض الحنابلة<sup>(١٥٢)</sup> إلى جواز شهادة الصبيان فيما بينهم في الجراح والقتل قبل أن يتفرقوا، وزاد المالكية: أن يتفقوا في شهادتهم، وأن لا يدخل بينهم كبير، واختلف في إناثهم والصبي ممن لا يرضي؛ ولأن الصبي لا يأثم بكتمان الشهادة، فدل على أنه ليس بشاهد.

٤- مفهوم الحصر ويحصل من تصرف في التركيب كتقديم ما حقه التأخير من متعلقات الفعل والفاعل المعنوي والخبر حيث يفهم من العدو عن الأصل قصد النفي عن الغير وذلك بتقديم ما حقه التأخير للاهتمام والعناية كأنهم يقدمون الذي شأنه أهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا مهتما بهما أو بعنايتهما ويعد التقديم مفهوما بشرطين أحدهما أن لا يكون المعمول مقدما على الوضع فإنه لا يسمى مقدما حقيقة كأسماء الاستفهام والمبتدأ عند من يجعله معمولا لخبره والثاني أن لا يكون التقديم لمصلحة التركيب مثل وأما ثمود فهديناهم على قراءة النصب<sup>(١٥٣)</sup>.

قال الطيبي (والحاصل ان العدول من المديون الى الذي عليه الحق للحصر وتقديم الخبر علة الحصر)<sup>(١٥٤)</sup> حيث قال عليه الحق ولم يقل الحق عليه.

## المبحث الرابع

### حروف المعاني بحسب ما ورد في آية الدين

وهي الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء وتبين العلة التي من أجلها وجبت قتلها في الكلام مع أنها أكثر في الاستعمال<sup>(١٥٥)</sup> وهي حروف يحتاج إليها؛ لأن معرفتها مهمة لسلامة

استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة؛ حيث إن كثيراً من مسائل الفقه يتوقف فهمها على فهم معنى الحرف ومدلوله<sup>(١٥٦)</sup>.

وقد ذكرت في آية الدين عدد من حروف المعاني

١- {إذا} {إذا تداينتم بدين} تتضمن معنى الشرط<sup>(١٥٧)</sup> وكان المعنى: إذا تداينتم تداينا يحصل فيه دين واحد وحينئذ يخرج عن بيع الدين بالدين، ويبقى بيع العين بالدين أو بيع الدين بالعين، فإن الحاصل في كل واحد منهما دين واحد لا غير. وافادت العموم هنا فإن قيل: إن كلمة "إذا" لا تفيد العموم، والمراد من الآية العموم؛ لأن المعنى كلما تداينتم بدين فاكتبوه فلم عدل عن كلما وقال: {إذا تداينتم}.

فالجواب: أن كلمة "إذا" وإن كانت لا تقتضي العموم، إلا أنها لا تمنع من العموم وهاهنا قام الدليل على أن المراد هو العموم إلا أنها لا تمنع من العموم، لأنه تعالى بين العلة في الأمر بالكتابة في آخر الآية، وهو قوله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا والمعنى إذا وقعت المعاملة بالدين ولم يكتب، فالظاهر أنه تنسى الكيفية، فربما توهم الزيادة، فطلب الزيادة وهو ظلم، وربما توهم النقصان فترك حقه من غير حمد ولا أجر، فأما إذا كتب كيفية الواقعة أمن من هذه المحذورات فلما دل النص على أن هذا هو العلة، ثم إن هذه العلة قائمة في الكل، كان الحكم أيضاً حاصلًا في الكل.<sup>(١٥٨)</sup>

٢- الفاء حكم الفاء في هذه الجمل أنها رابطة واقعة في جواب الشرط وهي تدل على السببية<sup>(١٥٩)</sup> في قوله تعالى {إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه} أي سبب الكتابة هو التداين (فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل) واملاء الولي سببه كون الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح

ألا تكتبوها)سبب رفع الجناح اي الاباحة بعدم الكتابة هي عندما تكون التجارة حاضرة .

٣- اللام (وليكتب)لام الأمر ولا يؤمر بها غير الغائب، وهي إذا كانت مفردة فليس فيها إلا الحركة <sup>(١٦٠)</sup>. واللام لام الأمر ويكتب فعل مضارع مجزوم باللام وهو من صيغ الأمر عند الأصوليين وقد تقدم في المبحث الاول

٤- الكاف (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه)تأتي الكاف للتشبيه وتأتي لايضا للتعليل <sup>(١٦١)</sup> وقال ابن عاشور : وقوله : { كما علمه الله } أي كتابة تشابه الذي علمه الله أن يكتبها، والمراد بالمشابهة المطابقة لا المقاربة، فهي مثل قوله : { فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به } <sup>(١٦٢)</sup>، فالكاف في موضع المفعول المطلق لأنها صفة لمصدر محذوف.

ويجوز أن تكون الكاف لمقابلة الشيء بمكافئه والعوض بمعوضه، أي أن يكتب كتابة تكافىء تعليم الله إياه الكتابة، بأن ينفع الناس بها شكرا على تيسير الله له أسباب علمها، وإنما يحصل هذا الشكر بأن يكتب ما فيه حفظ الحق ولا يقصر ولا يدلس، وينشأ عن هذا المعنى من التشبيه معنى التعليل كما في قوله تعالى : {وأحسن كما أحسن الله إليك} <sup>(١٦٣)</sup> وقوله : { واذكروه كما هداكم } <sup>(١٦٤)</sup>

لكاف للتشبيه أي: يكتب مثل ما علمه الله أو للتعليل: أي ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله لقوله: أحسن كما أحسن الله إليك <sup>(١٦٥)</sup>

٥- إدخال حرف {أو}وهي تفيد التقسيم <sup>(١٦٦)</sup> (فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل) بين هذه الألفاظ الثلاثة، أعني السفيه، والضعيف، ومن لا يستطيع أن يمل يقتضي كونها أمورا متغايرة، لأن معناه أن الذي عليه الحق إذا كان موصوفا بإحدى هذه الصفات الثلاث فليمل وليه بالعدل، فيجب في الثلاثة أن تكون متغايرة، وإذا ثبت هذا وجب حمل السفيه على

الضعيف الرأي ناقص العقل من البالغين، والضعيف على الصغير والمجنون والشيخ الخرف، وهم الذين فقدوا العقل بالكلية، والذي لا يستطيع لأن يمل من يضعف لسانه عن الإملاء لخرس، أو جهله بماله وما عليه، فكل هؤلاء لا يصح منهم الإملاء والإقرار، فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم، فقال تعالى : {فليملل وليه بالعدل} والمراد ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة، لأن ولي المحجور السفیه، وولي الصبي : هو الذي يقر عليه بالدين، كما يقر بسائر أموره، وهذا هو القول الصحيح، وقال ابن عباس ومقاتل والربيع : المراد بوليّه ولي الدين يعني أن الذي له الدين يملّي وهذا بعيد، لأنه كيف يقبل قول المدعي، وإن كان قوله معتبرا، فأی حاجة بنا إلى الكتابة والإشهاد. (١٦٧)

٦- «ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله» (والضمير في قوله تكتبوه إما عائذ على الحق أو على الدين، أو على الكتب. (قال بعضهم: وإن عاد الضمير على الكتاب ف «أو» للتخير، وإن عاد على الحق أو الدين ف «أو» (للتفصيل) (١٦٨) فليس عليكم جناح ألا تكتبوها أي فلا مضرة عليكم أو لا إثم في عدم كتابتكم لها لبعد ذلك عن التنازع والنسيان، أو لأن في تكليفكم الكتابة حينئذ مشقة جدا وإدخال الفاء للإيدان بتعلق ما بعدها بما قبلها (١٦٩)

٧- والباء هي للإلصاق الحقيقي والمجازي أي إلصاق الفعل بالمفعول وهو تعليق الشيء بالشيء واتصاله به (١٧٠) قوله: (ليكتب بينكم كاتب بالعدل) {بالعدل} فيه أوجه، أحدها: أن يكون الجار متعلقا بالفعل قبله. قال أبو البقاء: «بالعدل» متعلق بقوله: فليكتب، أي: ليكتب بالحق، فيجوز أن يكون حالا أي: ليكتب عادلا، ويجوز أن يكون مفعولا به أي: بسبب العدل. «قوله أولا:» بالعدل متعلق بقوله فليكتب «يريد التعلق المعنوي؛ لأنه قد جوز فيه بعد ذلك أن يكون

حالا، وإذا كان حالا تعلق بمحذوف لا بنفس الفعل. وقوله:» ويجوز أن يكون مفعولا «يعني فتتعلق الباء حينئذ بنفس الفعل.

والثاني: أن يتعلق ب» بكاتب «قال الزمخشري» متعلق بكاتب صفة له، أي: كاتب مأمون على ما يكتب «وهو كما تقدم في تأويل قول أبي البقاء. وقال ابن عطية:» والباء متعلقة بقوله: «وليكتب»، وليست متعلقة بقوله «كاتب» لأنه كان يلزم ألا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه، وقد يكتبها الصبي والعبد

الثالث: أن تكون الباء زائدة، تقديره: فليكتب بينكم كاتب العدل<sup>(١٧١)</sup>.

٨- من التبعية (ممن ترضون من الشهداء ) والجار الثاني متعلق بمحذوف حال من الضمير المفعول المقدر في ترضون، العائد إلى الموصول: أي ممن ترضونهم حال كونهم من بعض الشهداء، لعلمكم بعدالتهم، وثقتكم بهم، وإدراج النساء في الشهداء للتغليب وقد تقدم في مبحث العام .

## المبحث الخامس

### العلة

**العلة في اللغة:** مأخوذة من العلل، يقال: عل يعل - بكسر العين وضمتها علا وعلا، والعل الشرب بعد الشرب تباعا، والعلة بالكسر المرض الشاغل والجمع علل، واعتل إذا مرض، أو تمسك بحجة<sup>(١٧٢)</sup>.

**العلة اصطلاحاً** هي الوصف الذي علق عليه الحكم الشرعي ويسمى الباعث على الحكم<sup>(١٧٣)</sup>

١- العلة من كتابة الدين وردت العلة في كتابة الدين منصوص عليها قال تعالى ( ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ) ان الله تعالى بين أن الكتب مشتملة على فوائد ثلاث:

**الفائدة الأولى:** قوله ذلكم أقسط عند الله اي ذلكم الذي أمرتكم به من الكتب والإشهاد لأهل الرضا ومعنى أقسط عند الله أعدل عند الله،



وإنما كان هذا أعدل عند الله، لأنه إذا كان مكتوباً كان إلى اليقين والصدق أقرب، وعن الجهل والكذب أبعد، فكان أعدل عند الله .

**والفائدة الثانية:** قوله أقوم للشهادة معنى أقوم أبلغ في الاستقامة، التي هي ضد الاعوجاج، وذلك لأن المنتصب القائم، ضد المنحني المعوج.

وانما الكتابة كانت أقوم للشهادة، لأنها سبب للحفظ والذكر، فكانت أقرب إلى الاستقامة، والفرق بين الفائدة الأولى والثانية أن الأولى: تتعلق بتحصيل مرضاة الله تعالى، والثانية: بتحصيل مصلحة الدنيا، وإنما قدمت الأولى على الثانية إشعاراً بأن الدين يجب تقديمه على الدنيا.

**والفائدة الثالثة:** هي قوله وأدنى ألا ترتابوا يعني أقرب إلى زوال الشك والارتياب عن قلوب المتدائنين، والفرق بين الوجهين الأولين، وهذا الثالث الوجهين الأولين يشيران إلى تحصيل المصلحة، فالأول: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدين، والثاني: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدنيا وهذا الثالث: إشارة إلى دفع الضرر عن النفس وعن الغير، أما عن النفس فإنه لا يبقى في الفكر أن هذا الأمر كيف كان، وهذا الذي قلت هل كان صدقاً أو كذباً، وأما دفع الضرر عن الغير فلأن ذلك الغير ربما نسبته إلى الكذب والتقصير فيقع في عقاب الغيبة والبهتان، فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها في القسط، وما أحسن ما فيها من الترتيب<sup>(١٧٤)</sup>.

٢- ورود لفظ الشهداء وهو جمع شهيد أي بصيغة المبالغة وليس باسم الفاعل شاهد

اختيار صيغة المبالغة إيماء إلى طلب من تكررت منه الشهادة فهو عالم بموقعها مقتدر على أدائها وكأن فيه رمزا إلى العدالة لأنه لا يتكرر ذلك من الشخص عند الحكام إلا وهو مقبول عندهم<sup>(١٧٥)</sup>.

٣- العلة من تعدد شهادة النساء قال تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى).

والعلة في تعدد شهادة المرأة بالنسبة للرجل وكأن المراد هنا الإيماء إلى أن كلتا الجملتين علة لمشروعية تعدد المرأة في الشهادة؛ فالمرأة معرضة لتطرق النسيان إليها، وقلة ضبط ما يهم ضبطه، والتعدد مظنة لاختلاف مواد النقص والخلل، فعسى ألا تنسى إحداهما ما نسيته الأخرى. ثم أراد تعليل اعتبار العدد في النساء فقال: أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى أي إنما اعتبر التعدد في شهادة النساء لما عسى أن تضل إحداهما، فتذكر إحداهما الأخرى. والعلة في الحقيقة هي التذكير، ولكن الضلال لما كان سببا في التذكير، وكان الشأن في النساء الغفلة والنسيان، نزل منزلة العلة<sup>(١٧٦)</sup>، كما في قولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه، فإن العلة هي الدفاع، ولما كان مجيء العدو سببا فيه نزل منزلته، فهو علة حذف منها لام التعليل.

ويصح أن يكون مفعولا لأجله. أي إرادة أن تضل إحداهما فتذكر وكأن المراد هنا الإيماء إلى أن كلتا الجملتين علة لمشروعية تعدد المرأة في الشهادة، فالمرأة معرضة لتطرق النسيان إليها وقلة ضبط ما يهم ضبطه، والتعدد مظنة لاختلاف مواد النقص والخلل، فعسى ألا تنسى إحداهما ما نسيته الأخرى، فقوله أن تضل تعليل لعدم الاكتفاء بالواحدة، وقوله: {فتذكر إحداهما الأخرى} تعليل لإشهاد امرأة ثانية حتى لا تبطل شهادة الأولى من أصلها<sup>(١٧٧)</sup>.

قال ابو حيان (ولما أبهم الفاعل في: أن تضل، بقوله: إحداهما، أبهم الفاعل في: فتذكر، بقوله: إحداهما، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال، والإذكار، فلم يرد: بإحداهما، معينة. والمعنى: إن ضلت هذه أذكرتها هذه، وإن ضلت هذه أذكرتها هذه، فدخل الكلام معنى العموم،

وكأنه قيل: من ضل منهما أذكرتها الأخرى، ولو لم يذكر بعد: فتذكر، الفاعل مظهرا للزم أن يكون أضمر المفعول ليكون عائدا على إحداهما الفاعل بتضل، ويتعين أن يكون: الأخرى، هو الفاعل، فكان يكون التركيب: فتذكرها الأخرى. وأما على التركيب القرآني فالمتبادر إلى الذهن أن: إحداهما، فاعل تذكر، والأخرى هو المفعول، ويراد به الضالة، لأن كلا من الإسمين مقصور، فالسابق هو الفاعل، ويجوز أن يكون: إحداهما، مفعولا، والفاعل هو الأخرى لزوال اللبس، إذ معلوم أن المذكرة ليست الناسية، فجاز أن يتقدم المفعول ويتأخر الفاعل، فيكون نحو: كسر العصا موسى، وعلى هذا الوجه يكون قد وضع الظاهر موضع المضمر المفعول، فيتعين إذ ذاك أن يكون الفاعل هو: الأخرى<sup>(١٧٨)</sup>.

وهذا من باب تعليق الحكم على علته بلفظ الفاء وقد تدخل الفاء على العلة والحكم متقدم وقد تدخل الفاء على الحكم والعلة متقدمة مثل قوله تعالى: {وأشهدوا إذا تباعثتم...}.

هذه تضمنت الإشهاد من غير كتب فلا تناقض (في قوله: {فليس عليكم جناح ألا تكتبوها} لأن تلك إنما اقتضت عدم الكتب و(بقي) الإشهاد مطلوبا<sup>(١٧٩)</sup>

٤- الاظهار في مواضع الاضمار وهو ان يأتي مكان الضمير الاسم الظاهر وهو خلاف الأصل لان الأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير لأنه أبين للمعنى وأخصر للفظ ولكن في حالة مجيء الاسم الظاهر تكون هناك فوائد كثيرة، تظهر بحسب السياق منها:

- ١- الحكم على مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر.
- ٢- بيان علة الحكم.
- ٣- عموم الحكم لكل متصف بما يقتضيه الاسم الظاهر.

وقوله تعالى (وليمل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل) ورد الاظهار في موضع الاظمار في موضعين :

**الموضع الاول :** تضمن هذا النص ذكر الذي عليه الحق اول النص ثم ذكر مرة اخرى في اخر النص ولم يقل فان كان سفيهاً او ضعيفاً الى اخره

وهذا الاظهار في موضع الاظمار يدل على الاشعار بمزيد اعتبار وصف الذي عليه الحق <sup>(١٨٠)</sup>.

**الموضع الثاني :** الضمير البارز في قوله: لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه، فائدته تشريك من عليه الحق مع وليه، فإن هذه الصورة تغاير الصورتين الأوليين أي صورة السفيه والضعيف بأن الولي في الصورتين الأوليين هو المسؤول بالأمر المستقل فيه بخلاف هذه الصورة فإن الذي عليه الحق يشارك الولي في العمل فكأنه قيل : ما يستطيعه من العمل فعله ذلك وما لا يستطيعه هو فعلى وليه <sup>(١٨١)</sup>.

ووجه تأكيد الضمير المستتر في فعل يمل بالضمير البارز هو التمهيد لقوله : {فليمل} لئلا يتوهم الناس أن عجزه يسقط عنه واجب الإشهاد عليه بما يستدينه، وكان الأولياء قبل الإسلام وفي صدره كبراء القرابة <sup>(١٨٢)</sup>.

## المبحث السادس

### عوارض الاهلية

معنى الاهلية هي الصلاحية وتقسم الى أهلية الوجوب أي صلاحيته لوجوب الحقوق المشروعة له، وعليه، والثانية أهلية الأداء أي صلاحيته لصدور الفعل منه على وجه يعتد به شرعاً وهي نوعان كاملها بكمال العقل والبدن كالعاقل البالغ وقاصرهما بقصورهما كالصبي العاقل أو

المعتوه أو بقصور أحدهما كالبالغ المعتوه فوجوب الأداء مع الكاملة وصحة الأداء القاصرة (١٨٣).

والعوارض فهي جمع عارض أو عارضة، والعارض في اللغة معناه: السحاب يعترض في الأفق (١٨٤) ومنه قوله تعالى: {فلما رآوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا} (١٨٥).

**العوارض في الاصطلاح :** أحوال تطرأ على الإنسان بعد كمال أهلية الأداء، فتؤثر فيها بإزالتها أو نقصانها، أو تغيير بعض الأحكام بالنسبة لمن العوارض عرضت له من غير تأثير في أهليته (١٨٦) وتقسم الى العارض السماوي: الامر الذي لا دخل لاحد فيه، كالجنون، والعتة، والنسيان، والمرض، والحيض، والموت، ونحو ذلك، العارض الذاتي: ما يطرأ على الانسان من تغيير من ذاته لا من الخارج، كاختيار الاقرار بعد الانكار، والايمان بعد الكفر، ونحو ذلك . العارض الغريب: العارض الخارجي، كالاكراه على البيع، العارض المكتسب: الذي يكون للانسان دخل فيه كزوال العقل بشرب مسكر اختيارا (١٨٧).

قال تعالى: {فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل} .

بينت الآية احكام أحوال ناقصي الأهلية، وقد ذكر سبحانه في هذا النص ثلاثة لا يحسنون الإملاء، وهم:

أولاً: ألسفيه وهو الجاهل بالعقود والتصرفات، أو الذي لا رأي له، أو المبذر المتلاف الذي لا يحسن تدبير أموره وإدارة أمواله وكل هذه معان تدور حول الجهل بالعقود، أو فساد الرأي في التصرفات (١٨٨)

**السفيه معناه في اللغة:** نقص في العقل، وأصله الخفة. وفي الاصطلاح: خفة تعتري الإنسان فتبعثه على التصرف في ماله بخلاف مقتضى العقل، مع عدم الاختلال في العقل (١٨٩).

وإنما كان السفه من العوارض المكتسبة، ولم يكن من العوارض السماوية؛ لأن السفه باختياره يعمل على خلاف مقتضى العقل مع بقاء العقل. ويكون بتبذير المال عادة والسفه لا يؤثر في الأهلية بقسميها، ولا ينافي شيئاً من الأحكام الشرعية، فالسفه يتوجه إليه الخطاب بحقوق الله وحقوق العباد، إلا أن الشريعة راعت ما فيه المصلحة، فقررت أن يمنع السفه من حرية التصرف في ماله صيانة له، ومعنى السفه في آية .

**وثانياً: الضعيف وهو الصبي والشيخ الهرم.**

**ثالثاً: من لا يستطيع، وهو معقود اللسان، أو من لا خبرة له بهذه العقود.**

**والولي: هو النصير الموالي ذو الصلة بمن عليه الحق الذي يهمله أمره، ويهمه ألا يضيع حقه، سواء أكان النصير ولياً بالمعنى الشرعي، أو قيماً أقامه القاضي المختص، أم كان وكيلاً أقامه صاحب الشأن معبراً عن إرادته مصوراً لما يعتزم عليه.**

وذكرت كلمة العدل في هذا المقام، للإشارة إلى أن ذلك الولي عليه العدل، ويجب أن يلاحظه من ثلاث نواح: من ناحية صاحب الحق، فلا يبخسه ولا ينقصه، ومن ناحية من عليه الحق الذي يتكلم باسمه ويملي عنه، ولأنه ناقص الأهلية لسبب من الأسباب المذكورة. والسفه نقصان العقل. والضعف يشمل المرض والصغر. وعدم الاستطاعة على الإملاء لمرض في نطقه. في هذه الأحوال يتولى الولي الإملاء لصيغة العقد.

**الحجر على السفه الحجر: هو منع الإنسان من تصرفه في ماله لسبب شرعي ويقسم الى قسمين:**

**الأول: حجر لحظ النفس: كالحجر على الصغير والسفيه، والمبذر، والمجنون، من أجل حفظ ماله.**

**الثاني: حجر لحظ الغير: كالحجر على المفلس من أجل حظ الغرماء، وكالحجر على مريض مرض الموت لحظ الورثة (١٩٠).**

### واستدل بالآية على حكم الحجر على السفية

ذهب جمهور العلماء و أبو يوسف ومحمد<sup>(١٩١)</sup> الى مشروعية الحجر على السفية الا ان ابا يوسف ومحمد قالوا إن الحجر عليه على سبيل النظر له وقال الشافعي على سبيل الزجر، والعقوبة له ويتبين هذا الخلاف بينهم فيما إذا كان مفسداً في دينه مصلحاً في ماله كالفاسق فعند الشافعي رحمه الله يحجر عليه بهذا النوع من الفساد بطريق الزجر والعقوبة ولهذا لم يجعل الفاسق أهلاً للولاية وعندهما لا يحجر عليه<sup>(١٩٢)</sup> ودليل ابي يوسف ومحمد قوله تعالى : {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم} إلى أن قال: {واكسوهم}<sup>(١٩٣)</sup> وهذا تنصيب على إثبات الحجر عليه بطريق النظر له فإن الولي الذي يباشر التصرف في ماله على وجه النظر منه له ومن ادلته ايضاً آية المداينة نص على إثبات الولاية على السفية وذلك لا يتصور إلا بعد الحجر عليه .

ووجه الاستدلال أنه جعل عبارة السفية كعبارة من لا يستطيع التعبير وجعل عبارة وليه تقوم مقام عبارته وأوجب الولاية عليه، وهذه هي أمارات الحجر .

قول الله - تبارك وتعالى - {وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم}<sup>(١٩٤)</sup> فأمر - عز وجل - أن يدفع إليهم أموالهم إذا جمعوا بلوغاً ورشداً قال وإذا أمر بدفع أموالهم إليهم إذا جمعوا أمرين كان في ذلك دلالة على أنهم إن كان فيهم أحد الأمرين دون الآخر لم يدفع إليهم أموالهم وإذا لم يدفع إليهم فذلك الحجر عليهم كما كانوا لو أنس منهم رشداً قبل البلوغ لم يدفع إليهم أموالهم فكذلك لو بلغوا، ولم يؤنس منهم رشداً لم تدفع إليهم أموالهم ويثبت عليهم الحجر كما كان قبل البلوغ وهكذا<sup>(١٩٥)</sup>.

ودلالة النص بالآية بأن السفية مبذر في ماله فيحجر عليه نظرا له كالصبي بل أولى؛ لأن الصبي إنما يحجر عليه لتوهم التبذير وهو متحقق هاهنا فلأن يكون محجورا عليه كان أولى.

وذهب أبو حنيفة إلى أن السفية لا يدفع ماله إليه قبل خمس وعشرين سنة، وإن تصرف نفذ تصرفه، فإذا بلغ خمسا وعشرين سنة، فك عنه الحجر.<sup>(١٩٦)</sup> واستدل بقول الله تعالى: {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده}<sup>(١٩٧)</sup> وهذا قد بلغ أشده، ويصلح أن يكون جدا، ولأنه حر بالغ عاقل مكلف، فلا يحجر عليه كالرشيد والذي يبدو رجحان قول الجمهور لما تقدم ولحديث ابن عمر أن حبان بن منقذ كان شج في رأسه مامومة فنقل لسانه فكان يخدع في البيع فجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابتاع من شيء فهو فيه بالخيار ثلاثا وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل لا خلافة"<sup>(١٩٨)</sup>

ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل له الخيار فيما يبتاعه ثلاثة أيام ليعتبر بيعه فيمضي أو يرد وروى عن أنس أن رجلا كان في عقله ضعف وكان يبتاع وأن أهله أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله احجر عليه فدعاه نبي الله صلى الله عليه وسلم ونهاه فقال: يا نبي الله أنى لا أصبر عن البيع فقال: "إذا بايعت فقل: لا خلافة"<sup>١٩٩</sup> ففيه ما دل على الحجر إذ لم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله ما سألوه من الحجر عليه وأمره بمثل ما في حديث ابن عمر في قصته والله تعالى اعلم



## النتائج

ان مباحث الكتاب وطرق الاستنباط من اعظم السبل التي يمكن ان يتوصل بها الى معرفة الحكم الشرعي قد تضمنت اية المداينة احكاما شرعية عظيمة تتعلق بالمعاملات .

أ- وجدت قرائن صرفت صيغ الامر من الوجوب الى النذب وصيغ النهي من التحريم الى الكراهة والقرائن منها نقلية كالكتاب والسنة ومنها مراعاة مقاصد الشريعة وغيرها .  
ب- دلت بعض صيغ العموم على احكام شرعية اختلفت اراء العلماء في دخولها ضمن العموم كالبيع بالاجل مع زيادة الثمن وغيرها.  
ج- وردت بعض طرق التخصيص كالاستثناء المنقطع والتخصيص بالصفة وافادت حكما شرعيا .

د- تضمنت اية الدين الفاظا من المشترك اللفظي واختلفت اراء العلماء في حمله وامكانية حمله على جميع معانيه على ما اخترنا .  
هـ- حمل ما اطلق في الاية على ما ورد بعده بنفس الاية مقيدا تنوعت في اية الدين كيفية دلالة الالفاظ على الاحكام من عبارة نص واشارة نص ومفهوم مخالفة واقسامه كالعدد والحصر .

و- هنالك في الاية العظيمة حروف معان كالفاء الرابطة التي افادت السببية والكاف التي افادت التشبيهية او التعليل وحرف (او) الذي افاد التقسيم والباء وغيرها افادت حكما جليلا ضمناه في البحث .

ز- عند تدبر اية المداينة توصلنا الى العلة التي شرع فيها حكم كتابة الدين والاشهاد عليه وسبب تعدد النساء في الشهادة ،ومواضع اظهر فيها ما كان مضمرا

ح- كما وتوصلنا الى ما تضمنته الاية الكريمة من عوارض الاهلية ومسالة الحجر على السفية واختلاف العلماء فيها ورجحنا قول الجمهور بجواز الحجر عليه والله تعالى اعلم .

## الهوامش

- (١) سورة النساء الآية ٨٢
- (٢) لسان العرب مادة حكم (١٤٣/١٢)، المصباح المنير (١٤٥/١) .
- (٣) شرح روضة الناظر (٢٤٧/١)، و ينظر المحصول للرازي (٨٩/١)، احكام الامدي (١٣٥/١)، شرح تنقيح الفصول (٦٧/١)، حاشية العطار على جمع الجوامع (١١٧/١) .
- (٤) اصول السرخسي (١١/١)، شرح التلويح على التوضيح (٢٨٢/١) .
- (٥) معجم مقاييس اللغة (١٧٠/١) .
- (٦) المحصول للرازي (١٧/٢)، روضة الناظر (٥٤٢/١)، الاحكام الامدي (١٤٠/٢)، كشف الاسرار للبخاري (١٠١/١)، قواعد الاصول ومعاهد الفصول ١٤، تهذيب الوصول الى علم الاصول ٩٣
- (٧) من الاصوليين من اشترط الاستعلاء كالفخر الرازي والامدي وابن الحاجب والباجي. وابن قدامة وقيل يشترط فيه العلو فقط، وهو قول المعتزلة وأبي اسحق الشيرازي، وابن الصباغ والسمعاني، وقيل يشترط فيه العلو والاستعلاء معا وهو قول القشيري والقاضي عبد الوهاب، وقيل لا يشترط فيه علو ولا استعلاء فيصح من المساوي والا دون على غير وجه الاستعلاء. وهو مذهب المتكلمين واختاره غير واحد من متأخري الأصوليين. ينظر المصادر السابقة وايضا البحر المحيط (٨٤/٢)، زبدة الاصول للبهائي العملي (١١٣)، اجابة السائل شرح بغية الامل ٢٧٥، اصول الفقه محمد رضا المظفر (١٠٨/١)، المذكرة في اصول الفقه ٢٢٥
- (٨) احكام الفصول ٢٠٤، التبصرة ٢٧، العدة في اصول الفقه للطوسي (١٧٠/١)، قواطع الادلة (٥٤/١)، الابهاج (٢٦/٢)، تهذيب الوصول الى علم الاصول ٩٦، اصول الفقه محمد رضا المظفر (١٠٨/١) .
- (٩) تيسير علم اصول الفقه ٢٤٦ وانما ذكرنا القرينة لاننا سنرجع اليها في حمل صيغ الامر الواردة في الآية
- (١٠) البحر المحيط في التفسير (٣٦٠/٢)
- (١١) ذكرت حكم الكتابة والاشهاد معا لان اوجة الدلالة من النصوص الواردة في ادلة العلماء متشابهة فجمعتهم خشية التكرار وكما قال القرطبي (ويقال : أمر

- بالكتابة ولكن المراد الكتابة والإشهاد، لأن الكتابة بغير شهود لا تكون حجة)الجامع لاحكام القران (٣/٣٨٢)٠
- (١٢) تفسير الطبري(٥٣/٦)،المحلى بالآثار (٦/ ٣٥١) احكام القران للجصاص (٥٧٢/١) ، التبيان في تفسير القران للطوسي (٢/٣٧١)المحرر الوجيز (١/٣٧٧)،احكام القران للكميا الهراسي (١/٣٦٤) ،التحرير والتنوير (٣/١٠٠)٠
- (١٣) الجامع الاحكام القران (٣/٤٠٤)،اضواء البيان(١/١٨٧)٠
- (١٤) المستدرک على الصحيحين وقال الحاكم على شرط الصحيحين ووافقه الذهبي (٢/٣٦٠)، السنن الكبرى للبيهقي (١٠/١٤٦)شرح معاني الآثار (٦/ ٣٥٧)٠
- (١٥) ينظر احكام القران للجصاص (٢/٢٠٦)٠
- (١٦) بسند الثوري عن الليث عن مجاهد عن ان ابن عمر كان يفعل ذلك تفسير الثوري ٧٣، المحلى (٧/٢٢٦)٠
- (١٧) ينظر شرح تنقيح الفصول (١/ ٤٤٥)،كشف الاسرار (٣/ ٣٢٣)،شرح التلويح على التوضيح (٢/ ٣٦)،اجابة السائل (١٥٣)،ارشاد الفحول (٢/ ١٨٧)،حاشية العطار على جمع الجوامع (٢/٣٩٦)٠
- (١٨) المحلى بالآثار (٧/٢٢٩)
- (١٩) احكام القران للجصاص (٢/٢٠٦)، التبيان في تفسير القران للطوسي (٢/٣٧١)،الحاوي الكبير (٥/١٧)،المحرر الوجيز (١/٣٧٧)، المجموع شرح المذهب (١٣/٩٩)،المغني (٤/٣٠٢)،فقه القران للراوندي ٣٧٩
- (٢٠) الابهاج شرح المنهاج (٢/١٨)،نهاية السؤل شرح منهاج الاصول (١/١٦١)
- (٢١) سورة البقرة جزء من الاية ٢٨٢
- (٢٢) الام (٤/١٨١)
- (٢٣) صحيح البخاري برقم ٢٥٠٩،صحيح مسلم برقم ١٦٠٣.
- (٢٤) ينظر مسند احمد (٥/٢١٥)،مسند ابن ابي شيبة (١/٣٧)،سنن النسائي(٧/٣٤٧)،معجم الكبير الطبراني (٤/ ٨٧)،مستدرک على الصحيحين (٢/ ٢٣)،السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٤٦) قال الارناؤط على تعليقه على مسند احمد(إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمارة فمن رجال السنن وهو ثقة)مسند احمد (٥/٢١٥).

- (٢٥) مسند ابن ابي شيبة (٣٢٢/٢)، سنن الدارقطني (٤٤/٣)، مستدرک الحاكم (٧١٨/٢) وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح .
- (٢٦) ينظر مسند الشافعي (٢/ ١٥٩)، السنن الكبرى للبيهقي (١١١/٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٢٢٠/٦)
- (٢٧) احكام القرآن للجصاص (٢٠٦/٢)
- (٢٨) التبيان في تفسير القرآن (٣٧١/٢)
- (٢٩) سورة الحج الاية ٧٥
- (٣٠) المحرر الوجيز (٣٨٤/١)
- (٣١) ما نقل إلينا من أحكام تلك الشرائع التي كانوا مكلفين بها على أنها شرع لله تعالى وهو حجة عند الجمهور ينظر العدة ابي يعلى (٣٩٢/٢)، التبصرة للشيرازي (٢٨٥/١).
- (٣٢) صحيح البخاري برقم ٢٢٩١ (١٢٤/٣) ومن يتأمل هذه الرواية يجد عظمة القيم والاخلاق من الايفاء بالعهد وحفظ للناس حقوقهم التي دعا اليها الاسلام .
- (٣٣) سورة البقرة: الاية ٢٨٢
- (٣٤) سورة البقرة الاية ٢٨٣
- (٣٥) المائدة جزء من الاية ٦
- (٣٦) المائدة جزء من الاية ٦
- (٣٧) النساء جزء من الاية ٩٢
- (٣٨) النساء جزء من الاية ٩٢
- (٣٩) تفسير الطبري (٥٤/٦)، اضواء البيان للشنقيطي (١٨٦/١)
- (٤٠) ينظر ترتيب القاموس المحيط ٤/٤٥٤، ومختار الصحاح للرازي ص: ٨٣، ومقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٩/٥
- (٤١) سورة طه الاية ٥٤
- (٤٢) وقد عبر بعض الاصوليين استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه فعبّر عن الاستعلاء بمن هو دونه ينظر المع ٢٤، كشف الاسرار (٣٧٦/٢)، شرح النلوح على التوضيح (٤١٤/١)
- (٤٣) ينظر التبصرة (٩٩/١)، المحصول ابن العربي ٦٩،
- (٤٤) فتوح الغيب (٥٥٦/٢).

- (٤٥) ينظر البلاغة العالية لاية المداينة ٦٣.
- (٤٦) ينظر مذاهب العلماء المحلي بالاثار (٢٢٥/٧)، المحرر الوجيز (٣٧٧/١)، احكام القرآن ابن العربي (٣٢٩/١)، الجامع الاحكام القرآن (٣٨٥/٣)، التفسير الكبير للرازي (٩٣/٧)، تفسير ابن كثير (٥٦١/١).
- (٤٧) تفسير الطبري (٥٣/٦)
- (٤٨) احكام القرآن للشافعي (١٤٠/٢)، مصنف عبد الرزاق (٣٦٥/٨)، روح المعاني (٥٦/٢)
- (٤٩) الام للشافعي (١٨٢/٤) ينظر في ذلك ايضاً معالم التاويل الامام الرازي (٩٦/٧)
- (٥٠) التحرير والتنوير (١٠١/٣)
- (٥١) مصنف عبد الرزاق ونقل ذلك عن الحسن وطاوس (٣٦٥/٨) احكام القرآن للكنيا هراس (٢٤٠/١)
- (٥٢) سورة البقرة جزء من الاية ٢٨٢
- (٥٣) رواه ابن ماجه ٢٦٥ برقم (٩٧/١) ورواه أحمد في المسند قال عنه شعيب الأرئوط : صحيح وهذا إسناد ضعيف (اي اسناد احمد) لتدليس الحجاج بن أرطاة لكنه متابع (٤٩٩/٢)، مصنف ابن ابي شيبة (٥٥/٩)، مستدرک الحاكم ٣٤٦ (١٨٢/١) وقال الذهبي على شرطهما وليس له علة
- (٥٤) سنن الترمذي برقم ٢٢٩٧
- (٥٥) سورة التوبة الاية ٦٠
- (٥٦) الجامع لاحكام القرآن (٣٩٩/٣)
- (٥٧) لطائف التفسير (٢٠٤ / ١٠)
- (٥٨) احكام القرآن للجصاص (٢٠٩/٢)
- (٥٩) صحيح البخاري ٧٢٨٨ وفي لفظ مسلم (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) (صحيح مسلم ١٣٣٧) (٩٧٥/٢)
- (٦٠) سورة النساء جزء من الاية ١٤٢
- (٦١) التحرير والتنوير (١١٤/٣)
- (٦٢) مختار الصحاح ٤٦٧، المصباح المنير (٤٣٠/٢)
- (٦٣) تيسير علم اصول الفقه (٢٦٢/١) وينظر المحصول (٣٠٩/٢)، الاحكام الامدي (١٩٦/٢)، تهذيب الوصول ١٢٧، البحر المحيط (١٧٩/٢)،

(٦٤) البرهان في اصول الفقه (١/ ١١٩)، التمهيد في تخريج الفروع على الاصول (١/ ٣٢٤)

(٦٥) السلم أو السلف: بيع أجل بعاجل، أو بيع شيء موصوف في الذمة أي أنه يتقدم فيه رأس المال، ويتأخر المثلث لأجل، ينظر الفقه الاسلامي (٥/ ٣٦٠٣) وسمي سلماً لتسليم رأس المال في المجلس وسلفاً لتقديمه إن القرض والسلف كلمتان مترادفتان ؛ فكما أن القرض يرد فيه المقترض بدل ما أخذ من المقرض ؛ فكذلك السلف. أما الدين فهو عام ؛ حيث إنه يطلق على القرض، والسلم، وبيع الأعيان إلى أجل. فهو عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً، والآخر نسيئة. فإن العين عند العرب ما كان حاضراً والدين ينظر الفقه الاسلامي (٥/ ٣٦٠٣)

(٦٦) مسند الشافعي ١٤٣٧، مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٦)، مستدرک الحاكم وقال على شرط الصحيحين ولم يخرجاه (٢/ ٣٤٢)، السنن الصغرى للبيهقي (٥/ ٢٣٦) (٦٧) الام للشافعي (٣/ ٩٤)، العناية شرح الهداية (٧/ ٧٠)، المحرر الوجيز (١/ ٣٧٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٣٩)، جامع البيان ٤٣/٦، الكشف والبيان (٢/ ٢٩٠)، التفسير الوسيط ٤٠١/١، معالم التنزيل ٣٩٢/١، نيل الاوطار ١٨١/٥ (٦٨) المبسوط (٤/ ١٤)، التاج والإكليل شرح مختصر الخليل (٦/ ٤١٤)، المجموع شرح المذهب (٩/ ٤٠٠)

(٦٩) مسند احمد وقال شعيب الارناؤوط في تعليقه على المسند اسناده على شرط البخاري (٦/ ١٤٧)، سنن الترمذي (٣/ ٥١٠)، مستدرک الحاكم وقال الامام الذهبي على شرط البخاري ينظر (٢/ ٢٨)

(٧٠) سنن الترمذي (٣/ ٥٠٩)

(٧١) صحيح البخاري برقم ٢١٨٦ (٣/ ٩٥)، صحيح مسلم برقم ١٥٠٤ (٢/ ١١٤٢)

(٧٢) نيل الاوطار (٥/ ١٨١)

(٧٣) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٠)، سنن أبي داود (٣/ ٢٧٤)، صحيح ابن حبان (١١/ ٣٤٨)، مستدرک الحاكم وقال الذهبي على شرط مسلم (٢/ ٥٢)

(٧٤) سنن الترمذي (٢/ ٥٢٤)

(٧٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٩/ ٢٤٧)

(٧٦) نهاية السؤل ١٨٨، شرح التلويح على التوضيح (١/ ٩٧)، التحبير شرح التحرير (٢/ ٧١٠)

(٧٧) بدائع الصنائع (٢٨٠/٦)، الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة (١٣٣/١)

(٧٨) ذهب جمهور العلماء عدم قبول شهادة النساء في الحدود والقصاص ينظر بداية المجتهد (٢٤٨/٤) المجموع (٢٥٩/٢٠)، تبين الحقائق (٢٠٨/٤) حديث الزهري مضت السنة من لدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخليفين من بعده أن لا شهادة للنساء في الحدود، والقصاص، وذهب ابن حزم الى عدم التخصيص الا في الحدود وقال (: فالواجب أن يحكم بذلك في الدماء والقصاص، والنكاح، والطلاق، والرجعة، والأموال، حاشا الحدود؛ لأن ذلك عموم الأخبار المذكورة، ولم يأت في شيء من الأخبار منع من ذلك) (المحلى (٤٩٠/٨)).

(٧٩) بدائع الصنائع (٢٨٠/٦)

(٨٠) الذخيرة (٢٥٥/١٠)، الحاوي الكبير (٧/١٧)، المجموع (٢٥٥/٢٠)

(٨١) صحيح ابن حبان (٣٨٦/٩)، معجم الطبراني الاوسط (٣٦٣/٥)، سنن الدارقطني (٣/٢٢١)، السنن الكبرى للبيهقي (٧/١٢٤)

(٨٢) كشف الاسرار (٥٤٠/٢)، بيان المختصر (٢٣٢/٢) نهاية السؤل (١/١٨٨)،

(٨٣) ينظر المبسوط (٢٧٣/٣٠) الحاوي الكبير (١٠٥/١٧) الذخيرة (١٠/٢٢٤)

(٨٤) ينظر لاثار الابي يوسف (١/١٦٦)، الحاوي الكبير (١٠٥/١٧) ومن تاويل ذلك قد نقل عن عكرمة أن المراد من قوله عز وجل {أو آخران من غيركم} أي من غير قبيلتكم وهذا لأن العداوة بين القبائل في الجاهلية كانت ظاهرة فبين الله تعالى أنه لا معتبر بها بعد الاسلام المبسوط (٢٧٣/٣٠) نوقش

(٨٥) سورة المائدة جزء من الآية ٦٦

(٨٦) الفروق (١٧٩/٤)، فتح القدير (٤١٧/٧)

(٨٧) المحلى بالاثار (٤٩٦/٨) المغني (١٧٠/١٤) القرطبي (٢٥٠/٦)

(٨٨) سورة المائدة الآية ١٠٦

(٨٩) الجامع لاحكام القرآن (٢٥٠/٦)، ينظر ايضا اعلام الموقعين عن رب العالمين (٩٢/١)

(٩٠) سنن الدارقطني (١٦٦/٤)، مستدرک الحاكم وقال الذهبي على شرط البخاري ومسلم (٣٤٣/٢)

(٩١) بيان المختصر (٢٣٦/٢)

- (٩٢) الصحاح تاج اللغة (٢٢٩٤/٦)، المصباح المنير (٨٥/١)
- (٩٣) البحر المحيط (٤٢١/٢)، حاشية العطار على جمع الجوامع (٤١ / ٢)
- (٩٤) ارشاد الفحول (٣٥٩/١)
- (٩٥) ينظر الاحكام لابن حزم (١١/٤)، الضروري في اصول الفقه ١١٤، التمهيد ٣٩١، التلويح شرح التوضيح (٥٦/٢)، التحبير شرح التحرير (٢٥٥٤/٦)، ارشاد الفحول (٣٦١/١)، حاشية العطار على جمع الجوامع (٤٤/٢)
- (٩٦) المذكرة في اصول الفقه (٢٧١/١)
- (٩٧) مفاتيح الغيب (٩٨/٧)
- (٩٨) اجابة السائل شرح بغية الامل ٣٢٢، المذهب (١٦٥٩/٤)
- (٩٩) البحر المحيط (٤٧٨/٢)
- (١٠٠) المبسوط (٦٩/٢٢)، وينظر المجموع (١٠٤/١٣)
- (١٠١) الابهاج (٢٤٨/١)، البحر المحيط (٤٨٨/١)
- (١٠٢) التلخيص في اصول الفقه للجويني (٢٣١/١)، الفروق للقرافي (١٧٧/١)، الابهاج (٢٥٥/١)، التمهيد الاسنوي (١٤٦/١)، نهاية السؤل (١١٧/١)، ارشاد الفحول (٦٠/١)
- (١٠٣) تخريج الفروع على الاصول الزنجاني (٣٤١/١)، كشف الاسرار (٦٣/١)، بيان المختصر (١٦٣/٢)، شرح التلويح (١٢٥/١)
- (١٠٤) الموافقات (٢٠١/٥)
- (١٠٥) ينظر الفصول في الاصول (٩٥/٢)، الانصاف في التنبيه على اسباب التي اوجبت الخلاف (٥٤/١)، الكشف (٣٥٤/١)، المحرر الوجيز (٣٨٣/١)، مفاتيح الغيب للرازي (٩٩/٧) تفسير القرطبي (٤٠٥/٣)
- (١٠٦) ينظر الحجة للقراء السبعة (٣٣٤/٢)، تفسير الطبري (٨٧/٦)، (التبيان في تفسير القرآن (٣٧٦/٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٩٢٤/١)
- (١٠٧) ينظر الحجة للقراء السبعة (٣٣٤/٢)، تفسير السمعاني (٢٨٦ / ١)
- (١٠٨) سورة البقرة الاية ٢٨٣
- (١٠٩) ينظر معاني القرآن واعرابه للزجاج (٢٦٦/٠١)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٥٦٤/٣)
- (١١٠) الهداية الى بلوغ النهاية (٩٢٥/١)



- (١١١) اختلف الاصوليون في اقل الجمع ذهب المالكية وبعض الشافعية كالغزالي وداود الظاهري ان اقله اثنان وذهب الجمهور ان اقله ثلاثة،، وناقشوا ارباب القول الاول بتاويل اغلب ما استدلووا به ينظر الاحكام في اصول الاحكام ابن حزم (٢/٤)، احكام الفصول (٢٥٥)، المستصفى (١/ ٢٤٤)، المحصول للرازي (٢/ ٣٧٠)، شرح تنقيح الفصول (١/ ٢٣٣)، كشف الاسرار للبخاري (٢/ ٤٠)
- (١١٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٨٣)
- (١١٣) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ٩٩)
- (١١٤) تفسير ابن عرفة (٢/ ٧٩٣)
- (١١٥) لمسات بيانية في نصوص التنزيل (١/ ٣٩١)
- (١١٦) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٠) وينظر ايضا مختار الصحاح ١٩٢
- (١١٧) روضة الناظر (٢/ ١٠١) وعرف ايضا بما دل على شائع في جنسه احكام الامدي (٣/ ٦)، بيان المختصر (٢/ ٣٤٨)، كشف الاسرار (٢/ ٤١٧)، اصول الفقه محمد رضا المظفر (١/ ٢٢٤).
- (١١٨) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤) دار الفكر
- (١١٩) روضة الناضر (٢/ ١٠٢)
- (١٢٠) النساء اية ٩٢
- (١٢١) الحاوي الكبير (١٦/ ٦٥)، روضة الناضر (٢/ ١٠٥)، شرح تنقيح الفصول (١/ ٢٦٨)، كشف الاسرار (٢/ ٢٢٨).
- (١٢٢) سورة البقرة الاية ٢٨٢
- (١٢٣) احكام القرآن ابن العربي (١/ ٣٣٦)
- (١٢٤) المبسوط (١٦/ ٢٥١)، بداية المجتهد (٤/ ٢٤٥)، الحاوي الكبير (١٧/ ١٤٨)، المغني (١٤/ ١٤٧)
- (١٢٥) الصحاح تاج اللغة (١/ ١٥٤٣)
- (١٢٦) التوقيف في مهام التعاريف ٢٦٠
- (١٢٧) سورة الحجرات الاية ٦
- (١٢٨) ينظر كشف الاسرار (١/ ١٠٦)، التوضيح لمتن التنقيح (١/ ٢٤٣)
- (١٢٩) احكام القرآن الكيا هراس (١/ ٢٤١)

- (١٣٠) سنن الدارقطني (٣/ ١١٠)، السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٢٣) قال القسطلاني وإسناده حسن ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤/ ٤٠٤)
- (١٣١) سورة البقرة جزء من آية ٢٢٨
- (١٣٢) اصول البزدوي (١/ ١١)، كشف الاسرار (١/ ١٠٨)
- (١٣٣) المحرر الوجيز (١/ ٣٧٧)، جامع الاحكام القران (٣/ ٣٨٤)
- (١٣٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب المشهور بحاشية الطيبي على الكشف (٥٥٥/٣)
- (١٣٥) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ٩٢)
- (١٣٦) البلاغة العالية ٥٦
- (١٣٧) خصائص التعبير القراني وسماته البلاغية (١/ ٢٤٣)
- (١٣٨) ينظر كشف الاسرار (١/ ١١٥)، شرح التلويح على التوضيح (١/ ٢٤٥)
- (١٣٩) سورة الاسراء: الآية ٢٣
- (١٤٠) اختلف العلماء على احدى عشر قولاً ابرزها قوله تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم}، {ولسوف يعطيك ربك فترضى}، {إن الله لا يغفر أن يشرك به}، {ولا يأتى أولو الفضل منكم والسعة} إلى قوله: {ألا تحبون أن يغفر الله لكم}، ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب} البحر المحيط في التفسير (٦/ ٢١١)، تفسير اللباب (٦/ ٤١٥)، روح المعاني (٣٠/ ١٦٠)
- (١٤١) اضواء البيان (٥/ ٤٨٩)
- (١٤٢) وعبر بعض الاصوليين اثبات نقيض المنطوق للمسكوت ينظر الاحكام في اصول الاحكام الامدي (٣/ ٦٩)، شرح تنقيح الفصول للقرافي (١/ ٥٣)، بيان المختصر (٢/ ٤٤٠).
- (١٤٣) صحيح البخاري برقم ٢٢٣٩، وصحيح مسلم برقم ١٦٠٤
- (١٤٤) صحيح مسلم برقم ١٥١٤
- (١٤٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٧٧)

- (١٤٦) الجامع الاحكام القران للقرطبي (٣/٣٧٨)، المغني (٤/ ٣٥٦) بداية المجتهد (٢/٢٠٣)
- (١٤٧) البنائية (٨/٣٤٤) المجموع (١٣/١٣٦) الانصاف (٥/٩٩) المحلي (٧/٣٦٧)
- (١٤٨) الام (٣/٩٦)
- (١٤٩) الام (٧/٤٧٦)، المجموع شرح المذهب (١٣/١٠٢)، البنائية (٩/١٣٦)، الانصاف (١٢/٣٧)، المحلي (٨/٥١٥)
- (١٥٠) ينظر مسند احمد برقم ٩٤٠ (١/١١٦)، سنن ابي داود برقم ٤٣٩٨ (٤/١٣٩)، سنن الترمذي برقم ١٤٢٣ (٣/ ٨٤)، سنن النسائي برقم ٣٤٣٢ (٦/٣٤٣٢)، أخرجه ابن ماجه ٢٠٤١ (١ / ٦٥٨) والحاكم ٩٤٩ (١ / ٣٨٩) وصححه ووافقه الذهبي.
- (١٥١) تفسير ابن ابي حاتم (٢/٥٦١) (المستدرک ٤/٩٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
- (١٥٢) المدونة (٤/٢٦)، البيان والتحصيل (٩/٤٧٦) الانصاف (١٢/٣٧)
- (١٥٣) ينظر البحر المحيط (٣/١٣٩)، فصول البدائع في اصول الشرائع (٢/٢٢٠)، اجابة السائل ٢٥١.
- (١٥٤) فتوح الغيب (٣/٥٥٦)
- (١٥٥) المخصص (٤/٢٢٥)
- (١٥٦) المذهب (٣/١٢٧٩)
- (١٥٧) شرح تنقيح الفصول (١/١٠٦) حاشية العطار على جمع الجوامع (١/٤٤٠)
- (١٥٨) تفسير الرازي (٧/ ٩١)، تفسير اللباب (١/٩٢٨)، جامع لطائف التفسير (١٠/ ١٢٥)
- (١٥٩) الجنى الداني في حروف المعاني ٦٦
- (١٦٠) الجنى الداني ١١٠، جامع لطائف التفسير (١٠/ ١٣٠)
- (١٦١) الجنى الداني ٨٤
- (١٦٢) سورة البقرة الاية ١٣٧
- (١٦٣) سورة القصص الاية ٧٧
- (١٦٤) سورة البقرة الاية ١٩٨

- (١٦٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٣٩)، البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٠)، الدر المصون (٢/ ٦٥٢)
- (١٦٦) ينظر الجنى الداني (٢٢٨)، شرح تنقيح الفصول (١/ ١٠٥) وقال ابو حيان (والذي يظهر تباین هؤلاء الثلاثة) اي ان او للتقسيم، البحر المحيط في التفسير (٢/ ٧٢٦)، وينظر احكام الفصول ١٨٣.
- (١٦٧) مفاتيح الغيب (٧/ ٩٨) لطائف التفسير (١٠/ ١٣٧)
- (١٦٨) تفسير ابن عرفة (٢/ ٧٨٨)
- (١٦٩) روح المعاني (٢/ ٥٩)
- (١٧٠) البحر المحيط في اصول الفقه (٢/ ١٤)
- (١٧١) الدر المصون (٢/ ٦٥١)
- (١٧٢) لسان العرب (١١/ ٤٦٧)، المصباح المنير (٢/ ٤٢٦)
- (١٧٣) اجابة السائل ١٨٣، وينظر في تعريفها البحر المحيط (٤/ ١٠٤)،
- (١٧٤) ينظر تفسير الرازي (٧/ ٩٧)
- (١٧٥) ينظر المحرر الوجيز (١/ ٣٧٨)، روح المعاني (٢/ ٥٧)
- (١٧٦) الكشف عن حقائق التاويل (١/ ٣٥٣)، فتح القدير (١/ ٣٤٦)
- (١٧٧) التحرير والتتوير (٣/ ١١١)، جامع لطائف التفسير (١٠/ ١٧٢)
- (١٧٨) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٦)
- (١٧٩) قواطع الادلة (٢/ ١٣١)
- (١٨٠) فتوح الغيب (٣/ ٥٥٧)
- (١٨١) الميزان (٢/ ٤٣٤)
- (١٨٢) لطائف التفسير (١٠/ ١٣٦)
- (١٨٣) شرح التلويح على التوضيح (٢/ ٣٢١)، فصول البدائع في أصول الشرائع
- (١٨٤) مختار الصحاح (عرض) ٢٠٥
- (١٨٥) سورة الاحقاف الآية ٢٤
- (١٨٦) التقرير والتحبير (٢/ ١٧٢)
- (١٨٧) معجم لغة الفقهاء ٣٠٠
- (١٨٨) ينظر الام (٢/ ٢٢٣) الحاوي الكبير (٦/ ٧٤٩)

- (١٨٩) التقرير والتحبير (٢٠١/٢) وقد ورد كلمة السفية في القرآن لمعان آخر منها البذاء والسب باللسان، وهم لا يختلفون أن من هذه صفته لا يحجر عليه في ماله، والكفر، قال الله عز وجل: [وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء] [البقرة: ١٣] .
- (١٩٠) ينظر مغني المحتاج (٣/ ١٣٠)
- (١٩١) الام (٢/ ٢٦٨)، المحلى بالآثار (٧/ ١٥٢)، المحرر الوجيز (١/ ٣٧٨)، المغني (٦/ ٥٩٦)، الذخيرة (٨/ ٢٤٤)، كشف الاسرار (٤/ ٣٧١)
- (١٩٢) المبسوط (٤/ ٢٩١)
- (١٩٣) سورة النساء الآية ٥
- (١٩٤) سورة النساء الآية ٦
- (١٩٥) الام (٣/ ٣٢٢)
- (١٩٦) المبسوط (٢٤/ ١٥٧)، بدائع الصنائع (٧/ ١٦٩)
- (١٩٧) سورة النساء جزء من الآية ٣٤
- (١٩٨) صحيح البخاري برقم ٢٤٠٧ (٣/ ١٥٧)، صحيح مسلم برقم ١٥٣٣ (٣/ ١١٥٦)
- (١٩٩) مسند احمد (٣/ ٢١٧)

## المصادر

١. الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنة ٧٨٥هـ) المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب دار الكتب العلمية - بيروت عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م
٢. إجابة السائل شرح بغية الآمل المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) المحقق: القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل مؤسسة الرسالة - بيروت ط الأولى، ١٩٨٦
٣. أحكام الفصول أبو الوليد الباجي ٤٧٤ وقدّم له وحققه عبد المجيد تركي دار الاسلامي الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
٤. أحكام القرآن المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف دار إحياء التراث العربي - بيروت تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ
٥. أحكام القرآن المؤلف: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكنية الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ) المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ
٦. الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) دار

- الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ تحقيق: د. سيد الجميلي
٧. الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس دار الآفاق الجديدة، بيروت
٨. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم دار الكتب العلمية - بيروت الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
١١. الأم: محمد بن إدريس الشافعي المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب دار الوفاء المنصورة الأولى ٢٠٠١م
١٢. الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (المتوفى:

- ١٢١هـ) المحقق: د. محمد رضوان الداية دار الفكر - بيروت الثانية، ١٤٠٣
١٣. البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
١٤. البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ
١٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) دار الكتب العلمية الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
١٦. البلاغة العالية في آية المداينة تأليف: د. سعيد جمعة الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر - فرع المنوفية
١٧. البناية شرح الهداية المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
١٨. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الشتاء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: محمد مظهر بقا دار المدني، السعودية الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
١٩. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى:



- ٢٠هـ) حقه: د محمد حجي وآخرون دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٢٠. التبصرة في أصول الفقه المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) (المحقق: د. محمد حسن هيتو دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى، ١٤٠٣
٢١. التبيان في تفسير القرآن المؤلف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير العاملي دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ . ق
٢٢. التعبير شرح التحرير في أصول الفقه المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ) (المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح مكتبة الرشد - السعودية / الرياض الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٢٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ
٢٤. تخريج الفروع على الأصول المؤلف: محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار، أبو المناقب شهاب الدين الزنجاني (المتوفى: ٦٥٦هـ) (المحقق: د. محمد أديب صالح مؤسسة الرسالة - بيروت الثانية، ١٣٩٨
٢٥. التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) (المحقق:

- الدكتور عبد الله الخالدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت  
الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
٢٦. تفسير الإمام ابن عرفة المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي  
التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣ هـ) المحقق: د. حسن  
المناعي مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس الأولى، ١٩٨٦ م
٢٧. تفسير الثوري المؤلف: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق  
الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت -  
لبنان الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
٢٨. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن  
بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي  
حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب مكتبة نزار  
مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الثالثة - ١٤١٩ هـ
٢٩. تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار  
ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى:  
٤٨٩ هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار  
الوطن، الرياض - السعودية الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٣٠. التقرير والتحبير المؤلف: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد  
بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي  
(المتوفى: ٨٧٩ هـ) دار الفكر بيروت
٣١. التلخيص في أصول الفقه المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف  
بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين  
(المتوفى: ٤٧٨ هـ) المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد  
العمرى دار البشائر الإسلامية - بيروت

٣٢. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ) المحقق: د. محمد حسن هيتو مؤسسة الرسالة - بيروت الأولى، ١٤٠٠
٣٣. تهذيب الوصول الى علم الاصول للعلامة الحلي جمال الدين ابي المنصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ٧٢٦هـ تحقيق السيد محمد حسين الرضواني الكشميري ط ١ ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م
٣٤. التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)
٣٥. تيسير التحرير المؤلف: محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (المتوفى: ٩٧٢هـ) دار الفكر - بيروت
٣٦. تيسير علم أصول الفقه المؤلف: عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٣٧. جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٣٨. الجامع لأحكام القرآن المشهور تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

م

٣٩. جامع لطائف التفسير المؤلف/ عبد الرحمن بن محمد القماش إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية
٤٠. الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
٤١. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود المؤلف : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٥
٤٢. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع المؤلف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار الكتب العلمية
٤٣. الحاوي الكبير - الماوردي المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) دار النشر / دار الفكر - بيروت
٤٤. الحجة للقراء السبعة المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
٤٥. خصائص التعبير القراني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) المؤلف: د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني مكتبة وهبة الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٤٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط دار القلم، دمشق
٤٧. الذخيرة المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة دار الغرب الإسلامي - بيروت الأولى، ١٩٩٤ م
٤٨. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود الناشر: عالم الكتب - لبنان / بيروت الأولى، ١٩٩٩ م - ١٤١٩هـ
٤٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٥٠. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م
٥١. زبدة الأصول الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي الجبعي المشتهر بـ " البهائي " ١٠٣٠هـ تحقيق فارس حسون كريم

٥٢. زهرة التفاسير المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي
٥٣. سنن ابن ماجة للامام: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) كتب حواشيه: محمود خليل مكتبة أبي المعاطي
٥٤. سنن أبي داود للامام: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي الناشر: دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
٥٥. سنن الترمذي وهي الجامع الصحيح سنن الترمذي للامام: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر
٥٦. سنن الدارقطني للامام أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
٥٧. السنن الكبرى: للامام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٥٨. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي للامام: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المحقق: مكتب تحقيق التراث دار المعرفة ببيروت الخامسة ١٤٢٠هـ
٥٩. شرح التلويح على التوضيح لمتن التتقيح في أصول الفقه المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣هـ)

المحقق : زكريا عميرات دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٦٠. شرح تنقيح الفصول المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد شركة الطباعة الفنية المتحدة الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٦١. شرح معاني الآثار المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - عالم الكتب الأولى - ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٦٢. صحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين - بيروت الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٦٣. صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المختصر للامام: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق

٦٤. صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للامام: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى : ٢٦١ هـ المحقق : مجموعة من المحققين دار الجيل - بيروت

٦٥. الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستقصى المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي تصدير: محمد علال سيناصر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الأولى، ١٩٩٤ م
٦٦. العدة في اصول الفقه للطوسي تأليف شيخ الطائفة الإمام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (رحمه الله) ٤٦٠ تحقيق محمد رضا الأنصاري القم عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
٦٧. العدة في أصول الفقه المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م
٦٨. علم أصول الفقه المؤلف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ) الناشر: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر الطبعة: عن الطبعة الثامنة لدار القلم
٦٩. فتح القدير المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ) دار الفكر
٧٠. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشف للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي المتوفى ٧٤٣هـ حقق الجزء عمر حسن القيام المشرف العام د محمد عبد الرحمن سلطان العلماء ط ١٤٣٤ - ٢٠١٣
٧١. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش) المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي



- الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: خليل المنصور دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
٧٢. فصول البدائع في أصول الشرائع المؤلف: محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري (أو الفنري) الرومي (المتوفى: ٨٣٤هـ) المحقق: محمد حسين محمد حسن إسماعيلدار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الأولى، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ
٧٣. قواطع الأدلة في الأصول المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م
٧٤. قواعد الاصول ومعاهد الفصول وهو مختصر كتاب تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل لصفي الدين الحنبلي (ت ٧٣٩)
٧٥. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي
٧٦. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي المؤلف : عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى : ٧٣٠هـ) المحقق : عبد الله محمود محمد عمر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
٧٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي

٧٨. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت الثالثة - ١٤١٤ هـ
٧٩. لمسات بيانية في نصوص التنزيل ا د فاضل السامرائي
٨٠. اللمع في أصول الفقه المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ.
٨١. المبسوط للسرخسي المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٨٢. المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار الفكر
٨٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
٨٤. المحصول المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني الناشر: مؤسسة الرسالة الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٨٥. المحصول في أصول الفقه المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى:

- ٥٤٣هـ)المحقق: حسين علي اليدري - سعيد فودة دار البيارق - عمان الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩
٨٦. المحلى بالآثار المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) دار الفكر - بيروت
٨٧. مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)المحقق: يوسف الشيخ محمدالناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٨٨. المدونة المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)
٨٩. مذكرة في أصول الفقه المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م
٩٠. المستدرك على الصحيحين للإمام: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية - بيروت الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
٩١. المسند الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب بن القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
٩٢. مسند ابن أبي شيبة مسند ابن أبي شيبة المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي

- (المتوفى: ٢٣٥هـ)المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي دار الوطن - الرياض الأولى، ١٩٩٧م
٩٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام: أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني مؤسسة قرطبة - القاهرة الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها
٩٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية - بيروت
٩٥. معاني القرآن واعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) عالم الكتب - بيروت الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٩٦. المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفيدار مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية
٩٧. معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيالناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٩٨. معجم مقاييس اللغة المؤلف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق : عبد السلام محمد هارون اتحاد الكتاب العرب الطبعة : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٩٩. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي(المتوفى: ٦٢٠هـ) دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥

١٠٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت الثالثة - ١٤٢٠ هـ
١٠١. المذهب في علم أصول الفقه المقارن (تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية) المؤلف: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة مكتبة الرشد - الرياض الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
١٠٢. الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م
١٠٣. الميزان في تفسير القرآن كتاب علمي فني، فلسفي، أدبي تاريخي، روائي، اجتماعي، حديث يفسر القرآن بالقرآن تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم
١٠٤. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
١٠٥. نيل الأوطار المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابي دار الحديث، مصر الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
١٠٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب

حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي  
المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية  
الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د:  
الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية  
الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى،  
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

١٠٧.

# آيات الاستقامة في الأجزاء الخمس الأواخر من القرآن الكريم

دراسة تحليلية

د. أحمد عبد الكريم عبد الرحمن

الجامعة العراقية - كلية أصول الدين

## ملخص البحث

يتناول البحث أهمية الاستقامة في الاسلام وللمسلم. فالاستقامة: كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد ولهذا فقد اخترت موضوع البحث الموسوم (آيات الاستقامة في الأجزاء الخمس الأواخر من القرآن الكريم: دراسة تحليلية). وكانت الآيات التي تخص الاستقامة في الأجزاء الخمس الأواخر سبع آيات حيث قسمت البحث على ثمانية مباحث وكل مبحث فيه عدة مطالب. منتهياً بالخاتمة التي تضمنت النتائج

## The Verses of Righteousness in the Final Five Parts of the Glorious Quran: (An Analytic Study)

By: Ahmed Abdul-Kareem Abdul-Rahman, Ph.D.  
College of Islamic Sciences/Al-Iraqia University

### Abstract

The paper shows the importance of righteousness in Islam and for the Muslim. Righteousness is a collective word concerned with the whole of religion which means that belief in Allah bases on the fact of honesty and the fulfillment of the covenant.

The verses concerned with righteousness in the last five parts of Al-Quran are seven verses. The paper is divided into eight sections and each section has various demands. It ends with the conclusion which sums up the findings.

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه  
ومن والاه.

وبعد:

إن الثبات على الاستقامة من أهم الأمور، ولا سيما في هذه الأيام  
التي هي أيام الفتن والمحن واتباع الهوى.

حيث اخبر عنها صلوات ربي وسلامه عليه، في الحديث الشريف  
حيث قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً  
ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)  
رواه الامام احمد في مسنده والامام مسلم في صحيحه والترمذي كلهم عن  
ابي هريرة.

بحيث يجب على العبد الصادق مع الله أن يستقيم على دين الله في  
الاقوال والافعال والأحوال.

فهذا ربنا جل في علاه يأمر النبي ﷺ بالاستقامة فقال تعالى في  
محكم التنزيل ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ (١).

وفي صحيح الامام مسلم عن سفيان بن عبد الله (رضي الله عنه)  
قال: قلت (يا رسول الله قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك  
قال: قل آمننت بالله ثم استقم).



وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن).

**فلاستقامة:** كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد ولهذا فقد اخترت موضوع البحث الموسوم (آيات الاستقامة في الأجزاء الخمس الأواخر من القرآن الكريم: دراسة تحليلية). وكانت الآيات التي تخص الاستقامة في الأجزاء الخمس الأواخر سبع آيات حيث قسمت البحث على ثمانية مباحث وكل مبحث فيه عدة مطالب سائلاً المولى جل في علاه ان يتقبله مني انه ولي ذلك والقادر عليه.

### خطة البحث

#### المقدمة

المبحث الاول: تعريف الاستقامة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) الأحقاف آية (١٣).

وفيه ستة مطالب:

المطلب الاول: أسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: معاني ألفاظ الآية.

المطلب الرابع: الاعراب.

المطلب الخامس: القراءات.

المطلب السادس: المعنى العام والاجمالي.

المبحث الثالث: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) الأحقاف آية (٣٠).

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الاول: أسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: معاني ألفاظ الآية.

المطلب الرابع: الاعراب.

المطلب الخامس: بلاغة الآية.

المطلب السادس: القراءات.

المطلب السابع: المعنى العام والإجمالي.

المبحث الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) الفتح آية (١-٢).

وفيه ستة مطالب:

المطلب الاول: أسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: الاعراب.

المطلب الرابع: بلاغة الآية.

المطلب الخامس: القراءات.

المطلب السادس: المعنى العام والإجمالي.

المبحث الخامس: قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ الفتح آية (٢٠).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الاول: أسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: الاعراب.

المطلب الرابع: القراءات.

المطلب الخامس: المعنى العام والإجمالي.

المبحث السادس: قوله تعالى: ﴿أَفَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ الملك آية (٢٢).

وفيه ستة مطالب:

المطلب الاول: اسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: معاني ألفاظ الآية.

المطلب الرابع: الاعراب.

المطلب الخامس: بلاغة الآية.

المطلب السادس: المعنى العام والإجمالي.

المبحث السابع: قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً

غَدَقًا ١٦﴾ الجن آية (١٦). وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

المطلب الثالث: معاني الفاظ الآية.

المطلب الرابع: الاعراب.

المطلب الخامس: القراءات.

المطلب السادس: المعنى العام والإجمالي.

المبحث الثامن: قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩﴾ التكويرة آية (٢٨-٢٩).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسباب النزول.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

المطلب الثالث: الاعراب.

المطلب الرابع: المعنى العام والإجمالي.

## المبحث الأول

### تعريف الاستقامة لغةً واصطلاحاً.

الاستقامة لغةً: الاعتدال. يقال: استقام له الامر. وقوله تعالى ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيَّ﴾ أي في التوجه إليه دون الآلهة.

وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى . والاستقامة : اعتدال الشيء واستواؤه<sup>(٢)</sup>.

اصطلاحاً: القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد. وسئل صديق الامة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عن الاستقامة؟ فقال: ((أن لا تشرك بالله شيئاً)) يريد الاستقامة على محض التوحيد.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ((الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب)).

وقال سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه): ((الاستقامة: إخلاص العمل لله)).

وقال سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وابن عباس (رضي الله عنهما): ((استقاموا: ادوا الفرائض)).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - ((الاستقامة على محبته وعبوديته. فلم يلتفتوا عنه يمناً ولا يسرة<sup>(٣)</sup>)).

## المبحث الثاني

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴾ (٤) ١٣

وفيه ستة مطالب

### المطلب الأول: اسباب النزول.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) نزلت في ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) (٥).

### المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

ان الله تعالى قال في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ

﴾ (٦) ١٢

فان الله تعالى أراد أن يذكر العرب بأن القرآن الكريم هو الأصل الذي تتوجه اليه البشرية. ومن ثم يصور لهم جزاء المحسنين ويفسر لهم هذه البشرى التي يحملها اليهم القرآن الكريم بشرطها وهو الاعتراف بربوبية الله وحده والاستقامة على هذا الاعتقاد ومقتضياته - ثم بعد ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴾ (٧) ١٣

### المطلب الثالث: معاني الفاظ الآية.

#### ١ - الحزن.

الْحُزْنُ وَالْحَزَنُ: نقيض الفرح وهو خلاف السرور.

وقال الأخفش والمثالثان يعتقبان هذا الضرب بإطراد. والجمع أحزانٌ. لا يكسر على غير ذلك. وقال سيبويه: احزنه جعله حزينا. وحزنه جعل فيه حزنا. وعام الحزن العام الذي ماتت فيه السيدة خديجة رضي الله عنها وأبو طالب فسماه النبي ﷺ عام الحزن. وقال الليث: للعرب في الحزن لغتان:

إذا فتحوا ثقلوا. وإذا ضموا خففوا. يقال أصابه حزنٌ شديدٌ وحزنٌ شديد<sup>(٨)</sup>.

## ٢- الخوف: الفرع.

خافه يخافه خوفاً وخيفةً ومخافةً.

قال الليث: خافَ يخافُ خوفاً. وانما صارت الواو الفاء في يخاف لأنه على بناء عَمَلٍ يَعْمَلُ. فاستثقلوا الواو فالقوها.

وفيها ثلاثة اشياء: الحَرْفُ والصرف والصوت. وربما القوا الحرف يصرفها وأبقوا منه الصوت. وقالوا يخاف. وكان حده يَخَوْفَ بالواو منصوبة، فألقوا الواو واعتمد الصوت على حرف الواو، وقالوا خاف وكان حده خَوْفَ بالواو المكسورة، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها التخويف والاختافة والتخوف.

والخوف: القَتْلُ. والخوف. وبه فسر اللحياني قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾<sup>(٩)</sup>.

والخوف: العلم وبه فسر الحيايي أيضاً. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مَّوَصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾<sup>(١٠)</sup>.

والتَّخَوُّفُ: التَّنْقِصُ وفي التَّنْزِيلِ العَزِيزُ ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾<sup>(١١)</sup>.

المطلب الرابع: الإعراب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(١٢)</sup> ١٣

(الفاء) زائدة في خبر ان لمشابهة المفصول -اسم ان- للشرط.

(لا) نافية.

(خوف) مبتدأ مرفوع- معتمد على نفي.

(عليهم) متعلق بمحذوف خبر (الواو) عاطفه (لا) زائدة لتأكيد

النفي.

وجملة: (ان الذين.....) لا محل لها استئنافية.

وجملة: (قالوا.....) لا محل لها صلة الموصول (الذين).

وجملة: (ربنا الله.....) في محل نصب مقول القول.

وجملة: (استقاموا.....) لا محل لها معطوفة على جملة قالوا.

وجملة: (لا خوف عليهم..) في محل رفع خبر ان.

وجملة: (هم يحزنون...) في محل رفع معطوفة على جملة

الخبر.

وجملة: (يحزنون.....) في محل رفع خبر المبتدأ (هم)<sup>(١٣)</sup>.



المطلب الخامس: القراءات

النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
﴿فَلَا خَوْفٌ﴾	١- فلا خَوْفَ	يعقوب.
	٢- فلا خَوْفُ	ابن محيصن.
﴿عَلَيْهِمْ﴾	عليهم	حمزة ويعقوب <sup>(١٤)</sup> .

المطلب السادس: المعنى العام والاجمالي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾<sup>(١٥)</sup> أي جمعوا بين الإيمان والتوحيد والاستقامة على شريعة الله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي فلا يلحقهم مكروه في الآخرة يخافون منه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي ولا هم يحزنون على ما خافوا في الدنيا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٦)</sup> أي أولئك المؤمنون المستقيمون في دينهم هم أهل الجنة ماكثين فيها أبداً ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي نالوا ذلك النعيم جزاءً لهم على أعمالهم الصالحة<sup>(١٧)</sup>. وقد جعل الله تعالى لدخول جنات النعيم، شرطين أساسيين:

١- الأول: الإيمان الصادق بالله ورسوله، وسائر أركان الإيمان.

٢- الثاني: الاستقامة على شريعة الله، وذلك بالاستمسك بالدين القيم، دين الاسلام<sup>(١٨)</sup>.

﴿قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠)

وفيه سبعة مطالب

### المطلب الاول - اسباب النزول

ساق ابن إسحاق -فيما رواه ابن هشام في السيرة- خبر النفر من الجن بعد خروج النبي محمد ﷺ إلى الطائف يلتمس النصره من ثقيف، بعد موت عمه أبي طالب، واشتداد الاذى عليه وعلى المسلمين في مكة، ورد عليه ثقيف رداً قبيحاً، وإغرائهم السفهاء والاطفال به، حتى أدموا قدميه ﷺ بالحجارة. فتوجه إلى ربه بذلك الابتهاال المؤثر العميق: ((اللهم اشكوا إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عاقبتك اوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)) قال: ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين ينس من خبر ثقيف. حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم سبعة من جن نصيبين - فاستمعوا له- فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم قد أمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه ﷺ قال عز وجل ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَيُحَرِّمُونَ عَذَابَ الْإِيمِ﴾ (١٩).

فكان سبب نزول الآية استماع الجن للقرآن وإيمانهم به (٢٠).

## المطلب الثاني - مناسبة الآية لما قبلها وبعدها.

مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما بين أن الإنس مؤمن وكافر وذكر أن الجن منهم مؤمن وكافر وكان ذلك في آخر قصة هود وقومه لما كان عليه قومه من الشدة والقوة، والجن توصف أيضاً بذلك كما قال تعالى ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٣٩) (٢١).

وأن ما اهلك به قوم هود هو الريح وهو من العالم الذي لا يُشاهد وإنما يحس بهوبه، والجن أيضاً من العالم الذي لا يُشاهد. وأن هوداً - عليه السلام - كان من العرب ورسول الله ﷺ من العرب، فهذه تجوز أن تكون مناسبة لهذه الآية بما قبلها.

وفيها توبيخ لقريش وكفار العرب، حين أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به وهم من أهل اللسان الذي انزل به القرآن ومن جنس الرسول الذي أرسل إليهم وهؤلاء جن فليسوا من جنسه وقد أثر بهم سماع القرآن، وآمنوا به وبمن أنزل عليه وعلموا أنه من عند الله، بخلاف قريش وأمثالهم مصرون على الكفر به (٢٢).

## المطلب الثالث - معاني ألفاظ الآية.

١- الحق: نقيض الباطل وجمعه حقوق وحقق، وليس له بناء أدنى عدد. وفي حديث التلبية (لبيك حقاً) أي غير باطل وهو مصدر مؤكد لغيره أي أنه أكد به معنى الزم طاعتك الذي دل عليه لبيك.

وقال ابن إسحاق: الحق امر النبي ﷺ وما أتى به من القرآن وحق الأمر يحق حقاً وحقوقاً: صار حقاً وثبت.

قال الأزهرى: معناه وجب يجب وجوباً. وحق عليه القول وأحَقَّتْهُ أنا، وفي التنزيل: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ (٢٣) أي ثبت. قال الزجاج: هم الجن والشياطين.

والحق من أسماء الله عز وجل، وقيل من صفاته، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده إلهيته.

الحق: ضد الباطل في التنزيل ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ (٢٤).

٢- سمع: السمع حسن الأذن والأذن وما وقر فيها من شيء تسمعه.

والذكر المسموع ويكسر كالسماع ويكون للواحد والجمع إسماع وأسمع.

#### المطلب الرابع - الإعراب -

(وإذا): في موضوع نصب قيل: معنى ((صرفنا)) وقفناهم لذلك قسمي صرفاً ومجازاً.

(فلما قضى): أي فرغ من تلاوته.

(ولوا إلى قومهم منذرين): أي متخوفين من ترك قبول الحق ونصب (منذرين) على الحال.

(قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً) وأجاز سيبويه في بعض اللغات

فتح (أن) بعد القول ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يهدي في موضع نصب، لأنه نعت لكتاب، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، وهو مرفوع لأنه فعل مستقبل.

(يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم) جواب الأمر، وكذا (ويجركم) (٢٥).

(من بعد) متعلق بـ(أنزل)، (لما) متعلق بـ(مصدقاً)، (بين) ظرف منصوب متعلق بمحذوف صلة ما (إلى الحق) متعلق بـ(يهدي) ومثله (إلى طريق) معطوف على الأول.

وجملة: (قالوا...) لا محل لها استئناف بياني.

وجملة: (يا قومنا...) في محل نصب مقول القول.

وجملة: (إنا سمعنا...) لا محل لها جواب النداء.

وجملة: (سمعنا...) في محل رفع خبر إن.

وجملة: (أنزل...) في محل نصب نعت لـ(كتاباً).

وجملة: (يهدي...) في محل نصب حال من (كتاباً) أو نعت ثانٍ (٢٦).

#### المطلب الخامس - بلاغة الآية.

﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) (٢٧).

أي إلى سبيل مطروق قد مرّت عليه الرسل قبله، وأنه ليس ببعد في ذلك كما قال في أول السورة ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢٨).

فاقتضت البلاغة لفظ (الطريق لأنه فعيل) بمعنى (مفعول) أي مطروق، مشّت عليه الرسل والأنبياء قبل، فحقيق على من صدق رسل

الله وآمن بهم، أن يؤمن به ويصدق، فذاك (الطريق) أدخل في باب الدعوى، والتنبيه على تعين أتباعه<sup>(٢٩)</sup>.

والفرق بين (السبل - والطريق) فـ(السبل): أغلب وقوعه في الخبر، ولا يكاد (الطريق) يراد به الخير إلا مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك كقوله تعالى على لسان الجن ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَعِئْنَا كِتَبًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣٠)</sup>.

#### المطلب السادس - القراءات.

النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
﴿مُوسَى﴾	الإمالة	حمزة - الكسائي - وخلف العاشر
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾	بالإدغام	الدوري عن أبي عمرو <sup>(٣١)</sup> .

#### المطلب السابع - المعنى العام والإجمالي.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ أي واذكر يا محمد حين وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجن يستمعون القرآن.

قال البيضاوي: والنفر دون العشرة، وروى أنهم وافوا رسول الله ﷺ بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده القرآن ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ أي فلما حضروا القرآن عند تلاوته قال بعضهم لبعض: اسكتوا لاستماع القرآن.

قال القرطبي: هذا توبيخ لمشركي قريش، أي إن الجن سمعوا القرآن فآمنوا به وعلموا أنه من عند الله تعالى، وأنتم معرضون مصرون

على الكفر ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ أي فلما فرغ من قراءة القرآن رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا.

قال الرازي: وذلك لا يكون إلا بعد إيمانهم، لأنه لا يدعون غيرهم إلى إستماع القرآن والتصديق به إلا وقد آمنوا.

﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَّا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ أي سمعنا كتاباً رائعاً مجيداً منزلاً على رسولٍ من بعد موسى.

قال ابن عباس: إن الجن لم تكن قد سمعت بأمر عيسى -عليه السلام-.

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي مصدقاً لما قبله من التوراة ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي هذا القرآن يرشد إلى الحق المبين، وإلى دين الله القويم ﴿ يَنْقُومَنَّا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ أي أجيبوا محمداً ﷺ فيما يدعوكم إليه من الإيمان، وصدقوا برسالته.

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي يمحي الله عنكم الذنوب والآثام ﴿ وَيُجِزْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي ويخلصكم وينجكم من عذابٍ شديد مؤلم<sup>(٣٢)</sup>.

#### المبحث الرابع

سورة الفتح الاية (١-٢) الجزء (٢٦).

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۚ وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾

وفيه ستة مطالب:

## المطلب الأول - أسباب النزول -

قال الواحدي أخبرنا منصور بن أبي منصور الساماني قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الفامي قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي قال: أخبرنا أبو الأشعث قال: أخبرنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة، عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة، أنزل الله عز وجل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ فقال رسول الله ﷺ: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها.

وقال عطاء ، عن ابن عباس: إن اليهود شمتوا بالنبي ﷺ والمسلمين لما نزل قوله ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ فِي وَلَا يَكْمُرُ ۝٣٣﴾. وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۝٣٤).

## المطلب الثاني - مناسبة الآية لما قبلها وبعدها -

ومناسبتها لما قبلها انه تقدم ﴿وَلَيْتَ تَتَوَكَّلُوا يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۝٣٥﴾. وهو خطاب لكفار قريش أخبر رسوله بالفتح العظيم وانه بهذا الفتح حصل الاستبدال وآمن كل من كان بها وباتت مكة دار الإيمان ولما قفل رسول الله ﷺ من صلح الحديبية، تكلم المنافقون وقالوا: لو كان محمد نبياً ودينه حق ما صد عن البيت فتح مكة، فأكذبهم الله تعالى. وأضاف عز وجل الفتح إلى نفسه إشعاراً أنه من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدد، وأكد بالمصدر ووصفه بأنه مبين مظاهر لما تضمنته من النصر والتأييد، والظاهر أن هذا الفتح هو فتح مكة.



وقال الكلبي وجماعة: وهو المناسب لآخر السورة التي قبل هذه  
لما قال تعالى ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ  
وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ (٣٦).

بين أنه فتح لهم مكة وغنموا وحصل لهم أضعاف ما انفقوا، ولو  
بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم إلا على انفسهم وايضاً لما قال  
تعالى ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ  
(٣٧)﴾.

بين برهانه بفتح مكة حيث لم يلحقهم وهن ولا دعوا الى صلح بل  
اتى صناديد قريش مستأمنين مستسلمين وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي  
وان كان لم يقع، لان إخباره تعالى بذلك لابد من وقوعه وكان هذا الفتح  
هو فتح مكة (٣٨).

### المطلب الثالث - الإعراب -

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١)

الاصل: (اننا) حذفنا النون لاجتماع النونات. والنون والألف في  
(إنَّا) في موضع نصب، وفي (فتحنّا) في موضع رفع وعلامات المضمر  
تتفق كثيراً إذا كانت متصلة.

(فتحاً) مصدر (مبيناً) نعته.

(ليغفر لك الله) لام كي، والمعنى لان قال مجاهد (ما تقدم من  
ذنبيك) قبل النبوة (وما تأخر) بعد النبوة.

(ويتم نعمته عليك) عطف (ويهديك صراطاً مستقيماً) قيل طريق  
الجنة.

قال محمد بن يزيد: الصراط المنهاج الواضح.

قال ابو جعفر: التقدير: الى صراط ، ثم حذفت الى (وينصرك) عطف (نصراً عزيزاً) مصدر (عزيزاً) من نعته<sup>(٣٩)</sup>.

#### المطلب الرابع - بلاغة الآية -

١ - التعبير بالماضي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup>

حيث جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضي وان لم يقع بعده لان المراد فتح مكة. والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح، وذلك على عادة رب العزة سبحانه وتعالى في اخباره، لانها كانت محققة نزلت بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى.

٢ - الالتفات: في قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ﴾.

حيث التفتت هذه الآية الكريمة من التكلم إلى الغيبة، تفخيماً لشأنه عز وجل، وفي إسناد المغفرة إليه تعالى بالاسم الأعظم بعد إسناد الفتح إليه تعالى بنون العظمة إيماء إلى أن المغفرة مما يتولاها سبحانه بذاته، وان الفتح مما يتولاه جل شأنه بالوسائط.

٣ - الإسناد المجازي: في قوله تعالى ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

حيث اسند العز والمنعة الى النصر، أي قوياً منيعاً على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازاً للمبالغة. وهذه الصفات في الأصل للمنصور وليس للنصر<sup>(٤٠)</sup>.

المطلب الخامس - القراءات -

النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ﴾	بالادغام (الكبير)	حمزة.
﴿تَقَدَّمَ مِنْ﴾	بالادغام (الكبير)	حمزة
﴿صِرَاطًا﴾	١- سراطاً ٢- باشمام الصاد زائياً	قنبل - رويس خلف عن حمزة <sup>(٤١)</sup> .

المطلب السادس - المعنى العام والاجمالي -

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ أي فتحنا لك يا محمد مكة فتحاً بيناً ظاهراً، وحكمنا لك بالفتح المبين على أعدائك، والمراد بالفتح فتح مكة، وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحقيقه، وكانت بشارة عظيمة من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين قال الزمخشري: هو فتح مكة، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية، وهو وعد له بالفتح، وجيء به بلفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في إخباره، لأنها في تحقيقها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن الفتح ما لا يخفى.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أي ليغفر لك ربك يا محمد جميع ما فرط منك من ترك الأولى، قال ابن مسعود: وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل، وقال ابن كثير: هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، وفيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ إذ هو اكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة، وهو في جميع أموره على الطاعة واليسر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من

الآخرين، ولما كان أطوع خلق الله بشره الله بالفتح المبين، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

﴿وَبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ أي ويكمل نعمته عليك بإعلاء الدين ورفع مناره.

﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي ويرشدك إلى القويم الموصول إلى جنات النعيم، بما شرعه الله لك من الدين العظيم.

﴿وَيَضْرِبُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ أي وينصرك الله على أعدائك نصراً قوياً منيعاً، فيه عزة وغلبة يجمع لك بين عز الدنيا والآخرة<sup>(٤٢)</sup>.

#### المبحث الخامس

سورة الفتح الآية (٢٠) الجزء (٢٦).

﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

وفيه خمسة مطالب

#### المطلب الأول - أسباب النزول -

سار رسول الله ﷺ بمن معه إلى بني قريضا فحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه - ثم كانت غزوة الحديبية وأهل النبي ﷺ من ذي الحليفة بعمره ومن معه يومئذ بضع عشرة ومائة من المسلمين فقال رسول الله ﷺ إنا لم نأت لقتال أحد ولكن جئنا لنطوف بالبيت فمن صدنا عنه قاتلناه ورئيسهم يومئذ أبو سفيان بن حرب. فنحر رسول الله ﷺ هديه وحلق رأسه ثم انصرف إلى المدينة على أن يخلو بينه وبين البيت عاماً قابلاً فيطوف به ثلاث ليال. ونزل بخيبر وانزل الله عز

وجل قوله تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾  
إلى آخر الآية<sup>(٤٣)</sup>.

### المطلب الثاني - مناسبة الآية لما قبلها وبعدها -

والمناسبة لما مر من ذكر النبي ﷺ بطريق الخطاب وغيره  
بطريق الغيبة كقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾<sup>(٤٤)</sup>.  
تقتضي على ما نقل عن بعض الأفاضل ان هذا جاز على نهج  
التغلب وان احتمل تلوين الخطاب فيه<sup>(٤٥)</sup>.

### المطلب الثالث - الإعراب -

(الفاء) عاطفة (لكم) متعلق بـ(عجل)، (عنكم) متعلق بـ(كف)،  
(الواو) عاطفة في الموضعين (اللام) للتعليل (تكون) مضارع ناقص  
منصوب بأن مضرة بعد اللام، واسمه ضمير يعود على المغانم  
(للمؤمنين) متعلق بنعت (اية).

والمصدر المؤول (ان تكون) في محل جر باللام متعلق بـ(كف)،  
والجار والمجرور معطوف على تعليل مقدّر أي أكف أيدي الناس عنكم  
لتشكروه ولتكون آية...

وجملة: (عدكم الله....) لا محل لها استئنافية.

وجملة (تأخذونها.....) في محل نصب نعت لمغانم (الثاني).

وجملة: (عجل.....) لا محل لها معطوفة على جملة (وعدكم).

وجملة: (كف.....) لا محل لها معطوفة على جملة (عجل).

وجملة: (تكون.....) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن)

المضمرة.

وجملة: (يهديكم.....) لا محل لها معطوفة على جملة تكون<sup>(٤٦)</sup>.

#### المطلب الرابع - القراءات -

النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ﴾	بالادغام الكبير	رويس - يعقوب - ورش - الاعمش - ابو دحية - يونس الانطاكي - ابو جعفر .
﴿النَّاسِ﴾	بالامالة	الدوري عن ابي عمرو
﴿وَأُخْرَى﴾	بالامالة	حمزة - الكسائي - ابو عمرو - ورش
﴿تَقْدِرُوا﴾	بترقيق الراء	ورش <sup>(٤٧)</sup> .

#### المطلب الخامس - المعنى العام والإجمالي -

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ أي وعدكم الله معشر المؤمنين - على جهادكم وصبركم - الفتوحات الكبيرة، والغنائم الوفيرة تأخذونها من اعدائكم.

قال ابن عباس: هي المغانم التي تكون إلى يوم القيامة. قال في البحر: ولقد اتسع نطاق الإسلام، وفتح المسلمون فتوحاً لا تحصى، وغنموا مغانم لا تعد وذلك في شرق البلاد وغربها، حتى في الهند والسودان -تصديقاً لوعده تعالى- وقد رأينا أحد ملوك غانا من بلاد التكرور، وقد فتح أكثر من خمس وعشرين مملكة من بلاد السودان، واسملوا معه وقدم علينا ببعض ملوكهم يحج معهم ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ أي فعمل لكم غنائم خيبر بدون جهد وقتال ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي ومنع أيدي الناس أن تمتد عليكم بسوء . قال المفسرون: المراد أيدي أهل

خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان، حيث جاؤوا لنصرتهم فقفذ الله في قلوبهم الرعب.

﴿وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ولتكون الغنائم، وفتح مكة ودخول المسجد الحرام علامة واضحة تعرفون بها صدق الرسول فيما أخبركم به الله تعالى.

﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي ويهديكم تعالى إلى الطريق القويم، الموصل الى جنات النعيم بجهادكم وإخلاصكم.

قال الإمام الفخر الرازي: والآية للإشارة أن ما أعطاهم من الفتح والغنائم، ليس هو كل الثواب، بل الجزاء أمامهم، وإنما هي شيء عاجل عجله لهم ليتنفعوا به ولتكون آية لمن بعدهم من المؤمنين، تدل على صدق وعد الله في وصول ما وعدهم به كما وصل إليكم<sup>(٤٨)</sup>.

#### المبحث السادس

سورة الملك الآية (٢٢) الجزء (٢٩)

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

وفيه ستة مطالب:

#### المطلب الاول - أسباب النزول -

قال قتادة: نزلت مخبرة عن حال القيامة وإن الكفار يمشون فيها على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة: وقيل للنبي ﷺ، كيف يمشي الكافر على وجهه فقال: إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه في الآخرة على وجهه<sup>(٤٩)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أبي جهل والرسول ﷺ<sup>(٥٠)</sup>.

المطلب الثاني- مناسبة الآية لما قبلها وبعدها-

ان مناسبة الآية ﴿ أَفَنَبَشَىٰ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥١) بالآيات التي قبلها ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ (٥٢) أي ان الله تعالى يقول لكفار قريش انظروا الى مصائب الأمم السابقة التي انزل الله عليها الحاصب، والخسف، وأصابهم التدمير فهو يعود ليسألهم: من هو الذي ينصرهم ويحميهم، غير الله؟ ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ غرور يهيء لهم انهم في حماية واطمئنان ثم يذكرهم بالرزق الذي يستمتعون به، وينسون مصدره، ثم لا يخشون ذهابه ثم يلجؤون في التبحر والإعراض ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (٥٣). فمن يزرق البشر ان أمسك الماء، او أمسك الهواء، ولكنهم لا يتدبرون ذلك بل هم في اعراض دائم عن الاعتراف بان الله هو الرزاق. ومع كل هذا كان كفار قريش يتهمون النبي ﷺ ومن معه بالضلال، ويزعمون انهم أهدى سبيلا. وبعد ذلك يصور واقع حالهم عندما يقولون نحن نسير على الهدى ويتهمون النبي ﷺ واصحابه بأنهم على الضلال. يصور حالهم في مشهد حي يجسم حقيقة الحال: ﴿ أَفَنَبَشَىٰ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢) والذي يمشي مكباً على وجهه اما ان يكون هو الذي يمشي على وجهه فعلاً لا على رجليه في استقامة كما خلقه الله، واما ان يكون هو الذي يعثر في طريقه فينكب على وجهه، ثم ينهض ليعثر من جديد. وهي صورة تبين حال المشركين تعاني المشقة والعسر والتعثر ولا تنتهي الى هدى ولا خير ولا وصول.

\* والآية لها مناسبة بعدها وهو عندما بين الله لهم صور الحياة والرزق الكثير والنصر وبيان الهدى وبيان الضلال. يذكرهم الله تعالى بما



وهبهم من وسائل الهدى، وأدوات الإدراك، ولكنهم لم ينتفعوا بها ولم يكونوا من الشاكرين. قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) من سورة الملك آية (٥٤).

### المطلب الثالث - معاني ألفاظ الآية -

قال الواحدي (أكب) مطاوع كبه، يقال كببته، فأكب. ونظيره قشعت الريح السحاب فأقشع، قال صاحب الكشف: ليس الأمر كذلك، وجاء شيء من بناء افعل مطاوعاً، بل قولك أكبَّ معناه دخل في الكب وصار ذا كب، وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع، وأنفض، أي دخل في النفض وهو نفض الوعاء، فصار عبارة عن الفقر. وألام دخل في اللوم، وأما مطاوع كبَّ وقشع فهو انكب وانقشع (٥٥).

### المطلب الرابع - الإعراب -

(الهمزة) للاستفهام التقريري (الفاء) استئنافية (من) اسم موصول في محل رفع مبتدأ. خبره (أهدى)، (على وجهه) متعلق بـ(مكباً)، (أم) حرف عطف معادل للهمزة (من) موصول في محل رفع معطوف على الموصول الأول (على صراط) متعلق بـ(يمشي).

وجملة: (يمشي....) لا محل لها استئنافية.

وجملة: (يمشي (الاولى)...) لا محل لها صلة الموصول (من).

وجملة: (يمشي (الثانية)...) لا محل لها صلة الموصول (من) (الثاني) (٥٦).

### المطلب الخامس - بلاغة الآية -

الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ  
أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢).

مثل ضرب للمشرك والموحد، توضيحاً لحالهما وتحقيقاً لشأن  
مذهبهما، فالمشرك أعمى لا يهتدي إلى الطريق، يمشي متعسفاً، فلا يزال  
يتعثّر وينكب على وجهه، والموحد صحيح البصر، يمشي في طريق  
واضح مستقيم، سالماً من العثر والانكباب على وجهه<sup>(٥٧)</sup>.

#### المطلب السادس - المعنى العام والإجمالي -

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢)  
﴿٥٨﴾. أي: هل من يمشي منكباً رأسه، لا يرى طريقه فهو يخطئ عشواء،  
مثل الأعمى الذي يتعثّر كل ساعة فيخر على وجهه، هل هذا أهدى أم من  
يمشي منتصب القامة، يرى طريقه ولا يتعثّر في خطواته، لأنه يسير على  
طريق بين واضح؟

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر. فالكافر  
كالأعمى الماشي على غير هدى وبصيرة، ولا يهتدي إلى الطريق  
فيتعسف ولا يزال ينكب على وجهه، والمؤمن كالرجل السوي الصحيح  
البصر، والماشي على الطريق المستقيم فهو آمن من المتخبط والمتعثّر،  
هذا مثلها في الدنيا، وكذلك يكون حالهما في الآخرة، المؤمن يحشر  
يمشي سويّاً على صراط مستقيم، والكافر يحشر يمشي على وجهه إلى  
دركات الجحيم. قال قتادة: الكافر أكب على معاصي الله فحشره الله يوم  
القيامة على وجهه، والمؤمن كان على الدين الواضح فحشره الله على  
الطريق السوي يوم القيامة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما - هو مثل لمن سلك طريق الضلالة ولمن سلك طريق الهدى ثم ذكرهم تعالى بنعمه الجليلة، ليعرفوا قبح ما هم عليه من الكفر والإشراك<sup>(٥٩)</sup>.

### المبحث السابع

سورة الجن الآية (١٦-١٧) الجزء (٢٩).

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ لَنَفْنَنَهُمْ فِيهِ ۖ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝﴾

وفيه سبعة مطالب:

#### المطلب الاول - اسباب النزول -

وأخرج عن مقاتل في قوله ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۝﴾

قال : نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين<sup>(٦٠)</sup>.

#### المطلب الثاني - مناسبة الآية لما قبلها وبعدها -

أراد الله تعالى ان يقول للإنس والجن -وقيل الخطاب للجن وقيل للإنس والأصح أنه للإنس والجن- ان الذي يستقيم منكم على الطريقة وهي طريقة الاسلام لأسقيناها ماءً موفوراً نغدقه عليه فيقبض عليه الرزق والرخاء، وقد جعل الله هذا الرزق والرخاء هو مكان للاختيار هل يشكرون هذه النعمة التي حصلوا عليها بسبب استقامتهم على الطريقة أم يكفرون؟ حيث قال تعالى ﴿لَنَفْنَنَهُمْ فِيهِ ۖ﴾ لأن العرب كانت تعيش في جوف الصحراء ولكن كانت عيشتها في شظف حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم الارض التي يغدقون فيها الماء، وتتدفق فيها الارزاق، ثم جادوا عن الطريقة فاستلبت منهم الخيرات استلاباً. وما

يزالون في نكد وشظف حتى يفيئوا الى الطريقة، فيتحقق فيهم وعد الله<sup>(٦١)</sup>.

### المطلب الثالث - معاني الفاظ الآية -

(غدقاً)

الغدق: المطر العام وقد غيدق المطر: كثر (عن أبي العميثل الاعرابي).

والغدق أيضاً: الماء الكثير وان لم يك مطراً.

وفي التنزيل ﴿وَالْوِاسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٦٢)</sup> لَنَفْسِنَهُمْ فِيهِ

قال ثعلب: يعني لو استقاموا على طريقة الكفر لفتحنا عليهم باب اغترار، كقوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فُضَّةٍ﴾<sup>(٦٣)</sup>.

والماء الغدق: الكثير.

وقال الزجاج: الغدق المصدر، والغدق اسم فاعل، يقال غدق يغدق غدقاً فهو غدق، إذا كثر في المكان أو الماء.

والغدق بفتح الدال: المطر الكبار القطر<sup>(٦٣)</sup>.

### المطلب الرابع - الإعراب -

(الواو) اعتراضية - أو استئنافية.

(أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف (لو) حرف شرط غير جازم (على الطريقة) متعلق بـ (استقاموا)، (اللام) واقعة في جواب لو. (ماء) مفعول به ثانٍ منصوب.

والمصدر المؤول (أن لو استقاموا) في محل رفع نائب الفاعل  
لفعل محذوف تقديره أوحى إليّ.

وجملة: (أوحى إليّ ان لو...) لا محل لها استئنافية.

وجملة (الشرط وفعله وجوابه..) في محل رفع خبر (أن).

وجملة (اسقيناهم...) لا محل لها جواب الشرط غير جازم<sup>(٦٤)</sup>.

#### المطلب الخامس - القراءات -

النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
﴿يَسْلُكُهُ﴾	١ - نَسْلَكُهُ	ابو عمرو - ابن عامر - نافع - ابن كثير - ابو جعفر - ورش - الأصبهاني.
	٢ - نَسْلِكُهُ	مسلم بن جندب - طلحة - الاعرج.
﴿صَعْدًا﴾	١ - صُعْدًا	مسلم بن جندب - طلحة - الاعرج
	٢ - صُعْدًا	ابن عباس - الحسن <sup>(٦٥)</sup> .

#### المطلب السادس - المعنى العام والإجمالي -

﴿وَالْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي لو آمن هؤلاء الكفار واستقاموا  
على شريعة الله ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ أي لبسطنا لهم الرزق، ووسعنا  
عليهم في الدنيا، زيادة على ما يحصل لهم في الآخرة من النعيم الدائم،  
وبذلك يحوزون عز الدنيا والآخرة.

قال في التسهيل: الماء الغدق الكثير وذلك استعارة في توسع  
الرزق، والطريقة هي الاسلام وطاعة الله والمعنى : لو استقاموا على ذلك

لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦٦).

﴿لِنَفْنِيَنَّهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم به أيشكرون أم يكفرون؟

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي ومن يعرض عن طاعة الله وعبادته يدخله ربه عذاباً صعباً شاقاً لا راحة فيه.

وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها، فإذا انتهى الى علاها حُدر إلى جهنم (٦٧).

### المبحث الثامن

سورة التكويد الآفة (٢٨ - ٢٩) الجزء (٣٠)

﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

وفيه أربعة مطالب

#### المطلب الأول - اسباب النزول -

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى قال: نزلت ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) فقال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) (٦٨).

#### المطلب الثاني - مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها -

إن مناسبة الآية ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) بالآيات التي قبلها. هو أن كفار قريش قد كذبوا بكل شيء جاء به القرآن الكريم وقالوا بأن هذا قول مجنون وهذا الكلام الذي يقوله فانه كلام الشياطين ولقد ذكرهم

الله تعالى بقوله ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ ٢٠ ﴾ مُطَاعٍ ثُمَّ  
 آمِينَ ﴿ ٢١ ﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿ ٢٢ ﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ﴿ ٢٣ ﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ  
 ﴿ ٢٤ ﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿ ٢٥ ﴾ فَأَتَيْنَ تَذَهُبُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ لِمَنْ شَاءَ  
 مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾ أَرَادَ أَنْ  
 يقول لهم بان هذا القرآن يصور لهم جمال الكون البديع وهذه الأخلاق  
 العظيمة فإنه منزل على رسول الله ﷺ وانه غير مجنون. وان هذا القرآن  
 وحي من عند الله وليس من الشياطين. لان الشياطين لا توحى بهذا النهج  
 القويم. فلذلك قال تعالى ﴿ فَأَتَيْنَ تَذَهُبُونَ ﴾ ﴿ ٢٦ ﴾ أي منصرفين عن الحق وهو  
 يواجهكم أينما ذهبتم. ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ ذكر يذكرهم بحقيقة  
 وجودهم، وحقيقة نشأتهم وحقيقة الكون من حولهم وبعد كل ذلك يذكرهم  
 ان طريق الهداية ميسر لمن يريد. ولكنهم مسؤولون عن أنفسهم حيث قال  
 تعالى ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ أي ان يستقيم على هدى الله، في  
 الطريق إليه بعد هذا البيان. ومن لم يستقم فهو مسؤول عن انحرافه. فقد  
 كان أمامه أن يستقيم ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾ وذلك  
 كي لا يفهموا أن مشيئتهم منفصلة عن المشيئة الكبرى التي يرجع إليها كل  
 أمر. فأعطاهم حرية الاختيار، ويسر الاهتداء إنما يرجع إلى تلك  
 المشيئة. المحيطة بكل شيء كان او يكون (٧٠).

### المطلب الثالث - الإعراب -

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ  
 يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾.

(إن) حرف نفي (إلا) للحصر (لمن) بدل من العالمين بإعادة  
 الجار (منكم) متعلق بحال من فاعل شاء (أن) حرف مصدري ونصب

(الواو) استئنافية (ما) نافية (إلا) للحصر (أن) حرف مصدري ونصب (رب) نعت للفظ الجلالة. والمصدر المؤول (من يستقيم) في محل نصب مفعول به.

والمصدر المؤول (أن يشاء...) في محل جر بحرف جر محذوف وهو الباء متعلق بـ(تشاءون).

وجملة: (إن هو إلا ذكر...) لا محل لها تعليلية لمضمون النفي المتقدم.

وجملة: (شاء....) لا محل لها صلة الموصول (من).

وجملة: (يستقيم...) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن).

وجملة: (ما تشاءون...) لا محل لها استئنافية.

وجملة: (يشاء الله....) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن)<sup>(٧٢)</sup>.

#### المطلب الرابع - المعنى العام والإجمالي -

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾<sup>(٢٨)</sup> أي لمن شاء منكم أن يتبع الحق، ويستقيم على شريعة الله ويسلك طريق الأبرار ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢٩)</sup> أي وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه، فاطلبوا من الله التوفيق إلى أفضل طريق<sup>(٧٣)</sup>.

وقال الزجاج: معنى الآية ان الاستقامة واضحة لكم، فمن شاء اخذ في طريق القصد والحق، وهو الإيمان بالله عز وجل ورسوله، ثم إن المشيئة في التوفيق إليه، وانهم لا يقدرון على ذلك، إلا بمشيئة الله وتوفيقه، وان الإنسان لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله ولا شراً إلا بخذلان الله



له، لان الخير والشر بقضائه وقدره، يضل من يشاء ويهدي من يشاء،  
كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٧٤).

لقد عرفتُ الاستقامة في التعريف اللغوي بأنها الاعتدال. وقد عرفها الخلفاء الراشدون وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي (رضي الله عنهم أجمعين) بهذه التعاريف.

حيث إن الإستقامة منهج كامل في الأقوال، والافعال، والأحوال.

وواجب على كل عبد أن يستقيم مع الله تعالى في كل شيء في سره وعلنه ولا يروغ روغان الثعالب.

وقد توصلت في بحثي هذا الموسوم بـ(آيات الاستقامة في الأجزاء الخمس الأواخر دراسة تحليلية).

على أن الاستقامة من أهم الأمور التي أمر الله سبحانه وتعالى بها نبيه الكريم ﷺ.

حيث قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ هود ١١٢.

ومع كل هذا بينتُ إن الاستقامة واضحة لكل الناس فمن استقام عليها فقد أخذ بطريق الحق وإذا لم يستقم عليها فإنه سوف يجلب عليها ، مع بيان إن الإستقامة والهداية من الله تعالى. حيث قال في محكم التنزيل ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِمْ ۖ وَما نَشَاءُ وَلَا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ﴿٢٩﴾



## الهوامش

- (١) سورة هود ، آية (١١٢).
- (٢) لسان العرب لابن منظور ٣٧٨٢/٥ - ط١ - ١٤١٣هـ.
- (٣) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم: ١٠٤/٥.
- (٤) سورة الأحقاف: الآية: ١٣.
- (٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٢١/٧، ط٣.
- (٦) سورة الاحقاف: الآية ١٢.
- (٧) في ظلال القرآن/ سيد قطب/ ج ٦ ص ٣٢٥٩/ ط١.
- (٨) لسان العرب ٨٦١/٢.
- (٩) البقرة آية (١٥٥).
- (١٠) البقرة آية (١٨٢).
- (١١) لسان العرب ١٤٩٠/٢.
- (١٢) الاحقاف: ١٣.
- (١٣) الجدول في إعراب القرآن لعبد العال سالم بن مكرم ج ١٣ ص ١٤٣ ط ٢.
- (١٤) معجم القراءات القرآنية ١٦٥/٦.
- (١٥) الاحقاف ١٣.
- (١٦) الاحقاف ١٤.
- (١٧) صفوة التفاسير: ١٩٥/٣.
- (١٨) قيس من نور القرآن الكريم/ محمد علي الصابوني/ ج ٦/ ١٣٠/ ط١.
- (١٩) الاحقاف آية (٢٩ - ٣١).
- (٢٠) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣٢٧٢/٦.
- (٢١) سورة النمل آية (٣٩).
- (٢٢) البحر المحيط ٦٧/٨.
- (٢٣) سورة القصص آية (٦٣). دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن ص ١٥١.
- الحاج صالح ناظم رحمه الله.
- (٢٤) لسان العرب لابن منظور ٩٤/٢. دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن/ الحاج صالح ناظم/ ص ٨٧.
- (٢٥) إعراب القرآن للنحاس/ ج ١٤/ ص ١٧٣ ط ١٠.

- (٢٦) الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه ج ١٣/ص ١٩٨.
- (٢٧) سورة الاحقاف آية (٣٠).
- (٢٨) سورة الاحقاف آية (٩).
- (٢٩) من اسرار التعبير في القرآن: ٣٣.
- (٣٠) ينظر اسرار التعبير في القرآن: ٦٨.
- (٣١) معجم القراءات القرآنية/عبد الكريم الخطيب/ ج ٦-ص ٦٨.
- (٣٢) صفوة التفاسير/محمد علي الصابوني/ج ٣-ص ٢٠٠-٢٠١.
- (٣٣) سورة الاحقاف آية (٩).
- (٣٤) اسباب النزول للواحدي/٢١٦.
- (٣٥) سورة محمد آية (٣٨).
- (٣٦) سورة محمد آية (٣٨).
- (٣٧) سورة محمد آية (٣٥).
- (٣٨) البحر المحيط/ابو حيان الاندلسي / ج ٨ ص ٨٨ .
- (٣٩) اعراب القرآن الكريم للنحاس /١٩٥/٤.
- (٤٠) الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه ١٣/٢٤٢.
- (٤١) معجم القراءات القرآنية ٦/٢١٠.
- (٤٢) صفوة التفاسير ٣/٢١٧.
- (٤٣) مسند أبي عوانه ١/٣٥٩.
- (٤٤) سورة الفتح آية (١٨).
- (٤٥) روح المعاني ٢٦/١٠٩.
- (٤٦) الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه ١٣/٢٥٨.
- (٤٧) معجم القراءات القرآنية ٦/٢٠٨.
- (٤٨) صفوة التفاسير ٣/٢١٣.
- (٤٩)النهر الماد من البحر المحيط/ابو حيان الأندلسي/ج ٨ ص ٣١/ط ١.
- (٥٠) تفسير البحر المحيط ٨/٣٠٣.
- (٥١) سورة الملك آية (٢٢).
- (٥٢) سورة الملك آية (٢٠).
- (٥٣) سورة الملك آية (٢١).

- (٥٤) ينظر في ظلال القرآن ٣٦٤٤/٦.
- (٥٥) تفسير الرازي/للامام محمد الرازي/ج٣٠/ص٧٣ط٣-١٤٠٥هـ.
- (٥٦) الجدول في اعراب القرآن وحرفه وبيانه ٢٦/١٥.
- (٥٧) الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢٦/١٥.
- (٥٨) سورة الملك، الآية ٢٢.
- (٥٩) صفوة التفاسير ٤٢/٣.
- (٦٠) لباب النقول في اسباب النزول/للسيوطي ص٧٦٩.
- (٦١) ينظر: في ظلال القرآن سيد قطب ٣٧٣٤/٦.
- (٦٢) لسان العرب لابن منظور ٣٢١٨/٥.والآية (٣٣) من سورة الزخرف .
- (٦٣) ينظر نفس المصدر ٣٢١٨/٥.
- (٦٤) معجم القراءات القرآنية ٢٤٣/٧.
- (٦٥) معجم القراءات القرآنية ٢٤٣/٧.
- (٦٦) معجم القراءات القرآنية ٢٤٣/٧.
- (٦٧) صفوة التفاسير ٤٦٠/٣.
- (٦٨) لباب النقول في أسباب النزول ص٢٤٩.
- (٦٩) سورة التكوير آية (٢٩-١٩).
- (٧٠) ينظر: في ظلال القرآن ٣٨٤٣/٦.
- (٧١) سورة التكوير آية (٢٩-٢٧).
- (٧٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢٥٩/١٥.
- (٧٣) صفوة التفاسير ٥٢٦/٣.
- (٧٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج/ج٥-ص٢٩٣.

## المصادر

### بعد القرآن

- ١- أسباب النزول ، للواحي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط١ ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٢- اعراب القرآن، للنحاس تحقيق د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، (د.ت).
- ٣- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي ، (٦٥٤هـ - ٧٤٥هـ) ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤- التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار - الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- ٥- تفسير الجلالين، ط١، دار عمار - الاردن ، ٢٠١٠م.
- ٦- تفسير الرازي، للامام الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
- ٧- الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٨- الجدول في اعراب القرآن وبيانه وصرفه ، عبد العال سالم بن مكرم بن احمد مختار بن عمر، دار المنار - الكويت ، ط١ ، ١٩٨٩م .
- ٩- دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن، صالح ناظم ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٩م.

- ١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للآلوسي ، الطبعة المنيرية ، ١٩٧٩م.
- ١١- صحيح الامام مسلم ، للامام مسلم ، طبعة : مأمون خليل شيخا، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٩م.
- ١٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القلم - جدة ، ط٧، ٢٠٠٧م.
- ١٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق ، ط٧، ١٩٩٧م.
- ١٤- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ، ط٩، ٢٠١١م.
- ١٥- قيس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، دار المنارة - جدة ، ٢٠٠٩م.
- ١٦- لباب النقول في اسباب النزول ، للسيوطي ، دار الرحمة ، مصر ، ٢٠١٠م.
- ١٧- لسان العرب. ابن منظور ( ٦٣٠-٧١١هـ ) ، اعتنى بتصحيحها : امين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٨- مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية، ط٤، بيروت ، ١٩٩٨م.
- ١٩- مسند الامام احمد، للامام احمد بن حنبل ، مؤسسة السالة ، ط٥، بيروت .

٢٠- معاني القرآن واعرابه ، للزجاج ، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل

عبد شلبي، دار الحديث ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢١- معجم القراءات القرآنية، عبد الكريم الخطيب، دار اليمامة ، دمشق

ط١، ٢٠٠٣م.



# قيم الدولة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة

د. محمد معيوف مطرود فاضل  
الجامعة العراقية / كلية الآداب

## ملخص البحث

وها أنا أصل الى خاتمة هذا البحث وأدعو من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال مسيرة البحث.

١. الدولة مسؤولة عن اقرار النظام وحفظه وكل هذه يحقها رجال الشورى.
٢. الوقوف على نهى الله تعالى على منع الفساد في الارض وهذه مهمة الدولة المسلمة.
٣. لا يجتمع الإيمان الحق مع وداد أعداء الله حتى لو كان الاعداء من القريبين.
٤. تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لا تذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب.
٥. اعتماد مبدأ الشورى بين امراء الدولة لتحقيق المصلحة العامة.

### Abstract

Here I am out of the conclusion of this research and I pray to God Almighty to accept me this work and make it purely for His sake and God bless our Prophet Muhammad and his family and peace and recognition. The most important findings in the course of research.

1. The state is responsible for maintaining order and save all of these men achieved Shura.
2. Stand on the prohibition of God to prevent corruption in the land and the Muslim state task.
3. Faith does not meet the right with Dad and the enemies of God, even if the enemies of the close.
4. Report of the principle that war is not news broadcast only by the senior leadership is not even turmoil.
5. The adoption of the principle of consultation between the princes of the state to achieve the public interest.



## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وبعد:

إبتليت كثير من الدول بقصورها لا سيما فيما يتعلق بمبادئها العامة أو القيم التي يجب أن تتصف بها فوفقني الله تعالى الى البحث عن هذه المبادئ أو القيم وجمع الآيات وبعض الاحاديث النبوية التي تدعوا هذه الدول والحكومات أن تأخذ بها ومن أهم هذه القيم:

- إقرار النظام
- الإعداد للجهد
- تجنب الاستبداد والفساد
- تجنب موالاة العدو
- الشورى
- صون المال العام
- العدالة
- الوفاء بالعهد والشرط

فيسر الله تعالى لي كتابة البحث في هذه المبادئ والقيم وتفسير الآيات التي تتعلق بهذه القيم مستعيناً بكتب التفسير والحديث واللغة والعقيدة والمعاجم.

ثم ختمت البحث النتائج التي توصلت اليها.

وفي الختام لا يسعني إلا شكر كل من ساعدني وأرشدني بنصائحه القيمة في كتابة هذا الموضوع سائلاً المولى تعالى أن يوفقهم لكل خير: وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.  
الباحث

## تمهيد

### المبدأ أو القيم العام:

كلمة مبدأ في العربية مصدر ميمي والمصدر الميمي يصلح للدلالة على الزمان أو المكان أو الحدث، وهذا يعني أن كلمة (مبدأ) لغة تعني زمان البدء أو مكانه أو نفس البدء، وكلمة (عام) تعني الشمول لجزئيات تدرج تحتها، والمقصود بالمبدأ العام هنا: (حقيقة تهيء الإنسان للتكليف) فالمبدأ يختلف عن مطلق الحقيقة التي كثيراً ما ينبه عنها القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِهِيَجٌ﴾ الحج: ١٥ ، أو غيرها من الحقائق الايمانية أو الكونية حيث لا تشتمل على تكليف ولا تهيء الانسان لذلك التكليف مباشرة كما سنرى في ضرب أمثلة المبادئ.

والمبدأ والقيم يختلف أيضاً عن الحكم الشرعي الذي يشتمل مباشرة على التكليف مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ إِلَى غَسَقِ أَيْلٍ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨ ، فأقم الصلاة تكليف، وجملة (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) حقيقة إيمانية.

والمبدأ أو القيم يختلف أيضاً عن القاعدة الفقهية أو الأصولية من حيث المنشأ، فالقاعدة الفقهية نشأ بعد تفريع الفروع في الفقه الاسلامي وكأنها قد جردت فروعاً كثيرة وأخذت المشترك بينهما وصاغته في صورة قاعدة مثل: (لا ضرر ولا ضرار)، (الأمر بمقاصدها)، وكذلك القواعد الأصولية التي نشأت من تتبع اللغة العربية أو المصادر الشرعية مثل: (النهي يقتضي الفساد) أو (المشترك لا يعم) أو (الاستثناء معيار العموم).

### خصائص المبدأ أو القيم:

المبدأ يشتمل على حقيقة، وعلى تكليف مباشر، ولا معنى لوجوده من غير وجود الانسان ، فالانسان هو موضوعه.

المبادئ القرآنية التي سنوردها انما هي على سبيل المثال تنبيهاً لهذا الجانب العظيم من القرآن الكريم، وهي تحتاج الى تتبع واستقصاء مستقل وبحث خاص يقوم استقرارها بإيراد كلام أهل التفسير عنها، ثم نبين عناصر كل مبدأ وما يلزمه من مقدمات وما يترتب عليه من نتائج ثم نقوم ببيان العلاقة البينية بين كل هذه المبادئ بغية الوصول الى بناء النموذج المعرفي ثم بيان كيفية تشغيلها في المجالات المختلفة: السياسة، والقانون، والاجتماع البشري، والتربية، والفكر والعبادة، والعقيدة والدعوة<sup>(١)</sup>.

### المبحث الاول

#### إقرار النظام

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، يعني: جل ثناؤه بقوله: (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذا عوا به) واذا جاء هذه الطائفة المبينة غير الذي يقول رسول الله ﷺ أمر من الامن، فالهاء والميم في قوله (إذا جاءهم) من ذكر الطائفة المبينة، يقول: جل ثناؤه: وإذا جاءهم خبر سرية للمسلمين غازية بأنهم قد آمنوا من عدوهم بغلبتهم اياهم أو الخوف، يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم أذاعوا به، يقول: أفشوه في الناس قبل رسول الله ﷺ ، وقبل امراء سرايا رسول الله ﷺ يقال: اذاع فلان بهذا الخبر واذاعه، ومعنى (اذاعوا به) ، اي: اظهروه ونادوا به في الناس<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: ان اولئك المذيعين فوضوا الكلام في الامور العامة الى الرسول وهو الامام الاعظم<sup>(٥)</sup> والقائد العام في الحرب وإلى اولي الامر

من اهل الحل والعقد ورجال الشورى لوجدوا علم ذلك عندهم، لأنهم هم الذين يستنبطون مثله، (والاستنباط: استخراج ما كان مستتراً عن الابصار) ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم، إذ لكل طائفة منهم استعداد للاحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الامة دون بعض، لأن من يدير الدولة مسئولاً عن حفظ النظام واقراره فهو يهيء احصائي المسائل المالية وذلك في الامور القضائية وفي بناء القناطر والجسور ورابع في شؤون الحرب وكل هذه المسائل يدرسها رجال الشورى (مجلس الوزراء بالاصطلاح العصري) ويستنبطون منها ما يكون فيه المصلحة للدولة وينفذونه ولا ينبغي ان تضيعه العامة لما في ذلك من الضرر بها من سائر الوجوه والاعتبارات<sup>(٦)</sup>. لذا يجب أن يترك الحديث في الشؤون العامة الى قائد المسلمين وهو الرسول ﷺ ومن ينوب عنه من بعده فهم أدري الناس بالكلام فهم الذين يتمكنون من استنباط الاخبار الصحيحة واستخراج ما يلزم تدبيره وقوله بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمر الحرب ومكائدها أما التحدث بكل ما تسمع ونقل الاخبار من غير تثبت<sup>(٧)</sup> ففيه ضرر واضح بالدولة، لذا فإن كل الدول المعاصرة تقرض رقابة عن الاخبار في الصحف والاذاعة وغيرها حتى لا تشوه المواقف وتستغل عقول الناس، سواء في السلم أو في الحرب لأن ذلك أمر منكر يضر بالمصلحة العامة<sup>(٨)</sup>. فعلى القائد المسلم ان يغرس الايمان والولاء للقيادة المؤمنة والقرآن ويعلم نظام الجندية في آية واحدة بل بعض آية فصدر الآية يرسم صورة منفرة للجندي وهو يتلقى نبأ الامن أو الخوف، فيعمله ويجري منتقلاً مذبذباً له من غير تثبت وغير رجحة للقيادة، ووسطها يعلم ذلك التعليم، وآخرها يربط القلوب بالله في هذا ويذكرها بفضله ويحركها الى الفكر على هذا الفضل ويحذرهما من اتباع الشيطان الواقف بالمرصاد الكفيل بأفساد القلوب لولا فضل الله ورحمته قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٩)</sup>، آية واحدة عملت هذه الشحنة كلها وتتناول

القضية من أطرافها وتعمق السريرة والضمير وهي تضع التوجيه والتعليم<sup>(١٠)</sup>، فقال: ﴿لَا تَبْعُمُ الشَّيْطَانَ﴾<sup>(١١)</sup>، في قبول تلك الاشاعات المغرضة والاذاعات المثبطة (إلا قليلاً منكم ذوي الاراء الصائبة والحصافة العقلية الذين لا تثيرهم الدعاوي ولا تغيرهم الارجيف ككبار الصحابة (رضي الله عنه)) وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً بأخذ من ينوب عن القائد للدولة إذا غاب فيدير. مصالح الامة من بعده وله الحق في محاسبته عند عودته إذا حصل منه قصور أو ما يضر بالمصلحة العامة، قال تعالى في حق وزير موسى (عليه السلام): ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾<sup>(١٢)</sup>، بينت الآية كيف استخلف موسى أخيه هارون عليه السلام على قيادة بني اسرائيل وكيف حاسب أخيه هارون عليه السلام لأنهم عبدوا العجل بعد غيبته فكان شديد الغضب لله ولدينه فلم يمتلك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعدما رأوا الآيات العظام، أن القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضباً لله واستكشافاً وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه العدو المكاشف قابضاً على شعر رأسه وكان أفرع الشعر أي (تام الشعر) وعلى شعر وجهه يجره اليه، أي: لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتقاتلوا<sup>(١٣)</sup>. ثم ان هارون عليه السلام ذكره عذره في عدم قتال من عبد العجل بمن لم يعبد له فلم يكن ضعفاً منه بل أراد أن يحقق النظام بين قومه ولا يحدث قتال وتفرقة فهذه هي قوة القائد المسلم في تدبير أمر الرعية فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ طه: ٩٤، أي: ولم تحفظ قولي عندما أستخلفك، وفيه دليل على جواز الاجتهاد وفي انكار موسى (عليه السلام) دليل على أن القضاء على الكفر ولو على حساب وحدة الامة هو الاصلاح، وليس الاصلاح على وحدة الامة مع الكفر ثم تابع موسى

علية السلام عملية السيطرة على الفتنة<sup>(١٤)</sup>، بأن يكون قومه شيعاً واحزاباً فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم تخلفني فيهم كما عهدت اليك<sup>(١٥)</sup>.

## المبحث الثاني

### الإعداد للجهاد

قال تعالى: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَكْفِيَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾<sup>(١٦)</sup>.

قوله: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: (من أجل هذا فقاتل كأن معنى هذا لا تدع الجهاد ضد العدو الاستتصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك لأنه وعده بالنصر إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة، فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، أي: أنت يا محمد ﷺ وكل واحد من أمتك القول له: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾<sup>(١٧)</sup>، ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ - (والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سافتي)<sup>(١٨)</sup>، ووجه النظام على هذا والاتصال بما قبله أنه وصف المنافقين التخليط وإيقاع الاراجيف<sup>(١٩)</sup>. ونلاحظ الامر بالاية للوجوب على حثهم على القتال ورغبتهم في إذ ما عليك في شأنهم الا التحريض (عسى الله أن يكف بأس)، أي: حرب (الذين كفروا) وعسى في كلام الله وعد واجب الوقوع بخلافها في كلام المخلوق<sup>(٢٠)</sup>. وقد علم أيجاب القتال على جميع المؤمنين فهو أمر للقدوة بما يجب اقتداء الناس به، وبين لهم علة الامر وهي رجاء كف بأس المشركين ثم قال: ﴿أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾<sup>(٢١)</sup>، تنذير لتحقيق الرجاء أو الوعد والمعنى أنه أشد بأساً إذا شاء أظهر ذلك ومن دلائل المشيئة امتثال أوامره التي منها الاستعداد وترقب المسببات من أسبابها، والتتكيل: عقاب يرتدع به رائيه فضلاً عن الذي عوقب به<sup>(٢٢)</sup>. وفي آية ثانية يدعوا الله تعالى الاعداد لملاقاة العدو فقال تعالى:



﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٣).

والمراد بالقوة ههنا، ما يكون سبباً لحصول القوة وذكرها فيه وجوهاً:

**الاول:** المراد من القوة أنواع الاسلحة، روي أنه ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر وقال: (إلا أن القوة الرمي) قالها ثلاثاً.

**الثاني:** قال بعضهم: القوة هي الحصون.

**الثالث:** قال اصحاب المعاني الاولى أن يقال هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو وكل ما هو آلة للغزو والجهاد لأن الدولة مسؤولة عن توفير الناس للجهاد والدعوة للنفير العام عندما يقترب العدو لغزو بلاد المسلمين، وهذه الآية تدل على الاستعداد للنفير وللجهاد بالنبيل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة إلا أنه من فروض الكفاية، وقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٢٤)، الرباط والمرابطة أو جمع ربيط كفصال وفصيل ولا شك أن ربط الخيل من أقوى الآلات الجهاد (٢٥). وقوله جل شأنه (ما استطعتم) دليل على أن الجماعة المسلمة يجب أن تبذل أقصى جهدها وتستفرغ ما في وسعها في سبيل قوتها ومناعتها فليس السلام في الإسلام سلاماً ذليلاً، انما هو سلام عزيز كريم تحميه القوة ولا يمكن أن يقوم الحق وحده بلا قوة فإننا نقول: الاستعداد للحرب أنفى للحرب وما أستعمل (٢٦) الاسلام السيف الا للقضاء على السيف، كذلك أمر الله تعالى أن تعد الرباط لحماية الثغور وصيانة الحدود والرباط في سبيل الله له أجر جزيل عند الله وما زال للخيل دور عظيم في ذلك الرباط كل هذا لإرهاب العدو وأيقاع الخوف في نفسه والاضطراب في فؤاده والرعب في قلبه كذلك ترهبون آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله

يعلمهم<sup>(٢٧)</sup> وقد بوب الامام البخاري (رحمه الله) في كتابه باباً سماه فضل الجهاد والسير - حيث أورد أبواباً كثيرة نقل فيها كثير من الاحاديث النبوية الصحيحة التي تدل على فضل الجهاد والرباط في سبيل الله تعالى نذكر بعض هذه الاحاديث:

١. باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فعن أبي موسى الاشعري، جاء رجل الى رسول الله ﷺ سألته عن الجهاد فقال (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله)<sup>(٢٨)</sup>

### المبحث الثالث

#### تجنب الاستبداد والفساد

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

نهاهم الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الارض بوجه من الوجوه قليلاً كان أو كثيراً، ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم وتغویر أنهارهم. ومن الفساد في الارض الكفر بالله والوقوع في معاصيه، ومعنى (بعد اصلاحها) بعد أن اصلحها الله بأرسال الرسل وانزال الكتب وتقرير الشرائع فهذه هي مهمة الدولة المسلمة بالحفاظ على الرعية وابعاد كل ما يضرهم.

وقوله (ادعوه خوفاً وطمعاً)، أنه يشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً وجللاً طامعاً في اجابة الله لدعائه، والخوف: الانزعاج من المضار التي لا يأمن من وقوعها. والطمع: توقع حصول الامور المحبوبة<sup>(٣٠)</sup> فالله يحذرنا من الفساد في الارض بعمل ضار ولا بحكم جائر مما ينافي صلاح الناس في أنفسهم كعقولهم وعقائدهم وآدابهم الشخصية والاجتماعية أو في معاشهم ومرافقتهم من زراعة وصناعة وتجارة<sup>(٣١)</sup> وطرق موصلة ووسائل تعاون إذ هي طريق الاصلاح الاعظم، لأنه تعالى أصلح حال البشرية بهداية الدين فأصلح عقائدهم

وبناها على البرهان وأصلح به أخلاقهم فأدبهم بما جمع لهم بين مصالح الروح والجسد وما شرع لهم من التعاون والتراحم، وأصلح سياستهم، ونوع الحكم بينهم شرع حكومة الشورى المقيدة بأصول درء المفسد وحفظ المصالح والعدل والمساواة، وأشد الفساد الكبر والعنوة الداعيان الى الظلم والعلو الم تر إلى هؤلاء الا فرنج كيف اصلحوا كل ما في الارض من معدن ونبات وحيوان وعجزوا عن اصلاح نفس الانسان بمعاداتهم أكمل الاديان فحولت دولهم كل ما اهتدى اليه علماءهم من وسائل العمران الى افساد نوع الانسان وتعادي شعوبه بالتنازع على الملك والسلطان<sup>(٣٢)</sup>. وترى مدى سعة شريعة الاسلام حيث بوبت كتب الحديث أبواباً نقلت فيه الاحاديث الصحيحة عن (الوالي العادل) فذكر من هذه الاحاديث:

١. عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ (خياراً أئمتكم المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكم وأهلهم وما ولوا).
٢. وعن عائشة أم المؤمنين قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا (اللهم من ولي من امتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه ومن ولي من أمر امتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به)<sup>(٣٣)</sup> ثم امتدح الله تعالى من يصلح هذه الارض بالحكم المقسط فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣٤)</sup>، أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره<sup>(٣٥)</sup> وفي آية أخرى ذكر الله سبحانه وتعالى أجور المصلحين في الأرض فقال: ﴿تِلْكَ الْأَرْضُ الَّتِي بَعَثْنَا فِيهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ الْأَرْضُ الَّتِي بَعَثْنَا فِيهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣٧)</sup>، يعني: نعطيها للذين لا يريدون تعظيماً وتكبراً وتجبراً فيها عن الايمان (ولافساداً) في الارض يعني لا يريدون المعاصي

في الدنيا أو التكبر يغير حق ولا فساداً قال: أخذ المال بغير حق. ويقال (العلو) الخطرات في القلب والفساد فعل الاعضاء<sup>(٣٨)</sup>. وقيل: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع في الولاة وأهل القدرة من سائر الناس<sup>(٣٩)</sup> وقوله: ﴿وَالْمَقِيَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لمن أطاعني واطاع رسولي.<sup>(٤٠)</sup>

#### المبحث الرابع

#### تجنب موالاة العدو

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾<sup>(٤١)</sup> الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد، أي: لا تصادف قوماً جامعين بين الايمان بالله أن يمتنع ولا يوجد بحال (ولو كان) أي: من حاد الله ورسوله (أبائهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم)، أي: آباء الموالدين، فإن قضية الايمان أن يهجر الجميع بالمرة. (أولئك) إشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليه، وقوله (كتب في قلوبهم الايمان)<sup>(٤٢)</sup>، أي: أثبتته ورسخه فيها منهم المؤمنون الصادقون في ايمانهم<sup>(٤٣)</sup>. روى أبو مسعود (رضي الله عنه) قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا أبنه يوم بدر الى المبارزة، فقال: يا رسول دعني أكن في الرعدة الاولى. فقال رسول الله ﷺ<sup>(٤٤)</sup> (امتعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري؟! وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفي عمر قتله خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وفي علي وحزمة، قتلوا عتبة وشيبة أبني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر. وتدل الآية على أن ايمان المؤمن يفسد بموالاة الكافرين وان المؤمن لا يوالي الكفار وان كان قريبه لأن الله تعالى كتب بمعنى اثبت (في قلوبهم الايمان)<sup>(٤٥)</sup> أي: التصديق فهي موقنة لا تدخل فيه الشك<sup>(٤٦)</sup>. وفي آية ثانية ينهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة المشركين اعداء الله

واعداًهم لإصرارهم على الكفر واخراجهم رسول الله ﷺ - والمؤمنين من ديارهم بمكة وهذا درس بليغ لنا نحن المسلمين أن نحذر من موالاته الكفار سواء بقول أو فعل، ودرس أكبر لقادة الامة من موادة اعداء الدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (٤٧).

إذ أشارت الآية الى عداوة هؤلاء كامنة للمؤمنين لا تلبث أن تستعلن حين يلاقونهم ويتمكنون منهم ، ثم انتقلت الى بيان الاسوة الحسنة في ابراهيم والذين معه في تبرئهم من المشركين وما يعبدون من دون الله معلنين عداوتهم لهم حتى يؤمنوا بالله وحده. (٤٨) قال جماعة من المفسرين: نزلت في (حاطب ابن أبي بلتعة) عندما أرسل رسالة الى كفار مكة يخبرهم بأن رسول الله ﷺ جهز جيشاً لفتح مكة فنزلت الآية بالنهاي عن موادة الكفار واعتذر لرسول الله ﷺ ( عن صنيعة وقال عمر (رضي الله عنه) لرسول الله ﷺ دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع أهل بدر فقال له: أعملوا ما شئتم (٤٩). وهذا مثل يجب أن يتعظ به المؤمنون من مكاتبة أو موادة الكفار لأن فيه الخروج عن الدين حال فهم مؤمنين وانهم كفار بما جاءكم من الحق والقرآن فأنتم مؤمنون به مصدقون له وهم كافرون فبينكم عداوة شديدة في العقيدة فكيف تلتقون (٥٠).

### المبحث الخامس

#### الشورى

قال تعالى: ﴿فَأَعَفُّ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٥١).

قوله (فأعف عنهم) فيم يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله، (وشاورهم في الامر) أي: في أمر الحرب إذا الكلام فيه، أو فيما يصح أن يشاور فيه أستظهاراً برأيهم وتطبيياً لنفوسهم وتمهيد لسنة المشاورة للامة إذ أمر المشورة سنة لمن يأتي من بعد رسول الله ﷺ - وهكذا عمل

الصحابية (رضي الله عنهم) ومن بعدهم بأمر المشورة (فإذا عزمتم) فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى، (فتوكل على الله) في أمضاء أمرك على ما هو أصح لك، فإنه لا يعلمه سواه<sup>(٥٢)</sup>. وقد ابتدأت الآية بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالتجاوز عما نالك من أذانهم يا محمد ﷺ - وأطلب لهم من الله المغفرة، وشاورهم في جميع أمورك ليقنّدي بك الناس قال: الحسن البصري (ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم)، وكان عليه السلام كثير المشاورة لأصحابه (فإذا عزمتم فتوكل على الله)<sup>(٥٣)</sup> أي: إذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فأعتمد على الله وفوض أمرك إليه<sup>(٥٤)</sup>. وقوله (وشاورهم في الامر) معناه: أستخرج آرائهم وأعلم ما عندهم، واختلف العلماء لأي معنى أمر نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي تام التدبير ، على ثلاثة أقوال:

الأول: ليستن به من بعده.

والثاني: لتطيب قلوبهم.

والثالث: للإعلام ببركة المشاورة.

ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح امره، علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه<sup>(٥٥)</sup>. وقد أمر الله تعالى عبادة بالشورى وأنزل سورة بهذا الاسم وتسمى (سورة الشورى) وفيها: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٥٦)</sup>، فوصفهم الله تعالى بصفات لمن أراد أن يشاور فأول هذه الصفات: (والذين استجابوا لربهم) ، أي: والذين اطاعوا - ربهم فحققوا بطاعتهم له ما طلب منهم أن يحققوه من فعل أو ترك فهذا يشمل الاستجابة لكل أوامره ولكل نواهيه، الجسدية والنفسية ولو كان لا يقتضي التكرار والمواظبة. الصفة الثانية للماشور دل عليها في النص قوله تعالى: (وأقاموا الصلاة) ، أي: (أدوا الصلاة المفروضة مداومين ومواظبين عليها في أوقاتها على الوجه الشرعي المطلوب فيها. وخصت إقامة الصلاة بالذكر للدلالة على وجوب الاهتمام بها والعناية

بالمحافظة عليها، لأنها أولى أركان الاسلام بعد إعلان الشهادتين. ثم ذكر صفة انعقاد الشورى فقال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) والشورى: أسم للتشاور ويطلق على الامر الذي يتشاور المتشاور فيه. ومن مفاخر الاسلام في نظمه أن كل أمره متروك لتنظيمات المسلمين وتدابيراتهم واصدار القرار فيه، خاصة لنظام الشورى، أي: لتشاور أهل الحل والعقد في الامر الموضوع للتشاور ولاتخاذ قرار بشأنه. والرسول ﷺ - في حياته يشاور أهل الحل والعقد في الامور الادارية والسياسية والحربية طاعة لله له بأن يشاورهم تكريماً لهم ولكنه غير ملزم بأن يأخذ برأي الاكثرية بل اذا عزم الامر نفذه متوكلاً على الله لأنه مسدد بالوحي<sup>(٥٧)</sup>. والغاية من الشورى إقامة العدل في مجتمعهم دون أن يستبد فرد أو قلة من الناس<sup>(٥٨)</sup>.

### المبحث السادس

#### صون المال العام

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمُكَّامِرِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>.

هذا خطاب يعم جميع الامة وجميع الاموال لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه فإنه مأخوذ بالحق لا بالباطل، ومأكول بالحل لا بالإثم وان كان صاحبه كارهاً كقضاء الدين إذا أمتنع منه من هو عليه. والحاصل أن ما لم يبيح الشرع، الزور والخيانة في الوديعة والأمانة، والأكل بطريق التعدي والنهب والغصب، والباطل هو الذاهب الزائل عن ابن عباس (رضي الله عنه) هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم إلى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه. وقال مجاهد: معناها الا تخاصم وانت تعلم انك ظالم<sup>(٦٠)</sup>. وهنا وقفة تدبر للحكام والقضاة والمتخاصمين بتحريم النقااضي بالباطل وشويع الرشوة في الامة مقيدة لها بل خطرهما على الامة أشد الاخطار ونهانا ان نلقي بالاموال الى

الحكام مستعينين في ذلك بالدفاع الباطل والرشوة التي تعطى لبعض اصحاب النفوس الضعيفة من الحكام ليصل صاحبه الى غرضه<sup>(٦١)</sup> وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُ بِحِكْمَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾<sup>(٦٢)</sup>. حرم الله تعالى أكل المال في هذه الآية واطلق لفظ الأكل وأريد به الأخذ للإشارة الى الأصل في وظيفة المال الإنسانية وهو أن يكون وسيلة لمتع الحياة التي أخصها الأكل، وإذا تحول من كونه وسيلة لنيل المطاعم إلى أن يقصد لذاته ليكون متعة مطلوبة كالأكل، فعندئذ يكون الشح والحرص، والشارع عنى بخل أو بغير حل، وهذا شأن من يأخذون الباطل يستمتعون به كما يستمتع الأكل بالطعام وعير بأموالكم للإشارة إلى أن مال آحاد الأمة مال الأمة موزعاً بين آحادها بتوزيع الله تعالى الذي قسم الارزاق وأن المال كله في حماية المجتمع ولو كان مملوكاً ملكاً خاصاً<sup>(٦٣)</sup>، فأباح التجارة المنفعية المتبادلة تبادل الاعواض، فشيء عوض شيء وجاءت التجارة لأنها هي الحلقة الجامعة لأعمال الحياة<sup>(٦٤)</sup> واعتبر أكل المال من الناس بالخؤون فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦٥)</sup>.

والخون أصله النقص كما أن الوفاء التمام، ثم أستعمل ضد الامانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان، وقيل: معناه الغدر وأخفاء الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾<sup>(٦٦)</sup> نهاهم الله عن أن يخونوه بترك شيء مما أفترضه عليهم أو يخونوا رسوله بترك شيء مما آمنهم الله عليه أو بترك شيء مما سنه لهم أو يخونوا شيئاً من الامانات التي أئتمنوا عليها وسميت أمانات لأنه يؤمن معها من منع الحق، مأخوذة من الأمن. قال ابن عباس (رضي الله عنه): "لا تخونوا الله بترك فرائضه



والرسول بترك سننه وارتكاب معاصيه" (٦٧). وقوله (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم أو فيما أسر الرسول اليكم من السر فتفشوه (وانتم تعلمون). إن الخيانة ليست من شأن الكرام بل هي من شأن اللئام (٦٨). وعبر عن الامانة والتي هي كل حق مادي أو معنوي يجب عليك أدائه إلى اهله (٦٩) فعلينا بعد معرفة حكم الايات ان نصون المال وأن نحافظ على الامانة ونحرص على ادائها.

### المبحث السابع العدالة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٧٠).

هذا الخاطب خاص بالنبي ﷺ وأمرائه، ثم يتناول من بعدهم، وقيل: ذلك خطاب للنبي ﷺ خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري. فهي إذن تتناول الولاية فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال، ورد المظالم وعدل الحكومات وغيرها، وتتناولهم ومن دونهم من الناس في حفظ الودائع و التحرز في الشهادات كيف تتناول الصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات أمانات لله تعالى، قال ابن عباس (رضي الله عنه) (لم يرخص لموسر ولا لمعسر أن يمسك الأمانة) (٧١).

وبداية الآية تتضمن خطاب يعم المكلفين قاطبة كما أن الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بزمهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية وقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٧٢)، أمر لهم بإيصال الحقوق المتعلقة بزمهم (٧٣) الغير إلى اصحابها وحيث كان الأمور به ها هنا مختصاً بوقت المرافعة به خلاف الأمور به أولاً فإنه يتعلق بوقت دون وقت إطلاقاً (٧٤). والدليل على أن

الخطاب خاصٌ بالنبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٧٥)</sup> والقسط: أخذ نصيب غيره والإقساط إعطاء غيره نصيبه غير منقوص، ولذلك قال العلماء: إن القاسط هو الظالم ولذا قال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>(٧٦)</sup>.

والمقسط: هو العادل، وقد خطاب النبي ﷺ بقوله (وان حكمت) أي: أن اخترت أن تحكم بينهم الرجاء أن ينفذوا الحكم ويذعنوا له، فلا تتبع أهواءهم وأحكم بالعدل والقسطاس المستقيم وذلك العدل بين الله تعالى حكمه، وشرع لزومه في كتبه المقدسة<sup>(٧٧)</sup>. فقدر حكم الله تعالى لأنه يقضي بالعدل والاحسان لأنها صفة المولى جل جلاله فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٧٨)</sup>، أي: العدل هو فعل كل مفروض، من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق. والاحسان: فعل كل مندوب اليه، أي: فهو فوق العدل كالرحمة التي هي فوق القوة. فهو تعالى يأمر أيضاً بالاحسان في العبادة والى المسيء والى القرابة والجيران والى الناس قاطبة<sup>(٧٩)</sup>

### المبحث الثامن

#### الوفاء بالعهد والشرط

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٨٠)</sup>. على قادة الدولة الوفاء بالعهود التي تقطعها على نفسها لأنها مسؤولة عن ذلك العهد والوفاء به عندما يحل وقت قضاء ذلك العهد أو الشرط، والاية خاطبت النبي ﷺ فعن الزهري قال: إذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا) أفعلوا، فالنبي ﷺ، وقوله ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٨١)</sup>، قال ابن عباس (رضي الله عنه) يعني بالعقود: العهود: وهي ما كانوا يتعاقدون عليه من حلف أو غيره، أو هي ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تتكثروا، وعليكم بما أخذ الله من الميثاق على من أقرب الايمان

للنبي ﷺ والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام<sup>(٨٢)</sup> وفيه دليل على لزوم العقد وثبوته لأن الدولة من مبادئها فصل الخصومات التي تحدث بين المتعاقدين لأنهما يرجعان الى تلك الدولة لفصل الخصومة فعن رسول الله ﷺ (المبيعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار)<sup>(٨٣)</sup>. ثم أمر بأية أخرى على تغليظ الوفاء بالعهد بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾<sup>(٨٤)</sup>، والوفاء هو حفظ ما يقتضيه العقد قياماً بواجبه، وهو ما يتعهد به الانسان ويلتزم به ولا فرق أن يكون بين العبد وعبد آخر كالمعاملات التي يتعاقد الناس ويتعاهدون بينهم لأدائها.

وسميت عقوداً، لأن الله ربطها بعباده، كما يربط الشيء بالشيء بالحبيل الوثيق وسواء أكان الغير مسلماً أم كافراً. وكل عهد أو عقد تجب مراعاته والوفاء به وتنفيذه إلا ما خالف أحكام الشريعة من ظلم أو اجحاف في حق.

إن العقود المعتبرة هي التي أجازها الشرع وأما العقود والعهود خاص بالجائز شرعاً. وقد وضع الاسلام الغدر الذي لا يفي بعهده وهو من أقبح الخصال وأذمها سواء أكان صاحب ولاية كرئيس حكومة أو غيره وغدر المسؤول يتعدى إلى اناس كثيرين مع أن مقدوره أن يجتنب ذلك، وغدر الحاكم يشمل ترك شفقتة على رعيته وعدم الاعتناء بهم بحيث لا يحافظ عليهم ولا يهتم بشؤونهم والغدر بين المجتمعات والمؤسسات هو عدم الانصاف فيما بينها والخروج على ما اتفقت عليه والاسلام يشدد في محافظته على العقود الشرعية وهي قاعدة ايمانية تتصل بمفهوم الحضارة، وفي السنة (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أُوْتِمن خان)<sup>(٨٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>(٨٦)</sup> قال ابن كثير رحمه الله: أي: الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونها بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه<sup>(٨٧)</sup><sup>(٨٨)</sup>.

الخاتمة:

وها أنا أصل الى خاتمة هذا البحث وأدعو من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال مسيرة البحث.

٦. الدولة مسؤولة عن اقرار النظام وحفظه وكل هذه يحققها رجال الشورى.

٧. الوقوف على نهى الله تعالى على منع الفساد في الارض وهذه مهمة الدولة المسلمة.

٨. لا يجتمع الإيمان الحق مع وداد أعداء الله حتى لو كان الاعداء من القريبين.

٩. تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لا تذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب.

١٠. اعتماد مبدأ الشورى بين امراء الدولة لتحقيق المصلحة العامة.

## الهوامش

- (١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، أ.د. محمود حمدي زقزوق، (ص/٨٢ - ٨٣)
- (٢) النساء: الآية ٨٣.
- (٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، دار الفكر (بيروت - لبنان) (١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م) ، (٥/١٨٠ - ١٨١).
- (٤) سورة النساء: الآية ٨٣.
- (٥) ينظر: تفسير المراغي- الاستاذ أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٧٤، (ج٢/١٠٥-١٠٦).
- (٦) ينظر: تفسير المراغي (ج٢/١٠٥ - ١٠٦).
- (٧) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبة الزحيل - دار الفكر ، ط٢ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دمشق - بيروت (٣/١٨٤ - ١٨٥).
- (٨) ينظر: في ظلال القرآن - سيد قطب رحمه الله - دار الشروق - الطبعة الشرعية الرابعة و الثلاثون، (٢٠٠٤ - ١٤٢٥هـ) ، (٢ / ٧٢٤).
- (٩) سورة النساء: الآية ٨٣.
- (١٠) ينظر: أيسر التفاسير (كلام العلي الكبير - وبها مشه نهر الخير على أيسر التفاسير) تأليف: أبي بكر جابر الجزائري - الناشر: مكتبة العلوم - المدينة المنورة، ط٥ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، (٢٤٢).
- (١١) سورة النساء: الآية ٨٣.
- (١٢) سورة طه: الآية ٩٤.
- (١٣) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل -أبي القاسم جار الله محمود بن عمر محمد الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية، ط٥ بيروت - لبنان، (٣/٨١).
- (١٤) ينظر: الاساس في التفسير - سعيد حوى، رحمه الله - دار السلام، ط٦ (٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ)، ج٧/ص ٣٣٨٣.
- (١٥) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم - ط١٢ القاهرة (١٣١٥هـ - ١٩٩٤) ، (٤٦٥).
- (١٦) سورة النساء: الآية ٨٤.

- (١٧) سورة النساء: الآية ٨٤.
- (١٨) صحيح الجامع البخاري، كتاب الشروط، باب: ما جاء في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب و كتابة الشروط، (١٢٠/٢).
- (١٩) الجامع لاحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) - دار الحديث - القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج ٣/ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
- (٢٠) ينظر: السراج المنير - للإمام الشيخ الخطيب الشربيني- تحقيق: أحمد عزو وعناية الدمشقي- دار احياء التراث العربي، ط ١ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (بيروت - لبنان)، (٥٠٠/١).
- (٢١) سورة النساء: الآية ٨٤.
- (٢٢) ينظر: التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر أبو عاشور - الدار التونسية للنشر - دار الجماهيرية)، (١٤٣/٥).
- (٢٣) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
- (٢٤) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
- (٢٥) ينظر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشهور بخطيب الري (٥٤٤ - ٦٠٤هـ)، دار الفكر.
- (٢٦) ينظر: في رحاب التفسير - عبد الحميد كشك - رحمه الله - المكتب المصر الحديث، (٢/ ١٤٩٤-١٤٩٥).
- (٢٧) ينظر: في رحاب التفسير، ١٤٩٤/٢ - ١٣٩٥.
- (٢٨) صحيح البخاري، (٢٤/٤ - ٢٥).
- (٢٩) سورة الأعراف: الآية ٥٦.
- (٣٠) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت. ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ط ٣، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ، (١/ ٦١١).
- (٣١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار - تأليف السيد الامام محمد رشيد رضا (١٨٦٥هـ - ١٩٣٥م) خرج احاديثه: ابراهيم شمس الدين، منشورات. محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط ١، (٤٠٦/٨).
- (٣٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، (٤٠٦/٨ - ٤٠٧).

- (٣٣) رياض الصالحين. تأليف الامام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦هـ) تحقيق عصام موسى هادي، جمعية أحياء التراث الاسلامي ، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، \_ (١٧٤ - ١٧٥).
- (٣٤) سورة الأعراف: الآية ٥٦
- (٣٥) ينظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ) ، تحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري - دار احياء التراث العربي (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، (٥٧٣/٣).
- (٣٦) سورة القصص: الآية ٨٣.
- (٣٧) سورة القصص: الآية ٨٣.
- (٣٨) ينظر: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) ، تحقيق: وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١ دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ، (٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ) ، (٢٥٨/٢).
- (٣٩) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، ط ١ (١٤٠٣ - ١٩٨٣م) (٤٤٤/٦).
- (٤٠) ينظر: تفسير أبى حاتم الرازي المسمى التفسير بالمأثور - للامام عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن أدريس التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ضبطه أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، ط ١ (٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ) ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، (٢٥٦/٧).
- (٤١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
- (٤٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
- (٤٣) المقتطف من عيون التفاسير - للمرحوم فضيلة الشيخ: مصطفى الحصن المنصوري: حققه وخرج احاديثه. محمد علي الصابوني - دار السلام، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، (٢١٤/٥).
- (٤٤) تفسير كلمات القرآن الكريم للشيخ، حسنين محمد مخلوف بهامشه اسباب النزول، للامام الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، دار البينة للطباعة والنشر (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، (٣٩٢).
- (٤٥) سورة المجادلة: الآية ٢٢.



- (٤٦) ينظر: تفسير المظهري - تأليف الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري (ت ١٢٢٥هـ)، خرج أحاديثه إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت - لبنان)، (٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ)، (٦٤/٧).
- (٤٧) سورة الممتحنة: الآية ١.
- (٤٨) ينظر: المنتخب في التفسير، (٨١٩).
- (٤٩) تفسير كلمات القرآن وبهامشه أسباب النزول للواحدي، (ص/٣٩٧ - ٣٩٨).
- (٥٠) ينظر: رحاب التفسير، (ج ٧/ص ٦٦٨٨).
- (٥١) سورة آل عمران: ١٥٩.
- (٥٢) ينظر: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت. ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (١٨٧/١).
- (٥٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
- (٥٤) ينظر: صفوة التفاسير - تأليف محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت - لبنان)، ط ٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) (٢٤٠/١).
- (٥٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير - للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٥٩٧هـ، خرج أحاديثه. أحمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ٢ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، (٣٩٠/٢ - ٣٩١).
- (٥٦) سورة الشورى: الآية ٣٨.
- (٥٧) ينظر: معارج التفكير ودقائق التدبر - دار القلم - دمشق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، (ج ١٢/٦٤٤ - ٦٤٥).
- (٥٨) المنتخب في التفسير، (ص: ٧٢٠).
- (٥٩) سورة البقرة: الآية ١٨٨.
- (٦٠) فتح البيان في مقاصد القرآن - تأليف الامام العلامة ابي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين الفتوحى البخاري (١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ) راجعة. عبد الله بن ابراهيم الانصاري إحياء التراث الاسلامي بدولة قطر (١٤١٠هـ - ١٩٨٩)، (٣٨٠/١).
- (٦١) ينظر: التفسير الواضح - د. محمد محمود حجازي - دار الجبل بيروت، (٣٣/١).

- (٦٢) سورة النساء: الآية ٢٩.
- (٦٣) ينظر: زهرة التفاسير - للإمام جليل محمد ابو زمرة - دار الفكر العربي ، (١٦٥٥/٣ - ١٦٥٦).
- (٦٤) تفسير الشعراوي - اخبار اليوم قطاع الثقافة، (٢١٤٥/٤ - ٢١٤٦).
- (٦٥) سورة الأنفال: الآية ٢٧.
- (٦٦) سورة غافر: الآية ١٩.
- (٦٧) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن - تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان) (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ، (٢٦/٣ - ٢٧٩).
- (٦٨) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد - للعلامة ابي العباس أحمد بن محمد بن المهدي أبن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق: عمر أحمد الراوي ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ، ط ١ (١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م) ، (٢٢/٣).
- (٦٩) ينظر: تفسير المراغي، (١٩٢/٣).
- (٧٠) سورة النساء: الآية ٥٨.
- (٧١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن ابراهيم الانصاري، ط (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢) ، (١٠٨/٤ - ١٠٩).
- (٧٢) سورة النساء: الآية ٥٨.
- (٧٣) ينظر: تفسير أبي السعود أو ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم - تأليف: القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت ٩٨٢هـ) ، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ، ط ١ ، (٣٥٢/٢).
- (٧٤) ينظر: تفسير ارشاد العقل أبي السعود، (٣٥٢/٢).
- (٧٥) سورة المائدة: الآية ٤٢.
- (٧٦) سورة الجن: الآية ١٥.
- (٧٧) ينظر: زهرة التفاسير، (٢١٩٥/٤).
- (٧٨) سورة النحل: الآية ٩٠.
- (٧٩) التفسير الوسيط - أ.د وهبة الزحيلي - دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، ط ٢ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (١٢٩٥/٢ - ١٢٩٦).

- (٨٠) سورة المائدة: الآية ١.
- (٨١) سورة المائدة: الآية ١.
- (٨٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم - للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١هـ - ٧٧٤هـ) ، حققه: ابو معاوية مازن بن عبد الرحمن البيروتي، جمعية احياء التراث الاسلامي - دار الصديق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ، (٧-٦) .
- (٨٣) الموطأ- للإمام مالك بن انس (رحمه الله)، تحقيق: د. يحيى مراد - مؤسسة المختار - ط (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (١٣٢٠/٢) باب بيع الخيار.
- (٨٤) سورة النحل: الآية ٩١.
- (٨٥) صحيح الجامع أو صحيح البخاري، (١٦٨/٢).
- (٨٦) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
- (٨٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، (٥٨/٣).
- (٨٨) ينظر: أصول المنهج الاسلامي - تأليف عبد الرحمن عبد الكريم - جمعية احياء التراث الإسلامي، ط ٦ (١٤٢٥ - ٢٠٠٤م) ، (٥٦٣ وما بعدها).

## المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. الأساس في التفسير - سعيد حوى (رحمه الله)، دار السلام، ط٦ (٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ).
٢. أصول المنهج الاسلامي - تأليف عبد الرحمن عبد الكريم ، جمعية احياء التراث الاسلامي، ط٦ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير - وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير - تأليف. أبي بكر الجزائري - الناشر مكتبة العلوم - المدينة المنورة، ط٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد - تأليف العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني، (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق. عمر أحمد الراوي ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
٥. التحرير والتوير - تأليف الاستاذ العلامة الامام احمد الطاهر بن عاشور - الدر التونسية للنشر - الدار الجماهيرية للنشر والاعلان.
٦. أرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم - تأليف: القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت٩٨٢هـ)، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (ت.د.).
٧. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت - لبنان) ، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٨. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١ دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، (٢٠٠٦ - ١٤٢٧هـ).
٩. تفسير الشعراوي - أخبار اليوم - قطاع الثقافة.
١٠. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين المشهور بخطيب الري (٥٤٤هـ - ٦٠٤هـ)، دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط ٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
١١. محاسن التأويل - تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تحقيق الاستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء التراث العربي (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
١٢. بتفسير المنار - تأليف. السيد الامام محمد رشيد رضا (١٨٦٥هـ - ١٩٣٥م)، خرج احاديثه. ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ١.
١٣. تفسير القرآن العظيم - للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١هـ - ٧٧٤هـ)، تحقيق: ابي معاوية مازن بن عبد الرحمن البيروتي، جمعية احياء التراث الاسلامي - دار الصديق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
١٤. تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - تأليف: الإمام أبي القاسم جار محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) - صححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ٥.

١٥. تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ) تحقيق عبد الله بن أبراهيم الانصاري، ط٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
١٦. تفسير المراغي - تأليف الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ط٣ (١٤١٤هـ - ١٩٧٤م).
١٧. التفسير المظهري - تأليف الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري (ت ١٢٢٥هـ)، وضع أحاديثه أبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت - لبنان) (٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ).
١٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د. وهبة الزحيلي - دار الفكر (دمشق - بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
١٩. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجبل - بيروت.
٢٠. تفسير بن أبي حاتم الرازي المسمى التفسير بالمأثور للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن أدريس التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ضبطه. أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي ط١ (٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان).
٢١. تفسير كلمات القرآن الكريم - للشيخ حسنين محمد مخلوف ، بهامشه أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، دار البينة للطباعة والنشر (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر (بيروت - لبنان) ، (١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م).
٢٣. الجامع لأحكام القرآن، لأبي محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) - دار الحديث - القاهرة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٢٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣).
٢٥. رياض الصالحين - تأليف الامام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١هـ - ٦٧٦هـ)، تحقيق. عصام موسى هادي، جمعية احياء التراث الاسلامي ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٦. زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، خرج أحاديثه. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢ (٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ).
٢٧. زهرة التفاسير - الامام الجليل محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي.
٢٨. السراج المنير - للإمام الخطيب الشربيني - خرج احاديثه أحمد عزو عناية الدمشقي دار احياء التراث العربي، ط ١ (بيروت - لبنان) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٩. صحيح البخاري - دار الجيل (بيروت - لبنان).
٣٠. صفوة التفاسير - تأليف محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، (بيروت - لبنان)، ط ٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٣١. فتح البيان في مقاصد القرآن - تأليف الامام العلامة أبي الطيب صديق بن حسن بن الحسين القنوجي البخاري (١٢٤٨هـ - ١٣٠٧هـ)، راجعه. عبد الله بن ابراهيم الانصاري، احياء التراث الاسلامي بدولة قطر، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
٣٢. فتح البيان في مقاصد القرآن - تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - تأليف: الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ٣ (٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ).
٣٤. في رحاب التفسير - عبد الحميد كشك (رحمه الله) - المكتب المضري الحديث.
٣٥. في ظلال القرآن - بقلم سيد قطب (رحمه الله) (ت ١٩٦٦)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣٦. معارج التفكير وحقائق التدبر - دار القلم - دمشق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣٧. المقتطف من عيون التفاسير - للمرحوم فضيلة الشيخ. مصطفى الحصن المنصوري، حققه وخرج احاديثه: محمد علي الصابوني، دار السلام، ط (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
٣٨. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط ١٨ القاهرة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٣٩. الموسوعة القرآنية المتخصصة - تأليف أ.د محمود حمدي زقزوق - القاهرة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- ٤٠.



# قيم الدولة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة

د. محمد معيوف مطرود فاضل  
الجامعة العراقية / كلية الآداب

## ملخص البحث

وها أنا أصل الى خاتمة هذا البحث وأدعو من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال مسيرة البحث.

١. الدولة مسؤولة عن اقرار النظام وحفظه وكل هذه يحقها رجال الشورى.
٢. الوقوف على نهى الله تعالى على منع الفساد في الارض وهذه مهمة الدولة المسلمة.
٣. لا يجتمع الإيمان الحق مع وداد أعداء الله حتى لو كان الاعداء من القريبين.
٤. تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لا تذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب.
٥. اعتماد مبدأ الشورى بين امراء الدولة لتحقيق المصلحة العامة.

### Abstract

Here I am out of the conclusion of this research and I pray to God Almighty to accept me this work and make it purely for His sake and God bless our Prophet Muhammad and his family and peace and recognition. The most important findings in the course of research.

1. The state is responsible for maintaining order and save all of these men achieved Shura.
2. Stand on the prohibition of God to prevent corruption in the land and the Muslim state task.
3. Faith does not meet the right with Dad and the enemies of God, even if the enemies of the close.
4. Report of the principle that war is not news broadcast only by the senior leadership is not even turmoil.
5. The adoption of the principle of consultation between the princes of the state to achieve the public interest.



## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وبعد:

إبتليت كثير من الدول بقصورها لا سيما فيما يتعلق بمبادئها العامة أو القيم التي يجب أن تتصف بها فوفقني الله تعالى الى البحث عن هذه المبادئ أو القيم وجمع الآيات وبعض الاحاديث النبوية التي تدعوا هذه الدول والحكومات أن تأخذ بها ومن أهم هذه القيم:

- إقرار النظام
- الإعداد للجهد
- تجنب الاستبداد والفساد
- تجنب موالاة العدو
- الشورى
- صون المال العام
- العدالة
- الوفاء بالعهد والشرط

فيسر الله تعالى لي كتابة البحث في هذه المبادئ والقيم وتفسير الآيات التي تتعلق بهذه القيم مستعيناً بكتب التفسير والحديث واللغة والعقيدة والمعاجم.

ثم ختمت البحث النتائج التي توصلت اليها.

وفي الختام لا يسعني إلا شكر كل من ساعدني وأرشدني بنصائحه القيمة في كتابة هذا الموضوع سائلاً المولى تعالى أن يوفقهم لكل خير: وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.  
الباحث

## تمهيد

### المبدأ أو القيم العام:

كلمة مبدأ في العربية مصدر ميمي والمصدر الميمي يصلح للدلالة على الزمان أو المكان أو الحدث، وهذا يعني أن كلمة (مبدأ) لغة تعني زمان البدء أو مكانه أو نفس البدء، وكلمة (عام) تعني الشمول لجزئيات تدرج تحتها، والمقصود بالمبدأ العام هنا: (حقيقة تهية الإنسان للتكليف) فالمبدأ يختلف عن مطلق الحقيقة التي كثيراً ما ينبه عنها القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِهِيْجٍ﴾ الحج: ١٥ ، أو غيرها من الحقائق الايمانية أو الكونية حيث لا تشتمل على تكليف ولا تهية الانسان لذلك التكليف مباشرة كما سنرى في ضرب أمثلة المبادئ.

والمبدأ والقيم يختلف أيضاً عن الحكم الشرعي الذي يشتمل مباشرة على التكليف مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ إِلَى غَسَقِ أَيْلٍ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨ ، فأقم الصلاة تكليف، وجملة (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) حقيقة إيمانية.

والمبدأ أو القيم يختلف أيضاً عن القاعدة الفقهية أو الأصولية من حيث المنشأ، فالقاعدة الفقهية نشأ بعد تفريع الفروع في الفقه الاسلامي وكأنها قد جردت فروعاً كثيرة وأخذت المشترك بينهما وصاغته في صورة قاعدة مثل: (لا ضرر ولا ضرار)، (الأمر بمقاصدها)، وكذلك القواعد الأصولية التي نشأت من تتبع اللغة العربية أو المصادر الشرعية مثل: (النهي يقتضي الفساد) أو (المشترك لا يعم) أو (الاستثناء معيار العموم).

### خصائص المبدأ أو القيم:

المبدأ يشتمل على حقيقة، وعلى تكليف مباشر، ولا معنى لوجوده من غير وجود الانسان ، فالانسان هو موضوعه.

المبادئ القرآنية التي سنوردها انما هي على سبيل المثال تنبيهاً لهذا الجانب العظيم من القرآن الكريم، وهي تحتاج الى تتبع واستقصاء مستقل وبحث خاص يقوم استقرارها بإيراد كلام أهل التفسير عنها، ثم نبين عناصر كل مبدأ وما يلزمه من مقدمات وما يترتب عليه من نتائج ثم نقوم ببيان العلاقة البينية بين كل هذه المبادئ بغية الوصول الى بناء النموذج المعرفي ثم بيان كيفية تشغيلها في المجالات المختلفة: السياسة، والقانون، والاجتماع البشري، والتربية، والفكر والعبادة، والعقيدة والدعوة<sup>(١)</sup>.

### المبحث الاول

#### إقرار النظام

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، يعني: جل ثناؤه بقوله: (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذا عوا به) واذا جاء هذه الطائفة المبينة غير الذي يقول رسول الله ﷺ أمر من الامن، فالهاء والميم في قوله (إذا جاءهم) من ذكر الطائفة المبينة، يقول: جل ثناؤه: وإذا جاءهم خبر سرية للمسلمين غازية بأنهم قد آمنوا من عدوهم بغلبتهم اياهم أو الخوف، يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم أذاعوا به، يقول: أفشوه في الناس قبل رسول الله ﷺ ، وقبل امراء سرايا رسول الله ﷺ يقال: اذاع فلان بهذا الخبر واذاعه، ومعنى (اذاعوا به) ، اي: اظهروه ونادوا به في الناس<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: ان اولئك المذيعين فوضوا الكلام في الامور العامة الى الرسول وهو الامام الاعظم<sup>(٥)</sup> والقائد العام في الحرب وإلى اولي الامر

من اهل الحل والعقد ورجال الشورى لوجدوا علم ذلك عندهم، لأنهم هم الذين يستنبطون مثله، (والاستنباط: استخراج ما كان مستتراً عن الابصار) ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم، إذ لكل طائفة منهم استعداد للاحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الامة دون بعض، لأن من يدير الدولة مسئولاً عن حفظ النظام واقراره فهو يهيء احصائي المسائل المالية وذلك في الامور القضائية وفي بناء القناطر والجسور ورابع في شؤون الحرب وكل هذه المسائل يدرسها رجال الشورى (مجلس الوزراء بالاصطلاح العصري) ويستنبطون منها ما يكون فيه المصلحة للدولة وينفذونه ولا ينبغي ان تضيعه العامة لما في ذلك من الضرر بها من سائر الوجوه والاعتبارات<sup>(٦)</sup>. لذا يجب أن يترك الحديث في الشؤون العامة الى قائد المسلمين وهو الرسول ﷺ ومن ينوب عنه من بعده فهم أدري الناس بالكلام فهم الذين يتمكنون من استنباط الاخبار الصحيحة واستخراج ما يلزم تدبيره وقوله بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمر الحرب ومكائدها أما التحدث بكل ما تسمع ونقل الاخبار من غير تثبت<sup>(٧)</sup> ففيه ضرر واضح بالدولة، لذا فإن كل الدول المعاصرة تقرض رقابة عن الاخبار في الصحف والاذاعة وغيرها حتى لا تشوه المواقف وتستغل عقول الناس، سواء في السلم أو في الحرب لأن ذلك أمر منكر يضر بالمصلحة العامة<sup>(٨)</sup>. فعلى القائد المسلم ان يغرس الايمان والولاء للقيادة المؤمنة والقرآن ويعلم نظام الجندية في آية واحدة بل بعض آية فصدر الآية يرسم صورة منفرة للجندي وهو يتلقى نبأ الامن أو الخوف، فيعمله ويجري منتقلاً مذبذباً له من غير تثبت وغير رجحة للقيادة، ووسطها يعلم ذلك التعليم، وآخرها يربط القلوب بالله في هذا ويذكرها بفضله ويحركها الى الفكر على هذا الفضل ويحذرهما من اتباع الشيطان الواقف بالمرصاد الكفيل بأفساد القلوب لولا فضل الله ورحمته قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٩)</sup>، آية واحدة عملت هذه الشحنة كلها وتتناول

القضية من أطرافها وتعمق السريرة والضمير وهي تضع التوجيه والتعليم<sup>(١٠)</sup>، فقال: ﴿لَا تَبْعُوا الشَّيْطَانَ﴾<sup>(١١)</sup>، في قبول تلك الاشاعات المغرضة والاذاعات المثبطة (إلا قليلاً منكم ذوي الاراء الصائبة والحصافة العقلية الذين لا تثيرهم الدعاوي ولا تغيرهم الارجيف ككبار الصحابة (رضي الله عنه)) وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً بأخذ من ينوب عن القائد للدولة إذا غاب فيدير. مصالح الامة من بعده وله الحق في محاسبته عند عودته إذا حصل منه قصور أو ما يضر بالمصلحة العامة، قال تعالى في حق وزير موسى (عليه السلام): ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾<sup>(١٢)</sup>، بينت الآية كيف استخلف موسى أخيه هارون عليه السلام على قيادة بني اسرائيل وكيف حاسب أخيه هارون عليه السلام لأنهم عبدوا العجل بعد غيبته فكان شديد الغضب لله ولدينه فلم يمتلك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعدما رأوا الآيات العظام، أن القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضباً لله واستكشافاً وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه العدو المكاشف قابضاً على شعر رأسه وكان أفرع الشعر أي (تام الشعر) وعلى شعر وجهه يجره اليه، أي: لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتقاتلوا<sup>(١٣)</sup>. ثم ان هارون عليه السلام ذكره عذره في عدم قتال من عبد العجل بمن لم يعبد له فلم يكن ضعفاً منه بل أراد أن يحقق النظام بين قومه ولا يحدث قتال وتفرقة فهذه هي قوة القائد المسلم في تدبير أمر الرعية فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ طه: ٩٤، أي: ولم تحفظ قولي عندما استخلفك، وفيه دليل على جواز الاجتهاد وفي انكار موسى (عليه السلام) دليل على أن القضاء على الكفر ولو على حساب وحدة الامة هو الاصلاح، وليس الاصلاح على وحدة الامة مع الكفر ثم تابع موسى

علية السلام عملية السيطرة على الفتنة<sup>(١٤)</sup>، بأن يكون قومه شيعاً واحزاباً فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم تخلفني فيهم كما عهدت اليك<sup>(١٥)</sup>.

## المبحث الثاني

### الإعداد للجهاد

قال تعالى: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾<sup>(١٦)</sup>.

قوله: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: (من أجل هذا فقاتل كأن معنى هذا لا تدع الجهاد ضد العدو الاستتصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحذك لأنه وعده بالنصر إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة، فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، أي: أنت يا محمد ﷺ وكل واحد من أمتك القول له: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾<sup>(١٧)</sup>، ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ - (والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سافتي)<sup>(١٨)</sup>، ووجه النظام على هذا والاتصال بما قبله أنه وصف المنافقين التخليط وإيقاع الاراجيف<sup>(١٩)</sup>. ونلاحظ الامر بالاية للوجوب على حثهم على القتال ورغبتهم في إذ ما عليك في شأنهم الا التحريض (عسى الله أن يكف بأس)، أي: حرب (الذين كفروا) وعسى في كلام الله وعد واجب الوقوع بخلافها في كلام المخلوق<sup>(٢٠)</sup>. وقد علم أيجاب القتال على جميع المؤمنين فهو أمر للقدوة بما يجب اقتداء الناس به، وبين لهم علة الامر وهي رجاء كف بأس المشركين ثم قال: ﴿أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾<sup>(٢١)</sup>، تنذيل لتحقيق الرجاء أو الوعد والمعنى أنه أشد بأساً إذا شاء أظهر ذلك ومن دلائل المشيئة امتثال أوامره التي منها الاستعداد وترقب المسببات من أسبابها، والتتكيل: عقاب يرتدع به رائيه فضلاً عن الذي عوقب به<sup>(٢٢)</sup>. وفي آية ثانية يدعوا الله تعالى الاعداد لملاقاة العدو فقال تعالى:



﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٣).

والمراد بالقوة ههنا، ما يكون سبباً لحصول القوة وذكرها فيه وجوهاً:

**الاول:** المراد من القوة أنواع الاسلحة، روي أنه ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر وقال: (إلا أن القوة الرمي) قالها ثلاثاً.

**الثاني:** قال بعضهم: القوة هي الحصون.

**الثالث:** قال اصحاب المعاني الاولى أن يقال هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو وكل ما هو آلة للغزو والجهاد لأن الدولة مسؤولة عن توفير الناس للجهاد والدعوة للنفير العام عندما يقترب العدو لغزو بلاد المسلمين، وهذه الآية تدل على الاستعداد للنفير وللجهاد بالنبيل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة إلا أنه من فروض الكفاية، وقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٢٤)، الرباط والمرابطة أو جمع رباط كفصال وفصيل ولا شك أن ربط الخيل من أقوى الآلات الجهاد (٢٥). وقوله جل شأنه (ما استطعتم) دليل على أن الجماعة المسلمة يجب أن تبذل أقصى جهدها وتستفرغ ما في وسعها في سبيل قوتها ومناعتها فليس السلام في الإسلام سلاماً ذليلاً، انما هو سلام عزيز كريم تحميه القوة ولا يمكن أن يقوم الحق وحده بلا قوة فإننا نقول: الاستعداد للحرب أنفى للحرب وما أستعمل (٢٦) الاسلام السيف الا للقضاء على السيف، كذلك أمر الله تعالى أن تعد الرباط لحماية الثغور وصيانة الحدود والرباط في سبيل الله له أجر جزيل عند الله وما زال للخيل دور عظيم في ذلك الرباط كل هذا لإرهاب العدو وأيقاع الخوف في نفسه والاضطراب في فؤاده والرعب في قلبه كذلك ترهبون آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله

يعلمهم<sup>(٢٧)</sup> وقد بوب الامام البخاري (رحمه الله) في كتابه باباً سماه فضل الجهاد والسير - حيث أورد أبواباً كثيرة نقل فيها كثير من الاحاديث النبوية الصحيحة التي تدل على فضل الجهاد والرباط في سبيل الله تعالى نذكر بعض هذه الاحاديث:

١. باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فعن أبي موسى الاشعري، جاء رجل الى رسول الله ﷺ سألته عن الجهاد فقال (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله)<sup>(٢٨)</sup>

### المبحث الثالث

#### تجنب الاستبداد والفساد

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

نهاهم الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الارض بوجه من الوجوه قليلاً كان أو كثيراً، ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم وتغویر أنهارهم. ومن الفساد في الارض الكفر بالله والوقوع في معاصيه، ومعنى (بعد اصلاحها) بعد أن اصلحها الله بأرسال الرسل وانزال الكتب وتقرير الشرائع فهذه هي مهمة الدولة المسلمة بالحفاظ على الرعية وابعاد كل ما يضرهم.

وقوله (ادعوه خوفاً وطمعاً)، أنه يشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً وجللاً طامعاً في اجابة الله لدعائه، والخوف: الانزعاج من المضار التي لا يأمن من وقوعها. والطمع: توقع حصول الامور المحبوبة<sup>(٣٠)</sup> فالله يحذرنا من الفساد في الارض بعمل ضار ولا بحكم جائر مما ينافي صلاح الناس في أنفسهم كعقولهم وعقائدهم وآدابهم الشخصية والاجتماعية أو في معاشهم ومرافقتهم من زراعة وصناعة وتجارة<sup>(٣١)</sup> وطرق موصلة ووسائل تعاون إذ هي طريق الاصلاح الاعظم، لأنه تعالى أصلح حال البشرية بهداية الدين فأصلح عقائدهم

وبناها على البرهان وأصلح به أخلاقهم فأدبهم بما جمع لهم بين مصالح الروح والجسد وما شرع لهم من التعاون والتراحم، وأصلح سياستهم، ونوع الحكم بينهم شرع حكومة الشورى المقيدة بأصول درء المفساد وحفظ المصالح والعدل والمساواة، وأشد الفساد الكبر والعنوة الداعيان الى الظلم والعلو الم تر إلى هؤلاء الا فرنج كيف اصلحوا كل ما في الارض من معدن ونبات وحيوان وعجزوا عن اصلاح نفس الانسان بمعاداتهم أكمل الاديان فحولت دولهم كل ما اهتدى اليه علماءهم من وسائل العمران الى افساد نوع الانسان وتعادي شعوبه بالتنازع على الملك والسلطان<sup>(٣٢)</sup>. وترى مدى سعة شريعة الاسلام حيث بوبت كتب الحديث أبواباً نقلت فيه الاحاديث الصحيحة عن (الوالي العادل) فذكر من هذه الاحاديث:

١. عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ (خياراً أئمتكم المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكم وأهلهم وما ولوا).
٢. وعن عائشة أم المؤمنين قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا (اللهم من ولي من امتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه ومن ولي من أمر امتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به)<sup>(٣٣)</sup> ثم امتدح الله تعالى من يصلح هذه الارض بالحكم المقسط فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣٤)</sup>، أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره<sup>(٣٥)</sup> وفي آية أخرى ذكر الله سبحانه وتعالى أجور المصلحين في الأرض فقال: ﴿تِلْكَ الْأَرْضُ الَّتِي بَعَثْنَا فِيهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ الْأَرْضُ الَّتِي بَعَثْنَا فِيهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣٧)</sup>، يعني: نعطيها للذين لا يريدون تعظيماً وتكبراً وتجبراً فيها عن الايمان (ولافساداً) في الارض يعني لا يريدون المعاصي

في الدنيا أو التكبر يغير حق ولا فساداً قال: أخذ المال بغير حق. ويقال (العلو) الخطرات في القلب والفساد فعل الاعضاء<sup>(٣٨)</sup>. وقيل: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع في الولاة وأهل القدرة من سائر الناس<sup>(٣٩)</sup> وقوله: ﴿وَالْمَقِيَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لمن أطاعني واطاع رسولي.<sup>(٤٠)</sup>

#### المبحث الرابع

#### تجنب موالاة العدو

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾<sup>(٤١)</sup> الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد، أي: لا تصادف قوماً جامعين بين الايمان بالله أن يمتنع ولا يوجد بحال (ولو كان) أي: من حاد الله ورسوله (أبائهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم)، أي: آباء الموالدين، فإن قضية الايمان أن يهجر الجميع بالمرة. (أولئك) إشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليه، وقوله (كتب في قلوبهم الايمان)<sup>(٤٢)</sup>، أي: أثبتته ورسخه فيها منهم المؤمنون الصادقون في ايمانهم<sup>(٤٣)</sup>. روى أبو مسعود (رضي الله عنه) قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا أبنه يوم بدر الى المبارزة، فقال: يا رسول دعني أكن في الرعدة الاولى. فقال رسول الله ﷺ<sup>(٤٤)</sup> (امتعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري؟! وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفي عمر قتله خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وفي علي وحزمة، قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر. وتدل الآية على أن ايمان المؤمن يفسد بموالاة الكافرين وان المؤمن لا يوالي الكفار وان كان قريبه لأن الله تعالى كتب بمعنى اثبت (في قلوبهم الايمان)<sup>(٤٥)</sup> أي: التصديق فهي موقنة لا تدخل فيه الشك<sup>(٤٦)</sup>. وفي آية ثانية ينهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة المشركين اعداء الله

واعداًهم لإصرارهم على الكفر واخراجهم رسول الله ﷺ - والمؤمنين من ديارهم بمكة وهذا درس بليغ لنا نحن المسلمين أن نحذر من موالاته الكفار سواء بقول أو فعل، ودرس أكبر لقادة الامة من موادة اعداء الدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (٤٧).

إذ أشارت الآية الى عداوة هؤلاء كامنة للمؤمنين لا تلبث أن تستعلن حين يلاقونهم ويتمكنون منهم ، ثم انتقلت الى بيان الاسوة الحسنة في ابراهيم والذين معه في تبرئهم من المشركين وما يعبدون من دون الله معلنين عداوتهم لهم حتى يؤمنوا بالله وحده. (٤٨) قال جماعة من المفسرين: نزلت في (حاطب ابن أبي بلتعة) عندما أرسل رسالة الى كفار مكة يخبرهم بأن رسول الله ﷺ جهز جيشاً لفتح مكة فنزلت الآية بالنهاي عن موادة الكفار واعتذر لرسول الله ﷺ ( عن صنيعه وقال عمر (رضي الله عنه) لرسول الله ﷺ دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع أهل بدر فقال له: أعملوا ما شئتم (٤٩). وهذا مثل يجب أن يتعظ به المؤمنون من مكاتبة أو موادة الكفار لأن فيه الخروج عن الدين حال فهم مؤمنين وانهم كفار بما جاءكم من الحق والقرآن فأنتم مؤمنون به مصدقون له وهم كافرون فبينكم عداوة شديدة في العقيدة فكيف تلتقون (٥٠).

### المبحث الخامس

#### الشورى

قال تعالى: ﴿فَأَعَفُّ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٥١).

قوله (فأعف عنهم) فيم يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله، (وشاورهم في الامر) أي: في أمر الحرب إذا الكلام فيه، أو فيما يصح أن يشاور فيه أستظهاراً برأيهم وتطبيياً لنفوسهم وتمهيد لسنة المشاورة للامة إذ أمر المشورة سنة لمن يأتي من بعد رسول الله ﷺ - وهكذا عمل

الصحابية (رضي الله عنهم) ومن بعدهم بأمر المشورة (فإذا عزمتم) فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى، (فتوكل على الله) في أمضاء أمرك على ما هو أصح لك، فإنه لا يعلمه سواه<sup>(٥٢)</sup>. وقد ابتدأت الآية بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالتجاوز عما نالك من أذنانهم يا محمد ﷺ - وأطلب لهم من الله المغفرة، وشاورهم في جميع أمورك ليقنّدي بك الناس قال: الحسن البصري (ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم)، وكان عليه السلام كثير المشاورة لأصحابه (فإذا عزمتم فتوكل على الله)<sup>(٥٣)</sup> أي: إذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فأعتمد على الله وفوض أمرك إليه<sup>(٥٤)</sup>. وقوله (وشاورهم في الامر) معناه: أستخرج آرائهم وأعلم ما عندهم، واختلف العلماء لأي معنى أمر نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي تام التدبير ، على ثلاثة أقوال:

الأول: ليستن به من بعده.

والثاني: لتطيب قلوبهم.

والثالث: للإعلام ببركة المشاورة.

ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح امره، علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه<sup>(٥٥)</sup>. وقد أمر الله تعالى عبادة بالشورى وأنزل سورة بهذا الاسم وتسمى (سورة الشورى) وفيها: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٥٦)</sup>، فوصفهم الله تعالى بصفات لمن أراد أن يشاور فأول هذه الصفات: (والذين استجابوا لربهم) ، أي: والذين اطاعوا - ربهم فحققوا بطاعتهم له ما طلب منهم أن يحققوه من فعل أو ترك فهذا يشمل الاستجابة لكل أوامره ولكل نواهيه، الجسدية والنفسية ولو كان لا يقتضي التكرار والمواظبة. الصفة الثانية للماشور دل عليها في النص قوله تعالى: (وأقاموا الصلاة) ، أي: (أدوا الصلاة المفروضة مداومين ومواظبين عليها في أوقاتها على الوجه الشرعي المطلوب فيها. وخصت إقامة الصلاة بالذكر للدلالة على وجوب الاهتمام بها والعناية

بالمحافظة عليها، لأنها أولى أركان الاسلام بعد إعلان الشهادتين. ثم ذكر صفة انعقاد الشورى فقال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) والشورى: أسم للتشاور ويطلق على الامر الذي يتشاور المتشاور فيه. ومن مفاخر الاسلام في نظمه أن كل أمره متروك لتنظيمات المسلمين وتدابيراتهم واصدار القرار فيه، خاصة لنظام الشورى، أي: لتشاور أهل الحل والعقد في الامر الموضوع للتشاور ولاتخاذ قرار بشأنه. والرسول ﷺ - في حياته يشاور أهل الحل والعقد في الامور الادارية والسياسية والحربية طاعة لله له بأن يشاورهم تكريماً لهم ولكنه غير ملزم بأن يأخذ برأي الاكثرية بل اذا عزم الامر نفذه متوكلاً على الله لأنه مسدد بالوحي<sup>(٥٧)</sup>. والغاية من الشورى إقامة العدل في مجتمعهم دون أن يستبد فرد أو قلة من الناس<sup>(٥٨)</sup>.

### المبحث السادس

#### صون المال العام

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>.

هذا خطاب يعم جميع الامة وجميع الاموال لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه فإنه مأخوذ بالحق لا بالباطل، ومأكول بالحل لا بالإثم وان كان صاحبه كارهاً كقضاء الدين إذا أمتنع منه من هو عليه. والحاصل أن ما لم يبيح الشرع، الزور والخيانة في الوديعة والأمانة، والأكل بطريق التعدي والنهب والغصب، والباطل هو الذاهب الزائل عن ابن عباس (رضي الله عنه) هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم إلى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه. وقال مجاهد: معناها الا تخاصم وانت تعلم انك ظالم<sup>(٦٠)</sup>. وهنا وقفة تدبر للحكام والقضاة والمتخاصمين بتحريم النقااضي بالباطل وشويع الرشوة في الامة مقيدة لها بل خطرهما على الامة أشد الاخطار ونهانا ان نلقي بالاموال الى

الحكام مستعينين في ذلك بالدفاع الباطل والرشوة التي تعطى لبعض اصحاب النفوس الضعيفة من الحكام ليصل صاحبه الى غرضه<sup>(٦١)</sup> وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُ بِحِكْمَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾<sup>(٦٢)</sup>. حرم الله تعالى أكل المال في هذه الآية واطلق لفظ الأكل وأريد به الأخذ للإشارة الى الأصل في وظيفة المال الإنسانية وهو أن يكون وسيلة لمتع الحياة التي أخصها الأكل، وإذا تحول من كونه وسيلة لنيل المطاعم إلى أن يقصد لذاته ليكون متعة مطلوبة كالأكل، فعندئذ يكون الشح والحرص، والشارع عنى بخل أو بغير حل، وهذا شأن من يأخذون الباطل يستمتعون به كما يستمتع الأكل بالطعام وعير بأموالكم للإشارة إلى أن مال آحاد الأمة مال الأمة موزعاً بين آحادها بتوزيع الله تعالى الذي قسم الارزاق وأن المال كله في حماية المجتمع ولو كان مملوكاً ملكاً خاصاً<sup>(٦٣)</sup>، فأباح التجارة المنفعية المتبادلة تبادل الاعواض، فشيء عوض شيء وجاءت التجارة لأنها هي الحلقة الجامعة لأعمال الحياة<sup>(٦٤)</sup> واعتبر أكل المال من الناس بالخؤون فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْوَالتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦٥)</sup>.

والخون أصله النقص كما أن الوفاء التمام، ثم أستعمل ضد الامانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان، وقيل: معناه الغدر وأخفاء الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾<sup>(٦٦)</sup> نهاهم الله عن أن يخونوه بترك شيء مما أفترضه عليهم أو يخونوا رسوله بترك شيء مما آمنهم الله عليه أو بترك شيء مما سنه لهم أو يخونوا شيئاً من الامانات التي أئتمنوا عليها وسميت أمانات لأنه يؤمن معها من منع الحق، مأخوذة من الأمن. قال ابن عباس (رضي الله عنه): "لا تخونوا الله بترك فرائضه



والرسول بترك سننه وارتكاب معاصيه" (٦٧). وقوله (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم أو فيما أسر الرسول اليكم من السر فتفشوه (وانتم تعلمون). إن الخيانة ليست من شأن الكرام بل هي من شأن اللئام (٦٨). وعبر عن الامانة والتي هي كل حق مادي أو معنوي يجب عليك أدائه إلى اهله (٦٩) فعلينا بعد معرفة حكم الايات ان نصون المال وأن نحافظ على الامانة ونحرص على ادائها.

### المبحث السابع العدالة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٧٠).

هذا الخاطب خاص بالنبي ﷺ وأمرائه، ثم يتناول من بعدهم، وقيل: ذلك خطاب للنبي ﷺ خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري. فهي إذن تتناول الولاية فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال، ورد المظالم وعدل الحكومات وغيرها، وتتناولهم ومن دونهم من الناس في حفظ الودائع و التحرز في الشهادات كيف تتناول الصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات أمانات لله تعالى، قال ابن عباس (رضي الله عنه) (لم يرخص لموسر ولا لمعسر أن يمسك الأمانة) (٧١).

وبداية الآية تتضمن خطاب يعم المكلفين قاطبة كما أن الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بزمهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية وقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٧٢)، أمر لهم بإيصال الحقوق المتعلقة بزمهم (٧٣) الغير إلى اصحابها وحيث كان الأمور به ها هنا مختصاً بوقت المرافعة به خلاف الأمور به أولاً فإنه يتعلق بوقت دون وقت إطلاقاً (٧٤). والدليل على أن

الخطاب خاصٌ بالنبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٧٥)</sup> والقسط: أخذ نصيب غيره والإقساط إعطاء غيره نصيبه غير منقوص، ولذلك قال العلماء: إن القاسط هو الظالم ولذا قال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>(٧٦)</sup>.

والمقسط: هو العادل، وقد خطاب النبي ﷺ بقوله (وان حكمت) أي: أن اخترت أن تحكم بينهم الرجاء أن ينفذوا الحكم ويذعنوا له، فلا تتبع أهواءهم وأحكم بالعدل والقسطاس المستقيم وذلك العدل بين الله تعالى حكمه، وشرع لزومه في كتبه المقدسة<sup>(٧٧)</sup>. فقدر حكم الله تعالى لأنه يقضي بالعدل والاحسان لأنها صفة المولى جل جلاله فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٧٨)</sup>، أي: العدل هو فعل كل مفروض، من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق. والاحسان: فعل كل مندوب اليه، أي: فهو فوق العدل كالرحمة التي هي فوق القوة. فهو تعالى يأمر أيضاً بالاحسان في العبادة والى المسيء والى القرابة والجيران والى الناس قاطبة<sup>(٧٩)</sup>.

### المبحث الثامن

#### الوفاء بالعهد والشرط

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٨٠)</sup>. على قادة الدولة الوفاء بالعهود التي تقطعها على نفسها لأنها مسؤولة عن ذلك العهد والوفاء به عندما يحل وقت قضاء ذلك العهد أو الشرط، والاية خاطبت النبي ﷺ فعن الزهري قال: إذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا) أفعلوا، فالنبي ﷺ، وقوله ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٨١)</sup>، قال ابن عباس (رضي الله عنه) يعني بالعقود: العهود: وهي ما كانوا يتعاقدون عليه من حلف أو غيره، أو هي ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تتكثروا، وعليكم بما أخذ الله من الميثاق على من أقرب الايمان

للنبي ﷺ والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام<sup>(٨٢)</sup> وفيه دليل على لزوم العقد وثبوته لأن الدولة من مبادئها فصل الخصومات التي تحدث بين المتعاقدين لأنهما يرجعان الى تلك الدولة لفصل الخصومة فعن رسول الله ﷺ (المبيعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار)<sup>(٨٣)</sup>. ثم أمر بأية أخرى على تغليظ الوفاء بالعهد بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾<sup>(٨٤)</sup>، والوفاء هو حفظ ما يقتضيه العقد قياماً بواجبه، وهو ما يتعهد به الانسان ويلتزم به ولا فرق أن يكون بين العبد وعبد آخر كالمعاملات التي يتعاقد الناس ويتعاهدون بينهم لأدائها.

وسميت عقوداً، لأن الله ربطها بعباده، كما يربط الشيء بالشيء بالحلل الوثيق وسواء أكان الغير مسلماً أم كافراً. وكل عهد أو عقد تجب مراعاته والوفاء به وتنفيذه إلا ما خالف أحكام الشريعة من ظلم أو اجحاف في حق.

إن العقود المعتبرة هي التي أجازها الشرع وأما العقود والعهود خاص بالجائز شرعاً. وقد وضع الاسلام الغدر الذي لا يفي بعهده وهو من أقبح الخصال وأذمها سواء أكان صاحب ولاية كرئيس حكومة أو غيره وغدر المسؤول يتعدى إلى اناس كثيرين مع أن مقدوره أن يجتنب ذلك، وغدر الحاكم يشمل ترك شفقتة على رعيته وعدم الاعتناء بهم بحيث لا يحافظ عليهم ولا يهتم بشؤونهم والغدر بين المجتمعات والمؤسسات هو عدم الانصاف فيما بينها والخروج على ما اتفقت عليه والاسلام يشدد في محافظته على العقود الشرعية وهي قاعدة ايمانية تتصل بمفهوم الحضارة، وفي السنة (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أُوْتِمن خان)<sup>(٨٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>(٨٦)</sup> قال ابن كثير رحمه الله: أي: الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونها بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه<sup>(٨٧)</sup><sup>(٨٨)</sup>.

الخاتمة:

وها أنا أصل الى خاتمة هذا البحث وأدعو من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال مسيرة البحث.

٦. الدولة مسؤولة عن اقرار النظام وحفظه وكل هذه يحققها رجال الشورى.

٧. الوقوف على نهى الله تعالى على منع الفساد في الارض وهذه مهمة الدولة المسلمة.

٨. لا يجتمع الإيمان الحق مع وداد أعداء الله حتى لو كان الاعداء من القريبين.

٩. تقرير مبدأ أن أخبار الحرب لا تذاع إلا من قبل القيادة العليا حتى لا يقع الاضطراب.

١٠. اعتماد مبدأ الشورى بين امراء الدولة لتحقيق المصلحة العامة.

## الهوامش

- (١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، أ.د. محمود حمدي زقزوق، (ص/٨٢ - ٨٣)
- (٢) النساء: الآية ٨٣.
- (٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، دار الفكر (بيروت - لبنان) (١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م) ، (٥/١٨٠ - ١٨١).
- (٤) سورة النساء: الآية ٨٣.
- (٥) ينظر: تفسير المراغي- الاستاذ أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٧٤، (ج٢/١٠٥-١٠٦).
- (٦) ينظر: تفسير المراغي (ج٢/١٠٥ - ١٠٦).
- (٧) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبة الزحيل - دار الفكر ، ط٢ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دمشق - بيروت (٣/١٨٤ - ١٨٥).
- (٨) ينظر: في ظلال القرآن - سيد قطب رحمه الله - دار الشروق - الطبعة الشرعية الرابعة و الثلاثون، (٢٠٠٤ - ١٤٢٥هـ) ، (٢ / ٧٢٤).
- (٩) سورة النساء: الآية ٨٣.
- (١٠) ينظر: أيسر التفاسير (كلام العلي الكبير - وبها مشه نهر الخير على أيسر التفاسير) تأليف: أبي بكر جابر الجزائري - الناشر: مكتبة العلوم - المدينة المنورة، ط٥ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، (٢٤٢).
- (١١) سورة النساء: الآية ٨٣.
- (١٢) سورة طه: الآية ٩٤.
- (١٣) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل -أبي القاسم جار الله محمود بن عمر محمد الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية، ط٥ بيروت - لبنان، (٣/٨١).
- (١٤) ينظر: الاساس في التفسير - سعيد حوى، رحمه الله - دار السلام، ط٦ (٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ)، ج٧/ص ٣٣٨٣.
- (١٥) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم - ط١٢ القاهرة (١٣١٥هـ - ١٩٩٤) ، (٤٦٥).
- (١٦) سورة النساء: الآية ٨٤.

- (١٧) سورة النساء: الآية ٨٤.
- (١٨) صحيح الجامع البخاري، كتاب الشروط، باب: ما جاء في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب و كتابة الشروط، (١٢٠/٢).
- (١٩) الجامع لاحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) - دار الحديث - القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج ٣/ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
- (٢٠) ينظر: السراج المنير - للإمام الشيخ الخطيب الشربيني- تحقيق: أحمد عزو وعناية الدمشقي- دار احياء التراث العربي، ط ١ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (بيروت - لبنان)، (٥٠٠/١).
- (٢١) سورة النساء: الآية ٨٤.
- (٢٢) ينظر: التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر أبو عاشور - الدار التونسية للنشر - دار الجماهيرية)، (١٤٣/٥).
- (٢٣) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
- (٢٤) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
- (٢٥) ينظر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشهور بخطيب الري (٥٤٤ - ٦٠٤هـ)، دار الفكر.
- (٢٦) ينظر: في رحاب التفسير - عبد الحميد كشك - رحمه الله - المكتب المصر الحديث، (٢/ ١٤٩٤-١٤٩٥).
- (٢٧) ينظر: في رحاب التفسير، ١٤٩٤/٢ - ١٣٩٥.
- (٢٨) صحيح البخاري، (٢٤/٤ - ٢٥).
- (٢٩) سورة الأعراف: الآية ٥٦.
- (٣٠) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت. ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ط ٣، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ، (١/ ٦١١).
- (٣١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار - تأليف السيد الامام محمد رشيد رضا (١٨٦٥هـ - ١٩٣٥م) خرج احاديثه: ابراهيم شمس الدين، منشورات. محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط ١، (٤٠٦/٨).
- (٣٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، (٤٠٦/٨ - ٤٠٧).

- (٣٣) رياض الصالحين. تأليف الامام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦هـ) تحقيق عصام موسى هادي، جمعية أحياء التراث الاسلامي ، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، \_ ١٧٤ - ١٧٥).
- (٣٤) سورة الأعراف: الآية ٥٦
- (٣٥) ينظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ) ، تحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري - دار احياء التراث العربي (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، (٥٧٣/٣).
- (٣٦) سورة القصص: الآية ٨٣.
- (٣٧) سورة القصص: الآية ٨٣.
- (٣٨) ينظر: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) ، تحقيق: وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١ دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ، (٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ) ، (٢٥٨/٢).
- (٣٩) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، ط ١ (١٤٠٣ - ١٩٨٣م) (٤٤٤/٦).
- (٤٠) ينظر: تفسير أبى حاتم الرازي المسمى التفسير بالمأثور - للامام عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن أدريس التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ضبطه أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، ط ١ (٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ) ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، (٢٥٦/٧).
- (٤١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
- (٤٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
- (٤٣) المقتطف من عيون التفاسير - للمرحوم فضيلة الشيخ: مصطفى الحصن المنصوري: حققه وخرج احاديثه. محمد علي الصابوني - دار السلام، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، (٢١٤/٥).
- (٤٤) تفسير كلمات القرآن الكريم للشيخ، حسنين محمد مخلوف بهامشه اسباب النزول، للامام الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، دار البينة للطباعة والنشر (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، (٣٩٢).
- (٤٥) سورة المجادلة: الآية ٢٢.



- (٤٦) ينظر: تفسير المظهري - تأليف الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري (ت ١٢٢٥هـ)، خرج أحاديثه إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت - لبنان)، (٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ)، (٦٤/٧).
- (٤٧) سورة الممتحنة: الآية ١.
- (٤٨) ينظر: المنتخب في التفسير، (٨١٩).
- (٤٩) تفسير كلمات القرآن وبهامشه أسباب النزول للواحدي، (ص/٣٩٧ - ٣٩٨).
- (٥٠) ينظر: رحاب التفسير، (ج ٧/ص ٦٦٨٨).
- (٥١) سورة آل عمران: ١٥٩.
- (٥٢) ينظر: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت. ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (١٨٧/١).
- (٥٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
- (٥٤) ينظر: صفوة التفاسير - تأليف محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت - لبنان)، ط ٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) (٢٤٠/١).
- (٥٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير - للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٥٩٧هـ، خرج أحاديثه. أحمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ٢ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، (٣٩٠/٢ - ٣٩١).
- (٥٦) سورة الشورى: الآية ٣٨.
- (٥٧) ينظر: معارج التفكير ودقائق التدبر - دار القلم - دمشق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، (ج ١٢/٦٤٤ - ٦٤٥).
- (٥٨) المنتخب في التفسير، (ص: ٧٢٠).
- (٥٩) سورة البقرة: الآية ١٨٨.
- (٦٠) فتح البيان في مقاصد القرآن - تأليف الامام العلامة ابي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين الفتوحي البخاري (١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ) راجعة. عبد الله بن إبراهيم الانصاري إحياء التراث الاسلامي بدولة قطر (١٤١٠هـ - ١٩٨٩)، (٣٨٠/١).
- (٦١) ينظر: التفسير الواضح - د. محمد محمود حجازي - دار الجبل بيروت، (٣٣/١).

- (٦٢) سورة النساء: الآية ٢٩.
- (٦٣) ينظر: زهرة التفاسير - للإمام جليل محمد ابو زمرة - دار الفكر العربي ، (١٦٥٥/٣ - ١٦٥٦).
- (٦٤) تفسير الشعراوي - اخبار اليوم قطاع الثقافة، (٢١٤٥/٤ - ٢١٤٦).
- (٦٥) سورة الأنفال: الآية ٢٧.
- (٦٦) سورة غافر: الآية ١٩.
- (٦٧) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن - تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان) (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ، (٢٦/٣ - ٢٧٩).
- (٦٨) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد - للعلامة ابي العباس أحمد بن محمد بن المهدي أبن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق: عمر أحمد الراوي ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ، ط ١ (١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م) ، (٢٢/٣).
- (٦٩) ينظر: تفسير المراغي، (١٩٢/٣).
- (٧٠) سورة النساء: الآية ٥٨.
- (٧١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن ابراهيم الانصاري، ط (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢) ، (١٠٨/٤ - ١٠٩).
- (٧٢) سورة النساء: الآية ٥٨.
- (٧٣) ينظر: تفسير أبي السعود أو ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم - تأليف: القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت ٩٨٢هـ) ، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) ، ط ١ ، (٣٥٢/٢).
- (٧٤) ينظر: تفسير ارشاد العقل أبي السعود، (٣٥٢/٢).
- (٧٥) سورة المائدة: الآية ٤٢.
- (٧٦) سورة الجن: الآية ١٥.
- (٧٧) ينظر: زهرة التفاسير، (٢١٩٥/٤).
- (٧٨) سورة النحل: الآية ٩٠.
- (٧٩) التفسير الوسيط - أ.د وهبة الزحيلي - دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، ط ٢ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (١٢٩٥/٢ - ١٢٩٦).

- (٨٠) سورة المائدة: الآية ١.
- (٨١) سورة المائدة: الآية ١.
- (٨٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم - للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١هـ - ٧٧٤هـ)، حققه: أبو معاوية مازن بن عبد الرحمن البيروتي، جمعية احياء التراث الاسلامي - دار الصديق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ، (٧-٦) .
- (٨٣) الموطأ- للإمام مالك بن انس (رحمه الله)، تحقيق: د. يحيى مراد - مؤسسة المختار - ط (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (١٣٢٠/٢) باب بيع الخيار.
- (٨٤) سورة النحل: الآية ٩١.
- (٨٥) صحيح الجامع أو صحيح البخاري، (١٦٨/٢).
- (٨٦) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
- (٨٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، (٥٨/٣).
- (٨٨) ينظر: أصول المنهج الاسلامي - تأليف عبد الرحمن عبد الكريم - جمعية احياء التراث الإسلامي، ط ٦ (١٤٢٥ - ٢٠٠٤م) ، (٥٦٣ وما بعدها).

## المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. الأساس في التفسير - سعيد حوى (رحمه الله)، دار السلام، ط٦ (٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ).
٢. أصول المنهج الاسلامي - تأليف عبد الرحمن عبد الكريم ، جمعية احياء التراث الاسلامي، ط٦ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير - وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير - تأليف. أبي بكر الجزائري - الناشر مكتبة العلوم - المدينة المنورة، ط٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد - تأليف العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي أبن عجيبة الحسني، (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق. عمر أحمد الراوي ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
٥. التحرير والتوير - تأليف الاستاذ العلامة الامام احمد الطاهر بن عاشور - الدر التونسية للنشر - الدار الجماهيرية للنشر والاعلان.
٦. أرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم - تأليف: القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت٩٨٢هـ)، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (ت.د.).
٧. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت - لبنان) ، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٨. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١ دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، (٢٠٠٦ - ١٤٢٧هـ).
٩. تفسير الشعراوي - أخبار اليوم - قطاع الثقافة.
١٠. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين المشهور بخطيب الري (٥٤٤هـ - ٦٠٤هـ)، دار الفكر (بيروت - لبنان)، ط ٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
١١. محاسن التأويل - تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تحقيق الاستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء التراث العربي (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
١٢. بتفسير المنار - تأليف. السيد الامام محمد رشيد رضا (١٨٦٥هـ - ١٩٣٥م)، خرج احاديثه. ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ١.
١٣. تفسير القرآن العظيم - للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١هـ - ٧٧٤هـ)، تحقيق: ابي معاوية مازن بن عبد الرحمن البيروتي، جمعية احياء التراث الاسلامي - دار الصديق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
١٤. تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - تأليف: الإمام أبي القاسم جار محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) - صححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ٥.

١٥. تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ) تحقيق عبد الله بن أبراهيم الانصاري، ط٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
١٦. تفسير المراغي - تأليف الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ط٣ (١٤١٤هـ - ١٩٧٤م).
١٧. التفسير المظهري - تأليف الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري (ت ١٢٢٥هـ)، وضع أحاديثه أبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت - لبنان) (٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ).
١٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د. وهبة الزحيلي - دار الفكر (دمشق - بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
١٩. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجبل - بيروت.
٢٠. تفسير بن أبي حاتم الرازي المسمى التفسير بالمأثور للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن أدريس التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ضبطه. أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي ط١ (٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان).
٢١. تفسير كلمات القرآن الكريم - للشيخ حسنين محمد مخلوف ، بهامشه أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، دار البينة للطباعة والنشر (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر (بيروت - لبنان) ، (١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م).
٢٣. الجامع لأحكام القرآن، لأبي محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) - دار الحديث - القاهرة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٢٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣).
٢٥. رياض الصالحين - تأليف الامام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١هـ - ٦٧٦هـ)، تحقيق. عصام موسى هادي، جمعية احياء التراث الاسلامي ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٦. زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، خرج أحاديثه. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢ (٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ).
٢٧. زهرة التفاسير - الامام الجليل محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي.
٢٨. السراج المنير - للإمام الخطيب الشربيني - خرج احاديثه أحمد عزو عناية الدمشقي دار احياء التراث العربي، ط ١ (بيروت - لبنان) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٩. صحيح البخاري - دار الجيل (بيروت - لبنان).
٣٠. صفوة التفاسير - تأليف محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، (بيروت - لبنان)، ط ٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٣١. فتح البيان في مقاصد القرآن - تأليف الامام العلامة أبي الطيب صديق بن حسن بن الحسين القنوجي البخاري (١٢٤٨هـ - ١٣٠٧هـ)، راجعه. عبد الله بن ابراهيم الانصاري، احياء التراث الاسلامي بدولة قطر، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
٣٢. فتح البيان في مقاصد القرآن - تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - تأليف: الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط ٣ (٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ).
٣٤. في رحاب التفسير - عبد الحميد كشك (رحمه الله) - المكتب المضري الحديث.
٣٥. في ظلال القرآن - بقلم سيد قطب (رحمه الله) (ت ١٩٦٦)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣٦. معارج التفكير وحقائق التدبر - دار القلم - دمشق، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣٧. المقتطف من عيون التفاسير - للمرحوم فضيلة الشيخ. مصطفى الحصن المنصوري، حققه وخرج احاديثه: محمد علي الصابوني، دار السلام، ط (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
٣٨. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط ١٨ القاهرة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٣٩. الموسوعة القرآنية المتخصصة - تأليف أ.د محمود حمدي زقزوق - القاهرة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- ٤٠.



# الدكتور بشار عواد معروف

## وجهوده في التفسير وعلوم القرآن

أ.د. زياد علي دايع الفهداوي  
كلية الآداب / الجامعة العراقية

### ملخص البحث

يسلط البحث الضوء على علم من أعلام العراق المعاصرين : (الدكتور بشار عواد معروف وجهوده في التفسير وعلوم القرآن)، الذي أشتهر بالتاريخ والحديث والتحقيق، وقد أملى عليّ هذا الموضوع أن أقسم بحثي على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمه.

المبحث الأول : حياته الشخصية والعلمية وفيه : أربعة مطالب :

والمبحث الثاني : جهوده في تفسير الطبري من كتابه جامع البيان

والمبحث الثالث : جهوده في (البيان في حكم التنزي بالقرآن)

والمبحث الرابع : نظرة في تفسير القرآن الكريم ومدارسه.

والمبحث الخامس : جهوده من خلال مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

ثم الخاتمة التي ضمننتها النتائج التي توصلت إليها.

**Bashar Awad Ma'roof, Ph.D., and His Efforts in  
Interpretation and Qur'anic Sciences**

by:

**Prof. Ziad Ali Dayeh Al-Fahdawi, Ph.D.**

**College of Arts/Al-Iraqia University**

**Abstract**

The paper sheds light on the knowledge of one of the contemporary scholars who is (Bashar Awad Ma'roof, Ph.D., and his Efforts in the Interpretation and Qur'anic Sciences) who was famous in history, Hadith and examination.

The paper is divided into five parts and a conclusion.

The first part: his personal and scholarly life and it has four section.

The second part: His efforts in interpretation of Al-Tabari in his book Jami' Al-Bayan.

The third part: His efforts in (Illustrating singing of the Glorious Quran ).

The fourth part: A view in interpreting the Glorious Quran and its schools.

The fifth part: His efforts through the Royal institution of Aāl Al-Bayt for Islamic thought.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فلا يخفى على أحد ما لمدينة (بغداد) من دور بارز في نشر العلوم والثقافة في العالم، قال الخطيب البغدادي وهو يصف أقاليم الأرض، (العراق سرّة الدنيا.. وفي بغداد صفوة الأرض ووسطها)<sup>(١)</sup>.

وروى الخطيب بسنده عن يونس بن عبد الأعلى، قال : قال لي محمد بن إدريس : يا يونس دخلت بغداد؟ قلت: لا ، قال: ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس<sup>(٢)</sup>.

وقد برز فيها أهل اللغة، والأدب ، والفقه، والتفسير، والسياسة، والرياضيات، والفلك ، والطب، والفلسفة وغيرها...

فنالت علوم القرآن ولا سيما التفسير الاهتمام الأكبر، فجاءت جهود القدماء والمحدثين مبنوثة في المخطوطات والكتب ، ولا زالت هذه الجهود مستمرة على أيدي علماء بغداد في كل عصر ومن هذا أحببت أن أسلط الضوء على علم من أعلام العراق المعاصرين :

(الدكتور بشار عواد معروف وجهوده في التفسير وعلوم القرآن). ليكون مادة لدراستي، فمن المعلوم أن أستاذنا قد اشتهر بالتاريخ والحديث والتحقيق، حتى أصبح أشهر من نار على علم، وكانت له جهود في التفسير وعلوم القرآن متناثرة بين طيات الكتب ، أردتُ أفرادها في بحث مستقل ، وقد استأذنت الدكتور بشار في الكتابة في هذا الموضوع فأجازني

وقد أملى عليّ هذا الموضوع أن أقسم بحثي على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمه.

**المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية وفيه :اربعة مطالب**

**المطلب الاول :الأسرة والمولد .**

المطلب الثاني :النشأة والتعليم •

المطلب الثالث :المؤتمرات العلمية •

المطلب الرابع :آثاره العلمية •

والمبحث الثاني : جهوده في تفسير الطبري من كتابه جامع البيان ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نظرة في تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

المطلب الثاني : نظرة في تفسير الطبري من كتابه جامع البيان .

والمبحث الثالث : جهوده في (البيان في حكم التغني بالقرآن) وفيه مطلبان :

المطلب الأول : موقف الدكتور بشار من المانعين لتحسين الصوت

والتطريب والتغني بالقرآن .

المطلب الثاني : رد أدلة المانعين ومناقشتها .

والمبحث الرابع : نظرة في تفسير القرآن الكريم ومدارسه .

والمبحث الخامس : جهوده من خلال مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أنظار في قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ .

المطلب الثاني : التفسير الكبير للقرآن الكريم . ثم الخاتمة التي

ضمنتها النتائج التي توصلت إليها. أعقبتها بثبت المصادر والمظان وكان منهجي في البحث منهجاً استقرائياً لما كتبه الدكتور بشار في هذا الموضوع ، مع أظهار منهجه في بعض الأحيان، وذكر لأبرز مواقفه من المسائل التي عرضها في كتاباته.

وقد اعتمدت في دراستي على مؤلفات الدكتور بشار التي كتبها في هذا المجال والبحوث التي نشرها. أما ما يختص بحياته فقد نقلته ' مشافهة من الدكتور من خلال أحد طلابه، ومن خلال بحث لأحد طلبته الأستاذ الدكتور عبد القادر المحمدي الموسوم (أعلام المدرسة الحديثية البغدادية المعاصرة أصالة وإبداع).

وأخيراً لا أدعي الكمال لدراستي ولكن حسبي أني أكتب عن عالم كبير  
وأستاذ فاضل الا وهو الدكتور بشار، وعن جهوده في التفسير التي لم  
يسبقني فيها باحث آخر، فأسئل  
الله تعالى أن يغفر لي زلاتي ويقلل عثراتي إنه نعم المولى ونعم النصير.

## الباحث

## المبحث الأول

### حياته الشخصية والعلمية

#### المطلب الاول: الأسرة والمولد<sup>(٢)</sup>.

هو بشار بن عواد بن معروف بن عبد الرزاق بن محمد بن بكر العبيدي الأعلوي البغدادي الأعظمي ، الدكتور ولد في غرة شعبان سنة ١٣٥٩هـ الموافق للرابع من أيلول سنة ١٩٤٠م، في بلدة الأعظمية، وهي المعروفة في العصور العباسية بمحلة أبي حنيفة ، كانت شمالي بغداد، ثم اتصلت بها منذ الستينات ، بل صارت اليوم في وسطها بعد إتساع بغداد في المدة الأخيرة وولد لأبوين عربيين صليبيين ينتميان إلى قبيلة العبيد الحميرية، أكبر قبائل العراق وأشهرها، نزحت إليه من اليمن السعيد في مدد متفاوتة، ومساكنها في الجزيرة بين دجلة والفرات ولاسيما في بركة سنجار والحويجة المعروفة باسمهم اليوم (حويجة العبيد). وهما من عشيرة (أبو علي) ، وهي من كبار عشائر العبيد عدداً وأوسعهم انتشاراً في جميع أنحاء العراق وكان السلطان العثماني مراد الرابع\* - يرحمه الله- قد استعان بهذه العشيرة القوية على إخراج الفرس من بغداد وتحرير العراق منهم سنة ١٠٤٨هـ ، وأسكن طائفة منهم في (الأعظمية) لحماية مرقد الإمام أبي حنيفة من عبثهم ، فمعظم سكنة الأعظمية منهم. ووالدته هي المرأة الصالحة التالية لكتاب الله رضية بنت أحمد الصالح يرحمها الله ، من أشهر عوائل الأعظمية ، عمها جعفر الصالح - يرحمه الله- كان رئيس البلد في العهد العثماني وهي أكبر خالات الشاعر المشهور وليد الأعظمي يرحمه الله<sup>(٤)</sup> ، وأن هناك من أشتهر من عائلته بالعلم مثل المؤرخ المشهور ناجي معروف وهو عمه ، وقد سُمي أحد شوارع الأعظمية بأسمه (شارع ناجي معروف).

## المطلب الثاني: النشأة والتعليم<sup>(٥)</sup>:

وقد اعتنى به والده المحامي عواد معروف فأقرأه القرآن في صغره ، ودخل المدرسة الابتدائية سنة ١٩٤٧ ، والثانوية سنة ١٩٥٤ ، وتخرج فيها بتفوق سنة ١٩٦٠ ، والتحق بقسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد وتخرج فيه سنة ١٩٦٤ وكان ترتيبه الأول على القسم للسنوات الأربع ، ونال من أجل ذلك جائزة المجمع العلمي العراقي وفي تلك المدة تعلم على عدد من علماء العراق البارزين منهم : عمه الدكتور ناجي معروف الذي كان من رجالات العهد الهاشمي البارزين في العراق ، والدكتور عبد العزيز الدوري ، والدكتور صالح أحمد العلي ، وألوه عناية خاصة.

وفي سنة ١٩٦٤ التحق طالباً في دراسة الماجستير في دائرة التاريخ والآثار بجامعة بغداد ، واختار كتاب (التكملة لوفيات النقلة) للحافظ زكي الدين المنذري (دراسة وتحقيق) موضوعاً لهذه الدراسة بإشراف الأستاذ الدكتور جعفر حسين خصباك - يرحمه الله - واتصل آنذاك اتصالاً قوياً بالعلامة المحقق الدكتور مصطفى جواد - يرحمه الله - فلامزه ودرس عليه علم تحقيق النصوص ، وتأثر به تأثراً بلياً لاسيما في تحقيقه لكتاب (التكملة) . ثم أتم دراسة الكتاب وتحقيقه في ثمانية مجلدات (خصص المجلد الأول للدراسة) سنة ١٩٦٧ م ، وناقشه الأساتذة : الدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد يومئذ ، والدكتور صالح أحمد العلي عميد معهد الدراسات الإسلامية العليا حينذاك ، والدكتور حسن إبراهيم حسن المؤرخ المشهور رئيس جامعة أسيوط السابق ، وأستاذه المشرف ، ومنح مرتبة الامتياز وهو أول من حصل على هذه المرتبة في تاريخ الدراسات العليا في العراق .

وفي أثناء ذلك حصل على منحة من جامعة هامبورك الألمانية لتعلم اللغة الألمانية ليعين معلماً للغة العربية في الجامعة المذكورة ،

وتعلمها سنة ١٩٦٥م . ودرس التاريخ على المستشرق الألماني المشهور الأستاذ برتولد شبولر .

وفي سنة ١٩٦٧م قبل طالباً للدكتوراه في قسم اللغات الشرقية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأعدّ رسالة بعنوان ( الحضارة الإسلامية في ظل الدولة السامانية ) بإشراف الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب- يرحمه الله- لكنه لم يناقش هذه الرسالة لعدم تمكنه من الإقامة في القاهرة بسبب وفاة والده سنة ١٩٦٨م وتحمله المسؤولية العائلية ، وعودته إلى مهنته في زراعة الأرض.

وفي سنة ١٩٧٦م نال رتبة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد عن رسالته (الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام).

### المطلب الثالث : المؤتمرات العلمية:

وشارك في عدة مؤتمرات علمية دولية قدّم فيها بحوثاً منها: المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار (بغداد ١٩٧٣م) ، ومؤتمر ابن عساكر (دمشق ١٩٧٩م) ، وندوة دراسة جنوب الجزيرة العربية (كمبرج ١٩٨١م) ، ومؤتمر تعريب العلوم (دمشق ١٩٨٢م) ، والمؤتمر الإسلامي الشعبي الأول في بغداد (١٩٨٣م) ، ومؤتمر اتحاد الجمعيات الإسلامية في كندا (جنيف ١٩٨٣م) ، ومؤتمر أسلمة المعرفة (ماليزيا ١٩٨٣م)، والندوة الإسلامية في الباكستان (إسلام آباد ١٩٨٤م)، والندوة الإسلامية العالمية (داكار ١٩٨٥م) والمؤتمر الإسلامي الشعبي الثاني (بغداد ١٩٨٥م) ، حيث انتخب سكرتيراً عاماً للجنة المتابعة والمنبثقة عن هذا المؤتمر ثم أميناً عاماً له.

وكان من المؤسسين للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، وقد أنتخب رئيساً للجنة النشر والإعلام في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، وعضواً في رئاسة المجلس المذكور الذي اتخذ القاهرة مقراً له. وحضر منذ سنة ١٩٨٣م أكثر من ثمانين مؤتمراً إسلامياً رسمياً



وشعبياً أسهم فيها إسهاماً فاعلاً وشارك في صياغة قرارات وتوصيات العديد منها.

#### المطلب الرابع: آثاره العلمية :

أولاً : الكتب المؤلفة بلغ عدد الكتب التي ألفها ٤٣ مؤلفاً في شتى المواضيع .

ثانياً : الكتب المحققة لقد أولى الدكتور بشار عناية كبيرة بالمخطوطات حيث أنجز تحقيق ١٤٩ مخطوطاً لحد الآن ولا زال عطاؤه مستمراً ، علماً إن من أشهر محققه الدكتور بشار: تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي ، وتاريخ الأسلام للذهبي ، وتهذيب الكمال للمزي ٠٠٠ علماً إن الدكتور حفظه الله يعتز كثيراً بأنه حقق هذه الكتب .

ثالثاً : الأبحاث العلمية :

وهي كثيرة نشرت في مجلات: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ومجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد، ومجلة كلية الشريعة ببغداد، ومجلة المورد العراقية، ومجلة الأقلام : ببغداد ، ومجلة التراث السورية بدمشق، ومن هذه البحوث.

(١) مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين - الأقلام

البغدادية ، السنة الأولى، العدد الخامس، بغداد ١٩٦٥م.

(٢) الغزو المغولي كما صورته ياقوت الحموي، الأقلام : السنة

الأولى، العدد الثاني عشر بغداد ١٩٦٥م.

(٣) شهدة بنت أحمد، مجلة بغداد ١٩٦٧م.

(٤) كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة كلية

الدراسات الإسلامية العدد الثاني - بغداد ١٩٦٨م.

(٥) المستدرك على معجم البلدان لياقوت الحموي، مجلة كلية الشريعة

العدد الثالث، بغداد ١٩٦٨م.

- ٦) معاجيم الشيوخ والمشايخ وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة الأقلام البغدادية ١٩٦٩م.
- ٧) من هو مؤلف تاريخ بخارى ، مجلة الأقلام البغدادية ١٩٧٠م.
- ٨) رشيد الدين ابن المنذري، الرسالة الإسلامية بغداد ١٩٧٠م- العدد ٤٦.
- ٩) تاريخ ابن الفرات ، (نقد)، مجلة المورد، السنة الأولى- العددان ١-٢ بغداد ١٩٧١م .
- ١٠) أصالة الفكر التاريخي عند العرب، بحث ألقى في المؤتمر الدولي للتاريخ المنعقد ببغداد في آذار؛ مارس ١٩٧٣، ثم نشرته وزارة الأعلام العراقية سنة ١٩٧٦م.
- ١١) العثور على أثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي، المورد العراقية، السنة الثالثة، العدد الثالث ، بغداد ١٩٧٤م.
- ١٢) ابن الدببشي ، دراسة تحليلية ، المجلة التاريخية، العدد الثالث، بغداد ١٩٧٤م.
- ١٣) ذيل تاريخ بغداد لأبن الدببشي: منهجه ، موارده ، أهميته ، بغداد ١٩٧٤م.
- ١٤) ابن عساكر في بغداد، بحث ألقى في مهرجان ابن عساكر بدمشق ١٩٧٩م ونشر في العدد الأول من مجلة التراث السورية، ومجلة الآداب ببغداد.
- ١٥) معجم السفر لأبي طاهر السلفي (نقد)، مجلة المورد ١٩٧٩م.
- ١٦) تاريخ الإسلام للذهبي، نقد مطول في مئة وثمانين صفحة في المجلد الأول الصادر عن دار الكتب المصرية باسم التاريخ الكبير، نشر في مجلة معهد المخطوطات وفي عديدين من مجلة كلية الآداب ببغداد ١٩٧٩-١٩٨٠م.

- (١٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال : منهجه وأهميته ، مجلة دراسات عربية وإسلامية ، العدد الأول بغداد سنة ١٩٨٠م.
- (١٨) سيرة الزهري من طبقات ابن سعد، دراسة وتحقيق، مجلة دراسات عربية وإسلامية ، العدد الثاني بغداد ١٩٨٢م.
- (١٩) سير إعلام النبلاء: منهجه وأهميته مجلة المجمع العلمي العراقي.
- (٢٠) الأصول الفكرية للحركات الإيرانية ضد السيادة العربية الإسلامية ، مجلة الرسالة الإسلامية ١٩٨٣م.
- (٢١) من محراب العلم إلى ميدان القتال، بحث في سيرة الإمام ابن تيمية الجهادية العسكرية، مجلة الرسالة الإسلامية بغداد ١٩٨٤م.
- (٢٢) مؤسسات التعليم في العراق بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ، بحث نشر ضمن كتاب: التربية العربية الإسلامية ٣٧٣/٢-٤٠٣ ، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ١٩٨٩م.
- (٢٣) ابن حبان (موسوعة الحضارة الإسلامية ، التي يصدرها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، المجلد الأول، عمان ١٩٩٣م.
- (٢٤) ابن الدُبَيْشِي ، موسوعة الحضارة الإسلامية .
- (٢٥) ابن عدي الجرجاني، موسوعة الحضارة الإسلامية.
- (٢٦) ابن النجار البغدادي، موسوعة الحضارة الإسلامية.
- (٢٧) ابن هبيرة ، موسوعة الحضارة الإسلامية.
- (٢٨) أبو حنيفة ، موسوعة الحضارة الإسلامية.
- (٢٩) أبو مصعب الزهري، موسوعة الحضارة الإسلامية.
- (٣٠) أحمد بن حنبل، موسوعة الحضارة الإسلامية.
- (٣١) أنظار في الجرح والتعديل ، بحث نشر في الكتاب التكريمي لأستاذنا العلامة الدكتور عبد العزيز الدوري.

- (٣٢) تفسير القرآن ومدارسه، مؤسسة آل البيت ٢٠٠٤م.
- (٣٣) مفهوم الحكم في الإسلام وفي الديمقراطية. بحث قدم للمؤتمر الثالث عشر لمؤسسة آل البيت - عمان ٢٠٠٤م.
- (٣٤) الحديث النبوي وأثره في الحياة المعاصرة. بحث ألقى في مؤسسة شومان، عمان ٢٠٠٥م.
- (٣٥) المذهبية: حرية تجمع ولا تفرق . بحث ألقى في المؤتمر الإسلامي الدولي، عمان ٢٠٠٥م.
- (٣٦) أنظار في قوله تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله..." بحث قدم للمؤتمر العام الرابع عشر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي ، عمان ٢٠٠٧م.
- (٣٧) الدين والدولة: أنظار في نظام الحكم في صدر الإسلام. بحث قدم لمؤتمر الوسطية في عمان ٢٠٠٨م.

#### رابعاً : كتب راجعها وقدم لها : وعددها (٩) .

#### خامساً : بعض الرسائل التي أشرف عليها :

- (١) الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري/ أطروحة دكتوراه من جامعة بغداد للدكتورة منيرة ناجي سالم .
- (٢) دور الفقهاء في الحياة السياسية بالأندلس. أطروحة دكتوراه من جامعة بغداد للدكتور خليل الكبيسي.
- (٣) الأسرة الأموية في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري- دراسة نقدية قائمة على علم مصطلح الحديث- أطروحة دكتوراه من جامعة بغداد للدكتور محمد جاسم المشهداني الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- (٤) الشاذ والمنكر وزيادة الثقة في مصطلح الحديث. أطروحة دكتوراه في الحديث مقدمة لجامعة صدام للعلوم الإسلامية، للدكتور عبد القادر مصطفى.

- ٥) أسس الحكم على الرجال حتى نهاية القرن الثالث الهجري. أطروحة دكتوراه في الحديث مقدمة لجامعة صدام للعلوم الإسلامية ، للدكتور عزيز رشيد محمد النعيمي.
- ٦) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة (دراسة وتحقيق) رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، للدكتور رائد يوسف جهاد.
- ٧) عمل الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرک. رسالة ماجستير للدكتور عزيز رشيد محمد.
- ٨) المشيخة البغدادية- رسالة ماجستير، للسيد كامران الدلوي.
- ٩) المؤلف والمختلف- لعبد الغني بن سعيد ، رسالة ماجستير للسيد مثنى محمد حميد.
- ١٠) مشيخة المراغي (دراسة وتحقيق) لأربعة من طلبة الماجستير.
- ١١) مفهوم الحديث الغريب في جامع الترمذي . رسالة ماجستير من جامعة صدام للعلوم الإسلامية للدكتور عمار العبيدي.
- ١٢) كتاب النكاح من سنن أبي داود (دراسة وتخريج) رسالة ماجستير من جامعة صدام للعلوم الإسلامية للسيد زياد العبيدي.
- ١٣) النقد الحديثي عند الذهبي في كتاب تاريخ الإسلام. رسالة ماجستير للسيد عمر مكي صغير.

## المبحث الثاني

### جهوده في تفسير الطبري من كتابه جامع البيان ، وفيه مطلبان :

قبل البدء في دراسة هذا المبحث أود أن أشير الى ان الدكتور بشار عواد اختصر تفسير الطبري في سبع مجلدات وقامت مؤسسة الرساله بنشره وسأحاول في هذا الموضع تسليط الأضواء على جهوده .

### المطلب الأول : نظرة في تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

قبل البدء بالحديث عن جهود الدكتور بشار عواد معروف في تفسير الطبري، أجد من الضروري أن أتحدث عن أجل التفاسير وأعظمها استيعاباً تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) المعروف بجامع البيان عن تأويل آي القرآن. وما وضعه فيه، لمعرفة الجهود التي قام بها الدكتور بشار عواد في استخراج تفسيره منها فقط.

### جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

هذا العنوان وسم به أبو جعفر الطبري كتابه في تفسير القرآن الكريم، وأمله ببغداد ابتداء من سنة ٢٨٣هـ وانتهى من إملائه سنة ٢٩٠هـ<sup>(٦)</sup> ، فجاء أجل تفسير على الإطلاق.

قال الطبري: حدثتني به نفسي وأنا صبي. وقال : استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير، وسألته على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله ، فأعانني<sup>(٧)</sup>.

وكان في قدرة الطبري أن يؤلف كتاباً ضخماً جداً في التفسير لما حصل عليه من المعارف المتنوعة في كافة العلوم ، فيروى عنه أنه قال لأصحابه: أنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. وذكر أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري أنه رأى نسخة منه ببغداد تشتمل على أربعة آلاف ورقة<sup>(٨)</sup>.

نالَ كتاب الطبري شهرةً لم ينلها كتاب في باب هـ، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً، وقرأه الجم الغفير من العلماء في وقته، وكلُّ فضلُهُ وقَدَّمه ، حتى قال أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً<sup>(٩)</sup> ، ونظر فيه إمام الأئمة ابن خزيمة من أوله إلى آخره فلم يجد أعلم من مؤلفه<sup>(١٠)</sup> ، ووصفه الخطيب بأنه لم يصنف أحد مثله<sup>(١١)</sup>. وقال أبو محمد الفرغاني: تمَّ من كتب محمد بن جرير كتاب التفسير الذي لو ادعى عالم أن يصنف منه عشر كتب ، وكل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصٍ لفعل<sup>(١٢)</sup>.

من أجل ذلك اعتنى به الناس عناية شديدة، فاختصره قديماً غير واحد من العلماء<sup>(١٣)</sup>، وترجم منذ القرن الرابع إلى الفارسية<sup>(١٤)</sup>، ثم إلى التركية<sup>(١٥)</sup>. كما أفاد منه كل المفسرين الذين جاؤا بعده، واختصره من المتأخرين غير واحد، وترجم أخيراً إلى الانجليزية<sup>(١٦)</sup>.

وطبع الكتاب كاملاً بالمطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٢١هـ ، ثم بمطبعة بولاق سنة (١٣٢٣-١٣٣٠هـ) وغيرهما، وأخرج منه العلامة المحقق الأديب الكبير محمود شاكر ستة عشر مجلداً طبعت في دار المعارف بمصر، ثم توقف عن إتمامه، وأعيد نشره على الطبقات عشرات المرات بطريقة التصوير.

إستوعب الطبري في كتابه معظم التفاسير المعروفة إلى عصره مما يرتضيه، مثل كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة السدوسي، والحسن البصري وإضرابهم.

وأفاد من تفاسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن جريج، ومقاتل بن حيان النبطي.

واستوعب معظم الأحاديث المعروفة في التفسير، صحيحها وضعفها، فضلاً عن الآثار المروية عن الصحابة والتابعين الذين عُرِف عنهم العناية بتفسير الكتاب العزيز.

على أنه لم يُدخل في كتابه التفاسير غير الموثوقة، مثل تفاسير ابن كلب، ومقاتل بن سلمان، ومحمد بن عمر الواقدي، في حين أخذ عنهم الأخبار والتاريخ كما فعل كثير من المحدثين.

واستقصى كتب معاني القرآن، مثل كتب: علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفراء، وأبي الحسن الأخفش، وأبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه.

وشحن الكتاب باختلاف القراءة، واختلاف النحويين البصريين والكوفيين، وساق الكثير من الشعر الجاهلي والإسلامي للاستدلال به على مدلولات الألفاظ تعضيد لرأيه أو آراء الآخرين.

### المطلب الثاني : نظرة في تفسير الطبري من كتابه جامع البيان :

قال الدكتور بشار عواد معروف: أصبح (جامع البيان) كتاباً ضخماً يعجز عن قراءته الكثير من المتقنين والمتشرفين إلى معرفة كتاب الله تعالى من غير المختصين به، فضلاً عما فيه من ذكر الاختلافات الكثيرة في التفسير والقراءات والدقائق النحوية واللغوية، وكثرة الأحاديث الضعيفة، وعدم إدراك الناس لمراد الطبري من الاستدلال بها، إلا من رحم ربي، فصار الناس يتيهون في كل هذا ويصعب عليهم إدراك المعاني والدلالات والآراء التي قصدتها المؤلف وأراد تثبيتها، وفي كل هذا خطر كبير على تكوين العقل المسلم حينما لا يكون متخصصاً في العلوم الإسلامية.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الاختلاف في الكتاب العزيز، فعن جُنْدُب بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه» (١٧).



وكننت منذ طلبي العلم أرجع إلى (جامع البيان) فتسحرني عبارة الطبري القوية البليغة بعد عرضه لآراء المخالفين في كتابه، فيبدو (تفسيره) الخاص به متحداً مترابطاً يصدر عن فهم عميق وإدراك دقيق لكتاب الله العزيز يسير على نمط واحد من أول الكتاب إلى آخره<sup>(١٨)</sup>.

ومن الأسباب التي دفعت الدكتور بشار معروف إلى اختصار هذا الكتاب ما نبهه إليه بعض أصدقائه من محبي العلم إلى الفائدة العظيمة من تقديم (تفسير) الطبري وحده مما ورد في (جامع البيان) دون الآراء والأحاديث والأشعار والقراءات التي استدلت بها مخالفوه، أو استدلت بها هو نفسه في الرد عليهم أو تقوية رأيه.

وقال الدكتور بشار معروف أيضاً: لقد شجعني على المضي في هذا العمل ما رأيته من صنيع بعض من اختصر الكتاب أو هذبه في إبقائه على الآراء المختلفة والاقتصار على اختصار الأسانيد وبعض الأشعار، أو اختصاره اختصاراً مجحفاً أخرجه عن مقصده<sup>(١٩)</sup>.

ومن كل ما تقدم أخذ أستاذنا الدكتور بشار تقديم (تفسير الطبري) وحده بعيداً عن الآراء والإستشهادات الكثيرة المتباينة في التفسير، بحيث يأتي الكتاب لطيفاً في حجمه، مستوعباً لجميع ما توصل إليه المؤلف من تأويل.

وقال : حذفت التفسير التي نقلها الطبري ولم يرُضها وتوصل إلى ما يخالفها.

وأسقطت معظم ما استشهد به هو أو مخالفوه من الشواهد الشعرية واللغوية، والخلافات الفرعية في الدقائق النحوية<sup>(٢٠)</sup>.

وأهملت معظم ما استند إليه من الأحاديث والآثار إذ أن في كلامه الذي ارتضاه خلاصه لها، إلا في القليل النادر الصحيح منها، وإلا فإن الغالب على ما ساقه من الأسانيد عدم ارتقائها إلى مراتب الصحة القاطعة.

وقال الدكتور بشار: إنَّ استدلال الطبري بالآثار الواهية التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله وأنه من أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل الكريم<sup>(٢١)</sup>.

وقال أستاذنا: رأيت ضرورة الإبقاء على إستهادات المؤلف من أي الكتاب العزيز، فهي من أصح ما يُفسر به، فضلاً عن أنها تزيد من قوة ترابط التفسير الواحد الذي ارتضاه المؤلف.

وهذا المنهج الذي انتهجه هو الذي حدا بي إلى وسم هذا الاختصار بـ (تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ليكون دالاً على اقتصاره على كلام الطبري وما ارتضاه من تأويل لكل آية.

كما غنينا برصد الآراء التي أوردها الطبري عن كبار المفسرين في تأويل كل آية من غير ذكر لأسانيد رواتها إذا لم نجد فائدة للقارئ المتقف في الإبقاء عليها في ما للتكرار الذي قد يضيع الفائدة ويقطع تسلسل فهم القارئ وتمليّه للنص<sup>(٢٢)</sup>.

وحذف أستاذنا الاستدلالات التي ساقها المؤلف لإثبات صحة قراءة عاصم<sup>(٢٣)</sup>، وهي التي اشتهرت في المصاحف المطبوعة بالمشرق، لأنها لا تُضيف جديداً لما هو معروف متداول عن الناس في عصرنا. وفي الوقت نفسه أبقينا على القراءات التي رجَّحها الطبري على هذه القراءة وما استدلل به من الاستدلالات العلمية النفيسة في إثبات رجحانها، لما عرفنا عنه من تبحر في هذا العلم ومعرفة متميزة بأصوله ودقائقه، لينتفع بها أهل العلم والقراء على حدٍّ سواء.

وأبقى أستاذنا على الآراء السديدة في مسائل الناسخ والمنسوخ، وإذ هو من الذين لا يرتضون القول بالنسخ إلا بدليل واضح بيّن، وله في

ذلك مؤلف أشار إليه في تضاعيف كتابه غير مرة، لذا رأينا من المفيد النافع الإبقاء على كثير مما أثبتته ودلّل عليه في هذا الشأن لما فيه من الفوائد والعوائد.

وقال الدكتور بشار على جلالة علمه وقدره: إننا عرضنا خطتنا وعملنا على طائفة من أهل العلم بعد أن قطعنا فيه شوطاً، فكانوا - جزأهم الله خيراً - يرفدوننا بأرائهم ومقترحاتهم ، فنقول طريقتنا في الاختيار والتهديب والإخراج حينما نجد ذلك نافعا للكتاب مُحَسَّنًا له<sup>(٢٤)</sup>.

وهذا يدل على تواضعه وغيرة علمه فإنه مع المكانة التي يحظى بها تجده يستشير أهل الاختصاص والخبرة ممن هم في مستواه، أمثال الشيخ شعيب الأرناؤوط.

وقال الدكتور بشار : لقد شاركني في العمل به صديقي الفاضل الأستاذ عصام فارس الحرستاني، لما عرفته عنه من دقة في عمله وإتقان في ضبطه وتدقيقه وذوق رفيع في الفهم والاختيار، فكان هذا من توفيق الله سبحانه وفضله ومنّه<sup>(٢٥)</sup>.

ولابد من التنويه إلى أن هذا الكتاب نشرته مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٩٤م في سبعة مجلدات ، ولما حضيه به من استحسان واهتمام من قبل الباحثين والدارسين، فقد طبع غير مرة، منها طبعة سنة ٢٠٠٢م.

ويُعَدُّ هذا الكتاب من الجهود المهمة لأستاذنا الدكتور بشار عواد معروف تصب في خدمة القرآن وتفسيره.

### المبحث الثالث

#### جهوده في البيان في حكم التنغي بالقرآن

دراسة في ضرورة تحسين الصوت والتطريب بالقراءة<sup>(٢٦)</sup> وفيه :

المطلب الأول : موقف الدكتور بشار من المانع لتحسين الصوت والتطريب والتنغي بالقرآن.

قال أستاذنا: إن تزيين قراءة القرآن الكريم وتحسين الصوت بها، والتطريب عند القراءة أوقع في النفوس، وأدعى إلى الإسماع والإصغاء إليه، ففيها تنفيذ للفظ القرآن إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء، وبمنزلة الأوقافية والطيب الذي يجعل في الطعام، لتكون الطبيعة أدعى له قبولاً<sup>(٢٧)</sup>.

وقد اختلف العلماء في قراءة القرآن بالألحان منذ القديم إلى يوم الناس هذا، فنص على كراهتها الإمامان أحمد بن حنبل ومالك بن أنس، ورويت هذه الكراهة عن أنس بن مالك - بسند ضعيف كما سيأتي - وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وإبراهيم النخعي، وتابعهم القرطبي وغيره. وأجاز فريق آخر رفع الصوت في قراءة القرآن والجهر والتطريب والتغني به، لأنه أوقع في النفوس وأسمع في القلوب، وهم: أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي، وعبد الله بن المبارك، والنضر بن شميل، وأبو جعفر الطبري، وأبو الحسن بن بطال، وأبو بكر بن العربي، وابن قيم الجوزية. وروي ذلك عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم<sup>(٢٨)</sup>.

وامتد هذا الخلاف حتى وصل إلى عصرنا هذا، فكتب فيه من كتب كارهاً مانعاً أو مجوزاً، فمن منعه وتشدوا في المنع العلامة الشيخ محمد أبو زهرة<sup>(٢٩)</sup> وغيره، ومن جوزوه الشيخ رشيد رضا<sup>(٣٠)</sup>، والسيد لبیب السعيد<sup>(٣١)</sup>، والدكتور أحمد عبد المنعم البهي<sup>(٣٢)</sup> وغيرهم.

وقال الدكتور بشار: إذا كان بعض الأقدمين قد كرهه استناداً إلى فهمهم لبعض كلمات أو عبارات وردت في بعض الأحاديث، وخوفهم من أن بعض القراءات بالألحان قد تؤدي إلى همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، وترجيح الألف الواحد ألفان، والواو واوات، والياء ياءات،

فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن ، فإن المُحدّثين - مما يؤسف عليه - ذهبوا إلى محاولة نفي الأحاديث الصحيحة الثابتة عن المصطفى ﷺ ، واستدلوا بأحاديث ضعيفة وبنوا أحكامهم عليها، وهذه - كما هو معلوم - بلية كبيرة نسأل الله سبحانه أن يجنبنا إياها، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومعلوم أن مثل هذه الأمور إنما تثبت أو تنفى بالرجوع إلى سنة المصطفى ﷺ ومعرفة صحيحها من سقيمها ، ودراسة الأحاديث والأدلة التي استند إليها الفريقان، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز بطاعة رسوله محمد ﷺ أمينه على وحيه ، وخيرته من خلقه، وسفيره الى عباده، وقرن طاعة رسوله بطاعته في العديد من الآيات الكريمة منها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٣)، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٣٤)، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦).

كما ذكر هذه الطاعة مفردة في العديد من الآيات الكريمة منها قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣٧)، وقوله تعالى : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣٨).

فليس لمؤمن أن يختار شيئاً بعد أمره ﷺ ، بل إذا أمرَ فأمره حتمٌ ، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فهذه الشروط - عندئذٍ - يكون قول غيره سائغ الإتيان لا واجب الإتيان، فلا يجب على أحد إتيان قول أحد سواه بل غايته ، أنه يسوغ له إتياعه، ولو ترك الأخذ بقول غيره لم يكن عاصياً لله ورسوله.

وقال الدكتور بشار : مما يؤسف عليه أن الأحاديث الضعيفة والموضوعة أصبحت تدور على ألسنة الكثرة الكاثرة من المدرسين والخطباء والوعاظ والمؤلفين، بل إن كثيراً من كبار الفقهاء يبني أحكامه على أحاديث ضعيفة لا تثبت عن الرسول ﷺ ، ولا يتخرج برد أحاديث أخرجها البخاري ومسلم، وتزداد البلية حينما يتلقاها عنهم الناس - ثقة بهم وركوناً إليهم - فيعتدون بها أو بما يستفاد منها، فيؤدي كل ذلك إلى أضرار كبيرة في جوانب من الأمور الاعتقادية والعبادية والسلوكية والفكرية والاجتماعية ، ويترك آثاراً سيئة وانحرافات خطيرة وتشويه لحقائق الإسلام ومقاصده النبيلة.

وهذه الفائدة الجلية والحقيقة الناصعة نبه إليها الإمام مسلم بن الحجاج القشيري - رحمه الله - قبل مئتين من السنين<sup>(٣٩)</sup>.

قال أستاذنا : وقد وفقني الله سبحانه وتعالى إلى دراسة الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، فثبت عندي من حديثه ﷺ - بحمد الله ومنه - ضرورة تحسين الصوت والتطريب والتغني بالقراءة للقرآن الكريم، ولم يثبت عندنا حديث واحد في منع ذلك أو كراهته مما يمكن أن ترد به تلك الأحاديث الصحيحة الثابتة.

فأحببت أن ينتفع بذلك أخواني من محبي كتاب الله والإنصات إليه والحنين إلى سماعه، فضلاً عما سأسوقه من أقوال الصحابة والتابعين وأدلة العلماء المتشبعين بسنة المصطفى ﷺ ، وما أبينه من العلل في

الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله ﷺ التي استدلت بها بعض العلماء في النكير على من جَوَزَ ذلك، وإليك دلالات ذلك (٤٠).

### المطلب الثاني : رد أدلة المانعين ومناقشتها :

سأكتفي بذكر الدليل الأول وجزء من المناقشات وأترك بقية الأدلة لعدم سعة المقام لذكر جميع الأدلة ومناقشتها.

الدليل الأول: أخرجه الإمام أحمد (٤١) في مسنده والبخاري (٤٢) ومسلم (٤٣) في صحيحهما، والنسائي (٤٤) في السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ( لم يأذن الله لشيء ما أدنَ لنبيٍّ أن يتغنّى بالقرآن ).

وقد اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ ( يتغنّى ) على وجهين رئيسين :

أ) الاستغناء به ، وهو من الاستغناء الذي ضد الافتقار ، لا من الغناء ، يقال: تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت، وتغانوا: أي استغنَى بعضهم عن بعض. وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ، كما صرّح به البخاري (٤٥) وغيره ، إذ قال بعد أن ساق هذا الحديث من طريق سفيان عن الزهري، قال: قال سفيان : تفسيره يستغنَى به. وكان يقول في حديث «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٤٦) ليس منا من لم يستغن بالقرآن عن غيره، ولم يذهب به إلى الصوت (٤٧).

ونصره في ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، فقال: وهذا جائز فاش في كلام العرب، نقول: تَغَنَّيتَ تغنّياً بمعنى، ستغنيت وتغانيت تغانياً أيضاً، واستدل بقول الأعشى (٤٨):

وكنْتُ امرءاً زَمناً بالعراق عفيف المُنَاحِ طَوِيلِ التَّغَنِّ

كما استدلت بقول الشاعر (٤٩):

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيَا

وبهذا أيضاً قال وكيع بن الجراح، ولعله اختار محمد بن إسماعيل البخاري لإتباعه ترجمة الباب<sup>(٥٠)</sup> بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٥١)</sup>، وقال أبو العباس ثعلب: (الذي حصلناه من حفاظ اللغة في قوله ﷺ (كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن) أنه على معنيين: على الاستغناء، وعلى التطريب، قال الأزهرى: فمن ذهب به إلى الاستغناء فهو من (الغنى) مقصور، ومن ذهب به إلى التطريب فهو من (الغناء) الصوت، ممدودة<sup>(٥٢)</sup>.

ب) تحسين الصوت، والتحزن به، والتلذذ والإستحلاء، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنياً من حيث أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء، كما سيأتي مفصلاً.

وتفسير سفيان بن عيينة ومن تابعه مردود من عدة وجوه نذكر منها ما يتيسر<sup>(٥٣)</sup>:

(١) أن مسلم بن الحجاج أخرج في صحيحه هذا الحديث بلفظ آخر صرح فيه بحسن الصوت، فقال: حدثني بشر بن الحكم، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، قال: حدثنا يزيد وهو ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم (التيمي) عن أبي سلمه، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»<sup>(٥٤)</sup>.

(٢) وجاء في حديث الباب بلفظ: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لِنَبِيِّ مَا أَدْنَى لِنَاسَانٍ حَسَنِ التَّرْتِيمِ بِالْقُرْآنِ»<sup>(٥٥)</sup> وكذلك: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»<sup>(٥٦)</sup> - أي كما أوردناه من صحيح مسلم - ووقع عند ابن أبي داود الطحاوي من رواية عمرو بن دينار، عن أبي سلمه، عن أبي هريرة: «حَسَنِ التَّرْتِيمِ بِالْقُرْآنِ»<sup>(٥٧)</sup>.



وقال الطبري: ومعقول عند ذي الحجا أن الترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسَّنه المترنم وطربَّ به<sup>(٥٨)</sup>.

(٣) وأخرج البخاري<sup>(٥٩)</sup> هذا الحديث في موضع آخر ، ومسلم<sup>(٦٠)</sup> ، من حديث أبي سلمه، عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به). وأخرج البخاري<sup>(٦١)</sup> في موضع آخر من صحيحه من طريق الليث، عن عُقيل، عن الزهري، عن أبي سلمه ، عبارة (يجهر به) خارجه عن قول النبي ﷺ ، فقال إثر روايته الحديث : ( وقال صاحب له: يُريد يجهر به ) ، قال الحافظ ابن حجر: فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة، وإن كانت غير مرفوعة فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره لاسيما إذا كان فقيهاً. وقد جزم الحلبي أنها من قول أبي هريرة ، والعرب تقول : سمعت فلاناً يتغنى بكذا أي يجهر به ، ومنه قول ذي الرمة:

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم  
أي أجهر ولا أكني<sup>(٦٢)</sup>.

وقال الطبري: وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا، ولو كان كما قال ابن عيينة - يعني - يستغني به عن غيره- لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى. والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع ، قال الشاعر<sup>(٦٣)</sup>:

تَغَنَّ بالشعر إما كنتَ قائلاً وإن الغناء لهذا الشعر مضمار<sup>(٦٤)</sup>.

(٤) وسئل الشافعي - رحمه الله- عن تأويل ابن عيينة، فقال: نحن أعلم بهذا ، لو أراد به الاستغناء ، لقال: لم يستغن بالقرآن، ولكن لما قال: يتغنى بالقرآن، علمنا أنه أراد به التغني<sup>(٦٥)</sup>.

(٥) وقال عمر بن شيبه: ذكر لأبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد- تأويل ابن عيينة ، فقال: لم يصنع ابن عيينة شيئاً<sup>(٦٦)</sup>.

٦) وممن أنكر تفسير يتغنى يستغنى أيضاً الإسماعيلي ، فقال:  
الاستغناء به لا يحتاج إلى استماع لأن الاستماع أمر خاص زائد  
على الاكتفاء به. وأيضاً : فالإكتفاء به عن غيره أمر واجب على  
الجميع، ومن لم يفعل ذلك خرج عن الطاعة . ثم ساق  
الإسماعيلي من وجه آخر عن ابن عيينة قال: ( يقولون إذا رفع  
صوته فقد تغنى)(٦٧).

وقال الدكتور بشار بعد عرض الأدلة ومناقشتها والتي اكتفينا  
بذكر جزء من الدليل الأول اختصار للموضوع.

بعد كل هذا الذي قدمنا نرى من المفيد أن نقتبس خلاصة رأي  
واحد من أعظم المحدثين الفقهاء ممن تشبعوا بالهدي النبوي وعرفوه حق  
معرفته، في هذه المسألة هو حافظ عصره ابن حجر العسقلاني، وهو  
خلاصة هذا البحث وهو الذي نعتقه ونؤمن لما تحصل عندنا من الأدلة.  
قال الحافظ ابن حجر : (والذي يتحصل من الأدلة أن حسن  
الصوت بالقرآن مطلوب ، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما أستطاع كما قال  
ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد  
صحيح.

ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسن  
الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه ، وغير  
الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند  
أهل القراءات ، فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبيح الاداء ،  
ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى  
الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معاً فلاشك في أنه

أرجح من غيره، لأن يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حُرمة الأداء<sup>(٦٨)</sup>.

## المبحث الرابع

### نظرة في تفسير القرآن الكريم ومدارسه<sup>(٦٩)</sup> وفيه مطلبان :

#### المطلب الأول : نظرة في مدرسة التفسير بالآثروما أثير حولها .

بعد أن تكلم دكتور بشار عن المدارس التفسيرية ، معتبراً النبي محمد ﷺ المدرسة الأولى في تفسير القرآن الكريم ومدارسه ، وكان الصحابة يواظبون على هذه الدراسة بشكل دقيق ومتقن، بدلالة ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الآخر حتى يعلموا ما فيهنّ ، فكنا نتعلم القرآن والعمل به )<sup>(٧٠)</sup>.

كما تحدث عن تدوين التفسير وأول من كتب فيه .

وقال الدكتور بشار : أن ما أشيع بين الدارسين بأن الأسانيد التي استعملها الطبري هي أسانيد لروايات شفهية فيه الكثير من سوء الفهم لحركة التأليف في التفسير عن المسلمين، وآية ذلك أن تحليل أسانيد الطبري يشير إلى أن الطبري استعمل مصادر مدونة من المثنئين الأولى والثانية .

ثم كان تدوين التفسير إضافة إلى ذلك يسير ضمن الإطار العام للحركة الفكرية العربية الإسلامية التي عنيت بالتدوين من وقت مبكر، لاسيما تدوين السنة النبوية<sup>(٧١)</sup> فكان الكثير مما وصل إلينا من التفسير هو جزء من الحديث النبوي الشريف لاسيما ما أثر عن النبي ﷺ من تفسير، ثم الصحابة والتابعين<sup>(٧٢)</sup>.

وذكر أستاذنا : أن بعض الرواة نسبوا إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله، فلا يُنسب إلى رسول الله ﷺ إلا ما صح عنه، وما ضعف سنده

فيعتبر به اعتباراً، وما روى بسند تالف أو فيه من الكذابين والمتروكين والهلكى فلا يعتد به<sup>(٧٣)</sup>.

وقال أستاذنا : إذا استثنينا كتاب السيوطي، فإن جميع التفاسير المذكورة والمدرجة ضمت كتب التفسير بالمأثور لم تخل من آراء واجتهادات وإشارات لكن الغالب عليها عنايتها بالمأثور.

كما أورد أستاذنا مآخذ العلماء قديماً وحديثاً على هذا النوع من الكتب، لاحتوائها على الصحيح والسقيم من الروايات، وكثرة الإسرائيليات فيها، وكثرة الوضع. وكان لأستاذنا موقف إزاء كل مآخذ من هذه المآخذ<sup>(٧٤)</sup>.

فأما الصحيح والسقيم من الروايات، فإن علماء الحديث تساهلوا في أحاديث التفسير أصلاً واعتدوا بالأحاديث الضعيفة إذا لم تكن مما تحل حراماً أو تحرم حلالاً، بل ذهب شيخنا وصديقنا العلامة محمود شاكر طيب الله ثراه إلى أن استدلال الطبري بالآثار الواهية التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ أو بيان سياق عبارة ، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله وأنه من أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل العزيز<sup>(٧٥)</sup>.

وأما إيراد الإسرائيليات في هذه التفاسير وغيرها فيحتاج إلى وقفة منصفة لا بد منها لبيان مسألة أكثر الناس القول فيها بغير علم ومعرفة فأقول وبالله التوفيق:

تشمل الإسرائيليات ما نقل عن كتب اليهود والنصارى، وهي التوراة (ومنها الزبور) والتلمود والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) ، وإنما أطلق عليها الإسرائيليات من باب التغليب ، ولأن الإنجيل نزل في بني إسرائيل أيضاً<sup>(٧٦)</sup>.

لقد تناول القرآن الكريم قصص الأنبياء عليهم السلام بشيء من الإيجاز والإجمال مقتصرًا على مواضع العظة من غير تعرض لجزئيات المسائل فكان المفسرون بحاجة إلى تفصيل هذه القصص، فوجدوا ضالتهم في تراث أهل الكتاب. وقد بدأت هذه الحركة منذ عهد الصحابة، فسئل عن أشهرهم: الصحابي الجليل عبد الله بن سلام الإسرائيلي، وكعب الأحمري، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وكلهم علماء أجلاء ثقات، والإسرائيليات عموماً على ثلاثة أضرب:

(١) ما هو موافق لشريعتنا، أو موافق لما نُقِلَ عن نبينا ﷺ بالأسانيد الصحيحة، فهذا مقبول لا مشاحة فيه.

(٢) ما عُلِمَ كذبه لمخالفته شرعنا أو منافاته للمنطق والعقل.

(٣) ما هو مسكوت عنه، أعني الذي ليس من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وليس فيه ما يحل حراماً ولا يحرم حلالاً، فهذا لا ضرر فيه وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أننا لا ينبغي أن نؤمن به ولا نكذبه، وجوّز لنا روايته<sup>(٧٧)</sup>، وهو الصفة الغالبة لما جاء في كتب التفسير، وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٧٨)</sup>.

وقوله ﷺ: (حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ)<sup>(٧٩)</sup>.

وقال ابن كثير: ونقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلِمَتَهُمْ﴾<sup>(٨٠)</sup>.

وقد شدّد العلامة أحمد شاكر رحمه الله النكير على الحافظ ابن كثير بسبب هذه القالة فقال: إن أثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيَّن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا الله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحديث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأبي تصديق

لرواياتهم وأقوالهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟<sup>(٨١)</sup>.

ورد أستاذنا الدكتور بشار على العلامة أحمد شاکر: أن هذا الذي قاله العلامة رحمه الله فيه مبالغة ظاهرة، فالتفسير منفصل عن كتاب الله، وهو كلام يصيب ويخطئ، وهذا منه، لاسيما إذا كان مما لا يخالف شرعنا. والحق أن جُل المفسرين استعانوا بما عند أهل الكتاب على تفاوت فيما بينهم في الانتقاء، وعندني أن هذا لا يضير التفسير إذا لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً أو يفسد عقيدة، وعلى أن يُبين أن هذا مأخوذ من أهل الكتاب ليكون القارئ على بينة من أمره، أما هذرُه جملةً فهو إقصاء لثروة تراثية ليست بالقليلة<sup>(٨٢)</sup>.

وكان للدكتور بشار معروف موقف من الوضع في التفسير تمثل بقوله: إن هذه الآفة التي أصيب فيها تاريخ الفكر الإسلامي منذ عصوره الأولى لها أسبابها المعروفة من محاولات الدس، ونصرة العقائد، والمذاهب، ونحوها كانت مستشرية في الحديث النبوي الشريف، ولكنها فيما أرى أقل خطراً في التفسير، لأن التفسير في مجمله هو محاولة الوصول إلى فهم مراد الله تعالى من الآية، ولابد أن يكون هذا الوضع قد راعى القيمة العلمية لهذا القول ثم نسبه إلى واحد من كبار الصحابة كابن عباس أو علي أو غيرهما، أو نسبه إلى واحد من كبار المفسرين لترويجه، فتذهب القيمة الإسنادية، وتبقى قيمة المتن التي لابد أن تكون لها أهمية علمية في كثير من الأحيان، ذلك أن التفسير في حد ذاته ليس دائماً أمراً خيالياً بعيداً عن الآية، وإنما هو - في كثير من الأحيان - نتيجة اجتهاد علمي له قيمته... بناء على تفكيره الشخصي، وكثيراً ما يكون صحيحاً<sup>(٨٣)</sup>، مع الحاجة الماسة إلى تبيان عدم صحة نسبة القول إلى المنسوب إليه، لئلا يتقول على الناس ما لم يقولوا، بل يكون من المفيد جداً معرفة واضع هذه القول<sup>(٨٤)</sup>.

## المطلب الثاني : موقف الدكتور بشار معروف من مدرسة التفسير بالرأي والتفسير العلمي :

قد رد أستاذنا على أحاديث المانعين بعد دراسة السند والمتن والحكم عليها، فذكر أن هذه الأحاديث لا تقوم دليلاً على المنع، وعمل السلف خلاف ذلك، فقد فسّر الكثير من العلماء برأيهم المحمود القائم على المعرفة التامة بكلام العرب ومناحيهم في القول وعدم خلافهم لما صح عن النبي ﷺ . ولكن التفسير المذموم هو ذاك المخالف لقوانين العربية غير الموافق للأدلة الشرعية ، ولا المستوفي لشرائط التفسير، بل يجعل المفسرُ هواه رائده، ومذهبه قائده ، قال الحافظ ابن كثير ناقلًا عن شيخه ابن تيمية: (فهذه الآثار الصحيحة<sup>(٨٥)</sup> وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً، فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة ، لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتَنبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾<sup>(٨٦)</sup>، لما جاء في الحديث المروي من طرق وقاله ﷺ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُجِمَ بِلَجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)<sup>(٨٧)</sup>.

وكتب التفسير بالرأي كثيرة، اتخذ كل مفسر توجهاً معيناً، ونحا منحى يخالف غيره استناداً إلى العلم الذي أراد أن يبينه في كتاب الله العزيز، أو الهدف الذي يحققه جراء ذلك<sup>(٨٨)</sup> ، وكان لأستاذنا موقفاً من التفسير العلمي تمثل بقوله: ومنذ المئة الثامنة تصدى الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في كتابه (الموافقات) إلى هذا الشطط في تحميل النص القرآني فقال: (إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات

والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح<sup>(٨٩)</sup> على أن هذا الأمر قد انتشر في الأعصر الحديثة، فحاول المسلمون ، وهم يعيشون عصر انحطاطهم العلمي في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أن يجدوا في كتاب الله العزيز محاولة لرد اعتبارهم ، فزعموا أن القرآن الكريم حوى كل شيء وأنه سبق الأوروبيين المتقدمين في العلوم اليوم في كل هذه العلوم<sup>(٩٠)</sup>.

وهنا أختلف مع أستاذي الدكتور بشار عواد معروف فيما ذهب إليه وأقول أن القرآن رسالة الله تعالى إلى الإنسانية كافة ، وقد جاء وافياً بجميع مطالب الحياة الإنسانية ، وهي مستمرة متجددة على مر العصور والأزمنة ، وبما يتلائم وطبيعة كل عصر ، فهو يتحدّى أرباب البلاغة والبيان في زمن نزوله ، فيعتزفون بعجزهم عن الإتيان بمثله ، ويدركون أن هذه البلاغة لا يمكن لبشر أن يأتي بمثلا ؛ لذلك تجلّت معجزة القرآن في ذلك العصر بشكها البلاغي لتناسب عصر البلاغة والشعر والأدب ، وليكون لها الأثر الكبير لهداية الناس إلى الإسلام.

وعندما جاء عصر المكتشفات العلمية تمكّن العلماء حديثاً من كشف الكثير من أسرار هذا الكون وكان للقرآن السبق في الحديث عن حقائق علمية وكونية لم يكن لأحد علم بها وقت نزول القرآن ، وهنا تتجلى معجزة القرآن بشكلها العلمي لتناسب التطور العلمي في العصر الحديث ، واليوم نحن نعيش عصراً جديداً يمكن تسميته بعصر المكتشفات العلمية ، وعلينا أن نثبت حقيقة مفادها أن القرآن الكريم هو الحاكم على الحقائق العلمية في صدقها ، ولا يصح أن نجعل من الحقيقة العلمية الحاكم على صدق القرآن من عدمه كما يتبادر إلى فهم بعض الباحثين .



كما اني أجد القسوة من أستاذنا في نظرتة إلى التفسير العلمي ، بوصفه محاولة لرد أعتبارهم ، في هذا المجال وذلك بشهادة كبار علماء الغرب ، وما اعتناق بعضهم للإسلام الا دليل على ذلك ، والشواهد كثيرة في هذا

## المبحث الخامس

### جهوده من خلال مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي وفيه

#### مطلبان:

**المطلب الأول: أنظار في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾**

وهو بحث مقدم إلى المؤتمر العام الرابع عشر المنعقد ٢٢-٢٥ - شعبان ١٤٢٨هـ / ٤-٧ أيلول ٢٠٠٧ م . مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان - المملكة الأردنية الهاشمية.

لقد قدم الدكتور بشار معروف بحثاً في هذه الآية بعد أن استعرض الروايات الواردة في سبب نزول الآية ومنها قول الحسن البصري وابن جريج: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فقالوا: يا محمد ﷺ، إنا نحب ربنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. (٩١)

وقال: الدكتور بشار: (ومهما يكن سبب نزول الآية فلا شك أن المراد منها هو عموم اللفظ بصرف النظر عن خصوص سببه) (٩٢) ، فكل واحد من فرق العقلاء يدّعي أنه يحب الله ويطلب رضاه وطاعته فقال لرسوله ﷺ : قل إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله تعالى فكونوا منقادين لأوامره محترزين عن مخالفه، وإذا قامت الدلالة القاطعة على نبوة محمد ﷺ وجبت متابعتة، فإن لم تحصل هذه المتابعة دلّ ذلك على أن تلك المحبة ما حصلت) (٩٣) وذكر استاذنا تعريف المحبة: مِيلُ النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقر بها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله وأكل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا الله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة ، وجعلت مستلزماً لاتباع الرسول ﷺ في طاعته والحرص على مطاوعته. (٩٤)

وقد رد استاذنا على المتكلمين بقوله : (ومما يؤسف عليه أن المتكلمين مصرّون على أن محبة الله تعالى عبارة عن محبته إعظامه وإجلاله ، أو محبة طاعته ، أو محبة ثوابه ؛ قالوا : لأن المحبة من جنس الإرادة ، والإرادة لا تعلق لها بالحوادث ولا بالمنافع .

وقد ردّ عليهم الامام فخر الدين الرازي حين قال : " واعلم أن هذا القول ضعيف ، وذلك لأنه لا يمكن أن يقال في كل شيء : إنه كان محبوباً لأجل معنى آخر ، إلا لزم التسلسل والدور ، فلا بد من الانتهاء الى شيء يكون محبوباً بالذات ، كما إنا نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها ، فكذاك نعلم أن الكمال محبوب لذاته ... وكمال الكمال لله سبحانه وتعالى ، فكان ذلك يقتضي كونه محبوباً لذاته من ذاته ، ومن المقرّبين عنده الذين تجلّى لهم اثر من اثار كماله وجلاله .<sup>(٩٥)</sup> والى مثل هذا المعنى اشار ابن قيم الجوزية حين قال : " وإن وجود في الناس من يؤثر محبوبه بنفسه وماله فذاك في الحقيقة إنما هو لمحبة غرضه منه ، فحمله محبة غرضه على ان بذل فيه نفسه وماله ، وليست محبته لذلك المحبوب لذاته بل لغرضه منه . وهذا المحبوب له مثل ولمحبته مثل ، واما محبه الله فليس لها مثل ولا للمحبوب مثل . ولهذا حكّم الصحابة ( رضي الله عنهم ) رسول الله ﷺ في انفسهم واموالهم فقالوا : هذه اموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت ، وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بينا البحر لخضنا ، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك " .<sup>(٩٦)</sup> (٩٧)

ثم ذكر استاذنا ما دلت عليه الآية من وجوب محبة العبد لله تعالى بقوله : " إن جميع طرق الادلة - عقلاً ونقلاً وفطرةً وقياساً وذوقناً ووجداناً - تدل على اثبات محبة العبد لربه والرب لعبده .<sup>(٩٨)</sup>

ثم ذكر الاسباب الموجبة للمحبة كما اوردها ابن قيم الجوزية .<sup>(٩٩)</sup> ثم ذكر الدكتور بشار بعد عرضه لأقوال المفسرين في الآية ، والمقصود انه بحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما ان

بحسب متابعتة تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فانه سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعتة ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفتة فلا يتابعه الهدى والامن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والاخرة ، ولمخالفيه - أعاذنا الله - الذلة والصغار والخوف والظلال والشقاء والخذلان في الدنيا والاخرة . وقد قال ﷺ : ( فوالذي نفسي بيده ، لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين )<sup>(١٠٠)</sup> وقال ايضا : ( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ... )<sup>(١٠١)</sup> (١٠٢)

### المطلب الثاني : التفسير الكبير للقرآن الكريم .

فقد تحدث الدكتور بشار عن مشروع التفسير الكبير بقوله : إذا كنا نؤمن أن كتاب الله لا تتقضي عجائبه ولا تُقلع سحائبه، وأن الله سبحانه قد يفتح على المتدبر لآياته ما لا يفتح لغيره فعندئذ لا يمكن أن يتصور الاعتماد على تفسير واحد مهما أوتي صاحبه من فضل وعلم وخير، وصار من المتعين الاطلاع على جملة التفاسير .

وهذا الأمر لم يكن هيناً في عصر المخطوطات ، ولا يمكن أن يكون هيناً في عصر المطبوعات، لأن التفاسير كثيرة ، ووجودها في موضع لا يتوفر لكل أحد من الناس . فضلاً عن ذلك وافر المال مع عدم تحمل الحال عنده الكثرة الكاثرة من طلبة العلم والباحثين .

ومن هذا المنطلق جاءت الفكرة الرائدة التي أطلقها صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد ، في الاستفادة من التقنية الحديثة لخدمة كتاب الله تعالى، بإقامة موقع على الإنترنت باسم (مشروع التفاسير الكبير)، فصار الباحث والقارئ العادي على حد سواء قادراً على أن يطلع على عشرات التفاسير في آن واحد، ويقف على الآراء المتنوعة والأفكار المختلفة، وما فتح الله سبحانه على عقول بعض العلماء من مفاتيح في تفسير كل آية من آيات الكتاب العزيز من غير عناء ولا تكلفة.

يقف المراجع لهذا الموقع على تفاسير أهل السنة، من تفاسير المحدثين والفقهاء والصوفية والمعتزلة ونحوهم، ثم تفاسير الشيعة الزيدية، والشيعة الأمامية، والإباضية، فضلاً عن جملة من التفاسير الحديثة، فيحصل على تنوع بيّن في المناهج التفسيرية بين زمان وآخر، واختلاف في المناظر والرؤى بين جيل وآخر، والرأي والرأي الآخر، والتباين في الاهتمامات على تطاول الأزمان.

يقف الباحث في هذا الموقع على أهم التفاسير المعتمدة، وعلوم القرآن، ومحركات الباحث من فهارس وغيرها، بما يزيد على مئة مصدر ومرجع، وعلى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى ١٦ لغة عالمية، ويُقدّم هذا العمل مجاناً، توفيراً للوقت، وتيسيراً على الباحثين وطلاب العلم في العالم وخدمة لكتاب الله العزيز هدية من آل البيت الهاشمي إلى المسلمين.

وقد بلغ عدد التفاسير المدخلة على الإنترنت إلى الآن ٣٢ تفسيراً، (١٠) منها مصنّفة ومدققة تدقيقاً أولياً. ومن محركات البحث من المعاجم للموضوع الواحد، وحصر مواقع تفسير الآية الواحدة في تفاسير عدة، أدخلت خمسة من هذه الفهارس والمعاجم واختير من ترجمات معاني القرآن (١٦) ست عشرة ترجمة أدخلت منها اثنا عشرة ترجمة.

وقد شرفني صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بالإشراف العلمي على هذا المشروع العظيم<sup>(١٠٣)</sup>.

ومن جهود الدكتور بشار تحقيق تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين ابن كثير المتوفي سنة ٧٧٤هـ، وهو من أجل التفاسير، ونُعد منه طبعه محققة على عدد كبير من النسخ الخطية، مع العناية بتخريج أحاديثه البالغة الكثرة، وتطبعه دار ابن كثير بدمشق<sup>(١٠٤)</sup>.

ومن جهوده أيضاً تحقيق كتاب معجم القراء الكبار.

## الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية مع علم من أعلام العراق المعاصرين، تبينَ بجلاء أهمية دراسة تراجم وسير الأعلام ، وجهودهم العلمية التي بذلوا أوقاتهم وأعمارهم من أجلها، خدمةً للأمة وقربةً لله تعالى.

ولكي تتواصل الأجيال، جيلاً بعد جيل فلا بد من الكتابة عنهم والترجمة لهم، ونشر ثقافة عصرهم من خلال ما كتبوه وحققوه ، لتدلنا إلى ما وصلوا إليه ، وما طرأ على فكرهم من مستجدات التقنيات العلمية وكيفية الاستفادة منها.

فقد أظهرت الدراسة جهود الدكتور بشار في إبرازه لآراء وترجيحات الإمام الطبري من خلال اختصاره لكتابه جامع البيان. وكذلك أظهرت الدراسة جواز رفع الصوت بالقرآن والتطريب والتغني به.

كما أظهرت الدراسة عظم الجهود المبذولة في مشروع التفسير الكبير وكيفية تسخير تقنية المعلومات لنشر علوم القرآن وتفسيره.

ولذا أدعو إلى كتابة جهود العلماء في حياتهم ، فكم من عالم كان أمة لوحده فلما رحلَ إندثرَ أثره ، وجهل دوره، ومن هنا عازمت على إظهار جهود الدكتور بشار عواد معروف في التفسير وعلوم القرآن، وهذا من توفيق الله تعالى.



- (١) تاريخ بغداد : ٣٢٠/١ .
- (٢) ينظر : تاريخ بغداد : ٣٤٧/١ ونقل مثله عن شعبه ٣٤٦/١ .
- (٣) هذه الترجمة مأخوذة من المترجم له نفسه عن طريق أحد طلابه .
- (٤) ينظر : أعلام المدرسة الحديثية البغدادية المعاصرة ، ٢٠ - ٢١ .
- (\*) السلطان الغازي مراد الرابع: هو ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث ولد في ٢٨ جمادي الأولى سنة ١٠١٨ هـ ، في ٢٩ أغسطس سنة ١٦٠٩ م ، وولاه الإنكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنه كي لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولامضغفاً لنفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره وإستمروا مدة العشر سنين الأولى من حكمه على غيهم وطغيانهم . ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ٢٩٣/١ ت ١٧ .
- (٥) ينظر : أعلام المدرسة الحديثية البغدادية المعاصرة ، ٢١-٢٢ .
- (٦) ينظر : تاريخ الخطيب : ١٦٤/٢ أما ما ورد في إرشاد الأريب ، لياقوت : ٤٣٩/٦ من أقوال أبي بكر بن كامل أن الطبري قرأ عليهم سنة ٢٧٠ هـ فالظاهر أنه تصحيف ، والصواب : ٢٩٠ هـ .
- (٧) ينظر : إرشاد الأريب ، لياقوت : ٤٣٩/٦ .
- (٨) ينظر : تاريخ ، الخطيب : ١٦٣/٢ . وتروى مثل هذه الحكاية عن التاريخ أيضاً .
- (٩) ينظر : تاريخ ، الخطيب : ١٦٣/٢ .
- (١٠) ينظر : تاريخ ، الخطيب : ١٦٣/٢ .
- (١١) ينظر : تاريخ ، الخطيب : ١٦٣/٢ .
- (١٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ٢٧٣/١٤ .

- (١٣) ينظر : الفهرست ، لابن النديم : ٣٢٦ .
- (١٤) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف : ٢١٣/١ (الملحق) .
- (١٥) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف : ٢٤٩/١ .
- (١٦) صدر منه المجلد الأول عن مطبعة اكسفورد .
- (١٧) صحيح البخاري : ٢٤٤/٦ و ١٣٦ / ٩ ؛ صحيح مسلم : ٤ / ٤  
٢٠٥٣ ، رقم الحديث (٢٦٦٧) ؛ ومسند الإمام أحمد : ٣١٣/٤ ؛  
ومسند الدارمي : ٢١١٦ / ٤ ، رقم الحديث (٣٣٦٢) و (٣٣٦٤) .
- (١٨) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،  
بشار عواد معروف ، ١٠١-١١١ .
- (١٩) ينظر: التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير ،  
للعلامة الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد ، رده على اختصار الشيخ  
الصابوني لتفسير الطبري .
- (٢٠) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان ، ١٠٢ .
- (٢١) ينظر: مقدمة العلامة الأستاذ محمود شاکر لتفسير الطبري : ١٧/١  
وتعليقه على المجلد الأول ٤٥٤/١ ، ٤٥٨ من طبعته المحققة .
- (٢٢) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،  
١٠٣ .
- (٢٣) عاصم بن أبي النجود بهذلة الكوفي الأسدي بالولاء ، أحد القراء  
السبعة تابعي من أهل الكوفة ، ( ت ١٢٧ هـ - ٧٤٥ م ) ، كان ثقة  
في القراءات صدوقاً في الحديث ، قيل: أسم أبيه عبيد ، وبهذلة أسم  
أمه . ينظر: الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن  
فارس الزركلي الدمشقي ، ( ت ١٣٩٦ هـ ) ، دار العلم للملايين ،  
١٥ سنة الطبع ( ٢٠٠٢ م ) ، ٣٤٨/٣ .



- (٢٤) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٠٣-١٠٤.
- (٢٥) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان ، ١٠٤.
- (٢٦) بحث ألقى في مؤتمر الإعجاز القرآني ، المنعقد في بغداد سنة ١٩٨٩م.
- (٢٧) ينظر: الأعجاز القرآني ، ٩٧ ، و زاد المعاد ، لأبن القيم: ٤٨٩/١.
- (٢٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠/١-١٧؛ والمدخل، لأبن الحاج: ٧٤-٧٥؛ وزاد المعاد لأبن القيم: ٤٨٥/١-٤٨٦؛ وفتح الباري، لأبن حجر: ٨٣/٩-٨٩.
- (٢٩) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن: نزوله ، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره ، حكم الغنا به : ٦٢٠ وما بعدها.
- (٣٠) ينظر: تفسير المنار: ٥١٠/٩.
- (٣١) ينظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم.
- (٣٢) ينظر: تلحين القرآن وترنيم الأذان، مقالة منشورة في مجلة العربي، العدد ١١٣ محرم سنة ١٣٨٨هـ/ نيسان ١٩٦٨م.
- (٣٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩.
- (٣٤) سورة النساء ، الآية : ٦٩.
- (٣٥) سورة الأنفال ، الآية : ٢٠.
- (٣٦) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦.
- (٣٧) سورة النساء ، الآية : ٦٥.
- (٣٨) سورة الحشر، الآية : ٧.
- (٣٩) ينظر: مقدمة صحيح مسلم : ٦/١.
- (٤٠) ينظر: الإعجاز القرآني : ٦٠.

- (٤١) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٧١ و ٢٨٥ و ٤٥٠ .
- (٤٢) صحيح البخاري : ٦/٢٣٥ و ٢٣٦ و ٩/١٧٣ و ١٩٣ ، وهي في فتح الباري بالأرقام ٥٠٢٣ و ٥٠٢٤ و ٧٤٨٢ و ٧٥٤٤ .
- (٤٣) صحيح مسلم : ١٩٢/٢ طبعه مصر وفي طبعه محمد فؤاد عبد الباقي رقم (٧٩٢) .
- (٤٤) المجتبى للنسائي : ١٨٠/٢ بشرح السيوطي .
- (٤٥) فتح الباري لابن حجر : رقم (٥٠٢٤) .
- (٤٦) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ،....) ، رقم الحديث (٧٥٢٧) : ٩/١٥٤
- (٤٧) ينظر: لسان العرب: ١٥/١٣٥ ، مادة (غنا) .
- (٤٨) ديوان الأعشى : ٢٥ .
- (٤٩) البيت في الحماسة البصرية: ٥٥/٢ ؛ والأغاني ، للأبيد : ١٢٧/١٣ ؛ وفي ذيل الأمالي ، لسيار بن هبيرة : ٧٣ ؛ وفي الكامل : ١٨٤/١ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
- (٥٠) صحيح البخاري : ٦/٢٣٥؛ وفتح الباري ، ابن حجر : ٩/٨٧ .
- (٥١) سورة العنكبوت ، الآية : ٥١ .
- (٥٢) ينظر: النهاية ، لأبن الأثير ٣/٣٩٠ مادة (غنا) ؛ ولسان العرب ، لابن منظور : ١٣٥/١٥ مادة (غنا) .
- (٥٣) ينظر : الأعجاز القرآني : ٧٠ وما بعدها .
- (٥٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، رقم الحديث (٧٩٢) : ١/٥٤٥ .
- (٥٥) مصنف عبد الرزاق ، كتاب الصلاة ، بَابُ النَّائِمِ وَالسَّكْرَانِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى الْغِنَاءِ ، رقم الحديث (٤١٦٩) : ٢/٤٨٢

- (٥٦) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَرَّةَ»، رقم الحديث (٧٥٤٤) : ١٥٨/٩ .
- (٥٧) ينظر: فتح الباري، لابن حجر : ٨٧/٩ .
- (٥٨) ينظر: جامع البيان ، للطبري : ١١٣/١٨ ، وزاد المعاد، لابن القيم : ٤٨٦/١-٤٨٧ ؛ وفتح الباري ، لابن حجر : ٨٧/٩ .
- (٥٩) صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَرَّةَ» ، رقم الحديث (٧٥٤٤) : ١٥٨/٩ .
- (٦٠) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، رقم الحديث (٧٩٢) : ٥٤٥/١ .
- (٦١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَرَّةَ» ، رقم الحديث (٧٥٤٤) : ١٥٨/٩ .
- (٦٢) فتح الباري ، لابن حجر : ٨٨/٩ .
- (٦٣) ديوان حسان بن ثابت : ٤٢٠ .
- (٦٤) ينظر: زاد المعاد، لابن القيم : ٤٦٨/١-٤٧٨ ؛ وفتح الباري ، لابن حجر : ٨٧/٩ .
- (٦٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي : ١٣/١ ؛ وزاد المعاد، لابن القيم : ٤١/٩ .
- (٦٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي : ١٣/١ ؛ وزاد المعاد، لابن القيم : ٤١/٩ .
- (٦٧) فتح الباري ، لابن حجر : ٨٨/٩ .
- (٦٨) ينظر: فتح الباري ، لابن حجر : ٨٩/٩ ؛ والإعجاز القرآني : ٩٧ .
- (٦٩) محاضرات ألقاها الأستاذ الدكتور بشار معروف بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٩م .

- (٧٠) الطبقات الكبرى ، لابن سعد : ١٧٢/٦ ، وسير أعلام النبلاء ، للذهبي : ٢٦٩/٤ .
- (٧١) ينظر: تدوين الحديث ، للكيلاني : ٤٨-٧٦ .
- (٧٢) ينظر : تفسير القرآن ومدارسه ، بشار معروف : ٤٩ .
- (٧٣) ينظر: تفسير القرآن ومدارسه ، بشار معروف: ٥٢ .
- (٧٤) ينظر : المصدر نفسه: ٥٢ .
- (٧٥) ينظر: جامع البيان ، للطبري : ١٧/١ طبعة محمود شاكر، وتعليقه على المجلد الأول ٤٥٨/١ ، ٤٥٤ .
- (٧٦) ينظر : تفسير القرآن ومدارسه ، بشار معروف: ٥٨ .
- (٧٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٩/١ .
- (٧٨) صحيح البخاري : رقم الحديث (٣٤٦١) ؛ مسند الإمام أحمد : ١٥٩/٢ و ٢٠٢؛ وسنن الدارمي: رقم الحديث (٥٤٨) ؛ وسنن الترمذي: رقم الحديث: (٢٦٦٩) .
- (٧٩) مسند الحميدي : رقم الحديث (١١٦٥)؛ ومصنف ابن أبي شيبة : ٦٢/٩؛ ومسند الإمام أحمد : ٤٧٤/٢ و ٥٠٢ ؛ وسنن أبي داود، رقم الحديث (٣٦٦٢) ؛ وشرح المشكل للطحاوي : رقم الحديث (١٣٥) من حديث أبي هريرة بإسناد حسن .
- (٨٠) سورة الكهف ، من الآية : ٢٢ .
- (٨١) ينظر: مقدمته لكتابه (عمد التفسير) الذي أختصره من تفسير ابن كثير .
- (٨٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم ومدارسه : ٦٠-٦١ .
- (٨٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم ومدارسه ، ٦١ ، والتفسير والمفسرون ، للذهبي: ١٦٤/١ .
- (٨٤) المصدر السابق .

- (٨٥) روى ابن كثير بعض الآثار عن سعيد بن المسيب، وهشام بن عروة ، وعبيدة السلماني، والشعبي، ومسروق ، ونحوهم في التخرج من الكلام في كتاب الله بغير علم.
- (٨٦) سورة آل عمران ، من الآية : ١٨٧.
- (٨٧) مسند الامام احمد رقم (٧٥٧١) : ١٧/١٣ ، ابن كثير : ١٤/١-١٥ والحديث المذكور حديث حسن.
- (٨٨) ينظر: تفسير القرآن الكريم ومدارسه: ٦٥.
- (٨٩) الموافقات : ٧٩/١.
- (٩٠) ينظر: المصدر السابق : ٦٨.
- (٩١) ينظر : أسباب النزول ، للواحدي ، ١٠٥ ، ولباب النقول ، للسيوطي ، ٥٥ .
- (٩٢) ينظر : مناهل العرفان ، للزرقاني ، ١١٨/١ .
- (٩٣) أنظاراً في قوله تعالى : ( أن كنتم تحبون الله ... ) ، ٤ .
- (٩٤) ينظر : روح البيان ، للبروسوي ، ٢٢/٢ .
- (٩٥) مفاتيح الغيب ، للرازي، ١٩٧/٣
- (٩٦) روضة المحبين ، ٢٩٩ .
- (٩٧) ينظر : انظاراً في قوله تعالى : (ان كنتم تحبون الله ٠٠٠ ) ، ٦-٧
- (٩٨) انظاراً في قوله تعالى : (ان كنتم تحبون الله ٠٠٠ ) ، ٨ .
- (٩٩) ينظر : مدارج السالكين ، ١٧/٣ \_ ١٨ .
- (١٠٠) صحيح البخاري ، ١٠/١ ، رقم الحديث ١٤ \_ ١٥ .
- (١٠١) صحيح البخاري ، ١٢/١ ، رقم الحديث ٢١ .
- (١٠٢) ينظر : أنظاراً في قوله تعالى : ( أن كنتم تحبون الله ... ) ، ١٠ .
- (١٠٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم ومدارسه : ٧٢-٧٣.
- (١٠٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٦.

## المصادر والمراجع

### بعد القرآن الكريم

- ١- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، (ت ٦٢٦هـ) تحقيق : إحسان عباس ، الناشر دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ٢- الإعجاز القرآني ، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني ، المعقود بمدينة السلام بغداد لمدة من ٢١ - ٢٢ رمضان ١٤١٠هـ ، ١٦ - ٢١ نيسان ١٩٨٩م .
- ٣- الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، ط ٢.
- ٤- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير شوقي ضيف ، (ت ١٤٢٦هـ) ، دار المعارف ، د . ط .
- ٥- تاريخ الثقافات ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، (ت ٢٦١هـ) ، دار الباز ، ط ١ ، سنة ١٩٨٤م .
- ٦- تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ، (ت ٤٦٣هـ) تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، الناشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- ٧- تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المؤلف محمد فريد(بك) ابن احمد

فريد (باشا)، المحامي (ت ١٣٣٨هـ)، تحقيق: إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت\_لبنان ، ط ١ سنة ١٤٠١هـ\_١٩٨١م.

٨- التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير، ويليهِ تنبيهات مهمة لبعض العلماء: بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٠هـ

٩- تدوين الحديث ، تأليف العلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني ، (ت ١٨٩٢هـ) ١٩٥٦م ، ترجمة عن الأوردية الدكتور عبد الرزاق إسكندر ، راجعه وخرج أحاديثه الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط ١ ، سنة ٢٠٠٤ .

١٠- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر ، ط ٢ ، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١١- التفسير والمفسرون ، محمد السيد حسين الذهبي ، (ت ١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة ، القاهرة ، (د . ط) (د . ت) .

١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري ، (ت ٣١٠هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الرسالة ، ط ١ ، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من رسول الله ﷺ وسنته وأيامه ، صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصري ، دار

طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، سنة ١٤٢٢هـ .

١٤- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، (ت ٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

١٥- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم : لبيب سعيد ، دار الكاتب العربي - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

١٦- الحماسة البصرية : على بن أبي الفرج بن الحسن البصري ( ٦٥٦ هـ ) تحقيق : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي - بالقاهرة ، الأولى ، ١٩٩٩م

١٧- ديوان الأعشى : قدم له وشرحه : محمد أحمد قاسم ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط ١ ، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

١٨- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : محمد عزت نصر الله ، مكتبة النهضة ، بغداد ، (د . ط) (د . ت) .

١٩- ذيل الأمالي ، لسيار بن هبيرة ، دار الآفاق ، بيروت (د . ط) (د . ت) .

٢٠- زاد المعاد في هدي العباد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزي (ت ٧٥١هـ) الناشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ٢٧ ، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .



٢١- سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي ، أبو عيسى ، (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ ، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٢٢- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ، (ت ٧٤٨هـ) مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٣- شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م

٢٤- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد الهاشمي البغدادي ، المعروف بابن سعد (ت ٢٣٩هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٢٥- عمد التفسير أحمد شاكر الذي اختصره من تفسير ابن كثير ، ( د ، ط ، ت ، د )

٢٦- فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، (ت ٨٥٢هـ) ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محي الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

٢٧- الفهرست ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي  
المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم ، (ت ٤٣٨هـ) ، تحقيق :  
إبراهيم رمضان ، الناشر دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ،  
سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٨- الكامل في ضعفاء الرجال ، لابن عدي ، عبد الله بن عدي الجرجاني  
، (ت ٣٦٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) (د . ت) .

٢٩- الكنى و الأسماء ، مسلم بن الحجاج ، أبو الحسن القشيري ، (ت  
٢٦١هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمد أحمد القشيري ، الناشر  
عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، ط ١ ،  
سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

٣٠- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور (ت ٧١١هـ) ،  
دار صادر - بيروت ، ط ٣ ، سنة ١٤١٤هـ .

٣١- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي) ، أحمد بن شعيب بن  
علي النسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب  
المطبوعات الإسلامية - حلب ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٢- المدخل ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفارسي  
المالكي الشهير بابن الحاج ، (ت ٧٣٧هـ) ، دار التراث ، د . ط .  
ت .

٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن  
هلال بن أسد الشيباني ، (ت ٢٤١هـ) تحقيق : شعيب الأرناؤوط -

عادل مرشد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠١٠هـ .

٣٤- مسند الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الداراني، دار السقا، دمشق - سوريا ، ط ١ ، ١٩٩٦ م

٣٥- مسند الدرامي المعروف (سنن الدارمي) ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي ، التميمي السمرقندي ، (ت ٢٥٥هـ) تحقيق : حسين سليم أسد الدارمي ، دار الغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، سنة ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدلي عن العدلي إلى رسول الله ﷺ ، لمسلم بن حجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، (ت ٢٦١هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، د . ط . بيروت .

٣٧- المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة ، (ت ٢٣٥هـ) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، سنة ١٤٠٩هـ .

٣٨- النهاية في غريب الحديث والأثر ، المبارك بن محمد بن الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود

محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ( د . ط ) ، ١٣٩٩هـ -  
١٩٧٩م .

٣٩- وسنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت  
٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة  
العصرية ، صيدا - بيروت ، ( د . ط ) ( د . ت ) .

### البحوث والمقالات

١. بحث بعنوان أعلام المدرسة الحديثة البغدادية المعاصرة أصالة  
 وإيداع مقدم من قبل الاستاذ الدكتور عبد القادر المحمدي ، إلى  
 مؤتمر كلية أصول الدين في الجامعة العراقية المنعقد في  
 ٢٠٠٧م .

٢. بحث بعنوان البيان في حكم التغني بالقرآن دراسة في ضرورة  
 تحسين الصوت والتطريب بالقراءة ، مقدم من قبل الاستاذ  
 الدكتور بشار عواد معروف إلى مؤتمر الإعجاز القرآني المنعقد  
 في مدينة بغداد ، عام ١٩٨٩م .

٣. مقال بعنوان تلحين القرآن وترنيم الأذان ، المنشور في مجلة  
 العربي ، العدد ١١٣ ، محرم سنة ١٣٨٨هـ ، نيسان ١٩٦٨م .

# تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي في العراق من وجهة نظر مدرسي المادة و مدرساتها

خالد أحمد سليمان  
كلية الآداب/ الجامعة العراقية

## الملخص

يهدف البحث إلى تقييم الكتاب المدرسي لمادة التربية الإسلامية للمدارس الإعدادية في الصف السادس في العراق من وجهة نظر معلميه. لتحقيق هذا الهدف درست الباحثة كما عينة الكبار (٢٦) معلما ومعلمة مدرسة التربية الإسلامية في المدرسة الإعدادية والمدارس الثانوية لمديرية التربية والتعليم الرصافة المدينة الثانية في بغداد، وبنى استبيان الباحث تتكون من (٤٨) فقرة موزعة على (٦) مناطق وتؤكد من صدقها والاستقرار بعد عرضه على عدد من الخبراء.

وكان الباحث تعامل بياناتها إحصائيا، والنتائج هي:

- معايير الجودة الكتب المدرسية لا تتوفر في كتاب التربية الإسلامية للمدارس الإعدادية في الصف السادس في العراق.
- تبلغ مساحة ضعف كبير من الكتاب هو محتوى الكتاب.
- الحقل الذي حقق أعلى مستوى إيجابي لهذا الكتاب هو مجال الأنشطة.
- قد أوصت الباحثة عددا من التوصيات، بما في ذلك:
- الحاجة إلى معالجة وتحسين التربية الإسلامية السادس والصف المدرسي التحضيرية من قبل السلطات المعنية، وتجنب عدم مطابقة لكتاب جيد القياسية.
- الحاجة إلى أخذ آراء المعلمين عند كتابة الكتاب.
- واقترح الباحث عدة مقترحات، بما في ذلك:

- العمل على الكتب الإسلامية للتقييم المتوسطة والثانوية وفقا لكتاب جيد القياسية.

### Abstract

The research aims to evaluate the textbook of Islamic education for sixth-grade preparatory schools in Iraq from the point of view of its teachers. To achieve this goal the researcher examined as sample adult (26) school teachers of Islamic Education and Madrsadtha in junior high school and high school to the Directorate of Education Rusafa second city of Baghdad, and built a researcher questionnaire consisting of (48) items distributed on (6) areas and make sure of its sincerity and stability after its presentation to a number of experts.

The researcher had treated its data statistically, and the results are:

- Textbook quality standards are not available in the book of Islamic education for sixth-grade preparatory schools in Iraq.
- The area of the major weakness of the book is the content of the book.
- The field which achieved positive high for the book is the area of the activities.

The researcher had recommended several recommendations, including:

- The need to address and improve the Islamic Education sixth-grade preparatory textbook by the relevant authorities, and to avoid the lack of conformity to standard good textbook.
- The need to take the views of the teachers when writing the book.

The researcher suggested several proposals, including:

- Work on the evaluating Islamic books for intermediate and secondary according to standard good textbook.

## مُقَدِّمَةٌ

- إحدى أهم سمات عصرنا الحالي ، التطور السريع الحاصل في المجالات العلمية عامة ، و من أبرزها العلوم التربوية المتنوعة ، و لعل مُرد ذلك إلى الوعي المتزايد لدى المجتمعات بأهمية العملية التربوية لبناء المجتمعات على وفق حاجات المجتمع .
- و من هذه العلوم ، المناهج الدراسية ، إذ تعد المناهج الأداة و الوسيلة الأساسية للبناء التربوي لإفراد المجتمع و أداة لتحقيق الأهداف التربوية المطلوبة ، و المنهاج في الوقت الحاضر يتكون من مجموعة من الأنظمة الفرعية التي تتكامل و تتفاعل فيما بينها و تتفاعل و تتكامل مع عوامل البيئة المحيطة بها (د. الأحمد و يوسف، ٢٠٠١ ، ص٤٤) ، و من هذه الأنظمة الفرعية الكتاب المدرسي ، إذ يعتمد التعليم في الصف بشكل أساسي على الكتاب المنهجي المقرر ، و الكتاب المنهجي يعد دليلاً و سنداً للمدرس للقيام بعملية التدريس ، و الكتاب المدرسي أساس التعلم بطريقة منهجية للطالب ، و نظراً لأهمية الكتاب المدرسي كونه ركناً أساسياً في العملية التعليمية ، انطلقت المؤسسات التربوية في الاهتمام بالكتاب المدرسي من حيث المواصفات الواجب توافرها فيه و الشكل العام له ، مع مراعاة أن يكون المحتوى مترابطاً في موضوعاته ، ملبياً لحاجات الطالب و قدراته ، مراعيّاً للتطور الحاصل في العلوم المتنوعة ، جاذباً بمادته العلمية للطالب ، متيناً في أسلوب عرض مفردات المنهج ، لذا (فان تقويم الكتب المدرسية و تحديثها أصبحت مهمة و لازمة) (جامل،

١٩٩٨ ، ص ٢١٣ ) ، ففي ضوء نتائج التقويم يتحدد مسار التطوير و التحديث للكتاب .

- و إذا كانت عملية تحليل الكتب المدرسية و تقويمها مهمة ضرورية ، فان عملية تحليل كتب التربية الإسلامية و تقويمها أهم ، و ذلك أن التربية الإسلامية المنبثقة من ديننا الحنيف ، هي قوام مجتمعاتنا الإسلامية و العربية ، و المنظمة لحياة الأفراد في إيجاد توازن في الإنسان بين معطياته الروحية و معطياته المادية ، بمعنى صلته بالله تعالى و الدار الآخرة و بين متطلبات الحياة الدنيا كما قال تعالى : ( و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا ) ( القصص / آية ٧٧ ) (النجار، ١٩٩٩، ص ١١).لذا كان لابد من الاهتمام الفعال بتقويم كتب التربية الإسلامية في مدارسنا و مؤسساتنا التعليمية .



## المبحث الأول

### التعريف بالمبحث

#### مشكلة البحث

الكتاب المدرسي يمثل ركناً من أركان العملية التعليمية ، و العملية التعليمية بأركانها جميعاً تتطلب تقويماً مستمراً لتطويرها و تجديدها في ضوء الأسس و المعايير التربوية السليمة بما يحقق الأهداف المطلوبة (مقابلة و البشيرة، ٢٠٠٧ ، ص ٩٤) (عمر، ١٩٨٠، ص ٧) لذا أوصى المعنيون بالتربية الإسلامية بضرورة تطوير مناهج التربية الإسلامية و كتبها المقررة ، تطويراً يحقق غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة (الناقة، ١٩٨٠، ص ٧) و قد أكدت الكثير من الدراسات على ضرورة التقويم المستمر لكتب التربية الإسلامية ، منها دراسة (آل عمر ١٩٩٩) و دراسة (الجبوري ٢٠٠٢)، و دراسة (الربيع، ٢٠٠٣) للوقوف على جوانب القوة و الضعف بكتب التربية الإسلامية وتقديم الآراء و التوصيات المناسبة للجهات المعنية لتلافي السلبيات إن وجدت . و بدأ تتضح ملامح مشكلةٍ جديرة بالدراسة و البحث لإيجاد الحلول الناجعة لها.

#### أهمية البحث

كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لا يمثل الوجه التطبيقي للمناهج التربوي فقط ، بل هو امتداد لمنهج تربوي إسلامي أصيل للفرد و الأمة ؛ للفرد، من خلال الحفاظ على فطرة الناشئ و رعايتها، و تنمية المواهب، ثم توجيه هذه الفطرة و المواهب جميعاً إلى ما يحقق صلاحها و كمالها اللائق بها. و للأمة، من خلال الأساس الاجتماعي للمجتمع المسلم، و ما التربية إلا نتاج الحياة الاجتماعية للمجتمع بقيمه و عقائده، و بني عليه علاقة وثيقة بين الأمة و التربية، للحفاظ على هويتها و ذاتها و أمنها.(السيد، ٢٠٠٦، ص ١٣) و أحد الأهداف الأساسية من التربية

الإسلامية أن نجعل من الدين شيئاً ذا قيمة في كيان التلاميذ بحيث تظهر آثار ذلك في سلوكهم و أنماط تعاملهم مع المجتمع ، فحفظ النصوص الإسلامية و فهمها ينبغي أن يكون وسيلة مهمة في توجيههم و تغيير سلوكهم ايجابيا في تعاملهم مع غيرهم من الناس ، و مع خالقهم بأداء العبادات و الواجبات الإسلامية المفروضة عليهم .(سمك، ١٩٩٨ ، ص ٤١) و الكتاب المدرسي احد الأركان الرئيسية التي تستند إليها المناهج و الوعاء الذي يحتوي المادة التعليمية التي تساعد التلاميذ على بلوغ أهداف المنهاج ، فان عملية تحليل و تقويم الكتب المدرسية أصبحت مهمة و لازمة .(جامل، ١٩٩٨ ، ص ٢١٥) و دراسة الكتب المدرسية و تحليلها من الدراسات المهمة في ميدان المناهج و طرائق التدريس، لان الكتاب المدرسي أداة مهمة من أدوات تنفيذ المنهج، فهو أداة فعالة تستخدم مصدرا للتعلم الفردي و الجمعي على حد سواء. (السميري، ١٩٩٨ ، ص ١٠٧) لذا فان عملية تحليل كتاب التربية الإسلامية أضحت ضرورة ملحة ليس بصفته كتاباً منهجياً فحسب، بل كتاباً يرتبط بالإنفراد من جهة البناء الفكري و السلوكي و بالمنظومة الاجتماعية العامة للأمة من جهة أخرى.

### هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

- تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي في العراق من وجهة نظر مدرسي المادة و مدرساتها.

### حدود البحث

١. يقتصر هذا البحث على كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي المطبوع عام ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م (الطبعة المنقحة) لوزارة التربية العراقية

٢. مدرسي مادة التربية الإسلامية و مدرساتها في مدينة بغداد /  
تربية الرصافة الثانية للعام الدراسي ٢٠١١ — ٢٠١٢م.

### تحديد المصطلحات

**التقويم:** لغةً: قَوْمَتُهُ تقويماً فتَقَوَّمَ بمعنى : عدلته فتعدل . و قَوْمَتِ  
المتاع : جعلت له قيمةً معلومة . (المصباح المنير، باب القاف)  
قَوْمَتِ السلعة : ثَمَّنَتْهَا . و قَوْمَتُهُ : عدَلَتْهُ . (القاموس المحيط، مادة  
— قوم).

**اصطلاحاً :** عرفه السلامي : بأنه عملية تستخدم فيها إجراءات عملية  
لجمع معلومات موثقة يمكن الاعتماد عليها لاتخاذ القرارات بشأن برنامج  
تربوي . (السلامي، ٢٠٠٣، ص٢٢)

و عرفه عبد اللطيف : عملية تتضمن إصدار حكم على قيمة شيء معين  
أو كميته في ضوء معيار معين على أساس المقارنة بين واقع ذلك الشيء  
أو الظاهرة التي نريد تقويمها و بين المعيار الذي حددناه . (عبد اللطيف،  
١٩٩٠، ص١٨١)

**التعريف الإجرائي:** هي عملية منهجية يتم من خلالها إصدار حكم قيمي  
على كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي من خلال مقياس  
اعد لهذا الغرض من اجل التعرف على نقاط القوة و الضعف في الكتاب و  
إصدار الأحكام في ضوءها.

**الكتاب:** لغةً: يطلق الكتاب على المكتوب، و يطلق على المُنَزَّل، و  
على ما يكتبه الشخصُ و يرسله. (المصباح المنير، باب الكاف) و الكتاب  
ما يكتب فيه (القاموس المحيط ، مادة :كتب)

**الكتاب المدرسي:** اصطلاحاً: عرفه أحمد و شعبان : هو الوعاء  
الذي يحوي معارف و مفاهيم يراد إيصالها إلى المتلقي (احمد و شعبان،  
١٩٨٣ : ص١٨٩) وعرفه جامل —المذكور سابقاً — : بأنه الوعاء  
الذي يحتوي المادة التعليمية التي تساعد التلاميذ على بلوغ أهداف

المنهج . (جامل، ١٩٩٨ :ص٢١٣) كما عرفه (العزاوي، ٢٠٠٩ : ص٢٨٣) هو أداة العملية التعليمية ، و الوعاء الذي ينهل منه الطلبة ما يحتاجون إليه في الدراسة .

**التعريف الإجرائي للكتاب المدرسي في هذه الدراسة :**

هو كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي تأليف لجنة في وزارة التربية العراقية و نفتحه لجنة في وزارة التربية العراقية (الطبعة المنقحة) للعام ٢٠١٠م (ملحق — ١—)، يقع الكتاب في مائة صفحة، و يتألف من مقدمة و فصلين.

الفصل الأول، يختص بالحديث النبوي الشريف، و يحوي ثمانية أحاديث نبوية شريفة، تمتاز بخلوها من ذكر راوي الحديث و عدم الإشارة إلى تخريج الحديث النبوي .

الفصل الثاني، يختص بالأبحاث، حيث يستعرض النظام الاقتصادي الإسلامي عبر سبعة أبحاث و مقدمة. (ملحق — ٢—)

**التربية :** لغةً : رَبَّ وَلَدُهُ يَرْبُوهُ رَبًّا وَ رَبِّيَّةٌ تَرْبِيًّا وَ تَرْبَةً وَ رَبَاهُ تَرْبِيَّةٌ، أَحْسَنَ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَوَلِيهِ حَتَّى يَفَارِقَ الطُّفُولَةَ كَانَ ابْنَهُ أَوْ لَمْ يَكُن . وَ رَبَّهَا ؛ نَمَاهَا وَ زَادَهَا وَ أَتَمَّهَا وَ أَصْلَحَهَا (- ابن منظور - مادة رَبَا).

اصطلاحاً: عرّفها (عبد العزيز) بأنها المؤثرات المختلفة التي توجه و تسيطر على حياة الفرد. (عبد العزيز، د.ت: ص ١٣) و عرّفها (الشمري) بأنها العملية الواعية المقصودة و غير المقصودة لإحداث نمو و تغيير و تكيف مستمر للفرد من جميع جوانبه الجسمية و العقلية و الوجدانية من زوايا مكونات المجتمع و إطار ثقافته و أنشطته المختلفة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و العلمية .(الشمري، ٢٠٠٣:ص١٨)

**التربية الإسلامية :** فقد عرّفها (علي) : هي تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد ، يستند إلى المبادئ و القيم التي أتى بها الإسلام و التي ترسم عدداً من الإجراءات و الطرائق العملية يؤدي

تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق و عقيدة الإسلام.(علي، ١٩٧٨ : ص٦) و عرّفها (الجندي) : بأنها إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا و الآخرة.(الجندي، ١٩٧٥ : ص١٥٣)

**التعريف الإجرائي للتربية الإسلامية:**هي فلسفة مستمدة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، تتعهد الأفراد بالرعاية عبر مجموعة من الأنشطة ذات القيم و المثاليات و المبادئ الإسلامية على نحو يجعل من الأفراد أناسا صالحين، نافعين لمجتمعهم و أمتهم و البشرية، و توازن بين الدنيا و الآخرة.

**الصف السادس الإعدادي:** هو الصف الثالث، أو الأخير في المرحلة الإعدادية، وهي المرحلة الدراسية التي تلي المرحلة المتوسطة، و تكون مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، و يتم التخصص (علمي أو أدبي أو مهني) و تتكون من الصفوف الآتية:

١. الصف الرابع.

٢. الصف الخامس.

٣. الصف السادس.(جمهورية العراق، ٢٠٠٨ : ص٤)

## المبحث الثاني

### إطار نظري ودراسات سابقة

#### أهمية الكتاب المدرسي

الكتاب المدرسي ذو أهمية بالغة و دور فاعل بل هو (حجر الزاوية في عملية التعلم) (الأنروا، ١٩٨٢ :ص٧٢) و هو أداة العملية التعليمية ، و عنصرٌ أصيلٌ من عناصرها، و احد الوسائل التعبيرية المهمة عن محتويات المنهج و أهدافه.(العزاوي، ١٩٩٢ :ص٢٨٣) و هو الذي يغذي الطلبة بالمعلومات بشكل مباشر، ويسهل على المدرس عملية التعليم و القياس ، و يطمئن المعلم إلى صحة و سلامة و دقة المعلومات و الحقائق

التي يحتويها الكتاب باحتساب أن مؤلفيه من أساتذة الجامعات أو من ذوي الخبرة الطويلة. (مجاور، ١٩٩٣:ص٢٢)، و تتبع أهمية الكتاب المدرسي من إنه:

١. يفسر الخطوط العريضة للمادة الدراسية، و طرائق تدريسها.
  ٢. يقدم المعلومات و الأفكار و المفاهيم الأساسية في مقرر معين.
  ٣. يكسب التلاميذ الصفات الاجتماعية المرغوبة بها.
  ٤. يُمكن المعلمين من معرفة وسائل الإصلاح التربوي عند تغيير المناهج و الإلمام بها، و تطوير طرائق تدريسها و تحسينها .
  ٥. يحوي على الوسائل و الأشكال، و الصور التوضيحية ذات الفائدة في توضيح ما يقرأه التلاميذ و عليه فهو أيسر الوسائل استخداماً و أخفها حملاً إذا قيس بغيره من الوسائل: كالأفلام، برامج التلفاز، أجهزة التعليم الحديثة...
  ٦. الكتاب المدرسي معلم ينمي في التلاميذ القيم، و الأخلاقيات، و جوانب الإصلاح المتعددة في صور مرتبة و منظمة. (جلس، ٢٠٠٧:ص٦)
  ٧. قلة الكلف المادية في تأليف الكتاب المدرسي، و طباعته، و خزنه، مقارنة مع غيره من الوسائل التعليمية.
- على الرغم من اهتمام المربين بالكتاب المدرسي إلا انه وجهت إليه انتقادات من بعضهم ، و تركزت في نقطة أساسية هي: أن تكاثر الكتب و تعقد مواد التعليم ، ساعد على أن حلت سلطة النص المطبوع محل سلطة البحث العلمي ، و سلطة النص الجامد محل سلطة الواقع الحي ، و أدى إلى نتيجة سيطرة التعليم التلقيني و طرائق الحفظ .(أوبير Hubert، ١٩٧٩:ص٦٦١) و يرى (فيريري Ferriere) أن الطريقة الفعالة تنفي استخدام أي كتاب مدرسي .(أوبير Hubert، ١٩٧٩:ص٦٦٢) و أجب عن هذه النقطة بالاتي :

١. التعليم التلقيني هو جزء من التعليم لا يمكن اجتنابه ، و لكن التلقين ليس غاية في ذاته ، بل له هدفٌ ، هو تقوية الفكر و تحريره و ربط المعلومات ، و العلة الكبرى أن نلجأ للتلقين لقناعة المسؤولين عن العملية التعليمية بأنه يكفي لكل شيء، وانه أسهل وسائل التعليم . (أوبير Hubert، ١٩٧٩: ص٦٠٤)

٢. الكتاب المدرسي لا يُهمل، بل يخضع لعمليات التقويم المستمرة لمعالجة حالات القصور فيه، و تحديث معلوماته، و مراعاته لنمو الطلبة و ترابط عناصر محتواه و تكاملها . (عبد الموجود ، ١٩٧٨: ص١٦١)

٣. المنهاج الحديث ليس مجرد حصص دراسية ضمن الكتاب المدرسي، بل هو جميع النشاطات التي يقوم بها الطلبة و جميع الخبرات، و الكتاب المدرسي يعد إحدى الوسائل لتطبيق المنهاج و تنفيذه، بالاشتراك مع الأنشطة الأخرى لتحقيق الأهداف التربوية المطلوبة. (الشمري، ٢٠٠٣: ص٧٩)

### المواصفات العامة للكتاب المدرسي

للكتاب المدرسي مواصفات كثيرة و متعددة لا يمكن حصرها جميعا، و يمكن ذكر المجالات العامة للكتاب المدرسي الجيد كما يأتي:

١. مجال الإخراج الفني للكتاب : يجب أن يكون الكتاب المدرسي في شكله العام ، أنيق المظهر، جذاب الشكل، ملائم الحجم ، متناسق المسافات بين الأسطر، خالياً من الأخطاء الطباعية ، عناوينه واضحة ، جميل الغلاف ، متين التجليد ، ليكون مغريا للقراءة و للاعتماد عليه في المذاكرة . (رضوان، ١٩٦٢: ص٢٤٤)

٢. مجال أسلوب عرض المادة في الكتاب : أن يكون الكتاب سهلاً في لغته، متدرج الصعوبة في عرض مادته ، أصيلاً في كتابته ، مفرداته و مصطلحاته بارزة ، يخلو من الحشو و التكرار ، و

يعنى بتبسيط المفاهيم و التعابير الفنية و يحاول تفسيرها بما يتفق مع مستويات التلاميذ العقلية (دمعة، ١٩٨٧، ص: ٢٤٤)

٣. مجال محتوى الكتاب: أن تكون هناك علاقة واضحة بين مادة الكتاب و تنظيمه و بين مفردات المنهاج الدراسي و أهدافه، و يقدم للتلاميذ قدراً مشتركاً من المعارف، و الحقائق، و المعلومات. (رضوان، ١٩٦٢، ص: ٤٠٣) و أن تراعى المعلومات و الحقائق العلمية المتفق عليها ، و لا يخوض في مواطن الخلاف العلمي و الفقهي ، و أن تتصل محتويات الكتاب بالكتب السابقة و اللاحقة في نفس المادة لئلا يهمل التلميذ ما تعلمه من معلومات و خبرات في السنوات الدراسية السابقة. (جلس، ٢٠٠٧، ص: ١١)

٤. مجال الأنشطة : الأنشطة ، هي الأعمال الحرة ذات الطابع الديني التي يمارسها الطلاب خارج الحصص المقررة للتربية الإسلامية في الجدول المدرسي و التي يختارها كل منهم وفق ميوله و قدراته و يقضي فيها أوقات ملائمة نافعة(الشمري، ٢٠٠٣، ص: ٩٣) و لابد أن تحقق أهداف التربية الإسلامية، و يساعد على وضع اللبنة في التكوين الخلقي لدى الطلاب، و يربط الطالب بمجتمعه عن طريق إشاعة روح التعاون بين أبنائه، و أن يتصف بالجادبية و التشويق لإشباع الحاجة النفسية للطلاب (الشمري، ٢٠٠٣، ص: ٩٥)

٥. مجال أدوات القياس و التقويم : يعرف التقويم بأنه عملية يعرف بها القائمون على أمر التعليم مدى ما حققه الطالب خلال دراسته و المستوى الذي وصل إليه و تقدمه و مدى اكتسابه للمعلومات و المهارات التي تلقاها (الشمري، ٢٠٠٣، ص: ٩٦) و لابد أن تحقق أدوات التقويم و القياس وظائف التقويم الأساسية المتمثلة في :



أ- الوظيفة التشخيصية : حيث لابد للمعلم من تشخيص و تحديد القدرات الكامنة لدى المتعلمين ، و التعرف على البيئة الثقافية للطلبة ، و تحديد مستوى الطلبة بتصنيفهم إلى مجموعات تتناسب مع مستوياتهم التحصيلية ، و تحديد مواطن الضعف و القوة عن طريق الأسئلة.

ب- الوظيفة العلاجية: إذ تسهم الأسئلة في تصحيح المفاهيم المغلوطة، و تصوب الأخطاء، و تطور الأهداف.

ت- الوظيفة الوقائية: تسهم الأسئلة في الكشف عن العيوب في التدريس و في تحديد العلاج المناسب ، فإذا ما عرف المعلم ذلك استطاع اتخاذ الإجراءات المناسبة للحيلولة دون الوقوع في العيوب . (الشمري ، ٢٠٠٣، ص ٣١٦)

لذا كان لابد أن ترتبط أدوات القياس و التقويم للكتاب الجيد بالأهداف التربوية للمادة و تراعي الفروق الفردية للطلبة و لها علاقة بمحتوى الكتاب و تتصف بالوضوح و الشمول.(الشمري، ٢٠٠٣، ص ٩٨)

## دراسات سابقة

١. دراسة آل عمر (١٩٩٩) (دراسة تقويمية لكتابي القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — و التربية الإسلامية للصف السادس الأدبي في العراق) هدف البحث إلى تقويم كتابي القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — و التربية الإسلامية للصف السادس الأدبي في العراق من وجهة نظر مدرسي المادة و مدرساتها، و شملت عينة البحث أربعين (٤٠) مدرساً و مدرسة في مركز مدينة بغداد . و تحقيقاً لأهداف البحث بنى الباحث أداة البحث الذي هو عبارة عن استبيانين، احدهما خاصة بكتاب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — و الأخرى تختص بكتاب التربية الإسلامية. وأشارت نتائج الدراسة إلى الآتي :

- أ- كتاب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه —:
١. في مجال مقدمة الكتاب: أعطت فكرة عامة عن أهداف الكتاب، ولم تشر إلى خصائص نمو المتعلمين.
  ٢. في مجال الأهداف : حقق الكتاب معظم الأهداف المطلوبة.
  ٣. في مجال محتوى الكتاب : معاني الكلمات واضحة.
- ب- كتاب التربية الإسلامية:
١. في مجال الأهداف : حقق معظم الأهداف العامة للكتاب .
  ٢. في مجال محتوى الكتاب : فصاحة لغة الكتاب مناسبة للطلبة ، و اغلب مواضيع الأبحاث صعبة و لا تتلاءم و مستوى الطلبة.
- و أشارت توصيات البحث إلى الآتي :
- أ- ضرورة احتواء كتاب التربية الإسلامية على مقدمة تبين الأسس العامة التي بنيت عليها المادة العلمية .
- ب- ضرورة إشراك مدرسي المادة و مدرساتها عند وضع مفردات الكتاب الدراسي المقرر.
- ت- إعادة صياغة مادة الأبحاث في كتاب التربية الإسلامية ليتلاءم و مستوى الطلبة .
٢. دراسة الربيع (٢٠٠٣) (تقويم كتاب التربية الإسلامية المقرر على طلاب الصف الثامن بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر المعلمين)، هدفت الدراسة إلى تقويم كتاب التربية الإسلامية المقرر على طلاب الصف الثامن باليمن، و مدى مطابقته مع مواصفات الكتاب المدرسي الجيد. إذ قام الباحث باستطلاع آراء مدرسي الكتاب من خلال استبيان لمواصفات و معايير الكتاب المدرسي، بعد التأكد من صدق أداة البحث و ثباتها، و أشارت نتائج البحث إلى الآتي:
١. مادة الكتاب المدرسي مناسبة .

٢. تحقق المادة الأهداف التربوية المنشودة .
  ٣. مواصفات إخراج الكتاب مناسبة .
  ٤. لغة الكتاب سليمة و واضحة .
- أوصى الباحث في دراسته بأهمية إيصال دليل المعلم لمعلمي المادة و أن يقوم باحثون آخرون بإجراء دراسات تقييمية لبقية الصفوف .
٣. دراسة الجبوري (٢٠٠٢) (دراسة تقييمية لكتب القرآن الكريم تلاوته و معانيه و التربية الإسلامية للصفيين الخامس و السادس الابتدائيين من وجهة نظر المعلمين و المعلمات)، هدفت الدراسة إلى تقويم كتابي القرآن الكريم تلاوته و معانيه و التربية الإسلامية، للصف الخامس و السادس الابتدائيين في العراق من وجهة نظر معلمي المادة و معلماتها، و قد شملت عينة البحث معلمي التربية الإسلامية و معلماتها موزعين على (٢٠٠) مدرسة ابتدائية في مركز مدينة بغداد ، و استخدم الباحث أربع استبانات كأداة لبحثه :
- الأولى : إستبانة خاصة بكتاب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — للصف الخامس الابتدائي ، تضمنت (٣٩) فقرة ، موزعة على أربعة مجالات.
- الثانية: إستبانة خاصة بكتاب التربية الإسلامية للصف الخامس الابتدائي، تضمنت (٥٠) فقرة ، توزعت على خمسة مجالات.
- الثالثة: إستبانة خاصة بكتاب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — للصف الخامس الابتدائي ، تضمنت (٣٩) فقرة ، موزعة على أربعة مجالات.
- الرابعة: إستبانة خاصة بكتاب التربية الإسلامية للصف الخامس الابتدائي، تضمنت (٤٩) فقرة ، توزعت على خمسة مجالات.
- و كانت أهم نتائج البحث هي:

أولاً: كتاب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — للصف  
الخامس الابتدائي

أ — مجال الأهداف :

١. حقق الكتاب معظم الأهداف التي وضعت له.

ب — مجال محتوى الكتاب:

١. نال الكتاب استحسان معظم المعلمين و الملمات.

ج — مجال مقدمة الكتاب:

١. لم توضح خطة الكتاب و طريقة عرض المادة.

٢. لم توجه المعلم و المعلمة إلى أفضل طرائق التدريس.

د — مجال شكل الكتاب و إعداده و إخراجه:

١. نال الشكل الخارجي استحسان معظم المعلمين و  
الملمات.

ثانياً: كتاب التربية الإسلامية للصف الخامس الابتدائي

أ — مجال المقدمة:

١. أعطت فكرة عامة عن أهداف الكتاب.

٢. لم توجه المعلم و المعلمة إلى أفضل طرائق التدريس.

ب — مجال الأهداف:

١. حقق الكتاب معظم الأهداف الموضوعة له.

ج — مجال محتوى الكتاب:

١. نال المحتوى استحسان معظم المعلمين و الملمات.

د — مجال الأسئلة:

١. وافية من حيث العدد و شاملة للموضوع.

٢. اهتمت بالجوانب المعرفية و المهارية ، و روعيت فيها  
الفروق الفردية.

هـ — مجال شكل الكتاب و إعداده و إخراجه:

١. ملائم من حيث عدد الصفحات، و التجميع و التثبيت، و حجم الحرف و المسافة بين الأسطر.
٢. وضوح العنوانات الرئيسية ، و سالم من الأخطاء الطباعية .
- ثالثاً — كتاب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — للصف السادس الابتدائي
- أ — مجال المقدمة:
١. وضحت خطة الكتاب و طريقة عرض المادة ، و وضحت أهمية التربية الإسلامية .
٢. أخفقت في توجيه المعلمين و المعلمات إلى مراعاة حاجات المجتمع أثناء التدريس.
- ب — مجال الأهداف:
١. حقق الكتاب معظم الأهداف التي وضعت له.
- ج — مجال محتوى الكتاب:
١. نال استحسان معظم المعلمين و المعلمات.
- د — مجال الشكل الخارجي للكتاب:
١. نال استحسان معظم المعلمين و المعلمات.
- رابعاً: كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الابتدائي
- أ — مجال مقدمة الكتاب
١. لم توضح طريقة عرض المادة و لا خطة الكتاب و لا أفضل طرائق تدريسه.
- ب — مجال الأهداف:
١. حقق الكتاب الأهداف المطلوبة منه.
- ج — مجال محتوى الكتاب:
١. نال رضى و استحسان المعلمين و المعلمات.

د — مجال الأسئلة:

١. أخفقت أسئلة الكتاب في ربط الموضوعات السابقة باللاحقة.

و أوصى الباحث بضرورة معالجة نواحي القصور في الكتب المشار إليها آنفاً و اقترح إجراء دراسات مماثلة لدراسته في مراحل دراسية أخرى.

### مؤشرات و دلالات من الدراسات السابقة

١. الاهتمام الملحوظ من قبل الباحثين بتقويم كتب التربية الإسلامية، لأهمية الكتاب المنهجي في زرع المبادئ و القيم الإسلامية في نفوس الجيل الناشئ.

٢. أجريت الدراسات في بيئات مختلفة، فدراسة (آل عمر) و (الجبوري) في العراق و دراسة (الربيع) في اليمن.

٣. اتفقت الدراسات السابقة في اتخاذ المنهج الوصفي منهجاً لها.

٤. اتفقت الدراسات السابقة في اتخاذ الاستبانة أداةً لجمع البيانات.

٥. اتفقت الدراسات السابقة في أسلوب التثبت من الاستبانة عن طريق عرضها على مجموعة من المحكمين.

٦. اتفقت الدراسات السابقة في اتخاذ مدرسي المادة و مدرساتها عينة لها.

٧. تباينت الدراسات السابقة من حيث المرحلة التي تناولتها، فقد درس (الربيع، ٢٠٠٣) كتاب التربية الإسلامية للمرحلة الثامنة ، أما (الجبوري، ٢٠٠٢) فقد درس كتابي القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — و التربية الإسلامية

للفص الخامس الابتدائي و الصف السادس الابتدائي، و دراسة (آل عمر، ١٩٩٩) تناولت كتابي القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — و التربية الإسلامية للفص السادس الأدبي من و جهة نظر مدرسي المادة و مدرساتها .

٨. تباين البحث الحالي مع دراسة (آل عمر، ١٩٩٩) كونه في طليعة الدراسات التقييمية لكتب التربية الإسلامية لعهد العراق الجديد، و ما شمل المناهج التربوية من تغيّر للتوافق مع العراق الجديد. و اقتصر على كتاب واحد، هو كتاب (التربية الإسلامية) بينما شملت دراسة آل عمر كتابي (القرآن الكريم تلاوته و معانيه) و (التربية الإسلامية).

٩. الدراسات السابقة تُعدُّ ثروة علمية في مجال تقويم الكتاب المدرسي، أفادت الباحث في:

- أ- وضع تصور لتحقيق أهداف بحثه.
- ب- كيفية بناء أداة البحث و جمع البيانات و معالجتها إحصائياً.

## البحث الثالث

### منهجية البحث وإجراءاته

#### منهجية البحث وإجراءاته:

من أجل تحقيق هدف البحث في تقويم كتاب التربية الإسلامية للفص السادس الإعدادي من وجهة نظر مدرسي المادة و مدرساتها استعمل الباحث المنهج الوصفي (المسحي) منهجاً لبحثه ، لان البحث الوصفي (المسحي) هو محاولة لتحليل و تفسير و عرض واقع الحال للأفراد و

الأشياء ضمن مؤسسات في منطقة معينة بخصوص بعض القضايا التربوية التي تساعد المسؤولين لاتخاذ قرارات حكيمة. (عودة و سلكاوي: ١٩٩٢: ص ١١٤)

أولاً: مجتمع البحث و عينته:  
أ — مجتمع البحث:

شمل مجتمع البحث المدرسين و المدرسات الذين يدرسون مادة التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لمحافظة بغداد / تربية الرصافة الثانية للعام الدراسي (٢٠١١ — ٢٠١٢م) البالغ عددهم (١٠٥) مدرساً و مدرسة، موزعين على إعداديات و ثانويات مديرية تربية الرصافة الثانية لمدينة بغداد، إذ بلغ مجموع الإعداديات و الثانويات (١٢٢)<sup>١</sup> مدرسة لمديرية تربية الرصافة الثانية. كما في / الجدول (١).

#### الجدول (١)

يوضح أعداد المدارس الإعدادية و الثانوية لتربية الرصافة الثانية

ت	المديرية العامة للتربية	الإعدادي	الثانوي	المجموع
١	مديرية تربية الرصافة الثانية	٣٣	٨٩	١٢٢

ب — عينة البحث

بلغت عينة البحث الأساسية (٢٦) مدرساً و مدرسة تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة منهم (١٦) ذكور و (١٠) إناث بنسبة ٦١,٥% ذكور و نسبة ٣٨,٥% إناث ، و يمثلون نسبة (٢٤,٧%) من مجتمع البحث و هي نسبة مقبولة من أفراد مجتمع صغير نسبياً . (عودة و سلكاوي: ١٩٩٢: ص ١٦٨)

<sup>١</sup> أعداد المدارس و المدرسين عن طريق شعبة الإحصاء و التخطيط التربوي لمديرية تربية الرصافة الثانية.



## ثانياً: أداة البحث:

لما كان البحث يهدف إلى تقويم كتاب التربية الإسلامية من وجهة نظر المدرسين و المدرسات ، كانت الاستبانة هي الوسيلة العملية لتحقيق هدف البحث لاستطلاع آراء أفراد عينة البحث ، كونها تتيح للمستجيب بان يدلي بآرائه بوضوح ، و تعطيه الحرية في اختيار الوقت الذي يناسبه للإجابة و في أي مكان يريد ، و يتعرض أفراد العينة لنفس الفقرات بنفس الصورة . (عودة و سلكاوي — ١٩٩٢ — ص ١٨٤)

و لغرض إعداد الاستبانة ، اطلع الباحث على الأدبيات و الدراسات السابقة. وفي ضوء ذلك بنى الباحث الاستبانة في صورتها الأولية التي احتوت على ( ٤٨ ) معياراً موزعة على ستة مجالات كما في / الجدول (٢).

### جدول (٢)

أداة البحث (الاستبانة) في صورتها الأولية و عدد المعايير لكل مجال من مجالاتها و نسبته المئوية

ت	المجال	عدد المعايير	نسبتها المئوية
١	الإخراج الفني للكتاب	١٣	٢٧%
٢	لغة الكتاب	٥	١٠%
٣	الرسوم و الأشكال	١	٢%
٤	محتوى الكتاب	١٣	٢٧%
٥	الأنشطة	٨	١٧%
٦	القياس و التقويم	٨	١٧%
	المجموع	٤٨	١٠٠%

أ — صدق أداة البحث :

الصدق من الشروط الأساسية التي ينبغي توافرها في الأداة ، و صدق الأداة هي قدرتها على قياس ما وضعت لأجله، و أفضل طريقة للتأكد من

صدق الأداة هو أن يُبين مجموعة من المحكمين مدى تمثيل الفقرات للصفة المطلوب قياسها. (داود و أنور، ١٩٩٠، ص ١١٨) ، لذا عرض الباحث أداة البحث بصيغتها الأولية على مجموعة من المحكمين (ملحق ٣—) لتحديد صلاحية المجالات و المعايير و اقتراح ما يرونه من تعديل أو حذف أو دمج ضمن محتويات الاستبانة ، و تضمنت الاستبانة مقدمة وضح الباحث الهدف من البحث و الغرض من الاستبانة و أسلوب الإجابة عنها ، إذ تم وضع أربعة بدائل أمام كل معيار ، ثم أجريت التعديلات اللازمة في ضوء آراء المحكمين و ملاحظاتهم التي بموجبها حذفت بعض العبارات و أدمجت بعض المجالات و أضيفت بعض المعايير، و على هذا أضحت الأداة بصورتها النهائية (ملحق ٤—) تحتوي على (٦١) معياراً موزعة ضمن خمسة مجالات كما في / الجدول (٣)

### جدول (٣)

أداة البحث (الاستبانة) في صورتها النهائية و عدد المعايير لكل مجال من مجالاتها و نسبتها المئوية

ت	المجال	عدد المعايير	نسبتها المئوية
١	الإخراج الفني للكتاب	١٥	٢٥%
٢	أسلوب عرض المادة	١٠	١٦%
٣	محتوى الكتاب	١٥	٢٥%
٤	الأنشطة	٨	١٣%
٥	أدوات القياس و التقويم	١٣	٢١%
	المجموع	٦١	١٠٠%

ب — ثبات أداة البحث:

لغرض الاعتماد على أي أداة بحث في قياس ظاهرة ما ، لابد من اتصافها بالثبات ، حيث يتعين توافره في أداة البحث كي تكون صالحة للاستعمال ، و تتصف الأداة بالثبات عندما يعطي الاختبار النتائج نفسها إذا ما أعيد تطبيقه على الأفراد أنفسهم بعد مدة زمنية تحت الظروف المماثلة (عبد الدايم ، ١٩٨١:ص ٣٦٣)، إذ طُبقت الاستبانة على عينة الثبات من المدرسين و المدرسات ممن يدرسون مادة التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي ، إذ بلغ عددهم (٨)مدرساً من خارج عينة الدراسة الأساسية ، و اختيروا بطريقة العينة العشوائية البسيطة و بفارق زمني فصل بين التطبيق الأول و التطبيق الثاني بلغ خمسة عشر يوماً ، واستخرج الباحث معامل ثبات الاستبانة بمجالاتها الخمسة ثم حساب متوسط معاملات الثبات، إذ بلغت نسبة ثبات الاستبانة (٠،٩١) و تعد هذه النسبة معامل ثبات مرتفع، كما في / الجدول (٤)

#### جدول (٤)

درجات ثبات الاستبانة و لكل مجالاتها

ت	المجالات	معامل ثبات المجال	معامل ثبات الاستبانة
١	الإخراج الفني للكتاب	٠،٩٤	٠،٩١
٢	أسلوب عرض المادة	٠،٩٠	
٣	محتوى الكتاب	٠،٨٩	
٤	الأنشطة	٠،٩٠	
٥	أدوات القياس و التقويم	٠،٩٢	

### ثالثاً — تطبيق أداة البحث :

بعد التأكد من صدق الأداة وثباتها ، و تحديد عينة البحث ، تم توزيع الاستبانة على أفراد العينة عبر زيارات ميدانية للمدارس الإعدادية في بغداد / تربية الرصافة / ٢ ، و تضمنت الاستبانة مقدمة توضح الهدف من الاستبانة و أسلوب الإجابة ، إذ إن الإجابة عن كل فقرة معيارية يكون له خمسة احتمالات (خماسي) أي (متحقق بدرجة كبيرة جداً) ، (متحقق بدرجة كبيرة) ، (متحقق بدرجة متوسطة) ، (متحقق بدرجة قليلة جداً) ، (غير متحقق). و بعد استرجاع الاستبانات و البالغ عددها (٢٦) إستبانة من المدرسين و المدرسات فرّغ الباحث الاستبانات في استمارات لغرض القيام بالعملية الإحصائية و عرض النتائج .

### رابعاً — الوسائل الإحصائية :

لتحقيق هدف البحث استعملت الوسائل الإحصائية الآتية :

١. معامل ارتباط بيرسون ، لبيان ثبات الإجابات في الاستبانة عند

تطبيق الاختبار و بحسب القانون الآتي :

ن مج س ص — (مج س) (مج ص)

= ر

$$\sqrt{\frac{[ن مج س ص - (مج س)(مج ص)]^2}{[ن مج س ص - (مج س)(مج ص)]}}$$

حيث :

ر = معامل ارتباط بيرسون .

ن = عدد أفراد العينة .

س ص = قيم المتغيرين . (عودة و سلوكي، ١٩٩٢: ص: ٣٣٩)

٢. الوسط المرجح ، لتقدير قيمة كل فقرة من فقرات الاستبانة و

ترتيبها بالنسبة للفقرات الأخرى ضمن المجال الواحد، بحسب

القانون الآتي:

$$(1 \times 5) + (2 \times 4) + (3 \times 3) + (4 \times 2) + (5 \times 1) \\ \text{و ح} =$$

مج ت

حيث:

و ح = الوسط المرجح.

مج ت = مجموع التكرارات للبدايل الخمسة.

ت ١ = تكرار الإجابة عن البديل الأول.

ت ٢ = تكرار الإجابة عن البديل الثاني .

ت ٣ = تكرار الإجابة عن البديل الثالث.

ت ٤ = تكرار الإجابة عن البديل الرابع.

ت ٥ = تكرار الإجابة عن البديل الخامس. (هيكل، ١٩٦٦، ص ٢٣٠)

٣. الوزن المثوي، باستخدام المعادلة الآتية :

$$\text{الوزن المثوي} = \frac{\text{الوسط المرجح}}{\text{الدرجة القصوى}} \times 100$$

حيث:

الدرجة القصوى هي أعلى درجة في المقياس الخماسي

(هيكل، ١٩٦٦، ص ٣٧٧)

## المبحث الرابع

### عرض نتائج البحث وتفسيرها

لغرض عرض نتائج البحث و تفسيرها على وفق استجابة عينة البحث من مدرسي مادة التربية الإسلامية و مدرساتها ، اتبع الباحث الإجراءات الآتية:

١. حساب تكرارات إجابات العينة لكل من فقرات الاستبانة على وفق البدائل الخمسة و أفرغت في جداول خاصة لغرض معالجتها إحصائياً.
٢. إعطاء خمس درجات للبديل الأول (متحقق بدرجة كبيرة جداً) ، و أربع درجات للبديل الثاني (متحقق بدرجة كبيرة) ، و ثلاث درجات للبديل الثالث (متحقق بدرجة متوسطة) ، و درجتين للبديل الرابع (متحقق بدرجة قليلة جداً) ، و درجة واحدة للبديل الخامس (غير متحقق).
٣. لغرض تحديد الفقرات المتحققة و غير المتحققة في كل مجال من مجالات الاستبانة ، استعملت معادلة الوسط المرجح و الوزن المئوي.
٤. اعتمد متوسط درجات المقياس الخماسي (٣) محكاً للفصل بين الفقرات المتحققة و غير المتحققة ، إذ أن الفقرة التي حازت على وسط مرجح (٣) فما فوق عُدَّت متحققة ، و الفقرة التي حازت على وسط مرجح أقل من (٣) عُدَّت غير متحققة.
٥. نُسِقت فقرات الاستبانة تنازلياً من أعلى وسط مرجح و وزن مئوي إلى أدنى وسط مرجح و وزن مئوي ضمن كل الكتاب و بعد ذلك نُسِقت ضمن كل مجال من المجالات الخمسة .
٦. لغرض تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي، أُعتمدت نسبة تحقق (٨٠%) محكاً.

## ١ — عرض نتائج البحث و تفسيرها :

جدول (٥)

المعايير من أعلى وسط مرجح و وزن مؤوي إلى أقل وسط مرجح و  
وزن مؤوي

ت	المجال الذي تتنمي إليه الفقرة	الفقرة المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المؤوي
١	إسلوب عرض مادة الكتاب	سليم من حيث بناء الجمل و العبارات و تراكيبيها	٤,٣٨	٨٧,٦
٢	إسلوب عرض مادة الكتاب	خالٍ من الأخطاء اللغوية	٤,٢٣	٨٤,٦
٣	الأنشطة	تتناسب مع المستوى العقلي للطالب	٤,١٥	٨٣
٤	الأنشطة	تتصف بالجابدية و التشويق	٤,١٥	٨٣
٥	أدوات القياس و التقويم	تتصف بالشمول	٤,١٥	٨٣
٦	الإخراج الفني للكتاب	طباعته واضحة و نظيفة	٤,٠٧	٨١,٤
٧	محتوى الكتاب	يراعي الفروق الفردية للطلبة	٤,٠٧	٨١,٤
٨	أدوات القياس و التقويم	تقدم للمدرس أمثلة من الأسئلة للاسترشاد بها	٤,٠٧	٨١,٤
٩	أدوات القياس و التقويم	تتصف بالوضوح	٤,٠٧	٨١,٤
١٠	إسلوب عرض مادة الكتاب	يعرض المادة بشكل متسلسل و مترابط	٤	٨٠
١١	محتوى الكتاب	مناسب للمستوى العقلي	٤	٨٠

		للطلبة		
١٢	الإخراج الفني للكتاب	يناسب حجمه العمر الزمني و النضج العقلي للطلاب	٣,٩٢	٧٨,٤
١٣	أدوات القياس و التقويم	ترتبط بالأهداف التربوية للمادة	٣,٩٢	٧٨,٤
١٤	الإخراج الفني للكتاب	خالٍ من الأخطاء/ الطباعية	٣,٨٤	٧٦,٨
١٥	الإخراج الفني للكتاب	تصميم الغلاف الخارجي يتلاءم مع محتويات المادة	٣,٦٩	٧٣,٨
١٦	محتوى الكتاب	مناسب لعدد الحصص المخصصة لتدريسه	٣,٦٩	٧٣,٨
١٧	الأنشطة	تتنوع من درس إلى آخر	٣,٦٩	٧٣,٨
١٨	الأنشطة	توفر للطلاب تغذية راجعة	٣,٦٩	٧٣,٨
١٩	أدوات القياس و التقويم	الأسئلة دقيقة و متنوعة	٣,٦٩	٧٣,٨
٢٠	الإخراج الفني للكتاب	العناوين الرئيسية / الفرعية واضحة	٣,٦١	٧٢,٢
٢١	الإخراج الفني للكتاب	حجم الحرف المستخدم يناسب المستوى العمري للمتعلمين	٣,٦١	٧٢,٢
٢٢	إسلوب عرض مادة الكتاب	المفردات الجديدة و المصطلحات الفقهية بارزة و موضحة للطلاب	٣,٦١	٧٢,٢
٢٣	الإخراج الفني للكتاب	الورق المستخدم مناسب لاستخدامات المتعلمين	٣,٥٣	٧٠,٦
٢٤	إسلوب عرض مادة الكتاب	يستخدم المصطلحات و الآراء الفقهية التي لا خلاف فيها	٣,٥٣	٧٠,٦



٢٥	الأنشطة	تقدم معلومات للطالب يلخص ما تعلمه	٣,٥٣	٧٠,٦
٢٦	أدوات القياس و التقويم	تراعي الفروق الفردية	٣,٥٣	٧٠,٦
٢٧	الإخراج الفني للكتاب	الطباعة جيدة	٣,٤٦	٦٩,٢
٢٨	إسلوب عرض مادة الكتاب	يخلو من الحشو و التكرار غير الضروري	٣,٤٦	٦٩,٢
٢٩	أدوات القياس و التقويم	تتضمن أسئلة في نهاية كل فصل	٣,٤٦	٦٩,٢
٣٠	أدوات القياس و التقويم	تساعد المدرس على معرفة تحقق الأهداف التعليمية للمادة	٣,٤٦	٦٩,٢
٣١	الإخراج الفني للكتاب	تعرض الصفحة الأولى منه عنوانه و أسماء المؤلفين و الناشر و رقم الطبعة وسنة الطبع	٣,٣٨	٦٧,٦
٣٢	الأنشطة	تحقق الأنشطة أهداف المادة	٣,٣٨	٦٧,٦
٣٣	أدوات القياس و التقويم	ترتبط بمحتوى الكتاب	٣,٣٨	٦٧,٦
٣٤	الإخراج الفني للكتاب	يتضمن ثبناً بالمحتويات و يشير إلى صفحاتها	٣,٣٥	٧٠,٦
٣٥	محتوى الكتاب	المادة منظمة متسلسلة و متراصة	٣,٣	٦٦
٣٦	أدوات القياس و التقويم	تتمة حب الاستطلاع و المعرفة للطلبة	٣,٣	٦٦
٣٧	الإخراج الفني للكتاب	الغلاف الخارجي متين و مناسب	٣,١٥	٦٣

٣٨	محتوى الكتاب	يتصف بالدقة العلمية	٣,١٥	٦٣
٣٩	محتوى الكتاب	تساعد على التعليم الذاتي	٣,١٥	٦٣
٤٠	الأنشطة	تربط الطالب بالمجتمع المحلي	٣,١٥	٦٣
٤١	إسلوب عرض مادة الكتاب	يستخدم تعابير سليمة	٣,٠٧	٦١,٤
٤٢	إسلوب عرض مادة الكتاب	يستخدم لغة تناسب نمو المتعلمين	٣,٠٧	٦١,٤
٤٣	الإخراج الفني للكتاب	يتصف بالمتانة من حيث التجليد	٣	٦٠
٤٤	محتوى الكتاب	ينسجم مع محتوى المواد الدراسية الأخرى ذات الصلة	٣	٦٠
٤٥	محتوى الكتاب	يوجد دوافع لحب القيم الأخلاق و الانتماء	٣	٦٠
٤٦	أدوات القياس و التقويم	تكون ملائمة لقياس المجالات ذات الصلة	٣	٦٠
٤٧	محتوى الكتاب	يحقق المحتوى الأهداف المرجوة في حياة الطالب	٢,٨٤	٥٦,٨
٤٨	أدوات القياس و التقويم	تتضمن توجيهات لمراجعة مصادر خارجية	٢,٨٤	٥٦,٨
٤٩	أدوات القياس و التقويم	تعمل على خفض قلق الامتحان لدى الطلاب	٢,٨٤	٥٦,٨
٥٠	الأنشطة	تقدم معلومات للطلاب لمعالجة بعض مشكلات العصر	٢,٧٦	٥٥,٢
٥١	الإخراج الفني للكتاب	حجم الكتاب مناسب لاستخدامات المتعلمين	٢,٦٩	٥٣,٨

٥٢	إسلوب عرض مادة الكتاب	يربط المادة العلمية بخبرات المتعلمين	٢,٦٩	٥٣,٨
٥٣	محتوى الكتاب	يرتبط بمشكلات المجتمع و تقديم الحلول المناسبة	٢,٦٩	٥٣,٨
٥٤	محتوى الكتاب	يوثق النصوص و الاقتباسات	٢,٦٩	٥٣,٨
٥٥	الإخراج الفني للكتاب	الكلمات الصعبة مشكلة وكذا الآيات و الأحاديث النبوية الشريفة	٢,٤٦	٤٩,٢
٥٦	الإخراج الفني للكتاب	كتبت على الواجهة الداخلية للكتاب عبارة هادفة	٢,٣٨	٤٧,٦
٥٧	محتوى الكتاب	المحتوى مترابط مع محتوى كتاب الصف السابق	٢,٣	٤٦
٥٨	محتوى الكتاب	مكتوب أهداف كل وحدة في بدايتها	٢,٣	٤٦
٥٩	محتوى الكتاب	المحتوى مدعم بالمصادر و المراجع	٢,١٥	٤٣
٦٠	إسلوب عرض مادة الكتاب	ينوع في تمارينه و أنشطته	١,٩٢	٣٨,٤
٦١	محتوى الكتاب	يتضمن صوراً و أشكالاً توضيحية	١,٠٧	٢١,٤

يتضح من / الجدول (٥) أن عدد المعايير المتحققة في كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي بلغت (٤٦) معياراً ، بنسبة (٧٥,٤١%) ، و هي أقل من نسبة المحك المقدرة (٨٠%) ، لذا فان كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لا تتحقق فيه معايير جودة الكتاب المدرسي .

### المجال الأول: الإخراج الفني للكتاب

تضمن مجال الإخراج الفني للكتاب (١٥) معياراً ، بلغت المعايير المتحققة (١٢) معياراً ، في حين بلغت المعايير غير المتحققة (٣) معايير ، كما في / الجدول (٦) ، أي بلغت نسبة المعايير المتحققة (٨٠%) ، و هي نسبة تساوي نسبة المحك البالغة (٨٠%) المعتمدة في هذه الدراسة، لذا تتحقق في مجال الإخراج الفني للكتاب معايير الجودة.

#### جدول (٦)

#### المعايير في مجال الإخراج الفني للكتاب

ت	تسلسل المعيار في الاستبانة	الفقرة المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	١٣	طباعته واضحة و نظيفة	٤,٠٧	٨١,٤	متحقق
٢	١٢	يناسب حجمه العمر الزمني و النضج العقلي للطالب	٣,٩٢	٧٨,٤	متحقق
٣	١	خالٍ من الأخطاء/ الطباعية	٣,٨٤	٧٦,٨	متحقق
٤	١٥	تصميم الغلاف الخارجي يتلاءم مع محتويات المادة	٣,٦٩	٧٣,٨	متحقق
٥	٢	العناوين الرئيسية / الفرعية واضحة	٣,٦١	٧٢,٢	متحقق
٦	٤	حجم الحرف المستخدم يناسب المستوى العمري للمتعلمين	٣,٦١	٧٢,٢	متحقق

٧	١٤	الورق المستخدم مناسب لاستخدامات المتعلمين	٣,٥٣	٧٠,٦	متحقق
٨	٨	الطباعة جيدة	٣,٤٦	٦٩,٢	متحقق
٩	١١	تعرض الصفحة الأولى منه عنوانه و أسماء المؤلفين و الناشر و رقم الطبعة وسنة الطبع	٣,٣٨	٦٧,٦	متحقق
١٠	٥	يتضمن ثباتاً بالمحتويات و يشير إلى صفحاتها	٣,٣٥	٧٠,٦	متحقق
١١	١٠	الغلاف الخارجي متين و مناسب	٣,١٥	٦٣	متحقق
١٢	٩	يتصف بالمثانة من حيث التجليد	٣	٦٠	متحقق
١٣	٦	حجم الكتاب مناسب لاستخدامات المتعلمين	٢,٦٩	٥٣,٨	غير متحقق
١٤	٣	الكلمات الصعبة مشكلة وكذا الآيات و الأحاديث النبوية الشريفة	٢,٤٦	٤٩,٢	غير متحقق
١٥	٧	كتبت على الواجهة الداخلية للكتاب عبارة هادفة	٢,٣٨	٤٧,٦	غير متحقق

#### المجال الثاني: أسلوب عرض المادة في الكتاب

يتضمن مجال أسلوب عرض المادة في الكتاب (١٠) معايير، تحقق منها (٨) معايير / جدول (٧) ، بنسبة (٨٠%)، و هي نسبة جيدة تتفق و نسبة

المحك البالغة (٨٠%) ، و هذا يعني أن الكتاب تتحقق فيه معايير الجودة في مجال أسلوب عرض المادة .

### جدول (٧)

المعايير في مجال أسلوب عرض المادة في الكتاب

ت	تسلسل المعيار في الاستبانة	الفقرة المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	٤	سليم من حيث بناء الجمل و العبارات و تراكيبيها	٤,٣٨	٨٧,٦	متحقق
٢	١	خالٍ من الأخطاء اللغوية	٤,٢٣	٨٤,٦	متحقق
٣	٩	يعرض المادة بشكل متسلسل و مترباط	٤	٨٠	متحقق
٤	٣	المفردات الجديدة و المصطلحات الفقهية بارزة و موضحة للطالب	٣,٦١	٧٢,٢	متحقق
٥	٢	تستخدم المصطلحات و الآراء الفقهية التي لا خلاف فيها	٣,٥٣	٧٠,٦	متحقق
٦	٥	يخلو من الحشو و التكرار غير الضروري	٣,٤٦	٦٩,٢	متحقق
٧	٧	يستخدم تعابير سليمة	٣,٠٧	٦١,٤	متحقق
٨	٨	يستخدم لغة تتناسب نمو المتعلمين	٣,٠٧	٦١,٤	متحقق
٩	٦	يربط المادة العلمية بخبرات المتعلمين	٢,٦٩	٥٣,٨	غير متحقق
١٠	١٠	ينوع في تمارينه و أنشطته	١,٩٢	٣٨,٤	غير متحقق

المجال الثالث: محتوى الكتاب

ضمّ مجال محتوى الكتاب (١٥) معياراً، تحقق منها (٨) معايير/ جدول (٨)، أي المتحقق بنسبة (٥٣,٣٣%)، و هي نسبة دون نسبة المحك البالغة (٨٠%)، لذا يُعد كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لم تتحقق فيه مواصفات الكتاب الجيد في مجال محتوى الكتاب.

جدول (٨)

المعايير في مجال محتوى الكتاب

ت	تسلسل المعيار في الاستبانة	الفقرة المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	٦	يراعي الفروق الفردية للطلبة	٤,٠٧	٨١,٤	متحقق
٢	٥	مناسب للمستوى العقلي للطلبة	٤	٨٠	متحقق
٣	٩	مناسب لعدد الحصص المخصصة لتدريسه	٣,٦٩	٧٣,٨	متحقق
٤	١٣	المادة منظمة متسلسلة ومتراصة	٣,٣	٦٦	متحقق
٥	٤	يتصف بالدقة العلمية	٣,١٥	٦٣	متحقق
٦	١٠	يساعد على التعليم الذاتي	٣,١٥	٦٣	متحقق
٧	٧	ينسجم مع محتوى المواد الدراسية الأخرى ذات الصلة	٣	٦٠	متحقق
٨	١١	يوجد دوافع لحب القيم الأخلاق والانتماء	٣	٦٠	متحقق
٩	٣	يحقق المحتوى الأهداف المرجوة في حياة الطالب	٢,٨٤	٥٦,٨	غير متحقق
١٠	٨	يرتبط بمشكلات المجتمع و تقديم الحلول المناسبة	٢,٦٩	٥٣,٨	غير متحقق
١١	١٢	يوثق النصوص و الاقتباسات	٢,٦٩	٥٣,٨	غير متحقق

١٢	١	المحتوى مترابط مع محتوى كتاب الصف السابق	٢,٣	٤٦	غير متحقق
١٣	١٤	مكتوب أهداف كل وحدة في بدايتها	٢,٣	٤٦	غير متحقق
١٤	٢	المحتوى مدعم بالمصادر والمراجع	٢,١٥	٤٣	غير متحقق
١٥	١٥	يتضمن الكتاب صور و أشكال توضيحية	١,٠٧	٢١,٤	غير متحقق

- حصل المعيار (يتضمن الكتاب صور و أشكال توضيحية) على أوطأ  
وسط مرجح و وزن مؤوي، إذ كانت قيمة الوسط المرجح (١,٠٧) و  
مقدار الوزن المؤوي بلغ (٢١,٤) ، بسبب أن الكتاب لا يحتوي على  
صور أو رسوم توضيحية ، و في هذا جانب سلبي و قصور في  
الكتاب ، لما في الرسوم و الأشكال التوضيحية من القدرة على  
إيصال المعلومات بطريقة سريعة و فعالة ، بل إن من معايير الكتاب  
الجيد أن يحتوي على رسوم و أشكال توضيحية.  
(الخالدة، ٢٠٠٧، ص ٣٢٠)
- حاز المعيار (يحقق المحتوى الأهداف المرجوة في حياة الطالب)  
على وسط مرجح قيمته (٢,٨٤) و وزن مؤوي مقداره (٥٦,٨)، تشير  
هذه النتيجة إلى أن نسبة غير قليلة من أفراد العينة يرى أن الكتاب  
لم يحقق الأهداف المرجوة منه في حياة الطالب، و هذا المعيار يعد  
من المعايير الجوهرية، لان الكتاب المنهجي يمثل الأساس لتحقيق  
الأهداف التربوية المنشودة. (الخالدة، ٢٠٠٧، ص ٢٥٤)
- حصل المعيار (يرتبط بمشكلات المجتمع و تقديم الحلول المناسبة)  
على وسط مرجح قيمته (٢,٦٩) و وزن مؤوي مقداره (٥٣,٨) ،  
بمعنى أن الكتاب لم يحقق الارتباط بمشكلات المجتمع و البيئة  
المحيطة بالطالب ، في حين أشار التربويون إلى وجوب أن يساعد



المحتوى التلاميذ على فهم العالم من حولهم و يعدهم للحياة العملية و مواجهة المشكلات المرتبطة بمجتمعهم. (عمر، ١٩٨٠، ص ٢٦)

- حصل المعيار (توثيق جميع النصوص و الاقتباسات) على وسط مرجح قيمته (٢,٦٩) و وزن مؤوي مقداره (٥٣,٨)، بمعنى أن توثيق النصوص و الاقتباسات لم تتحقق بشكل متكامل في الكتاب مما يُعدّ ضعفاً في الكتاب ، لان عملية توثيق المادة المستعملة تحمل في كل خطواتها أهمية قصوى ، لان هذه المادة يجب أن تقدم الأساس الصلب للكتاب المدرسي بوصفه تجميعاً مركزاً للمعلومات. (عمر، ١٩٨٠، ص ٢٨)

- حاز المعيار (المحتوى مترابط مع محتوى كتاب الصف السابق) على وسط مرجح قيمته (٢,٣) و وزن مؤوي مقداره (٤٦)، أي أن الكتاب فشل في تحقيق هذا المعيار من وجهة نظر العينة، و هي من المعايير المهمة و الضرورية للكتاب المدرسي ، إذ إن الكتاب الجيد يحقق الترابط بين المواد الدراسية الأخرى ذات الصلة بحيث يبرز العلاقات الوثيقة بين هذه المواد و استثمارها على نحو يزيد من وضوح ما يتعلمه الطلبة. (أبو سرحان، ٢٠٠٠، ص ٢٠١)

- حاز المعيار (مكتوب أهداف كل وحدة في بدايتها) على وسط مرجح قيمته (٢,٣) و وزن معياري مقداره (٤٦)، أي لم يحقق شروط الجودة لهذا المعيار من وجهة نظر عينة الدراسة، حيث يجب تعريف معلم التربية الإسلامية بالأهداف الخاصة لتدريس الوحدات الدراسية، كما يجب أن تكون واضحة و محددة، ليتمكن من ترجمة الأهداف إلى محتوى يتميز بالاستمرار و الشمول. (السيد، ٢٠٠٦، ص ٤٩)

- حصل المعيار (المحتوى مدعم بالمصادر و المراجع) على وسط مرجح قيمته (٢,١٥) و وزن معياري مقداره (٤٣)، بمعنى أن هذا المعيار لم يتحقق في الكتاب من وجهة نظر العينة مما يُعدّ أمراً سلبياً

على الكتاب، و تحديد المراجع و المصادر يتيح للباحثين و المدرسين معرفة الدقة العلمية للكتاب المدرسي و مدى مواكبته للتطور العلمي و يمكن الطلبة من معرفة المصادر و المراجع لتتوسع آفاق عوالم المعرفة و تبدأ الخطوة الأولى للتعليم الذاتي للتلاميذ.  
(عمر، ١٩٨٠، ص ٣٠)

#### المجال الرابع: الأنشطة

ضمّ مجال الأنشطة (٨) معايير ، تحقق منها (٧) معايير ، و لم يتحقق سوى معيار واحد، أي المتحقق يشكل نسبة (٨٧,٥%)، و هي نسبة تتجاوز نسبة المحك البالغ (٨٠%)، بمعنى أن الكتاب حقق معايير الجودة في مجال الأنشطة و الجدول (٩) يوضح ذلك.

#### جدول (٩)

#### المعايير في مجال الأنشطة

ت	تسلسل المعيار في الاستبانة	الفقرة المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	٦	تتصف بالجاببية و التشويق	٤,١٥	٨٣	متحقق
٢	٥	تتناسب مع المستوى العقلي للطالب	٤,١٥	٨٣	متحقق
٣	٧	توفر للطالب تغذية راجعة	٣,٦٩	٧٣,٨	متحقق
٤	٤	تتنوع من درس إلى آخر	٣,٦٩	٧٣,٨	متحقق
٥	٢	تقدم معلومات للطالب يلخص ما تعلمه	٣,٥٣	٧٠,٦	متحقق
٦	١	تحقق الأنشطة أهداف المادة	٣,٣٨	٦٧,٦	متحقق
٧	٨	تربط الطالب بالمجتمع المحلي	٣,١٥	٦٣	متحقق
٨	٣	تقدم معلومات للطالب لمعالجة بعض مشكلات العصر	٢,٧٦	٥٥,٢	غير متحقق

## المجال الخامس: أدوات القياس و التقويم

ضمّ مجال أدوات القياس و التقويم (١٣) معياراً، تحقق منها (١١) معياراً، أي بنسبة (٨٤,٦%)، و هي نسبة تجاوزت نسبة المحك البالغة (٨٠%)، بمعنى أن الكتاب حقق معايير الجودة في مجال أدوات القياس و التقويم و الجدول (١٠) يوضح ذلك.

### جدول (١٠)

#### المعايير في مجال أدوات القياس و التقويم

ت	تسلسل المعيار في الاستبانة	الفقرة المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	١٣	نتصف بالشمول	٤,١٥	٨٣	متحقق
٢	١١	تقدم للمدرس أمثلة من الأسئلة للاسترشاد بها	٤,٠٧	٨١,٤	متحقق
٣	١٢	نتصف بالوضوح	٤,٠٧	٨١,٤	متحقق
٤	٢	ترتبط بالأهداف التربوية للمادة	٣,٩٢	٧٨,٤	متحقق
٥	١	الأسئلة دقيقة و متنوعة	٣,٦٩	٧٣,٨	متحقق
٦	٧	تراعي الفروق الفردية	٣,٥٣	٧٠,٦	متحقق
٧	٣	تتضمن أسئلة في نهاية كل فصل	٣,٤٦	٦٩,٢	متحقق
٨	٥	تساعد المدرس على معرفة تحقق الأهداف التعليمية للمادة	٣,٤٦	٦٩,٢	متحقق
٩	٨	ترتبط بمحتوى الكتاب	٣,٣٨	٦٧,٦	متحقق
١٠	٤	تتمي حب الاستطلاع و المعرفة للطالبة	٣,٣	٦٦	متحقق
١١	٩	تكون ملائمة لقياس المجالات ذات الصلة	٣	٦٠	متحقق
١٢	٦	تتضمن توجيهات لمراجعة	٢,٨٤	٥٦,٨	غير متحقق

			مصادر خارجية		
غير متحقق	٥٦,٨	٢,٨٤	تعمل على خفض قلق الامتحان لدى الطلاب	١٠	١٣

## ٢ — الاستنتاجات و التوصيات و المقترحات:

### أولاً: الاستنتاجات/

من خلال النتائج التي عرضت توصل الباحث إلى الآتي:

- إن معايير جودة الكتاب المدرسي لم تتوفر في كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لمدارس جمهورية العراق.
- إن المجال الذي شكل ضعفاً كبيراً للكتاب، هو مجال محتوى الكتاب.
- إن المجال الذي حقق إيجابية عالية للكتاب هو مجال الأنشطة.
- إن الكتاب حقق الحد الأدنى من القبول ضمن معايير جودة الكتاب المدرسي، في مجالي الإخراج الفني للكتاب و أسلوب عرض المادة في الكتاب.

### ثانياً: التوصيات/

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يوصي الباحث بالآتي:

- ضرورة معالجة و تحسين كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لمدارس العراق من قبل الجهات ذات العلاقة، لعدم مطابقته لمعايير الكتاب المدرسي الجيد.
- ضرورة الأخذ بآراء مدرسي المادة و مدرساتها عند تأليف الكتاب.
- ضرورة طباعة نسخ تجريبية من الكتاب، بعد المعالجة، توزع على مدارس محددة و تقويمها، لغرض تفادي الجوانب السلبية في الكتاب قبل توزيع الكتاب على المدارس.

### ثالثاً: المقترحات/

- تقويم كتب التربية الإسلامية للمرحلة المتوسطة و الثانوية على وفق معايير الكتاب المدرسي الجيد.
- مقارنة كتب التربية الإسلامية المنهجية في العراق مع كتب التربية الإسلامية المنهجية في الدول المحيطة بالعراق في ضوء معايير جودة الكتاب المدرسي.

## المصادر

### القرآن الكريم

١. — الأحمـد ، د. ردينه عثمان ويوسف ، د. حزام عثمان — طرائق التدريس منهج أسلوب وسيلة — دار المناهج — عمان — ٢٠٠١ .
٢. أبو سرحان ، عطية عودة — دراسات في أساليب تدريس التربية الاجتماعية و الوطنية — دار الخليج، عمان، الاردن، ٢٠٠٠ م.
٣. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) — لسان العرب — مصر ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة (د.ت) .
٤. احمد ، نازلي صالح و شعبان ، سعيد — المدخل في التربية — مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
٥. الأنروا، معهد التربية، اليونسكو — الكتاب المدرسي و المنهاج — بيروت، ١٩٨٢ م.
٦. أوبير ، رونية — التربية العامة — ترجمة د. عبد الله عبد الدايم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩ م.
٧. البياتي، عبد الجبار توفيق، و اثناسيوس، زكريا زكي — الإحصاء الوصفي و الاستدلالي في التربية و علم النفس — بغداد ، الجامعة المستنصرية، ١٩٧٧ م.
٨. جامل ، عبد الرحمن عبد السلام — دراسة تقويمية لكتب المواد الاجتماعية لمرحلة التعليم الاساس بالجمهورية اليمنية — مجلة دراسات في المناهج و طرق التدريس — كلية التربية — جامعة عين شمس — العدد / ٥٣ سنة ١٩٩٨ .

٩. الجبوري، عمر هيجل حمد شبيب — دراسة تقويمية لكتب القرآن الكريم — تلاوته و معانيه — و التربية الاسلامية للصفين الخامس و السادس الابتدائيين من وجهة نظر المعلمين و المعلمات — رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية و النفسية، بغداد ، ٢٠٠٢م.
١٠. جمهورية العراق ، وزارة التربية — الفلسفة التربوية — المديرية العامة للمناهج ، ٢٠٠٨م.
١١. الجندي ، أنور — التربية و بناء الأجيال في الإسلام — دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٥م .
١٢. حلس ، داود درويش — معايير جودة الكتاب المدرسي و مواصفاته لتلاميذ المرحلة الأساسية الدنيا — بحث مقدم لمؤتمر جودة التعليم العام ، الجامعة الإسلامية ، كلية التربية ، غزة، ٢٠٠٧م.
١٣. الخوالدة، محمد محمود — أسس بناء المناهج التربوية و تصميم الكتاب التعليمي — دار المسيرة ، عمان،الأردن، ٢٠٠٧م.
١٤. داود،عزيز حنا، و أنور، حسين عبد الرحمن — مناهج البحث التربوي — جامعة بغداد ، ١٩٩٠م.
١٥. دمعة ، مجيد إبراهيم — الكتب المدرسية و أهميتها وكيفية اختيارها و تقييمها — مجلة الجامعة المستنصرية ، بغداد ، العدد الأول ١٩٨٧م.
١٦. الربيع، علي احمد حسن — تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف الثامن بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر المعلمين — مجلة حضرموت للدراسات و البحوث، العدد الرابع، السنة الثالثة، ٢٠٠٣م.

١٧. رضوان ، أبو الفتوح ، وآخرون — الكتاب المدرسي  
فلسفته، تاريخه، أسسه، تقويمه، استخدامه — القاهرة، المكتبة  
الانجلومصرية، ١٩٦٢م.
١٨. السلامي ، د. جاسم محمد — تقويم الأداء لمعلمي أدب الأطفال و  
القواعد النحوية في ضوء الكفايات التدريسية — دار المناهج  
— عمان — ٢٠٠٣.
١٩. سمك ، محمد صالح — فن التدريس للتربية الدينية ، و ارتباطاتها  
النفسية و أنماطها السلوكية — دار الفكر العربي ، القاهرة ،  
١٩٩٨م .
٢٠. السميري ، لطيفة صالح — تحليل محتوى كتاب تعليم القراءة و  
الكتابة للصف الأول الابتدائي في المملكة العربية السعودية و تقويمه  
في ضوء الخبرة التربوية — مجلة رسالة الخليج العربي ، مكتب  
التربية العربي لدول الخليج العربي ، السنة (١٩)، عدد (٦٩) ،  
الرياض ، ١٩٩٨م
٢١. السيد ، عاطف — التربية الإسلامية ، أصولها و منهجها و معلمها  
— دار طيبة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
٢٢. الشمري ، هدى علي جواد — طرق تدريس التربية الإسلامية —  
دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠٣م.
٢٣. عبد الدايم ، عبد الله — التربية التجريبية و البحث التجريبي  
— لبنان ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.
٢٤. عبد العزيز ، صالح عبد المجيد — التربية وطرق التدريس —  
ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ( د . ت ) .
٢٥. عبد اللطيف ، د. نعيمة و الأمين، شاكراً محمود و د. جعاطه ، عبد  
الله خلف — أصول تدريس المواد الاجتماعية — جامعة بغداد  
— كلية التربية — ١٩٩٠ .

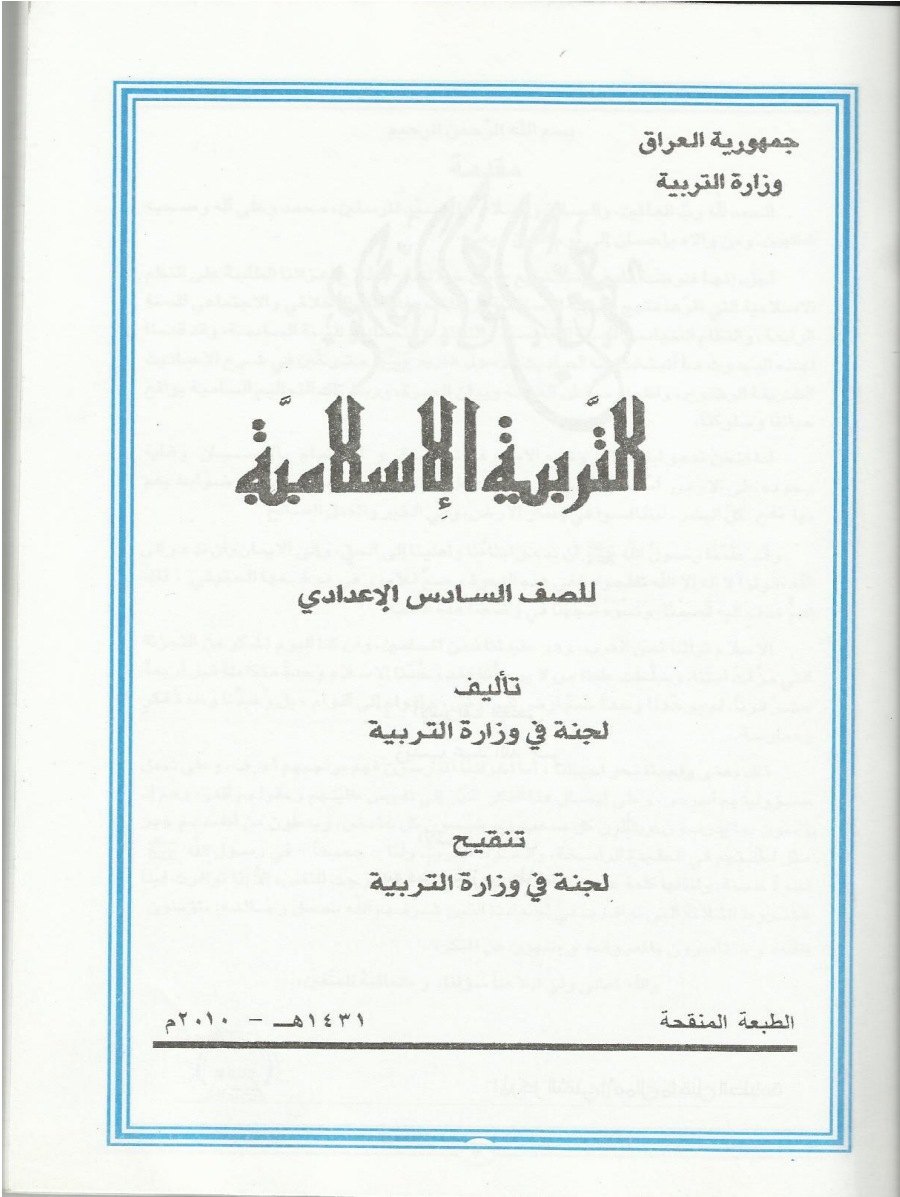


٢٦. عبد الموجود ، محمود عزت ، وآخرون — أساسيات المنهج و تنظيماته — دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
٢٧. العزاوي ، رحيم يونس كرو — المناهج و طرائق التدريس — دار دجلة ، عمان ، ٢٠٠٩ .
٢٨. علي، سعيد إسماعيل — أصول التربية الإسلامية — دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
٢٩. عمر ، د. احمد أنور — الكتاب المدرسي / تأليفه و إخراجة الطباعي اليونسكو — ترجمة — دار المريح — الرياض — ١٩٨٠.
٣٠. آل عمر ، محمد إقبال — دراسة تقويمية لكتابي القرآن الكريم — تلاوته ومعانيه — و التربية الإسلامية للصف السادس الأدبي في العراق — رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
٣١. عودة ، احمد سليمان ، و سلكاوي، فتحي حسن — أساسيات البحث العلمي في التربية و العلوم الإنسانية — الأردن، اربد ، مكتبة الكتاني، ١٩٩٢م.
٣٢. الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧هـ — القاموس المحيط — دار المعرفة — بيروت / ٢٠٠٧.
٣٣. الفيومي ، أبي العباس احمد بن محمد بن علي المقرئ ، ت ٧٧٠ هـ — المصباح المنير في غريب الشرح الكبير — دار الرسالة العالمية — دمشق — ٢٠١٠.
٣٤. مجاور، محمد صلاح الدين علي، و الديب، فتحي عبد المقصود — المنهج المدرسي؛ أسسه و تطبيقاته التربوية — دار القلم ، الكويت ، ١٩٩٣م.

٣٥. مقابلة، نصر و البشائرة، زيد — القيم المتضمنة في كتب لغتنا العربية للصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الأساسية في الأردن — مجلة العلوم التربوية و النفسية ، مجلد (٨) ، عدد (٤)، جامعة البحرين ، ٢٠٠٧م.
٣٦. الناقة، محمود كامل — نظرة في مفاهيم التربية الإسلامية بالتعليم العام — ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، مكة ، ١٩٨٠م.
٣٧. النجار ، يوسف محمد — المنهج التربوي للعلماء و المربين المسلمين — دار ابن حزم ، بيروت ١٩٩٩ .
٣٨. هيكل، عبد العزيز فهمي — مبادئ الاساليب الاحصائية — بيروت ، لبنان، ١٩٦٦م.

ملحق — ١ —

صورة صفحة عنوان الكتاب



ملحق — ٢ —

صورة فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة
	الفصل الأول
٥	الحديث الأول / التعاون ورعاية مصالح المحتاجين
٩	الحديث الثاني / الحث على العمل والقناعة والتعفف عن السؤال
١٢	الحديث الثالث / احترام العمل وتقويم اليد العاملة
١٥	الحديث الرابع / حق العامل في الأجر
١٨	الحديث الخامس / استصلاح الأرض وزراعتها
٢١	الحديث السادس / السماحة في البيع
٢٣	الحديث السابع / النهي عن الغش
٢٥	الحديث الثامن / النهي عن الاحتكار
	الفصل الثاني
٢٨	نظرة عامة للنظام الاقتصادي في الإسلام
٣٥	المبحث الأول / مميزات الاقتصاد الإسلامي
٣٩	المبحث الثاني / الملكية الخاصة في الإسلام
٤٠	المبحث الثالث / سلطة الدولة في تحديد الملكية الخاصة وسحبها
٦٠	المبحث الرابع / الملكية العامة في الإسلام
٧٠	المبحث الخامس / الاتجاه الجماعي للاقتصاد الإسلامي
٨٠	المبحث السادس / الوظائف الاقتصادية للدولة
٨٩	المبحث السابع / العمل في النظام الاقتصادي الإسلامي

### ملحق (٣)

#### أسماء المحكمين حسب اللقب العلمي و الحروف الهجائية

ت	اللقب العلمي	الاسم	التخصص	المكان الوظيفي
١	أ.د.	حسن علي العزاوي	طرائق تدريس	جامعة بغداد كلية التربية — ابن رشد
٢	أ.د.	طارق إسماعيل خليل	طرائق تدريس	الجامعة العراقية/كلية الآداب
٣	أ.م.د.	حسين عليوي حسين الطائي	طرائق تدريس	الجامعة العراقية/ كلية أصول الدين
٤	أ.م.د.	عبد الرزاق محمد أمين الجاف	طرائق تدريس	كلية الإمام الأعظم/ ديوان الوقف السني
٥	م	بلال إبراهيم يعقوب	طرائق تدريس	الجامعة العراقية/ كلية الآداب

ملحق — ٤ —

بسم الله الرحمن الرحيم  
إستبانة المدرسين المدرسات

إلى/ الأستاذ — الأستاذة المحترمين

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .....

يروم الباحث إجراء بحث بعنوان (تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي لمدارس العراق من وجهة نظر مدرسي المادة و مدرساتها) يهدف إلى تقويم الكتاب المنهجي المذكور ضمن عنوان البحث ، و نظراً لكونكم ركن العملية التربوية و التعليمية ، فان لأرائكم دوراً ايجابياً للتعرف على جوانب القوة و الضعف في الكتاب المنهجي لغرض العمل على تفادي نقاط الضعف و استكمال ما نقص في كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي . و الاستبانة التي بين يديك هي أداة البحث لتحقيق أهداف البحث ، لذا أرجو قراءة فقرات الاستبانة بكل دقة و الإجابة بوضع علامة (√) أمام كل فقرة تحت الحقل المناسب ، مع ملاحظة إن دقة نتائج البحث تتوقف على دقة إجاباتكم عن فقرات الاستبانة .

مع الشكر و الاحترام .....

م.م. خالد أحمد سليمان

الجامعة العراقية / كلية الآداب

أولاً : مجال الإخراج الفني للكتاب

ت	الإخراج الفني للكتاب	متحقق بدرجة كبيرة جداً	متحقق بدرجة كبيرة	متحقق بدرجة متوسطة	متحقق بدرجة قليلة جداً	غير متحقق
١	خالٍ من الأخطاء/ الطباعية					
٢	العناوين الرئيسية / الفرعية واضحة					
٣	الكلمات الصعبة مشكلة وكذا الآيات و الأحاديث النبوية الشريفة					
٤	حجم الحرف المستخدم يناسب المستوى العمري للمتعلمين					
٥	يتضمن ثبناً بالمحتويات و يشير إلى صفحاتها					
٦	حجم الكتاب مناسب لاستخدامات المتعلمين					
٧	كتبت على الواجهة الداخلية للكتاب عبارة هادفة					
٨	الطباعة جيدة					
٩	يتصف بالمتانة من حيث التجليد					
١٠	الغلاف الخارجي متين و مناسب					
١١	تعرض الصفحة الأولى منه عنوانه و أسماء المؤلفين و الناشر و رقم الطبعة وسنة الطبع					
١٢	يناسب حجمه العمر الزمني و النضج العقلي للطلاب					

١٣	طباعته واضحة و نظيفة				
١٤	الورق المستخدم مناسب لاستخدامات المتعلمين				
١٥	تصميم الغلاف الخارجي يتلاءم مع محتويات المادة				

ثانياً : مجال أسلوب عرض المادة في الكتاب

ت	أسلوب عرض مادة الكتاب	متحقق بدرجة كبيرة جداً	متحقق بدرجة كبيرة	متحقق بدرجة متوسطة	متحقق بدرجة قليلة جداً	غير متحقق
١	خالٍ من الأخطاء اللغوية					
٢	يستخدم المصطلحات و الآراء الفقهية التي لا خلاف فيها					
٣	المفردات الجديدة و المصطلحات الفقهية بارزة و موضحة للطالب					
٤	سليم من حيث بناء الجمل و العبارات و تراكيبيها					
٥	يخلو من الحشو و التكرار غير الضروري					
٦	يربط المادة العلمية بخبرات المتعلمين					
٧	يستخدم تعابير سليمة					
٨	يستخدم لغة تناسب نمو المتعلمين					
٩	يعرض المادة بشكل متسلسل و مترابط					
١٠	ينوع في تمارينه و أنشطته					



ثالثاً : مجال محتوى الكتاب

ت	محتوى الكتاب	متحقق بدرجة كبيرة جداً	متحقق بدرجة كبيرة	متحقق بدرجة متوسطة	متحقق بدرجة قليلة جداً	غير متحقق
١	المحتوى مترابط مع محتوى كتاب الصف السابق					
٢	المحتوى مدعم بالمصادر و المراجع					
٣	يحقق المحتوى الأهداف المرجوة في حياة الطالب					
٤	يتصف بالدقة العلمية					
٥	مناسب للمستوى العقلي للطلبة					
٦	يراعي الفروق الفردية للطلبة					
٧	ينسجم مع محتوى المواد الدراسية الأخرى ذات الصلة					
٨	يرتبط بمشكلات المجتمع و تقديم الحلول المناسبة					
٩	مناسب لعدد الحصص المخصصة لتدريسه					
١٠	تساعد على التعليم الذاتي					
١١	يوجد دوافع لحب القيم الأخلاق و الانتماء					
١٢	يوثق النصوص و الاقتباسات					
١٣	المادة منظمة متسلسلة و مترابطة					
١٤	مكتوب أهداف كل وحدة في بدايتها					
١٥	يتضمن صوراً و أشكالاً توضيحية					

رابعاً: مجال الأنشطة

ت	الأنشطة	متحقق بدرجة كبيرة جداً	متحقق بدرجة كبيرة	متحقق بدرجة متوسطة	متحقق بدرجة قليلة جداً	غير متحقق
١	تحقق الأنشطة أهداف المادة					
٢	تقدم معلومات للطالب يلخص ما تعلمه					
٣	تقدم معلومات للطالب لمعالجة بعض مشكلات العصر					
٤	تتنوع من درس إلى آخر					
٥	تناسب مع المستوى العقلي للطالب					
٦	تتنصف بالاجابية و التشويق					
٧	توفر للطالب تغذية راجعة					
٨	تربط الطالب بالمجتمع المحلي					

خامساً: مجال أدوات القياس و التقويم

ت	أدوات القياس و التقويم	متحقق بدرجة كبيرة جداً	متحقق بدرجة كبيرة	متحقق بدرجة متوسطة	متحقق بدرجة قليلة جداً	غير متحقق
١	الأسئلة دقيقة و متنوعة					
٢	ترتبط بالأهداف التربوية للمادة					
٣	تتضمن أسئلة في نهاية كل فصل					
٤	تنمي حب الاستطلاع و المعرفة للطلبة					
٥	تساعد المدرس على معرفة تحقق الأهداف التعليمية للمادة					
٦	تتضمن توجيهات لمراجعة					

					مصادر خارجية	
					تراعي الفروق الفردية	٧
					ترتبط بمحتوى الكتاب	٨
					تكون ملائمة لقياس المجالات ذات الصلة	٩
					تعمل على خفض قلق الامتحان لدى الطلاب	١٠
					تقدم للمدرس أمثلة من الأسئلة للاسترشاد بها	١١
					تتصف بالوضوح	١٢
					تتصف بالشمول	١٣





# صناعة الصورة الذهنية في وسائل الإعلام صورة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الإعلام الأميركي

د. طارق علي حمود العيثاوي  
جامعة بغداد/ كلية الإعلام

## ملخص البحث

لقد تعرضت صورة الاسلام والمسلمين الى الكثير من التشويه والتزييف و الاساءة عبر مراحل تاريخية متعددة ولم تشهد ديانة تشويها في صلب عقيدتها ورموزها الدينية مثل ما شهد الاسلام برموزه المتعددة وشعائره المتنوعة على ايدي الدول الغربية سواءاً من المؤسسة الدينية او السياسية او الاعلامية. ولغرض الوقوف على كيفية صناعة الصورة الذهنية المشوهة والمسيئة للاسلام والمسلمين في وسائل الاعلام الاميركية تم كتابة هذا البحث بأطار منهجي يعرض منهجية البحث واطار نظري يعرض مفاهيم الصورة الذهنية والنمطية والفرق بينهما فضلاً عن اساليب الاعلام في تكوين الصورة الذهنية والعناصر المكونة لصورة الاسلام والمسلمين وصورة الرسول الاكرم محمد(صلى الله عليه وسلم) و الاطار التحليلي الذي يستخرج اهم الافكار المسيئة لرموز الاسلام من خلال تحليل مضمون فلم (براءة المسلمين) (الذي انتج وعرض في امريكا تزامناً مع احداث 11 سبتمبر. 2012 ويترك الباحث الفرصة للغياري من ابناء العروبة و الاسلام للرد على كل فكرة من هذه الافكار المسيئة للرموز الاسلامية وفقاً لما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

**The Industry of the Mental Image by the Mass Media:  
The Image of the Prophet Muhammad Peace Be upon  
Him in the American Media**

By

Inst. Tariq Ali Hmood Al-Ithawi

College of Mass Media/ Bagdad University/

Department of Radio and Television

**Abstract**

The image of Islam and Muslims have been subject to a lot of distortion and falsification and abuse through various stages of history and there is no religion which underwent distortion at the heart of faith and its religious symbols such as witnessed in Islam in its many symbols and various rites at the hands of Western countries, whether by a religious, political institutions or media. For the purpose of comprehending the manner of how to make a distorted and offensive mental picture of Islam and Muslims in the U.S. media, this paper have been written with a systematic and theoretical framework to, firstly present the research methodology and secondly to present the concepts of mental image and stereotypes and the difference between them as well as the methods of media in the formation of a mental image and elements and components of the image of Islam and Muslims and the image of Holy Prophet Muhammad (peace be upon him ) and the analytical framework that extracts the most important ideas of the offending symbols of Islam by analyzing the content of the film ( The Innocence of Muslims ), which produced the show in the U.S. to coincide with the events of 11<sup>th</sup> of September , 2012 leaves the researcher to pose the opportunity to jealous sons of Arabism and Islam to respond to every distorting idea in depicting the symbols of the Islamic and according to the Quran and Sunnah .



## المقدمة

لاشك ان احداث 11 سبتمبر شكل نقطة فارقة في انتشار الدعاية الغربية السلبية المجافية للحقيقة بشأن الاسلام والمسلمين في العالم الاسلامي، فقد كانت الاحداث الاخيرة فرصة سائحة لكي يكتشف القارئون على وسائل الاعلام الغربية القيمة التسويقية العالية لتصوير الاسلام كعدو.. وتحت عناوين على شاكلة (الارهاب الاسلامي)(الخطر الاخضر)(سيف الاسلام)،(التحدي الاسلامي) ،، (الانسان المتوحش)،(شرعت القنوات التلفزيونية والصحف اليومية والاسبوعية والكتب ايضا في تناول تفاصيل الصورة الوهمية عن الاسلام والمسلمين دون ان تلقى بالاً للتيارات المختلفة والأبعاد المعقدة الاجتماعية والعرقية والاقتصادية والسياسية في البلدان الاسلامية، وأجبت من خلال التوصيفات السطحية المشوهة مخاوف مرضية من خطر محقق بالثقافة الغربية ولان المواطن العادي في غرب اوربا وأميركا مازال ينظر للشرق كقطب مناوئ للغرب، ومغاير للثقافة المسيحية، فقد كان هناك تشويش مقصود يقابله سوء فهم من قبل معظم جمهور الغرب تجاه الاسلام رغم كثافة وسائل الاتصال في العصر الحديث، والتصور في الغرب يعكس الى حد ما احكام فكرية مسبقة ومكررة تجاه الاسلام او الظاهرة الاسلامية. بدلاً من الدراسة العلمية او على الاقل النظرة غير المتحيزة.

وقد دأبت وسائل الاعلام الغربية على صياغة مفردات مبنية على اسقاطات أستيهامية مثل العدوانية والوحشية والتعصب واللاعقلانية ورجعية العصور الوسطى ومعاداة المرأة شكلت بمجملها تفاصيل الصورة الغربية عن الاسلام.وغني عن البيان، ان تصورات الرأي العام الغربي عن الاسلام تأثر بما يصله من فيض الاخبار والصور المفزعة عن) المسلمين المسلحين(متعصبي القرآن الذين يقومون بأعمال عنف، شاهرين اسلحتهم لأبادة اصحاب العقائد الاخرى في حرب عقائدية تهدد الغرب في معاقلهم

سواء في الولايات المتحدة او اوروبا, وشرعت المحطات الفضائية والصحف الغربية في التجني على الاسلام والمسلمين, بل والتطاول على الرموز الاسلامية والعقائد الى درجة وصل معها التطاول على النبي الاكرم سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم)

ان من اهم اهداف هذا البحث التعرف على الكيفية التي تتم بها صناعة الصورة الذهنية في وسائل الاعلام واهم عناصر الصورة الذهنية عن الاسلام والمسلمين فضلاً عن تحديد صورة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الاعلام الاميركي و اخيراً تحليل مضمون فلم) براءة المسلمين (لغرض الوقوف على اهم الافكار المسيئة للاسلام والمسلمين التي حاول منتجي هذا الفيلم تسويقها الى المشاهد العربي والعالمي ولغرض تحقيق الاهداف المشار اليها فقد تم تقسيم البحث الى الاطار المنهجي الذي يشمل منهجية البحث والأطار النظري الذي يشمل التعرف على مفهوم الصورة الذهنية والصورة النمطية وخصائص وسمات كل منهما ثم دور وسائل الاعلام في صناعة الصورة الذهنية فضلاً عن التعرف على عناصر الصورة الذهنية للاسلام والمسلمين وللرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الاعلام الاميركي . اما الاطار التحليلي فقد تم من خلاله استعراض وتحليل مضمون فلم) براءة المسلمين( والتعرف على اهم الافكار المسيئة للاسلام والمسلمين التي حاولت القائمين على انتاجه تحشدها , واختتم البحث بعرض اهم النتائج التي توصل اليها البحث والتوصيات التي يرى الباحث اهميتها في هذا المجال.

### الاطار المنهجي

#### اهمية البحث:

تكمن اهمية البحث في ضرورة التعرف على الكيفية التي تتم بها صناعة الصورة الذهنية في وسائل الاعلام ليتم من خلالها الوصول الى الاساليب التي تم بها صناعة الصورة الذهنية عن الاسلام والمسلمين بصورة عامة



وعن الرسول محمد) صلى الله عليه وسلم (بصورة خاصة في الاعلام  
الأميركي.

### مشكلة البحث:

تكمن مشكلة بحثنا في التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الصورة؟ وما الفرق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية؟
- ما هي انواع الصورة الذهنية؟ وما هي سماتها؟ وما هي خصائص  
الصورة النمطية؟
- ما الصورة الذهنية المكونة للاتجاه؟ وما هي انواعها؟
- ما هي مصادر الصورة الذهنية وما هي مكوناتها؟
- ما هي الكيفية التي تتم بها صناعة الصورة الذهنية في وسائل الاعلام؟
- ما صورة الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الاميركية؟
- ما هي مراحل تكوين صورة الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة  
الامريكية وما هي عناصرها؟
- ما هي صورة الرسول محمد) صلى الله عليه وسلم ( في الاعلام  
الاميركي وما هي عناصرها؟
- ما اهم الافكار المسيئة للاسلام والمسلمين في فيلم) براءة المسلمين(؟
- ما حجم الوقت المخصص للأفكار المسيئة الواردة في فيلم) براءة  
المسلمين(؟

### اهداف البحث:

- يسعى البحث في بعديه النظري والتحليلي الى تحقيق ماياتي:
- التعرف على مفهوم الصورة والفرق بين الصورة الذهنية و النمطية.
  - تحديد انواع الصورة الذهنية وسماتها، والتعرف على خصائص الصورة  
النمطية.
  - التعرف على الصورة الذهنية المكونة للاتجاه وتحديد انواعها.
  - تحديد مصادر الصورة الذهنية ومكوناتها.

- التعرف على الكيفية التي تتم بها صناعة الصورة الذهنية في وسائل الاعلام.
- التعرف على صورة الاسلام في الولايات المتحدة الاميركية.
- تحديد مراحل تكوين صورة الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الاميركية وتحديد عناصرها.
- التعرف على صورة الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) في الاعلام الاميركي وتحديد عناصرها.
- تحديد اهم الافكار المسيئة الواردة في فلم (براءة المسلمين)
- معرفة حجم الوقت المخصص للأفكار المسيئة الواردة في فلم (براءة المسلمين)

#### عينة البحث:

تم تحديد عينة البحث بفيلم) براءة المسلمين(الذي تم تحميله من شبكة الانترنت والبالغ زمنه 13:51 دقيقة والذي تم الترويج له مع الذكرى السنوية لأحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الاميركية وعرض على موقع البحث يوتيوب you tube في شهر يوليو. 2012

#### منهج البحث:

يعتبر هذا البحث من البحوث الوصفية التي تقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول الى اسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج لتعميمها وذلك من اجل تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها.

واستخدم البحث طريقة تحليل المضمون معتمدا على فئة) ماذا قيل (لغرض استخراج الافكار المسيئة للإسلام والمسلمين الواردة في فيلم) براءة المسلمين)

## الاطار النظري

### مفهوم الصورة الذهنية والصورة النمطية

أولاً: مفهوم الصورة وتعريفها.

أن كلمة (الصورة) (في اللغة العربية تعني) الشكل والتمثال المجسم، وصورة الشئ ماهيته المجردة، وصورته خياله في الذهن أو العقل، فصورة المسألة أو الأمر صفتها وصورة النوع، ويقال: هذا الأمر على ثلاث صور<sup>(1)</sup> والصور بكسر الصاد لغة) جمع صورة وصور تصويراً فتصور، وتصورت الشئ توهمت صورته، فتصور لي، و ألتصاوير التماثيل.<sup>(2)</sup>

ويعتبر التصوير هو الأداة المفضلة في القران الكريم فهو يعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الأنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فأذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية هي لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الانساني شاخص حي، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما حوادث المشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة، فأذا أضاف اليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر ألتخييل، فما أن تبدأ تلاوة الأيات حتى ينتقل القارئ ألى مسرح الحدث حيث تتوالى المناظر وتتسارع الحركات ويتخيل القارئ منظر يعرض وحادث يقع.<sup>(3)</sup>

والتصوير الفني بالقران هو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالايقاع، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في ابراز صورة من الصور تملا العين والأذن، والسحر والخيال، والفكر والوجدان. و اذا ما اعتبرنا ان الأداة التي

تصور المعنى الذهني والحالة النفسية، وتشخص النموذج الأنساني أنما هي ألفاظ جامدة ادركنا بعض أسرار الأعجاز في القرآن الكريم.<sup>(4)</sup>

ويستخدم القرآن الكريم في التصوير للمسات العريضة كما في قوله تعالى) أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت , والى السماء كيف رفعت , والى الجبال كيف نصبت , والى الارض كيف سطحت.<sup>(5)</sup>

ويعطي القرآن الكريم لمشاهد يوم القيامة وأهوالها وصور العذاب أوفى نصيب من التصوير الفني أذ نرى ذلك في قوله تعالى) أذا زلزلت الأرض زلزالها , وأخرجت الأرض أثقالها, وقال الإنسان ما لها <sup>(6)</sup> (وأيضاً في قوله عز وجل) أذا رجت الأرض رجا, وبست الجبال بسا, فكانت هباءاً منبثاً.<sup>(7)</sup>

ويضع التعبير أقراني إطار للصورة ثم يطلق حولها الإيقاع المناسب لهذا الإطار وبذلك يمكن تأشير ذلك المشهد الحافل بالصور المذهلة وما توقعه من اثر في النفوس, وتتكشف بذلك أفاق بعد أفاق من التناسق في القرآن الكريم بالنظم والسرد والمعنى واللفظ في تصوير محسوس يحقق الأبداع والاعجاز والأعجاب<sup>(8)</sup>

وتتضح في تصوير القرآن الكريم ظاهرة أخرى هي (التخيل الحسي والتجسيم, (ويقصد بالتخييل الحسي هي الحركة التي يسير عليها التصوير في القرآن الكريم لبث الحياة في شتى الصور أذا أن قليل من صور القرآن الكريم هو الذي يعرض صامتا ساكنا أما اغلب الصور ففيه حركة مضمرة او ظاهرة, يرتفع بها نبض الحياة وتعلو بها حرارتها وهذه الحركة نحسها في صورة النعيم والعذاب وصور البرهنة والجدل والقصص والحوادث ومشاهد القيامة.<sup>(9)</sup> فالصورة التي تخيلها الآية) يا أيها الناس أن زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله

شديد.<sup>(10)</sup> (نتيح للقارئ أن يتصور تلك الزلزلة الهائلة والحركة العنيفة وتخيّل أحوال الناس في ذلك اليوم العصيب.

ويقدم القرآن الكريم صورة متخيّلة عن يوم القيامة والجنة والنار في أيّهِ معينة لئيتيح للإنسان تخيل وتصوّر ذلك الهول وتلك الرهبة من ذلك اليوم وهو ما يعرف) بعلم اليقين\* (كما في قوله تعالى) ورأى المجرمون النار فظنوا نهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً<sup>(11)</sup> (ويقدم في أيّهِ أخرى صورة للإنسان في يوم القيامة وقد عرضت أمامه الجنة والنار وذلك ما يعرف) بعين اليقين (كما في قوله تعالى) ولو ترى أذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً أنا موقنون<sup>(12)</sup> (أذاً فما الذي أبصروه وسمعوه؟ ولماذا لم يدركوا ذلك من قبل؟ أن الإبصار والاستماع قد وقع بالعين المجردة فالنار وحرارتها وزمجرتها والجنة ونعيمها وبردها تم عرضها عياناً يقيناً واقعاً ملموساً ولم تعد متخيّلة ومتصوره كما كانت في الحياة الدنيا.

ويقصد بالتجسيم , تجسيم المعنويات و أبرزها أجساماً أو محسوسات على العموم وطريقة التجسيم هي الأسلوب المفضل في تصوير القرآن الكريم , ويظهر التجسيم واضحاً جلياً في قوله تعالى) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها<sup>(13)</sup> (فقد تجسم ذلك الحاجز المعنوي كأنما هو مانع حسي كما في كلمتي) التدبر (و) أقفال).

وقد يجتمع التخيل والتجسيم في المثال الواحد في القرآن فيصور المعنوي المجرد جسماً محسوساً ويتخيّل حركه لهذا الجسم كما في قوله تعالى) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ف اذا هو زاهق<sup>(14)</sup> (وبهذا فقد تحول المعنى) الحق (جسماً مع تخيل حركة هذا الجسم) بالقذف (والدفع<sup>(15)</sup>)

وتاريخياً يمكن القول أن الانسان البدائي الأول عرف الصورة وقام برسمها وحفرها على جدران الكهوف ليشير إلى من بعده بتصور ما كان يشاهده في حياته اليومية, وقد عثر الأثاريون على صوراً للشمس وللقمر و

للأسماك والحيوانات محفورة على جدران كهف) شانيدار (و) هزارمرد (في جبال العراق الشمالية<sup>(16)</sup> وكذلك الحال في كهوف) لاسكو (بفرنسا<sup>(17)</sup>)

وقد استخدمت الصورة في مدن سومر وبابل وأشور في حضارات وادي الرافدين وكذلك في مدن حضارات وادي النيل وفي المدن الأغريقية بشكل بارع إذ تم توظيفها لتعكس بطريقة فريدة الفكر الديني والسياسي والعسكري والاجتماعي لتلك الحضارات انذاك<sup>(18)</sup>

ويعد) أرسطو (أول من وضع الركائز الأساسية حول مفهوم الصورة عندما جعل من الصورة صلة الوصل بين الخيال و الإدراك, فالصورة أصبحت عند أرسطو) هي ما يتحدد به الشيء وهي مقابل المادة فليس هناك صورة ألا في ذهن .<sup>(19)</sup>

وقد برع شعراء العصر الجاهلي في استخدام الصورة في أشعارهم وخاصة المعلقة السبع التي كانت تعلق داخل الكعبة لشرفها عندهم واعتزازهم بها وكانت تثير عند القارئ خيلاً واسعاً يمتد من وصف حياة القبائل في الرعي والقتال والحب حتى التفاصيل الدقيقة للبيئة الصحراوية التي ترسم صورة محسوسة مليئة ب المشاعر النفسية الحقيقية وذلك يمكن ملاحظته في شعر عنترة بن شداد العبسي بقوله المأثور:

وددت تقبيل السيوف لأنها برقت كبارق ثغرك المتبسم

فالمقارنة بين لمعان السيوف والثغر الباسم يرسم صورة واضحة في ذهن القارئ تبين قدرة ذلك الشاعر الفذة في التصوير الشعري البديع.<sup>(20)</sup>

وقد برع العلماء العرب المسلمون الأوائل في تقديم تعريفات عديدة للصورة, فالصورة لها ثلاثة معان رئيسة هي) الشكل والهيئة(و) حقيقة الشيء(و) صفته<sup>(21)</sup> )

والصورة لها وجوداً وجود خارج الذهن يسمى العيان ووجود في الذهن يسمى التصور لذلك فان صور الأشياء الموجودة في عقل الإنسان تسمى بالتصور.<sup>(22)</sup>

والصورة هي نوعان: الصورة الجسمية والصورة النوعية إذ أن كيفية حصول صورة الشيء في الذهن هي الصورة الذهنية لأن كل ما هو حاصل في العقل فلا بد له من تشخيص عقلي والصورة الخارجية هي صورة الشيء عند تواجدها في الخارج. (23)

وتمكن العلماء في العصر الاسلامي من التفريق بين المعرفة، والعلم، والشعور والأحاساس، والوجود، والادراك بوصفها المكونات الأساسية التي تسهم في رسم الصورة المتخيلة في الذهن: فالمعرفة هي حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس. والعلم، حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة تشبه تصورة، والعلم يشبه التصديق، أما الوجود فهو الظفر بحقيقة الشيء. (24)

وبناءً على ما تقدم فيمكن أن نستنتج أن الاستخدامات الأساسية لمصطلح الصورة تتوزع على معنيين أساسيين الأول: الشكل الخارجي والذي يشمل الهيئة، التمثال الصفة، الشبه، والثاني: الماهية المجردة وما يتحدر عنها من معان في الذهن والخيال والعقل.

#### ثانياً: الصورة الذهنية، الصورة النمطية والفرق بينهما .

أن مصطلح الصورة الذهنية يقابله في اللغة الانكليزية (Image) التي تعني انطباع، فكرة ذهنية، صورة، فكرة، تمثيل في الذهن (25).

أما مصطلح الصورة النمطية فيقابله في اللغة الانكليزية كلمة (stereotype) التي تعني الرموز المشتركة للجماهير مثل الحكم والامثلة و الأساطير أي أنها التصورات التي عند الناس لأشياء معينة وكذلك تعطي هذه الكلمة معنى القوالب الجاهزة. (26)

وللصورة الذهنية تعريف يدل على أنها تمثيل منظم لموضوع ما في النظام المعرفي للفرد، وهي بنية تراكمية من السمات التي تميل نحو التجانس، فهي تمثل نموذجاً مبسطاً لبيئة الفرد وتتشأ من تلقي الفرد رسائل

عن طريق الاتصال المباشر وغير المباشر وتتميز هذه السمات بأنها تشكل واقعاً صادقاً لأصحابها ينظرون من خلاله ويعرفون على أساسه<sup>(27)</sup>

وأكد بعض الباحثين على أن الصورة الذهنية هي مجموعة من المدركات التي استقرت في مساحة الوعي بحيث تحكم ردود الفرد تجاه موضوع الصورة<sup>(28)</sup>. وهناك من يعرفها على أنها مواقف سلبية أو رافضة تتخذ تجاه شخص أو جماعة من الأشخاص حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقولبة على صفات محددة أصلاً يصعب جداً تصحيحها بسبب الجمود والعناء وألشحنات الانفعالية<sup>(29)</sup>

وأشار بعضهم الى أنها السمات الشائعة الثابتة التي تسري على شعب ما من جانب شعب آخر والتي تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية والتي تصاغ على أساس غير علمي او موضوعي, تأثراً بأفكار متعصبه تنسم بالتبسط في تصورهما لأخر<sup>(30)</sup>.

سمات الصورة الذهنية:<sup>(31)</sup>

اولاً: تنسم الصور الذهنية بان لها أطاراً زمنياً سابقاً بمعنى أن الصورة الذهنية قديمة التكوين, أي أننا لا نطلق على معرفة حالية صورة ذهنية.

ثانياً: تنسم الصورة الذهنية بان لها أطاراً ذاتياً حسيّاً, بمعنى أن الصورة الذهنية تتبع من مقدرة الانسان الحسية, أي قدرة الانسان على استيعاب المثير أو التعرض له) ما يمتلكه الفرد من قدرات حسية.

ثالثاً: تباين الصور الذهنية, بمعنى ان الصورة الذهنية تختلف من فرد الى آخر ومن جماعة الى أخرى ومن مجتمع الى آخر ألا أنها قد تتقارب في أذهان الافراد مكونة صورة ذهنية متماثلة لجماعة أو مجتمع ما, وهذا التباين يرجع الى القدرات الحسية المتباينة للأفراد.

رابعاً: تنسم الصورة الذهنية بالعاطفة. على الرغم من أن ذلك لا يعتمد شرطاً أساسياً في الصورة الذهنية, وليست العاطفة في جميع الأحيان مقياساً للصورة الذهنية) سلبية, ايجابي



**خامساً: الصورة الذهنية مكونة للاتجاه، بمعنى أنها احد مصادر بناء وتكوين الاتجاه.**

**سادساً: الصورة الذهنية ديناميكية، بمعنى انها متغيرة غير ثابتة سواء أكان التغيير بطيئاً أم سريعاً وهذا التغيير ناتج عن تفاعلها مع مثير جديد.**

**سابعاً: الصورة الذهنية أداة تحكم، بمعنى أنها بمثابة مقياس يحدد ويضبط السلوك و الأحكام أو ردود الأفعال ازاء المثير.**

**ثامناً: الصورة الذهنية مكونة للصور، بمعنى أنها تكون وتنشئ صوراً ذهنية جديدة دون الحاجة الى اللجوء الى القدرات الحسية، بناءً على تملكه من صور ذهنية سابقة تكونت بفعل مثير حسي.**

**تاسعاً: الصورة الذهنية تفكير استدلالي، بمعنى الانتقال من الخاص الى العام مثير — <صور ذهنية> — <حكم> (ويعد التفكير الاستدلالي أكثر أنواع التفكير شيوعاً).**

### أنواع الصورة الذهنية:

تتراكم الصور الذهنية لتكوين مخزوناً خاصاً بها تسمى أحياناً اللاشعور، ويتم تصنيف وتجميع هذه الصور في مجموعات ترتب وفق تصنيف التضمين والاحتواء في الذهن الى ثلاثة اتجاهات رئيسية (32)

**أولاً: الصورة بوصفها نسخاً ذهنية للأحاسيس**

الرؤية، السمع، الرائحة، الغرائز (القدرات الطبيعية، الروحية) ويضم أيضاً متخيل اللاوعي

**ثانياً: المتخيل الذهني بوصفه يتوسط المثير من العالم الخارجي من جهة والاستجابية من جهة أخرى، وهنا تكون الصورة الذهنية تركيب افتراضي ينجم عن حقيقة أن المداخلات (السايكولوجية) المثيرات (تختلف عن المخرجات (الاستجابات)**

ثالثاً: المتخيل الذهني بوصفه مشاعر) سلوك وأحاسيس مستثارة (أي بمعنى تلك التي تحدث في غياب أي مؤثر عدا الصورة الذهنية.

وعلى وفق ذلك فإن الصورة الذهنية تتولد في ذهن وتتنصف الى تصنيفات وأنواع متعددة تختلف تبعاً لمصادر تكوينها لسمات وخصائصها التي بنيت عليها.

لذلك لا يوجد تصنيف ثابت ومستقر لأنواع الصورة الذهنية وهي في ذلك شأنها شأن تحديد مفهومها تختلف من حقل معرفي الى آخر فمثلاً نجد ان الصورة الذهنية في علم السياسة تقسم الى<sup>(33)</sup>:

- صورة ذهنية قومية.
  - صورة ذهنية نمطية مقولبة.
  - صورة ذهنية لمرشح انتخابي.
  - صورة ذهنية للأحزاب.
  - صورة ذهنية لحدث سياسي.
- وفي الفلسفة فإن أنواع الصور الذهنية تتحدث في الإدراك و الفهم<sup>(34)</sup> مثل الصورة الذهنية المدركة في ضوء ربط العلاقات والصورة الذهنية التذكرية، أما في علم النفس فنجد أنواعاً عدة للصور الذهنية مثل<sup>(35)</sup>:
- الصورة الذهنية المكونة للاتجاه.

- الصورة الذهنية المتخيلة.
- الصورة الذهنية المقولبة.

وهناك من صفات الصور الذهنية الى خمسة أنواع:<sup>(36)</sup>

- الصورة المرأة: وتعني صورة الواقع الذي يرى فيه المصدر نفسه.
- الصورة الحالية: وتعني الصورة التي يرى الجمهور فيها المصدر.
- الصورة المرغوبة: وتعني الصورة المراد بناؤها في ذهن الجمهور.
- الصورة المثلى: وتسمى بالمتوقعة أيضاً وتعني أفضل حالات الصورة المرغوبة.

وفيما يتعلق بموضوع بحثنا فسننتظر بالشرح والتحليل للصورة الذهنية المكونة للاتجاه

### الصورة الذهنية المكونة للاتجاه:

يعرف الاتجاه بأنه الميل أو الاستعداد الذي يوجه السلوك ويضفي عليه معايير موجبة أو سالبة بالنسبة لبعض ظواهر البيئة تبعاً لانجذابه ونفوره عنها<sup>(37)</sup>.

ويتكون الاتجاه أما بالتعرض لموضوع الاتجاه أو بالتفاعل مع الآخرين الذين يتمسكون بهذا الاتجاه، أو بوجود استعدادات فردية، أما أهم الطرق التي يكتسب بها الفرد اتجاهاته فهي تعميم الخبرات لأن الاتجاهات نتاج للمواقف التي واجهت الفرد والخبرات التي مرت به واستجاباته نحوها<sup>(38)</sup>. وعلى هذا الأساس فإن الصورة الذهنية التي يمتلكها الفرد تحدد الأطار المرجعي للتعامل مع مكونات الاتجاهات إذا شار عدد من باحثي علم النفس إلى أن مكونات الاتجاه تقترب إلى حد كبير من المكونات الصورة الذهنية. ومن ثم فإن محددات ومرجعيات الاتجاه تتضمن وتحتوي مرجعيات ومصادر تكوين الصورة الذهنية.

وفي هذا السياق فإن التعميمات التي تدخل ضمن إطار الصورة الذهنية المكونة للاتجاه تتحد في نوعين رئيسيين.

#### ١. الصورة الذهنية السياسية:

تعد الصورة الذهنية السياسية من أحدث أنواع الصور الذهنية من حيث التعامل مع الجمهور ومن حيث خضوعها للبحوث والدراسات الاجتماعية والنفسية، وأذا كانت العلاقة العامة تؤدي دوراً مهماً في بناء الصورة الذهنية للمنظمات والهيئات المختلفة فهي تقوم بالدور نفسه بالنسبة للأحزاب والشخصيات السياسية في المجتمعات المختلفة<sup>(39)</sup>.

#### ٢. الصورة الذهنية الدينية:

يقوم الدين برسالته الكبرى و التي لا يمكن أن يضطلع بأعبائها وغيره، ولا تحقق تلك الرسالة أهدافها البناء وغرضها الرشيدة ألا على أسسه وقواعده فيربط بين المقياس الخلقي الذي يضعه للانسان وحب الذات المتركزة في فطرته<sup>(40)</sup>.

بمعنى أن الدين يحدد القوانين والقواعد و الانظمة التي تحدد سير الاتجاه، وتعمل الصورة الذهنية الدينية كاتجاهات تقود الى الأيمان وأتباع تعليم الدين<sup>(41)</sup>.

وعلى هذا الاساس فإن الصورة الذهنية الدينية ترسم للفرد اتجاهاته وانماط سلوكه الاجتماعي اذا ما امتلك صوراً ذهنية دينية كونها لنفسه في إطار مكونه المعرفي أو العاطفي أو المكتسب، وفي هذا المجال فإن خصائص الصورة الذهنية الدينية هي:

- الصورة الذهنية الدينية صورة نمطية دائماً مع وجود بعض الاستثناءات والتي تشكل معياراً عاماً.
- الصورة الذهنية الدينية كأطار مرجعي للاتجاه الديني يحدد على أساسها الفرد الاحكام والقرارات العقائدية.
- تتسم الصورة الذهنية الدينية بأنها انتقال للتراكمات المعرفية وفق التفاعل الاجتماعي (تنتقل من جيل الى جيل)
- تتصف الصور الذهنية الدينية بأنها ثابتة مستقرة صعبة التغيير.
- خصائص الصورة الذهنية النمطية:
- الصورة الذهنية النمطية ثابتة مستقرة غير متحركة في الذهن.
- تتصف بقدرتها على مقاومة التغيير.
- تتسم بكونها عميقة متجذره في الذهن.
- الصورة الذهنية النمطية تسوغ اتخاذ القرارات الحاسمة.
- تتميز بكونها سريعة الاستحضار في ضوء تقنيها للفكرة.

- كلما كان البناء المعرفي للصورة الذهنية النمطية ذا معلومات صادقة وحقيقية كانت أكثر ثباتاً واستقراراً، وكلما كان بناؤها المعرفي ذا معلومات غير دقيقة أصبح تغييرها اقل صعوبة.
- تتصف الصورة الذهنية النمطية بكونها من انواع التفكير السلبي.
- قد تكون الصورة الذهنية النمطي مضللة بعض الاحيان في اتخاذ الاحكام.

أما الصورة النمطية فمن أصلها اللغوي هي صورة ثابتة مترسخة في العقل الأنساني ترفض التغيير أو تجاوز هذه الصورة و أقصائها من مساحة الوجدان مما اعقد وأصعب الاجراءات:(42)

والصورة النمطية تعرف كذلك بأنها) تصور يتصف بالتصلب والتبسط المفرط لجماعه ما يتم على ضوءه وصف الأشخاص الآخرين الذين ينتمون الى هذه الجماعة, وتصنيفهم استناداً الى مجموعة من الخصائص والسمات المميزة لتلك الجماعات (43).

وهناك من يرى أن الصورة النمطية هي حكم قيمة سلبي أو ايجابي مفرط البساطة والتعميم يقترن بفئة من الناس) قومية,دينية,بين جماعه مهنية.. الخ ( متجاهلاً الفرق بين أعضاء تلك الفئة ويصعب تغييره في معظم الأحيان ولا تقدم الصورة النمطية بوظيفة أخبارية بل بوظيفة توجيهية، إذ تقوم بالتوجيه لتصنيف الناس أو الأبناء أو الأحداث عبر أنشاء غير مقصود لدفعهم الى الشعور والتحرك بالطرق المقترحة للتصنيف وما تحمله من معادن. فالانسان محكوم بالزمن والمكان الثقافي والحضاري وبالتالي فهو يصنف ثم يرى لان استيعاب المبيئة المحيطة وتفسير مايدور حوله من ظواهر بشكل صحيح هي عملية صعبة جداً(44).

أن المقارنة بين استخدامات مفهوم الصورة النمطية في سياق علم النفس الاجتماعي تؤثر مدى التداخل الحاصل بين المفهومين والاستخدام المتبادل بينهما احدهما بدلالة الآخر أحياناً بيد أن الاستنتاج المنطقي يشير الى

العلاقة بين الصورة الذهنية والصورة النمطية هي علاقة الكل بالجزء، وإن مفهوم الصورة الذهنية أكثر سعة وشمولاً من مفهوم الصورة النمطية التي ترتبط بالدرجة الاساسي بعملية التخطيط ودراسة الاتجاهات وبناء نظرية التعصب، أن صورة الجماعة الخارجية) النمطية (لا ينظر إليها على اساس صدقها أو كذبها بل على اساس تناسبها مع أهداف ومصالح الجماعات ألدخلية بعبارة أخرى ربما تحتوي أو لاتحتوي السمات الموجودة في الجماعة النمطية، بين ان صدق او كذب هذه السمات ليس شيئاً مهماً بالنسبة لتنظيمها في الصورة النمطية<sup>(45)</sup>.

ان مصطلح الصورة الذهنية يعني مطلق الصورة الذهنية عن الحياة ولاشخاص، وهي اعم واشمل من الصورة النمطية، فضلاً عن انها تتغير وتتبدل من وقت الاخر من حين أن الصورة النمطية أكثر خصوصية في دلالتها عن الصورة الذهنية لأنها تتسم بالثبات والجمود وتعد مرحلة لاحقة لمرحلة تكوين الصورة الذهنية.

وأوضح الباحثون أن الفرق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية يكمن في نقطتين أساسيتين هما<sup>(46)</sup>.

- أن الصورة الذهنية يمكن تغييرها حين أنها تتسم بالثبات السبي، أما الصورة النمطية فهي تقاوم التغيير ومن الصعب تغييرها.
- غالباً ما تكون الصورة النمطية متميزة في الغالب سلبية عكس الصورة الذهنية التي تكون ايجابية. وفي ظروف أخرى سلبية.

يتضح من هذا أن الصورة الذهنية تختلف عن الصور النمطية في أنما يمكن أن تتحول الى نمط ذات ما تمت الأضافة عليها وصححت المعلومات وبالتالي فإن كون الصورة الذهنية أم نمطية ليغير على مسألة أساسية ألا وهي كونها ذات تركيبة مفتوحة أو مغلقة ، كما أن هناك من يرى في الصورة الذهنية حقيقة ذاتيه أو ما يعتقد أنها الحقيقة وذلك بعزلها عن الحقيقة الموضوعية وهي توجه السلوك وتكون عرضه للتغيير بفعل

الاحداث التي تؤثر على الصورة الذاتية للفرد وبعبارة أخرى فإن الصورة الذهنية هي أوسع واشمل من النمطية في حين تبقى الأخيرة حكم قيمة سلبية أو ايجابية بالغ البساطة والتعميم يقترن بفئة من الناس كما اشرنا سابقاً ويصعب تغييره في معظم الأحيان.

وهناك من يفرق بين الصورة الذهنية والذهنية النمطية على أساس وجود فروق وتباين في خصائص ومكونات ومصادر احدهما عن الأخرى, ألا أننا نرى بان الصورة الذهنية النمطية هي جزء من الصور الذهنية التي هي اعم واشمل, والصور النمطية هي احد تصنيفات الصورة الذهنية تمتاز مع بقية الأنواع لتصبح بعض الأحيان احد سمات أنواع الصورة الذهنية الأخرى وننتقل في هذا على أساس مأتي:

- أن الصورة الذهنية هي الأساس المكون للصورة النمطية, بمعنى ان الصورة الذهنية النمطية لا تتكون ابتداء لأنها ناتج لتراكم الصورة الذهنية المجردة ومن ثم تتحول الى صورة ذهنية نمطية بفعل العوامل المكونة لها) التكرار, التجذر, المدة الزمنية, التفاعل الاجتماعي)
- أظفاء صفة النمطية على بعض الأنواع الأخرى للصورة الذهنية حيث تصبح النمطية احد خصائص النوع مثل الصورة الذهنية النمطية القومية, أو الصورة الذهنية النمطية المقولبة.
- عندما تتغير الصورة الذهنية النمطية عن شخص ما أو فكرة أو ظاهرة أو أي شيء آخر فإنها تعود لتصبح صورة ذهنية مختلفة أو مصححة أو أنها تختفي بشكل نهائي لتتولد مكانها صور ذهنية جديدة.

#### تكوين الصورة الذهنية....مصادرها ومكوناتها

أن عملية تكوين الصورة الذهنية هي عملية حركية تتغير وتتبدل بحسب تطوير الواقع الاجتماعي وتغير الأوضاع الاقتصادية والظروف السياسية والثقافية لذلك فهي لا تتصف بالثبات والجمود ونما تتسم بالموازنة والتفاعل

المستمر فتنطور وتنمو وتتسع وتتعدد وتتعمق وتقبل التغيير طوال الحياة<sup>(47)</sup>.

ويتفق الباحثون الغربيون على ان الصورة الذهنية هي نتيجة لكل تجربة الماضي لمالك الصورة الذهنية منذ لحظة الميلاد اذ يتلقى الكائن الحي تياراً مستمر من الرسائل الشفوية عن طريق الأحاسيس ثم يبدأ الإنسان بعدها بادراك نفسه وسط عالم الاشياء ويكون هذا بداية التصور<sup>(48)</sup>.

ويعتمد الانسان على العالم المحيط با لصورة أساسية كمصدر من مصادر الصورة التي يستمدّها ويخزنها وكذلك على الناس المحيطين به كالعائلة والمدرسة والمؤسسات الدينية والاجتماعية التي يرتبط بها، ويعتمد الانسان في تكوين تلك الصورة بناء على تجارب منقوصة ربما يكون قد خاضها بنفسه أو توصل إليها عبر تجربة شخص آخر وقد تكون على أساس معلومات مشوهة أو مبالغ فيها، وأذا ما اقترنت تلك المعلومات بالصورة المخزنة في الذاكرة تصبح لدى الشخص في هذه الحالة أحكاماً مسبقة وعندما تتوفر معلومات تتناقض ما يحمله لشخص في أفكار وتصورات فانه يمر بحالة صراع بين ما يحمله من صورهن خلاصه معلومات أدراكية و عاطفية وبين المعلومات المتوفرة لديه حينها يقوم أما بتعديل أو تقريب أو تغيير الصورة السابقة تماشياً مع المعلومات الجديدة وأما ان يتجاهل تلك المعلومات ويتمسك بقوه بصورة السابقة وفي الحالة تتحول الصورة من درجه الحكم المسبق الى التتميط وتصبح الصورة نمطية<sup>(49)</sup>.

وتتألف الصورة الذهنية من تكون كثير من المعلومات والحقائق والمعارف والاتجاهات النفسية والتصورات والأنماط الجامدة ويتم اكتسابها عن طريق الخبرة أمتزجة لدى الأفراد عبر سنوات حياتهم، وتيأثر تكوين الصورة الذهنية البيئية التبعيش فيها الفرد وموقعه من العالم الخارجي وطبيعته الوقت ونوعية المعلومات التاريخية للحضارات الأنسانية وطبيعة العلاقات الشخصية الأسريه والسلوكيات السائدة في المجتمع ونوعية المشاعر



والأحاسيس الانفعالية وتتأثر الصورة الذهنية بمجموعة من العوامل التي تؤدي، أحداث تغييرات فيها السلب أو الأيجاب أهما الحروب والكوارث والأحداث السياسية المهمة<sup>(50)</sup>.

وتتأثر الصورة الذهنية كذلك بالأحداث المتراكمة التي يستغرق حدوثها فترة طويلة ومن هنا تظهر خطورة وسائل الاعلام في تشكيل الصورة للأفراد وجعلها تشكل أالطار الدلالي لديهم عن طريق المعلومات ولأراء التي تنشرها وتذيعها في اطار اهتمام الوسيلة بموضوعات معينة وأغفال<sup>(51)</sup>.

ويعتبر التعميم والتكرار والمدلول الخلفي او الاجتماعي والتطابق على جماعة بأسرها هي اهم العناصر المكونة للصورة المقولبة<sup>(52)</sup>.

#### صناعة الصورة الذهنية ووسائل الاعلام....

تعد وسائل الاعلام أهم القنوات التي تسهم في صناعة وترسيخ الصورة الذهنية في أذهان الناس وتكتسب هذه الوسائل اهمية كبرى في تكوين الصورة الذهنية بسبب انتشارها الواسع وقدرتها البالغة على الاستقطاب والأبهار، وتعتبر أيضاً الصور الرئيس للمعلومات والمعرفة عن الدول الأجنبية والأحداث العالمية فهي تضخ يومياً تياراً جارفاً من الاخبار ووجهات النظر والصورة والعناوين التي من شأنها ان تؤدي خلق الصورة وتدعيمها سواء أكانت صوراً ذهنية أو صور نمطية فضلاً عن أنها تقوم بتقديم المعلومات وفقاً لأهوائهم لسياستها<sup>(53)</sup>.

أن توجيه وسائل الاعلام للمعلومات هي إحدى أهم الطرق المؤثرة في صناعة الصور لدى مجتمع عن مجتمع آخر وتكمن هذه الأهمية في سببين هما<sup>(54)</sup>.

- أن القائمين على وسائل الاعلام يختارون المعلومات وفقاً لأهوائهم السياسية الامر الذي يزيد من التغيير على الصورة المشوهة أصلاً.
- ادعاء هؤلاء الاعلاميين او وسائل تلعب دوراً تثقيفياً بين الجمهور.

وتؤدي وسائل الاعلام دوراً مهماً في صناعة الصورة الذهنية عن قضاياها بالحياة المختلفة فهي الوسيلة الرئيسة لنقل الصورة والآراء والأفكار، وتدعم وسائل الاعلام الصورة الذهنية الموجودة سابقاً في أذهان الأفراد فتضفي عليها بعداً أوسع نطاقاً وثقة إضافية، ويعتبر دورها في تدعيم الصور اكبر ما يدورها في تغيير وتعديل هذه الصورة كما أنها تؤدي دورها مهما في خلق صورة ذهنية عن الموضوعات الجديدة التي لا يمتلك الفرد عنها أية معلومات<sup>(55)</sup>.

ويمر دور وسائل الاعلام في صناعة الصورة الذهنية بثلاث مراحل هي:

- القيام بخلق صوراً جديدة لم تكن موجودة أصلاً.
  - العمل على تقوية وترسيخ التصورات الموجودة.
  - اجراء تحويل وتغيير للتصورات الموجودة.
- وتبرز أهمية وسائل الاعلام في صناعة الصورة الذهنية في:
- أن معظم الناس يستقون معلوماتهم بنسبة 70% من وسائل الاعلام في بناء وصناعة صور العالم المختلفة<sup>(56)</sup>.
  - لا يستطيع الانسان الهروب من الرسائل الاعلامية التي تبثها وسائل الاعلام فهي ممتدة افقياً وعمودياً ومنتشرة بشكل يحاصر الانسان ويخضعه للتعرض لتأثيراتها<sup>(57)</sup>.
  - قدرة وسائل الاعلام على تفسير الاحداث والحقائق التي تجرى في العالم يومياً وبلورتها في صورة معينة وهذا يوفر جهداً على الفرد في التفكير والتحليل<sup>(58)</sup>.

وتلعب وسائل الاعلام ثلاثة ادوار في صناعة الصورة الذهنية وهذه الادوار هي أن تكون ساحة أو طرفاً أو اداة لطرح التصورات، اذ تلجا الحكومات والقوى السياسية المختلفة لاستخدام وسائل الاعلام كساحة تطرح فيها تصوراتها او قد توظفها كاداة لدعم أو تثبيت تصوراتها أو قد

تكون ظرفاً فعالاً له مفاهيمه وتصوراته , وقد تتداخل الحالات الثلاث وتتفاعل لتصبح وسائل الاعلام ساحة وأداة و طرفاً في الوقت ذاته<sup>(59)</sup>.

وتؤدي الأنظمة السياسية دورها في صنع الصورة الذهنية في عقول الافراد ومن خلال توجيهها لوسائل الاعلام المختلفة, فهذه الصورة لا توجد من الفراغ وهي ليست عشوائية, وإنما الدولة هي التي تشجعها وتفرضها حسب أهدافها السياسية وهي تقدم تغييرها عندما يناسب ذلك أغراضها من خلال أساليب اعلامية متعددة<sup>(60)</sup>.

ويمكن أجمال أهم الأساليب التي تستخدمها وسائل الاعلام في صناعة الصورة الذهنية على النحو الآتي:

• انتقاء الأحداث والمعلومات:

ان توجيه القائمين على وسائل الاعلام للمعلومات هي احد الطرق المؤثرة في تكوين الصورة في عقول الآخرين او هؤلاء القائمون هم الحكومة والنخبة الحاكمة في وسائل الاعلام الذين يختارون من بحر المعلومات الواردة ما يناسب اهتماماتهم ويخفون ما لا يريدون نشره وتوزيعه وعملية اختيار المعلومات لتكوين الصورة عن أمة ما هي عملية مهمة لان هذه المعلومات يختارها القائمون بحسب اهوائهم السياسية ومعتقداتهم الاخرى الذي يزيد من ترسيخ الصورة الذهنية السابقة عن الامم<sup>(61)</sup>.

وينتقي الاعلام الغربي من بين أطنان الأخبار اليومية ما يروق نشره والتركيز عليه وهو ينقل عن بلدان العالم الثالث ما يؤيد النظرة الامبريالية ازاء هذه الدولة وكل ما من شأنه إعطاء صورة سلبية عنها<sup>(62)</sup>.

أما ناشرو الاعلام ومالكوه فأنهم يفسرون عملية الانتقاء بنها ضرورية للبقاء في عالم التنافس والانتشار السريع لذلك فهم يفصلون انتقاء الأخبار المألوفة والشعبية والمدهشة والمفهومة عند فئات عريضة من الجمهور<sup>(63)</sup>.

لان هذه الاخبار الشعبية والمألوفة قد تكون

- اخبار تعزز الصورة الثابتة لبعض الجماعات.
- تلوين الحقائق وتحريفها:

تلجأ المؤسسات الاعلامية بعد انتقاء الخبر الى تلوينه وتحريفه من اجل ان يعرض ويفسر لمصلحة الوضع القائم، وتلوين الخبر هو تعمد ابراز وجه خاص منه وأخفاء وجه وقد تلجأ لبعض الوسائل الاعلامية الى تشويه الخبر و ابراز معنى اخر غير الذي يقصده قبل التحريف ويؤدي هذا التشويه الى تكوين صورة ذهنية خاطئة عن الاحداث في اذهان المتلقين، فهناك العديد من الاحداث التي تقع في العالم تحتل تفسيرات متعددة ووجهات لنظرات مختلفة.

- استخدام عبارات ومصطلحات خاصة:

تقدم وسائل الاعلام للجمهور عالمياً معيناً ومصنوعاً من الكلمات وتراهن على عادات المتلقي في الاعتقاد انه حيث توجد الكلمات هناك وقائع تقابلها، فكلمة الاصولية الاسلامية، والمتطرفين، والمتشددين، والارهابيين مصطلحات خاصة مصنوعة بدقة فائقة ودراسات مستفيضة لتوحي بالكثير من المعاني والصور الذهنية.

- التركيز على أحداث معينة:

تشير نتائج الدراسات الى ان الرسائل التي تكرر بصورة متنوعة يتذكرها الفرد اكثر من غيرها ولكي لا يسأم الجمهور من هذا التكرار فأنها تلجأ الى تنوع المضمون نفسه بالشكل مختلف وقد اتبعت الصهيونية العالمية استراتيجية اعلامية ترمي الى تشويه صورة الاسلام و المسلمين وتقوم بدعم هذه السلبية باستمرار، أذ أن هذه القولية السلبية تتم بصورة منظمة تقف وراءها جمعيات ومؤسسات لا تقوم با دارة عملياتها الاعلامية فحسب بل تمارس فضلاً عن ذلك مهمة رسم السياسة الأمريكية تجاه العالم العربي<sup>(64)</sup>.

وتتکامل أساليب أخرى مع الأساليب الأنفة الذكر لتسهم في تكوين صورة ذهنية لدى الأفراد الأكثر اعتماداً على وسائل الاعلام في أنتقاء المعلومات وهذه الأساليب هي<sup>(65)</sup>.

• شخصية المواقف والأحداث :

هي اتجاه الإعلاميين نحو جعل المواقف والأحداث نتائج أفراد أكثر منها نتاج مجتمعات أو مؤسسات, ونقل الحدث بدون تقديم السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ينتج من خلالها وفي سياقها, وحجة الاعلامين في هذا هو خوفهم من هروب الجمهور من التعرض للرسائل الاعلامية التي تركز على التحليلات العميقة فضلاً عن سهولة متابعة الجمهور للاخبار المشخصة وسهولة فهمها.

• أضعاء الطابع الدرامي على المواقف والأحداث:

تقوم وسائل الاعلام في العادة أخبارها على شكل قصص أخبارية لها شخصياتها وحبكتها بصورة مختصرة أشبه ماتكون)بالميلودرامية\*(وهي تلقي اهتمامات الجمهور العاطفية من خلال الشخصيات والحبكات.

• تمييط الأحداث والمواقف :

وتتم من خلال تقديم وسائل الاعلام لتفسيرات نمطية للمواقف تؤدي الى تمييط الأحداث والمواقف.

• تجزئ المواقف والأحداث:

ويعني تجزئ الأخبار اي عزل القصص الاخبارية عن بعضها البعض الآخر وعدم ربطها لذلك فهي تبدو منفصلة ومن الصعب جمعها في إطار واحد.

## صورة الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية.

أولاً: نظرة تاريخيه...

قبل الخوض في الجذور التاريخية لصورة الاسلام و المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية لابد من القول ان الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام قد نشأت وتطورت في الوطن العربي. وكان ينظر الى الوطن العربي أبان حكم الدولة العربية الاسلامية من القرن الثامن عشر ميلادي على انه عنوان الحضارة الانسانية وتشمل الاسهامات العربية الكثير من فروع المعرفة في ذلك الوقت حيث كان العلماء العرب هم الأوائل في ميادين الرياضيات وأبتكروا نظرية الجبر والنظام العشري وادخلوا الصفر وكذلك الأعداد العربية، وادخل العرب التجارب ألمختبرية في علم الكيمياء، وعملوا على تحسين طرق التكلس والاختزال الكيمياوي والتبخير والأنصهار والتسامي، ونشأت حركة الترجمة من لغات الأمم الأخرى الى اللغة العربية وتأسست مكتبه) بيت الحكمة(في العصر العباسي لنقدم علوم ومعارف الحضارات المختلفة الى جميع العلماء والباحثين وازدهرت حركة التواصل بين المجتمعات مما أدى الى انتشار الاسلام وثقافة السلام والمحبة والأخوة الانسانية.

وكان لموقع الوطن العربي كمعبر وحلقة وصل بين القارات الثلاثة أسيا وأوربا وأفريقيا واكتشاف النفط والمعادن في بلدانه , اهمية إضافية في التجارة الدولية والسياسة العالمية<sup>(66)</sup>.

ويرى بعض الباحثين الفرنسيين ان الحضارة الاسلامية لم تكن مجرد اله حربية وانما اقام المسلمون بصفتهم نخبه فاتحة،وحدة من الايمان والثقافة واللغة على مساحة تجاوزت الأمبراطورية الرومانية واعتقتها أعداد هائلة من الشعوب وبلغ التقدم الحضاري الاسلامي مرحلة سبقت كثيرا المرحلة الأوروبية.

فكانت مدنها كبيرة المساحة وفاتقة العمران وجيدة الانارة وفيها نظام لتصريف المياه وقد ضم بعضها جامعات ومكتبات عامة وجوامع جميلة الطراز كما امسك المسلمون قصب السبق في علوم الطب والفلك والتجارة والصنائع وغيرها<sup>(67)</sup>.

أن تشويه صورة العرب والمسلمين ليست وليد عصرنا الراهن عصر الاعلام بوسائله المتعددة و إنما صاحب هذا التشويه العرب المسلمين منذ عصر الرسالة الاسلامية حيث كان الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم والدين الاسلامي هدفاً لهذا التشويه فكانت العداوة للإسلام أهم العوامل المحركة لتشويه صورة العرب المسلمين وقد ظهر ذلك جلياً في كيد اليهود ودسائسهم ومكرهم ومحاولاتهم المتعددة لقتل الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم واتهامه بالجنون والسحر و الكهانة.

ان جذور رؤية الغرب الراهنة للإسلام والمسلمين تعود الى القرن الحادي عشر الذي شهد بداية الحروب الصليبية والمراحل الأولى لنشأت الهوية الغربية الحديثة ذلك ان الاوربيين في تلك المدة كانوا محاصرين بحضارة أكثر قوة وتقدم وهي الاسلام وانهم فشلوا في مقاومة هذه الحضارة خلال الحروب الصليبية كما رفضوا فهمها لكن لديهم شعور دائم بتهديدها الحضاري والديني لهم لذا لعب الاسلام دوراً أساسياً في تشكيل الهوية الأوربية ومن ثم الغربية الحديثة.

وقد لعب الاسلام دوراً شبيهاً بنجاتيف الصورة ( في تشكيل رؤية الأوربي المسيحي المثالية لنفسه, أذ عمد الأوربيون الى تشويه صورة منافسيهم المسلمين(كأسلوب لتقوية صورتهم الذاتية عن أنفسهم وبناء ثقتهم في مواجهة عدواً أكثر قوة وتحضرأ.

أن نظرة الغرب الحديثة للإسلام ولدت في المدة التي كانت علاقة أوربا بالاسلام فيها هي علاقة خوف وقلق مما دفع الأوربيين لتعريف الاسلام (تعريف)) ضيقاً كاريكاتورياً((كدين يملأه العنف و الشهوة (يقوم) الجهاد

العنيف (في الحياة الدنيا و))الملذات الحسية((في الآخرة كما نظروا للرسول) محمد صلى الله عليه وسلم(على أحسن تقدير على انه واحد من اثنين أما :

(قس كاثو ليكي فشل في الترقى في سلم البابوية فقرر الثورة ضد المسيحية)

-أو أنه))راعى جمال فقير تلقى تعليمه على يد راهب سوري ((ليشكل ديناً جديداً من قشور العقيدتين المسيحية و الصهيونية\*

كما نظر الأوروبيون الى حياة المسلمين الأخلاقية نظرة مزدوجة فمن ناحية نظروا الى حجاب المرأة المسلمة كتعبير عن) السرية والقهر (والفصل بين الرجل والمرأة وفي نفس الوقت نظروا للحجاب على انه مصدر)) فجور واستباحة اخلاقية مستترة ((خلف الحواجز والأسوار<sup>(68)</sup>.

وقد انتقلت هذه الصورة المشوهة الى بعض اهم قادة الاصلاح الفكري والديني في اوربا وعلى راسهم) مارتن لوثر(زعيم حركة الاصلاح البروستانتى الذي نظر الى للاسلام على انه) حركة عنيفة تخدم اعداء المسيح لا يمكن جلبها للمسيحية لانها مغلفة امام المنطق ولكن يمكن فقط مقاومتها بالسيف.

وقد كان) اللاهوتيين (في العصور الوسطى قلقين مما أسموه تأثير القيم الاسلامية في القيم المسيحية تأثيراً)تدميراً(ولذلك رأى هؤلاء أن حماية المسيحية في الأسلام لا تكون الا بضربه عسكرياً والاستيلاء على أرضه و أقناع مقتنعيه بأخذ المسيحية ديناً لهم, وكان هدف الحملات العسكرية الصليبية في مواجهة ما أسموه)) التهديد الاسلامي ((قبل أن يغزو بلاد الغرب<sup>(69)</sup>.

وترجع جذور الصورة الغربية المشوهة للاسلام أيضاً الى عصر الاستكشافات البحرية التي بدأت مع عصر النهضة حيث اكتشف الرحالة الأوروبيون الشعوب البدائية الأخرى في الأرضي المترامية الأطراف التي



وصلها) فاسكو دي غاما وماجلان وكريستوفر كولومبيس(ولهذا اقترنت صورة الغرب للأسلام بتفوق الغرب الناتج من النهضة) وتأخر الأسلام(الذي كان سادراً في) التخلف(حيث وجد العربي المسلم) حافيا عاريا فقيراً<sup>(70)</sup>

ثانياً:مراحل تكوين صورة العرب و الاسلام في الولايات المتحدة الأمريكية وعناصرها,وعوامل تكوينها.

هناك ثلاث مراحل تاريخية تكونت خلالها صورة الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الاميركية وتتوعد عناصر هذه الصورة واختلفت من مرحلة الى اخرى و هذه المراحل هي.

• المرحلة الاولى: و تبدأ من سنة 1948 عند اعلان دولة اسرائيل على ارض فلسطين والبدء بالحملة الدعائية الاسرائيلية العالمية الكبرى وتصوير) دولة اسرائيل الديمقراطية( الواحة التي تستقطب المظلومين من يهود العالم الى) ارض الميعاد(التي تحيطها دول الشر والقتل والدمار والعنف وسكانها الذين يضمرون العداوة لهذه الدولة) الديمقراطية ( وتطورت هذه الصورة في عام 1973 اثناء الحرب العربية الاسرائيلية ليزضاف اليها عنصري) بدو الصحراء,وشيوخ النفط( يتحكمون بمصير العالم وأحدثت عملية احتجاز الرهائن في السفارة الاميركية في طهران عام 1979,واندلاع الحرب العراقية الايرانية عام 1981 عناصر اخرى لهذه الصورة هي) نقض العهود وعدم احترام المواثيق الدولية وتحدي المجتمع الدولي<sup>(73)</sup>.

• المرحلة الثانية: وتبدأ بانهيال الاتحاد السوفيتي والغزو العراقي للكويت وظهور كتابات المفكرين الاستراتيجيين كل من (صموئيل هنتغتون), (صدام الحضارات) الذي يدعو فيه هذا اليهودي الاميركي الى القضاء على جميع الرموز التي تقبع خلف الحضارة الاسلامية استعداد للصدام الكوني القادم بين الحضارة الغربية ممثلة باميركا وحلفائها

والحضارة العربية الاسلامية فضلا عن كتاب) نهاية التاريخ ( للكاتب الاميركي) فوكوياما.

ان هذه المرحلة اسهمت في صياغة صورة جديدة للاسلام والمسلمين تستجيب لمتطلبات المجتمع الغربي وحاجاته الداخلية التي اعتبرت)الاسلام(هو)كبحش الفداء (والعدو الجديد الذي يوحد المجتمع الغربي الذي يتكون من خليط من الطوائف والفئات فاليمين الغربي يرى في الاسلام) همجية( تهدد الحضارة, اما اليسار فيرى فيه) حكم الاقطاع ( ويرى الليبراليون فيه) مصادرة الحريات( ونقيض مذهب))دعه يعمل دعه يمر((و أتباع الحركة النسوية يرون فيه) كبت المرأة لصالح الرجل(والفوضويون يرون فيه) كبت الفرد لصالح الجماعة(و بهذا تصبح مواجهة الغرب للاسلام قوة توحيد دافعة , وهوية تجمعهم وتوحدهم واهم عناصر هذه الصورة هي )المسلمون قادمون, سيف الاسلام يعود من جديد, الاسلام المتشدد, دين الكراهية والتعصب والعنف,التطرف الاسلامي( وبعد تفجير السفارة الاميركية عام 1998 في كينيا وتنزانيا اضيف عنصر جديد لهذه الصورة في هذه المرحلة وهو )الاصولية الاسلامية ( وهو مصطلح مشبوه اخترعه الغرب لتشويه صورة الاسلام واتهامه بانه دين يدعو الى التعصب ويحرض على العنف و الارهاب ضد الاخر, وهذا المصطلح له معناه السيئ في تاريخ المسيحيين لانه يشير الى محاكم التفتيش التي اقيمت ابان تصفية الوجود الاسلامي في الاندلس اقامها الاصوليون نهجاً واضحاً للأصولية العدوانية<sup>(74)</sup>.

\* المرحلة الثالثة :وتبدأ هذه المرحلة بعد احداث 11\9\2001 وتفجير مركز التجارة العالمي في اميركا فقد زاد معدل خضوع صورة الاسلام والمسلمين للتشويه والتحريف وقد تفرعت اصناف تشويه صورة الاسلام والمسلمين مابين التصريحات الاكاديمية والسياسية و الاعلامية واذا كانت الصورة التي ترسخها وسائل الاعلام مشوهة بسبب سيطرة

ألوبيات الاعلامية اليهودية عليها او بسبب وجود عقليات عنصرية متطرفة استغلت احداث ايلول لكي تفرغ ذالك المكبوت من اجل تفعيل تشويه صورة الاسلام فقد كانت هذه الاحداث فرصة مواتية ايضاً لبعض السياسيين الغربيين والدينيين لكي يمررو خطاب العنصرية والاستعلاء وتضمنت صورة الاسلام والمسلمين عناصر جديدة في هذه المرحلة (الاسلام دين شيطاني, الارهاب يرتبط بالتطرف الاسلامي, الاسلام فوبيا , بعث الحرب الصليبية, الدعوة الى هدم الكعبة, الحضارة الغربية ارقى من الحضارة الاسلامية ولا بد من قمعها, القوة الصامتة للحركات الاسلامية والمسلمين, الحرب الغربية ضد الاسلام وليس ضد الارهاب, الحرب الغربية بين الله والشيطان, الحرب القادمة بين محور الخير ومحور الشر, الاسلام دين التعصب ضد الديانات الاخرى, القران دين القتل والعنف) لذلك انطلقت الدعوات من المؤسسة السياسية والدينية والاعلامية الغربية لاجتياح بلدان المسلمين وقتل قادتهم وتحويل شعوبهم الى نصارى لان المسلمين, مسؤولين عن 80% من الاضطرابات والصراعات في العالم وأنهم يريدون القضاء على الحضارة الغربية باسم الجهاد, وكان ذلك دافعاً قوياً وحاسماً لاحتلال العراق وأفغانستان<sup>(75)</sup>

عوامل تكوين صورة الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية .  
لقد اسهمت عوامل عديدة في تكوين الصورة السلبية المشوهة للاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الامريكية فهناك من يرى ان هذه العوامل تتحدد في :

أ-الحروب الصليبية التي اسهمت في جعل الغرب المسيحي يستمد صورته الذهنية عن الاسلام من خلال المواجهة الفعلية بين الاسلام والنصرانية خلال القرون الوسطى .

ب-الاستشراق و الاستعمار حيث وضعت خبرات و مؤهلات المستشرقين في خدمة الاستعمار الذي كان منبعاً اصيلاً لكثير من الصور النمطية الزائفة التي صنعها الغرب عن الشرق.

ج -المفكرون والخبراء الاستراتيجيون وما انتجوه من منتجات فكرية وتعليمية وثقافية وسياسية وتلخص دورهم في جمع الصور النمطية عن الاسلام والمسلمين ووضعها في سياقات نظرية ترتبط في معظم الاحيان بالتحولات والمتغيرات السياسية من اجل تكوين وعي محدد يتلائم ومصالح الغرب ومطامحه وتجديد طبيعة المعرفة الواجب تشكيلها عن العالم الاسلامي واهم هؤلاء المفكرون) هنري كسنجر,صموئيل هنتكتون,فوكوياما, برجينسكي)

د -وسائل الاعلام الغربية وصناعة السينما فهي تعمل على جعل المادة الاعلامية التي تصنع بها الصورة النمطية المسيئة مادة جماهيرية عالمية يتلقفها المشاهدون و يتأثرون بها بشكل طبيعي وتلقائي وذلك ما تمتلكه من امكانات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير والتقنيات المتعددة والصورة الذهنية المسيئة للاسلام في الاعلام الغربي تستند الى جهاز كامل من الاحكام المسبقة والتي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية مما يجعل تصور العالم الاسلامي بكل مكوناته انما يتم من خلال خلفيات فكرية ودينية وسياسية سابقة تهدف الى الصاق تهمة الارهاب والعنف بالاسلام (76).

اما في مجال السينما فقد تم انتاج 1000 فلم منذ بدايات هوليوود تؤكد على نمط ثابت وخطير عن صورة)العرب البغيضين(فهناك قوالب جاهزة تصدر انسانية شعب بأكمله تصور العرب على انهم) اشرار (ادنى من البشر وعناصر صور هوليوود السيئ عن الاسلام والعرب تتلخص في (البدوي أجاهل ,شخصية أحادية الابعاد, شريرين , عدوانيين ,مهرجين , أراهيبين )

## صورة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الاعلام الامريكي

لقد بدأ العداء للإسلام في شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم منذ بداية الدعوة الإسلامية حيث تأمر اليهود مع مشركي قريش وشككوا بنبوّة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واتهموه بمختلف التهم وقاموا بمحاولات عديدة لقتله وأشتركوا معهم أيضاً في غزوة الأحزاب وحصار المدينة المنورة مما اضطر رسول الله إلى إجلائهم من المدينة والتخلص من شرورهم وتواصل هذا العداء في عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي والعصر العباسي وفي القرون الوسطى استمر هذا العداء من خلال مواقف تتسم بتشويه شخصيته واتهامه بأفدع الأوصاف والمفردات المخزونة في ثقافة الكراهية والحقّد ضد نبي الإسلام ورسالته وشاعت عناصر ومكونات ذلك المخزون وترسخت في كثير من ميادين الثقافة والإعلام لدى الغربيين في الفترة المعاصرة ومن أهم عناصر الصورة الذهنية السيئة (لرسول الله هي:

أولاً: اتهامه بالجنون والكهانة والسحر والكذب.

ثانياً: اتهامه بتأليف القرآن والكذب على الله<sup>(77)</sup>.

ثالثاً: اغوائه للشعوب من خلال وعوده الشهوانية. (

رابعاً: قيامه بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والإنجيل من خلال الخرافات التي يتلوها على أصحابه)

خامساً: لم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية. (

سادساً: أظهار شخصيته بصورة شريرة (من خلال الرسوم الكاريكاتيرية لحمله قنبلة على راسه).

سابعاً: الازدراء والطعن والاتهام بالارهاب والشهوانية والتخلف.

ثامناً: وصفه بأنه رجل) عنف وحروب وارهاب وسافك الدماء. (

تاسعاً: اتهام القراءن الذي انزل عليه هو سرقة من المعتقدات اليهودية.

عاشراً: الادعاء) بعدم نزول (جبريل عليه السلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

احدى عشر: الادعاء بان اله الاسلام ليس اله الديانة النصرانية.  
اثنا عشر: اتهمه بالشذوذ وخضوعه للشيطان\_ حاشاه\_ وتزوجه من احدى عشر زوجة.

ثلاثة عشر: قاد المسلمين ليعبدوا في مكة وثناً معبوداً) على غرار افرو ديت(الهة الحب عند الاغريق.

اربعة عشر :تاويل آيات القران حسب دسائسهم وكذبهم وتزويرهم بما يوافق مصالحهم و أصفاء الطابع اللاتيني على المعاني بصورة بشعة.  
خمسـة عشر:مهاجمة شعائر الاسلام واعتبار الحج عملاً وثنيا والجهاد في سبيل الله انما هو عمل الشيطان(78).

ستة عشر: الادعاء ان شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اما(قس كاثوليكي فشل في الترقى في سلم البابوية او راعي جمال فقير تلقى تعليمه على يد راهب سوري ليشكل ديناً جديداً من قشور العقيدتين المسيحية و اليهودية )

وتأسيساً على ما تقدم فأنا نرى بان الغرب قد انصاع لنصائح اليهودي (صموئيل هنتكتون) في ضرب الرموز الاسلامية وتحطيمها بكافة السبل فبدؤا با الاسلام واتهموه) بالارهاب والقتل (وأما القران فتم تمزيقه امام الكاميرات وضربه في الارض في قاعدة) باغراند ( الجوية في افغانستان والادعاء بانه تم جمعه من قشور الديانتين المسيحية واليهودية, وأما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فادعوا بانه)سفاك دماء يدعو لقتل المشركين( من خلال الرسوم و الافلام المسيئة والتحريض ضد شعائر المسلمين كا الحج والجهاد وتعدد الزوجات وحجاب المرأة, و اخيراً بدا الغرب بسياسة التقنيت الطائفي وأثارة) الفوضى الخلاقة ( في بلدان الوطن العربي تحت شعار) الربيع العربي (الذي اصبحت بموجبه الشعوب العربية

عبارة عن فئات متقاتلة متصارعة حتى تفتتت المدينة الواحدة الى شوارع متصارعة تحت شعارات فئوية طائفية قومية مذهبية عرقية أثنيه مختلفة.

### الاطار التحليلي: تحليل مضمون فلم براءة المسلمين

تمهيد.....

ان فلم براءة المسلمين (innocence of muslims)) هو فلم امريكي معادي للاسلام انتجه نقولا باسيلي وهو امريكي من اصل مصري قبضي مدان بتهم احتيال اخرجه) الان روبرتس (وهو اميركي يعمل بأنتاج مواد اباحية وتم عرض الفلم في مسرح مستأجر في هوليوود بكاليفورنيا 23 يونيو 2012 ولم يثر اهتمام احد الا القليلين وفي سبتمبر قام مورييس صادق وهو قبضي يعيش في اميركا وهو صاحب تدوينة الكترونية بترجمة الفلم الى العربية وتحميله على اليوتيوب ثم ارسال الرابط الالكتروني الى احد الصحفيين. وفي سبتمبر 2012 قامت الفضائية المصرية) الناس(ببث مقاطع من الفلم مما ادى الى اثاره الاحتجاجات في مختلف انحاء العالم.

وارتبط عرض الفلم والترويج له بالذكرى السنوية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر) تفجير مركز التجارة العالمي( في نيويورك بما تحمله من ذكريات مريرة للشعب الاميركي لغرض تجديد الكراهية ضد الاسلام والعرب ونبههم الكريم صلى الله عليه وسلم وتأجيج الحقد وتأليب الرأي العالمي عليهم, ونقل صور التظاهرات والاحتجاجات ضد الفلم المسيئ وفي اطارها صور لزعيم تنظيم القاعدة اسامة بن لادن دون الاشارة الى الفلم المسيئ مما يوحي الى ان هذه التظاهرات التي جاءت متزامنة لاحداث سبتمبر هي تأيد لتنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة الاميركية مما اسهم في تشويه صورة المسلمين وترسيخ الصورة الذهنية المسبقة عنهم خاصة عندما قتل السفير الاميركي وأربع من موظفي السفارة الاميركية في ليبيا من قبل محتجين غاضبين. زمن الفلم ساعتان تم الترويج له بمقطع زمنه 13 دقيقة و 51 ثانية على اليوتيوب باللغة العربية طاقم الفلم 80 شخصاً

نددوا بعرض الفلم و اكدؤ جميعاً بأنه قد تم خداعهم من قبل منتج ومخرج الفلم حيث تم ايهامهم انهم يقومون بتمثيل فلم عن حياة شخصية مصرية منذ ألفي عام اسمها)محارب الصحراء(وذلك عن طريق دبلجة الحوار بحيث ان افواه الممثلين تنطق بطريقة مختلفة وبكلمات غير التي يتم سماعها من الفلم حيث ان العمل الاصلي للمثلين الاصليين لم يكن فيه اي ذكر عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام وجميع الحوارات المعادية للاسلام تم لصقها بمقاطع معينة وبدون علم الطاقم الفني<sup>(79)</sup>

أن العمل من الناحية الفنية يفتقر الى وجود فلم سينمائي في حدوده الدنيا ولا ينتمي الى صفوف الاعمال السينمائية والدرامية انما هو عبارة لقطات فيديو عبر الانترنت تتقصه القصة المنسجمة والسيناريو والمونتاج المتكامل وتتقصه القصة الفنية والدرامية والاخراج المحترف وذلك للأسباب الآتية<sup>(80)</sup>

ولاً:تم اعداد الفلم بمعدات الفيديو الشخصية وليست المهنية.

ثانياً:هندسة الصوت مفقودة.

ثالثاً:انعدام الترابط بين اللقطات والمشاهد.

رابعاً:تتقصه الدراما الفنية وهي العمود الفقري لكل عمل سينمائي.

خامساً:حواراته غير منسجمة ولا متجانسة تصب في حقل الدعاية

الرخيصة التي تمجد الفكر الصهيوني المعادي للاسلام.

سادساً:ان مخرج مؤلف الفلم السيئ سام باسيلي هو يهودي اسرائيلي كما

اكدت ذلك صحيفة ידיعوت احرونوت الاسرائيلية وصحيفة وول ستريت

جورنال الاميركية.

يتناول هذا الاطار عرض الافكار الواردة في مضمون فلم) براءة المسلمين

(من خلال تحليل مضمونه واستخراج الافكار التي سعت الجهات المنتجة

له الى شيوعها وانتشارها لما تنطوي عليه من اهداف أنية ومستقبلية

تسعى لتحقيقها.



ولاً: نتائج تحليل مضمون فلم) براءة المسلمين, (يبين جدول رقم واحد : أن مجموع الافكار المسيئة التي تم استخراجها من الفيلم بلغت (34) فكرة منها (39) فكرة مسيئة للإسلام والمسلمين و(5) افكار تمجد اليهود واليهودية توزعت على الشكل التالي:

- احتلت المرتبة الاولى الافكار المسيئة للرسول الاكرم بتكرارات بلغت (18) تكراراً وبنسبة 52.94% وكان من اهم الافكار المسيئة الجديدة التي تم تضمينها في هذا الفيلم هو) ابراز اعتراف الرسول الاكرم بأحقية اليهود في ارض فلسطين اضافة الى التشكيك في نبوته وفي القرآن الذي انزل اليه و التركيز على الاساءة الى زوجاته و اصحابه الكرام فضلاً عن ابراز الكذب في عدد زوجاته وملكات اليمين .
- احتلت المرتبة الثانية الافكار التي تمجد اليهود واليهودية وبتكرارات بلغت (5) تكرارات وبنسبة (14.70%) مئوية وكان من اهم هذه الافكار هي التركيز على اقامة محكمة عالمية (للازام) احفاد محمد (بدفع تعويضات مالية الى اليهود جزاء عن الاضرار التي لحقت بهم نتيجة اجلائهم من المدينة المنورة.
- اما المرتبة الثالثة فقد كانت من نصيب الافكار المسيئة للقران الكريم وبتكرارات بلغت (4) تكرارات وبنسبة بلغت (11.76%) مئوية وكان من اهم هذه الافكار المسيئة للقران الكريم انه تم تجميعه من قشور الديانتين اليهودية والنصرانية وانه لم يكن منزلاً من الله تعالى فضلاً عن الاستخدام المشوه للآيات القرآنية.
- احتلت المرتبة الرابعة الأفكار المسيئة لزوجات الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم (وبتكرارات بلغت (3) تكرارات وبنسبة (8.82%) مئوية و كان من اهم الافكار الاساءة الى ام المؤمنين السيدة خديجة الكبرى) رضي الله عنها و ارضاها.

- وكانت المرتبة (5) من نصيب كل من الافكار المسيئة لاصحاب الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) (و الافكار المسيئة للمسلمين وبتكرارات بلغت (2) تكرار وبنسبة (5.88%) مئوية لكل منهما. جدول رقم (1) يبين النسبة المئوية للأفكار المسيئة في فلم براءة المسلمين

ت	الافكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
1	الافكار المسيئة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)	18	52.94%	1
2	الافكار المسيئة للقران الكريم	4	11.76%	3
3	الأفكار المسيئة لزوجات الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)	3	8.82%	4
4	الافكار المسيئة لاصحاب الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)	2	5.88%	5
5	الافكار المسيئة للمسلمين	2	5.88%	5
6	الافكار التي تمجد اليهود واليهودية	5	14.70%	2
	المجموع	34	100%	

ثانياً: يبين الجدول رقم (2) النسبة المئوية للافكار المسيئة للرسول الاكرم وبتكرارات بلغت (18) تكراراً توزعت على فئتين الاولى الافكار المسيئة لشخص الرسول الاكرم والثانية الافكار المسيئة لنبوة الرسول الاكرم وبتكرارات بلغت (9) تكرارات لكل منهما وبنسبة مئوية (50%) واحتلتا المرتبة (1)

جدول رقم (2) يبين النسبة المئوية للأفكار المسيئة للرسول الأكرم

ت	الأفكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
1	الأفكار المسيئة لشخصية الرسول الأكرم	9	50%	1
2	الأفكار المسيئة لنبوة الرسول الأكرم	9	50%	1
	المجموع	18	100%	

ثالثاً: يبين جدول رقم (3) النسبة المئوية للأفكار المسيئة للقران الكريم وبتكرارات بلغت (4) توزعت على ثلاث فئات من الأفكار احتلت المرتبة الأولى فكرة التشكيك بنزول القران الكريم من الله تعالى وبتكرارات بلغت (2) وبنسبة (50%) واحتلت المرتبة (2) كل من فكريتي الأولى اهانة كتاب الله وازدراءه وبتكرارات بلغت (1) لكل منهما وبنسبة (25%) لكل منهما.

جدول رقم (3) يبين النسبة المئوية للأفكار المسيئة للقران الكريم

ت	الأفكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
1	التشكيك بنزول القران الكريم من الله تعالى	2	50%	1
2	اهانة كتاب الله وازدراءه	1	25%	2
3	الاستخدام المشوه لآيات القران الكريم	1	25%	2
	المجموع	4		

رابعاً: يبين الجدول رقم (4) النسبة المئوية للأفكار المسيئة للمسلمين بتكرارات بلغت (2) توزعت على فكرة اظهار المسلمين بالهمجية والوحشية وفكرة ابراز نفاق المسلمين في ما بينهم وبتكرارات بلغت (1) لكل منهما ونسبة (50%) لكل منهما .

جدول رقم (4) يبين النسبة المئوية للأفكار المسيئة للمسلمين

ت	الافكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
1	اظهار المسلمين بالهمجية والوحشية	1	50%	1
2	ابراز نفاق المسلمين فيما بينهم	1	50%	1
	المجموع	2	100%	

خامساً: يبين جدول رقم (5) الافكار المسيئة لزوجات الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم وبتكرارات بلغت (3) تكرارات توزعت على فكرة الاساءة الى ام المؤمنين خديجة الكبرى و أم المؤمنين عائشة و ام المؤمنين حفصة (رض) وبتكرارات بلغت (1) لكل فكرة ونسبة (35%) لكل من الافكار الثلاث.

جدول رقم (5) يبين النسبة المئوية للأفكار المسيئة لزوجات الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم)

ت	الافكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
1 1	الاساءة الى ام المؤمنين السيدة خديجة (الكبرى) رضي الله عنها و ارضاها)	1	35%	1
2	الاساءة الى ام المؤمنين السيدة حفصة (رضي الله عنها و ارضاها)	1	35%	1
3	الاساءة الى ام المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها و ارضاها)	1	35%	1
	المجموع	3	100%	

سادساً: يبين جدول رقم (6) النسبة المئوية للأفكار المسيئة لأصحاب الرسول  
الاکرم (صلى الله عليه وسلم) وبتكرارات بلغت (2) توزعت بواقع (1) تكرار  
لكل من فكرة الاساءة الى الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفكرة  
الاساءة الى الخليفة عمر بن الخطاب) رض (عنه ونسبة (50%) لكل  
منهما واحتلتا المرتبة (1)

جدول رقم (6) يبين النسبة المئوية للأفكار المسيئة لأصحاب الرسول  
الاکرم (صلى الله عليه وسلم)

ت	الافكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المر تبة
1 1	الاساءة الى الخليفة ابو بكر الصديق) رضي الله عنه و ارضاها)	1	50%	1
2	الاساءة الى الخليفة عمر الخطاب (رضي الله عنه و ارضاها)	1	50%	1
	المجموع	2		

سابعاً: يبين الجدول رقم (7) الأفكار التي تمجد اليهود واليهودية وبتكرارات بلغت (5) توزعت بواقع ثلاث افكار تمجد الدين اليهودي وبنسبة (50%) واحتلت المرتبة الاولى وفكرة واحدة تبشر بعودة اليهود الى ارض الميعاد وفكرة واحدة تبرز اصرار اليهود على اجبار المسلمين على دفع تعويضات مالية بناء على حكم محكمة عالمية الى اليهود واحتلتا المرتبة الثانية وبنسبة (25%) لكل منهما.

جدول رقم (7) يبين الافكار التي تمجد اليهود واليهودية

ت	الافكار المسيئة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
1 1	التبشير بعودة اليهود الى ارض الميعاد	1	25%	2
2	تمجد الدين اليهودي	3	50%	1
3	ابرار اصدار اليهود على اجبار المسلمين عن دفع تعويضات بناء على حكم محكمة عالمية	1	25%	2
	المجـوع	5	100%	

ثامناً: يبين الجدول رقم (8) نسبة المساحة الزمنية المخصصة لكل من انواع الافكار المسيئة الواردة في فيلم) براءة المسلمين( فقد احتلت المرتبة الاولى الافكار المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم) وبمساحة زمنية بلغت (7) دقائق و بنسبة (50%) وذلك يشير الى هدف منتجي الفيلم بالتركيز على الاساءة للرسول الاكرم بالدرجة الاولى.

واحتلت المرتبة الثانية الافكار التي تمجد اليهود واليهودية و الافكار المسيئة للقران الكريم وبمساحة زمنية بلغت (2) دقيقة لكل منهما وبنسبة (12%) لكل منهما.

واحتلت المرتبة الثالثة كل من الافكار المسيئة لكل من زوجات الرسول  
الاكرم) صلى الله عليه وسلم) و للمسلمين وبمساحة زمنية بلغت دقيقة  
واحدة وبنسبة(10%) لكل منهما

اما المرتبة الرابعة فقد كانت للافكار المسيئة لاصحاب الرسول  
محمد) صلى الله عليه وسلم) وبمساحة زمنية بلغت(51)ثانية وبنسبة  
(7%).

جدول رقم(8)

يبين نسبة المساحة الزمنية المخصصة لكل نوع من انواع الافكار المسيئة  
الواردة في فيلم) براءة المسلمين)

المرتبة	النسبة المئوية	المساحة الزمنية المخصصة			الافكار المسيئة	ت
		ث	د	س		
1	50%		7		الافكار المسيئة للرسول محمد) صلى الله عليه وسلم)	1
3	12%		2		الافكار المسيئة للقران الكريم	2
4	10%		1		الأفكار المسيئة لزوجات الرسول محمد) صلى الله عليه وسلم)	3
5	7%			51	الافكار المسيئة لاصحاب الرسول محمد) صلى الله عليه وسلم)	4
5	7%		1		الافكار المسيئة للمسلمين	5
2	14%		2		الافكار التي تمجد اليهودي واليهودية	6
	100%		13, 51		المجموع	

## النتائج

- ان اهم النتائج التي تم التوصل اليها هي :
  - ان مهمة تشويه صورة الاسلام والمسلمين عبر التاريخ بدأت بها المؤسسات الدينية اليهودية والنصرانية وطورها المستشرقين الغربيين وتبنتها المؤسستين السياسية و الاعلامية الغربية.
  - ان عملية تشويه صورة الاسلام والمسلمين بدأت برمز او رمزين من رموز الاسلام اما في العصر الحديث فأنها شملت جميع رموز الاسلام بدءاً من تشويه صورة الاسلام كديانة ثم تشويه صورة الرسول الاكرم وأزواجه وصحابته الكرام وتشويه سور القرآن الكريم والشعائر الاسلامية.
  - ان اهم فكرة مسيئة تبناها فيلم) براءة المسلمين(الذي اخضع لتحليل المضمون هو سعى اليهود لاقامة) محكمة عالمية(تقضي بألزام) احفاد محمد (بدفع تعويضات عالمية لليهود جزاء الاضرار التي لحقت بهم من المسلمين عبر التاريخ.
  - ان الاعلام الاميركي الذي يتحكم به الثالوث العسكري والنفطي والمالي هو حصان الرهان الذي خلق من الاسلام عدواً للغرب من اجل ادامة الصناعة العسكرية والنفطية والمالية الغربية من خلال صناعة صورة ذهنية مشوهة ومخيفة عن الاسلام.
  - ان فيلم)براءة المسلمين(هو واحد من(1000)فيلم صنعت في هوليوود تتحدث كلها عن صناعة صورة ذهنية مقولبة) نمطية(عن الاسلام والمسلمين, لكنه اختلف عنها في حدة و جرأة و قباحة الافكار المسيئة المشحونة بين اللقطات.

## التوصيات

ان اهم التوصيات التي يرى بها الباحث الاهتمام بها:



- تنظيم مؤتمر عالمي للمؤسسة الاسلامية الدينية والسياسية و الاعلامية لوضع استراتيجية علمية واقعية لتصحيح التصور المشوه عن الاسلام والمسلمين وترجمته وعرضه على الشعوب الغربية.
- توظيف التقنيات الاتصالية في التعريف با لاسلام و رموزة.
- الرد على الصورة الذهنية المسيئة بالحجة والبرهان والرجوع الى القران الكريم والسنة المطهرة .

## المصادر والمراجع

١. المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, طهران, المكتبة العلمية, بلا تاريخ, مادة الصورة.
٢. محمد أبي بكر عبد القادر الرازي, مختار الصحاح ط61 ودار أحياء تراث العربي, بيروت, لبنان 1999 ص 161
٣. سيد قطب, التصوير الفني في القرآن الكريم, دار المعارف القاهرة 1963 ص. 34
٤. نفس المصدر, ص. 35
٥. الآية 6-1 سورة الغاشية.
٦. الآية 8-1 سورة الزلزلة.
٧. الآية 5-4 سورة الواقعة.
٨. سيد قطب, المصدر السابق ص. 62
٩. نفس المصدر ص. 63
١٠. (ان زلزلة الساعة شي عظيم )
- 11 الآية) 53 سورة الكهف)
- \*علم اليقين:
- 12 الآية) 12 سورة السجدة)
- 13 افلا يتدبرون القرآن)
- 14 بل نقذف بالحق على الباطل)
- \*حق اليقين:
- 15 سيد قطب, المصدر السابق, ص. 72
- 16 تغريد سعيد حسن, المدن الحضارية وأثرها في تطوير الحركة السياحية الثقافية في العراق. رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد 1997 ص. 7

- 17- جان فوراستيه, السياحة وأوقات الفراغ . ترجمة احمد ارقلي ( شركة تراد كسيم, جنيف, سويسرا) 1977 ص. 51
- 18- طه باقر مقدمة في تطور الحضارات, جامعة بغداد 1970 ص. 77
- 19- الموسوعة الفلسفية المختصرة: ترجمة فؤاد كامل و آخرون, دار العلم للملايين, بيروت, بلا تاريخ, مادة: صورة.
- 20- وهب رومية, بنية القصيدة العربية, دار سعد الدين للطباعة, دمشق 1997 ص. 127
- 21- ابن منظور, لسان العرب ج, 6 الدار العربية للغة ليق والترجمة, القاهرة بلا تاريخ نشر, مادة صور.
- 22- أنير سعديف, ابن سينا, ترجمة توفيق سلوم, دار القارابي, بيروت 1987, ص. 231
- 23- محمد على الفاروقي: كشف اصطلاحات الفنون تحقيق لطفي عبد البديع الهيئة المصرية للكتاب, ج 1977 4 ص. 228
- 24- أبن القيم الجوزية , مدارج ألسالكين) إياك نعبد وإياك نستعين ( ج 2 , موسوعة المختار للنشر القاهرة 2001 ص. 532
- 25- Etymological Dictionary of the Language, By, R walter and Sheat. London ;Oxford university press 1974.s.v  
Imag .
- 26- كرم شلبي معجم المصطفى المصطلحات, القاهرة دار الشروق 1989 ص. 576
- 27- عزة مصطفى الكحكي: دور وسائل الاعلام في تشكيل صورة أمريكا في اذهان الشباب الجامعة المصري بحث منشور في كتاب الاعلام العرب والمسلمين, وقائع المؤتمر السنوي الثامن لكلية الاعلام, جامعة القاهرة ج 1 سنة 2002 ص. 332

- 28- وسام فؤاد عبد المجيد: صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الوعي الشعبي المصري، مجلة السياسة الدولية العدد (134) سنة 1998 ص. 159
- 29- سامي مسلم: صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية. مركز دراسات الوحدة العربية ط 1 بيروت ص. 18
- 30- السيد ياسين: شخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، دار التنوير للطباعة النشر بيروت 1981 ص. 41
- 31- محمد عودة، اساليب الاتصال والتغير الاجتماعية)، لكويت، مطبعة ذات السلاسل، (1989، ص. 158
- 32- صفاء صنكور، صورة بريطانية في الصحافة العراقية)، أطروحة دكتورة غير منشورة مقدمة الى قسم الاعلام - كلية الآداب - جامعة بغداد (2001، ص. 84-85)
- 33- ابراهيم الداوقي، صورة الاتراك لدى العرب) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية (2001
- 34- السيد محمد باقر الصدر: فلسفتنا، ط 2، بيروت، دار التعارف للمطبوعات (1998
- 35- د. عباس محمد عوض، علم النفس العام)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية (1986،
- 36- د. على ابراهيم عجوة: للعلاقات العامة والصورة الذهنية (، القاهرة، عالم الكتب (1977،
- 37- د. امال احمد يعقوب، علم النفس الاجتماعي، جامعة بغداد، كلية التربية بن رشد، بلا تاريخ ص. 155
- 38- د. امال احمد يعقوب، علم النفس الاجتماعي، المصدر نفسه ص. 197
- 39- د. على عجوة، مصدر سابق ص. 113
- 40- السيد محمد باقر الصدر، مصدر سابق، ص. 40

- 41- احمد محمد مبارك الكندري, علم النفس الاجتماعي ( الكويت مكتبة  
الفلاح للنشر والتوزيع) 1992, ص. 87
- 42- ريا قحطان الحمداني: صورة الولايات المتحدة الاميركية في الصحافة  
العراقية رسالة ماجستير, جامعة بغداد, 2001, ص. 38
- 43- حلمي خضر ساري: المرأة (ك) آخر (دراسة في هيمنة التنميط  
الجسماني على مكانة المرأة في المجتمع الاردني, مركز دراسات  
الوحدة العربية 1999 ص. 765
- 44- ارادة زيران الجبوري: الصورة النمطية, وصورة العرب في مجلة  
التايم, 1973 رسالة ماجستير, جامعة بغداد 2001 ص. 150
- 45- صفاء صنكور صبار: صورة بريطانيا في الصحافة العراقية  
1943, اطروحة دكتور غير منشورة.
- 46- عبد القادر طاش: صورة الاسلام في الاعلام الغربي ط, 2 للاعلام  
العربي القاهرة 1993 ص. 3
- 47- عزة مصطفى الكحكي: دور وسائل الاعلام في تشكيل صورة امريكا  
في اذهان الشباب المصري مصدر سابق, ص. 235
- 48- على عوجة: الصورة الذهنية العلاقات العامة, عالم الكتب القاهرة  
1983, ص. 12
- 49- على عوجة: نفس المصدر ص. 7
- ارادة زيدان الجبوري: الصورة النمطية صورة العرب في مجلة  
التايم. 1973 مصدر سابق ص. 28
  - محمد على العويني: الاعلام الدولي بين النظرية والتطبيق, عالم  
الكتب , القاهرة 1987 ص. 166
  - نوال عبد العزيز: صورة العرب في المجالات الاسبوعية الامريكية  
بعد احداث 11 سبتمبر, بحث نشر في كتاب الاعلام وصورة العرب  
المسلمين, جامعة القاهرة 2002 ص. 345

- 53- مارلين نصر: صورة العرب المسلمون في كتب المدارس الفرنسية  
مركز ودراسات الوحدة العربية، بيروت 995 ص. 20
- 54- سمير حسين: الرأى العام الاسس النظرية والجوانب المنجھة، عالم  
الكتب، القاهرة 988، ص. 62
- 55- سامي مسلم: صورة العرب في صحافة المانية الاتحادية، مصدر سابق  
ص. 32
- 56- احمد بدر: الاتصال بالجماهير بين الاعلام والدعاية العلمية، وكالة  
المطبوعات الكويت 1981 ص. 128
- 57- عبد القادر طاش: صورة الاسلام في الاعلام الغربي، مصدر سابق  
ص. 20
- 58- عصام موسى: المدخل في الاتصال الجماهيري، دار النبهاني للطباعة  
، اربد 986، ص 89
- 59- احمد عثمان وسامي النجار: اتجاهات الصفوة المصرية نحو صورة  
الانسان العربي في الصحف وقنوات التلفزيون الغربي بحث منشور في  
وقائع المؤتمر السنوي الثامن لكلية الاعلام، جامعة القاهرة  
ج1 ص. 459
- 60- ميخائيل سلمان: نظرة الامريكيين الى العرب، مجلة المستقبل العربي  
العدد (177) سنة 993 ص. 94
- 61- سامي مسلم: صورة العرب في صحافة المانية لاتحادية، مصدر سابق  
ص. 31
- 62- محمد عباس نور الدين: الخلفية الايدولوجية للاعلام العربي، مجلة  
المستقبل العربي عدد 199 سنة 1995 ص. 44
- 63- سيغوردين سكيديباك: صورة الاخرين المخاوف الحقيقة والكاذبة في  
العلاقات العربية الاوربية، مركز دراسات الوحدة العربية  
999 ص. 548

- 64- على محمود العائدي: الاعلام العربي امام التحديات المعاصرة , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ابو ظبي 1999 ص. 46
- 65- ايمن منصور ندا: الصورة الاعلامية والقرارات السياسية والعلاقات المتبادلة, المجلة المصرية للبحوث الاعلامية, جامعة القاهرة عدد 2 2001 ص. 46
- \*الميلودراما: هي تمثيلة تفيض بالمأساة وتتميز بالمواقف المثيرة والشخصيات الغريبة والاتصال المفاجئ في الاحداث التي تعتمد على المبالغة والتهويل وتكون نهاياتها سعيدة في اغلب الاحيان: انظر كرم شلبي مصدرة سابقة ص. 364
- \*وتلك على ما يبدو الفكرة الرئيسة التي تم بناء فلم) براءة المسلمين (Innocence of Muslims عليها.
- 66- ديفيد بلاتكس و ميكيل فرانستو: رؤية الغرب للاسلام في العصور الوسطى 1999 ص. 73-74
- 67- جون اسبزييتو : التهديد الاسلامي حقيقي ام اسطورة 1992 ص. 45
- 68- د. محجوب بن سعيد: الاسلام و الاعلامفوبيا : الاعلام الغربي والاسلام تشويه وتخويف, دار الفكر دمشق ط 2010 ص. 64-68
- 69- د. مازن النجار: صورة الاسلام في الاعلام الغربي الارث الاستعماري , اتحاد الاذاعات والتلفزيونات الاسلامية موقع بوابتي. google.com.
- 70- د. اياد القزاز: صورة الوطن العربي في المدارس الاميركية, مجلة المستقبل العربي, مركز دراسات الوحدة العربية بيروت, عدد 26 نيسان 1981 ص. 23-24
- 71- بول كنيدي: نشوء وسقوط القوى العظمى ط, 1 ترجمة مالك البديري , الدار الاهلية للنشر والتوزيع, عمان 1991 ص. 32
- 72- د. اياد القزاز: مصدر سابق. ص. 25

- 73- علاء بيومي: صورة الاسلام في امريكا, الجذور والحاضر, جريدة الوطن, العدد 2004 , 41550 ص.4
- 74- جريدة الشرق الاوسط العدد 9390 صفحة اتحيقات.2004
- 75- د.ناصر العمر :المؤتمر العالمي لنصرة الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم( بحث مقدم على المؤتمر, اسباب الصورة المشوهة 2012 ص.9
- 76- صورة الاسلام في التراث الغربي ترجمة ثابت عيد القاهرة 1999 ص.23
- 77- حسين حسيني معدي,الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة, دار الكتاب العربي,دمشق,ط1,1998,ص.11
- 78- صورة الاسلام في التراث الغربي ترجمة ثابت عيد القاهرة 1999 ص.25
- 79- شادي نايف , براءة الاعلامية , براءة المسلمين , 2012 [www.securit4arabs.com](http://www.securit4arabs.com).
- 80- جمعة عبدالله , ملاحظات حول فلم براءة المسلمين , الموقع : <http://www.kltabat.com> /ar / bage 2012 /9 / 16 ,



# الحماية المدنية للمنتج الوطني

## من الإغراق التجاري

أ.م.د. علي فوزي الموسوي  
كلية القانون / جامعة بغداد  
والست / عيبر سامي هادي

### ملخص البحث

تعد حرية التجارة ومبدأ النفاذ إلى الأسواق هي السمة الغالبة على الحياة التجارية على المستويين الدولي والوطني ، والعمل بهذه الأسس يقتضي رفع القيود والعوائق التي تحد من حركة المنتجات ، لذلك فقد منعت اتفاقية الجات ١٩٩٤ (الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) جميع الدول الموقعة عليها أن تفرض مثل هذه القيود على هذه المنتجات الداخلة لأسواقها على اعتبار أن ذلك يعارض المبدأ الأساس الذي عقدت من أجله، ولكن أدى رفع هذه القيود إلى ظهور سلوك تجاري غير مشروع يضر بالمنتج الوطني لدولة معينة صادر من منتجي دول أخرى مستغلين رفع القيود الكمركية وللنفاذ إلى الأسواق لإغراقها بمنتجات تباع بأقل من قيمتها للسيطرة على هذه السوق والتحكم فيه وبأسعاره فيما بعد .

لذلك يعد الإغراق من أوجه السلوك التجاري غير المشروع في العلاقات التجارية الدولية الذي ينتهجه المنتج الأجنبي والمستورد لمنافسة المنتج الوطني ببيع المنتجات المستوردة بأقل من قيمتها العادية أو بأقل من تكلفتها الذي يسبب أثارا ضارة وسلبية لا تقتصر على المنتج الوطني فحسب وبل تمتد لتشمل كلا من الاستثمار الأجنبي والمستهلك المحلي ،

الأمر الذي استلزم تدخل المشرع لمواجهته باتخاذ إجراءات القانونية اللازمة التي تعطي الحق في فرض ضرائب إضافية باستثناء الضرائب العادية والتي تفرض على صادرات البلد .

### Issue Abstract

The Freedom Trade and The Principle of Access to the Market is the dominant feature in the Local and International Scope and the Work of these Principles requires the Lifting of restrictions and obstacles that hinder the Freedom Trade exchanges and Limit the movement of Product .therefore , It preventing Agreements GATT (General Conventions on Tariff And Trade).

all signatory States impose such operational measures on products entering their Market, which opposes the basis on which its provisions held of him. But Lifting of restrictions and obstacles perfume to emergence illegal commercial manure, injure the domestic producer issued from another countries producer profiteer from lifting Tariff restrictions and access to the Market to Dumped these countries of products seals less of price for domination of their Market and control later Therefore Commercial Dumping illegal in the International

commercial relationships ,always take place when the foreign producers and importers illegal competition Domestic producers by seals the like product at less than normal value or cost in another country, Its perfume negative effects for the Domestic producer , consumer and foreign investment too, So there , legislator must be intervene to confrontation commercial Dumping crackdown which give right to obligate Extra Duty unless normal duty against exports in the State



## المقدمة

واجه المنتج الوطني عبر مراحل تطور صناعته للعديد من النكسات المتتالية بسبب الحصار الاقتصادي الذي ترك آثاره على تطور واستمرار نشاطه الصناعي ، فضلاً عن التحول الذي طرأ على النظام الاقتصادي العراقي من النظام المركزي إلى نظام اقتصاد السوق والذي بدوره أدى إلى انفتاح السوق العراقية على مصراعيها أمام المنتجات الأجنبية دون ضوابط أو فرض رسوم جمركية أو رقابة على الجودة والمواصفات مما أدى إلى ظهور الإغراق التجاري الذي حد من قدرة المنتج الوطني على منافسة المنتج الأجنبي ، من خلال خفض المنتج الأجنبي لسعر السلعة المستوردة وإحلالها تدريجياً محل السلعة الوطنية المماثلة لها وإبعادها عن السوق ومن ثم فيما بعد يرفع سعر السلعة المستوردة بعد القضاء على المنتج الوطني ووقف نشاطه .

لقد تفاقمت قضية الإغراق التجاري في العراق في السنوات التي تلت تغيير النظام السابق وتحولت إلى مشكلة جديدة تضاف إلى المشاكل التي يعاني منها العراق نتيجة لتأخر الجهات المعنية في معالجة الإغراق التجاري فضلاً عن غياب القوانين التي تحكم الاستيراد .

ويعد الإغراق التجاري من أوجه السلوك التجاري غير المشروع الذي يسعى ممارسوه إلى الالتفاف على قواعد حرية التجارة بتغيير الوضع المعتاد والقفز على التنافس القائم بين المنتجين بغية السيطرة على أسواق معينة والتحكم في مجريات الأمور فيها فيما بعد، هذا بدوره يحقق مصالحهم على حساب المصالح الأخرى حتى ولو كانت مصلحة الاقتصاد الوطني بوجه عام وما تحمل تلك النتيجة من أضرار كبيرة باتت معروفة للجميع .

## المبحث الأول

### مفهوم الإغراق التجاري

يعد الإغراق التجاري أحد أنماط السلوك التجاري غير المشروع، لذلك يستلزم الكلام معرفة المقصود بالإغراق التجاري وذلك بتعريفه أولاً من ثم بيان ما يقوم عليه من شروط وبعدها نحاول تحديد المنتج الوطني فضلاً عن تحديد المنتجات التي تدخل ضمن نطاق هذه الحماية لذا سنقسم دراسة هذا المبحث إلى مطلبين على النحو الآتي :-

### المطلب الأول

#### تعريف الإغراق التجاري

يحتل موضوع الإغراق التجاري في التجارة الدولية أهمية بالغة على اعتبار أنه من سياسات التمييز السعري بين السوق الوطنية والأسواق الأجنبية للسلعة ما ومؤداه أنه بيع السلع في الدولة الأجنبية بسعر أقل من سعر بيعها في سوقها الوطني ببيعها بأقل من تكلفة إنتاجها<sup>(١)</sup>. وقد عرفته منظمة (W.T.O)<sup>(٢)</sup> من خلال اتفاقية مكافحة الإغراق A.D.A في المادة (٦) بأنه (( يعد منتجاً ما مغرقاتاً، أي أنه ادخل في تجارة بلد ما بأقل من قيمته العادية لمنتج مشابه حين يوجه للاستهلاك في البلد المصدر ))<sup>(٣)</sup>.

أما المشرع العراقي<sup>(٤)</sup> عرفه في المادة (٤/١) بأنه ((توريد السلع المماثلة إلى السوق المحلية بسعر أقل من قيمتها العادية في سوق البلد المورد)). ومن هذه التعاريف نفهم بأن الإغراق التجاري يحدث متى ما كان هنالك فرق بين القيمة العادية وسعر التصدير، إذ لا إشكال في تحقق الإغراق متى ما كان توريد السلع إلى البلد المستورد بأسعار تفوق ما عليه بالنسبة لمثيلاتها كما أنه لا يتحقق متى ما كانت أسعار السلع المستوردة والوطنية متساوية فشرط حدوث الإغراق هو وجود فرق بين

القيمة العادية وسعر التصدير السلع المستوردة أي أن تكون أسعار تصديرها أقل من قيمتها العادية وتعرف القيمة العادية بأنها ((سعر المنتج المورد إلى العراق عندما يتم وضعه للاستهلاك في البلد المصدر في مجرى التجارة العادي<sup>(٥)</sup>)).

أما سعر التصدير فيعرف بأنه (( هو السعر المدفوع أو المستحق الدفع للمُنتَج عند تصديره إلى العراق<sup>(٦)</sup>)).

أي هو أنه سلوك تجاري يصدر من أجنبي بدلالة مفردة "توريد" التي تعني قيام المُنتَج الأجنبي بتوريد السلع للسوق الوطنية إي إدخالها من الخارج ، غير أنه يمكن أن يكون الإغراق التجاري صادرا من الشخص الوطني أيضا متى ما كان هذا الشخص مقيما في بلد أجنبي ويقوم بتوريد السلع للبلد بمعنى المعيار في إغراقية السلع هو معيارا موضوعيا متمثلا بانتقال السلع وإدخالها إلى البلد المستورد وليس بصفة القائم بالإدخال وجنسيته.

## الفرع الثاني

### شروط تحقق الإغراق التجاري

لا بد من توفر شروط لتحقيق الإغراق هي:

أولاً- أن يكون المُنتَج الأجنبي المصدر للسلعة محتكرا لسوقه المحلية<sup>(٧)</sup>. لا يستطيع المنتج الأجنبي أن يبيع منتجاته في الأسواق الخارجية إلا إذا كان محتكرا لسوقه المحلية فبدون احتكاره لهذه السوق وسيطرته عليها لن يستطيع ممارسة الإغراق في الخارج لأنه انه لا يكفل حماية أكيدة لسوقه<sup>(٨)</sup>.

ثانياً- لا بد أن يمتلك المحترق القدرة في فصل الأسواق عن بعضها البعض فبدون لأن لكل سوق ضوابطه واحتياجاته ودراسة الأسواق واحتياجاتها سواء كانت هذه الأسواق داخلية أو خارجية<sup>(٩)</sup>.

ثالثاً - أن يكون الطلب على السلعة في السوق المحلية للمنتج الأجنبي ذي مرونة منخفضة ومن ثم أي زيادة في هذه الأسعار لهذا المنتج في هذه السوق يؤثر على الطلب ويؤدي لاتجاه المستهلك نحو البدائل للمنتج ذي السعر المرتفع وفي الوقت ذاته لن يكون له بدائل متاحة بسبب احتكاره للسوق المحلية الذي يؤدي إلى انخفاض مرونة العرض على السلعة وفي هذه الحالة لا توجد أمام المستهلك المحلي إمكانية التفضيل بين منتج وآخر بسبب انعدام البدائل وسيضطر المستهلك في هذه الحالة إلى شرائها بالسعر الذي يفرضه المحترق. وعلى النقيض من ذلك تتمتع الأسواق الأجنبية التي ينوي المنتج الأجنبي المصدر إغراقها بمرونة عالية، أي بتوفر السلعة بكميات كبيرة وبأسعار منخفضة جداً.

رابعاً - أن تتمتع السوق المراد إغراقها بوجود منافسة<sup>(١٠)</sup> وعدم وجود محترق بين التجار، يستطيع المنتج الأجنبي النفاذ إلى تلك السوق وبيع سلعته بأسعار منخفضة لفترة مؤقتة لجذب المستهلكين ومن ثم وبعد القضاء على المنتج الوطني يفرض أسعاره المرتفعة تعويضاً للخسارة التي تعرض لها خلال فترة التخفيض المؤقت ليستكمل وضعه الاحتكاري على السوق المحلية والأجنبية<sup>(١١)</sup>.

ويمكن أن نستشهد في هذا بحادثة في سوق السيارات الأمريكية إذ استطاعت شركة السيارات اليابانية العملاقة تويوتا -هونداي - نيسان أن تدخل السوق الأمريكية رافعة شعار الأسعار المنخفضة وبالفعل استطاعت أن تحصل على حصة كبيرة من الأسواق على حساب الشركة الوطنية

الأمريكية "فورد" وبعد أن ثبتت أقدامها قامت بزيادة أسعار مبيعاتها<sup>(١٢)</sup>.

## المطلب الثاني

### مفهوم المنتج الوطني

عمدت التشريعات على المستوى الوطني والدولي إلى تحديد من هو المنتج الوطني وشروط تحديد المنتج الذي يشملته تعبير "المنتج الوطني" فضلا عن تحديد المنتجات التي تدخل في هذه الحماية لذا فسيتم بحث الموضوع كالآتي :-

## الفرع الأول

### مفهوم المنتج الوطني

عرف المشرع العراقي المنتج في الفقرة الثالثة من المادة الأولى بأنه ((مجموع المنتجات المحليين للمنتج المماثل في القطاع العام والخاص والمختلط أو الذين ينتجون مجتمعين قسماً كبيراً منه)) كما عرفه المشرع المصري في المادة الأولى من اللائحة التنفيذية للقانون رقم (١٦١) لسنة ١٩٩٨ ((المنتجات المصرية للمنتجات الزراعية أو الصناعية المثلثة للمنتج المستورد الذين يمثل مجموع إنتاجهم النسبة الغالبة من إجمالي الإنتاج المحلي من هذا المنتج)).

ونلاحظ على هذه التعاريف بأنها تشير إلى المقصود بالمنتج الوطني، بأنه المنتج الذي يوجد داخل حدود الدولة، بدلالة العبارات الآتية "في القطاع العام والخاص والمختلط" و "المنتجات المصرية" و "في دول مجلس التعاون الخليجي" أي متى ما كان المنتج يقوم بالإنتاج خارج حدود دولته فلا يمكن شموله بالحماية المقررة ولكن هذا لا يمنع من أدراج أشخاص

آخرين ينتجون داخل إقليم دولة ما ومع ذلك لا يمكن لهم طلب الحماية وكما سنبينه لاحقا .

## الفرع الثاني

### الاستثناءات الواردة على المنتج الوطني

إن المنتج الوطني الذي يحظى بالحماية قد يرد عليه استثناءات لا يكون المنتج بموجبها منتج وطني بالرغم من سيطرته على معظم الإنتاج المحلي وهو المنتج المرتبط الذي يعرف بأنه المنتج الذي يرتبط بالمنتج الأجنبي أو بالمستورد أو كان هو نفسه مستوردا للمنتجات المغرقة . وقد نصت المادة (١/٢/ب) من التعليمات رقم (١) لسنة ٢٠١١ لتسهيل تنفيذ أحكام قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ على ((يستثنى عند تحديد المنتجين المحليين لمنتج محلي معين ، المنتجون المستوردون للمنتجات المدعى إغراقها والمنتجون المحليون الآخرون المرتبطون بمستوردي أو مصدري هذه المنتجات.

ويعد المنتج مرتبطا بالمصدر الأجنبي أو بالمستورد في الحالات الآتية :

- ١- إذا كان أحدهم يسيطر على الآخر
  - ٢- إذا كان شخصا ثالثا يسيطر على كليهما
  - ٣- إذا كان الشخصان يسيطران على شخص ثالث)) .
- من مفهوم نص هذه المادة نفهم بأن المقصود بالارتباط هو السيطرة والمشاركة التجارية التي تكون بين المنتج الوطني والأجنبي أو بالمستورد<sup>(١٣)</sup> . وذلك على اعتبار أن المشروعات التجارية التي يقيمها المنتج الوطني هي شركات وليدة تابعة للشركات المنتج الأجنبي التي قد تكون شركات متعددة الجنسية ففي هذه الحالة لا يمكن أن يشمل بهذه الحماية لأن هذه الشركات متعددة الجنسية بما لديها من شركات قابضة<sup>(١٤)</sup> أو وليدة تكون خاضعة لسيطرتها والهدف من هذه السيطرة هو الالتزام



بخطّة اقتصادية موحدة أو ما يسمى بوحدة القرار الاقتصادي إذ تعطي هذه الوحدة في القرار الشركات الأم (( المنتج الأجنبي المسيطر)) سلطة شاملة على نشاط هذه الشركة الوليدة (( المنتج الوطني )) وعلى ذمتها المالية وبذلك يخرج هذا المنتج من مفهوم المنتج الوطني .

كذلك المنتج الذي يقوم بإنتاج المنتجات المماثلة أو المشابهة لكنه في الوقت ذاته مستورداً للمنتجات التي تسبب الإغراق هي حالة يشوبها الشك لأن هذا المنتج قد يتوقف عن الاستيراد لحماية إنتاجه الوطني أو قد يفضل التضحية بإنتاجه الوطني نظير الحفاظ على وكالته التجارية وفقاً للمصلحة التي يراها لذا فلا يمكن عده ضمن مفهوم المنتج الوطني .

### الفرع الثالث

#### مفهوم المنتجات الداخلة في نطاق الحماية

ليس كل منتج يستورد من الخارج يسبب الإغراق في السوق ومن ثم يسبب أضراراً للمنتج الوطني في البلد المستورد لذلك فلا بد من توفر شروط عدة بهذا المنتج حتى يتم حمايته .

ويعرف المنتج بأنه كل شيء يحمل خصائص وصفات ملموسة وغير ملموسة يمكن عرضه في السوق لجذب الانتباه ويمكن لهذا الشيء أن يلبي حاجات إنسانية قد تكون مادية أو خدمية<sup>(١٥)</sup>.

أي أن المنتج إما أن يكون في صورة "سلعة" سواء كانت سلعة صناعية أو زراعية أو في صورة "خدمة" .

وتعرف السلعة بأنها كل منتج صناعي أو زراعي أو تحويلي معد للاستهلاك والاستعمال والاستخدام النهائي<sup>(١٦)</sup>.

أما الخدمة فتعرف بأنها أداء أو نشاط غير ملموس وليس لها وجود مادي<sup>(١٧)</sup>. أن المشرع العراقي فقد عرف كلا من السلعة والخدمة في

قانون حماية المستهلك رقم (١) لسنة ٢٠١٠ إذ عرف السلعة بأنه ((كل منتج صناعي أو زراعي أو تحويلي أو نصف مصنع أو مادة أولية أو أي منتج آخر يمكن حسابه أو تقديره بالعد أو الوزن أو الكيل أو المقياس و يكون معد للاستهلاك<sup>(١٨)</sup>)).

أما الخدمة فعرّفها بأنها (( العمل أو النشاط الذي تقدمه أي جهة لقاء اجر أو بدونه بقصد الانتفاع منه<sup>(١٩)</sup>)).

وعاود المشرع العراقي وعرف المنتج في قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ النافذ بأنه (( مجموع السلع الصناعية والزراعية ..... والتي تنتج في القطاع الصناعي ))<sup>(٢٠)</sup>.

إن المشرع العراقي قد قصر مفهوم المنتج في هذا القانون بالسلع دون الخدمات<sup>(٢١)</sup> بمعنى أن نستبعد الخدمات من نطاق بحثنا ونقصره على السلع فقط.

وبعد أن قصر المشرع العراقي نطاق هذه الحماية بالسلع نلاحظ انه قد عرفها كالآتي :-

(( مجموع السلع الصناعية والزراعية عدا المحاصيل الزراعية و التي تنتج في القطاع الصناعي في العراق )) ، ولنا أن نستغرب من موقف المشرع العراقي في هذا القانون الذي فصل المحاصيل الزراعية وتضيّقه لنطاق الحماية بالرغم ما تتعرض له السوق العراقية من إغراق واضح يشمل المحاصيل الزراعية أيضا.

لذا نقترح على المشرع العراقي تعديل نص المادة ليوسع من نطاق هذه الحماية وإدراج المحاصيل الزراعية ضمن الحماية وان يكون نصها كالآتي :

(( مجموع السلع الصناعية والزراعية التي تنتج في العراق ))

ونصت المادة (٢/١) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ النافذ بأن تكون هذه السلع المستوردة من الخارج إما مماثلة أو مشابهة للمنتجات الوطنية من خلال تعريفه للمنتج المماثل بأنه (( المنتج المحلي المماثل في جميع الوجوه للمنتج المستورد إلى العراق أو الذي يشابهه إلى حدٍ كبير في مواصفاته أو استخداماته )) .

والمُنتَج المماثل بأنه المُنتَج الذي يتطابق في جميع النواحي بما في ذلك الخصائص المادية والنوعية والجودة ولا يؤثر في ذلك الاختلافات البسيطة؛ وإذا لم تتوفر المماثلة بين المنتج الوطني والمستورد فيتم الأخذ بالمنتج المشابه الذي يعرف بأنه المُنتَج الذي يكون له الخصائص ومكونات نوعية مماثلة تمكنها من أداء الوظائف نفسها وتكون قابلة للتداول فيما بينها تجارياً مع مراعاة الجودة والسمعة التجارية، أي إن المُنتَج الذي يعد مغرق المنتج الذي يماثل المُنتَج المستورد أو الذي يشابهه .

بعد أن أوردنا تعريف المنتج الوطني وللمنتجات استنتجنا جملة من الشروط يمكن على أساسها اعتبار المنتج منتجا وطنيا هي كالاتي :

- ١- أن يكون المنتج شخص طبيعي أو معنوي
- ٢- أن يكون المنتج غير مرتبط بالمنتج الأجنبي أو بالمستورد أو أن يكون هو مستوردا للمنتجات المغرقة.
- ٣- أن يكون المنتج الوطني منتجا للسلع دون الخدمات وأن تكون هذه السلع مماثلة أو مشابهة للسلع المستوردة .

ويمكن إيراد تعريف للمنتج الوطني كالاتي :

(( وهو كل شخص طبيعي أو معنوي والذي يكون غير مرتبط بالمنتج الأجنبي أو بالمستورد أو أن يكون هو مستوردا للسلع المماثلة أو المتشابهة التي ينتجها داخل إقليم دولة ما )) .

## المبحث الثاني

### دعوى الحماية المدنية للمنتج الوطني من الإغراق التجاري

الدعوى التي نحن بصدد الحديث عنها هي دعوى الحماية المدنية للمنتج الوطني من الإغراق التجاري وتعد نظاماً قانونياً يهدف إلى حماية المنتج الوطني باتخاذ العديد من الإجراءات القضائية سنقوم بتقسيم هذا المبحث إلى أربعة مطالب ليتسنى لنا بحث الموضوع من جميع جوانبه وعلى النحو الآتي : -

### المطلب الأول

#### مفهوم دعوى الحماية المدنية

أن تحرير التجارة الدولية وزيادة الانفتاح الاقتصادي أدى لأتباع المنتجين الأجانب للإغراق التجاري غير المشروع للالتفاف على قواعد حرية التجارة ومخالفة القوانين والأعراف التجارية المعهودة ومرد ذلك للإضرار بحقوق غيرهم من المنتجين الوطنيين وسيتم بحث المقصود بهذه الدعوى من حيث تعريفها ومبرراتها والتي دفعت المشرع العراقي إلى وضعها في فرعين كالآتي:

### الفرع الأول

#### التعريف بدعوى الحماية المدنية

عرف قانون المرافعات المدنية رقم ( ٨٣ ) لسنة ١٩٦٩ المعدل الدعوى بصورة عامة بأنها ((طلب الشخص حقه من آخر أمام القضاء ))<sup>(٢٢)</sup>.

في حين لم يعرف قانون حماية المنتجات العراقية رقم ( ١١ ) لسنة ٢٠١٠ دعوى الحماية مما يعني أن تعريف هذه الدعوى يكون من نصيب الفقه .

وتعرف دعوى الحماية المدنية بأنها مجموعة من الإجراءات المتخذة لتقوية المركز التنافسي للمنتجات الوطنية تجاه منافسة المنتجات الأجنبية للمنتج الأجنبي المصدر<sup>(٢٣)</sup>.

أو هي مجموعة من الإجراءات التي تبدأ بإقامة الدعوى من قبل المنتج الوطني أمام المحكمة المختصة والتي تنتهي بحكم فاصل في النزاع بفرض رسوم مكافحة الإغراق<sup>(٢٤)</sup>.

وينظر إلى حق الحماية المدنية في هذه الدعوى بأنه حق ذو مواصفات خاصة من بين هذه المواصفات يعد بأنه حقاً نسبياً إذ يقتصر الاحتجاج به في مواجهة الأشخاص الذين يزاولون النوع نفسه من التجارة و ليس في مواجهة الكافة، بمعنى أنه لا يجوز الاحتجاج بحق الحماية في مواجهة من ينتج سلعة غير السلعة المنتجة محلياً لانتفاء العلة التي من أجلها أقرت هذه الحماية<sup>(٢٥)</sup>. فضلاً عن ذلك لا ينهض هذا الحق في الحماية إلا في مواجهة من يقوم بتوريد هذه السلع من الخارج بمعنى لا حق له رفع هذه الدعوى متى ما كان الإغراق التجاري قد تم بين أقاليم دولة واحدة كما أنه حق مؤقت مقيد ضمن نطاق زمني محدد إذ نجد أن التشريعات تتفق في تحديد حق الحماية خمسة سنوات من تأريخ إثبات وقوع فعل الإغراق وتحقيق الضرر الناتج عنه .

## الفرع الثاني

### مبررات دعوى الحماية المدنية

أما عن أهم مبررات هذه الدعوى:

١- حماية المنتج الوطني، يعد أهم مبرر لتوفير الحماية للمنتج الوطني لأن خفض أسعار السلع المستوردة يكون بصورة متعمدة من قبل المنتج الأجنبي للحصول على ميزة تنافسية على حساب المنتج الوطني المنافس له والذي يؤدي به إلى عدم قدرته على الاستمرار في المنافسة بعد أن

أضحت أسعار بيع منتجاته أقل من تكلفة إنتاجها ينجم عن تقليص إنتاجه وإغلاق مصانعة.

٢- جذب الاستثمارات الأجنبية ، لأن توفير الحماية يشجع على استقطاب الاستثمار الأجنبي لأن الاستثمار يبحث عن الأسواق المحمية من الإغراق التجاري فضلا عن ذلك تؤدي هذه الحماية إلى التوجه نحو الاستثمار الإنتاجي بدلا من الاستثمار الاستهلاكي الذي كان يقوم به المنتج الأجنبي ومن شأنه أن يلحق ضررا بالبلد المستورد<sup>(٢٦)</sup>.

٣- زيادة فرص العمل والقضاء على البطالة لأن توفير الحماية للمنتج الوطني سيحافظ على العمالة الوطنية وتشجيع خلق فرص عمل جديدة وتقليل نسبة البطالة<sup>(٢٧)</sup>.

٤- رفع مستوى التشغيل لعوامل الإنتاج في البلد لأن تقييد الاستيراد سيؤدي انصراف المستهلكين نحو السلع الوطنية مما يؤدي إلى زيادة الطلب عليها ويساعد المنتج الوطني على إحداث التوسع المطلوب في الإنتاج<sup>(٢٨)</sup>.

٥- الحفاظ على ميزان المدفوعات لأن الحماية التي تمنح للمنتج الوطني ستؤدي إلى إعادة استقرار ميزان المدفوعات ، لان الدولة ستفرض إجراءات الحماية وترفع أسعار السلع المستوردة سيخفض الطلب عليها في السوق المحلي ويقل استيرادها وبذلك تخفض نسبة الواردات ويستقر ميزان المدفوعات وانخفاض العجز فيه<sup>(٢٩)</sup>.

٦- حماية المستهلك لأن الإغراق التجاري وان كان يحقق مصلحة المستهلك ويترك اثر سلبي على المنتج الوطني لكونه يجهز على إنتاجه ويقضي عليه وتتصل المنتج الأجنبي من الالتزام بتغطية احتياجات السوق ويفرض أسعاره المرتفعة وفي كثير من الأحيان لا يهتم بجودة السلع التي

ينتجها لذا فالحاجة ملحة لحماية المستهلك لأن من حقوق المستهلك حمايته من السلع التي تسبب مخاطر على صحته<sup>(٣٠)</sup> .

## المطلب الثاني

### أطراف دعوى الحماية المدنية

إن دعوى الحماية المدنية للمنتج الوطني كما هو الحال في أي دعوى لا بد أن يكون لها طرفان المدعي المتمثل بالمنتج الوطني والذي يطلب الحماية والمنتج الأجنبي الذي تتوجه الخصومة ضده متمثلاً بالمدعى عليه

## الفرع الأول

### المدعي في دعوى الحماية المدنية

المدعي هو من يتمسك بخلاف الظاهر<sup>(٣١)</sup> والذي يتقدم أمام القضاء بموجب دعوى الحماية، وهو الذي يكون صاحب الحق المعتدى عليه أو المهدد بالاعتداء عليه وصاحب الصفة الإيجابية في الدعوى .  
وبالاستناد للمادة (٤) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ التي نصت في الفقرة الأولى منها على :

(( يقدم المنتج المحلي أو من يمثله طلباً خطياً إلى وزير الصناعة والمعادن في شأن اتخاذ التدابير لمواجهة الممارسات الضارة على أن يتضمن الطلب المعلومات والمستندات التي تؤيد وجود تلك الممارسات ونوع الضرر الحاصل ))

نفهم من هذا النص بأن المدعي في هذه الدعوى وصاحب الصفة في إقامة الدعوى وطلب الحماية يتمثل بالمنتج الوطني للسلع المماثلة أو المشابهة أو من يمثله وهي غرف الصناعة و التجارة، وفي حالات استثنائية أجاز المشرع العراقي اعتبار الجهة المعنية في نظر النزاع هي

الطرف الأصيل في الدعوى متى ما توافرت أدلة كافية لوجود الإغراق التجاري<sup>(٣٢)</sup>.

## الفرع الثاني

### المدعى عليه في دعوى الحماية المدنية

المدعى عليه هو من يتمسك بالظاهر أو بإبقاء الأصل<sup>(٣٣)</sup>. والذي يترتب على إقراره حكم أو أن يكون محكوماً أو ملزماً بشيء على تقدير ثبوت الدعوى<sup>(٣٤)</sup>.

من خلال تعريفنا للإغراق بأنه توريد السلع المماثلة أو المشابهة إلى السوق الوطنية لبلد المنتج الوطني بسعر يقل عن قيمتها أو تكلفة إنتاجها في سوق البلد المصدر نفهم منه بأن المدعى عليه في هذه الدعوى هو كل من يقوم بإنتاج هذه السلع خارج البلد المستورد ويصدرها له وقيام المستورد باستيرادها وبيعها بأسعار منخفضة أي أن المدعى عليه يكون كلا من المنتج الأجنبي المصدر والمستورد<sup>(٣٥)</sup> للمنتجات المماثلة أو المشابهة للمنتجات المحلية التي تباع بأسعار منخفضة، ولكن متى ما لم يكن المنتج الأجنبي والمصدر والمستورد ببيع السلع بأسعار منخفضة لا يمكن أن توجه له الخصومة لأنه في هذه الحالة غير ملزماً بشيء ولا تسمع منه الدعوى ويتحتم ردها لأن النظر فيها يكون بغير جدوى وبدون فائدة .

## المطلب الثالث

### شروط قبول دعوى الحماية المدنية

لابد من التطرق لشروط هذه المسؤولية من خطأ وضرر وعلاقة السببية بينهما، سيتم تقسيم هذا المطلب كالاتي :-



## الفرع الأول

### الخطأ

يستلزم لرفع دعوى الحماية المدنية تحقق الخطأ بالشكل الذي يترتب عليه ضرراً بالمنتج الوطني

أما فيما يتعلق بفعل الإغراق فاستناداً للمادة (١) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ أن الخطأ في فعل الإغراق على وجه الدقة هو عملية تصدير منتج ما من بلد التصدير إلى بلد الاستيراد بسعر تصدير يقل عن القيمة العادية لمنتج مماثل أو مشابه في السوق المحلية لبلد التصدير يقل عن القيمة العادية في مجرى التجارة العادية، أي توفر فعل الإغراق التجاري غير المشروع من عدمه يكون بمقارنة سعر السلعة في البلد المستورد وسعر السلعة ذاتها في البلد المصدر فبمجرد كون سعر السلعتين مختلفين بأن كانت القيمة العادية للسلعة أعلى من سعر التصدير فلا يمكن القول بوجود إغراق ولكن متى ما كان سعر التصدير السلعة اقل من القيمة العادية فأن ذلك يعد دليلاً على توافر فعل الإغراق التجاري غير المشروع .

## الفرع الثاني

### الضرر في دعوى الحماية المدنية

يعرف الضرر بصورة عامة بأنه أذى يصيب الشخص فيسبب له خسارة مالية في أمواله سواء كانت ناتجة عن نقصها أم نقص منافعها أو زوال بعض أوصافها وكل ما يترتب عليه من نقص في قيمتها كما كانت عليه قبل وقوع الضرر<sup>(٣٦)</sup> .

ولم يعرف قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ الضرر بينما عرفت اتفاقية مكافحة الإغراق التجاري الضرر بأنه ((الضرر

المادي لصناعة محلية أو التهديد بإحداث ضرر مادي أو التأخير المادي لإقامة مثل هذه الصناعة<sup>(٣٧)</sup>.

ويعرف الضرر المادي بأنه إلحاق ضرر جسيم بالمنتج الوطني في البلد المستورد من جراء الانخفاض الكبير في بيع السلعة الوطنية المماثلة أو المشابهة للسلعة المستوردة بسبب الزيادة الكبيرة في السلع المستوردة وبيعها بأسعار منخفضة<sup>(٣٨)</sup>.

ففي دعوى رفعتها شركة الإسكندرية للحديد والصلب المصرية ضد السلع المستوردة من حديد الصلب من كل من روسيا وأوكرانيا ومقدونيا ولاقتيا إذ ادعت الشركة بأن هذه السلع قد تسببت بضرر مادي لها من انخفاض المبيعات وارتفاع نسبة المخزون فضلا عن انخفاض نسبة الأرباح والنصيب في السوق وبعد إجراء التحقيق اتضح بأن هذه السلع المستوردة قد تسببت بالفعل بهذا الضرر للمنتجين الوطنيين فتم فرض رسوم مكافحة الإغراق لمدة خمسة سنوات من سنة ٢٠٠٣ إلى سنة ٢٠٠٨<sup>(٣٩)</sup>.

أما بالنسبة للتهديد بحدوث ضرر مادي الذي يمكن تعريفه بأنه ضرر وشيك الوقوع بسبب الاستمرار في بيع السلع المستوردة في البلد المستورد بالمستوى والسعر نفسيهما الذي سيؤدي دون شك إلى إحداث ضرر مادي في المستقبل على المنتج الوطني بسبب الإقبال المتزايد على شراء السلع المستوردة بسبب انخفاض سعرها سيؤدي إلى خسارة فادحة بالمنتج الوطني ومن ثم توقفه عن الإنتاج<sup>(٤٠)</sup>، أما التأخير المادي فيقصد به هو التأخير الذي يترتب عليه انعدام الجدوى الاقتصادية من إنشاء مشروع تجاري بسبب انخفاض أسعار السلع المغرقة ، إذ لا بد التأكد من جدية التوجه لإقامة مثل هذا المشروع عن طريق تقديم مستندات هذا

المشروع عن طريق دراسة الجدوى القائمة على دراسات أولية ناتجة عن حجم الطلب المتوقع والاستثمارات اللازمة للمشروع وأهداف هذا المشروع فضلاً عن دراسة الجوانب الإدارية والتنظيمية والقانونية للمشروع<sup>(٤١)</sup>.

### الفرع الثالث

#### علاقة السببية في دعوى الحماية المدنية

يعد اشتراط كون الضرر مباشراً لكي يعتد به ويكون سبباً موجباً للمسؤولية المدنية هو تحقق علاقة السببية بينه وبين الخطأ والذي يجب أن يكون سبباً في حصوله إذ إن هذه العلاقة

تتقطع إن لم يكن الضرر مباشراً ومن ثم ينتفي معه تحقق أحكام المسؤولية<sup>(٤٢)</sup>. لذلك من حيث المبدأ يشترط وجود علاقة السببية بين الخطأ والضرر في دعوى الحماية المدنية. ويعد توافر علاقة السببية بين فعل الإغراق التجاري غير المشروع والضرر هي العنصر الفعال لفرض تدابير مكافحة الإغراق، لأن مجرد توافر فعل الإغراق وتحديده لا يعد كافياً ليتمكن المنتج الوطني في البلد المستورد من رفع الدعوى، إذ لا بد أن يثبت أن الخطأ هو علّة الضرر وأن الضرر ما كان ليحصل إذ لم يرتكب الخطأ والعبرة من تحديد هذه العلاقة بمقدار ما يتوقف الضرر في وجوده على وقوع الخطأ أو استقلال عنه بحيث يتصور وقوعه ولو لم يقع الخطأ فتعدم علاقة السببية.

وإثبات أن واردات الإغراق تسببت بضرر أصاب المنتج الوطني، ولكن تقطع هذه العلاقة متى ما كان الضرر الذي أصاب المنتج الوطني ناتجاً عن عوامل أخرى غير الإغراق التجاري تسبب حدوث ضرر للمنتج الوطني إذ قد يكون هنالك واردات وبمعدلات مرتفعة و

لكن دون أن تؤدي حتما إلى الإضرار بالمنتج الوطني بسبب عوامل أخرى ليس من بينها الإغراق هي:-

١ - حجم وأسعار الواردات لا تباع بأسعار مغرقة

٢ - انكماش الطلب على المنتجات الوطنية

٣ - تغيير أذواق وأنماط المستهلك

٤ - التطورات التكنولوجية

ولا تثير علاقة السببية مشكلة متى ما كانت النتيجة النهائية للفعل وإنها قد تمت من خلال فعل التعدي وحده ولكن المشكلة تثار إذا تخلل فعل التعدي أو تداخل معه أفعالا أخرى منتجة في إحداث الضرر واجتمعت عدة أسباب في تحقيق النتيجة أو ساهمت في تحقيقها عوامل أخرى كفعل الغير أو فعل المتضرر وذلك في حالة تحقق الضرر جزء منه راجعا إلى الإغراق وفي جزء آخر يعود إلى العوامل الأخرى الأجنبية عن فعل الإغراق.

#### المطلب الرابع

##### آثار دعوى الحماية المدنية

إذا ما تحقق فعل التعدي فإن القانون قد أعطى الحق للمنتج الوطني في رفع دعوى الحماية المدنية للتصدي لذلك الاعتداء ووقفه باتخاذ سلسلة من الإجراءات، في هذا الإطار سيتم بحث الجوانب الإجرائية لهذه الدعوى من حيث البدء بالتحقيق والتحقيق اللاحق وبحث الآلية المتاحة لمواجهة هذه الواردات وكيفية سريان هذه التدابير ومراجعتها على النحو الآتي :-

##### أولا: الإجراءات العاجلة

يعد الحجز التحفظي وسيلة عاجلة لتوفير للحماية القانونية المؤقتة للحق وتقرر هذه الإجراءات أساسا لدرء الخطر الذي يتوقعه المنتج الوطني وإذ

له أهمية في هذه الدعوى لما يترتب من آثار على الواقع العملي على اعتبار انه إجراء وقائي بموجبه توضع أموال المدعى عليه بالحق تحت تصرف ويد القضاء منعا من تصرفه تصرفا ضارا بحق المدعي وتعرف هذه التدابير العاجلة بأنها عبارة عن وسائل تهدف إلى حماية مصالح عاجلة لا يتسنى حمايتها بالطرق العادية وهي تهدف إلى توفير الحماية الوقتية للحق لسد النقص في وسائل الحماية العادية<sup>(٤٣)</sup> وهي:-

١ - الضمان المؤقت وهي عبارة عن تأمينات وكفالات مضمونة لحساب الجهة المختصة .

٢ - الرسم المؤقت وهي عبارة عن ضريبة مؤقتة تفرض على الواردات من السلعة المغرقة.

٣ - وقف التقييم في الجمرك

#### ثانيا: الرسوم النهائية

يعد فرض الرسوم النهائية لمكافحة الإغراق التجاري الإجراء الأهم والأخير من الإجراءات المقررة لمكافحة، وتتمثل إجراءات مكافحته في صورة رسوم جمركية إضافية تفرض على السلع المستوردة بما يتناسب مع حجم الانخفاض في سعرها عن السعر السائد في السوق ، وتفرض هذه الرسوم بالشكل والقدر الذي يحفظ للمنتج الوطني الحق في المنافسة المشروعة .

وإلى ذلك ذهب الجهة المعنية بإجراء التحقيق في العراق والمتمثلة بقسم حماية المنتجات العراقية في دارة التنظيم والتطوير الصناعي عندما أدعت شركة الفرات العامة للصناعات الكيماوية بإغراق السوق العراقية بمادة المنشأ المستورد من الشركات السعودية والسورية والتركية وحصول ضررا ماديا بالشركة من جراء بيع هذه المادة بأسعار أقل من قيمتها العادية وانتهت القضية بفرض رسم كمركي إضافي على الإستيرادات

من مادة النشأ المستورد بمقدار ٢٠% من قيمة الطن الواحدة لمدة خمسة سنوات<sup>(٤٤)</sup>.

وقد حدد النطاق الزمني لهذه الرسوم بخمسة سنوات لا يمكن زيادتها إلا إذا ما تسبب إلغاء هذه الرسوم للإضرار بالمنتج الوطني<sup>(٤٥)</sup>، وبعد انتهاء مدة الخمس سنوات تقوم الجهة المعنية بإلغاء الرسوم النهائية ما لم يستدع الحال غير ذلك كأن يكون الضرر سيعود مرة أخرى عند إلغاء فرض هذه الرسوم<sup>(٤٦)</sup>، إن الرسوم النهائية تعد الأثر الأخير لدعوى الحماية المدنية التي تفرض لمدة خمسة سنوات ولكن يمكن أن نرد ملاحظات على هذا الإجراء هي إن المشرع العراقي قد خالف المتفق عليه من حيث اعتبار أن المبالغ التي تدفع إلى الهيئة العامة للجمارك بأنها ضرائب وليست رسوماً ، فقد تابع المشرع العراقي في قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ لفظ ( رسوم ) دون لفظ ( الضريبة ) .

كان الأجدر بالمشرع العراقي استخدام مصطلح الضريبة بدلاً من استخدام مصطلح الرسم خصوصاً إذا ما رجعنا النص في اللغة الإنجليزية لاتفاقية مكافحة الإغراق نجده يستخدم مصطلح (( Anti-Dumping duties )) التي تعني ضرائب مكافحة الإغراق وليست رسوم مكافحة الإغراق لأن ترجمة مصطلح (Duty) تعني ضريبة وليس رسم، لذا نقترح إعادة صياغة نص المادة (١٨ / ١) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ في تعريفها للتدابير النهائية لمكافحة الإغراق وأن يكون نصها كالاتي :

المادة ١٨ ( ١ - تدابير مكافحة الإغراق : تتمثل بتحديد ضريبة جمركية تعادل هامش الإغراق ولا يزيد عنه إذا كان سعر التصدير المنتج المستورد إلى العراق أقل من قيمته العادية . )

### ثالثاً: التعويض

إن إلزام المسؤول بتعويض الضرر الذي تسبب فيه ، لا شك يعد الغاية من نظام المسؤولية المدنية وهو الوسيلة التي يستعان بها لإزالة الضرر، هذا ما أكدته قرار لمحكمة التمييز الاتحادية تؤكد حق المضرور في المطالبة بتعويض حيث جاء فيه : ( يلتزم مرتكب الفعل الضار بالتعويض إذا كان الضرر نتيجة خطأ أو تقصير ينسب إليه... )<sup>(٤٧)</sup> .

تعرض قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ لبيان ما المقصود بالإغراق وشروط تحققه وكيفية معالجته والآثار المترتبة على الدعوى ، إلا أنه لم يتطرق لتعويض المنتج الوطني مما يوحي بأنه ترك الأمر للقواعد العامة في القانون الوطني لكل دولة مما يؤكد ضرورة البحث في قواعد المسؤولية المدنية لتعويض المتضرر من جراء السلوك التجاري غير المشروع في التجارة الدولية ، وللمنتج الوطني الذي تعرض للضرر يتعذر تداركه كإغلاق مصنعه مطالبة المنتج الأجنبي والمستورد بتعويض يقابل تعادل قيمته ما يكلفه من إعادة الحال إلى ما كان عليه قبل وقوعه ونظراً لعدم وجود أحكام خاصة بالتعويض من حيث تقديره وشروطه فإنه يجب الرجوع إلى القواعد العامة في القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل باعتباره الشريعة العامة لطلب التعويض ونقترح على المشرع العراقي إيراد نص في قانون حماية المنتجات العراقية يعطي الحق للمنتج الوطني في طلب التعويض نصها كالآتي (( للمتضرر من فعل الإغراق التجاري المطالبة بالتعويض لدى الجهة المختصة إن كان له مقتضى )) .

## الخاتمة

ليست الخاتمة تلخيصاً للبحث ، وإنما هي استنباط لأهم ما انطوت عليه من التوصيات التي نأمل أن يأخذ بها المشرع عند إعادة النظر في القانون الذي ينظم الإغراق التجاري و يأخذ بها القائمون على تطبيق هذا القانون في الواقع العملي .

### التوصيات

- ١- ضرورة تعديل المادة (٤/١) بشأن تعريف الإغراق التجاري من التكلفة إلى جانب معيار وأن يكون نص المادة كالاتي :-  
((توريد السلع المماثلة أو المشابهة إلى السوق الوطنية بسعر أقل من قيمتها العادية أو بأقل من تكلفة إنتاج هذه السلع في سوق البلد المورد ))
- ٢- تعديل الفقرة الأولى من المادة الأولى من قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ التي استثنت المحاصيل الزراعية من نطاق الحماية وأن يكون نصها كالاتي :-  
(( مجموع السلع الصناعية و الزراعية و التي تنتج في العراق )).
- ٣- توعية المنتج الوطني بسياسة الإغراق التجاري و آثاره السلبية ذلك عن طريق معرفته الكاملة بالحقوق التي ضمنها له قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ و اتفاقية مكافحة الإغراق التجاري.
- ٤- تعديل مصطلح ( الرسوم ) و إيداله بمصطلح ( الضريبة ) في المادة (١٨) الخاصة بدفع رسوم مكافحة الإغراق التجاري من قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ على اعتبار أن المبالغ التي تحصلها الهيئة العامة في الكمارك هي ضرائب و ليست رسوم إذ تابع المشرع العراقي في قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ مصطلح ( الرسوم ) دون مصطلح ( الضريبة ) بالرغم من أن الرسم يعني



دفع مبلغ من المال لقاء منفعة خاصة في حين أن الضريبة تدفع مقابل انتقال السلع و المنتجات حدود الدولة سواء كانت مستوردة أو مصدرة ، وكان الأجدر بالمشرع العراقي استخدام مصطلح الضريبة إذا ما رجعنا للنص في اللغة الانجليزية للاتفاقية مكافحة الإغراق التجاري نجد استخدام مصطلح (ANTI-DUMPING DUTY) والتي تعني باللغة العربية ضريبة وليست رسماً لذا نوصي المشرع العراقي تعديل نص المادة (١٨/١) من القانون وأن يكون نصها كالآتي

(( تدابير مكافحة الإغراق : تتمثل بتحديد ضريبة كمر كية تعادل هامش الإغراق و لا يزيد عنه إذا كان سعر التصدير المنتج المستورد إلى العراق بأقل من قيمته العادية )) .

## الهوامش

(1) Thomas Prusa ,Anti-Dumping :A Growing problem in International Trade, Oxford ,2005 ,p 648.

(2) W.T.O World Trade Organization وهي اختصار لـ

وهي منظمة التجارة العالمية التي تأسست سنة ١٩٩٥ مقرها جنيف بسويسرا وظيفتها ضمان انسياب حرية التجارة العالمية فضلا عن تسوية المنازعات التي تنشأ بين الدول  
[www.WTO.org/files/mem.htm](http://www.WTO.org/files/mem.htm). Last visited 11- 1-2014

(3) see Article 6 on ADA ((A product is to be considered as been dumped i.e. in trade into the commerce of other country at less than its normal value if the export =price of the product exported from one country to another is less than the comparable price ,in the ordinary course of trade for the like product when destined for consummation in the exporting country )).

(٤) تم قبول العراق بصفة مراقب في منظمة التجارة العالمية في شباط ٢٠٠٤ ولقد ترتب على هذا القبول العديد من التغييرات القانونية والهيكلية ، منها استحداث قسم حماية المنتجات العراقية/ دائرة التنظيم والتطوير الصناعي/ وزارة الصناعة والمعادن العراقية لتكون هي الجهة المختصة بتطبيق اتفاقيات منظمة التجارة العالمية المتعلقة بتدابير مكافحة الإغراق التجاري والتي سببها لاحقا ، إذ تعمل هذه الجهة على تطبيق هذه الاتفاقيات والقانون العراقي والذي نظم بهذا الخصوص وهو قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ والتعليمات رقم ١ لسنة ٢٠١١ لتسهيل تنفيذ هذا القانون .

(٥) انظر المادة (١١/١) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم (١١) لسنة ٢٠١٠ .

(٦) أنظر المادة (٥/١) من التعليمات رقم (١) لسنة ٢٠١١

(7) Aradhna Aggrawal , Anti-Dumping in Law and Practice, Indian Council for Research on international economic Relations , New Delhi ,India,2002. ,p 10

(8) Ian Wooton,Trade and Competition Policy Anti-Dumping Verus Anti Trust ,University of Glasgow ,United Kingdom, 2002 ,p 10.

(٩) د.لينا محمد زكي، قانون المنافسة ومنع الاحتكار، بلا مكان طبع ، ٢٠٠٦، ٢١٤ .

(١٠) تعرف المنافسة بأنها العلاقة التجارية والتي تنشأ بين مجموعة من التجار الذين يقومون ببيع سلعاً أو خدمات مماثلة أو مشابهة على العملاء في منطقة جغرافية معينة

د. ندى كاظم المولى ، المنافسة والمنافسة غير المشروعة بحث منشور في مجلة العلوم القانونية ، كلية القانون ، جامعة بغداد ، العدد (٢)، ٢٠٠٥ ، ص ١٠٥ .

(11) Aradhna Aggrawal, op.cit. p 10 .

(12) مشار إليه في د . عمر محمد حماد ، الاحتكار والمنافسة غير المشروعة ، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩ ، ص ١٣٩ .

(13) هنالك استثناء آخر لم ينص عليه المشرع العراقي بالرغم من أن اتفاقية مكافحة الإغراق قد أشارت إليه وهي حالة تقسيم أراضي الدولة الواحدة بالنسبة لإنتاج منتج معين إلى سوقين أو أكثر إذ لا يمكن عد المنتج في إحدى هاتين السوقين منتجا وطنيا يحظى بالحماية ، في نظرنا أن المشرع العراقي لم ينص على هذا الاستثناء بالرغم من أنه قد سلك مسلك الاتفاقية بخصوص استثناء المنتج المرتبط من مفهوم المنتج الوطني و نعتقد أن السبب من عدم النص عليه هو لحماية السوق العراقية على اعتبار إن وجود ما يسمى بالمنتج الإقليمي في السوق العراقي نادرة الوجود على خلاف الأسواق الأوروبية والتي تعتبر من الأسواق الكبيرة التي تحوي على صناعات إقليمية.

(14) تعرف الشركة القابضة بأنها الشركة التي تسيطر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على إدارة الشركة أو شركات أخرى سيطرة قانونية أو اتفاقية أو فعلية بحيث يكون لها وحدة القرار في تلك الشركة أو الشركات التي تصبح تابعة لها . هذا التعريف نجد أنه مشابهة لتعريف الشركات متعددة الجنسية على اعتبار أن المقارنة بينهما مقارنة بالكيان الاقتصادي ككل وهي الشركات متعددة الجنسية وبين جزء من هذا الكيان المتمثل بالشركة القابضة حيث يمثل هذا الجزء الإدارة الموحدة والمسيطرة على جميع الشركات الأعضاء عي الشركات متعددة الجنسية .

د. علي ضاري خليل ، التنظيم القانوني للشركات القابضة ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ٧١ .

(15) د. جاسم محمد منصور ، التجارة الدولية ، دار زهران للنشر ، عمان ، الأردن ، ٢٠١٣ ، ص ٨٥ .

(16) د.سالم محمد عبود ود.منى الموسوي ، حماية المستهلك ، دار الدكتور للعلوم ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٧ .

(17) د.شبروان هادي الحماية القانونية للمنتجات الوطنية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون ،جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠١٢ ، ص ٢٣ .

- (١٨) أنظر المادة (٢/١) من القانون .
- (١٩) أنظر المادة (٣/١) من القانون .
- (٢٠) انظر المادة (١/١) من القانون .
- (٢١) عمر محمد حماد، مصدر سابق، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٢٢) المادة (٢) من القانون .
- (٢٣) سعدي خميس علي، عامر أحمد، دور قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ في مكافحة الممارسات التجارية الضارة بالسوق العراقية ، بحث منشور، قسم حماية المنتجات العراقية ، دائرة التطوير و التنظيم الصناعي ، وزارة الصناعة والمعادن ، ٢٠١٣ . ص ٢ .
- (٢٤) د. إبراهيم المنجي، مصدر سابق، ص ١٣٢.
- (٢٥) انظر المادة (٢/ ١) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ .
- (٢٦) د. شيروان هادي ، مصدر سابق ، ص ٣٣ .
- (٢٧) د. إبراهيم محمد المنجي ، مصدر سابق ، ، ص ١٢٤
- (٢٨) د. شيروان هادي ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .
- (٢٩) د. عمر محمد حماد، مصدر سابق، ص ١٢٥ .
- (30) Aradhna Aggrawal ,Op,cit . p6 .
- (٣١) المادة (٢ / ٧ ) من قانون الإثبات العراقي رقم ( ١٠٧ ) لسنة ١٩٧٩ المعدل .
- (٣٢) نصت المادة ( ٥ ) من قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١ لسنة ٢٠١٠ على : ( للدائرة التطوير و التنظيم الصناعي أجراء التحقيقات دون تقديم طلب المنصوص عليه في المادة (٤) من هذا القانون إذا تبين لها توافر أدلة كافية على وجود الممارسات الضارة و الضرر الناجم عنها )
- (٣٣) المادة ( ٢ / ٧ ) من قانون الإثبات العراقي رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩ المعدل.
- (٣٤) المادة (٤) م قانون المرافعات المدنية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ المعدل .
- (٣٥) نصت المادة (٣٣) من التعليمات لتسهيل تنفيذ قانون حماية المنتجات العراقية رقم ١١١ لسنة ٢٠١١ على (( ..... يقصد بالطرف المعني المنتج الأجنبي والمصدر والمستورد )) .
- (٣٦) د. عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، الجزء الأول ، منشورات المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٧١٣ .

(37) Article 3 ((Under this Agreement the term 'injury' shall ,unless otherwise specified ,be taken to mean material injury to a domestic industry ,threat of material retardation of the establishment of such an industry and shall be interpreted in accordance with the provisions of this Article)).

(38) د. أمل محمد شلبي ، الحد من آليات الاحتكار من الوجه القانوني ، أطروحة دكتوراه مقدمة على كلية الحقوق، جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٣٨ .

(39) القرار رقم (٣٤٠) لسنة ١٩٩٩، النشرة الخارجية لوزارة التجارة والتموين المصرية .

(40) أمل محمد شلبي، مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(41) إياد عصام الحطاب مكافحة الإغراق التجاري، دار الثقافة للنشر، الأردن، ٢٠١١، ص ٢٠٠ .

(42) د. عادل خيرى محمد ، المفهوم القانوني لرابطة السببية وانعكاساته في توزيع عبء المسؤولية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ٢٠٠٥ ، ص ٢٧١ .

(43) د. علي الشحات الحديدي ، التدابير الوقائية والتحفظية في التحكيم الاختياري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٨ .

(44) القرار رقم ٢٩٠ لسنة ٢٠١٣ الصادر من مجلس الوزراء بشأن إغراق السوق العراقية بالواردات السورية و التركية والسعودية من مادة النشأ المستورد، قسم حماية المنتجات العراقية ، وزارة الصناعة و المعادن العراقية.

(45) انظر المادة (١/٥٥) من التعليمات رقم ١ لسنة ٢٠١١.

(46) د. أمل محمد شلبي، مصدر سابق، ص ١٢٣ .

(47) قرار محكمة التمييز الاتحادية العراقية ، ٣٥٤ / مدنية منقول / ٢٠٠٩ / منشور في مجلة النشرة القضائية ، مجلس القضاء الأعلى ، ٢٠٠٩ .



# **A Linguistic Analysis of Parallelism in Marianne Moore's Poems ( Nevertheless, A Face, What are Years?)**

By  
***Ghufraan Abdul-Hameed Ali***  
Assistant Instructor  
*Ministry of Higher Education and Scientific Research*

## **Abstract**

Parallelism is one of the devices used to create a cohesive link. It is a common Phenomenon in English used to create consistency in the arrangement of parallel lines and to create beautiful structural patterns with some musical effect. It is a stylistic device of repetition and a separate system of parallelism, or rhyming of ideas rather than sounds. The remarkable degree of overlap of form and content ensures a remarkable degree of accuracy, or transfer of meaning (Aproberts;1977.1 )

The present paper deals with the problem of how parallel structures tie a poem and make it cohesive and why Moore uses parallelism and which type is the most important one and why she concentrates upon it?

Three poems written by Marianne Moore have been selected with the aim of investigating the use of parallelism and revealing how parallelism affects the cohesion of these poems, and the role parallelism plays in modern poetry use that makes cohesive poems both semantically and syntactically .

The paper concludes that parallelism is a figure of balance identified by similarity in the syntactic structure.

Moore focused on syntactic parallelism more than semantic one. They both complete each other. Throughout the analysis of these three poems, it has been noticed that Marianne Moore uses grammatical parallelism in both syntactic and morphological levels as well as semantic and phonological levels. Furthermore, it has been noticed that the synthetic parallelism is used more than antithetical and synonymous parallelism i.e parallelism is seen here as a category of persuasive strategies.

### تحليل لغوي للتوازي في قصائد مريم مور

(ومع ذلك، وجه، ماهي السنين)

م.م. غفران عبد الحميد علي

#### الخلاصة

التوازي هو أحد الوسائل المستخدمة لإنشاء ارتباط متماسك وهو ظاهرة شائعة في اللغة الإنجليزية المستخدمة في إنشاء الاتساق أو التماسك في ترتيب الاسطر المتوازية ولخلق أنماط أو نماذج تركيبية جميلة مع بعض التأثير الموسيقي. وهو وسيلة أسلوبية للتكرار أو قافية الأفكار بدلا من الأصوات. إن الدرجة الكبيرة من التداخل في الشكل والمضمون تضمن درجة كبيرة من الدقة، أو نقل المعنى (ابروبرتس: ١٩٧٧: ١).

يتعامل هذا البحث مع المشكلة الخاصة بكيفية ربط التراكيب الموازية للقصيدة وجعلها متماسكة ولماذا تستخدم مور التوازي وأي نوع هو الأهم والسبب في تركيزها عليه؟ وقد تم اختيار ثلاث قصائد كتبتها الشاعرة ماريان مور والتي تهدف من التحقق في كيفية استخدام التوازي والكشف عن كيفية تأثير التوازي على تماسك هذه القصائد، والدور الذي يلعبه التوازي في استخدام الشعر الحديث الذي يجعل القصائد متماسكة على حد سواء لغويا ونحويا من خلال تحليل أنواع ووظائف التوازي ودورها في صنع قصائد متماسكة والتي تبين نقاط التشابه والتوازي في أنواع هذه القصائد الثلاث.

يخلص البحث إلى أن التوازي هو شكل من اشكال التوازن التي حددها التشابه في البنية النحوية. لقد ركزت مور على التوازي النحوي أكثر من الدلالي و كلاهما يكمل بعضهما البعض. من خلال تحليل هذه القصائد الثلاث، يلاحظ ان ماريان مور تستخدم التوازي النحوي في كل من مستوياتها (النحوية والصرفية) وكذلك المستويات الدلالية والصوتية وبعبارة أخرى ينظر الى التوازي هنا كنموذج من الاستراتيجيات الانعائية.



## **Introduction**

Any piece of connected discourse can be analyzed from different points of view, these are: - physical point of view as a string of sounds , psychological point of view as a carrier of meaning and the third criterion is the study of relations which exist between various units (Ullmann;1967:23).

Cohesive devices are like the glue which holds different parts of a text together, they are one factor in making a text cohesive and they are a good place to start the study of text and discourse ( Salkie: 1995: x). Thus, parallelism is one of the linguistic devices used to create cohesion in a text. It is defined as a linguistic phenomenon and it makes use of language in a variety of interesting ways (Cowth (cited in Berlin, 1985:2).

Cook (1989: 15) defines Parallelism “as a device which suggests a connection between the elements of a text simply by repeating the form of the words, sentences and even large units throughout the text.

The principle of parallelism according to Thrall and Hibbard ( 1960:339) indicates that the co-ordinate ideas should have co-ordinate presentation within a sentence. More and more, parallelism is the core of the poetic function which projects the principle of equivalence from the axis of selection (Jakobson (1960: 528, cited in Berlin, 1985:5 )).

Quirk ,etal. (1985:858) maintain that parallelism involves an interpretation or a paraphrase or a simple repetition of a thought, figure, metaphor contained in the preceding verse or verses .

To sum up, parallelism can be defined as two sentences (phrases or clauses) having the same structure, so that a strong relationship existing between them and it occurs on the basis of the sameness or oppositeness.

### **Levels of Parallelism**

Parallelism is a common linguistic phenomenon that occurs at different levels of language such as phonological, lexical, morphological, syntactic and semantic levels. It links up ideas thereby making the message clearer and more emphatic to the reader. In grammar, parallelism, also known as parallel structure or parallel construction is a balance within one or more sentences of similar phrases or clauses that have the same grammatical structure. The application of parallelism improves writing style and readability and is thought to make sentences easier to process (Int; 2013:1).

Parallelism is often achieved by using antithesis, anaphora, asyndeton climax, apostrophe and sympolce (Ibid). Compare the following examples which lack parallelism :

She likes cooking, jogging, and to read.

Parallel: she likes cooking, jogging, and reading.

In the above example, the first sentence has two gerunds and one infinitive. To make it paralleled, the sentence should be rewritten with three gerunds instead.

#### **Lacking Parallelism:**

Corey admires people with integrity and who have character.

Parallel : Corey admires people with integrity and character.

Parallel : Corey admires people who have integrity and character. (Ibid. )

In addition, parallel structure affirms similarity of structure in a pair or series of related words, phrases, or clauses. By convention, items in series appear in parallel grammatical form:- a noun is listed with other nouns, an –ing form with other-ing form and so on. A failure to express such items in similar grammatical form is called faulty parallelism (Richard 2013:2).

In traditional grammar, a construction in which two or more parts of sentence are equivalent in meaning but not parallel (or grammatically similar) in form. Faulty parallelism most often occurs with paired constructions and items in a series such as :

Annie likes to nap, rap, and eating snacks.

Corrected-:

Annie likes to nap, rap, and snacks

(Ibid)

In Myersand Simms ( 1985:223)Parallelism is a linguistic phenomenon that can be found at different levels and forms in a text, and is utilizedto perform a number of functions such as creating cohesion and coherence, in a text .i.e when parallelism is employed with anaphora, it emphasizes the poetic quality of the text (Bradshaw, 1997: 27). It is used to emphasize a certain idea behind the sentences or clauses repeated ( Murdich2000 : 205) and also achieved arrangement of the parts of composition which are balanced in similar constructions. Furthermore ,it is used to persuade the audiencei.e it is a category of persuasive strategies (Johnstone ;2008: 247 )

In addition to what has been mentioned above, parallelism makes a text economical (Poskiene, 2009:7) with musical affect i.e it emphasizes poetic quality of the text (Bradshaw, 1997:27). It also, corrects writing because parallelism adjusts the order of words that have similar function in the sentence (Poskiene,2009:6 ).

### Types of Parallelism

Many books of the Old Testament were written as poetry .The wisdom books of Job ,Psalms, Ecclesiastes and Songs of Solomon are wholly poetic .The major and minor Prophets were also written largely in poetic formbecause there is much poetry in the Hebrew Bible. In a word parallelism makes a Hebrew poem poetic. English

uses parallelism quite often, as in the proverb "like father, like son" A.A. Milne's words,

"you are braver than you believe, stronger than you seem, and smarter than you think". Exhibit parallelism in their three clauses.

In 1753, Lowth in the third of his lectures on the sacred poetry of the Hebrew, distinguished three principal kinds of parallelism:

- 1- **Synonymous parallelism** : The idea of the second line is a restatement of the idea of the first line. (Int: 2013) or The same meaning is repeated in different words, i.e. it involves two parallel lines, or more expressing essentially the same idea (Bromily, 1986: 892). E.g. "My son, don't despise the Lord's discipline and do not resent his rebuke."

2- **Antithetical Parallelism**: The idea of the second line is the opposite of the first line or where the meaning of two or more excerpts of text are obverse, although directly linked by providing the same meaning from differing perspectives. This type of parallelism is used in order to create repetition as a technique for cognitive reinforcement, thus more effectively communicating the meaning of the text. For example,

-The young lions lack and suffer hunger,  
But those who seek the Lord shall not lack any good thing. (Psalm 34: 10)

In addition, antithetical parallelism is defined as text where the meaning in the first part of the couplet contrasts with an opposite theme contained in the second. In poetry the use of opposites can bring a sharper contrast to an image and provide a greater focus to the desired message. It is often marked by the use of the conjunction "but" placed between two statements to juxtapose them and helps the reader to view both the positive and negative perspectives of the text.

**3-Synthetic parallelism** :The related thoughts are brought to emphasize similarities ,contrasts ,or other correlations (int:2013)or it is a form of continuation of the thought ....either by extending it or by explaining it (Kassis; 1999: 242)

"Haughty eyes and a proud heart,  
The lamp of the wicked, are sin!"

**Marianne Moore's Life**

Moore was born in Kirkwood Missouri, where her maternal grandfather served as a pastor; she was the daughter of mechanical engineer and inventor. She suffered anervous breakdown and she never got to meet her father.(Wikipedia,2013:2)

In 1905, she entered BryneMawr College in Pennsylvania and graduated four years later with a B.A and majored in history, law and politics. Until 1915 she began to publish poetry professionally. From 1929 till 1952 Moore served as an editor of literary and cultural journal, she encouraging, promising young poets including Elizabeth Bishop, Allen Ginsborg, John Ashbery and James Merrill. (Ibid:2)

In 1933, she was awarded the Helen Hair Lension prize by poetry. Moore suffered a series of strokes and died in 1972. She never married ,she was an avid editor of her own verse and a bulk of her poems appears in numerous and no text was ever stable or finished.(ibid:3)

Poets and critics now consider Moore (1887.1972) a major modern American poet equal or (almost equal) to T.S Eliot.(A powerful intervention into Moore studies, it gives readers a broader sense of the poet's complex and brilliant career). (Ibid)

Furthermore, I choose three poems to clarify the parallelism using in Marianne Moore's poems these are :  
A face, Nevertheless, What are years?.

## **The Analysis of the poems**

N	Name of the Poem	Syntactic Parallelism	Phonological Parallelism	Types of Parallelism	SemanticParallelism
1-	Nevertheless	<p>1- You have seen a strawberry</p> <p>2- That's had a struggle, yet</p> <p>(S+have+P.P.V) +A+N</p> <p>(7-8) lines the fruit)</p> <p>Article + n</p> <p>(a barbed wire)</p> <p>A root shot down article + n</p> <p>(26-27) lines</p> <p>Under-gone</p> <p>Over-gone</p> <p>(28-29-30) lines</p> <p>The weak overcomes its menance , the strong over comes itself</p> <p>Art + N+V+N .</p>	<p>(2-3) lines ' yet, met'</p> <p>(5-6) lines</p> <p>multitude, food'</p> <p>(8-9) lines locked-in ,twin)</p> <p>(11, 12) lines</p> <p>' rubber- plant' (can't)</p> <p>(14-15) lines</p> <p>(where) – (prickly – pear)</p> <p>(17-18) lines grow, below'</p> <p>(20-21) lines</p> <p>'some' , 'come'</p> <p>(26-27) lines</p> <p>'tendril' , 'till'</p> <p>(26-27) lines</p> <p>(under, stir)</p> <p>(24-30) lines</p> <p>' over' , 'there'</p> <p>(32-33) lines</p> <p>'thread' and ' red'</p>	<p>(7,8,9) lines</p> <p>Synthetic parallelism</p> <p>(The fruit within the fruit –locked in like counter – curved twin)</p> <p>Synthetic parallelism in</p> <p>(10,11,12,13) lines frost that kills the little rubber-plant leaves of kok-sagyyz-stalks ,can't harm the</p> <p>Synthetic Parallelism in</p> <p>(20,21,22) Victory won't come to me unless I go to it.</p> <p>Synthetic parallelism in (25,26,27)lines so the bound twig that's under-gone and over-gone ,can't stir</p> <p>(31,32,33) What sap went through that little thread to make the cherry red!</p>	
2-	<b><i>What are years?</i></b>	<p>( 1-2) lines</p> <p>'What is our innocence'</p> <p>What is our guilt</p> <p>What+ V. to be + pron. + n.</p> <p>(3-4 ) lines</p> <p>All are naked -None is safe</p> <p>6 line</p> <p>Dumbly calling deafly listening</p>	<p>Calling-listening / /</p> <p>(8-9) lines ' others' , (stirs)</p> <p>(6-7) lines feels, behaves /Z/ ' sings, steels'</p>		

		<p>(7-8) lines Even death encourages its defend stirs</p> <p>Second stanza ( Sees, is, accedes, rises, finds) {The use of the present V.}</p> <p>In the third stanza</p> <p>He is captive His mighty singing says</p> <p>Satisfaction is a lonely thing Thing is joy,</p> <p>(8-9) lines 'this is mortality' 'this is eternity'</p>			
3-	A face	<p>Third line ' studying, studying</p> <p>(11) line To my mind To my sight</p>	<p>(1-2) lines</p> <p>Treacherous callous, jealous. Superstitious, venomous, hideous. /S/</p> <p>Third line ' expression' ' desperation'</p> <p>(5,6) lines ' impasse"glass'</p> <p>Seventh line Order, ardour Uncircuitous simplicity</p>	<p>Synonymous parallelis-m</p> <p>Repetition</p> <p>The fifth line completes the sixth line</p>	<p>The same words are adjectives and are synonymous words</p> <p>Semantics</p> <p>Fifth and sixth lines</p> <p>Though at no real Impasse ' would gladly break the glass'</p> <p>The (11) line completes the idea of the 12 lines( synthetic parallelism in (11-12) lines</p> <p>To my mind, to my sight</p> <p>Must remain a'deligh</p>

### Conclusions

Parallelism is a figure of balance identified by similarity in the syntactic structure. It is a pair or series of related words, phrases or clauses and it is a means of cohesion and rhetoric.

It has been noticed that Moore uses parallelism in her poems by making parallel ideas contrast in her poems such as (A face, Nevertheless and What are years?). She uses parallel style that clarifies her ideas and themes. In that, she does so through the use of this method to show the power of language in using different synonymous words to express her ideas. The technique of parallelism could be used in studying the subjects or ideas that embody parallel thoughts. So there is no doubt that Marianne Moore gains mastery in her use of parallelism to enhance her ideas and create unforgettable subjects by clarifying her themes.

In addition, Marianne Moore uses parallelism to achieve economical, effective, rhetorical poem as well as attracting the attention of the reader i.e it is used as a means of persuasion and to simplify the poem reading. So that, by using parallelism she expresses her ideas with simple, short speeches she resorts to persuasion, using very simple style.

Throughout the analysis of these three poems, it is noticed that Marianne Moore uses grammatical parallelism in its two parts of syntactic and morphological levels as well as semantic and phonological levels.

In semantic level, she uses different synonymous to express her ideas while in phonological parallelism, she uses different expressions with the same tone to persuade and make it easier to the reader, in the grammatical level, she achieves the equability i.e the equability of the poem is important by juxtaposing words or phrases.



Furthermore, it is noticed that thesynthetic parallelism is used more than antithetical andsynonymous parallelism and she concentrates on it more than other types because she needs to develop or complete the thought in a way that could not be determined in the first or previous line .

Moore uses phonological parallelism more than semantic and syntactic level and syntactic level more than semantic parallelism because phonological parallelism leads to create a great resonance and attract the attention of readers and it achieves a musical effect .Also, she uses syntactic parallelism to persuade the readers . i.e parallelism is seen here as acategory of persuasive strategies.

Moreover ,She focused on syntactic parallelism more than semantic one and also , they overlap with each other . i.e. They both complete each other.

All in all, parallelism is used by Moore to connect the elements of a poem and it is one of the cohesive devices that is used by her in all her poems.

## References

- Berlin. Adele( 1985) The Dynamics of Biblical Parallelism. India: India University Press.
- Bradshaw, F. Eds (1997) Essays on Early Eastern Eucharistic Prayers. Minnesota: the Liturgical Press.
- Cook, Guy (1989) Discourse. Oxford: Oxford University Press
- Crystal, D. (1987) A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Oxford: Basil Blackwell.
- De Beaugrand, R and W. Dressler (1981) Introduction to Text Linguistics. London: Longman Group Ltd.
- Johnstone ,Barbra (2008) Discourse Analysis . Oxford: Blackwell Publishing Ltd.
- Murdick, William (2003) A Students Guide to College Composition. Jain Publishing Company, Inc.
- Myers, J.E and Michael Simms (1985) Language Dictionary and Hand Book of Poetry. New York: Longman Group Ltd.
- Quirk, R., Sidney Green Bauman, Geoffrey Leech, and Jan Stuart (1985) A Comprehensive Grammar of the English Language. London: Longman Group Ltd.
- Salkie, Raphael (1995) Text and Discourse Analysis. London: Routledge Publishing .
- Thrall, William and Hibbard, Addison (1960) A Handbook to literature
- Ullmann, Stephen (1967). The Principles of Semantics . Oxford :Basil Blackwell.

## Internet References

- Beare, Kenneth (2013) Parallelism –Parallel structure . Available at: <http://esl.about.com/od/writingstyle/a/w-parallel-htm>.
- Kies, Daniel (1995) Coherence in Writing. Department of English College of Du Page. Available at: [http://papyr.com/hypertextbooks/comp/coherent](http://papyr.com/hypertextbooks/comp/coherent.htm) .htm E Accessed 21, November 2013

- Kemertelidze ,Nino and Manjavidz,Tamar,,2013 Stylistic Repetition Its Peculiarities and Types in Modern English.Tbilisi, Georgia :GrigolRobakidze University .European Scientific Journal ,July 2013/ SPECIAL/edition ISSN:1857-7881(print) e-ISSN/857-7431.
- Nordquish ,Richard(2013) Parallelism .Available at:[http://grammar .about .com /pq/parallelism term.htm](http://grammar.about.com/pq/parallelism%20term.htm).
- Poskiene, A (2009) The Role of Parallel Structures as aCohesion Device in a Technical Text.Retrieve from :[http://www.kalbos.lt/zrunalai/14-nameris / 02.pdf](http://www.kalbos.lt/zrunalai/14-nameris/02.pdf){ Accessed January 3 , 2013 }.
- Marianne Moore-Poems (2004)The World Poetry Archive Classic Poetry Series .Retrieved from[www.poemhunter.com](http://www.poemhunter.com)- Marianne more –Poems - 2004 { Accessed March }.
- Marianne Moore The Meaning of What AreYears?Retrieved from 123Help Me.com09Nov 2013. >خطأ! مرجع الارتباط التشعبي غير صحيح.
- Wikipedia, The Free Encyclopedia ,Parallelism (Grammar).Retrieved from [http:// en.Wikipedia .org/wiki/ parallelism –\(grammar\)](http://en.Wikipedia.org/wiki/parallelism_(grammar)) .{accessed January ,2,2013}
- Wikipedia, The Free Encyclopedia(2013)synonymous parallelism at:[http://www.got questions.org/ synonymous-parallelism .html#ix zz20 qdmAguh](http://www.gotquestions.org/synonymous-parallelism.html#ixzz20qdmAguh).



# Conventionally Indirect Requests in the Press Conferences of U.S. Presidents Barack Obama and John F. Kennedy

A research by  
**Maysoon Khaldoon Khattab**  
Aliraqia University  
College of Arts

## Abstract

The aim of this research is to investigate the use of conventionally indirect requests by the journalists in political press conferences. Being conventionally indirect is one of the politeness strategies in Brown and Levinson theory of politeness (1978). “ Being conventionally indirect means the use of phrases and sentences that have contextually unambiguous meanings which are different from their literal meanings” (Ibid.:137). It is hypothesized that journalists have become more direct and less cautious in their questions. This research is a comparative study analyzing the use of conventionally indirect questions in two different periods. The analysis concentrates on the press conferences conducted by two U.S. presidents , Barack Obama (2009- present) and John F. Kennedy (1961-1963).

The material studied show thatthe use of the indirect requests decreased significantly in the present-day press conferences. Also examining the questions indicates that there are certain factors affect the choice of the indirect speech request.

## الأسئلة التقليدية الغير مباشرة في المؤتمرات الصحفية لرؤساء الولايات المتحدة

باراك اوباما و جون أف كندي

م.م ميسون خلدون خطاب

الجامعة العراقية / كلية الآداب

يهدف البحث الى دراسة استخدام الأسئلة الغير مباشرة من قبل الصحفيين في المؤتمرات الصحفية. أستخدم الأسلوب الغير مباشر هو إحدى استراتيجيات التأدب في النظرية التأديبية لبراون وليفنس ١٩٧٨. استخدام الأسلوب التقليدي الغير مباشر يعني استخدام العبارات والجمل والتي يكون معناها مفهوما من سياق الكلام والذي يختلف عن المعنى الحرفي.

من المفترض ان الصحفيين اصبحوا أكثر مباشرة وأقل حذرا في أسئلتهم. البحث هو عبارة عن دراسة مقارنة تختص بتحليل أستخدم الأسئلة التقليدية الغير المباشرة في فترتين زمنيتين مختلفتين. التحليل يتناول المؤتمرات الصحفية لرئيسي الولايات المتحدة باراك اوباما (٢٠٠٩- الفترة الحالية) وجون أف كندي (١٩٦١-١٩٦٣).

بينت الدراسة أن أستخدم الأسئلة الغير مباشرة قد تقلص وبصورة ملحوظة في المؤتمرات الصحفية في الوقت الحاضر. أن دراسة الأسئلة أظهر أن هناك عوامل تؤثر في أخيار الأسئلة الغير مباشرة.



## 1-Background:

“ Press conferences are one of the most important vehicle by which presidents communicate to the media and public”(Eshbaugh-Soha,2003:348). The American presidents since John Kennedy’s day have ordinarily used the televised press conference as a main channel of communication with the American people. While British prime Ministers have done so through parliamentary questions and news interviews. Reviewing the American experience as a whole, it is interesting to find that news interviews were not so common in American news and current affairs programming. Moreover, news interview programs do not attract the same degree of public interest and specialist commentary in the U.S than they have in Britain (Clayman and Heritage,2002:46-47).

There is an important difference between press conferences and traditional news interviews concerning interaction and territorial power. News interviews consist of one interviewee and one interviewer, so competition to gain the floor is made between the two participants. The two participants take part in turn-taking. The interviewer set the agenda of the answer, he asks the question, makes statements to assess interviewee’s responses. Also he gives opinions, sometimes he conveys accusation and criticism. When one participant speaks, there is only one speaker who can interrupt.

Competition for the floor usually takes place when the interviewer tries to interrupt an answer turn with a new question or a follow up, or to challenge the interviewee’s response. On the other hand, the interviewee may interrupt a question turn with a response. Unlike news interviews, in press conference there are many participants, one or more than one politicians and a large group of journalists who take their turn to ask their questions. A press conference may have one, two or more politicians .

Also the whole relationship between the journalism and politics differs. This relationship is determined by who arranges the interview situation. So politicians in press conferences try to present a complete picture, and clear competition between them rarely takes place. Whereas political T.V or radio interview are arranged by interviewer. Unlike political news interviews, in press conferences the politician has the chance to speak to the audience without interruption. Also he has the power because he selects the journalist who is going to ask the question. There are various techniques that are employed by the politician who has the floor to select the next journalist, among these techniques is body language (pointing with the hand, nodding combined with eye contact). Also he/she does so by verbal expressions, in which the name is the most used technique in addressing the next speaker. But in news interviews the interviewer has the power because he conducts the interview and asks the questions.

## 2- Indirect Speech Act

Directness refers to “the degree in which requestive meaning is indexed in the form of an utterance” (Searl, 1969). Direct requests are syntactically shaped through grammatical mood or a performative verb. Conventionally indirect requests are composed of standard frames that are conventionalized for requestive meaning, for example the request frames including modal verbs that refer to the hearer’s ability or willingness (can you, could you, will you, or would you). Another example of conventional indirect request is to refer to the speaker’s desire or intention (Blum- Kulka, House and Kasper, 1989). The journalist’s questions are speech acts that threaten the face of the president; therefore he mitigates his questions by using indirect questions to minimize the forcefulness of his request. The indirect question is more polite than direct question



because the journalists ask about the ability or the willingness of the president to answer the question. Thus they avoid coercing the president's response by giving him the option not to answer the question if he does not want to do so. Such kinds of questions are differential to the power and position of the president, also the journalists indirectly imply that they are powerless to coerce the president (Brown and Levinson, 1978).

"In indirect speech acts the speaker communicates to the hearer more than he actually says by way of relying on their mutually shared background information, both linguistic and non-linguistic, together with the general powers of rationality and inference on the part of the hearer" (Searl, 1975).

Thomas (1995:125) suggests that directness is universal since it takes place in all natural languages. But there are elements that control the use of indirectness in all languages and cultures. These elements are mentioned below:

- 1-The relative power of the speaker over the hearer.
- 2- The social distance between the speaker and the hearer.
- 3- The degree to which X is rated an imposition in culture Y.
- 4- Relative rights and obligations between the speaker and the hearer.

When the hearer is more powerful than the speaker, the speaker makes use of greater degree of indirectness. Also the social distance is another element that affects the speaker's use of indirectness (Leech, 1983). In a conversation context many factors determine the degree of respectfulness such as (status, age, sex, degree of intimacy, etc.). When you want to make a request, your request will be direct or indirect according to the social distance and the degree of intimacy and friendliness. For example when a speaker wanted some change for the coffee machine, she first approached a colleague whom

she knew very well, but when he could not help, she was forced to approach a complete stranger[ a man considerably older than she was] (Thomas,1995,127-28):

1- Got change of fifty pence, DB?

2- Excuse me could you change fifty pence for me?

I need tens or fives for the coffee machine.

The degree of impositions may differ according to the situation, if you want to borrow 100\$ you will be more indirect in your request than if you want to borrow a dollar. Another example when the distance is great(Speaker and Hearer are strangers):

- Look, I'm terribly sorry to bother you but would there be any chance of your lending me just enough money to get railway ticket to get home? I must have dropped my purse and just don't know what to do (Brown and Levinson,1978:86).

Pinker (2007:438) suggests that indirectness is used to avoid embarrassment and awkwardness, save face, or reduce social tension . Thomas (1995: 142-43) mentions other reasons:

- The desire to make one's language more/less interesting.

- To increase the force of one's message.

- Competing goals

- politeness/regard for face.

## 2.1 Performance of Indirect Directives:

Searl (1969) lists examples of some of the sentences that could be employed to make indirect requests and other directives or orders. He divides these sentences into groups:

Group 1: Sentences concerning hearer's ability to perform the act:

*Can you reach the salt?*

*Could you be a little more quiet?*

*You can go now.*

*Are you able to reach the book on the top shelf?*

Group 2: Sentences concerning speaker's wish or want that hearer will do the act:

*I would like you to go now.*

*I want you to do this for me , Henry.*

*I would /should appreciate it if you would/ could do it for me.*

*I wish you wouldn't do that.*

Group 3: Sentences concerning hearer's doing the act:

*Will you quit making that awful racket?*

*Would you kindly get off my foot?*

*Won't you stop making that noise soon?*

Group 4: Sentences concerning hearer's desire or willingness to do the act:

*Would you be willing to write a letter of recommendation for me?*

*Do you want to hand me that hammer over there on the table?*

*Would it be convenient for you to come on Wednesday?*

Group 5: Sentences concerning reasons for doing the act:

*Must you continue hammering that way?*

*Why don't you try it just once?*

*You ought to be more polite to your mother.*

*It would be better for you(for us all) if you would leave the room.*

Group 6: Sentences embedding one of these elements inside another; also elements embedding an explicit directive illocutionary verb inside one of these contexts:

*Would you mind awfully if I asked you if you could write me a letter of recommendation?*

*Might I ask you if you take off your hat?*

*I hope you won't mind if I ask you if you could leave us alone.*

## 2.2 Politeness and indirect request

Indirect request is connected with politeness and being conventionally indirect is one of the negative politeness

strategies in Brown and Levinson's theory of politeness (1978). Being conventionally indirect means "the use of phrases and sentences that have contextually unambiguous meanings which are different from their literal meaning" (Brown and Levinson, 1978:137). Thus the speaker's intention becomes obvious at the same time he indicates his desire to say something indirectly. Consider the following example:

3- Can you please pass the salt?

Here "can" is only an indirect request and not a question about the addressee's potential abilities. Another transformation that rules out the literal meaning and forces an indirect speech –act reading is that which converts (4) to (5) by the omission of the auxiliary and tense markers (as noted by Gordon and Lakoff, 1971):

4- Why are you painting your house purple?

5- Why paint your house purple?

Example (4) could be either a mere question accompanied by curiosity (the literal reading) or a critical note (the indirect reading). But after the omission of tense and auxiliary (5) can only be a critical note.

Some conventionally indirect expressions slightly are more or less polite than others. "The more effort a speaker expands in face preserving work, the more he will be seen as trying to satisfy hearer's face wants" (Brown and Levinson, 1978:148). This means that the conventionally indirect request seems more polite when compound with hedges and particles.

In the following examples the speaker is trying to be maximally polite. The order of polite requests is from the most polite to the least polite.

6- There wouldn't I suppose be any chance of your being able to lend me your car for just a few minutes, would there?

7- Could you possibly by any chance lend me your car for just a few minutes?

8- Would you have any objections to my borrowing your car for a while?

9- I 'd like to borrow your car if you wouldn't mind.

10- May I borrow your car please?

11- Lend me your car.

Kasper (2006) in her research examining the politeness of multiple requests in oral proficiency interviews, she notes that interviewers sometimes repeat a request with more or less variation immediately after completion of the first in the same turn. Interviewers repeat the same request in certain cases of increased task demands, or in response to the interviewee's difficulties in addressing the agenda set by the request. Two kinds of structurally parallel operations of mitigation and conventionally indirect request frame are observed. The interviewer usually uses the conventionally indirect request and mitigation in the first version, but he makes the second version of the same request more direct and without any mitigation markers.

### 3- Findings

The material studied have encompasses press conferences from two different periods. Six press conferences with U.S president John F. Kennedy (1961-1963), and six press conferences with U.S president Barack Obama (2009-present). The analysis is mainly concerned with the journalists' questions and their use of conventionally indirect requests that begin with one of the following phrases such as *can you, could you, will you, would you* followed by a speech act verb like *say, name, give, explain*. Other requests may be prefaced with *I wonder, I would like to ask, I want to ask* and so on.

The material studied show that there is a shift from the conventionally indirect request to the direct request. Journalists' requests are more direct in press conferences with Obama whereas they are less direct and more

indirect in press conferences with Kennedy as clarified in table 1.

**Table 1. Direct and indirect requests**

		<b>Direct Requests</b>	<b>Indirect Requests</b>	<b>Total</b>
<b>Kennedy</b>	<b>n</b>	<b>110</b>	<b>64</b>	<b>174</b>
	<b>%</b>	<b>63.21</b>	<b>36.78</b>	<b>100.0</b>
<b>Obama</b>	<b>n</b>	<b>89</b>	<b>29</b>	<b>118</b>
	<b>%</b>	<b>75.42</b>	<b>24.57</b>	<b>100.0</b>

From the material studied it is noticed that the journalists use indirect requests with president Obama in certain situation. Such situation is disconnected with the norm of turn-taking when the journalists want to ask a follow up question. Consider the following examples:

(1) [Obama December 2010]

*Q. If I may follow up quickly, sir.* You're describing the situation you're in right now. What about the last 2 years when it comes to your preferred option? Was there a failure either on the part of the Democratic leadership on the Hill or here that you couldn't preclude these wealthier cuts from going forward?

In the above example the journalist uses a conventionally indirect request so the president will not ignore his request and select another speaker. After along answer by the president about extending the tax cut, the journalist wants to ask another question about the same subject. He asks a question that is framed in such away to press the president to admit that there is a failure in their policy. Here the journalist expends more effort to satisfy hearer's face and to increase the relative politeness of the expression (Brown and Levinson, 1978:148). The journalist asks the permission of the addressee to do the volitional act of asking another question, he accompanies this with another politeness strategy when he uses the word "quickly" to minimize the imposition. And the use

of “sir” that index difference, so all these strategies pay the addressee difference and index the journalist’s awareness that time is important in press conferences.

(2) [Obama May 2010]

Q- You just said that the Federal Government is in charge, and officials in your administration have said this repeatedly. Yet how do you explain that we're more than 5 weeks into this crisis and that BP is not always doing as you're asking, for example, with the type of dispersant that's being used?

*And if I might add one more*, to the many people in the Gulf who, as you said, are angry and frustrated and feel somewhat abandoned, what do you say about whether your personal involvement, your personal engagement, has been as much as it should be, either privately or publicly?

In example(2) the journalist again asks for the president permission to ask another question, but he doesn’t wait for the president response or permission and he goes on his lengthy question. He uses this strategy to minimize the risk of being interrupted by the president after asking his first question. The journalist is aware of the fact that the president has the power to interrupt him and ends his turn.

Most of the time when the journalists ask for the permission of president Obama to ask another question, they don’t wait to hear his response ,but they go on asking questions or making comments on an issue that just has been discussed. There are very rare cases that have been noticed in the material studied when president Obama gives the journalist the permission to follow up, as in the following example:

(3) [Obama may 2010]

Q- *If I could follow up*——

Obama- *Sure.*

Q. Do you—are you sorry now—do you regret that your team had not done the reforms at the Minerals Management Service that you've subsequently called for? And I'm also curious as how it is that you didn't know about Ms. Birnbaum's resignation/firing before—  
In Obama press conferences sometimes the journalists use two versions of the same question as in the following example:

(4) ) [Obama may 2010]

Q. Mr. President, you announced—or the White House announced on—2 days ago that you were going to send 1,200 people to—1,200 members of the National Guard to the border. *I wanted to—if you could precise what their target is going to be, what you're planning to achieve with that—if you could clarify a bit more the mission that they're going to have.*

The journalist begins his turn with a statement (a pre-request) to provide background information and to justify the upcoming question. He increases the demands on the president to elaborate further on that topic, also he casts the president task more specific form. There is a shift from self referencing formulae “I wanted to...” to a more polite other referencing formulae “If you could precise what.....”. Also there are two different request versions “if you could precise what their target...” and “ if you could clarify a bit more the mission that they are going to have..”, both versions are designed as being conventionally indirect. These multiple requests have the same degree of indirectness, but the second version includes mitigating strategy when the journalist uses the phrase “a bit more” to minimize the degree of the imposition. This strategy is not found in the first version. Indirect questions are used more frequently with Kennedy. There are many instances when the journalists combine their requests with politeness marker (please) which indicates that the journalists’ is doing



something that threatens the politician face, or that they are going to ask pressing questions. As in the following example:

(5) [Kennedy April 1969]

Q- Mr. President I wonder if you would tell us what your ground, your investigation of the Maj. Gen. Ted Walker incident in Europe ..if you will please tell us what grounds you found for relieving him of his command for allegedly teaching troops anti-Communist doctrine?

With the request in example (5), the journalist nominates a new subject as expressed in the self referencing request form "I wonder if you would tell us ..". Then he makes another version of the same request by prefacing the second request with "please" before the imperative verb form "tell". "Please" here carries a politeness marker. In other cases the journalists use "please" at the end of their turn as in the following examples:

(6) [Kennedy August 1962]

Q. Mr. President, the United States has been urging four-power consultations in order to reduce tension in Berlin. In this connection there have been reports of a foreign ministers meeting in advance of the General Assembly and also there has been speculation that you may personally meet with Mr. Khrushchev at the U.N. *Would you give us your views on this, please?*

It is important to mention that most of the time in their questions, the journalists use with Kennedy other deferential strategies such as address forms and titles which are indexed in the use of the words "sir" and "Mr. President". In their use of such phrases the journalists treat Kennedy as a powerful person not only because he is the president, but also as a chairperson in the press conference who has the power to open and close the interview, and also to choose any journalist to speak and he can interrupt and ignore the journalists who are trying to take turns for additional questions.

Also sometimes journalists accompany their indirect questions mitigating phrases to minimize the degree of the imposition and to indicate that what is demanded is to be “a little bit more specific”, or “to give at least a hint” on certain issue:

(7) [Kennedy February 1961]

It has been almost 6 weeks, sir, since the conference on Laos has been under way. There seems to have been little progress, at least little understanding, between the two sides. Do you consider it worthwhile to continue the conference?

## Conclusion

The material studied show that the use of the indirect questions decrease significantly in present-day press conference. There are certain factorsthat affect the use of the indirect questions with Obama. Among these factors is when the journalists want to make a follow up question so they ask for the president's permission to elicit more revealing answer from the president. Thus the journalists are aware of the fact that too many follow up questions is associated with risk. Also journalists use indirect questions in their attempt to ask new questions, because in press conferences they have the right to ask only one or two questions. There are few cases when the journalists use some mitigating material to minimize the degree of the imposition in questioning Obama.

With Kennedy, the journalists use more indirect questions. Their questions are sometimes combined with other politeness strategies such as the politeness marker "please" and the frequent use of the deferential phrases like "sir" and "Mr. President". But the use of such phrases is few in Obama press conferences.

## BIBLIOGRAPHY

- Blum-Kulka, Sh., House, J., and Kasper, G. (eds.), *Cross Cultural Pragmatics: Requests and apologies*. Norwood, NJ: Ablex.
- Brown, P. and Levinson, S. (1978) Politeness "Universals in Language Usage: Politeness Phenomena". In E. N. Goody (ed.) *Question and Politeness: Strategies in Social Interaction* (pp. 56-311) Cambridge University Press.
- Clayman, S. and J. Heritage (2002) *The News Interview: Journalists and Public Figures on the Air*. Cambridge, England: Cambridge University Press.
- Eshabough-Soha, Mathew (2003) Presidential Press Conference Over Time, *American Journal of Political Science* 47(2):348-353.
- Gordon, D. and Lakoff, G. 1971. Conversational postulates. In *Papers from the seventh regional meeting of the Chicago Linguistics Society*, (pp. 63-84) Chicago.
- Kasper, G. (2006) When once is not enough: Politeness of multiple request in oral proficiency interviews. *Multilingua* 25, 323-350.
- Leech, J. (1983) *Principles of Pragmatics*. Longman, London.
- Pinker, S. (2007) The evolutionary social psychology of off record indirect speech act. *Intercultural Pragmatics* 44, 437-461.
- Searl, J. R. (1969) *Speech Acts*. New York and London: Cambridge University Press.
- (1975) Indirect Speech Act. In Cole P, Morgan (eds) *Syntax and Semantics 3: Speech acts*. Academic (pp. 59-82), New York.
- Thomas, J. *Meaning in Interaction: an Introduction to Pragmatics*. Longman, London and New York.

# *An Assessment of EFL Learners' Ability to Produce Semi Vowels*

***Hatem Jasim Khudhair***  
Aliraqia University  
College of Arts

## **ملخص البحث**

لا يستطيع متعلم اللغة الأجنبية أن يستخدم الكلمات بشكل انفرادي أو حتى الأقوال بشكل صحيح بدون السيطرة الكاملة على النظام الصوتي لهذه اللغة. بينما يتقصى هذا البحث استخدام أشباه الحركات في اللغة الانكليزية من جانب المتعلمين اللغة الانكليزية من العراقيين، فان نتائجه تم استعمالها لغرض تحديد فيما إذا يستطيع المتعلمون أو لا يستطيعون استخدام أشباه الحركات في اللغة الانكليزية.

يتقصى هذا البحث استخدام أشباه الحركات من جانب المتعلمين العراقيين للغة الانكليزية.

البحث يسلط الضوء على الأخطاء المرتكبة من قبل المتعلمين العراقيين ذو المستوى الجامعي. دفعت هذه الأخطاء الباحث لتنظيم هذا البحث. وان الهدف الرئيسي لهذا البحث هو لغرض اكتشاف المشاكل التي يواجهها المتعلمين للغة الانكليزية في استخدام أشباه الحركات ثم تحليل أخطاء الطلاب وتحديد الأسباب الممكنة لهذه الأخطاء وبناءاً على نتائج البحث تم التوصل إلى الاستنتاجات الكفيلة.



## 1- Introduction:

Semi- vowels are defined as independent vowel-glides in which the speech organs start by forming a close or fairly close vowel and immediately move to another vowel of greater prominence, the initial vowel- position is not held on for any appreciable time. It is the rapid gliding nature of these sounds, combine with the use of rather weak force of exhalation, that renders them consonantal. In English there exist two semi vowels; they are represented phonetically by the letter **W** and **J** (Johns, 1936: 19).

Ladafoged (1975: 209) shows that a semi- vowel is a kind of approximant consisting of a nonsyllabic vowel occurring at the beginning or end of a syllable. When at the beginning of a syllable, It usually consists of a rapid glide from a high vowel position to that of the following vowel. The semi- vowels /w/ and /j/ are like nonsyllabic versions of the English high vowels /i/ and /u/ respectively.

Despite the fact that semi- vowels are generally vocalic, they are treated within the consonant class, mainly because their function is consonantal rather than vowel- like, i.e, they have marginal rather than a central situation in the syllable. /j/ and /w/ occur initially or in an initial cluster preceding a syllabic sounds, e.g, [j+i] **Yiddish** /j i d i ʃ/, [w+i] **wit** /wit/, [j+ið] **year** /j i ə/, [w+iə] **weir** /wið/. The most important feature is that characterize semi- vowels is that they are phonetically like vowels but phonologically like consonants. From the phonetic point of view the articulation of /j/ is practically the same as that of a front close vowel such as /i:/, but is very short. Similarly the production of /w/ is closely related to /u:/ (Gimson, 1980: 211).

The use and evaluation of semi-vowels could be problematic for Iraqi English foreign language learners. In other words, Iraqi student's learning English as a

foreign language encounter pronunciation problems arising from the fact that semi- vowels may be mispronounced by many English students. For example, word **dune** may be pronounced by subjects as /du:n/ instead of /dju:n/. This would lead to distort the shape of the word for an English hearer and he as a result may have a difficulty in recognizing the word.

As such, the word **tune** /tju:n/ is pronounced as /tu:n/. One of the possible reasons for such a problem is the ignorance of these semi- vowels by the learners because of the inadequate knowledge and insufficient teaching on the part of the teacher.

Trask (1996: 68) points out that in English the semi- vowels glide from positions of approximately /i:/ (with spread or neutral lips) and /u:/ (with rounded lips, e.g. **year** /jiə/, **west** /west/. The actual point at which the essential vocalic glide begins depends on the nature of the following sound, e.g, the glide of /j/ to /i:/ in **yeast** /j i: st/ has a closer beginning than that of /j/ to /o/ in **yacht** /jo:t/, and the starting point of /w/ before /u:/ in **woo** /wu:/ is closer than that of /o/ in **what** /wot/. When /j/ is followed by a back close vowel as in **you** /ju:/ or /w/ by a front close vowel as in **we** /wi:/. The starting point need not be as close as in **yeast** and **woo**, since in the first cases the glide is essentially of a front to back direction, rather than a movement of close to more open as in the latter cases.

According to Roach (1983: 110) the starting point varies slightly with different speakers and according to the following vowel, but for the purposes of practical teaching /w/ may be considered to be a variety of /u/. the position of this starting point may be described as follows: the lips are closely rounded; there is raising of the back of the tongue in the direction of the soft palate; the vocal cords are made to vibrate so that that voice is heard. On the other hand, /w/ is that consonantal sound of the letter **w**. it is used when the letter **w** occurs at the

beginning of a syllable except in the group **Wr** in which the **w** is silent or is preceded by a consonant, e.g. **wait** /weit/, **twelve** /twelve/. The letter **U** is generally pronounced /w/ when preceded by **q**, e.g. **quite** /kwait/ and often when preceded by **g**. unstressed syllables, e.g. **language** /lanwidʒ/. This make aproblem for Iraqi students, e.g. the words **quich** /ki:f/, **quay** /ki:/ may pronounce by many subjects as /kwi f/, /kwei/. as a result, the learners of English as a foreign language may fail to produce /w/ accurately. The researcher sees that this aspect is given no or little attention by the teachers and learners. So, Most subjects may mislead by the spelling of the English word. For example, the words **acquaint**, **conquest** may pronounce by subjects as /əkueint/, /konkuest/ in stead of /əkweint/, /konkwest/ respectively. The sound /w/ is problematic to many students, especially to Iraqi students. They generally replace it by a different kind of sounds, namely one in which the lips are kept flat or rounded.

The sound /w/ causes difficulty to many foreigners, especially to Germans. They generally replace it by a different kind of bilabial fricative consonants, namely one in which the lips are kept flat instead of being rounded and pushed forward and in which the tongue is in neutral position. The sound /w/ causes a difficulty to Africans, many of the them have a similar sound in their own language. Most received pronunciation speakers use an ordinary /w/ in words like **what** and **when** and thus make no distinction in their speech between **which** and **witch**, and between **while** and **wile** and so on. Moreover, many Africans, when they attempt to say /hw/, are apt to make the /h/ element much too marked or even to say /kw/, which sound quite wrong.

Rogers (2000: 103), on the other hand, assumes that the formation of /j/ may be expressed shortly by defining the sound as an unrounded palatal semi- vowels. The



actual sound used in particular words depends to some extent on the nature of the following vowel. The sound /j/ is always closer than the following vowel. Thus, It is very close indeed before /i:/, as in **yield** /ji:ld/ but much less close before sound as /a/ as in **yard** /ja:d/. the distinction may be ignored in the practical teaching of English. The volcanic allophones of /j/ are articulated by the tongue assuming the position for a front half- close to close vowel. The lips are generally neutral or spread, but may anticipate the lip- rounding of the following vowel in such cases as **You** /ju:/. When /j/ follows a fortis, devoicing takes place especially when /j/ follows accented /p, t, k, h/. when /j/ is the final element of accented clusters, only /u:/ or /u/ may follow /j/.

When /j/ is the final element of accented clusters only /u:/ or /u/ may follow /j/. This make a problem for Iraqi students, e.g, the words **pew** /pju:/, **cure** /kju:/, **opulent** /əpjuləht/ may pronounce by many subjects as /pu:/, /ku:/, /əpulənt/. As a result, the learner of English may fail to produce /j/ accurately. So, many subjects may mislead by the spelling of the English word. The sound /j/ is problematic to many students especially to Iraqi students. They generally replace the sound /j/ by the nearest vowel sounds such the front vowel sound /i/ and the buck vowel sound /u/.

The investigation of English semi- vowels that will be carried out in this study is hoped to provide an adequate information about one of the basic problems faced by Iraqi EFL learners. The test will be conducted, will include statistical analysis that may lead to a more satisfactory findings in this area. As to the practical side, the results of the present study may be very helpful to teachers of English, text- book writers, test designers, and they may contribute in evaluation of the materials devoted for the teaching of English.

The situation regarding the difficulties confronting Iraqi learners in so far as the production of English semivowels is concerned necessitates further investigation in this area. A valid explanation to this situation may be attributed to the fact that most teachers of English do not concentrate on this aspect of English phonology and also because accurate pronunciation teaching materials based on analysis have not yet been adequately designed.

The main purpose of the present study is to shed light on the amount of errors committed by Iraqi students of English at the university level. The above mentioned purpose can be realized through the following hypotheses:

- 1- Subjects' performance in producing the semi vowel /w/ is better than their performance in producing the semi vowel /j/.
- 2- Iraqi subjects tend to replace the two semi vowels /w/ and /j/ by a different kind of sound such as /u/ and /i/.

## ***The Test***

### ***2-1 Test objectives***

The objectives of the test are to identify the difficulties faced by Iraqi learners in producing semi-vowels. More specifically, the objectives of the test are:

- 1- Identifying EFL learners' errors in producing semi- vowels in English.
- 2- Finding out the sources of errors that might be felt behind the incorrect usage of semi-vowels.

### ***2-2 Description of the Test***

A Test is constructed to prove what have been hypothesized in the introduction. Accordingly, test, consisting of one question comprising (50) items, have been prepared to be administrated to third year students at the Department of English, College of Arts, University of

Al-Iraqia university. The test is recorded. The subjects' pronunciation is recorded while reading the test items. Each item in the test is selected to measure a particular area in the subjects' production of semi- vowels.

### ***2-3 The Sample***

A sample of Iraqi learners of English constitutes the population of the final administration of the test. For this purpose, third year students at the Department of English, College of Arts, university of Al-Iraqia have been chosen. The total number of the sample is (25) boys and girls. These are the third- year students of the academic year 2013. the reason behind choosing third year students is that they are supposed to be at advanced level, and their ability has developed to certain extent that enables them as experienced students to use semi-vowels correctly.

### ***2-4 Reliability of the Test***

A reliable test is defined as one that gives the same results consistently on different occasions when the conditions of the tests are the same (Harris, 1969; Al-Hamash et al, 1982: 173 and Madsen, 1983: 179). One of the methods that can be used to find out reliability is test-retest method. According to this method, the test is reliable when the scores of both administrations are correspondent. Thus, 25 students of third- year were randomly chosen.

### ***2-5 Validity of the Test***

Gronlund (1976: 79) shows that the most important types of validity are face validity and content validity.

#### ***2-5-1 Face Validity***

Ebel (1972L 55) shows that face validity means the way the test looks to the examinees, test administration, educators and the like. Thus, in order to ensure face validity, the test items are examined by a number of

experts who are known as having profound knowledge in English language.

### ***2-5-2 Content Validity***

Gipps (1995: 58) states that the coverage of appropriate and necessary content that tends to be based on professional judgments.

The test of the present study is designed on the basis of a careful analysis of the subjects under investigation that is semivowels in English.

### ***2-6 The Administration of the Test***

The test is administered in the language laboratory of English Department, college of Arts at the end of the Academic year 2012.

25 students /third year students/ are recorded in the laboratory individually. The students are given enough time to read the test items silently several times. The students are given numbers from one to twenty five and they are instructed to mention their numbers before starting to read. Then each student is asked to read the test items aloud in order to be recorded. It was taken into consideration the number of words with /w/ was equal to these with /j/.

### ***2-7 The Scoring Scheme***

The subjects' production of the test items are compared with that of semi-native speaker (the researcher himself) and scored on the right- wrong basis. Each correct item was given two marks and incorrect one was given zero. The entire test has been scored out of hundred.

### ***2-8 The Results of the Test***

The test concerns with the presentation and discussion of the subjects' pronunciation in using semi-vowels. The errors were identified and their percentage

were computed. In addition, attempts were made to determine the possible sources of these errors in order to get at some insights into the nature of the difficulties that EFL college students face in using semi-vowels. After examining the subjects' performance, it was found that they face many difficulties in producing the semi-vowels. The extent to which the subjects encounter these difficulties is indicated in terms of raw score and percentages of errors to verify or refute the hypotheses proposed in the outline of the present study (see table one).

***Table (1): Subjects' Raw Scores of the Test***

Item	Correct	Percent %	Errors	Percent %
1.	10	20	40	80
2.	12	24	38	76
3.	6	12	44	88
4.	10	20	40	80
5.	5	10	45	90
6.	50	100	-	-
7.	25	50	25	50
8.	2	4	48	96
9.	25	50	25	50
10.	6	12	44	88
11.	8	16	42	84
12.	12	24	38	76
13.	14	28	36	72
14.	6	12	44	88
15.	10	20	40	80
16.	30	60	20	40
17.	4	8	46	92
18.	34	68	16	32
19.	20	40	30	60
20.	-	-	50	100
21.	16	32	34	68
22.	10	20	40	80
23.	16	32	34	68

24.	16	32	34	68
25.	20	40	30	60
26.	50	100	-	-
27.	50	100	-	-
28.	50	100	-	-
29.	6	12	44	88
30.	10	20	40	80
31.	2	4	48	96
32.	50	100	-	-
33.	40	80	10	20
34.	48	96	2	4
35.	2	4	48	96
36.	48	96	2	4
37.	8	16	42	84
38.	44	88	6	12
39.	48	96	2	4
40.	2	4	48	96
41.	2	4	48	96
42.	4	8	46	92
43.	6	12	44	88
44.	8	16	42	84
45.	40	80	10	20
46.	10	20	40	80
47.	4	8	46	92
48.	40	80	10	20
49.	36	72	14	18
50.	50	100	-	-
	1025	41%	1475	59%

**Table (2): Subjects' Performance in Using the Semi-Vowel /w/**

Item	Correct	Percent %	Errors	Percent %
3	6	12	44	88
5	5	10	45	90
6	50	100	-	-
7	25	50	25	50
9	25	50	25	50
10	6	12	44	88
13	14	28	36	72
16	30	60	20	40
18	34	68	16	32
21	16	32	34	68
23	16	32	34	68
24	16	32	34	68
26	50	100	-	-
27	50	100	-	-
28	50	100	-	-
32	50	100	-	-
34	48	96	2	4
36	48	96	2	4
37	8	16	42	84
38	44	88	6	12
39	48	96	2	4
42	4	8	46	92
43	6	12	44	88
46	10	20	40	80
47	4	8	46	92
Total	663	26.52	581	23.24%

**Table (3): Subjects' Performance in Using the**

*Semi-Vowel /j/*

Item	Correct	Percent %	Errors	Percent %
1	10	20	40	80
2	12	24	38	76
4	10	20	40	80
8	2	4	48	96
11	8	16	42	84
12	12	24	38	76
14	6	12	44	88
15	10	20	40	80
17	4	8	46	92
19	20	40	30	60
20	-	-	50	100
22	10	20	40	80
25	20	40	30	60
29	6	12	44	88
30	10	20	40	80
31	2	4	48	96
33	40	80	10	20
35	2	4	48	96
40	2	4	48	96
41	2	4	48	96
44	8	16	42	84
45	40	80	10	20
48	40	80	10	20
49	36	72	14	18
50	50	100	-	-
Total	362	14.48	840	33.60%

After checking the results of the test, it is obvious that the subjects' knowledge of semi-vowels is very shallow and they face certain difficulties in using them.

Table (1) reveals that the results obtained show the subjects' erroneous responses are more than their correct responses for most of the items of the test. The overall results indicate that the total number of errors committed



by the subjects in producing /w/ and /j/ is (59%) as presented in table (1). Such percentage indicates that the subjects' ability in producing semi-vowels are disappointing, e.g, all subjects were unsuccessful in producing the semi vowel /j/ in the word **duo** /diu:əu/. The subjects pronounce the word **duo** as /du:/ in stead of /dju:əu/. In general, the subjects who make errors may tend to replace /w/ and /j/ by their correspondent ones such as /u:/, /u/ and /i:/, /i/, e.g, the word **dew** is pronounced as /du:/ in stead of /dju:/, **distinguish** is pronounced as /distingij/ in stead of /distingwiʃ/. However, the lowest point was (8%) and the highest point was (100%) (see table I). according to tables (2 and 3) above, it has been found that errors committed in producing /w/ are less than those committed in producing /j/. This can be realized from examining the subjects' pronunciation found in tables (2) and (3). It appears that subjects' performance in producing /w/ is better than their performance in producing /j/. the mean score of producing /w/ was (23.24%); while the mean score of producing /j/ was (33.60%). The difference between the two means was so remarkable. Accordingly, the first hypothesis which states that most of subjects' performance in producing /w/ is better than their performance in producing /j/ is verified (see table 2 and 3). The high percentage of the subjects' in correct responses in producing /j/ means that Iraqi learners of English face difficulty in mastering semi-vowels. Moreover, errors are considered as a result of insufficient teaching model whose improper pronunciation influences the subjects' performance. Therefore, in order for the English semi-vowels context of learning to be rewarding it should provide the learner with genuine contextual materials with focus on the problem. Subjects' bad performance is related to the notion of teaching- induced errors. One should not neglect the fact that the teacher is

the cornerstone for any class activity. It seems quite reasonable to relate errors in the pronunciation of semi-vowels to the improper model (the teacher himself).

Most teachers of English do not concentrate on this aspect of English phonology. It was noted that many subjects may have the ability to use semi-vowel /w/ when it occurs at the beginning of the word. Table (2) shows that the majority of subjects use the semi-vowel /w/ correctly at the beginning of the words, e.g, whine /wain/, whistle /wisl/, weed /wi:d/, wet /wet/, wage /we:dʒ/. thus, the subjects have alow difficulty in producing /w/ in these words (see appendix). The results also show that the subjects face more difficulty in using /w/ in medial positions, e.g, the words quotation /kwəteɪʃn/ quid /kwɪd/, choir /kwaɪə/, quack /kwak/, squad /skwɒd/ are pronounced as /kuteɪʃn/, /kɪd/, /kaɪə/, /kuk/, /sku:d/. it was found that fluctuation of errors in producing the semi-vowel /w/ may be due to insufficient practice to second language rules (see table 2). It seems clear that the subjects tend to replace the semi-vowels /w/ and /j/ by other sounds such as /u/ and /i/. table (3) shows the percentage of errors in producing the semi-vowel /j/. the total number of errors which is (33.60%) shows the subjects' incompetence in using the semi-vowel /j/. for instance, the words phw /fju:/, pew /pju:/, Dune /dju:n/ queue /kju:/, peculiar /pikju:liə/ are pronounced as /fu/, /pu/, /hu:/, /dun/, /ki:/, /pikuliə/. The subjects' incompetence to produce /j/ is obvious from the number of their erroneous pronunciation as shown in table (3). Accordingly, the second hypothesis which states that most of Iraqi EFL learners replace the semi-vowels /w/ and /j/ by /u/ and /i/ is verified.

## **Conclusion**

A learner of a foreign language cannot produce individual words or even utterances correctly without having full mastery of the phonetic system of that language. And as this paper investigates the production of English semi vowels /w/ and /j/ on the part of advanced Iraqi learners of English, its results have been used to decide whether or not the learners are able to produce English semi-vowels. The paper comes out with the following conclusions:

1- Iraqi learners of English of the university level have varied considerably with respect to their abilities to produce the two English semi-vowels /w/ and /j/.

2- Iraqi learners of English are found to be more unsuccessful in producing these semi-vowels. This may suggest that they face some difficulty in producing them. Still, the good performance of some of the students could be attributed to guessing rather than their sharp distinction between /w/, /u/ and /j/, /i/.

3- Iraqi learners of English of the university level tend to replace /w/ and /j/ with a different kind of sounds, namely /u/ and /i/. So, most subjects are misled by the spelling of the English word. For example, the word **conquest** is pronounced by subjects as /konkist/ in stead of /konkwest/. Therefore, learners of English should be exposed to drills similar to these of minimal pairs which involve the use of words with semi-vowels. This can be good practice that enables the subjects to use these two phonemes.

4- English phonetics and phonology should be considered as basic subject and the prescribed textbooks have to pay great attention to this skill in English.

### ***Bibliography***

- 1- Ebel, R.L. (1972). **Essentials of Educational Measurment**. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.
- 2- Gimson, A.C. (1980). **An Introduction to the pronunciation of English**. London: Edward Arnold, L+d.
- 3- Gipps, V. (1995). **Beyond Testing: Toward A Theory of Educational Assessment**. London: The Falmer Press.
- 4- Hamash, Al. K. I. (1982). **A Contrastive Study of the Sound System of Iraqi Arabic and Standard English**, Baghdad: Al-Shab press.
- 5- Harries, D. (1969). **Testing English as A Second Language**. New York: McGraw- Hill.
- 6- Johns, D. (1963). **An Outline of English Phonetics**. Cambridge: CUP.
- 7- Ladofoged, P. (1975). **A Course in Phonetics**. New York: Harcourt, Brace Jovanvish, Inc.
- 8- Madsen, A. (1983). **Manual of Phonetics**. London: North Holland Publishing Company.
- 9- Roach, P. (1983). **English Phonetics and Phonology: A Practical Course**. Cambridge: CUP.
- 10- Rogers, R.H. (2000). **The Sounds of Language: An Introductory Survey**, London: Longman.
- 11- Trask, R.L. (1996). **A Dictionary of Phonetics and Phonology**, Longman: Routledge.

## Appendix

### Test Items

Please read the following items carefully:

1	Obscure	/əbskjuð/
2	Muscular	/mʌskjʊlð/
3	Choir	/kwaið/
4	Queue	/kju:/
5	Quench	/kwentʃ/
6	Qwick	/kwik/
7	Language	/lɒŋgwɪdʒ/
8	Hew	/hju:/
9	Square	/skweɪ/
10	Squash	/skwɒʃ/
11	Argue	/ɑ:gju:/
12	Endure	/ɪndjuð/
13	Whine	/wain/
14	Cue	/kju:/
15	Abuse	/əbju:z/
16	Dwarf	/dwo:f/
17	Pew	/pju:/
18	Whistle	/wɪsl/
19	Humour	/hju:mð/
20	Duo	/dju: ðu/
21	Squeal	/skwi:l/
22	Phew	/fju:/
23	quack	/kwak/
24	Squad	/skwɒd/
25	Mule	/mju:l/
26	Weed	/wi:d/
27	Wet	/wet/
28	Twig	/twɪg/
29	Duke	/dju:k/
30	Curfew	/kð:fju:/
31	Dew	/dju:/
32	Quick	/kwɪk/

33	Beauty	/bju:ti/
34	Wage	/weidʒ/
35	Occupation	/okju:peɪʃn/
36	Whale	/weɪl/
37	quid	/kwɪd/
38	Weir	/wiəd/
39	Queen	/kwi:n/
40	Opportunity	/opətʃju:nəti/
41	Peculiar	/pɪkju:liəd/
42	Squirrel	/skwɪrdl/
43	Squadron	/skwɪdrən/
44	Dune	/dju:n/
45	Museum	/mju:ziəm/
46	Distinguish	/dɪstɪŋɡwɪʃ/
47	Quotation	/kwɒteɪʃn/
48	Pure	/pjʊ/
49	during	/dʒʊrɪŋ/
50	you	/ju:/